جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة-كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

مجلّة أبحاث البصرة
((للعلوم الإنسانيّة))

سلسلة العلوم الإنسانية

مجلة فصلية محكمة ومفهرسة

تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة البصرة
العراق - البصرة

رئيس هيأة التحرير: أ.د. علاء عبد الحسين العبـــــــــــــــــــــــــــــــادي

مدير هيأة التحرير: أ. مهدي محسن محمد

إدارة المجلة: باحث أقدم: ساهرة مزهر لفتة

عدد خاص بوقائع المؤتمر الدَّوْلِيّ الإلكترونيّ الثاني لقسم اللّغة العربيّة بجامعة البصرة / كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة المعنون بـ(العربيّة ومُتَطَلَّبات العَصر) المنعقد بتاريخ ٢٣/ أيَّار / ٢٠٢١

(مواقع واشتراكات المجلة في المستوعبات العلمية)

-موقع المجلة الرسمي -

https://bhums.uobasrah.edu.iq

-الترقيم الدولي -ISSN Online 2707-3599

-ISSN Print 2707-3580

-معامل التأثير العربي

-(AIF)= (0,94)

-معامل التاثير والاستشهادات (أرسيف) Arcif Analytics (

-(0.0473)

-المجلة مسجلة في الموقع العالمي Google الباحث العلمي -

https://scholar.google.com

-موقع المجلات الاكاديمية العراقية IRAQI Academic Scientific Journals -

www.iasj.net

-رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١١٨٣ لسنة ٢٠٠٩

(www.udledge.com)

1) i-Journals(www.ijournals.my) iJOURNALS

2) i-Focus (www.ifocus.my) i-IFOCUS

(التعريف بالمجلة)

١. مجلّة محكّمة ومتخصّصة ،فصليّة، تصدر عن كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة/جامعة البصرة/وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقيّة.

٢. تطمح أنْ تكون مصنفّة ضمن أهم القواعد والبيانات العالميّة وأنْ تكون مرجعاً علميّاً للباحثين والدارسين في العلوم الإنسانيّة ووصول أبحاثهم إلى أوسع نطاق من العالم.

(حقوق الطبع محفوظة للناشر):

١. جميع حقوق الطبع محفوظة لجامعة البصرة /كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة.

٢. لا يجوز نشر أي جزء من هذه المجلّة أو اقتباسه من دون الحصول على موافقة خطيّة مسبقة من رئيس هيأة التحرير.

٣. ما يرد في المجلّة يعبر عن آراء أصحابها ولا يعكس آراء هيأة التحرير أو سياسة جامعة البصرة.

للاستفسار والتواصل مع هيأة تحرير المجلة:
-Email:magazinbasrah@gmail.com
- +964 7736024869

هيأة التحرير:

ت	الاسم واللقب العلمي	مكان العمل
١.	أ.د. عبد الباسط خليل محمد	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم علوم القرآن
٢.	أ.د. إبراهيم فنجان صدام	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ
٣.	أ.د. حامد قاسم ريشان	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي
٤.	أ.د. مرتضى عباس فالح	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة العربية
٥.	أ.د. علاء حسين عودة	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم اللغة الانكليزية
٦.	أ.د. عباس عبد الحسن كاظم	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم الجغرافية
٧.	أ.م.د. نبيل كاظم نهير	جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم العلوم التربوية والنفسية
٨.	أ.د. محمد الخزامي عزيز	مصر - جامعة الفيوم - كلية الآداب قسم الجغرافية
٩.	أ.م.د. رسول بلاوي	إيران- جامعة خليج فارس- بوشهر
١٠.	أ.د. جمال الدين إبراهيم محمود العمرجي	مصر- جامعة السويس - كلية التربية
١١.	أ.د. عبد الله أبراهيم	تركيا – ناقد وأكاديمي
١٢.	أ.د. محمد سليمان مجلي بني خالد	الأردن – جامعة آل البيت – كلية العلوم التربوية
١٣.	أ.د. محمد نجيب مراد	الجامعة اللبنانية – كلية الآداب

((شروط النشر في مجلة أبحاث البصرة (للعلوم الإنسانية))

✓ تنقسم ضوابط النشر إلى قسمين:

اولاً:**عند تقويم البحث** (**ما قبل الحصول على قبول النشر**):

١) يكون ترتيب الصفحة الأولى بالشكل التالي:**العنوان في أعلى الصفحة ويندرج تحته فقرة الغرض من البحث هو**:(**مستل** (**رسالة ماجستير**)،(**أطروحة دكتوراه**)،**أو للترقية**،**أو غير ذلك**)**ثم**(**أسم الباحث أو الباحثين**،**الجامعة**،**الكلية والقسم**).

٢) خلاصة البحث باللغة العربية بالنسبة للأقسام كافة -ماعدا قسم اللغة الانكليزية- لا تزيد عن خمسة اسطر وتترجم إلى اللغة الانكليزية من **قبل وحدة الخدمات في قسم اللغة الانكليزية** حصراً،وتتضمن (ترجمة العنوان والملخص وأسماء الباحثين) وتختم وتجلب مع البحث النهائي.أما بالنسبة لقسم اللغة الانكليزية كذلك تتم ترجمة العنوان وأسماء الباحثين والملخص باللغة العربية.

٣) يكون نوع الخط للبحث (Simplified Arabic) للغة العربية ، و(Times New Roman) للغة الانكليزية.ولا يقبل أي خط أخر.ويعتمد برنامج (word 2007) حصراً ولا يقبل غير ذلك.

٤) حجم الخط (١٤) للمتن و(١٦) للعناوين و(١٢)للهوامش،ويكون تباعد الأسطر(١,٥سم) وحواشي الصفحة الأربعة (٢,٥) من جميع الجهات.

٥) الترقيم يكون في أسفل الصفحة مع تجنب أي علامات أو إطارات أو خطوط.

٦) تكون هوامش ومصادر البحث كلها في نهايته.

٧) عدم استخدام الخطوط والرموز الجاهزة خصوصاً الآيات القرآنية وكلمة (صلى الله عليه واله وسلم) أو (عليه السلام) أو (رضي الله عنه) وغيرها.

٨) يسلم الباحث لترويج البحث مبلغاً قدره (٤٠,٠٠٠) أربعين إلف دينار مع أربع نسخ ورقية من البحث لكافة الأقسام باستثناء قسمي اللغة العربية والانكليزية ثلاث نسخ مع مبلغ قدره (٣٠,٠٠٠) ثلاثين إلف دينار.

✓ **ثانياً**: **عند رجوع البحث من المقومين وقبوله** (**للحصول على قبول النشر**):

١) عند اكتمال عملية تقويم البحث من قبل المقومين يعاد البحث إلى الباحث في حال كانت نتيجة التقويم (صالح للنشر) لغرض أجراء التعديلات المثبتة عليه،ولا يمنح قبول النشر ألا بعد إن يسلم الباحث نسخه نهائية ورقية معدلة إضافة إلى نسخة الكترونية بصيغة(word)على قرص(CD).مع ضرورة جلب النسخ الأصلية التي أجريت عليها التعديلات وأن يكون البحث بمجمله محفوظ في ملف واحد ويدفع **أجور النشر المترتبة بحسب التعليمات والتفاصيل أدناه**:

أ) بالنسبة **لمستلات بحوث طلبة الدراسات العليا** (الماجستير والدكتوراه) تحسب أول (٢٥) صفحة بـــ (٣٠٠٠) ثلاث ألاف دينار إما ما يزيد عن ذلك فتحسب الصفحة بـــ (٤٠٠٠) أربعه ألاف دينار.

ب) إما بالنسبة **لبحوث الترقيات وغير ذلك** فتحسب أول (٢٥) صفحة بـــ (٤٠٠٠) آلاف دينار وما يزيد عن ذلك من صفحات فتحسب بـــ (٥٠٠٠) خمسة ألاف دينار.

٢) تسقط مطالبة الباحث باسترجاع مبلغ التقويم أو مبلغ النشر أذا تم إرسال البحث للمقومين.

٣) تلفت المجلة انتباه السادة الباحثين إلى أنها **ملزمة** بنشر كافة البحوث التي تمنحها قبول نشر وتم تسديد مبالغ نشرها بالوصولات، ولا تستقبل البحوث التي يروم أصحابها الحصول على **قبول نشر فقط** دون استعدادهم لدفع مبالغ نشرها في المجلة.

تعتذر إدارة المجلة عن استلام أي بحث لا تنطبق عليه الضوابط أعلاه.

(العَربيّةُ ومُتَطلَّباتُ العَصْر)

المؤتمر الدَّوْلِيّ الإلكترونيّ الثاني لقسم اللّغة العربيّة بجامعة البصرة / كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة المنعقد بتاريخ ٢٣/ أيَّار- مايو / ٢٠٢١

جامعة البصرة

كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

برعاية السيّد رئيس جامعة البصرة (أ.د.سعد شاهين حمّادي)

وبإشراف عميد كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة(أ.د. حميد سراج جابر)

وتحت شعار (العربيّة إرثٌ وارتقاء)

يقيم قسم اللّغة العربيّة مؤتمره الدَّوْلِيّ الإلكترونيّ الثاني المعنون

بـ(العربيّة ومُتَطَلَّبات العَصر)

مَحَاوِر المؤتمر

- الدَّراسات اللّغويّة وقضايا العربيّة في مجال (تطوير اللّغة ، واتّساع اللّغة ، والتَّعريب ، واجتراح المصطلحات التي يقتضيها التقدّم العلميّ، وتنمية الألفاظ ، فضلاً عن مشكلة الفهم وتدنّي المستوى) .
- أثر اللّغة العربيّة في الفهم الصَّحيح للقرآن الكريم .
- الجهود الأدبيّة والنَّقديّة لدى القدماء والمُحْدَثِيْنَ ، وأثرها في مواجهة العربيّة ومشكلاتها،ودورها في انضاج المُدْرَك المعرفيّ للمجتمع.
- اللّغة العربيّة وواقع التَّواصل الإجتماعيّ.

أهداف المؤتمر

- بيان أهمية اللّغة العربيّة ، وتوضيح دورها في انفتاح الوعي والفهم ، والإدراك المعرفيّ والسّلوكيّ للمجتمع الأكاديميّ خاصة ، والمجتمع بفئاته الأخرى عموماً.
- الوقوف على أهم المشكلات ، التي تؤثّر سلباً على سلامة اللّغة العربيّة نظريّاً وعمليّاً.
- إيجاد الحلول والسُّبل الناجحة لمعالجة تلك الأمور بجهودٍ لغويّة وأدبيّة قائمة على أساس الأبعاد العلميّة والعمليّة.

لجان المؤتمر

اللجنة المشرفة	١. أ.د حميد سراج جابر ٢. أ.د أسعد عباس هندي ٣.أ.م.د نوفل كاظم مهوس
اللجنة العلميّة	١.أ.د. فاخر هاشم سعد الياسري ٢.أ.د. سالم يعقوب يوسف ٣. أ.د. نضال إبراهيم ياسين ٤. أ.د. حامد ناصر عبود ٥.أ.د. حسين عودة هاشم ٦. أ.د. جبّار عودة بدن ٧.أ.د. مرتضى عبّاس فالح ٨.أ.د. سليمة جبّار غانم ٩.أ.م.د. خالد عبد الكاظم عذاري ١٠.أ.م.د. عليّ عبد رمضان
اللجنة التحضيريّة	١. أ.م.د. خالد عبد الكاظم عذاري ٢.أ.د المتمرّس سوادي فرج مكلف ٣.أ.د. صدام فهد طاهر ٤.أ.د. عليّ مطشر نعيمة ٥.أ.م.د. نجوى محمّد جمعة ٦.أ.م.د. عليّ جاسب عبد الله ٧.أ.م.د. بشير سعيد سهر ٨.أ.م.د.ميثاق حسن عبد الواحد ٩.أ.م.د.سهير كاظم حسن ١٠.أم.د.عبد الرحمن عبدالله ١٠.أ. م.د.خلود شهاب أحمد ١١.م.د. مازن مالك خلف ١٢.م.د. هشام يونس جاسم ١٣.م. د. عبّاس فالح حسن ١٤.م. ميعاد زعيم هنون ١٥.م. عبد الله محمّد راشد
اللجنة الإعلاميّة	١.أ.م.د.وداد يعقوب سلمان ٢.أ.م.د.صباح عيديّ ٣.أ.م.د.أنوار عزيز جليل ٤.م.د.منتهى عناد تمل ٥.م.د. آمنة أحمد عبّاس ٦.م.د.جنان عايد محمّد ٧.م.د.سناء زكي عليّ ٨.م. أحمد قاسم حميد ٩.م.م. زينة صاحب محمود
اللجنة التنسيقيّة	١.أ.م.د. حسين مزهر حمادي ٢ .أم.د. هيثم كاظم صالح ٣.أ.م. د. فرحة عزيز محسن ٤.أ.م.د. لؤي طارق عليّ ٥.م.د.أثير حميد محمد ٦. م.د.سناء جميل حنون ٧.م.د.ايناس عبدالرحيم رمضان ٨.م.د. هند اكرم عبد الرحمن ٩.أ.م. نجاة علوان حسين ١٠.م. عبد الله محمد راشد

ثبت المحتويات

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحات
١-	جهود البلاغيين العرب في فهم القرآن الكريم (نحو نظرة حجاجية جمالية)	الأستاذ الدكتور رفعت الكنياري	١٢-٢٩
٢-	التخطيط اللغوي مدخل لتطوير واقع اللغة العربية	د. عبدالاله مرابطي	٣٠-٤٦
٣-	وجدان الليل وثقافة النهار قراءة في ديوان المعبد الغريق للشاعر بدر شاكر السياب	ا.م.د. وسن عبد الغني مال الله المختار	٤٧-٨٠
٤-	أثر معاجم الغريب اللغوي في تأصيل تفسير القرآن الكريم – دراسة تطبيقية	أ. م. د. طه حميد حريش الفهداوي	٨١-١٠٩
٥-	دراسة تحليلية لمظاهر التلقي في رواية "مسك الحرام"	د. منير الدين الرياضي صلاح الدين	١١٠-١٣٣
٦-	علم الدلالة و الرؤية الكونية للقرآن الكريم	د.خديجة مرات	١٣٤-١٤٣
٧-	المسائل والاشكالات صورها واشكالها عند ابن فلاح اليمني في شرحه لكافية ابن الحاجب	م. د لؤي طارق عليّ التميميّ	١٤٤-١٥٩
٨-	جُهْدُ الدّكتور إبْرَاهِيم السَّامرائيّ فِيْ طَرَائِق بِنَاء الفَعل الرّباعيّ فِيْ العاميّة البغداديّة	م.د. عبّاس فالح حسن المرهون	١٦٠-١٧٨
٩-	تطوّر النّظرية اللّسانية العربيّة الحديثة- قراءات منهجيّة في لسانيات الكمّ"	الأستاذ: محمّد نجيب مغني صنديد	١٧٩-١٩٨
١٠-	شعرية النثر وتقابل التأويل في الحور العين لنشوان الحميري (ت٥٧٣هـ)	أ.د رائد حميد البطاط م.م تغريد خليل حامي	١٩٩-٢٢٢
١١-	اتساع المعنى السياقي في اللغة القرآنية	أ.م. د. حسين علي حسين المهدي	٢٢٣-٢٣٩

١٢-	جهود المحدثين في نقد النحو العربي ـ الدكتور مهدي المخزومي نموذجًا–	د. مصطفى أحمد قنبر	٢٤٠–٢٥٥
١٣-	التنمية اللغوية العربية –دراسة تطبيقية على الالفاظ المجمعية والمحدثة في المعجم الوسيط–	أ. م. د. سنكر علي مامة	٢٥٦–٢٨١
١٤-	اللغة العربية وتحديات وسائل التواصل الاجتماعي	أ.م.د.سرى طه ياسين	٢٨٢–٢٩٢
١٥-	رَصْدُ حَرَكةِ التَّطوُّر الدلالِيّ للثُّنائية الضِّدِّيّة (الأنس والوحش)	د. إيناس محروس بوبس	٢٩٣–٣١٣
١٦-	مكانة اللغة العربية ودورها في فهم القرآن الكريم وتفسيره	طالبة الدكتوراه نرجس بخوش	٣١٤–٣٢٧
١٧-	النَّقد اللُّغوي في كتابِ الزَّاهر لابن الأنباري	م. د سناء زكيّ عليّ	٣٢٨–٣٤٩
١٨-	نحو النص مفهوما ومنطلقات.	الدكتور محمد بن سالم بن خلفان المسلمي	٣٥٠–٣٦٩
١٩-	تداخل الأجناس في المجموعة الشعرية (جنوب المراثي) لمسلم الطعان	م.م شروق سندان شرشاب	٣٧٠–٣٨٤
٢٠-	الصِّناعةُ المعجميَّةُ بينَ التَّنظِيرِ والوَاقِعِ والمَأمُولِ	د. لينا أكرم خضر	٣٨٥–٤٠١
٢١-	النظرية المعجمية الخليلية، مقاربة لسانية توليدية	طالبة الدكتوراه : الهام بغداد	٤٠٢–٤٢١
٢٢-	في التذوق الجمالي لمعلقة النابغة الذُّبيانيّ	أ. م. د. أمل حسن طاهر	٤٢٢–٤٣٦
٢٣-	من شواهد الشّعر في إيضاح فرائد الذّكر	الباحث الأول :أحمد أمين بوعلام الله الباحث الثاني: محمّد بوعلام الله	٤٣٧–٤٥٠
٢٤-	المَصَادِرُ اللّغَوِيَّةُ للشّيْخِ مُحَمَّد هَادي مَعْرِفَة فِي رَدّ شُبُهَاتِ هَاشِم العَرَبِيِّ حَوْلَ القُرْآنِ	د. مخلد جبار سلطان	٤٥١–٤٦٧

	الكَرِيْمِ		
٢٥-	اللغة العربية والفهم التعسفي للنص القرآني	أ.م. د. فلاح عبد الحسن هاشم	٤٦٨-٥٠٥
٢٦-	بنية الخبر في كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب(٧٧٦هـ)	أ.د . علي كاظم محمد علي المصلاوي الباحثة : فاطمة محسن هبر	٥٠٦-٥٣٠
٢٧-	الازدواجية اللغوية والخسائر الاقتصادية الأسباب، والعلاجات دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي	م.م عَذاب مطير عُذافه الخزعلي	٥٣١-٥٤٩

جهود البلاغيين العرب في فهم القرآن الكريم(نحو نظرة حجاجية جمالية)

الأستاذ الدكتور رفعت الكنياري EL GUANYARY REFAAT
عضو فرقة البلاغة وتحليل الخطاب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمدينة تطوان المغرب.

جهود البلاغيين العرب في فهم القرآن الكريم(نحو نظرة حجاجية جمالية)

خلاصة : يتناول هذا البحث شذرات من تأويلات بلاغية قديمة يزعم أنها تتناول الجانب البلاغي في القرآن الكريم من الجانبين الجمالي والحجاجي، محاولا كشف الجهد والعبقرية البلاغية العربية في المزج بين هذين الأفقين مزجا يضاهي آخر ما توصلت إليه الجهود الغربية الحديثة في مجال البلاغة الحجاجية. وقد توسل البحث بجهاز مفاهيمي حديث أسعفت كفايته التفسيرية في الكشف عن هذه الجهود العربية الكبيرة. متخذا من مدخلي التناظر والاختيار البلاغي وليجة للفهم والتحليل.

الكلمات المفاتيح: البلاغة، البلاغة القرآنية، البلاغة الجمالية، البلاغة الحجاجية، التناظر، الاختيار البلاغي، التمثيل، الاستعارة....

This research deals with fragments of ancient rhetorical interpretations that claim to deal with the rhetorical aspect of the Holy Qur'an from the aesthetic and pilgrimage sides, trying to reveal the effort and the Arab rhetorical genius in blending these two horizons into a mixture comparable to the latest findings of modern Western efforts in the field of argumentative rhetoric. The research sought a modern conceptual device whose explanatory sufficiency helped in revealing these great Arab efforts. It is taken from the entrances of symmetry and rhetorical choice as a platform for understanding and analysis.

Key words: rhetoric, Quranic rhetoric, aesthetic rhetoric, argumentative rhetoric, analogy, rhetorical choice, representation, metaphor....

ينطلق هذا البحث من مقولة مؤداها أن الحديث عن بلاغة القرآن الكريم لابد وأن تنظر إلى جانبيه الحجاجي والجمالي، وأن الخدمة التي قدمتها البلاغة العربية القديمة للقرآن الكريم كانت متجلية في الكشف عن الجمع بين هذين المكونين الأساس في البلاغة، وأن هذا الأمر مما لايزال ملتبسا على مجموعة من الباحثين

الذين مازالوا لا يقفون على بلاغة القرآن عند القدماء إلا في مواجهة وجهها الجمالي. وأننا نزعم أننا قد نكشف عن وجهها الحجاجي. وأن هذه من الخدمات الجليلة التي نقدمها للعربية ولبلاغة القرآن؛ أن نكشف روعة ما قام به القدماء خدمة لكتاب الله العزيز حتى إنهم ليضاهون في استنتاجاتهم ما حصله الغرب اليوم بعد جهد جهيد.

ولتحقيق هذه الأهداف الإجرائية فإننا نقترح مداخل بلاغية جديدة تقارب من خلالها البلاغة العربية القديمة المتناولة للقرآن الكريم، والتي ستمكننا من وصف المجهود البلاغي الكبير الذي بذله علماء البلاغة في الكشف عن الجانبين التداولي الحجاجي والجمالي في البلاغة القرآنية؛ هذه المداخل هي: التناظر والاختيار البلاغي[١]. وهي مداخل سنصنف تحتها مجموعة من الوجوه البلاغية المتحققة في القرآن الكريم مفسرة مشروحة من لدن علماء البلاغة العربية شرحا بلاغيا وافيا يكشف عن الهم التداولي الحجاجي عند أولئك القوم. مع اعتمادنا على أقوال متفرقة من كتب البلاغة القرآنية، وجهود متنوعة لبلاغيين عرب قدامى قاربوا الأساليب القرآنية مقاربات بلاغية حجاجية تمزج بين حدي الإقناع والإمتاع.

المدخل الأول التناظر[٢] بين حدي الإقناع والإمتاع

١. التمثيل تناظر حده القياس

تنبه العديد من البلاغيين العرب القدامى إلى هذه الآلية الحجاجية وعملوا على تبيان طرق اشتغال الوجوه البلاغية القائمة على أساس التناظر وذلك سعيا إلى تبيان آليات الاشتغال الحجاجي في الوجوه البلاغية وتبيانا لمدى القوة الإقناعية للملفوظات القرآنية. ومن هؤلاء الزركشي؛ فقد بين الطابع المركب في التمثيل[٣] من كونه تشبيها بين مركبات وليس تشبيها بين مفردات أو أشياء، لذلك عده تشبيها مركبا، حيث قال :"المركب أن ينزع من أمور مجموع بعضها إلى بعض، كقوله تعالى:{كمثل الحمار يحمل أسفارا } الجمعة الآية ٥، فالتشبيه مركب من أحوال الحمار، وذلك هو حمل الأسفار التي هي أوعية العلم، وخزائن ثمرة العقول، ثم لا يحسن ما فيها، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال، التي ليست من العلم في شيء، فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه ويتعبه[٤].

لاحظ الزركشي أن التشبيه انعقد في هذا التمثيل القرآني بين اليهود الذين يحملون التوراة ولا يستفيدون منها، وبين الحمار الذي يحمل الأسفار المفيدة، والكتب الجليلة على ظهره ولا يستفيد منها على أساس اتفاق المآل، فكلاهما لا يستفيد مما في يديه.

في تحليل الزركشي للتمثيل لم يقف عند الحد الأول (اليهود/ التوراة) لأن العلاقة فيه سوف تفسَّر بالحد الثاني (الحمار/ الأسفار)؛ فبين العلاقة بين الحمار والأسفار التي يحملها لعلمه أنها هي مناط تفسير العلاقة التي ستقاس عليها، وهي علاقة اليهود بالتوراة.

لقد كانت العلاقة بين اليهود والتوراة غير واضحة، فهم قوم آتاهم الله كتابا فلهم أن يدعوا أنهم أصحاب وحي وفهم عن الله. لكن القرآن يريد أن يبين أن ليس الشرف والمزية في كونهم من أهل الكتاب وأنهم ممن يمتلكون كتابا أنزل من السماء، بل الشرف والمزية منوطان بالامتثال لما في هذه الكتب السماوية، وهو مالم يحدث مع اليهود الذين حرفوا توراتهم. ولأجل ترسيخ هذه القاعدة التي ستجعل الإسلام مهيمنا على غيره من الديانات ناسخا لها، استعمل القرآن مثالا خطابيا بين الفساد الذي عليه أهل التوراة والذي يجعلهم غير أهل لأن يدعوا النِدِّية بأهل القرآن، فجعل علاقتهم بالتواراة هي شبيهة بعلاقة الحمار الكتب، وترك محل علاقتهم بالتوراة شاغرا ملأه البلاغي –الزركشي– الذي تنبه لهذه العلاقة فحلل هذا الجزء منها وركز عليه ليفضي به تتبع القياس التمثيلي في الآية إلى استنتاج أنه ما فهم اليهود من التوراة إلا بقدر ما فهم الحمار من الكتب التي يحملها على ظهره، وهذا لعمري من أشد أساليب التنكيل بالخصم وتسفيه رأيه وجعله محل هزء° فكيف يمكن أن يعتد بمن كان هذا حاله؟.

لقد حلل الزركشي التمثيل في الآية القرآنية تحليلا بلاغيا حجاجيا لبين كيف يرد القرآن الكريم دعوى المُغرضين من اليهود ويسفه أحلامهم وبين كذبهم وبهتانهم. فكان بذلك يجمع في مجهوده الطيب هذا بين الرد على اليهود ومن سار مسارهم، وتبيان قوة الحجة في القرآن الكريم وتفصيل موطن الجمال فيه.

٢ . التناظر وخلق الحضور الحسي

اعتبر الزركشي في بابين من البرهان هما:" إظهار الخفي، و إيضاح الظاهر الذي ليس بجلي" الاستعارة كحالة خاصة من التناظر تعمل على خلق الحضور الحسي للمعقولات في العقول. يقول في:" فمثال إظهار الخفي، قوله تعالى:{وإنه في أم الكتاب} الزخرف الآية ٤. فإن حقيقته أنه في أصل الكتاب، فاستعير لفظ الأم للأصل، لأن الأولاد تنشأ من الأم، كما تنشأ الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئيا، فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان، وذلك أبلغ في البيان[٦]".

اكتشف الزركشي أن بلاغة هذه الآية تقوم على نقل المعنى من طوره العقلي الخفي إلى طوره الحسي الجلي حتى يظهر خفيه، وعلى مشابهة بين معنى مبهم وهو علاقة "أم" ب "كتاب"، للدلالة على علاقة "الأصل/ الفرع"،ثم استمر الزركشي في كشف طريقة عمل التمثيل القائمة على التناظر بين حدين لخلق الحضور الحسي للفكرة وذلك عبر نقل المعنى من طوره العقلي المجرد إلى طوره الحسي؛ وكذلك عبر وضع حدين في أفق تناظري؛ الحد الأول المراد تفسيره (الأصل – الفرع) والحد الثاني المفسِّر(الأم/ الأبناء).

ولعلم المتلقي بعلاقة الأم/ الأبناء استنتج العلاقة الأولى الأصل/ الفرع وذلك عبر عملية تصورية تُصيِّر المجرد محسوسا وهو ما سماه " تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئيا، فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان"؛ هذا التشخيص/ التمثيل يعطي تأثيرا جماليا نابعا من لذة الاكتشاف المزاوِجة بين الوظيفتين الإقناعية الحجاجية والجمالية، حيث يصبح الجمال مدخلا هاما من مداخل الحجاج، ويتحول إلى إقناع لم ينجم عن حشد لحجج عقلية، بل عن طريق "جعل الشيء مشاهدا محسوسا"[٧]. وكأن الزركشي يدلل أن القرآن "يرسم بالكلمات"، وهذا الرسم القائم على استبدال المجرد الذي سماه "ما ليس بمرئي"، بالمحسوس والذي اصطلح عليه ب"حد العيان"، والذي يقوي صفة الحضور وهو ما يؤكد حضور الوجهين المتلازمين للبلاغة في تأويل الزركشي للصور القرآنية، حضورا يؤدي فيه كل منهما دوره المنوط به بملازمة الآخر، فالإمتاع يؤدي إلى الإقناع، والاقتناع يؤدي إلى طرب النفس، وهو ما ييسر السبيل إلى تشرب المفاهيم القرآنية والإيمان بها والإذعان لها.

٣. الاستعارة تناظر مكثف

نظرت البلاغة العربية القديمة للاستعارة باعتبارها نوعا من التناظر، ورأت أن نجاعة الاستعارة إنما هي قائمة على دفع المتلقي إلى الانخراط الفعلي في استنتاج "معنى المعنى"؛ فإن ظفر المتلقي بالمعنى من طريق هذا الاستنتاج كان أقرب أن يتشرب المعاني القرآنية في طريق استنهاضه للقيام للعمل والتغيير المنشود منه.

ومن لطيف ما عثرنا عليه في هذا الباب من تأويلات؛ ما ورد عند الزمخشري في الكشاف حيث تنبه إلى أن الاستعارة تناظر مكثف، فألفيناه يؤول الصورة البلاغية في قول الحق :{ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة} الآية ٧ مرة بأنها استعارة، ومرة بأنها تمثيل[٨]، يقول:" قلت: لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز... فأما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص إلى ضمائرها، من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده، وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه، كأنها مستوثق منها بالختم، وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين، كأنما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك. وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب الحجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية ... فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم[٩]".

اكتشف الزمخشري أن الاستعارة أبلغ من التمثيل في تتجاوز حد التناظر لتصل إلى حد "الجعل" يقول:" فأما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم". وهو ما تنبه إليه العلوي في الطراز حين عرف الاستعارة بأنها "تصييرك الشيء الشيء وليس به، وجعلك الشيء الشيء وليس له، بحيث لا يلحظ فيه التشبيه صورة ولا حكما[١٠]". فالاستعارة تتجاوز حدود التشبيه والتناظر القائم على إبقاء الحدود بين المتناظرين لتصل إلى أن تجعل الشيء للشيء وكأنه حقيقة له، وتترك المتلقي يبحث عن العلاقة الناظمة، حيث يجعل المتلقي يستنتج كيف يمكن أن

يكون القلب مغطى والبصر والسمع، عليهم غطاء، رغم أنه لا غطاء في الحقيقة لذلك قال "لا ختم ولا تغطية على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز[١١]". وهذا يدل على التداخل الذي تحدثه الاستعارة بين الحقيقة والخيال.

لكن كيف سيغطى ويكتم القلب، وكيف سيضرب عليه الخاتم كتما له وتغشية؟ ذلك لا يكون إلا باستنباط معنى من "الختم" انطلاقا من مبدأ "التعمية". فما يحدثه الكفر بالقلب شبيه بما يحدثه "ختم الأقفال" بالمختوم صندوقا كان أم غيره حيث يمنع الختم من الاستفادة مما في الصندوق إذا لم يحل الفقل. وللمتلقي بعدها أن يتصور قلبه وقد خُتِم بقفل عمَّاه عن الفهم.

٣. المثل القرآني: من دلالات التماثل إلى حجة السلطة

اعتبر البلاغيون العرب المثل القرآني "حجة" تقوي حضور الفكرة في الذهن، وتقوي درجة التصديق بقاعدة ما. يقول الزركشي :" وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس...[١٢]". فيبدو جليا من خلال كلام الزركشي أن وظائف المثل إنما هي وظائف حجاجية، تتغيا إقناع المتلقي لتغيير سلوكه. كما يؤكد كلام الزركشي أن المثل يقوم في هذه الحالة على آلية التماثل وهي الآلية التي تعمل على "ترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس[١٣]"، وقد أكد منظرو الحجاج في العصر الحديث أن "المثال يستخدم لتوضيح قاعدة معروفة ومسلم بها، أي ليعطيها نوعا من الحضور في وعي المستمع، لهذا السبب ينبغي للمثال أن يستهدف المخيلة[١٤]".

وفي هذا الصدد مثلا ، يحلل الزمخشري دور التماثل في قوله عز وجل :{مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا} العنكبوت الآية ٤١. يقول:" ...مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت اتخذت بيتا بالإضافة إلى رجل يبني بيتا بآجر وجص ...[١٥]". حيث يظهر جليا كيف يقيم الزمخشري معمار التناظر انطلاقا من تأويله للآية. فالعلاقة الجامعة بين طرفي المثل هي علاقة تناظر تقوم على تشبيه علاقة الحدين (العنكبوت _ البيت)/ (المشرك _ الوثن)؛ بعلاقة الحدين (البيت المبني

من الطين _المؤمن) / (المؤمن _ عبادة الله) ليستنتج خسارة عابد الوثن انطلاقا من قياسه على العنكبوت التي بنت البيت. ويظهر للقارئ أن القرآن لم يذكر الحد الثاني من التناظر والذي يشبه المؤمن بالذي يبني بيتا قويا وإنما استنبطه الزمخشري من وافترضه ليقيم معمار التناظر، ولبين للقارئ روعة هذه الآلية الحجاية التي تعمل على مزج أفق الخيالي بالعقلي بصورة لا تتسنى إلا للمتكلم العزيز سبحانه.

ويبدو أن لهذا المثل من القوة ما جعله يصير مثلا سائرا تضرب به العرب أمثالها في تهافت وارعواء من يستند إلى بناء غير صلب، وقد أكد أبو هلال العسكري أن هذا المثل قد صار من المثل السائر عند العرب، فصاروا يقولون :"أوهى من بيت عنكبوت[١٦]". وهذه الظاهرة تتوافق مع ما يقوله أحد منظري الحجاج المعاصرين حيث يرى "أن المثل يكون في بدايته التاريخية تماثلا، مايفتأ "يبرد" مع مرور الزمن ليصبح معتدا شعبيا يتيح بناء حجاج من طبيعة أخرى[١٧]".

ضرب الله الأمثال في القرآن وذلك بصيغة التناظر، لكنها سرعان ما تحولت إلى حكم وأمثال سائرة فصاروا يقولون "أوهى من بيت عنكبوت[١٨]"، و"أخسر من حمالة الحطب[١٩]". وفي مثل هذه الأمثال قال ابن النقيب :"ومن هذا النوع المثل السائر؛ ومعنى السائر أنه كثر استعماله...ومن الأمثال السائرة في الكتاب العزيز قوله تعالى :{ ليس لها من دون الله كاشفة}؛ وقوله تعالى {وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب}...[٢٠]".

إن العرب بترجيعها أمثال القرآن تكون قد قبلت بالقرآن وجعلته مضرب الأمثال في كلامها وطرائق تفكيرها وسلوكها اليومي[٢١]". هذا إن دل على شئ فإنما يدل على وجاهة ما ذهب إليه البلاغي العربي من كون المثل ينغرس أكثر في الذاكرة، وأن صياغة القرآن لهذه التناظرات تعتبر إجراء حجاجيا متقدما وآية ذلك أنها حفظت في الذاكرة الجمعية للعرب بل وللإنسانية جمعاء، ذلك أن للتماثل من القوة ما يجعله عابرا للثقافات.

عنَّ لنا من خلال هذه المداخل البلاغية المنضوية تحت لواء التناظر والتي تناولنا فيها مجموعة من التأويلات البلاغية أن البلاغة العربية قد قدمت خدمة جليلة للقرآن الكريم بأن أماطت اللثام عن جملة من درره الحجاجية والجمالية في آن. وأن هذا المنزع الحجاجي في النظر للوجوه البلاغية في القرآن الكريم لقمين بأن يعاد الالتفات إليه في زمن يعرف عودة المكون الحجاجي إلى حضيرة البلاغة العالمية؛ نكتشف ونحن نحفر عند أصول البلاغة العربية القديمة أن تراثنا يزخر بما به نقارع الأمم.

المدخل الثاني الاختيار البلاغي : نحو توجيه مخلَّق

إن من الآليات الحجاجية المتحكمة في عمل كل مجموعة من الوجوه البلاغية التي رصدها البلاغي العربي القديم في القرآن وحلل اشتغالها الوظيفي، واستنتج نجاعتها التداولية في سياق حجاجي تداولي في القرآن الكريم، آلية الاختيار وهي آلية تعمل على استحضار الموضوع في الوعي وتقديمه بشكل حسي قادر على إثارة الشعور والخيال.[٢٢]

١ . الكناية : فعالية الاختيار الموجه

يلخص مفهوم الاختيار البلاغي عمليات توجيهية يقوم بها المتكلم لغرض لفت الانتباه إلى مناطق يريد المتكلم أن يسلط عليها الضوء والتي تظل مختبئة في المستوى العميق لوعينا[٢٣]، إنه تعيين موجه[٢٤]، يسمح بتنظيم المعطيات المسبقة التي ينطلق منها كل فعل حجاجي[٢٥]، ويتجلى هذا المفهوم التداولي في مجموعة من الوجوه البلاغية. تظهر هذه الآلية في القول الذي نقله الزركشي عن الجرجاني في تعريفه للكناية حيث قال: "وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه، فيدل على المرادف من طريق أولى"[٢٦].

اعتبر الجرجاني الكناية وجها بلاغيا يعبر عن غرض المتكلم الذي يروم من خلاله لفت الانتباه إلى خصائص معينة في الكلمة المكنى عنها[٢٧]، وهو ما عناه بقوله "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني"،

ولحصول ذلك اختار المتكلم التعبير المعنى التالي أو الرديف وجعله دليلا على المعنى المراد، يقول الجرجاني مفسرا سبب نجاعة الكناية : "وكما أن الصفة إذا لم تأتك مصرحا بذكرها، مكشوفا عن وجهها، ولكن مدلولا عليها بغيرها كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها، كذلك إثباتك الصفة للشيء تتبثها له، إذا لم تلقه إلى السامع صريحا، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة، كأن له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق، ما لا يقل قليله، ولا يجهل موضع الفضيلة فيه"[٢٨].

يجعل الجرجاني نجاعة الكناية في طريقة إثباتها المعنى بشكل خفي، حيث يجعل الاختيار في الكناية "لم تلقه إلى السامع صريحا" مناط النجاعة، وذلك لما يخلقه في المتكلم من رغبة في الدخول في حوار مع النص، لما يعرف على الإنسان من حبه لفك مغاليق الغموض. فترك المتكلم "التصريح" بلفظ المكنى عنه والعدول إلى "التلويح هو تسليط للضوء على مظاهر يريد أن يثبتها المتكلم وهو ما يظهر من قوله "إثباتك الصفة تثبتها له، وذلك بواسطة عملية استدلالية تتيح للمتلقي الانتقال من اللفظ إلى المعنى عبر وسائط وروابط تكون معتادة لديه، العربي مثلا يعرف أن كثير الرماد تعني كريم عبر الوسائط: كثرة إضرام النار/ كثرة الطبخ/ كثرة الأضياف/ الكرم.

لكن العملية الاستدلالية في الكناية ليست هي وحدها مناط النجاعة فيها، إذ يتبادر إلى الذهن السؤال: لماذا اختار المتكلم وهو الحق عز وجل لفظ "يأكلان الطعام" في الآية ٧٥ من سورة المائدة ليكني عن البول والغائط.

يأكلان الطعام تؤدي إلى البول والغائط ← إنسان ← لا يعبدان

هل البنية الاستدلالية هي مناط النجاعة في الدلالة على أن عيسى وأمه لا يصلحان أن يعبدا، ولماذا لم يذكر في القرآن الكريم اللفظ الدال على المعنى الثاني وهو أنهما يتبولان ويتغوطان، وهو أشنع في الدلالة على عدم جواز عبادتهما كما أشار الجاحظ في قوله:" ويكفي في الدلالة على عدم الإلهية نفس أكل الطعام، لأن

الإله هو الذي لا يحتاج إلى شيء يأكله، ولأنه كما لا يجوز أن يكون المعبود محدثا كذلك لا يجوز أن يكون طاعما. قال الخفاجي : وهذا صحيح"[٢٩].

لقد أسقط الجاحظ وأيده الخفاجي في مذهبه، الطرف – الغائط والبول – فجعل اختيار "يأكلان الطعام"، كافيا لكي يتوجه فهم السامع إلى منطقة "عدم الأهلية للعبادة". فرجح الجاحظ مفهوم الاختيار وجعله، لكونه اختيارا موجها، يجذب الانتباه لصفة محددة في الإنسان، لا يجوز وصف الإله بها.. القضية في الاختيار؛ فاختيار اللفظ يعني اختيار الحمولة التي ينطوي عليها، هذا الاختيار يؤدي أدوارا حجاجية. الكناية تلعب فيها بنيتها الاستدلالية واختيار اللفظ دور الحجاج

وقد خلق القرآن الكريم مجموعة من الرموز التداولية التي استعملت على مجال واسع فيما بعد، فرفع الحرج في مواضع كثيرة عن الأمة أن تستعمل كلمات مستشنعة في التداول لحمولتها الفاحشة التي ينبو الطبع السليم عن استعمالها؛ فمثلا كنى القرآن عن العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة بالمباشرة والملامسة واللباس. قال الزركشي: "ومن عادة القرآن العظيم الكناية عن الجماع باللمس والرفث، والدخول، والنكاح، ونحوهن. قال تعالى : (فالآن باشروهن) البقرة ١٨٧، فكنى بالمباشرة عن الجماع لما فيه من التقاء البشرتين، وقوله تعالى : (أو لامستم النساء) النساء ٤٣، إذ لا يخلو الجماع من الملامسة، وقوله في الكناية عنهن : (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) البقرة ١٨٧، واللباس من الملابسة، وهي الاختلاط والجماع[٣٠]، فكل الحالات التي ذكرها الزركشي، تزْوَرُّ عن استعمال اللفظ غير المحبب وتستعمل لفظا آخر ألطف؛ لما فيه من حمولة تربوية أو سلوكية يريد الحق أن يلفت الانتباه إليها. وقد ميز الزمخشري في هذا الباب بين استعمال عبارة "رفث" الدالة على معنى القبح[٣١]، كناية عن الجماع؛ واستعمال عبارات لطيفة كقوله عز وجل : (وقد أفضى بعضكم إلى بعض) النساء ٢١، (فلما تغشاها) الأعراف الآية ١٨٩ ... قال في تعليل اختيار ملفوظ (رفث):" قلت :استهجانا لما وَجد منهم قبل الإباحة، كما سماها اختيانا لأنفسهم[٣٢]". فالمعنى واحد في نفسه، وهو "الجماع" ولكنه مختلف من حيث الحمولة الأخلاقية التي منحتها له الآيات باستعمال الكناية.

فما كان من جماع غير مرغوب فيه شرعا كنى عنه بالرفت والاختيان للنفس، تسليطا للضوء على شناعته إذا كان في غير محله الشرعي؛ أو أراد منه أن يؤدي معنى ينطوي على التوبيخ، كما هو الحال عليه في استعمال الرفث في حالة الحلال في الآية التي تناولها الزمخشري؛ حتى يشير إلى أنهم اقترفوه حراما من قبل، ثم عفا الله عنهم وحلل لهم إتيان الزوجات في ليل رمضان.

وما كان منه مُرغبا فيه لأنه مسلك حلال صرف، استعملت فيه ملفوظات لطيفة ذات حمولة محببة، قال الزمخشري : "بخلاف قوله : (وقد أفضى بعضكم إلى بعض) النساء ٢١؛ (فلما تغشاها) الأعراف ١٨٩؛ (باشروهن) البقرة ١٨٧.

و قد جعل القرآنُ، بهذا الإجراء البلاغي، الألفاظَ رموزا تداولية تدل في معناها العميق على دلالات أخلاقية؛ حيث يكتسب اللفظ بفعل هذا الترميز حمولة زائدة ترتبط به وتُتداول؛ فلا نجد في مجال التداول العربي من يقول : "لقد رفثت بامرأتي"؛ وإنما يكنى بما كنى به القرآن من المباشرة والإتيان وغيرهما من الكنايات المعهود استعمالها في مثل هذا المقام الدال على الحلال. وهذا لعمري مما يدخل العملية التخاطبية في سياق التأدب والتخلق والتلطف المرتبط برفعة النفوس والرقي الحضاري العالي، وهو الهدف الذي جاء القرآن الكريم ليقره حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

هكذا استنتج البلاغي من استعمالات الكناية البلاغية أدوارا حجاجية وتداولية كان هدفها وظيفيا يروم توجيه نظر المتلقي إلى معان هو زارعها في مجال التداول الإسلامي.

٢. المجاز المرسل : نمذجة مبررات الاختيار

المجاز مصطلح كثير التشبعات في البلاغة العربية يعم أحيانا ليشمل كل تجليات مسار اللفظ القرآني، كما هو الحال عليه مع "مجاز القرآن" لأبي عبيدة[٣٣]. فالمجاز عند أبي عبيدة وإن كانت تسميته لغوية تعني التفسير، فهو عنده المعبر إلى فهم القرآن. لقد عالج أبو عبيدة في مجاز القرآن كيفية التوصل إلى فهم المعاني القرآنية باحتذاء أساليب العرب في كلامهم وسننهم في وسائل الإبانة عن المعاني[٣٤]. فيكون كتابه بذلك كتابا في

بلاغة القرآن بالمفهوم الواسع للبلاغة. لقد ترصد أبو عبيدة اختيارات القرآن الكريم الدلالية والتركيبية من حذف، وزيادة، وتقدير، وتكرار وتوكيد ...[٣٥]، فكان بذلك جامعا لأضرب التعبير اللغوي القرآني الذي يجتاز به السبيل للوصول إلى المعنى.

جاء بعده الجاحظ ليعبر عن جمهرة الفنون البلاغية كالاستعارة والتشبيه والتمثيل بل المجاز نفسه، يعبر عنها جميعا بالمجاز[٣٦]، حيث يضع الجاحظ يده على أسلوب المجاز ويحدد مصطلحه بكل ما خالف الحقيقة[٣٧]، يظهر ذلك في تأويله للآية القرآنية : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) النساء١٠، حيث قال : وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ولبسوا الحلل وركبوا الدواب ولم ينفقوا منها درهما واحدا في سبيل الأكل[٣٨]، وفي هذا الباب الذي سماه باب في المجاز والتشبيه بالأكل، عرض الجاحظ أضرب الدلالة المجازية للأكل، والتي تختلف عنده عن الدلالة الحقيقية قال في نهاية الباب "فهذا كله مختلف، وهو كله مجاز"[٣٩].

وهكذا أسس الجاحظ نقطة انطلاق تميز في كلام المتكلم بين اختيارين، حقيقة ومجاز، وحظي الاختيار الثاني، باهتمام البلاغيين ونظار القرآن لكونه أحسن من الحقائق معرضا وأنفع للعلة[٤٠]، فوقفوا على سبب اختيار التنزيل هذا الضرب من التعبير في الخطاب وفسروه تفسيرا وظيفيا مستحضرين مقام القول واعتبارات المخاطبين يقول الشريف الرضي : "إذ كان الحكيم سبحانه، لم يورد ألفاظ المجازات لضيق العبارات عليه، ولكن لأنها أجلى في أسماع السامعين، وأشبه بلغة المخاطبين"[٤١]، فلله دره من فهم في كتاب الله العزيز !! لقد جمع الشريف الرضي في كلامه مجامع بلاغة المجاز، والتي لخصها في نقطتين اثنتين :

- أنها أجلى في الأسماع، فتكون بذلك أدعى إلى الإذعان.
- أنها أشبه بلغة المخاطبين، وفي ذلك مراعاة للمقام، والسامعين ولغتهم وغيرها مما يحقق للوجه البلاغي نجاعته الحجاجية.

لقد فسر الشريف الرضي اختيار "المجاز"، تفسيرا تداوليا حجاجيا. ثم جاء بعده العز بن عبد السلام، فحد مجازه بكون الغرض من استعماله أنه "أسرع إلى فهم الفاهمين، ضبط الضابطين، وتناول المتناولين..."[٤٢]، فلم يخرج عما أقره سلفه في باب الحكم بتداولية المجاز في القرآن الكريم ... ثم إن المتتبع للفظ المجاز ودلالاته عند القدامى سيعثر على تشابه بين في تعريفاتهم له ليس هذا مقام البسط فيها جميعها[٤٣]، وعلى أي فلم يقسم البلاغيون الأوائل المجاز إلى أنواعه المعروفة، حتى جاء الجرجاني عبد القاهر فقسمه إلى مجاز لغوي ومجاز عقلي[٤٤]، وعلى هذا التقسيم صار الزركشي، والسيوطي، وابن القيم[٤٥].

إذا كنا قد وقفنا على استحضار البلاغي التعابير التي لم تستعمل واستخدمها منطلقا أوليا للوقوف على دلالة الوجه البلاغي. فإن الخطوة الثانية تكون دائما البحث عن وجه الصلة بين التعبيرين، لتحديد المعنى الذي سيوجه إليه الملفوظ. فمثلا في قوله عز وجل (فأمه هاوية) القارعة الآية ٩، قال الزركشي:"فاسم الأم الهاوية مجاز، أي كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له، كذلك أيضا النار للكافرين مأوى ومرجع"[٤٦]، لقد علل الزركشي اختيار كلمة الأم لأن سمة القرب الشديد والقبوع الطويل في الحضن أي حضن الأم سيوحي جيدا بهول المآل، فأن تعلم أن النار ستكون هي أمك التي ستحتضنك دائما في حياتك الآخرة هي جهنم فهذا مدعاة لأن تعود عن غيك الذي سيسبب لك هذه الوضعية الحظيرة والمخيفة، ولعل ذلك يكون أدعى إلى الانرداع عن الغي والضلال.

ومن ذلك أيضا تأويلات الزمخشري للمجازات المرسلة، قال في تأويل قول الحق:(ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) الآية ٣٤ سورة مريم. وإنما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق، لأنه لم يولد إلا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمى العشب بالسماء"[٤٧]، فعلل اختيار ملفوظ: "كلمة الله" بأن هذا الملفوظ يدل مباشرة على القدرة ويكشف المعجزة الربانية الخارقة في خلق عيسى عليه السلام من دون أب، فيكون المجاز مركزا على أقوى وجه في الدلالة. وكذلك الأمر في تأويله للمجاز في قوله عز وجل : (لهم قدم صدق عند ربهم) يونس الآية ٢، قال : "(قدم صدق عند ربهم) أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة، فإن قلت لم سميت السابقة قدما؟ قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة

الجملية والسابقة قدما"[٤٨]، فذكر الاختيار غير المستعمل وهي "السابقة"، وذكر الملفوظ المستعمل "القدم" ثم علل الاختيار بكون السعي لا يكون إلا بالقدم والسبق سعي معنوي كأنه يريد أن يقول بأن الله لما أراد أن يبين أن السابقة عنده مرتبطة بالعمل، والعمل كد واجتهاد وتقدم في مراتب الدين والأخلاق، استعمل "القدم" للدلالة على هذه العملية لما للقدم من ارتباط بالتقدم وتغيير المنازل، فكانت القدم أدل على وجوب السير إلى الله من غيرها من الألفاظ.

خاتمة

أدى اشتغالنا بالبلاغة القرآنية انطلاقا من منظور حجاجي إلى استنتاج المجهود الحميد الذي بذلته البلاغة القرآنية في الكشف عن سبل الإقناع والإمتاع في القرآن الكريم من خلال الاشتغال بوظيفية الوجوه البلاغية التي تمزج بين أفقي المتعة والإقناع. وذلك من خلال مقولات بلاغية واصفة مهدت لنا السبيل لمعرفة المجهود الكبير الذي بذلته البلاغة العربية في الكشف عن كنوز القرآن، كما أماطت اللثام عن عبقرية فذة تميز بها أسلافنا لاشك أنها ستدعونا إلى مزيد من الحفر والتنقيب في تراثنا الزاخر، ولعل هذا البحث أن يكون دعوة إلى إعادة النظر في البلاغة العربية ولإعادة الاشتغال بالجانب الحجاجي.

---

١ والحال أن هناك مقولات كثر نستطيع ان نبسط تحتها مفاهيم البلاغة العربية لا يسع هذا الحيز لذكرها، وإنما قصدنا التمثيل لضيق الحيز.

٢ تقوم الوجوه البلاغية القائمة على آلية التناظر Analogie على إقامة تماثل بين منطقتين متباعدتين من الواقع يسمح بنقل خصائص إحداهما المعروفة إلى الأخرى بروتون فيليب الحجاج في التواصل ت محمد مشبال و عبد الواحد العلمي، ص ١١٩.. "ولأجل أن تعمل هذه الحجة، ينبغي أن يكون الطرف الخارجي المقترح لتكوين التناظر مقبولا مسبقا من المتلقي، وأن يكون حوله اتفاق مسبق نفسه" . وتستمد هذه الوجوه البلاغية نجاعتها من ظاهرة دفعها المتلقي إلى الإسهام في إنتاج قسم من كلام الصورة هو القسم الضمني انطلاقا من القسم المصرح به فيها ، هذه العملية التي يقوم بها المتلقي تمثل استدراجا له وتوريطا في حوار ذهني مع النص، فيضطر إلى الانخراط في صناعة المعنى. ذلك أن نصف المعنى المحذوف من متن النص يقتضي منه أن يُفعِّل طاقته التأويلية ليصل إليه. هذه الفاعلية البلاغية تجمع بشكل فريد بين البعدين الحجاجي والجمالي؛ فحين يكتشف المتلقي التناظر القائم في الآية يستلذ به لما تنتجه هذه العملية الاستكشافية من لذة الاكتشاف التي يحبها الإنسان بفطرته. وهو ما يسهل العملية الحجاجية ويمرر الحجة للمتلقي تمهيدا لتشربه إياها وعملا على تخلقه بها.

٣ وهو ما اصطلح عليه المتأخرون التشبيه التمثيلي.

٤ الزركشي ،البرهان ج٣، ٤٢٢.

٥ نذكر هنا بما قاله بيرلمان عن كون الهزء من سلاح الحجاج أنظر عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ضمن أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى الآن، ص ٣٣٨.

٦ البرهان، ج٣، ص٤٦٦

٧ الحجاج في القرآن ص ٤٩٣.

٨ سبق وأن دللنا أن التمثيل عندهم هو تناظر

٩ الزمخشري، الكشاف ج ١ ص ٤١.٤١

١٠ العلوي، الطراز ج١ ص ١٠٧.

١١ الزمخشري، نفسه.

١٢ الزركشي، البرهان، ج١، ص ٤٨٠.

١٣ نفسه

١٤ بنو هاشم الحسين، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص ٨٦.

١٥ الزمخشري، الكشاف، ج ٢٠ ص ٨١٩.

١٦العسكري أبو هلال، جمهرة الأمثال، ت محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد الحميد قطامش، دار الجيل ط ٢، ج٢، ص٢٧٥.

١٧ بروتون فيليب، الحجاج في التواصل، ت محمد مشبال وعبد الواحد العلمي، ص ٩٠ – ٩١.

١٨ . نفسه.

١٩ نفسه، ح١، ص ٣٤٠.

٢٠ ابن النقيب {ت٦٩٨} ، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، تحقيق زكريا سعيد علي، والمطبوع خطأ بعنوان الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، والمنسوب لابن القيم الجوزية ص ١٣٥.

أثبت الدكتور زكريا سعيد علي في مقدمة تحقيقه للكتاب المذكور عدم حة نسبته لبن القيم باسم الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، وذلك بعد بحث مدقق خلص فيه إلى القول:" ومن كل ما سبق أجدني مطمئنًّا إلى أن ما نُشِر تحت عنوان "الفوائد المُشَوِّق"، أو "كنوز العرفان" منسوبًا إلى الإمام ابن قيم الجوزية – هو في حقيقتِه مقدمة الشيخ ابن النقيب في علوم البلاغة، التي جعلها أمام تفسيره الكبير للقرآن الكريم، والحمد لله أولاً وآخرًا." ص ٣١ من المصدر المذكور{مقدمة المحقق: ص ص ٥ . ٣١ .

٢١ صولة عبد الله، الحجاج في القرآن، ص ٥٩٩_٦٠٠.

٢٢ مشبال محمد، مرجع سابق، ص ١٢٨.

23Perlman, Traité de l’argumentation, p 233.

24Christian plantin, « Un lieu pour les figures dans la théorie de l’argumentation », Argumentation et Analyse de discours (Enligne), URL : //aad.revues.org/215.

25Perlman&tyteca, Traité de l’argumentation, P 154.

٢٦ الزركشي، البرهان، ج٢، ص ٣٠١.

27 Perlman &tyteca, Traité de l’argumentation, p 235.

٢٨ الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٠٦.

٢٩– البرهان، الزركشي، ج٢، ص٣٠٤ . ٣٠٥.

٣٠ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص ٣٠٣.

٣١ الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ١١٤.

٣٢ المصدر، نفسه

٣٣ أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سيزكين، مكتبة الخانجي القاهرة.

٣٤ مطلوب أحمد ، فنون بلاغية، دار البحوث العلمية، ص ٩٢.

٣٥ أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سيزكين، مكتبة الخانجي القاهرة

٣٦ الصغير محمد حسين على ، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغتة العربية ص ١٠٣.

٣٧ مطلوب أحمد، معجم المصطلحات البلاغية الدار العربية للموسوعات ج٣، ص ١٩٥.

٣٨ الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ج ٥، ص ٢٥.

٣٩ نفسه، ص ٢٨

٤٠ الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، علي محمود مقلد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، ص ٢٥

٤١ نفسه.

٤٢ بن عبد السلام، عز الدين، مجاز القرآن، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي، مؤسسة الفرقان الإسلامي، لندن، ١٩٩٩، ص ٥

٤٣ نحيل هنا إلى كتاب مطلوب أحمد، معجم المصطلحات البلاغية، ج٣، ص ١٩٥، وما بعدها ففيها شفاء السائل في هذا الباب.

٤٤ نفسه ص ١٩٨

٤٥ القزويني، الإ يضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل بيروت، ص ٢٠٦

٤٦ البرهان، ج ٢، ص ٢٥٩.

٤٧ الزمخشري، الكشاف، ج ١٦، ص ٦٣٦.

٤٨ نفسه ج ٢ ص ١٠٤

لائحة المصادر والمراجع

ابن عبد السلام عز الدين، مجاز القرآن، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي،ط١ مؤسسة الفرقان الإسلامي، لندن، ١٩٩٩.

ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت.

ابن النقيب أبو عبد الله جمال الدين محمد البلخي مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، والمطبوع خطأ بعنوان :الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، والمنسوب لابن القيم الجوزية، تحقيق زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي القاهرة.

أبو زيد أحمد الاستعارة عند المتكلمين، مجلة المناظرة ع ٤، ١٩٩١.

أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، علق عليه محمد فؤاد سيزكين، مكتبة الخانجي القاهرة.

الأمين محمد ولد سالم، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ط١، ٢٠٠٤.

أوريكيوني وكاترين كيبرات، المضمر، ترجمة ريتا خاطر، مراجعة جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة ط١، بيروت لبنان، ٢٠٠٨.

بارت رولان قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، نشر إفريقيا الشرق، المغرب ١٩٩٤.

الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، ط٣.

بروتون فيليب:

تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، ٢٠١١.

الحجاج في التواصل ت محمد مشبال و عبد الواحد العلمي، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣.

بنو هاشم الحسين:

بلاغة الحجاج الأصول اليونانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٤.

نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠١٤.

بيرلمان شايم، التمثيل والاستعارة في العلم والشعر والفلسفة، ترجمة حمو النقاري، مجلة المناظرة، العدد١، السنة الأولى، ١٩٨٩.

البهلول عبد الله، الحجاج الجدلي خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية، في نماذج من التراث اليوناني والعربي، ط١، ٢٠١٣.

الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر

البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة

رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة١٩٦٤.

الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

الجرجاني عبد القاهر

دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة. ١٩٩٢.

دلائل الإعجاز، ت عبد الحميد هنداوي، ط١. ، دار الكتب العلمية بيروت٢٠٠١

دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، ط١، ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨

أسرار البلاغة تحقيق محمود شاكر دار المدني جدة .

الرضي الشريف تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق علي محمود مقلد، مكتبة دار الحياة، بيروت لبنان.

الريفي هشام، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أسطو إلى اليوم، إشرف حمادي صمود، كلية الآداب منوبة تونس.

ريبول أوليفي هل يوجد حجاج غير لغوي ت محمد العمري ضمن كتاب البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول

الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله

البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل الدمياطي، دار إحياء الكتب العربية، ٢٠٠٦.

البحر المحيط ، تحقيق عبد القادر عبد الله العاني، وزارة الأوقاف الكويتية.

الزمخشري جار الله محمود بن عمر الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به خليل مأمون شيحا، ط٣، ٢٠٠٩، دار المعرفة بيروت لبنان.

المراجع باللغة الأجنبية

amossy ruth,

l'argumentation dans le discours

« Rhétorique argumentation : opproches croisees », argumentation et analyse de Discours (Enligne), 2/2009 mis en ligne le 01 Avril 2009, URL : //aad.revues.org/56 Amossy Ruth et Roselyne Koren .

« Argumentation et Analyse du discours, perspectives téorique et découpages disciplinaires », Angumentation et Analyse du discours (En ligne), 1 /2008, mis en ligne le 06 septembre 2008, URL : http://aad.revies.org/200.

lokoff robin

PapersFrom the ninthregional meeting, chicagohinguistic society, apri.

Plantin Christian

« Un lieu pour les figures dans la théorie de l'argumentation », argumentation et analyse du discours (Enligne2) 2009, mis en ligne le 01 Avril 2009, url : http://aad.vrevies.org/215.

Les bonnes raisons des émotion, Principes et méthode pour l'etude dudiscours émotionné, Peter lang SA,Berne 2011.

l'argumentation, édition du Seuil, 1996.

Perelman Chaim & lucie olbrecht tyteca,

traité de l'argumentation edition de l'Universite de bruxelle, 5 edition.

reboule Olivier,

Introduction a la rhétorique, PUF, 1991.

Roubrieux jean-jacques

La Rhétorique et argumentation, Armand Colin, 2010 .

التخطيط اللغوي مدخل لتطوير واقع اللغة العربية"

د. عبدالالاه مرابطي، أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس

ملخص

إن صياغة التشريعات القانونية هي الكفيلة بترجمة الإرادة السياسية في صيانة الموروث اللغوي بوصفه أحد مكونات الهوية الثقافية وجعله ينخرط بفعالية في مختلف مجالات الحياة اليومية. كما يُبرِز التخطيط اللغوي الهادف إسهام اللغة الفعلي في كافة المجالات الحيوية للحياة الإنسانية وانخراطها الحقيقي في الواقع، ذلك أن تطوير وضع اللغة العربية رهين باستعمالها الوظيفي في كافة القطاعات الحيوية. وهذا ما عبر عنه إينار هوجن (١٩٨٣)، إذ يدعو إلى: "تدعيم وضع اللغة بتطوير استعمالاتها الوظيفية"[١]؛ لأن اللغة إنما تكتسب قيمتها، تبعا لريسانتو (٢٠٠٦) Ricento "من خلال نفعيتها الاجتماعية وقدرتها على ولوج السوق"[٢]. لا شك أن هذا الوضع الاعتباري الذي ستكتسبه اللغة بفضل التخطيط اللغوي هو ما يشجع الجميع على الإقبال عن تعلمها وتجاوز كافة العوائق التي تحول دون تطويرها.

إنَّ ما يلاحظ من ضعف في تعلم اللغات بصورة عامة، واللغة العربية بشكل خاص في المجتمعات العربية يمكن أن يُفسَّر، بغياب سياسة لغوية متوازنة تعترف بالدور الأساس للغات الرسمية في المدرسة وفي مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، مع الانفتاح على اللغات الأجنبية. فأمام زحف اللغات الأجنبية، وتراجع الدور الوظيفي للغة العربية في الواقع العربي في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية منها أو الاجتماعية أو السياسية أو العلمية أو التعليمية لصالح اللغات الأجنبية، فقد غدا من الضروري التصدي لهذا الوضع اللغوي ومواجهته، من

خلال الحرص على تبني سياسة لغوية تسمح بتنظيم استعمال اللغات في الواقع. ويظل التشريع القانوني المدخل الرئيس للتحكم في الأوضاع اللغوية والحفاظ على اللغة العربية.

ولا تبرز أهمية التشريعات القانونية إلا من خلال حرص السلطات التنفيذية على تفعيلها على أرض الواقع. فعلى الرغم من إقرار رسمية اللغة العربية بالمغرب على سبيل المثال، فإنه يحتاج إلى الانتقال من النصوص التشريعية إلى المقاربات الميدانية الواقعية التي تنقل القوانين من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، أي من السياسة اللغوية الرمزية إلى التخطيط اللغوي الفعال الذي يتجاوز حدود الشعارات الرنانة إلى الانخراط الحقيقي في رسم معالم السياسة اللغوية في الواقع العملي. وهنا تبرز الإرادة السياسية الحقيقية للأمة الكفيلة بتطوير واقع اللغة العربية.

ولا ريب أن نجاح السياسة اللغوية بالعالم العربي رهين ببلورة رؤية شاملة للوضعية اللغوية في البلاد مؤسسة على معرفة علمية دقيقة بالمتعلمين للتمكن من الاستجابة لحاجياتهم والانسجام مع واقعهم الاجتماعي. لذلك ينبغي أن تكون القرارات اللغوية مبنية على نتائج الدراسات اللسانية والسيكولسانية للتمكن من الفهم العميق للظاهرة اللغوية في مختلف مستوياتها. ويتعين على واضعي السياسات اللغوية أن لا يركنوا في قراراتهم إلى معطيات غير دقيقة أو إلى إملاءات خارجية أو لمجموعات ذات منفعة ثقافية أو سياسية أو اقتصادية حرصا على تدبير أمثل لواقع التعدد اللغوي في البلاد.

الكلمات المفاتيح: التخطيط اللغوي، السياسة اللغوية، التشريع اللغوي، وضع اللغة

مدخل

يعتبر التشريع القانوني المدخل الرئيس لبناء السياسات اللغوية، إذ يسمح ببلورة مواقف الدولة وتصوراتها حول وضع اللغات الوطنية والرسمية واللغة القومية واللغات المحلية والأجنبية، كما يمكننا من إدراك العلاقات بين مختلف هذه اللغات التي تتعايش في الوطن. والرهان الذي تحرص السياسات اللغوية على تحقيقه هو كيفية تنظيم التعدد اللغوي بطريقة ناجحة قوامها التعايش والتفاعل الإيجابي بين مختلف اللغات.

تكمن نجاعة السياسة اللغوية في قدرتها على تدبير واقع التعدد اللغوي في المجتمع، مع الحرص على تعزيز القدرات التنافسية للغة الرسمية واللغات الوطنية لتكون قادرة على فرض وجودها أمام زحف اللغات الأجنبية. ولا تتعزز القدرات التنافسية للغة ولا تتقوى في محيطها ولا تكتسب مناعتها إلا إذا انخرطت انخراطا حقيقيا في كافة الميادين الحيوية في البلاد. فكانت لغة الاقتصاد، ولغة السياسة ولغة التعليم ولغة القانون، واللغة المعتمدة في كافة القطاعات.

وبالنظر إلى الأدوار الحيوية للسياسات اللغوية والتشريعات القانونية، فقد حرصت الكثير من الدول على إصدار قوانين لحماية لغتها ولتمكينها في واقعها، وجعلها تنخرط بشكل فعال في كافة الميادين الحيوية للمجتمع، سواء منها الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو السياسية، أو القانونية[٣]. لأن ذلك هو السبيل الوحيد لتفادي بعض الوقائع اللغوية الشاذة وبعض السلوكات الكلامية المنحرفة، خاصة حينما تتدعم هذه التشريعات القانونية بنظام للعقوبات الجزائية[٤] يضفي على تلك التشريعات طابع الإلزام، فيلتزم بها كافة المواطنين. وسنعمل على التعرف على آليات التحكم في المشهد اللغوي من خلال تتبع التشريعات القانونية المعتمدة في مختلف الميادين الاستعمالية للغة. ولتوضيح معالم السياسة اللغوية وفق التشريعات القانونية، سنعمد إلى عرض بعض التجارب المعتمدة في مختلف بلدان العالم العربية أو الأجنبية، لنكتشف أهم الجوانب التي تركز عليها السياسات اللغوية لتحديد الوضع الاعتباري للغة الرسمية، بغية تقوية قدراتها التنافسية، ولتكون قادرة على فرض وجودها أمام زحف اللغات الأخرى، ولئلا تفقد أدوارها الوظيفيَّة في كافة الميادين في الحياة اليومية.

Abstract

The drafting of legal legislations is the guarantee of translating the political will in preserving the linguistic heritage as one of the components of cultural identity and making it participate effectively in the various fields of daily life. The meaningful linguistic planning also highlights the actual contribution of the language in all vital areas of human life and its real involvement in reality, since the development of the Arabic language depends on its functional use in all vital sectors. This is what Einar

Hugan (1983) expressed, calling for: "strengthening the position of the language by developing its functional uses"; Because language only acquires its value, according to Ricento (2006), "through its social utility and its ability to enter the market." There is no doubt that this legal status that the language will acquire thanks to linguistic planning is what encourages everyone to turn to learning it and to overcome all the obstacles that prevent its development.

The weakness observed in learning languages in general, and the Arabic language in particular in Arab societies, can be explained by the absence of a balanced linguistic policy that recognizes the essential role of official languages in school and in various aspects of social life, while being open to foreign languages. In the face of the encroachment of foreign languages, and the retreat of the functional role of the Arabic language in the Arab reality in various aspects of economic, social, political, scientific, or educational life in favor of foreign languages, it has become necessary to address and confront this linguistic situation, by ensuring the adoption of a linguistic policy that allows organizing Actually using languages. Legal legislation remains the main entry point for controlling linguistic situations and preserving the Arabic language.

The importance of legal legislation does not emerge except through the keenness of the executive authorities to activate it on the ground. Although the Arabic language is officially recognized in Morocco, for example, it needs to move from legislative texts to realistic field approaches that transfer laws from being by force to being in action, that is, from symbolic language policy to effective language planning that goes beyond the limits of resonant slogans to real engagement. In mapping language policy milestones in practice. Here emerges the true political will of the nation that is capable of developing the reality of the Arabic language.

There is no doubt that the success of the linguistic policy in the Arab world depends on the crystallization of a comprehensive vision of the linguistic situation in the country based on accurate scientific knowledge of the learners in order to be able to respond to their needs and harmonize with their social reality. Therefore, linguistic decisions should be based on the results of linguistic and psychological studies to

enable a deep understanding of the linguistic phenomenon at its various levels. Linguistic policy makers must not base their decisions on imprecise data or external dictates or groups of cultural, political or economic interest, in order to ensure an optimal management of the multilingual reality in the country.

Key words : language policy, language planning, language legislation, langiage'statut.

١. التخطيط اللغوي وضبط المحيط اللغوي

يمثل المحيط اللغوي أحد المكونات الرئيسة التي تتدخل في تشكيل الواقع اللغوي، حيث يعكس طبيعة الوضع اللغوي الذي تعيشه مختلف الشعوب والأمم، وكذا موقع اللغة الرسمية ومدى تفاعلها إيجابا أو سلبا مع مختلف اللغات التي تتعايش معها. ويقصد بالمحيط اللغوي كل ما يتصل بالبيئة اللغوية التي تفسر مدى حضور اللغة في الواقع أو غيابها، بناء على ملاحظة كل المؤشّرات اللغوية في مختلف مجالات الحياة اليومية، بما في ذلك أسماء الشوارع والساحات العمومية والمدارس والمحلات التجارية والصناعية والسياحية والترفيهية، وإشارات المرور وغير ذلك من عناصر المحيط اللغوي.

وبالنظر إلى الأهمية الجوهرية التي يكتسيها هذا المحيط اللغوي، وما يمارسه من تأثير على الأفراد والجماعات، فقد كان من أبرز المجالات التي استأثرت باهتمام السياسات اللغوية. وثمة نماذج متعددة تكشف عن كيفية ضبط المحيط اللغوي وسبل التدخل فيه ليتلاءم مع مقتضيات السياسات اللغوية التي تنهجها مختلف البلدان. فقد أصدر الأردن على سبيل المثال قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية، التي تنص المادتان ٥ و٦ منه على سيادة اللغة العربية في الواقع، من خلال حضورها المكثف في مختلف مجالات المحيط اللغوي: وفيما يلي نص المادتين:

"المادة ٥: تكتب باللغة العربية

أ. لافتات أسماء المؤسسات

ب. يجوز أن تضاف إلى الكتابة العربية ما يقابلها بلغة أجنبية على أن تكون اللغة العربية أكبر حجما وأبرز مكانا"[٥].

"المادة: ٦ تسمى بأسماء عربية سليمة:

أ. الشوارع والأحياء والساحات العامة وغيرها من المواقع، وتستثنى من ذلك أسماء الأعلام غير العربية.

ب. المؤسسات المالية والتجارية والعلمية والصناعية والاجتماعية والخدمية والترفيه والسياحة وغيرها من المؤسسات العامة والخاصة والأهلية"[٦].

وقد ساهم الأمير فيصل في ضبط المحيط اللغوي السعودي بإصداره قانونا ينص على تعريب المحلات التجارية والشوارع في السعودية، خاصة حينما لاحظ هيمنة اللغات الأجنبية، ممهلا المحافظين والأمناء والبلديات ستة أشهر لتعريب كافة أسماء المحال التجارية والشوارع، واستبعاد كافة الأسماء الأجنبية عن مكة المكرمة[٧].

٢. التخطيط اللغوي واحترام نظام الأبجدية

تمثل الكتابة مظهرا لغويا ورمزيا وحضاريا في الآن نفسه، فهي تمثل التراث اللغوي، ولا شك أن قيمة الكتابة تتجسد في جاذبيتها وجماليتها وبساطتها واختزالها، وكذا في قدرتها على التعبير عن مختلف المعاني ونقل كافة الأصوات. ولمَا كانت الأبجدية من أهم مكونات التراث اللغوي، فإن تغييرها من شأنه أن يمس بالمكونات اللغوية والثقافية.

وقد نصت مجموعة من التشريعات القانونية على حماية نظام الأبجدية[٨]، "ففي١٥ نونبر ٢٠٠٢ صادق مجلس النواب الروسي على قانون يقر بموجبه أن الأبجدية المعتمدة في الاتحاد الروسي هي الأبجدية السيريلية"[٩]. وقد أقر البرلمان اليوغوسلافي أن جميع الهيئات ملزمة باعتماد الأبجدية السيريلية، بما في ذلك المؤسسات ذات الاستقلالية والهيئات الحكومية والتعليمية والثقافية ومؤسسات الإعلام"[١٠].

ولما كانت الأبجدية وثيقة الصلة بحضارة الأمة وتراثها فقد رفض أتاتورك الاستمرار في اعتماد النظام الأبجدي العربي لكتابة اللغة التركية، بحجة أنها لا تسجل الأصوات التركية بشكل دقيق، ففي سنة ١٩٣٢ تبنى

أتاتورك أبجدية جديدة قائمة على الخط الروماني، عوض الخط العربي[١١]. وتبرز التجربة النرويجية قدرتها على تطوير أبجدية خاصة بها؛ "ففي سنة ١٨١٤ انقسمت النرويج سياسيا عن الدانمارك التي كانت خاضعة لسلطتها لمدة أربعة قرون، فبدأ النرويجيون في البحث عن أصولهم الثقافية التي انقطعت منذ القرون الوسطى.

وقد كانت اللغة من أبرز الرموز الوطنية المعبرة عن وحدتهم واستقلاليتهم فالكثير من الأصوات نادت بإحياء اللغة النرويجية التي افتقدت في فترة الاتحاد مع الدانمارك"[١٢]. ويمكن استحضار إصلاحين رئيسين: أحدهما مرتبط بمحاولة Knud Knudson (1812) مراجعة اللغة الدانماركية المكتوبة في أفق معيرة اللغة العامية، حيث عمل على تقديم وصف للغة العامية كما اقترح معجما لها لتجاوز بعض الألفاظ الأجنبية. وفي سنة ١٨١٣ عمل Ivar Aasen على تحقيق اللهجات النرويجية وأنشأ نحوها سنة ١٨٦٤ واقتراح معجم لها سنة ١٨٧٣ كوسيلة لكتابة لغة جديدة، سماها اللغة الوطنية[١٣].

على الرغم من أن الإصلاحين المذكورين كان الهدف منهما تجاوز الكتابة الدانماركية، فهما يختلفان تماما في كيفية تصور اللغة النرويجية، حيث تدرج كنودسون في الإصلاح اللغوي، بينما كان إيفار ثوريا[١٤]. و"في سنة ١٩٨٥ صوت رسميا لصالح تحقيق مساواة اللغة الوطنية مع اللغة الدانماركية. وبعد ذلك بسنتين تم التخلي عن اللغة الدانماركية لصالح اللغة الوطنية التي اكتشفها كنودسون"[١٥].

٣. التخطيط اللغوي والسياسة الإعلامية

يعتبر استعمال اللغة في المجال الإعلامي من أبرز الميادين الحيوية للسياسات اللغوية، لما لها من آثار قوية في رسم معالم الوضع اللغوي للبلدان، ولما لها من قدرة أيضا على التأثير في الناس، وتوجيه ميولاتهم ورغباتهم والتحكم في مواقفهم وسلوكاتهم اللغوية، حيث تستعمل المنابر الإعلامية لتعزيز السياسة اللغوية التي تتبناها الدولة.

واقتناعا بالدور المحوري للإعلام في التأثير على المواطنين، فقد عملت الكثير من السياسات اللغوية في مختلف البلدان على التركيز على التشريعات اللغوية الإعلامية للتحكم في المشهد اللغوي الإعلامي، ولتنظيم استعمال اللغات في هذا المجال. وقد كان العراق من السباقين إلى إصدار قوانين تلزم مؤسسات النشر والإعلام

على الحرص على استعمال اللغة العربية، وتجنب استعمال العامية إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك، على أن تكون العامية المستعملة أقرب إلى اللغة العربية.

وفيما يلي نص القانون " تلتزم مؤسسات النشر والإعلام التي تكون مطبوعاتها ومناهجها باللغة العربية أن تعتني بسلامة اللغة العربية ألفاظا وتركيبا، نطقا وكتابة، وتيسيرها للجماهير وتمكينهم من فهمها، على أنه لا يجوز لها استعمال العامية إلا للضرورة القصوى، مع السعي إلى تقريبها من اللغة الفصحى والارتفاع بها وفق خطة مقصودة"[١٦]. وفي تركيا تم التنصيص على أن اللغة التركية هي اللغة المعتمدة في المؤسسات الإعلامية "ففي غشت ٢٠٠٢، صادق البرلمان الأوروبي على استعمال اللغة التركية في الإعلام والتعليم"[١٧]، " وفي إطار دعم التوجه القومي عمل الأردن على إصدار قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية. وقد نصت المادة ٤ منه على وجوب استعمال اللغة العربية في صياغة لغة الإعلانات، وفيما يلي نص القانون "يجب أن يكون باللغة العربية أي إعلان ينشر أو يبث على الطريق العام أو في أي مكان عام أو وسائط نقل عام، ويجوز أن تضاف له ترجمة باللغة الأجنبية على أن تكون اللغة العربية أكبر حجما وأبرز مكانا"[١٨].

تكمن أهمية التشريعات القانونية في الميدان الإعلامي في كونها تعبر عن الإرادة السياسية لتعزيز التوجه القومي والرفع من القدرات التنافسية للغة الوطنية. غير أنها تظل في مجملها ذات طابع تقليدي، كما تقف عاجزة عن مواكبة التطورات الإعلامية المتسارعة في العصر الحديث، حيث أصبح التحكم في الاستعمال اللغوي في المجال الإعلامي يخلق الكثير من الصعوبات.

٤. التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية في مجال الصحة

قد يبدو للوهلة الأولى أن السياسات اللغوية بعيدة كل البعد عن الميدان الصحي، غير أننا حينما ننظر إلى بعض الوقائع اللغوية في المستشفيات والمصحات قد نتوصل إلى إدراك قيمة الاستعمال اللغوي، وأهمية وضع سياسات لغوية تنظم استعمال اللغات في مختلف المستشفيات، لأن ذلك قد يكون له تأثير مباشر على حياة الأفراد. ونسوق هنا واقعة تثبت هذا الأمر،" فقد تم رفض عملية زرع قلب لامرأة تركية عمرها ٥٦ سنة في مصحات Hanover بحجة أن عدم فهمها للغة الجرمانية يجعل سيرورة العلاج أكثر بطئا، وقد يكون الأمر

خطيرا. وقد بررت المصحة هذا القرار قائلة إن المريض قد لا يفهم تعليمات الطبيب، فيأخذ بذلك وصفات علاجية خاطئة، وقد لا يكون قادرا على مساعدة الطبيب إذا ما كانت هناك مضاعفات. ومنذ ذلك الحين، أي في ٢٧ غشت ٢٠٠٠ أصدر وزير الصحة قرارا يقرر بموجبه أنه مستقبليا في حالات مماثلة يتعين إيجاد حلول عملية. ومن ثم يجب على الأطباء والمستشفيات اعتماد سياسة لغوية للتعامل مع واقع التعدد اللغوي"[١٩].

٥. التخطيط اللغوي والمجالات الاقتصادية

يعتبر ربط اللغة بمحيطها الاقتصادي من جملة المجالات الحيوية للسياسة اللغوية التي لم يتم الاهتمام بها إلا مؤخرا، حيث كانت السياسات اللغوية تركز على ثلاثة مجالات فقط: المجال القانوني والمجال الثقافي والتعليمي. وهذا ما عبر عنه فرانسوا كرين ٢٠٠٦ François Grin، إذ يقول "شكلت الاعتبارات الاقتصادية في ميدان السياسة اللغوية عنصرا جديدا، فالخطابات السياسية حول اللغة كانت تركز على ثلاث مقاربات أساسية: مقاربة قانونية تركز فيها السياسة اللغوية على شكل من أشكال الاعتراف بالحقوق اللغوية في سياق معين، ومقاربة ثقافية تنظر إلى اللغات بوصفها تجليات للثقافة... بالإضافة إلى المقاربة التعليمية التي تركز على تدريس اللغة"[٢٠]. ويرجع الكثير من الدارسين الاهتمام باقتصاديات اللغة إلى صدور مقال Jacob Marchak (1965) "اقتصاديات اللغة"[٢١].

ويحيل مصطلح اقتصاديات اللغة إلى نموذج من الدراسات النظرية الاقتصادية تستعمل مفاهيم وأدوات اقتصادية في فهم العلاقات التي تميز المتغيرات اللسانية في علاقتها بالمتغيرات الاقتصادية. ويقوم النموذج الاقتصادي للسياسة اللغوية على النظر في كيفية تفاعل المتغيرات اللغوية والاقتصادية. "ولم تظهر اقتصاديات اللغة بوصفها مجالا مستقلا للبحث إلا سنة ١٩٦٠، حيث كانت أغلب الدراسات المقدمة في هذا الشأن عبارة عن مقالات لمجموعة من الباحثين الاقتصاديين الكنديين، وخاصة الكبيكيين منهم لدراسة الكلفة الاقتصادية لاعتماد اللغتين الفرنسية والإنجليزية"[٢٢].

ويعتبر دور اللغة في النشاط الاقتصادي من جملة اهتمامات السياسة اللغوية في الميادين الاقتصادية. ومن جملة التساؤلات التي تطرح في هذا الميدان: هل يفضل الناس إشهار المنتوجات والسلع وبيعها لهم بلغتهم الأم؟

وهل تتأثر الفعالية الإنتاجية باللغات المستعملة في المصنع؟ هناك من يستدل على أن العلاقة بينهما إيجابية لأن التنوع اللغوي يسمح بإنتاجية أكبر. غير أن آخرين يرون العكس، حيث إن التنوع يمكن أن تنتج عنه كلفة اقتصادية"[٢٣].

"تتجه أغلب الدراسات الاقتصادية نحو تخطيط الوضع، أما تخطيط المتن فلا يتم الاهتمام به لأن التكلفة الاقتصادية لوضع المعاجم أو إصلاح الخط لا تساوي شيئا بالمقارنة مع تخطيط الوضع، فترسيم اللغة واختيار لغة أخرى لاعتمادها في التدريس في النظام التعليمي يعتبر مكلفا اقتصاديا"[٢٤].

إن ربط اللغة بمحيطها الاقتصادي يشكل أبرز الميادين الحيوية التي تسمح للغة بالانخراط في واقعها، ليتحقق بعدها الوظيفي، ولتكون قريبة من سوق الشغل، فيكون تعلمها سبيلا في توفير فرص الشغل والرفاه. من هذا المنطلق آمنت الكثير من الدول بأهمية سن تشريعات لغوية تنظم استعمال اللغات في الميدان الاقتصادي لتضمن سيادة اللغة الوطنية في هذا المجال. وترسم المادتان ٥ و٦ من القانون العراقي سبل التدخل في الواقع اللغوي لتمكينه من الانخراط في الميادين الاقتصادية، وفيما يلي نص المادتين:

المادة ٥: "تكتب باللغة العربية البيانات والعلامات التجارية، وبراءات الاختراع والنماذج التي تتخذ شكلا مميزا لها كالإمضاءات والأسماء، والكلمات والحروف والأرقام، وعناوين المحال والأختام والنقوش البارزة، أما العلامات التجارية التي تم تسجيلها قبل العمل بهذا القانون، ولم تتوفر فيها شروط هذه المادة فيجب على مالكها أن يتقدم بطلب جديد لتسجيلها، وذلك خلال ستة شهور من تاريخ نفاذ هذا القانون.

"المادة ٦: تكتب باللغة العربية البيانات المتعلقة بأية سلعة تم إنتاجها بالقطر العراقي، كما تلصق بطاقة اللغة العربية على المنتجات والبضائع التي تستورد من الخارج، تتضمن البيانات التجارية ذات الصلة بتحديد قيمتها، ويجوز أن تكتب بلغة أجنبية إلى جانب اللغة العربية فيما يتعلق بالبضائع الواردة من الخارج، أو المعدة للتصدير إلى خارج العراق"[٢٥].

وقد أصدر الأردن قانونا يمكن اللغة العربية من التحكم في الواقع الاقتصادي لمواجهة سيطرة اللغات الأجنبية، حيث نص على ما يلي: " يجب أن تحرر باللغة العربية اللافتات التي تضعها المؤسسات أو

المنظمات التجارية أو الصناعية على واجهات محالها، ويجوز كتابة ذلك عند الحاجة بلغة أجنبية، إلى جانب اللغة العربية، بشرط أن تكون اللغة العربية أكبر حجما وأبرز مكانا. وتشمل العناية باللغة العربية اعتمادها لغة التعبير في جميع ما سبق ذكره وتجنب استعمال المصطلحات الأجنبية إلا عند الضرورة وبصورة مؤقتة عند عدم توفر المصطلحات العربية"[٢٦]، وهذا ما عبر عنه قانون حماية اللغة العربية الأردني، إذ ينص على ما يلي: "ينبغي أن تكتب باللغة العربية أوراق النقد والمسكوكات والطوابع والميداليات الأردنية"[٢٧].

٦. التخطيط اللغوي والسياسة التعليمية

تشكل المؤسسات التعليمية أبرز الفضاءات التي تعكس السياسات اللغوية التي تحرص الدول على ترسيخها، وهي تبعا لذلك من آليات تنزيل القرارات اللغوية التي تُسَنُّ بمقتضى تشريعات قانونية. ومن جملة القضايا التي تستأثر باهتمام صناع القرار التعليمي ما يتعلق بلغة التعليم أو لغات التعليم بحسب التشريعات اللغوية، أو تعليم اللغة.

إن اختيار لغة التدريس من جملة الرهانات الحاسمة في السياسة التعليمية. وتختلف التصورات والمواقف السياسية حول اللغة التي ينبغي أن يُلجأ إليها في تدريس المواد تبعا لاختلاف توجهاتها الإديولوجية. وبصورة عامة، فإن المتتبع لمختلف السياسات التعليمية، يمكن أن يكتشف جملة من الخيارات اللغوية المعتمدة.

ومن جملة الخيارات المتاحة أن يكتفى بلغة واحدة لتلقين كافة المواد التعليمية. فهناك من اختار اللغة القومية أو اللغة الوطنية للتدريس، وهناك من تخلى عن لغته الوطنية ليؤسس معارفه بواسطة لغة أجنبية، وهذا ما فعلته كاليفورنيا حينما استبدلت الثنائية اللغوية للمتعلمين بإغماسهم في اللغة الإنجليزية " ففي نونبر ٢٠٠٢ صادق الناخبون من ولاية أريزونا على مقترح قانون ٢٠٣ يقضي باستبدال الثنائية اللغوية في التعليم بكاليفورنيا بإغماس المتعلمين في اللغة الإنجليزية"[٢٨]. ونفس الشيء نجده في غانا «فقد أقر وزير التربية والتكوين الغاني في ١٦ غشت ٢٠٠٢ ضرورة تخلي المتعلمين عن لغتهم الأم في السنوات الثلاثة الأولى من التمدرس واستبدالها باللغة الأنجليزية"[٢٩].

وغالبا ما نجد هذا النمط من التشريعات القانونية لدى بعض الدول التي لا تمكنهم لغتهم الأم من الانخراط في ركب الحضارات، بالنظر إلى محدوديتها الجغرافية والحضارية والتاريخية، فتستبدل بلغة أخرى تمكنهم من الانفتاح على العالم والتعرف على المستجدات العلمية والتقنية والفنية.

ومن جملة السيات اللغوية المعتمدة في الميدان التعليمي اعتماد التناوب اللغوي. وهي سياسة لغوية الهدف منها تطوير كفاية الطفل في لغتين باعتمادهما معا، بشكل متناوب في تدريس مختلف المواد التعليمية والمناهج الدراسية. " ففي ١٦ يناير ٢٠٠١ أقر مجلس الشعب التانزاني المزج في لغة التعليم بين اللغة الإنجليزية واللغة السواحلية"[٣٠]. وقد اعتمد المغرب أيضا سياسة التناوب اللغوي في تدريس المواد العلمية، عن طريق المزاوجة بين كل من اللغة العربية واللغة الفرنسية. وقد ناقشت فيما سبق هذا الأمر، وأبرزت الكلفة المادية لاعتماده في التعليم. ناهيك عما يترتب عنه من صعوبات في إدراك المواد العلمية بلغتين.

وأستحضر في سياق الحديث عن لغة التدريس بالجامعات العربية الكثير من النماذج التي تؤكد الإرادة السياسية للشعوب العربية على جعل اللغة العربية لغة التدريس بمختلف الجامعات، لتدريس كافة المواد، سواء منها الأدبية أو العلمية أو التعليمية. فقد نص قانون الجامعات المصرية الصادر سنة ٢٠٠٦ في المادة الثانية والستين بعد المئة "على أن اللغة العربية هي لغة التعليم في الجامعات الخاضعة لهذا القانون"[٣١].

كما أكد القانون الأردني على تدريس المواد التعليمية باللغة العربية في الجامعة؛ فقد نصت الفقرة الثالثة من القانون(و) من المادة الثالثة من قانون التعليم العالي والبحث العلمي رقم ٤١ لعام ٢٠٠١، في المملكة الأردنية الهاشمية على أن التعليم العالي يهدف إلى تحقيق تعميم استعمال اللغة العربية لغة تعليمية في مراحل التعليم العالي، وتشجيع التأليف العلمي بها، والترجمة منها وإليها.

غير أن أغلب التشريعات اللغوية المرتبطة بتنظيم الوضع اللغوي بالجامعات، لضمان سيادة اللغة العربية فيها لم تتحقق على أرض الواقع، لغياب آليات تنزيلها. الأمر الذي يفسر هيمنة اللغة الأجنبية في تدريس مختلف المواد العلمية بكافة الدول العربية، باستثناء سوريا التي تمكنت من تدريس المواد العلمية باللغة العربية، حيث تدرس الطب باللغة العربية.

٧. التشريع اللغوي القانوني ونظام العقوبات الجزائية

تستمد التشريعات القانونية سلطتها، ويترسخ وجودها بفضل الجهاز التنفيذي الذي يدعم قراراتها ويسهر على تنفيذ أحكامها التشريعية. والتشريع القانوني اللغوي هو الآخر في حاجة إلى أن يفرض وجوده بفضل تدخل السلطة التنفيذية التي تجعل الأفراد والجماعات أشد حرصا على الاستجابة لروح القوانين اللغوية والخضوع لأحكامها والالتزام بمقتضياتها.

ففي حال مخالفة المواطنين لمقتضيات القوانين اللغوية تتدخل السلطات التنفيذية لردع كل من سولت له نفسه خرق التشريعات اللغوية، أو عدم احترام بند من بنودها. فنظام العقوبات الجزائية هو النظام الأنجع لضمان احترام مختلف القوانين والتشريعات المنصوص عليها في الدساتير أو غيرها من النصوص التشريعية.

ويكتسي نظام العقوبات الجزائية أهمية كبرى في النصوص التشريعية، لأنه المعبر الوحيد عن إرادة الشعوب والأمم في نقل القوانين من إطارها الرمزي إلى بعدها الواقعي. وأستحضر في هذا الصدد بعض النماذج من العقوبات التي تلزم الأفراد باحترام سيادة اللغة العربية في الدول العربية وعدم استعمال لغة أخرى، وفيما يلي مقتطف من قانون حماية اللغة العربية الأردني تنص المادة السادس عشرة منه على عقوبة توقيف المؤسسات التي لا تحترم التشريعات اللغوية، وفيما يلي نص القانون: " تُشَكَّل لجنة من كل من مجمع اللغة العربية ووزارة الصناعة والتجارة والتموين ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة التربية والتعليم وهيئة الإعلان على أن تختص بتوقيف أوضاع المؤسسات المخالفة لأحكام هذا القانون وفقا لأحكامه خلال مدة لا تزيد عن سنة واحدة من تاريخ نفاذه"[٣٢].

وتقدم سوريا نموذجا متميزا للسياسة اللغوية التي تعرب عن إرادة سياسية حقيقية لضمان سيادة اللغة العربية من خلال نظام العقوبات الجزائية التي تفرض في حق كل مخالف لروح التشريعات اللغوية. وينظم القرار رقم٦٠٤ الصادر سنة ٢٠٠٩ هذه العقوبات، حيث تنص المادة الأولى منه على أن " تغلق المحلات المسماة بأسماء غير عربية لمدة ثلاثة أيام في حالة المخالفة، وتعطى مدة شهر لإزالة المخالفة، وفي حال عدم الالتزام يغلق لسبعة أيام ومهلة شهر آخر، وإذا لم يلتزم يغلق المحل حتى إزالة المخالفة حكما، مع دفع غرامة مالية

قدرها ٥٠٠ ليرة سورية عن كل يوم إغلاق، وتقوم على تنفيذ هذا القرار وما ماثله لجنة تسمى اللجنة الفرعية لتمكين اللغة العربية"[٣٣].

خلاصة

يبدو من خلال تأمل هذه التجارب أن صياغة التشريعات القانونية هي الكفيلة بترجمة الإرادة السياسة في صيانة الموروث اللغوي بوصفه أحد مكونات الهوية الثقافية وجعله ينخرط بفعالية في مختلف مجالات الحياة اليومية. كما يُبرِز التخطيط اللغوي الهادف إسهام اللغة الفعلي في كافة المجالات الحيوية للحياة الإنسانية وانخراطها الحقيقي في الواقع، ذلك أن تطوير وضع اللغة العربية رهين باستعمالها الوظيفي في كافة القطاعات الحيوية. وهذا ما عبر عنه إينار هوجن (١٩٨٣)، إذ يدعو إلى: "تدعيم وضع اللغة بتطوير استعمالاتها الوظيفية"[٣٤]؛ لأن اللغة إنما تكتسب قيمتها، تبعا لريسانتو Ricento (٢٠٠٦) "من خلال نفعيتها الاجتماعية وقدرتها على ولوج السوق"[٣٥]. لا شك أن هذا الوضع الاعتباري الذي ستكتسبه اللغة بفضل التخطيط اللغوي هو ما يشجع الجميع على الإقبال عن تعلمها وتجاوز كافة العوائق التي تحول دون تطويرها.

إنَّ ما يلاحظ من ضعف في تعلم اللغات بصورة عامة، واللغة العربية بشكل خاص في المجتمعات العربية يمكن أن يُفسَّر، بغياب سياسة لغوية متوازنة تعترف بالدور الأساس للغات الرسمية في المدرسة وفي مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، مع الانفتاح على اللغات الأجنبية. فأمام زحف اللغات الأجنبية، وتراجع الدور الوظيفي للغة العربية في الواقع العربي في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية منها أو الاجتماعية أو السياسية أو العلمية أو التعليمية لصالح اللغات الأجنبية، فقد غدا من الضروري التصدي لهذا الوضع اللغوي ومواجهته، من خلال الحرص على تبني سياسة لغوية تسمح بتنظيم استعمال اللغات في الواقع. ويظل التشريع القانوني المدخل الرئيس للتحكم في الأوضاع اللغوية والحفاظ على اللغة العربية.

ولا تبرز أهمية التشريعات القانونية إلا من خلال حرص السلطات التنفيذية على تفعيلها على أرض الواقع. فعلى الرغم من إقرار رسمية اللغة العربية بالمغرب على سبيل المثال، فإنه يحتاج إلى الانتقال من النصوص التشريعية إلى المقاربات الميدانية الواقعية التي تنقل القوانين من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، أي من

السياسة اللغوية الرمزية إلى التخطيط اللغوي الفعال الذي يتجاوز حدود الشعارات الرنانة إلى الانخراط الحقيقي في رسم معالم السياسة اللغوية في الواقع العملي. وهنا تبرز الإرادة السياسية الحقيقية للأمة الكفيلة بتطوير واقع اللغة العربية.

نستخلص مما سبق أن نجاح السياسة اللغوية بالعالم العربي رهين ببلورة رؤية شاملة للوضعية اللغوية في البلاد مؤسسة على معرفة علمية دقيقة بالمتعلمين للتمكن من الاستجابة لحاجياتهم والانسجام مع واقعهم الاجتماعي. لذلك ينبغي أن تكون القرارات اللغوية مبنية على نتائج الدراسات اللسانية والسيكولسانية للتمكن من الفهم العميق للظاهرة اللغوية في مختلف مستوياتها. ويتعين على واضعي السياسات اللغوية أن لا يركنوا في قراراتهم إلى معطيات غير دقيقة أو إلى إملاءات خارجية أو لمجموعات ذات منفعة ثقافية أو سياسية أو اقتصادية حرصا على تدبير أمثل لواقع التعدد اللغوي في البلاد

---

[1] Haugen Einar, 1983 :272.

[2] Thomas Ricento, 2006 :5.

[3] Thomas, Ricento, 2006: xi.

[4] Fishman, 2006:٤.

[٥] قانون حماية اللغة العربية رقم٣٥ لسنة ٢٠١٥، المنشور على الصفحة ٦٨٩٢ من عدد الجريدة الرسمية رقم ٥٣٤٧، بتاريخ ٢٠١٥-٠٧-٠١

[٦] المرجع نفسه.

[٧] صحيفة عكاظ، العدد٣٤٠٢.١٠ أكتوبر ٢٠١٠.

[٨] حماية النظام الأبجدي للغة لا يعني الاحتفاظ به في صيغته الأصلية، بل يمكن إغناؤه بإضافة بعض الرموز إلى بنيته، خاصة حينما يتعلق الأمر بتعريب بعض المصطلحات الأجنبية (الكلوسيماتيكية، والكرافيم...)

[9] Spolsky Bernard, 2004:2.

[10] Spolsky Bernard, 2004:2.

[11] Fishman, 2006:5.

[12] Einar Haugen, 1968:676.

[13] Ibid: 676.

[14] Ibid: 676.

[15] Einar Haugen, 1968:677.

[١٦] التشريع العراقي رقم ٦٤ الذي أصدر عام ١٩٧٧ المسمى قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية صحيفة عكاظ، عدد١٠،٣٤٠٢ أكتوبر ٢٠١٠ .

[17] Spolsky Bernard, 2004 :2

[١٨] قانون حماية اللغة العربية رقم٣٥ لسنة ٢٠١٥، رقم ٥٣٤٧، بتاريخ ٠١-٠٧-٢٠١٥ .

[19] Spolsky Bernard, 2004 :٣.

[20] François Grin, 2006 :77.

[21] Ibid :78.

[22] Ibid :79.

[23] Grin François, 2006 :81-82.

[24] Ibid :٨٣ .

[٢٥] التشريع العراقي رقم ٦٤ الصادر سنة ١٩٧٧ المسمى قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية، المادة:٦.

[26] التشريع العراقي رقم ٦٤ الصادر سنة ١٩٧٧ المسمى قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية، المادة:٦.

[٢٧] قانون حماية اللغة العربية رقم٣٥ لسنة ٢٠١٥، المنشور على الصفحة ٦٨٩٢ من الجريدة الرسمية رقم ٥٣٤٧، بتاريخ ٠١-٠٧-٢٠١٥ .

[28] Spolsky Bernard, 2004 :2

[29] Spolsky Bernard, 2004 :3.

[30] Ibid.

[٣١] انظر المادة ١٠٦ من قانون الجامعات المصرية الصادر سنة 2006.

[٣٢] قانون حماية اللغة العربية رقم٣٥ لسنة ٢٠١٥، المنشور على الصفحة ٦٨٩٢ من عدد الجريدة الرسمية رقم ٥٣٤٧، بتاريخ ٠١-٠٧-٢٠١٥.

[٣٣] قانون حماية اللغة العربية السوري، رقم ٦٠٤، الصادر سنة ٢٠٠٩.

[34] Haugen Einar, 1983 :272.

[35] Thomas Ricento, 2006 :5.

قائمة المصادر والمراجع

- الفاسي، علال. (١٩٥٢). النقد الذاتي، الطبعة الأولى، القاهرة: المطبعة العالمية.
- الفاسي الفهري، عبد القادر. (٢٠٠٣). ***اللغة والبيئة***، ط ،١، الدار البيضاء، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة.
- فؤاد بوعلي. (٢٠١٥). ***مقاربات في المسألة اللغوية بالمغرب***، ط:١، يناير، الرباط، مطبعة طوب بريس.

- لويس جان كالفي. (٢٠٠٨). ***حرب اللغات والسياسة اللغوية***، ترجمة د حمزة حسن، مراجعة سلام بزي، ط١، لبنان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

- Basil, Bernstein. (1990). **Class, codes and control**. V: 4, the structuring of pedagogic discourse, London and New York, Rutledge Taylor & Francis group, reprinted: 2003.
- Bernard spolsky & m. Hult. (2008). **The handbook of educational linguistics**, Blackwell publishing
- Spolsky, Bernard. (2004). **language policy, key topics in sociolinguistics.** Cambridge University Press
- Einar, Haugen. (1966). **Language Conflict and Language Planning, the Case of Modern Norwegian.** Cambridge: Harvard University Press.
- Fishman A, Joshua. (1968).” The sociology of language: introduction ». Reading in the Sociology of Language**.** Paris: Mouton Publishers, The Hague.Pp: (5-14).
- Fishman A, Joshua. (2006). **Do not leave your language alone. The hidden statut agendas within corpus planning in language policy.** London**:** Lawrence Erlbaum associates, INC publishers.
- Grin, François. (2006). “Economic considerations in language policy”. An introduction to language policy, Theory and method. Language and social change, Edited by Thomas Ricento, Blackwell Publishing. Pp: (77- 94).

Ricento, Thomas. (2006). “Theoretical perspective in language policy overview”. An introduction to language policy, theory and method. Language and social change, Edited by Thomas Ricento, Blackwell Publishing. Pp: (3-9).

وجدان الليل وثقافة النهار قراءة في ديوان المعبد الغريق للشاعر بدر شاكر السياب

الغرض من البحث: الترقية العلمية

ا.م.د. وسن عبد الغني مال الله المختار/ جامعة الموصل /كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

الملّخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين

أما بعد...

مما لا شك فيه أن الليل والنهار ظاهرتان متعاقبتان حياديتان لأنهما جزء لا يتجزأ من الزمن الميقاتي، وعلى الرغم من حيادية هذين الوقتين إلا أن الموقف الإنساني منهما غير محايد البتة، لأن الإنسان يبدي موقفه منهما سلبا وإيجابا تبعا لحالته النفسية والشعورية ، وقارئ الأدبيات العربية القديمة يلحظ في أغلبها إعلاء للنهار على الليل بوصفه وقتا جاذبا على عكس الليل الذي يوصف بأنه وقت طارد منبوذ للذات الإنسانية لارتباطه بالرعب وعالم الأشباح والأرواح المخيفة، ولعل ذلك عائد لأسباب فيزيائية تتعلق بطبيعة الليل ذاته، فسدفه المظلمة تشكل حاجزا بين الذات والمحيط ،إذ تنشغل الذات الإنسانية في إنتاج تصورات معقولة ولا معقولة – وعلى الرغم من تطور الفكر البشري وما قدمته الديانات السماوية قاطبة من تحديد للدور الوظيفي لليل والنهار وما أزالته من الأوهام والتصورات التي ألصقت بالليل حصرا– إلا أن المنجز الشعري العربي بقي وما زال على موقفه من الليل، ولذا جاءت مقاربتنا لهاتين الظاهرتين من خلال البحث في وجدان الليل وثقافة النهار معتمدين على رؤية المفكر الألماني اشبنجلر الذي علل تباين الموقف الإنساني اتجاههما والموقف السلبي من الليل إلى

مواجهة الذات نفسها ليلا فتنفتح أمامها مشكلة المصير المشغولة عنه نهارا بثقافتها النهارية وتواصلها مع الآخرين عبر النشاطات الفيزيائية التي تسودها المجاملة والثرثرة وربما النفاق أيضا ،ومن هنا جاءت هذه النظرة التقليدية لإعلاء النهار على الليل بعيدا عن الخرافات والأساطير ،وكل هذا يفقد الذات الشاعرة وجودها الأصيل فتتفتق أمامها حقيقتها ليلا فتنزع إلى ما يجب أن يكون لا ما هو كائن فعلا، ولم يكن السياب خارجا عن هذا الإطار ،لذا حاولنا في ورقتنا البحثية هذه الكشف عن موقف الشاعر بدر شاكر السياب من هذين الوقتين في ديوان المعبد الغريق، الذي أصدره السياب عام ١٩٦٢م ، في مرحلة مرضه الأخير وهو يعاني أشد الآلام ، أي قبل سنتين من وفاته ،والديوان جزء من المرحلة الذاتية التي عاد فيها السياب إلى ذاته ،وكان الحنين موضوعا عاما لقصائد هذا الديوان؛ فاشتمل على ذكريات طفولته ومراهقته وشبابه، وكان للحبيبة نصيب وافر في الديوان ، ولذا وجدنا الليل وقتا منبوذا عند السياب لأنه يضع الشاعر وجها لوجه أمام ذاته مصورا مأساة الشرط الإنساني على مستويين: أولهما ،المستوى الوجودي وثانيهما ، الصراع الإنساني على المستوى الاجتماعي، فاقتصرنا على النصوص التي تكشف الجانب السلبي لليل ، في حين وجدنا النهار عند السياب في أغلب النصوص وقتا جاذبا ، لأن السياب يعلي النهار على الليل اعتمادا على الرؤية الشبنجلرية، ولاسيما أننا – لم نجد في حدود اطلاعنا – دراسة تناولت الموقف من هذين الوقتين في المنجز الشعري العربي والسيابي على وجه الخصوص، ولذلك استقامت هيكلية البحث على توطئة ومبحثين سبقوا بمقدمة واتبعوا بخاتمة ضمت أبرز النتائج التي توصل البحث إليها ؛ تحدثنا في التوطئة عن موقف الثقافات من هذين الوقتين ، ثم عرفنا بوجدان الليل وثقافة النهار ،وفي المبحث الأول كشفنا عن موقف السياب من الليل وأثره السلبي على الذات الشاعرة من خلال النصوص الشعرية ،أما المبحث الثاني فتجلى فيه موقف السياب الايجابي من النهار (النور) ودلالته سواء أكانت دلالة واقعية أم رمزية من خلال النصوص الشعرية السيابية.

الكلمات المفتاحية: وجدان الليل / قانون النهار / فلسفة /شبنجلر /المصير /العدم / ذات الشاعر.

Meditation of Night and the Education of Day time in Radr Shakir A-Sayyab's "Al- Maabad Al-Garecq"

Dr. Assistant prof Wasan Abdul Ghans MalaAllah Al-Muktar

Mosul University/ College of Education for Girls/ Department of Arabic Language

Abstract

Night and daytime are two successive phenomena where man's view point towards them depend on his state of mind and his psychological state. The reader of classical literary Arabic works can touch a fact that they prefer daytime tonight as the second is regarded as an alienating time where it is associated with some gothic element like terror , ghosts and spirits. As a result , human psyche produces some rational and irrational image and thoughts. the religious views concerning this subject don't succeed in deleting this belief.

This study , however , depends on spinglar's philosophy who see that man devotes his thinking at night to some existential problem and particularly those which relate to fact . Night isolate the daily activities with which man is busy during daytime man's real existence appears clearly at night therefor man tends to think about what should be and to not to what is.

The study tackles Al-Sayyab's "Al-Maabad Al-Gareeq" where the poet moves to his childhood, boyhood and youth to get rid from his drab present in which he suffers from a fatal disease Love also occupies a notable space in this period, two years before his death.

Night puts Al-Sayyab face to face with man's fate on both the existential level and the social one. We concentrate on the texts that show the passive side of night. Daytime for Al-Sayyab , represents a good time for him. The poet sublimates it according to spenglarian view .

As our knowledge is concerned , we don't find a study which tackles Al-Sayyab's productions concerning this wording .

The study contains a production , two section and a conclusion which sums up the result which the study reaches . the introduction produce some definitions of meditation of night and the education of daytime . the first section tackles Al-Sayyab's situation towards night and its passive effects on him while the second section is devoted to the poet's view to daytime and its connotations whether real or symbolic in his poetic texts.

توطئة ...

لعل من أكثر الثنائيات الضدية زمانياً هي ثنائية الليل والنهار، فهذه الثنائية التي تتسم بالتعاقب والدوران تتباين على مستوى آخر هو الضياء والظلمة، وقد انشغلت الثقافات القديمة بهذه الثنائية كثيراً، إذ نجدها معليةً

النهار في أغلبها على الليل كون الثقافات القديمة ثقافات نهارية، وقد برز هذا التضاد والموقف من هذه الثنائية بجزأيها في النتاجات الأدبية، فكان الليل ذا طابع سلبي على العكس من النهار، إذ إن الإنسان يكون وجهاً لوجهٍ أمام ذاته ليلاً، وهو ما عبر عنه شبنجلر* بوجدان الليل[١] ، فبمواجهة الإنسان لذاته ليلاً يفتح مجالاً للتأمل في الحياة والوجود، وما يجب أن تقوم بهِ الذات، وهذه المواجهة مع الذات تشغل الإنسان وتجعله متذمراً من هذا الظرف الزمني إلى جانب أن الليل يحد ويغيب الإمكانيات، أما نهاراً فالذات منشغلة نشاطاتها الفيزيائية والاجتماعية، وتلخص هذه النشاطات كما يرى هيدجر في الثرثرة، والالتباس والفضول[٢]، أي أن الذات تضيع وسط القطيع ويطلق على هذه الحالة اسم السقوط، وهو ما أطلق عليه اشبنجلر بقانون النهار[٣].

ولم يكن العرب شذوذاً في قاعدة، إذ نجد الشعراء لا يصرحون بالشكوى من النهار، ولكنهم كثيراً ما يظهرون شكواهم وتذمرهم من الليل منذ أن أطلق أمرؤ القيس شكواه ولحد الآن بقوله[٤]:

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سدولهُ عليّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي

فقلتُ لهُ لما تمطى بصلبهِ وأردفَ أعجازاً وناءَ بكلكلِ

ألا أيُها الليلُ الطويلُ ألا انجَلي بصبحٍ وما الإصباحُ فيكَ بأمثلِ

وقد رصد ابن رشيق القيرواني هذه الظاهرة مؤكداً أن الليل في النص الشعري يبدو ظرفاً زمانياً طارداً، فهو جالب للأحزان والهموم[٥]علماً أن لفظة الهموم هنا تكاد تكون مرادفة للحزن في حين أن لفظة الهم كما يرى الوجوديون دافع للفعل والإنجاز[٦]، وفي كلتا الحالتين يكون الليل ظرفاً مملاً، إلا أن الذات الشاعرة تريد الخلاص من أحزانها عبر نشاطاتها النهارية، أما الذات الوجودية فتريد زوال الليل لتندفع نحو الفعل لتحقيق الإمكانات المتاحة ولتؤكد وجودها الأصيل.

المبحث الأول: وجدان الليل

إن من الطبيعي أن يعبر السياب عن شكواه وتبرمه من الليل _نظرا لما يعانيه من غربة مكانية ومرضٍ مستعصٍ– في كثير من قصائده ولاسيما ديوان المعبد الغريق، إذ جاءت صورة الليل فيه ذات طابع جديد، فهو مرادف للموت كما في **قصيدته الوصية**، إذ يقول فيها[7]:

ماذا لو أنَّ الموتَ ليس بعده من صَحْوَةْ،

فهو ظلامٌ عَدَمٌ، ما فيه من حسٍّ ولا شعور!

أكل ذاك الأنْسِ، تلك الشقْوةْ

والطمعِ الحافرِ في الضمير

والأملِ الخالقِ من توثُّب الصغيرِ

ألفَ أبي زيدٍ تفور الرغوةْ

من خيلهِ الحمراءِ كالهجير...

أكلها لهذهِ النهاية؟

تُرى الحِمامُ للحياةِ غايةْ؟

...

إقبالُ يا زوجتي الحبيبة

لا تعذليني ما المنايا بيدي

وليستُ، لو نجوْتُ، بالمخلِّدِ

فالنص هنا لم يذكر الليل صراحة، وإنما ألمح إليه من خلال حضور لازمة من لوازمه تمثلت في لفظة (ظلامٌ)، فالظلام والموت سيان، لأن الموت انقطاع عن البنية الاجتماعية وعزلة قاتلة، والليلُ بسدوله يضرب حاجزاً يفصل الشاعر عن أجناس الوجود الأخرى، فكلاهما (الموت والظلام) انقطاع وعزلة عن عالم الحياة ومساراتها وكلاهما عدم، كما نلمح في النص أثراً أسطورياً، مفاده أن العالم السفلي يعد رحلة تيهٍ في فضاءٍ مظلم باردٍ[8] ، وقد أنحرف النص عن هذا الأثر، إذ غيب الجانب الحركي في العالم السفلي واكتفى بسكونية الظلام الحياة، لأن القاتلة، فرؤية السياب تؤكد عبث الفعالية الإنسانية ، وعدم جدوى الانهماك والانشغال بجزيئات القاسم المشترك بين البشرية هو العدم والموت يتبين ذلك من تكرار أسلوب الاستفهام (ماذا..، أكل ذاك..، أكلها لهذه النهاية، تُرى الحِمام) الذي تصدر المقطع الشعري، فهذا التكرار لا يعني جهل الذات الشاعرة أو تأرجحها بين الشك واليقين، لأن السياق الكلي لهذه الجملة يؤكد وثوقية الذات بالنهاية المحتومة، وهي بلا شك معرفة قبلية لا تحتاج إلى تجريب أو برهان، وتوصيف الانهماك الإنساني بالحياة والحرص على المتعة والكسب يوحي بتعلق الشاعر بالحياة، لأننا نستشف رائحة التحسر عليها والخوف من الموت.

ولا يقف النص عند هذا الحد بل يصور الموت، ماحياً حتى لأحلام الطفولة وتوثبها ، وهو بلا شك قضاء على الفعل الفيزيائي والتخيل والإنساني، فالموت فناءُ شمولي لا تحده حدود وهو ملازم لا محالة للظلام، لأنه ليل الأبد والعدم الظلامي، إذ يظل التلاقح بين الليل والموت قائماً، فإذا كان الانجاز الإنساني لا جدوى منه، ولا جدوى من لحظات الأنس كونها لا تحمل طابعاً سرمدياً بل آنياً وقتياً، فهي والشقاء والعمل سيان لا بل حتى الأسمار في الليل هي الأخرى لا جدوى منها، لأنها ترد في ظرفٍ زماني معتم، نلمح هذا من خلال حضور البطل الشعبي (أبو زيد الهلالي)[9]، الذي عرف بمغامرته الخطرة حافراً له مكاناً في الذاكرة الشعبية، ولكن حتى التذكر ليس بذي قيمة ،لأن إنجازهُ تحول إلى مجرد رغوة ولم يعد ثمة انبهار ودهشة لمغامرات هذا البطل؛ وإنما تحولت مغامراته إلى دليل يؤكد عبثية الفعل والانجاز أمام حتمية الموت وجبروته نستشف هذا من خلال كلمة (رغوة)، فهي لفظة سحرية مشبعة بدلالات أهمها عدم الفائدة والمحتوى القيمي إنها كالزبد الذي لا ينفع

لقوله تعالى: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ) [10]، فهي رغوة الزبد الإسلامي لا رغوة البحر التي أنجبت أفروديت، إذ تحول هذا التوثب عند السياب إلى رؤية مغايرة، فلم يعد (أبو زيد) بطلاً مدهشاً، بل تحول إلى أداة بيد المنية ومصدراً لسفك الدماء يتجلى هذا من خلال تشبيه الخيل الحمراء كالهجير، فالشاعر يساير الثقافة الإنسانية التي ترى أن الموت فعل إجباري يأتي من مصدر خارجي لا قدرة للإنسان على الخلاص منهُ أو مواجهتهَ.

أن هذه الرؤية جعلت الذات الشاعرة لا تفرق بين المتضادات، فالمرض والشفاء سيان، لأن الشفاء حالة مُتزمنة آنية ،لا تكتسب طابع الاستمرارية والخلود، فهي– إذا جاز التعبير– وقت مستقطع يؤخر حدث الموت، فالشاعر لم يعد متلهفاً للشفاء وإن كان الأمل فيه متأرجحاً بين الشك واليقين بدلالة قوله (ولست لو نجوت بالمخلد)، ف(لو) في سياقها انزاحت عن دلالتها الأصلية، بوصفها حرف امتناع لامتناع، وأفادت الشرط بمعنى(إن)، التي تحمل دلالة التأرجح والتحقق المشروط، ومع هذا فالنجاة بالشفاء ليس فعلاً مسراً مبهراً لأنه_ كما تقدم آنفاً _لا يحمل طابع السرمدية، وإنما هو وقت قصير ينتهي بالموت، فخلاصة القول أن الموت يشبه الظلام، بيد أنه أقل رتبة ووطأة على النفس يتجلى ذلك من خلال التشبيه البليغ (فهو ظلام عدم)، إذ شبه السياب الموت بالظلام، فهو يعلي الظلام على الموت وشدته ، لأنه لازمة من لوازمه.

وإذا ما انتقلنا إلى نص أخر فسنجد أن الليل السيابي لم يكن زمناً طارداً على المستوى الإنساني، وإنما هو طارد لكل أجناس الوجود نستشف ذلك من خلال مخاطبتهِ لوفيقة في **قصيدة شباك وفيقة٢**، إذ يقول[11]:

كأنيَ طائر بحرٍ غريب

طوى البحرَ عند المغيب

وطافَ بشباكِ الأزرق

يريد التجاءً إليه

من الليل يربدّ عن جانبيه

فالطائر حضر على مسرح النص عن طريق تشبيه الشاعر لنفسه بالطائر(كأني طائر بحر غريب)، فهذا الحضور التشبيهي يوحي بخوف أجناس الوجود كافة من الليل، فالبحر على مدى اتساعه استطاع الطائر أن يجتازه قبل أن يحيط به الليل ،وفي النص إيماء خفي بسرمدية الظلمة، وأن محاولة (الطائر/الشاعر) محاولة محبطة، فشباك وفيقة بالنسبة للشاعر هو الانفتاح والنور المقدس، نستشف هذا من خلال حضور كلمة أزرق وهو أيضاً لون السماء نهاراً، ولكن كما أسلفنا أن وفيقة والنهار أصبحا في عالم الغياب، ولا يمكن الوصول إليهما، فالليل ليلٌ سرمدي يماثل غياب وفيقة في ظلمات القبر.

وفي موضوع أخر من **قصيدة أم البروم** يقول الشاعر:[12]

وفي الليلِ

إذا ما ذرذر الأنوارَ في أبدٍ من الظلمةْ،

ودبت طفلة الكفيّن، عارية الخطى، نسمةْ

تلمّ من المدينة، كالمحار وكالحصى من شاطئٍ رملِ،

نثار غنائها وبكائها– لم تترك العتمةْ

سوى زَبَدٍ من الأضواءِ منثور

يذوب على القبور، كأنه اللبِنات في سورِ

يباعد عالمَ الأموات من دنيا من الذلِّ،

من الأغلال والبوقات والآهات والزُّحمةْ.

وأوقدت المدينة نارها في ظلَّة الموتِ

تقلّع أعينَ الأموات ثم تدسُّ في الحفرِ

بذور شقائق النعمان، تزرع حبّة الصمتِ

ففي هذا المشهد يصور الشاعر الليل والمكان بوصفها فضاء طارداً، فحتى لحظات الراحة والجمال لا تقاوم ليل المدينة بمجونه كون الظلمة ظلمة أبدية، وما تبعث من أضواء لا نفع لها ، لأنها زبدٌ، فعلى الرغم من أن النور في الثقافات العالمية سبيل هداية، إلا أن الشاعر قلب رؤية تلك الثقافات، فالنور زبدٌ، وهذا يحيلنا إلى الآية الكريمة المتقدمة آنفاً، ولعل هذا الموقف المغاير للموروث الثقافي والديني يشير إلى أن الشاعر رأى أن الأضواء هي سبيل لدور البغاء والفجور التي تشغل الإنسان عن التأمل في المصير المحتوم وتجعله مندفعاً نحو نشاطات حيوانية تغيب عنها أية نزعة ميتافيزيقية نلمح ذلك في(لبنات في السور يباعد عالم الأموات)، ولا يكتفي النص بهذا القدر من تشويه قيمة الضوء في المدينة، وإنما يجعل منه ناراً (وأوقدت المدينة نارها)، فليل المدينة في هذا النص يضارع ليل المومس العمياء[13]التي لا ينفعها المصباح في شيء وإنما يضيء الطريق للآخرين، وكذا نار المدينة/ النور يتجاوز الأحياء إلى الأموات ليزرع بدل عيون الموت المقتلعة(شقائق النعمان) ،وفي ذلك انتهاك ثان للمؤسسة الثقافية بعد أن أحال الجمال في (شقائق النعمان) إلى رمز للدماء والفساد، وهنا تتجلى فاجعة الإنسان عند هذه النقطة، إذ يحال كل ما هو روحي وجميل إلى ما هو مادي غريزي، فشقائق النعمان تتحول إلى مصدر للرذيلة والمادية المطلقة، إذ إن ثمر الطبيعة حولتهُ تلك المدنية إلى مجرد نقود وقهقات للبغايا والسكارى..

إن رؤية الشاعر لليل هي رؤية تأملية توحي بانفصاله عن المحيط الذي يلفه، فهو إذ يصور بشاعة ليل المدينة إنما يبحث (عما يجب أن يكون)، فلا تشغله مسارات الحياة اليومية فتأمله وانعزاله حققا له وجوده

الأصيل، لأنه وقف أمام ذاته مصغياً للوجدان الليلي الذي يتجاوز ما هو كائن إلى ما يجب أن يكون.. وإلى كل ما هو روحي متخلصاً بذلك من الالتباس والثرثرة[14] مصغياً لنداء ذاته.

ويظل عالم الموت والخواء مقترناً بالليل، إذ يقول في **قصيدة ذهبت**[15]

ذهبتِ فاستحال بعدكِ النهارْ

كأنه الغروبْ،

كأنما سحبت من خيوطه النِّضارْ.

وظلّل المدارج انكسارْ

ومثلُها انكسرتُ، غام في خيالي الجنوبْ.

إذ يتجلى في هذا النص توجس السياب من الليل عبر حديث غير مباشر عن فراق المحبوبة، إذ صدر القصيدة بالفعل (ذهبت) بأسلوب تهويلي يصور أثر الفقد عليه _ولسنا هنا بصدد محاورة هذهِ النزعة التهويلية– وإنما نحاول الكشف عن موقف السياب من الليل وإن لم يصرح به، وإنما أستشف ذلك من حضور المعلن (النهار)، فالمعلن يستدعي المغيب، علماً أن المغيب (الليل) هو المهيمن الذي يحمل طابعاً سرمدياً، لأن حضور النهار أصبح مستحيلاً بعد أن سحبت الحبيبة من أشعة الشمس ألقها ونورها التي شبهها بالنضار، الذي حقق في النص مخالفة للمنجز الشعري السيابي، (فالنضار، والمادة ،والنقود) تشكل عامل طردٍ للشاعر، ولاسيما في ديوان أنشودة المطر[16]، إذ جعل النورفي هذه القصيدة شبيهاً للنضار ووجه الشبه حاضرٌ من التماثل اللوني بينهما، وعلينا أن نتذكر أن النضار هنا لا يعد قيمة مادية ملموسة بقدر ما هو ألق وكشف للظلمة، وغياب النهار وسرمدية الليل ليس على الحقيقة أيضاً وإنما دليل معنوي، فنور الوجود مقترن بوجود المحبوبة وغيابه مقترن بغيابها، والنص هنا يحيلنا إلى الذاكرة الشعرية العربية ولاسيماً عند المتنبي إذ يقول[17]:

وما انسَدّتِ الّدنْيا عليَّ لضيقها ولكنّ طَرْفاً لا أراكِ به أعمَى

ولم يكن أثر فقد الحبيبة على مستوى النور والظلمة حسب، وإنما تعداه إلى خلخلة الطبيعة فظلل المدارج تكسرت، وهذا الانكسار يماثل انكسار الذات الشاعرة بعد الفقد، ويظهر أثر الظلمة مرة أخرى من خلال حضور الفعل (غام)، فذهاب الحبيبة لم يؤثر على المستوى البصري حسب بل تعداه إلى مستوى التخيل، فقد لفت الظلمة مخيلة الشاعر وحاصرت أحلامه العريضة.

أما في قصيدة **الأم والطفلة الضائعة** فيتجلى لنا مقت السياب لليل والخوف من إطلالته، كما جاء على لسان الأم، إذ يقول الشاعر:[18]

قفي، لا تغربي، يا شمس ، ما يأتي مع الليلِ

سوى الموتى. فمن ذا يُرجع الغائب للأهلِ

إذا ما سدّت الظلماء

درويا أثمرت بالبيت بعد تطاول المحل؟

وان الليل ترجف أكبد الأطفال من أشباحه السوداء

من الشُهب اللوامح فيه، مما لاذ بالظلِّ

من الهمسات والأصداء.

شعاعك مثل خيط اللابرنث، يشدّه الحب

إلى قلب ابنتي من باب داري، من جراحاتي

وآهاتي.

فقد استهل السياب نصه بأساليب طلبية متلاحقة تأرجحت بين فعل الأمر (قفي)، والنهي (لا تغربي) مؤخراً الفاعل، إذ إن السياق النحوي يقتضي أن يكون التعبير على النحو الآتي: (قفي يا شمس لا تغربي)، ولا شك أن هذا التغاير على المحور التراصفي يوحي بتمسك الشاعر/ الام بالفضاء النهاري، وإن كانت أساليبه الطلبية تنزاح إلى التمني أكثر من دلالة الأمر والنهي، فالشمس ستغرب حتماً، وعند هذا المنحى يغيب الأسلوب الإنشائي ليحل الأسلوب الخبري الذي يحمل وظيفة تفسيرية تكشف عن سبب تعلق الذات الشاعرة/الأم بالنهار وتخوفها من الليل، فالليل هنا مصدر لمجيء الأشباح والموتى لا غير تجسد ذلك عبر أسلوب القصر (النفي والاستفهام).

كما أن حضور الأشباح يحلينا إلى عالم الأساطير، إذ إن الأساطير تتحدث عن مجيء أرواح الموتى إلى ديارهم ليلاً[19] في حين أن الإنسان الحي لا يمكنه العودة للديار في لجج الظلماء، فالاستفهام بـ(من) هنا يحمل دلالة النفي (فلا يوجد من يرجع الغائب)،والظلماء هنا ليست فضاءً مدلهماً حسب وإنما هي قاطعة للخصب والتناسل أيضاً بدلالة (أثمرت بالبيت بعد تطاول المحلِ)، فالليل مرعب على كل الأصعدة وكذلك كل ما يحويه من (النجوم اللوامح، والأشباح، والهمسات)، إذ يتساوى فيه الطبيعي (الإنسان، وما وراء الطبيعي الأشباح) إلى جانب حضور الشهب اللوامح، التي يمكن أن تحل (النجوم) محلها على المحور الاستبدالي، فالشهب أيضاً مرعبة لأنها قاتلة ومحرقة [20] وتوصيفها باللوامح يجعلها مشتركة مع آلة القتل كالسيف.

ثم يحضر عالم الأساطير ثانية من خلال أسلوب التشبيه، بيد أن الشاعر لا يقدم سرداً للحدث الأسطوري، وإنما يلمح إليه ويبقي لازمة من لوازمهِ، فأشعة الشمس تضارع (خيط إيريا) أي اللابرنث[21]، الذي استدل به (ثيسيوس) على الخروج من المتاهة ، ألا أن الخيط السيابي يتقاطع مع الخيط الأسطوري، لأنه ينطلق من وله أم وآهاتها إلى قلب ابنتها وهو خيط شعوري، إلى جانب أن ثنائية الذكر/ الأنثى تغيب لتتحول إلى ثنائية أخرى هي الأم/ البنت، وعلى آية حال فإن الشمس تعلو في النص على الليل، لأنها وسيلة اطمئنان ودليل للتائهين على العكس من الليل الذي يكتظ بالأشباح والرعب.

وإذا ما انتقلنا إلى **قصيدة يا نهر** التي يقول فيها السياب[22]:

يا نهرُ عاد إليك من أبد اللحود ومن خواء الهالكين

راعيكَ في الزمن البعيد، يُسرّح البصر الحزين

في ضفتيك ويسأل الأشجار عندك عن هواه

أوراقها سقطت وعادت ثم أذبلها الخريف

وتبدلت عشرين مرة.

هيهات يسمع، إذ توسوس في الدجى أصداءَ آه

بالأمس أطلقها لديك ترن في جرس الحفيف.

إذ نرصد فيها انقلاب الليل السيابي عن الليل في المنجز الشعري العربي، فالليل في المنجز القديم مثلاً يكون فضاءً ساتراً للمواعيد الغرامية وسامحاً للذات في التعبير عن حبها[23]، إلا أنه في هذا النص يصبح مُصادِراً لأصداء وتأوهات العاشقين، علماً أن النص لم يفصح عن الزمن الذي وقف فيه السياب شعرياً على النهر أكان ليلاً أم نهاراً، فالليل لا يعد فضاءً مصادراً للفعل الغرامي حسب، وإنما يتعداه إلى مصادرة الصدى الخافت بدلالة (إذ توسوس في الدجى أصداء آه)، ونستطيع أن نقول باطمئنان أن السياب كان على وعي بانتهاك المنجز الشعري العربي ليكشف عن مدى تبرمه من الليل وتخوفه منه، فليله ليلٌ خاص به لا يسمح له باسترجاع ذكرياتهِ، علماً إن الذكريات صدى السنين الحاكي على حد تعبير أحمد شوقي[24]:

وإذا ما انتقلنا إلى **قصيدة سهر** التي يقول فيها السياب[25]:

سهرتُ فكل شيءٍ ساهرٌ: قدماي والمصباحْ وأوراقي

أنا الماضي الذي سدّوا عليه البابَ ، فالألواح

غدي والحاضر الباقي

أنا الغدُ في ضمير الليل، مدَّ الليل ألفَ جناحِ

عليه ، فطار، لما طار، بالظلماء والشّهْبِ

أصخْتُ السّمعَ والظلماءُ حولي بوقُ سيارة

يبثّ إلى البغيِّ رسالةَ الحبِّ

فحضور لفظة(سهر) مفردة عنواناً لقصيدته، تجعل المتلقي يتأرجح بين السلب والإيجاب، ولكن سياق القصيدة يظهر للمتلقي أن عنوان السهر ذو بعدٍ سلبي، فهو بلا شك فعل طوعي، لكنه يفرض على الأشياء بشموليتها ممارسة السهر، وهذا فيه خرق للمألوف، فالسهر سمة إنسانية لكن هذا الخرق سرعان ما يتلاشى، لأن الأشياء الساهرة هي جزء من ذات الشاعر، إذ قُيدت بالضمير (ياء المتكلم)، على عكس المصباح الذي لم تشمله علاقة التضايف مع ضمير ياء المتكلم، بيد أن حضور الأوراق في الليل يستدعي المصباح وشموله بالسهر أيضا، فالسهر هنا فعل مسوغٌ، لأن الذات الشاعرة تعاني من انفصال تام عن البيئة المحيطة، إذ تجسدت هذه العزلة عبر بناء استعاري (أنا الماضي الذي سدوا علية الباب، فالألواح غدي والحاضر الباقي)، وهذا الانفصال لا يحمل طابعاً وقتياً وإنما هو انفصال مطلق لا مستقبل لهُ لأن عزلة الشاعر لم تكن اختيارية وإنما كانت بفعل خارجي بدلالة إسناد الفعل(سد) إلى واو الجماعة، وهو إسناد يكتنفه الغموض، فليس ثمة إحالة خارجية أو داخلية تكشف عائدية الواو لمن!! ولكن المرجح أن الذي فرض على الشاعر هذه العزلة هو (الإنسان/الآخر) لا الأشياء سواء أكانت طبيعية أم ميتافيزيقية هذا من جانب، ومن جانب أخر فضمير الجماعة يختص بالجنس العاقل حسب!!

ثم ينتقل الشاعر ليخبرنا (أنا الغد)، لكنه الغد الذي لفتهُ ظلمات الليل بعد أن أعطى لليل بعداً إنسانيا من خلال تعالقه تضايفياً بكلمة ضمير (في ضمير الليل)، وهو غدٌ غير قابل للظهور بل يحمل جانباً ميتافيزيقيا، وعلى الرغم من هذا فهو غدٌ متسامٍ ومقترن بالشهب لا مكان له في عالم الأرض الذي تسيطر علية الرغبات المحمومة.

وفي حركة شعرية تنكسر العزلة على المستوى السمعي انكساراً يجعل الذات المحاصرة تستلذ نوعاً ما بعزلتها، فاذا كان البصر غير قادر على الرؤية بسبب محاصرة الألواح له فإن السمع قادرٌ على الخرق في ذلك المكان منهمك بنشاطاته الفيزيائية ومساراته فضاء تهيمن عليه أجواء الرذيلة، لأن الجنس البشري في الحشرية دون أي حسٍ ميتافيزيقي أو قيمي على العكس من ذات الشاعر التي تصغي لصوت الذات المنتبهة لحركة الزمن الذي يفضي بالإنسان إلى الموت الذي تتلاشى معهُ كل التفاهات الدنيوية التي مارسها ويمارسها الجنس الإنساني.

المبحث الثاني : ثقافة النهار

الليل والنهار ظاهرتان متعاقبتان يشكلان يوماً حسب الزمن الميقاتي، ولقد أسلفنا فيما سبق أن الثقافات القديمة أعلت شأن النهار على الليل، وذلك لأسباب سوسيولوجية (اجتماعية) وإكولوجية (بيئية)، وقد أنعكس ذلك حتى على المستوى الديني، إذ نجد في العبادات الوثنية القديمة أن آله النور قد ارتبط بالخير والمتعة ،وآله الظلام ارتبط بالرهبة والحضور الميتافيزيقي المخيف، لأن النهار يتيح للإنسان ممارسة نشاطاته الفيزيائية والاجتماعية، ومع هذا فإن بعض الثقافات ترى في النهار وقتاً للجد والتعب والشقاء المتواصل، في حين أن الليل عندها وقت سكينة وراحة وهدوء، وقارئ الثقافة العربية يجد أنها انحازت إلى عالم النهار بوصفه مصدراً للتجديد والانفتاح، أما الليل فيمثل فيها عالماً من الرعب والخوف والتحييد[26].

ولذا هما متضادان، فالنهار مصدر الصفاء والأمل والطمأنينة، في حين أن الليل مصدر الخوف والرهبة الدائمين، إذ هو يفصل بين الانسان والطبيعة المحيطة، كما تفقد حاسة البصر ميزتها وقدرتها على التمييز ليلاً[27] .

ولاشك أن الرؤية العربية لم تقتصر على المستوى السلوكي والرؤيوي الإنساني، وإنما حظيت بمكانة مهمة في الإنتاج الإبداعي الذي كان في أغلب الأحيان معلياً النهار بوصفه مجال الإنجاز والنسيان، إذ يتناسى الإنسان قلق المصير والهموم الذاتية الاجتماعية، ومن ذلك قول المجنون[28] :

نهاري نهارُ الناسِ حتى إذا بدا ليَ الليلُ هَزتني إليك المضاجعُ

فالإمكانية والمنى والطموح للمجنون تتمثل في الاقتران بليلى، ولكن هذه الإمكانية تُنسى للانشغال بالنشاطات اليومية النهارية مع القطيع، لأنه موجود في العالم نهاراً[29]،ويتيه في عالم الفضول، لأن الشاعر نهاراً يعد خيطاً من كل متماثل ومتوافق مع الجماعة، إلا أنه ليلاً يتمحور حول ذاته مفكراً بما يجب أن يكون لا بما هو كائن .... ، ففي الليل يشمله حنينٌ لتحقيق الإمكان المصادر ولاسيما الوصل مع ليلى. ولم يكن السياب شذوذاً في قاعدة، إذ إن النص السيابي يعلي في أغلب الأحيان النهار على اليل، فها هو يصور حبيبته وفيقة تريد أن تخرج من عالم الظلمة إلى عالم النور ، إذ يقول في **قصيدة شباك وفيقة ١**[30] :

ووفيقة تنظر في أسف

من قاع القبر وتنتظر:

سيمرّ فيهمسه النّهرُ

ظلاً يتماوج كالجَرَسِ

في ضحوة عيدْ،

ويهفُّ كحبات النّفَسِ.

والريح تُعيد

أنغام الماء (هو المَطَرُ)

والشمس تكركر في السعفِ.

شباكُ يضحكُ في الأَلَقِ؟

أم باب يُفتَح في السورِ

فتفر بأجنحة العَبق

روح تتلهف للنورِ؟

ففي مشهد تخيلي صرف يُعري السياب مشاعر حبيبته، إذ يصورها حالمة برؤية ظلاله بدلالة (ظلا) نهاراً وبدلالة (في ضحوة عيد)، فعالم القبر وظلامه لا يتيح لها حتى التحليق خيالياً على العكس من عالم النهار الذي يفتح أمامها باب التخيل والأمنيات، ولكن صورة الحبيب ليست بصرية مطلقة، وإنما تأخذ حيزاً في المجال السمعي أيضاً بدلالة (ظلا يتماوج كالجرس)، فهذا التداخل الحواسي (التراسلي) ناتج عن السدف الفاصلة التي تفصل بين الشاعر وحبيبته، لذا فإن حاسة السمع تكون أكثر فاعلية من حاسة البصر، إلى جانب أن حاسة السمع تقترن أكثر بالبعث والنشور بدلالة قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ) [31]، وقوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) [32]، وقوله تعالى(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ) [33]، وتستمر الهيمنة السمعية في المقطع الشعري إلى قوله (.....أم باب يفتح في السور)، فالأداة تكشف عن حيرة الشاعر وعدم اهتدائه بين الخارج والداخل، فالخارج يقصد به شباك رفيقه، والداخل يقصد (أم)

به (ظلموت القبر)،الذي عبر عنه السياب كنائياً بالسور، كون السور يحيل إلى عالم السجن والنفي والانفصال، وعند هذه النقطة تهيمن الحاسة البصرية على المشهد الشعري، إذ يصور روح رفيقة تطير على أجنحة العبق وهو بناء استعاري، إذ أضفى حالة قدسية على المحبوبة لأنها روح تخارجت عن الجسد[34]، فهي روح طاهرة خالصة لا تبصر لأنها أثيرية يُستدل عليها عن طريق حاسة الشم بدلالة (العبق)، إلى جانب أنها روح متسامية عن الأرض، فهي بين المقدس المطلق، وبين المتدني فهي طائر تجاوزت العالم الغرائزي الأرضي، ولكنها لم تصل إلى الملكوت المقدس[35].

ويظل النهار في النص السيابي متعالياً على الليل حتى عند الجمادات ولاسيما المقابر، فإذا كانت وفيقة تحلم بالبعث والنور وهي في القبر، فإن موتى **أم البروم** كلهم يحلمون بنور ممزوج بالفرح والنشوة ، إذ يقول السياب[36]:

وكانت، إذ يُطلّ الفجر، تأتيك العصافيرُ

تساقَطُ، كالثمار على القبور، تنقِّر الصمتا

فتحلم أعين الموتى

بكركرة الضياء وبالتلال يرشّها النورُ،

وتسمع ضجةَ الأطفال أُمّ ثلاثةٍ ضاعوا

يتامى في رحاب الأرضِ: إن عطشوا وإن جاعوا

إن الفجر يحيل فضاء الموت والظلمة والأشباح إلى فضاء مملوء بالحركة والنشوة جاذباً لما هو متوسط – كما أسلفنا– بين السماوي والأرضي بدلالة (تأتيك العصافير) لتغيب مظاهر الخواء والرعب، ويفيض المكان بالحركة والجمال مما يجعل الموتى دون استثناء يحلمون بالضياء، ولكنه ضياء خاص ومبتسم بدلالة (كركرة

الضياء)، فلا يقتصر حلم الموتى مع الفجر برؤية الموت بل يحلموا برؤية التلال لتظهر لدينا ثنائية الأعلى والأسفل أو المقدس وغير المقدس، هذا إذا ما تذكرنا أن الأماكن العالية تحمل طابقا قدسياً في الفكر العالمي[37].

إن الأموات الحالمين ليسوا أشباحا أو أرواحا شريرة إنها أرواح سامية تحلم بالتسامي والعلاء و(بالتلال يرشها النور)، إذ يصاحب هذا التسامي عنصر أساس في تشكيل الحياة ألا هو النور الذي أحاله السياب إلى مصدرٍ للخصب من خلال تقييد الفعل (يرش) بالنور، بيد أنه نور خاص ابتدعته المخيلة الشعرية، وقد تصدرت التي تحمل دلالة ماضوية صرفة ولا علاقه لها الجملة الشعرية بالفعل(كانت) لقوله: (وكانت إذ يطل الفجر....) بدلالة الاستمرارية، إذ إنها لم تعد حاضرة نستشف ذلك من المعطيات التاريخية، وعتبة التصدير التي صدر بها السياب قصيدته أم البروم، إذ تشير كلا الدلالتين إلى قلع مقبرة أم البروم من بلدية المحافظة وتحويلها إلى مرآب للسيارات، فابتدأت القصيدة بالتصدير: (المقبرة التي أصبحت جزءاً من المدينة)، فالنور الخاص هنا يمثل البراءة والسمو مقابل (المادة) التي كبحته وغيرت معالمه.

ويتكرر إعلاء النهار على الليل فحتى في فترة المرض والعجز نجد الشاعر يحمل حباً لا متناهياً للنهار، إذ يقول في **قصيدة سهر** [38]:

سهرتُ لأنني أدري

بأني لن أقبِّلَ ذات يومٍ وجنةَ الفجْرِ

سيُقْبل مطلقا في كل عشٍّ نغمةً وجناح

وسوف أكون في قبري.

فالنص هنا يحيلنا إلى الأمنيات قبل الموت، فصحيح أن تعليل الحرص على الحياة والخوف من الموت يعزوه الشعراء إلى أسباب متعددة[39] ،مع يقينية مطلقة بحتمية الموت، فالإنسان كائن معد للموت غائص في لجة

اليأس يبحث عن معنى الحياة التي تصب في عالم الموت المرعب والمعتم[40]، مع أن السياب يقدم سبباً مغايراً ، ولربما قد حقق سبقاً شعرياً في ذلك ، فجزعه ليس لأسباب انشغالية بالآخر أو رغبة مادية ، بل لحبه رؤية الفجر حباً لا يعرف حدوداً تجسد ذلك عبر بناء استعاري (أقبل وجنة الفجر)، فكأن الفجر إنسان جميل يسر الناظرين محبب للآخر يقبل على تقبيله شوقاً إليه وسروراً به، فيبدو أن مشهدية الفجر وصورته في النص ممارسة يومية عكف عليها الشاعر، ويتمنى دائماً أن تحمل طابع الاستمرارية– خشية مفارقة هذا المشهد – لمعرفته المطلقة بموته مستقبلا –دون معرفة وقت موته بالضبط– لأنها مسألة غيبية لا يعلمها إلا الله، بيد أنه واقع لا محالة ولا فرار منه البتة.

إن تماهي الشاعر مع الفجر ووجده الصوفي بهذا الوقت من اليوم يبدو جلياً، إذ إن مشاهدة الفجر مثلت الرغبة الوحيدة له في هذه الحياة من خلال سكوت النص عن الرغبات الأخرى، ذلك أن الفجر السيابي لا يمر بأصناف الوجود؛ و إنما يقتصر على كائنات بعينها تتسم بالسعادة والنقاء والتوسط إنها الطيور بدلالة (سيقبل مطلقا في كل عشٍ نغمة وجناح).

ففرح الطيور وسقسقاتها تكون مصاحبة للفجر في أول مشاهدهِ وبزوغهِ، فالفجر لا يتوقف بموت السياب لأنه أزلي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إنها مقارنة بين المتزمن من(حياة السياب) من جهة والأزلي (الفجر) من جهة ثانية، ومظاهر السعادة هنا تحمل طابعاً سرمدياً، وهذا ما يعمق جراح الشاعر وهو يتوقع موته.

وفي موضع آخر يتجلى لنا عشق السياب للنهار راسماً أجواءً احتفالية تبدأ بإيذان الحركة عبر"صاح الديك" الذي يوحي بإقبال النهار وبدء يوم جديد ، إذ يقول في **قصيدة "صياح البط البري"**[41]:

وذرّى سكونَ الصباحِ الطويلْ

هُتافٌ من الدِّيك لا يصدأُ

...

ولا يهدأُ

إلى أنْ تسيرَ الحقولْ

إلينا فنقطف منها الثمرْ

وعند الضحى وانسكاب السماء

على الطِّين والعُشْبةِ اليابسةْ،

يشقّ إلينا غصونَ الهواءْ

صياحٌ، بكاءٌ، غناءٌ، نداءْ

يُبشرُ شطآننا اليابسةْ

بأنّ المطرْ

على مَهْمهِ الريح مدَّ القلوعْ،

هو البط... فَلْتَهنأي يا شموعْ

ففي هذا النص المتقدم تصوير للأجواء الاحتفالية لبدء النهار عبر أسلوب خبري تهيمن عليه لغة السرد منطلقاً من أثر صياح الديك في بعث الحركة، هذا إذا ما تذكرنا ما حوته الذاكرة الثقافية العربية من قدسية وبركة يحملها صياح الديك[42] الذي يستمر إلى أن تبعث الحياة بنشاطاتها كافة في أجواءٍ تفيض بالمرح والسعادة، فالحقول تشير إلى الناس لكي يقطفوا ثمارها بدلالة (إلى أن تسير الحقول إلينا فنقطف منها الثمر) ،وهذا التعبير يحمل طابعاً غرائبياً، فالمتعارف عليه أن الإنسان هو من ينطلق نحو الحقول وليس الحقول هي من تنطلق إلى

الإنسان لأنها ثابتة، فالتعالق هنا إيذان بأن الحقل هو من يريد أن يعطي للإنسان ويقبل عليه وفي ذلك بناء استعاري مكني ولاشك أن هذا التعبير الغرائبي يحمل أبعاداً دلاليةً توحي بالتعالق الوشيج بين الإنسان والطبيعة، إذ كثيراً ما يجمح الخيال السيابي إلى أن الحقول تجود للإنسان بثمارها. ثم ينتقل النص إلى وقت آخر من أوقات النهار وهو (الضحى) لنلمح وسط هذه الأجواء الاحتفالية حساً مأساوياً، إذ يعود الصياح مرة أخرى، ولكنه صياح مجهول المصدر! أهو صياح الديك أم صياح آخر؟ يقترن بثنائيات ضدية (بكاء، وغناء، صياح) كلها نكرة ولها دلالات مقصودة تتضح بتوالي القراءة للنص، فضلاً عن غياب مصدر الصياح ، فالمكان الذي يصدر منه الصوت مغيباً تماماً، إنه ينتقل عبر الأثير الذي عبر عنه السياب (بغصون الهواء) الذي يحيلنا إلى حلم السياب بالخصب من خلال علاقة التضايف بين (الغصون والهواء) ، وعلى الرغم من حضور الثنائية الضدية (بكاء، وغناء) فإنها ذات طابع إيجابي لأنها حاملة للبشرى، فالبكاء والغناء يبدوان فعالية طقوسية من أجل بعث الخصب والنماء، ولذا اقترنت الثنائية بقرينة (البشرى والمطر) في إشارة إلى أن المطر قادم لا محالة فضلاً عما تحمله دلالة المطر من حمولات متعددة في النص، إذ إنها تدل على أشياء كثيرة ومنها الخصب والثورة ضد ما هو قائم، فالشاعر هنا خرق موروث الثقافة العربية، إذ لا تطلق العرب على الأنواء النافعة لفظة (المطر)، وإنما تعبر عنه بالوسم أو الغيث، نرصد هذا في تتبع الجاحظ (ت٢٥٥هـ) لدلالة هذه اللفظة في القرآن الكريم، إذ لا تلفظ إلا في موضع الانتقام[43]، وأكثر العامة والخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر والغيث[44]، والمرجح لدينا أن لفظة المطر في سياقها الشعري تحمل جانبي(الخصب والثورة) معاً، وتظل لفضة الصياح البؤرة الشعرية التي تتفرع منها الأنساق والجمل الشعرية في كشفها عن رؤية الشاعر، إذ يقول:

صياحٌ.... كأنَّ الصِّياحْ

ينشِّرُ، مما انطوى من رياح،

سهولاً وراءَ السهولْ

أزاهيرُها في الدجى من نباحْ

وعند النهار حُزامى ، أقاحْ

وختميَّةٌ ما لها من ذيول...

ينشِّرُ في شاطئٍ مُشمسِ

من القَصَبِ الكثِّ غاباً له عَذَبات تطولْ.

صياحٌ كأجراس ماءٍ... كأجراسِ حقلٍ من النرجسِ

يُدنْدِنُ والشمسُ تُصغي، يقولْ

بأنَّ المطرْ

سيهطلُ قبل انطواء الجناح

وقبل انتهاء السّفَرْ.....

إذ تظهر لفظة (صياح) في بدء الجملة الشعرية خبراً لمبتدأ محذوف دون توصيف يعقبها الفراغ الكتابي بوصفه جزءاً من إيقاع البياض والسواد ليجعلنا نتكهن المسكوت عنه بالذي يصمت عن جانب توصيفي للخبر، وهو على العموم توصيف إيجابي مستشف عبر الجملة التشبيهية (كأن الصباح) ،إذ إن لفظة الصياح جاءت معرفة لذكر معهود، فعقدت تعاهداً بينها وبين المتلقي، وعلى أية حال فإن الصياح يزف بشرى مستقبلية، بيد أنها لا تأتي دفعة واحدة بدلالة الفعل المزيد (ينشر) يوحي بدلالة التتابع، ويبعث ما حُيد وكاد أن يقبر قسم منه بدلالة (مما انطوى من رياح)، (فمن) المدغمة (بما) تعطي دلالة التبعيض والشمول، فعلى وفق رؤية الشاعر فإن التغيير قادم لا محالة ،فالرياح في الذاكرة العربية أجهزت على طغاة وجبابرة وغيرت ممالك سادها الظلم والجبروت[45]، إن فعل الرياح يتغاير وتأثيرها متضاد تماماً جراء تعاقب الليل والنهار، فهي في الدجى مقترنة

بالنباح، بيد أن هذا النباح ليس منفصلا عما يكون عليه في النهار إنه صوت منبه وبدء للتغيير ليتحول هذا الصوت (النباح) إلى رائحة عشقتها الثقافة العربية [46] وزهورا مرئية تبعث السرور وتبث الجمال أينما وجدت، فتتراسل الحواس بين المسموع والمشموم والمرئي أيضا إنها خلاصة التغيير ونتيجته الحتمية ليتتابع ذلك التغيير فيتحول الشاطئ الأجرد إلى غاب بهيج تظلله نباتات القصب الكث بدلالة (ينشر في شاطئ مشمس من القصب الكث غاباً له عذبات تطول) وعبر عن القصب بما يحمله من طابع جمالي ساحر غير متناهٍ عبر كلمة (تطول)، وعند هذه النقطة يعود النص لتوصيف الصياح مره أخرى توصيفاً مجازياً متنقلاً أيضاً من السمعي إلى البصري والشمي الممزوج بالسمعي عبر التشبيه (صياح كأجراس ماء... كأجراس حقل من النرجسِ يدندن والشمس تصغي).

وهذا التشبيه ليس حلية تزينية، وإنما يحمل أبعاداً دلالية، فالماء رمز الحياة والخصب.

فهذا على المستوى المرئي، أما على المستوى السمعي فهو يدندن، والدندنة توحي إلى جانب الجرس التكراري(دن دن) بالمسرة والغبطة، إذ كان من الممكن أن يلجأ الشاعر إلى المحور الاستبدالي فيعمد إلى انتقاء ألفاظ أخرى يمكن توصيف رنين الجرس بها مثل (قرع، رن، دق....) وهذا يدل على أن اختيار الفعل (دندن) لم يأت اعتباطاً البتة، بل كانت وراءه مقصدية تكشف عن نبوءة الشاعر بالتغيير القادم الذي سيحدث نهاراً، والدندنة لا يمكن أن تحدث إلا بحضور الشمس التي ترمز للحرية فهي تصغي لنشيد التغيير والثورة، ولكن الثورة لم تتحقق بعد لكنها ستتحقق مستقبلاً يؤيد هذا توكيد الجملة بـ(أن) في قول السياب بـ(بأن المطر سيهطل قبل انطواء الجناح وقبل انتهاء السفر)، والتغيير سيتحقق لا في المستقبل البعيد المطلق بل في المستقبل القريب قبل وفاة الشاعر التي عبر عنها بلفظة (السفر)، هذا إذا ما تذكرنا أن القصيدة نظمت في قمة مرض الشاعر ويائسة من الشفاء.

وإذا ما انتقلنا إلى نص آخر نجد أن النهار يبقى زمناً جاذباً لأنه مقترن بالنور والكشف، إذ لا يكشف الموجودات حسب بل يكشف الأشخاص أيضاً فيُعري نماذج بشرية ويكشف قيمها الحقيقية لأنها لا تريد أن ترى

النهار خشية هذا الكشف النهاري، إذ يقول السياب من **قصيدة الشاعر الرجيم** وهو يتحدث عن المرأة التي يعاشرها الشاعر بودلير، إذ يقول السياب فيها [47]:

.....

تريدُ أن تُمزِّق الهواء.

وتجمعُ النساء

في امرأةٍ شفاهُها دمٌ على جليدْ

وجسمها المخاتل البليد

أفعى إذا مشت، وسادة على الفراش...

لا تُريدْ

أن تفتح الكوى ليدخل الضيِّاء

كيْ لا تُحسَّ أنها خُواء.

فمن خلال خطاب السياب للشاعر بودلير يكشف له عن ضعةِ المرأة التي يعاشرها، لأنها امرأة جمعت الدناءة والوضاعة على الرغم من توهم بودلير أنها تمثل جميع النساء، فكان السياب هنا مرشداً وموجهاً لأن هذه المرأة حسب وصف السياب مخاتلة ومخادعة ومراوغة ، إذ شبهها بالأفعى لما عرف عنها من لين الملمس، بيد أنها مليئة بالسم، فضلاً عن مرجعيتها فهي رمز الغواية والخطيئة الأولى في قصة سيدنا آدم وحواء(عليهما السلام) وقسيمتهما في العقوبة[48]، فخداع المرأة ومخاتلتها تمارسه في الظلام لا في النهار،لأن الضوء يعريها ويكشف عن زيفها، فضلاً عن أن المرأة المتحدث عنها لا تريد أن تفيق وتعرف حقيقتها، فهي في تضاد مع النور، ويبدو لنا أن النهار في النص ليس حقيقياً، بل هو كناية عن تغييب هذه المرأة لنازع العفة وعدم تأملها

فيما يجب أن يكون لا فيما هو كائن، فالعلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة علاقة إيجابية هدفها تأسيس الأسرة والمحافظة على النوع البشري، في حين أن هذه المومس أصغت للذاتها المحمومة مقابل المال، ففقدت إنسانيتها بعد أن أصبحت سلعة لمن هب ودب، ولهذا فهي لا تريد أن تواجه الحقيقة (النهار) لتستمر في ضياعها ووضاعتها.

ومع هذا نجد السياب يضارع بودلير في ممارسته، فعبر حركة استذكارية يسرد لنا السياب ممارسته مع مومس وصفها بالحقيرة، إذ يقول من **قصيدة الغيمة الغريبة**[49]:

المومس الأجيرة الحقيرةْ

أكثر من حبيبتي سخاءا

أتيتُها مساءا

معانقاً ... أعانق الهواءا

هبّ من القطب على الظهيرة،

مقبِّلاً عيونها الخواءا،

كأنني كيشوت في الأصيل

يركض خلف ظلهِ الطويل

ويطعن السنابل الكسيرةْ

يظنها الأعداء.

ضممتُ منها جثةً بيضاءا

ففي هذا المقطع تبدأ مغامرة الشاعر بفعل العناق، بيد أنه عناق للهواء القادم من القطب إلى الظهيرة، فهذه الثنائية المجازية (البرد والحرارة) تلخص لنا مغامرة الشاعر وإحساسه الذي توهج عندما اصطدم عناقه بكتلة باردة المشاعر والأحاسيس ليحيلنا إلى خواء مومس بودلير، فيغيب زمن المعانقة (مساء) ليحل محله الأصيل ، ويتحول السياب إلى كيشوت[50] متجاوزاً بذلك الوهم الدونكيشوتي من خلال أسلوب التشبيه (كأني) عبر تجاوز الفوارق بين الشخصية الورقية (دونكشيوت) وشخصيته الشعرية، إذ إن دونكيشوت شخصية تسعى لإعادة القيم النبيلة التي كان يتمتع بها الفرسان قبل عصره، فعلى الرغم مما في النص من المفارقة والتجاوز بين الشخصيتين إلا أن ما يجمعهما هو الشعور الواهم وإن اختلفت الغايات فدونكيشوت مأخوذ بوهم شديد لأنه يمارس أصناف الألم في عصره الذي لا يماثل عصر الفرسان، ويماثله السياب في وهمه عندما بحث عن حرارة المشاعر مع خواء المومس بدلالة(ضممت منها جثة بيضاء)، فموت المومس ليس موتاً حقيقياً، وإنما هو بناء كنائي يقبل الحقيقة والمجاز، ويوحي بغياب الحس الإنساني والمشاعر عند تلك المرأة ،إن الجمع بين المتناقضين (السعي الدونكيشوتي والسعي السيابي) والمقارنة بينهما لا يتقبلهُ المنطق العادي وإنما يتقبلهُ المنطق الشعري، وهذا جمال الشعر الذي ينقلنا عبر فضاءات متضادة ومشاعر شتى.

الخاتمـــة

وفي ختام رحلتنا مع هذا البحث خرجنا بجملة من النتائج نسطرها على النحو الآتي:

- كشف البحث أن أغلب الثقافات تعلي النهار على الليل لأسباب سوسيولوجية (اجتماعية)، وأسباب إكيولوجية (بيئية) تعدى هذا إلى المستوى الديني الذي جعل للنور إلهاً لأن النهار ظرف زماني يتيح للإنسان ممارسة نشاطاته ، ويبعد عنه التفكير في المصير المحتوم.
- كشف البحث أن الليل يهتم بالجانب العاطفي الوجداني(كالهموم والشكوى والخوف) بوصفه وسيلة المعرفة الرئيسة من الحي إلى الميت ومن الطبيعي إلى الميتافيزيقي ،في حين أن العقل يسود بأحكامه عند قانون النهار (النور).

- كشف البحث أن الليل ووجدانه يتعلق بالجانب المظلم (الفناء والموت والعدم)، فالأولوية فيه على الفكر وإعماله في هذا الكون، على العكس من قانون النهار الذي يجعل الفكر أساس الوجود كله، لذا اقترن بالجانب المشرق (الخير والحياة والفرح والبراءة والسمو).
- إن فكرة وجدان الليل هي فكرة فلسفة تبناها شبنجلر عندما تحدث عن أطوار الحضارة الأوربية التي ستنتهي إلى طور الاضمحلال والأفول بدلاً من قانون النهار بوصفه المتحكم الأول في أطوار النمو والتطور والنضوج للحضارة.
- كشف البحث أن وجدان الليل وإن كان يطلق على الحضارة وأفولها فيمكن أن ينسحب على الذات أيضا فيأخذ الجانب السلبي المظلم، عكس ثقافة النهار التي تمثل جانب النمو والتطور للحضارة والإنسان معاً، فالنهار يبرز الإمكانيات بينما الليل ووجدانه يغيب هذه الإمكانيات، فالذات مستغرقة في همومها.
- لقد كانت رؤية السياب متوافقة مع رؤية شبنجلر، إذ قرن النص السيابي الليل في دلالتهالسلبية بالخوف والعزلة والأشباح والانحطاط القيمي والروحي، إذ تمارس فيه كل التجاوزات على القيم الروحية والأخلاقية ،كما قرن الموت بالظلام والعدم، فتجسدت رؤيته من خلال حضور عوالم أسطورية مازجاً فيها بين ما هو فردي آني وما هو كوني محطماً أضلاع الزمن الثلاث مواشجاً الماضي بالحاضر والمستقبل.
- مثل النهار عند السياب الانفتاح والتجدد والخصب مبشراً بالثورة والتغيير ،فلا وجود لرموز الشر في النص السيابي نهاراً ،ولا تقتصر روعة النهار على الجنس البشري حسب بل إن نعماء النهار– إذا جاز لنا التعبير– ذات طابع شمولي تجنيها أجناس الوجود كافة .

---

* هواوسفالد أرنولد غوتفيريد شبنجلر ولد في مدينة بلانكبرج في ألمانيا عام ١٨٨٠م وتوفي عام١٩٣٦م فيلسوف ومؤرخ ألماني، أهتم بالفن الرياضيات والمنطق، أصدر العديد من المؤلفات مثل الإنسان والتقنية، وتدهور الحضارة الغربية،وأفول الغرب ، عرف بنظرته المتشائمة. ينظر: الثقافات والحضارات لدى شبنجلر، فاطمة حافظ، https://islamonline.net

(١) ينظر: الموت والعبقرية ، عبد الرحمن بدوي: ٣٠.

(٢) ينظر: نداء الحقيقة مع ثلاثة نصوص عن الحقيقة لهيدجر ،عبد الغفار مكاوي: ٨٠.

(٣) ينظر الموت والعبقرية: ٣٠.

(٤) ديوان أمرى القيس: ١٨-١٩.

(٥) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١٧٢/٢.

(٦) فالهم هو الطابع الأصلي للوجود لذا يعرفه هيدجر بأنه الوجود الذاتي مع الإمكان بالفعل في العالم . ينظر: الموت والعبقرية:٢٢-٢٣.

(٧) ديوان بدر شاكر السياب: ٢٢٠ - ٢٢١.

(٨) Albinus, Lars (2000) . The House of lades studies in ancient Greek eschatology. Aarhus 67 university press: Aarhus.

(٩) هو أحد أمراء بني هلال بن عامر من هوازن، قائد الجيوش العربية في غزوة هجرة بني هلال في القرن الخامس والسادس الهجري، وهو شخصية مشهورة في التراث الشعبي نسجت حوله الكثير من القصص والأساطير والملاحم بسبب خوضه غمار كثير من المعارك في عصر الدولة الفاطمية ولاعتماد بطولته على دعامتين :(شجاعته، وحيلته) عبر تنكره بأي زي وتحدثه بأية لغة. ينظر: أبو زيد الهلالي، https://ar.m.wikipedi.

(١٠) سورة الرعد، من الآية: ١٧.

(١١) ديوان بدر شاكر السياب: ١٢٢.

(١٢) المصدر نفسه: ١٣٢.

(١٣) ينظر: ديوان بدر شاكر السياب، والقصيدة من ديوان أنشودة المطر: ٥٠٩.

(١٤) ينظر: نداء الحقيقة :٨٠.

(١٥) ديوان بدر شاكر السياب: ١٦٨.

(١٦) ومن قصائده: عرس في القرية :٣٤٤، قافلة الضياع:٣٧٠، جيكور والمدينة:٤١٦،الأسلحة والأطفال:٥٨٦ .

(١٧) ديوان المتنبي:١٧٥.

(١٨) ديوان بدر شاكر السياب: ١٥٣.

(١٩) ينظر: شبح، https://ar.m.wikipedia.org .

(٢٠) ومنه قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) سورة الصافات ،الآية ١٠.

(٢١) إذ تقول الأسطورة أن وحشاً كان نصفه ثور ونصفهُ إنسان يتغذى على لحوم البشر، فترسل الملكة كل عام مجموعة من الفتيان والفتيات إلى المتاهة ليلتهمهم الوحش، فوقع الاختيار على (ثيسيوس) محبوب الأميرة (إريا)، فأعطته خيطاً، وعندما دخل المتاهة، فك لفافة الخيط، وسار ممسكاً بطرفه إلى أن وصل إلى الوحش، فأرداه قتيلاً، ثم عاد متتبعاً الخيط إلى أن وصل إلى بر الأمان. ينظر: البحث عن الحضارة المينوية أو الكريتية أو الإيجيةwww. Al-mstba .com

(٢٢) ديوان بدر شاكر السياب:١٧٠ .

(٢٣) على سبيل المثال، مغامرة أمرى القيس مع فتاة الخدر، ينظر: ديوان إمرئ القيس ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم:١٠، ومغامرة عمر بن أبي ربيعة مع نُعم، ينظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له: فائز محمد :١٢٢.

(٢٤) إذ يقول: مثلت في الذكرى هواك وفي الكرى والذكريات صدى السنين الحاكي.

ينظر: الشوقيات ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي، تح: عمر فاروق الطباع:مج١٢٤/٢.

(٢٥) ديوان السياب: ٢١٢-٢١٣.

(٢٦) ينظر: القارئ والنص العلامة والدلالة: ٨٢.

[٢٧] ينظر: الليل في الشعر الجاهلي، جليل رشيد فالح، مجلة آداب الرافدين، العراق، ع ٩، لسنة ١٩٧٨ م: ٥٣٧.

[٢٨] ديوان مجنون ليلى ، تح :عبد الستار أحمد فراج:١٤٥.

[٢٩] ينظر: نداء الحقيقة : ٧٧.

[٣٠] ديوان بدر شاكر السياب: ١١٨.

[٣١] سورة ق، الآية:٢٠.

[٣٢] سورة النمل، الآية: ٨٧.

[٣٣] سورة الزمر، الآية: ٦٨.

[٣٤] فمصير الذات مسألة حتمية واجهها أصحاب الفلسفة الثابتة بفكرة ثنائية الجسد والنفس، إذ يرون أن الذات الفيزيائية كتلة كريهة، تخضع للتغيير على عكس الذات الروحية، فهي أثيرية ينظر: الزمن في الأدب ،هانز مير هوف، تر: أسعد مرزوق:٣٨.

[٣٥] ينظر: دلالات المعرفة الدينية في معلقة امرئ القيس، عبد القادر الدامخي، مجلة آفاق الثقافة التراث، الإمارات، مج ١٠ ، ع٤٠، لسنة٢٠٠٣م: ١٢.

[٣٦] ديوان بدر شاكر السياب : ١٣١، ١٣٢.

[٣٧] ينظر: الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ، حسام الدين الألوسي:٤١.

[٣٨] ديوان بدر شاكر السياب :٢١٦.

[٣٩] يقول عنترة : ولقد خشيتُ بأنْ أموتَ ولم تدُرْ للحرب دائرةٌ على ابني ضمضمِ

ديوان عنترة:٢٢١.وينظر:شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي:١٨٦.

ويقول جميل بثينة : ولقد خفت أن ألقى المنية بغتةً وفي النفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هيا

ديوان جميل بثينة :١٤٠.

ويقول طرفة : فلولا ثلاثٌ هنَّ من حاجة الفتى وَجَدِك لَم أحفل متى قام عُوَّدي

ديوان طرفة بن العبد، شرح: الأعلم الشنتمري:٤٥-٤٦.

[٤٠] ينظر: جدلية الحياة والموت نصوص ومقاربات، حيدر الجراح، مجلة النبأ ،ع ٣٥ ،السنة الخامسة،١٤٢٠هـ https//:annabaa.org

[٤١] ديوان بدر شاكر السياب : ١٧٤.

[٤٢] فقد ورد عن أبي هريرة عن (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) حديثاً قال فيه : "إذ سمعتم صياح الديكة فسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً...) صحيح البخاري ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق باب خير المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال الحديث رقم ٣١٢٧ ، ج ٦ /٤٠٦ . ومما جاء في الثقافات القديمة أن الديك عندما يصيح تفر الأشباح والعفاريت ليطل النهار ويزول الخطر عن شهرزاد، فتبقى حية إلى اليوم الثاني وهكذا دواليك ينظر: ألف ليلة وليلة، عبد الله بن المقفع: مج ١٠/١.

[٤٣] ومنها قوله تعالى: (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ) سورة الشعراء ، الآية (١٧٣).

[٤٤] ينظر: البيان والتبين، تح : عبد السلام هارون : ٢٠/١.

[٤٥] ومن ذلك قوم عاد لقوله تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) سورة الحاقة ، الآية: ٦ .

[٤٦]من ذلك قول مجنون ليلى: ألاّ هَلْ إلى شَمِّ الخُزامَى ونظرةٍ إلى قَرْقَرى قبل الَمماتِ سبيلُ

ديوان مجنون ليلى:١٧٣.

[٤٧] ديوان بدر شاكر السياب :١٩١-١٩٢.

[٤٨] ينظر: الكتاب المقدس:٤-٥ والمغيب والمعلن قراءات معاصرة في نصوص تراثية ، نادية غازي العزاوي:١٥. كما تذهب الإسرائيليات إلى أن الحية هي من أدخلت إبليس إلى الجنة بعد طرده منها ليتمكن من حمل آدم (عليه السلام) على ارتكاب الخطيئة .ينظر: تفسير الطبري، محمد جرير الطبري:ج١/٥٢٦-٥٣٠.

[٤٩] ديوان بدر شاكر السياب: ١٤٠.

[٥٠] دونكيشوت هو بطل رواية دونكيشوت أو دون كيخوتي للكاتب الاسباني ميغيل دي ثيربانتس، رجل نبيل مولع بقراءة كتب الفروسية التي أذهبت عقله، ووصف بفارس الظل الحزين. ينظر: دون كيخوتي https://ar.m.wikipedia.org

ثبت المصادر والمراجع

الكتب(المصادر والمراجع العربية):

- ألف ليلة وليلة، عبد الله المقفع (ت٧٥٩هـ)، طبعت على نفقة :سعيد علي الخصوصي وأولاده، مصر،١٩٥١م.
- البيان والتبين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ،تحقيق: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة،(د.ت).
- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،محمد جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، وعصام فارس ،مؤسسة الرسالة،١٤١٥هـ -١٩٩٤م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ،مصر، ط ٢، ١٩٦٤،٥ م.
- ديوان بدر شاكر السياب ، تقديم :ناجي علوش دار العودة ، بيروت،٢٠١٦م.
- ديوان جميل بثينة، دار صادر ،بيروت،(د.ت).
- ديوان طرفة بن العبد، شرح: الأعلم الشنتمري، تحقيق: درية الخطيب، لطفي الصقال ، المؤسسة العربية ، بيروت، لبنان، إدارة الثقافة والفنون،البحرين،ط٢،٢٠٠٠م.

- ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: د. فائز محمد، دار الكتاب العربي،بيروت،ط٢،١٩٩٦م.
- ديوان عنترة ،تحقيق ودراسة :محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي ،١٩٦٤م.
- ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر،بيروت،١٩٨٣م.
- ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح :عبد الستار أحمد فراج، مطبوعات مكتبة مصر،١٩٧٩م.
- الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم ، حسام الدين الألوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١،١٩٨٠م.
- الزمن في الأدب ،هانز مير هوف، تر: أسعد مرزوق، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة ، نيويورك،١٩٧٢م.
- شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان،٢٠١٢م.
- الشوقيات ديوان أمير الشعراء أحمد شوقي، حققه وقدم له: د.عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت –لبنان، المجلد ٢،(د.ت).
- صحيح البخاري ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، كتاب بدء الخلق باب خير المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال الحديث رقم ٣١٢٧ .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو الحسن ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) ، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد ،ط٣،مطبعة السعادة ،مصر ،١٩٦٣م.
- القارئ والنص العلامة الدلالة، د. سيزا قاسم، المجلس الأعلى للثقافة ،الكويت،(د.ت).
- الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)،دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، لبنان،١٩٩٦م.

✓ المغيب والمعلن :قراءات معاصرة في نصوص تراثية ،نادية غازي العزاوي ،دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية)،٢٠٠٢م.

✓ الموت والعبقرية، عبد الرحمن بدوي ،دار القلم ، بيروت ،١٩٤٥م.

✓ نداء الحقيقة مع ثلاثة نصوص عن الحقيقة لهيدجر، عبد الغفار مكاوي، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة ، بريطانيا،٢٠١٧م.

المصادر الأجنبية:

✓ Albinus, Lars (2000) . The House of lades studies in ancient Greek eschatology. Aarhus 67 university press: Aarhus.

البحوث المنشورة في الدوريات:

✓ دلالات المعرفة الدينية في معلقة امرئ القيس، عبد القادر الدامخي، مجلة آفاق الثقافة التراث، الإمارات ،مج١٠، ع٤٠، لسنة٢٠٠٣م.

✓ الليل في الشعر الجاهلي، جليل رشيد فالح، مجلة آداب الرافدين، العراق، ع ٩، لسنة ١٩٧٨م.

البحوث المنشورة على الشبكة الدولية:

✓ أبو زيد الهلالي. https://ar.m.wikipedi

✓ البحث عن الحضارة المينوية أو الكريتية أو الإيجية www. Al-mstba .com

✓ الثقافات والحضارات لدى شبنجلر ، فاطمة حافظ، https://islamonline.net

✓ جدلية الحياة والموت نصوص ومقاربات، حيدر الجراح، مجلة النبأ ، ع ٣٥ ،السنة الخامسة،١٤٢٠هـ . https//:annabaa.org

✓ دون كيخوتي https://ar.m.wikipedia.org .

✓ شبح https://ar.m.wikipedia.org .

أثر معاجم الغريب اللغوي في تأصيل تفسير القرآن الكريم – دراسة تطبيقية

بحث مقدم لغرض الترقية العلمية

أ. م. د. طه حميد حريش الفهداوي/ ديوان الوقف السني – مدير مساجد أوقاف الأنبار

الملخص

تُعدُّ اللغة العربية من أفضل العلوم لتعلقها بالقرآن الكريم وبيان معانيه، وقد تسابق العلماء والباحثون قديما وحديثا الى بيان معناه وفهم آياته والبحث عن علومه وحقائقه، وتبيين إعجازه، وإظهار محاسنه على مرِّ العصور، وما زال غزير المعاني، عظيم الفوائد وقد كان لكتب ومعاجم الغريب اللغوي دور في بيان مفردات القرآن الكريم وفهم ما أشكل منه وتقريب معانيها، مما ساهم في تطور جوانب التفكير اللغوي والابداع العلمي وبيان الاحتياج الكبير لتلك المصادر وفهم القرآن الكريم.

The impact of the strange linguistic dictionaries In the rooting of the interpretation of the Noble Qur'an

Dr. TAHA HAMEED HURAISH: Director of mosques Anbar Province

Summary

The Arabic language is one of the best sciences because of its connection to the Holy Qur'an and its meanings Scientists and researchers, ancient and modern, have raced to clarify its meaning, understand its verses, and search for its sciences and facts Explain its miraculousness, and show its merits throughout the ages It is still abundant in meaning, great in benefits The books and dictionaries of the linguistic stranger had a role in clarifying the vocabulary of the Noble Qur'an and understanding what was confused of it and approximating its meanings Which contributed to the development of aspects of linguistic thinking and scientific creativity and the great need for these sources and understanding of the Holy Qur'an.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فتُعدُّ العربية من أفضل العلوم لتعلقها بالقرآن الكريم وبيان معانيه، وقد تسابق العلماء والباحثون قديما وحديثا الى بيان معناه وفهم آياته على أدق تفصيل، الذي يُحقق معنى تدبر كتاب الله عز وجل، ومداومة دراسته، والبحث عن علومه وحقائقه، وتبيين إعجازه، وإظهار محاسنه على مرِّ العصور.

أهمية الموضوع وسبب اختيار: تظهر في كون القرآن العظيم هو كلام الله المعجز الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يَتَخَلقُ من كثرة القراءة، فما أجدر بالأوقات أن تُشغل به فهذا الكتاب العظيم قد أنزله الله- جل وعلا- على الرسول ﷺ وقد أوضحه للناس وبيّن لهم ما جاء فيه من أوامر ونواهٍ، وأدركوا أحكامه، وفهموا آياته لأنه نزل بلغتهم، وجاء على وفق أساليبهم وكلامهم، ما زال غزير المعاني، عظيم الفوائد يعلو من تقرب اليه فعسى أن ننال شرف المساهمة.

الهدف من هذا البحث: بيان دور معاجم الغريب اللغوي في بيان مفردات القرآن الكريم وكيفية الاستفادة منها في فهم ما أشكل من آيات الذكر الحكيم وتوضيحها للناس وتقريب معانيها، الذي بادر الى جمعه وبيانه عدد كبير من العلماء والمصنفين والاطلاع المشرق على جوانب التفكير العربي الإسلامي في بيان المعاني اللغوية والابداع العلمي في ذلك التراث الرائد.

إشكالية البحث: تعالج الاحتياج الكبير الى تلك المصادر وبيان أهميتها في تفسير كلمات القرآن الكريم بعدما انتشرت وتوسعت البلاد الإسلامية ودخل في العربية ما ليس منها واستعربت مفردات واستغربت أخرى فقصر الفهم العربي وقلَّ الاستعمال اللغوي لبعض المفردات مما انعكس على فهم معاني القرآن الكريم.

فرضية البحث: تكمن وفق الأسئلة التالية:

ما هو مفهوم الغريب اللغوي؟ وما هي مصادره ؟ وما دورها في تأصيل تفسير القرآن الكريم؟

خطة البحث والمعالجة: وللاجابة عن ذلك اقتضت خطة البحث أن يتكون من مقدمة وفيها أهمية الموضوع والعمل فيه، وتمهيد فيه بيان المفاهيم ، ومبحثين وخاتمة، فالمبحث الاول يضم : التأصيل اللغوي للغريب واثره في تفسير القرآن الكريم، وفي المبحث الثاني: ذكرت : التطور الدلالي للغريب وأثره في بيان ألفاظ القرآن الكريم، ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات، ومن الملاحظ تأخير كتابة بطاقة الكتاب ومعلومات النشر كاملة في قائمة المصادر والمراجع حتى لا تزدحم الهوامش، لضيق صفحات البحث.

كلمات مفتاحية: معجم، غريب، لغة، تفسير، قرآن.

المبحث الأول: التأصيل اللغوي للغريب واثره في تفسير القرآن الكريم

المطلب الأول: مفهوم الغريب وموقف العرب منه والتصنيف فيه:

أولا: الغريب في اللغة والاصطلاح:

١- في اللغة: تأتي بمعان مختلفة، منها الغَرْبةَ: النوى والبُعد والتباعد والغَريبُ: الغامض من الكلام، والتغريب: النفي عن البلد واغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه [١]، وفي الحديث **((اغتربوا ولا تضووا))**[٢]، والمغرِّبونَ بكسر الراء المشددة من دخل فيهم عرق غريب، أو من نسب بعيد[٣].

٢- في الاصطلاح: كل شيء فيما بين جنسه عديم النظر فهو غريب[٤]، والغريب من الكلام هو الغامض البعيد من الفهم كما أن الغريب من الناس هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل، بسبب إرادة معنى بعيد غامض لا يفهم إلا عن بُعدٍ ومُعاناةِ فكر أو يُراد به كلام من بَعُدَتْ به الدار من شواذ قبائل العرب فإذا قال كلمة من لغاته استغربتْ[٥]، فقد جاء في القرآن ألفاظ أُصطُلح على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنها مُنكرة أو نافرة أو شاذة، فإن القرآن الكريم منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة هاهنا هي التي تكون حسنة

مستغربة في التأويل، بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس[٦]، فهو لم يضم في نسيج كلماته إلا ما هو معروف، وإن عزت معرفة بعض كلماته على بعض الناس فليس هذا دليلاً على أنه يحوي الغريب الذي لا يُفهم، فالعيبُ هو عيبُ من لم يُحط باللغة ولم يستوعب كلام العرب؛ لأن القرآن بَيّنٌ نزل بلسان عربي، مع عدم الانكار أن هناك كلمات في اللغة وسمت بالفصاحة واتصفت بالغرابة في قوة جرسها، وصوت ألفاظها، وتناسق حروفها، فهذه الكلمات غير غريبة عند أرباب الفصاحة والبيان، ولكنها غريبة عند من لم يعاشر الأعراب، ويستمع إلى كلامهم ويتبين مواقع ألفاظهم[٧].

ثانيا: موقف العرب من الغريب: اختلف العلماء في مسألة فهم الغريب اللغوي، فيرى ابن قتيبة والحربي والسيوطي وغيرهم أن العرب لا تستوي في المعرفة بجميع ما في القرآن الكريم من الغريب والتشابه، بل لبعضها الفضل في ذلك على بعض، والدليل عليه قوله –عز وجل– ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[٨]، ثم ذكر قول بعض الصحابة لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إنك لتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه، ونحن العرب حقاً؟ فقال: ((**إن ربي علمني فتعلمت**))[٩] فقد يسر الله هذا القرآن فأنزله بلغات العرب وهي لغات شتى وإن كانت أم آياته بأفصح اللغات وأعذب الألسنة لغة قريش، فقامت الحاجة لتوضيح القرآن وبيان مقصده لكل قبيلٍ، والعرب قد تفوتهم ألفاظ لا يدركون معناها ويخفى عليهم تأويلها، فيسألون غيرهم عنها، وقد استفاض عن عدد من الصحابة غموض ألفاظ قرآنية عليهم وخفاء معانٍ لكلمات نبوية حتى سألوا عنها فاتضح الغامض وظهر الخفي، ووفد هذا الدين على العرب بألفاظ ما كان لهم بها عهد ومعانٍ ما جالت لهم بفكر، فاستُحدِثَت ألفاظ مما كانوا يعرفون، وجُعل بين تلك المعاني أوثق رباط، فاحتاجوا إلى توضيح ما لم يسبق لهم به علمٍ أو خبر، وإن كان من لغتهم قد أُخذ ومن منطقهم قد أُنتُزِع وقد يكون مرجع الغَرَابَة جهلُ السامعِ بلغةُ القوم، لقلةِ بضاعتهم من لسانهم فيخفى عليه ما لا يخفى على مثله منهم)[١٠] ويمكن أن النبي ﷺ لم يفسّر القرآن الكريم كله متتبعاً سورهُ ليُفسِّرها آية آية، وكلمة كلمة كما يفعلُ المُفسرُون، إنه لو فعل ذلك لأغلق باب التفسير، ووقفت حركة الاجتهاد، وبذلك يتجمد الفكر وتتعطل الأحكام المتجددة في ضوء تجدد الأزمان والعصور. والإسلام من أخص خصائصه إتاحة الطريق للأفكار العطشى أن تنهل من معين القرآن ما شاء لها أن تنهل بشرط أن تكون أدوات التفكير كاملة، ومتطلبات البحث متوافرة، ومن ثم ازدهر التفسير وتعددت مناهجه عبر القرون إلى يومنا هذا، فالنبي ﷺ فسر فقط بعض ما أشكل من غريب القرآن الكريم الذي عزَّ فهمهُ على بعض أصحابه، كما أنه وضَّح لأصحابه بعض المشكلات المتعلقة بالآيات في مجال العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع والأحكام [١١] فالقرآن نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر ومع سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر[١٢]. ويرى ابن خلدون أن العرب جميعاً يفهمون معاني القرآن وألفاظه، وأسرار تراكيبه، فما داموا عرباً خُلَّصاً فإنه لا يَصعَبُ عليهم ذلك، فمن الطبيعي أن يفهموا ألفاظه، ويدركوا أسلوبه، فهو قرآن عربي نزل بلغتهم وهم حين ذاك في قمة الفصاحة والبلاغة[١٣]، والذي يبدو أن هذا القول على اطلاقه مبالغة وتجويز كبير لأن العرب أمة فيهم البليغ وغير البليغ، وفيهم من علا كعبهُ، وارتفع شأنه في فصاحة القول، ومنهم من دون ذلك، فهو ينفي اختلاف العقول وتفاوت المدارك والفهم [١٤]، وقد استخدمت بعضُ مصادر الغريب الشعرَ العربي وجعلته مصدراً في الاحتجاج وتفسير كثير من كلمات القرآن

الكريم والكشف عن الأصل اللغوي للمفردة القرآنية، حتى فرقوا بين شعر البدو وشعر الحضر، وقضية التفريق بين شعر البيئتين بقيت معمولاً بها حتى أوائل القرن الرابع الهجري[١٥]، كإجابات ابن عباس رضي الله عنهما عن سؤلات نافع بن الأزرق التي تمثل أول محاولات تفسير القرآن لغوياً، للكشف عن دلالات الألفاظ القرآنية[١٦]، مثل تفسيره لصفة الله- تعالى- (سُبُّوح)[١٧] بأنه: مبني على "فُعول"؛ من "سبح الله" إذا نزهه وبرأه من كل عيب ومنه قيل: سبحان الله؛ أي تنزيهاً لله، وتبرئةً له مستشهدا بقول الشاعر: **أقول لمَّا جاءنا فخرُهُ سُبحان من عَلْقَمةَ الفاخِرِ**[١٨] وقال: (أراد التبرؤ من علقمة) وغيرها كثير[١٩] وكذلك تفسير للفظ (آياتُ)[٢٠] بالعلامات والعجائب وفسر (الآية) من القرآن بأنها: (كلام متصل إلى انقطاعه، وقيل معنى آية من القرآن: أي جماعة حروف، يقال: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم) محتجا بقول الشاعر: **خرجنا من النقبين لا حيّ مثلنا بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا**[٢١]، وكذلك للفظة (الإثم): (الإثم والأثام اسم للأفعال المبطئة عن الثواب، وجمعهُ آثام) [٢٢] ذاكرا قول الشاعر: **جُماليةٌ تغتلي بالرّوادف إذا كَذَبَ الآثِماتُ الهَجيرا**[٢٣]، وقد يتضمن تفسير الكلمات الغريبة ذكر الأمثال والأقوال السائرة لتشبيه حال الثاني بالأول [٢٤]، نحو تفسير لفظة (عوان) المذكورة في قوله- تعالى- ﴿**إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ**﴾ [٢٥] ففسر الفارض بالمسنة والبكر بالصغيرة ثم قال عن (عوان): (بين تينك)، ثم قال: (ومنه يقال في المثل: "العَوَان: لا تُعلَّم الخَمِرَة" يراد أنها ليست بمنزلة الصغيرة التي لا تُحسن أن تَخْتمر) [٢٦]، ولفظة (الممرد) المذكورة في قوله- تعالى- ﴿**قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ**﴾[٢٧](الأملس، يقال: مَردت الشيء إذا بلطته وأملسته، ومن ذلك "الأمرد" الذي لا شعر على وجهه، ويقال للرملة التي لا تُنبت "مرداء" ويقال: الممرد المطول)، واستدل على المعنى الأخير بالمثل بقوله (ومنه قيل لبعض الحصون: مارد، ويُقال في مَثَلٍ "تمرد مارد وعزَّ الأبلق" وهما حصنان) [٢٨]، ولفظة (جاثية) معناها (باركة على الركب) لما ورد عن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ: **(أنا أول من يجثو للخصومة)** [٢٩] ، وكتفسير قوله- تعالى- ﴿**صَعِيداً جُرُزاً**﴾[٣٠] : (أي منقطع النبات من أصله، وأرض مجروزة أكل ما عليها، والجَروز الذي يأكل على الخِوان) لقولهم في مثلٍ "لا ترضى شانية إلا بجزرة" أي باستئصال) [٣١].

ثالثا: أسباب ظهور الغريب والتصنيف فيه : لقد اعتنى العلماء قديما وحديثا بالغريب اللغوي عموما وبغريب القرآن الكريم خصوصا؛ لأنه يتعلق بكتاب الله المعجز أولا وبلغته ثانيا، فكان لظهور كتب الغريب أسباب عدة، منها:

١. كان الله تعالى قد أعلم نبيَّه ما لم يكن يعلمُهُ غيره، وكان أصحابه يعرفون أكثر ما يقوله، وما جهلوه سألوه عنه ﷺ فيوضحهُ لهم ولم يتيسر ذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.
٢. كان اللسان العربي في عصر الصحابة صحيحاً، لا يتداخله الخلل، إلى أن فُتحت الأمصار وخالط العربُ اجناساً مختلفة، فامتزجت الألسن، فتعلم الأولاد من اللسان العربي ما لابُدّ منه وتركوا ما عداه.
٣. استحال اللسان العربي أعجمياً في عصر التابعين، فصرف العلماء طرفاً من عنايتهم إليه فألفوا فيه حراسةً لهذا الدين[٣٢].

٤. ان هذا الدين قد وفد على العرب بألفاظ ما كان لهم بها عهد، ومعان ما جالت لهم بفكر، أو قد يكون مرجع الغرابة جهل السامع لغة القوم وقد يسر الله هذا القرآن فأنزله بلغات العرب، وهي لغات شتى وإن كان أم آياته بأفصح اللغات وأعذب الألسنة، لغة قريش، فقامت الحاجة لتوضيح القرآن وبيان مقصده لكل قبيل. والعرب قد تفوتهم ألفاظ لا يدركون معناها ويخفى عليهم تأويلها، فيسألون غيرهم عنها، وقد استفاض عن عدد من الصحابة غموض ألفاظ قرآنيةٍ عليهم ومعانٍ لكلمات نبوية، حتى سألوا عنها فاتضح الغامض وظهر الخفي[٣٣].

٥. استحداث ألفاظ مما كانوا يعرفون، وجعل بينها وبين تلك المعاني أوثق رباط، فاحتاجوا إلى توضيح ما لم يسبق لهم به علم أو خبر، وإن كان من لغتهم قد أُخذ ومن منطقهم قد انتُزِع وقد يكون مرجع الغربة جهل السامع بلغة القوم، لقلة بضاعتهم من لسانهم فيخفى عليه ما لا يخفى على مثله منهم، قيل لأعرابي أسألك عن حرف من الغريب، فقال: هو كلام القوم إنما الغريب أنت وأمثالك من الدُخلاء [٣٤].

٦. حث النبي ﷺ على تعلّم القرآن ومعرفة غرائبه قالﷺ: ((أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه))[٣٥] وقالﷺ: ((من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات))[٣٦] والمقصود بالإعراب هو ما يقابل اللحن وليس الإعراب النحوي لأن هذا المصطلح لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ وإنما اراد معرفة معاني ألفاظه [٣٧]، فقد ابتدأ هذا العلم منذ الصدر الأول للإسلام، اذ وقف الصحابة– رضوان الله عليهم– إزاء طائفةٍ من الألفاظ القرآنية حائرين لا يفهمون معانيها بشكل واضح وكان الرسول ﷺ مرجعهم آنذاك في كل ما خُفي عليهم من معاني ألفاظ القرآن وقد مثلنا على توضيحه ﷺ لمجموعةٍ من الآيات القرآنية التي خفيت معانيها على الصحابة ، وبعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كان الصحابة لا يزالون يجهلون معاني بعض المفردات القرآنية ومثال ذلك ما روي (أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿**وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا**﴾ [٣٨] فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو الكلف يا عمر، وأخرج عن طريق مجاهد عن ابن عباس قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها)[٣٩] ثم تبنى ابن عباس هذا العلم، وبعده توالت التصانيف وأفرده بالتصنيف خلائق كثيرون [٤٠]، ومن هذه الكتب مطبوع ومتداول وهناك أخرى من المخطوطات[٤١]، نحو:

١. سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس: تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي.
٢. مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد فؤاد.
٣. تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر.
٤. غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، للسجستاني (ت٣٣٠هـ).
٥. كتاب الغريبين غريبي القرآن والحديث: لأبي عبيد الهروي (ت٤٠١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناجي.
٦. العمدة في غريب القرآن: المنسوب لمكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ).
٧. المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ).

٨. بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب: علي بن عثمان بن إبراهيم المارديني المعروف بابن التركماني (ت٧٥٠هـ)، تحقيق: خالد محمد خميس.

٩. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: لابي حيان الغرناطي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي.

المطلب الثاني: وعلاقة الغريب بالقراءات القرآنية : يُعَدُّ القرآن الكريم المصدر الرئيس في الكشف عن دلالات الألفاظ والتراكيب، لانه يحافظ على تأصيل المفردات وتعدد معانيها من خلال السياق القرآني، وتكون على ذلك علم الوجوه والنظائر، فهو عماد اللغة، الذي تدين له اللغة في بقائها ونقائها وصفائها وسلامتها وتستمد منه علومها وفنونها على كثرتها وتنوعها وبه شرفت وفاقت سائر اللغات في أساليبها ومادتها [٤٢]، فالقرآن (هو الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته)[٤٣] وقد جاء شاملا للعلوم والفنون ومنها تعدد الأوجه البلاغية والنحوية وغيرها وتلتحق القراءات بباب الاستشهاد المتواتر منها وكذلك الشاذة على خلاف في الاحتجاج بها من أداء النصوص القرآنية سواء كانت المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها[٤٤]، كتفسير لفظة (فأزلهما): من الزلل بمعنى استزلهما، تقول: زلّ فلان وأزْللته، ومن قرأ: "فأزالهما" أراد نحّاهما، من قولك: أزلتك عن وضع كذا أو أزلتك عن رأيك إلى غيره [٤٥] وقوله تعالى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا**﴾[٤٦]، أراد أو نُنْسِكها، من النسيان، ومن قرأها "أو ننسأها" بالهمز، أراد: نؤخِّرها فلا ننسخها إلى مدة[٤٧] وقوله تعالى: ﴿**أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾[٤٨]، أي أسترها من نفسي، وكذلك هي في قراءة أبي "أكاد أخفيها من نفسي [٤٩] وقوله تعالى: ﴿**فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**﴾[٥٠]، فللَّفظة معانٍ عدة مثل: الحنطة والخبز جميعاً، والحبوب، والثوم ومعنى (فومها) يقال: هو الثوم والعرب تبدل الثاء بالفاء فيقولون جَدَث وجدف، والمغاثير والمغافير، وهذا أعجب الأقاويل ؛ لأنها في مصحف عبد الله: وثومها [٥١] وهذا الإبدال من أنه لتقارب مخرجيهما واتفاقهما في الرخاوة[٥٢] وقوله تعالى:﴿**فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ**﴾[٥٣]، أي: اعملوا ذلك واسمعوا وكونوا على أذن منه، ومن قرأ: فآذِنوا: أي فأعلموا غيركم ذلك[٥٤] ومثله في قوله تعالى: ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ**﴾[٥٥]، أي: تَقبلُونه، وقرئت: تَلِقونه، من الوَلق: هو استمرار اللسان بالكذب [٥٦] وقوله تعالى: ﴿**وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ**﴾[٥٧]، قُرئ "وإلاهَتَكَ" إي عبادَتَك[٥٨] وقوله تعالى: ﴿**وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ**﴾[٥٩]، دَرَسْتَ العلم: تناولت أثره بالحِفظ، ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عُبِّر عن إدامة القراءة بالدَّرس، وقُرئ دارستَ، أي جاريت أهل الكتاب[٦٠] وكذلك لفظة (الأب) في قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾ [٦١]، إضافة إلى الوالِد تشمل كل من كان سبباً في إيجاد شيء، أو إصلاحه، أو ظهوره وبه ولذلك يسمى النبي ﷺ أبا المؤمنين [٦٢] وفي بعض القراءات: وهو أب لهم [٦٣] وقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ**﴾[٦٤]، فدل باللفظين على أنه لا يجوز وطؤهن إلا بعد الطهارة والتطهير ويؤكد ذلك قراءة من قرأ: حتى يَطَّهرن، أي: يفعلن الطهارة التي هي الغسل[٦٥].

المبحث الثاني: التطور الدلالي للغريب اللغوي وخصائصه

المطلب الأول: مفهوم الدلالة وأنواعها وعلاقتها بالغريب اللغوي:

أولا: الدلالة في اللغة والاصطلاح:

١- **في اللغة:** مصدر الفعل دلَّ يدلُّ دِلالة ودُلالَة، والفتحُ أعلى بمعنى أرشدَ وهدَى، والدال والدليل: المُرشد إلى الطريق ومنها إبانة الشيء بأمارة تتعلمها او ما يتوصل به إلى معرفة الشيء [٦٦]، قال تعالى: ﴿**مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ**﴾[٦٧]، تعرف بالاستنباط، وبالرجوع إلى استعمالات العرب لتلك الألفاظ ودلالاتها وبكثرة النظر ومعرفة الاساليب[٦٨].

٢- **في الاصطلاح:** هي: كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول[٦٩] تقوم على العلاقة المتبادلة بين عنصرين مرتبط بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً، وهما الدال أو اللفظ، وهو الشيء الذي إذا عُلم بوجوده يستدعي انتقال الذهن إلى وجود شيء آخر هو المدلول أو المعنى وهو العنصر الثاني ينصرف إليه هذا اللفظ في الذهن من معنى [٧٠].

ثانيا : أنواع الدلالة وعلاقتها بالغريب: غالبا ما تخضع اللغة لتطورات الحياة والمجتمع، فيطرأ عليها تغييرات في أصواتها ومعاني مفرداتها، وتغيير المعنى جانب من جوانب التطور اللغوي، ينتج عن استعمال ألفاظ أو مفردات في غير ما وضعت له وتتبدل وتنحرف معاني طائفة أخرى منها لأسباب قد تكون اجتماعية أو نفسية [٧١].

الدلالة اللغوية: دلالة اللفظ على معنى بنفسه، التي تسمى الأصلية والمعجمية والوضعية يحد فيها العقل بين الدال والمدلول علاقة الوضع ينتقل لأجلها منه إليه [٧٢] ولابد لهذا الانتقال من زمن طويل قبل أن ينتهي إلى المعنى الأخير والذي يمثل ضرباً من التطور في تفكير الإنسان، وسُمواً في إدراكه [٧٣]، ومع هذا التغيير تبقى هناك علاقة تصحب المعنى الأول نحو الفعل "قضى" بمعنى "حَكَمَ" فالأصل فيه القطع الحسي، وهو من مادة "قضى" والفعل "عقل" بمعنى "فَهِمَ" فهو مأخوذ من قولهم: عَقَلْتُ البعير أعقله عقلاً، إذا جَمَعْتُ قوائمَهُ وشَدَدْتُهُ بالعقال)[٧٤]، فالأصل في (العقل) إذن: (الحبس والمنع والتقييد)[٧٥] فأول دلالة في الاستعمال اللغوي وهي الدلالة الأصلية وتكون عادة حسية ولا تكون معنوية إلا بعد تطور دلالي في استعمالها يفهم العالم بالوضع المعني من اللفظ على تمام ما وضع له... كدلالة الإنسان على مجموع الحيوان الناطق [٧٦]، وإذا جئنا إلى كتب غريب القرآن فنراهم يقفون عند الدلالة اللغوية، ثم ينتقلون الى بقية المعاني والدلالات المنقولة او المضافة فلفظة (الظُلم): (وهي في اللغة وضع الشيء في غير موضعه، ومنه ظلم السِّقاءِ وهو شربه قبل الإدراك؛ لأنه وضع الشُّرب في غير موضعه، وظلم الجزور هو نحره لغير علة. ومنه يقال: من أشبه أباه فما ظلم[٧٧]؛ أي ما وضع الشبه في غير موضعه، ومنه قول النابغة: "**والنُّوى كالحوض بالمظلومة الجلد**"[٧٨]، والمظلومة الأرض التي حفر فيها ولم تكن موضع حفر، سميت بذلك لأن الحفر وضع غير موضعه، فكأن الظلم وهو الذي أزال الحق عن وجهته وأخذ ما ليس له، وهذا وما أشبهه)[٧٩] وغالبا ما يعبّرون عنها بقولهم (وأصله) فمثلاً اسم الله (المؤمن): (وأصل الإيمان: التصديق، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾[٨٠]، أي وما أنت بمصدق ولو كنا صادقين [٨١]، ما أومن بشيء مما تقول، أي: ما أصدق بذلك، فإيمان العبد لله: تصديقه قولاً وعملاً وعقداً[٨٢] وقد سمى الله الصلاة في كتابه: إيماناً، فقال: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾[٨٣]، أي صلاتكم إلى بيت المقدس والعبد مؤمن أي مصدق محقق، والله مؤمن أي مصدِّق ما وعده ومحققه أو قابلٌ إيمانه، وقد

يكون المؤمن من "الأمان" أي لا يأمن إلا من أمنَّه الله [٨٤]، ولفظة (كفر)، الكُفر في اللغة ستر الشيء، ووصِف الليل بالكافر لستره الأشخاص، والزُرَّاع لستره البذر في الأرض، وليس ذلك باسم لهما كما قال بعض أهل اللغة والكافور اسم أكمام الثمرة التي تكفرها وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها.. وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو الشريعة أو النُبوة، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً والكفر في الدين أكثر.. إلخ[٨٥].

ثانياً: الدلالة الصوتية: هي التوليد الصوتي أو محاكاة الأصوات للدلالة على الجرس والإيقاع في لفظة أو تركيب معين على معنى التي تقابل الدلالة الوضعية[٨٦]، المتعلقة بين الصوت واللفظ كقول الخليل الفراهيدي (ت١٧٥هـ): (الصّوّقرير حكاية صوت طائر يصوقر في صياحه، نسمع نحو هذه النغمة في صوته)[٨٧] وقد سماه ابن جني (قوة اللفظ لقوة المعنى): (ومنه قولهم: خشن واخشوشن، فمعنى خشن دون معنى اخشوشن، لما فيه من تكرير العين، وزيادة الواو، ومنه قول عمر ﷺ: "اشخوشنوا وتمعددوا" أي صيروا ذوي خشونة، شبيهين بمعدٍّ– وهو من آباء العرب القدماء– في الخشونة في المأكل والملبس وغيرهما)[٨٨]، وأطلقوا عليها اسم (الأصوات المسموعة)[٨٩]، مثل (العواء، والخوار، والنقيق، والرغاء، والحفيف، والخرير...., إذا كانت هذه الوشائج القائمة بين صوت الكلمة ودلالاتها مما امتازت به اللغة العربية فهي في القرآن الكريم تصل إلى القمة في الاهتمام بالجرس والإيقاع في الكلمات والعبارات والمقاطع [٩٠] والقرآن يستعمل الألفاظ ذات الجرس الموسيقي الناعم الرخي، السلس الموحي في المواضع التي يشيع فيها جو من الحياة الهانئة السعيدة الجميلة... ويبدو العكس في مواضع كثيرة أخرى، إذ قد تتسم الموسيقى بالقوة والشدة المناسبة للمعنى الذي أراد تصويره وبيانه)[٩١]، كقوله تعالى: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾[٩٢]، إذ يلحظ أن الفعل اكتسب ورد بصيغتين مختلفتين هما (فعل) و(افتعل) فزيد في لفظة السيئة وانتقص من لفظ الحسنة، فبين أن السيئة لما كان أمرها عظيماً، فخم اللفظ المعبر عنها فقال سبحانه: "اكتسبت" وأن كسب "الحسنة" لما كان مستصغراً بأزائها قال "كسبت")[٩٣]، وكذلك لفظة (إدّارأتم)[٩٤]، (اختلفتم، والأصل: تدارأتم فأدغمت التاء في الدال وأدخلت الألف ليسلم السكون للدال الأولى، يقال: كان بينهم تدارؤٌ في كذا، أي اختلاف) فان كل زيادة في المبنى يقابلها زيادة في المعنى أو (أن كل زيادة تقتضي زيادة معنى)[٩٥]، فالله سبحانه يذكر لفظة أو صيغة لفائدة، فادَّارأتم غير تدارأتم، ويخصّمون غير يختصمون، فالتشديد والإدغام في موضع الشدة، فادّارأتم أي اختلفتم اختلافاً شديداً في أمر المقتول* ويخّصمون أي يختصمون خصومة شديدة أي الكفار الذين نزل بهم العذاب والصيحة [٩٦] وقوله تعالى: ﴿**أَنقَضَ ظَهْرَكَ**﴾[٩٧]، أي أثقل ظهرك حتى سمع نقيضه: أي صوته [٩٨] وهذا يعني أنه فسرها في ضوء العلاقة القائمة بين صوت اللفظة ودلالتها[٩٩] ولفظة (تهجرون) من الهجر والهذيان، وتهجرون أيضاً من الهجرة وهو الترك والإعراض، وتهجّرون بتشديد الجيم: تعرضون إعراضاً بعد إعراض فزيادة مبنى الكلمة التي أدّت إلى تثقيل اللفظة وتشديد الصوت أفادت زيادة في المعنى[١٠٠] وللفظة (قلّ)، تقلْقَل الشيء إذا اضطرب وتقلقل المسمار فمشتق من القلقلة وهي حكاية صوت الحركة [١٠١] ولفظة (زجر) الزجر طردٌ بصوت يقال: زجرته فانزجر... ثم يستعمل في الطرد تارة وفي الصوت أخرى... وقوله ﴿**مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ**﴾[١٠٢]، أي طرد ومنع عن ارتكاب المأثم وقال: ﴿**وَازْدُجِرَ**﴾[١٠٣]، أي طرد واستعمال الزجر فيه لصياحهم بالمطرود، نحو أن يقال: اغرُب، وتنّح، ووراءك [١٠٤].

ثالثاً: الدلالة المجازية: المجاز فهو: تحويل اللفظ عن ظاهره وإرادة الكلمة على غير ما وضعت له لمناسبة موجبة تثير في الذهن الغرابة والطرافة[١٠٥] فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الآخر، أو مجاوراً لها، أو مشاكلاً فيقولون للنبات نَوء؛ لأنه يكون عن النَوء عندهم... ويقولون للمطر سماء؛ لأنه من السماء ينزل [١٠٦] كقوله تعالى: ﴿**بَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[١٠٧]، فأصل البشارة: (الخبر ما يسر المخبر به، إذا كان سابقاً به كل مخبر سواه)[١٠٨]، وهذه هي الدلالة الأصلية للفظة (البشارة) وقد نبه السيوطي إلى ذلك في باب (تسمية الشيء باسم ضده)، فأشار إلى أن الفعل (بشَّر) يؤول إلى نوعين من الدلالة، الأولى: حقيقية والثانية مجازية مبيناً أن السبب في ذلك هو أن (البشارة الحقيقية في الخبر السار) وقد استعملت في الآية الكريمة استعمالاً مجازياً، فسلكت سبيل التهكم، إذ هي لفظة تدل على المدح مع دلالتها على نقيض هذا المعنى فتحمل دلالة الذم والإهانة والسخرية اللاذعة، ومما هو معلوم أن (البشارة) تكون في الأمور المحمودة السارة للمرء أما المُراد بها هنا فهو: توعد المشركين وإنذارهم بالويل وسوءُ العاقبة[١٠٩] وقوله تعالى ﴿**مَّن قَضَى نَحْبَهُ**﴾[١١٠]، أصل النحب: النذر، وكان قومٌ نذروا- إن لقوا العدو- أن يقاتلوا حتى يُقتلوا أو يفتح الله، فقتلوا فقيل فلان قضى نحبه إذا قتل فاستعير النحب مكان الأجل لأن الأجل وقع بالنحب وكان النحب له سبباً [١١١]، ولفظة (هيهات) كناية عن البعد، يقال: هيهات ما قلت: أي بعيد ما قلت، وهيهات لما قلت: أي البعيد ما قلت [١١٢] ولفظة (سبق)[١١٣]، التقدم في السير نحو قوله: ﴿**فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً**﴾[١١٤]، ويُتجوّز به في غيره من التقدم لقوله تعالى: (﴿**وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**﴾[١١٥]، أي نفدت وتقدمت ويستعار السبق لإحراز الفضل والتبريز لقوله: (﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**﴾[١١٦]، أي المتقدمون إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة.

رابعاً: الدلالة الشرعية: فعندما كانت العرب في الجاهلية على إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونَسائِكهم وقرابينهم، وجاء الإسلام حالت أحوالٌ ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت في اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخرى، بزيادة زيدت، وشرائع شرعت وشرائط شرطت، فعفى الآخر الأول نحو ما نقل عن أصله في اللغة، فسمي به فعل أو حُكم في الشرع، نحو الصلاة، والزكاة، والصوم، والكفر، والإيمان، والإسلام [١١٧]، كلفظة (المنافق) من نافقاء اليربوع، وهو جحر من جحرته ليخرج منه إذا أُخذ عليه الجُحُر الذي دخل فيه [١١٨]، ثم تحولت الى دلالة إسلامية فيقال: قد نَفَقَ ونافق شُبّه بفعل اليربوع لأنه يدخل من باب ويخرج من باب. وكذلك المنافق يدخل في الإسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد [١١٩] والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام [١٢٠]، ولفظة (الزكاة) فهي من الألفاظ الإسلامية التي لم تكن العربُ تعرفها بمعناها تعني إخراج نسبة من المال على وجه الوجوب وتوزيعها على الفقراء، لتكون عبادة مالية زكاءً وزكاة" أي: طهارة ونماءٌ أيضاً، وإنما قيل لما يجب في الأموال من الصدقة: زكاة؛ لأن تأديتها تُطهر الأموال مما يكون فيها من الإثم والحرام إذا لم يؤد حق الله منها، وتُنميها وتزيد فيها البركة وتقيها من الآفات [١٢١]، ولفظة (السجود) أصلها التطامن والتذلل وجُعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته [١٢٢].

خامساً: الدلالة العرفية: تعتبر اللغة كالكائن الحي، فهي دائمة النمو والتطور، ومفرداتها لا تستقر على حالة واحدة، إنما تتحول معانيها من معنى إلى آخر، حتى الدلالة المجازية والتي هي حالة متنقلة أو دلالة متحولة من المعنى الأصلي الحقيقي، قد لا تستقر في مجازيتها، فقد تفقد صفتها تلك وتستقر بها الحال إلى حقيقة عرفية

بحكم الاستعمال لأن (المجاز متى ما استقر في بيئة مدلوله، وتحدد معناه، عاد إلى ما كان عليه أولاً في تسميته بالحقيقة مقيدة بعُرف هذه البيئة وتواضعها)[١٢٣] وهذه الدلالة تنقل الدلالة الأصلية إلى نوع جديد بعرف الاستعمال وما استقرت النُفوس عليه بشهادة العقل وتلقته الطبائع بالقبول يصير شائعاً في غير ما وضع له أولاً، بل فيما هو مجاز فيه [١٢٤] كلفظة (أهل) مثلاً: أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم في مسكن واحد ثم تُجوز به فقيل أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب وتُعورف في أسرة النبي ﷺ مطلقاً إذا قيل أهل البيت[١٢٥] لقوله عز وجل: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾[١٢٦]، ولفظة (اليمين) قوله تعالى: ﴿**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ**﴾[١٢٧]، أصحاب السعادات والميامين وذلك حسب تعارف الناس في العبارة عن الميامن باليمين وعن المشائم بالشمال [١٢٨]، ولفظة (التشهد) بأنها قول: (أشهد أن لا إله إلى الله وأشهد أن محمداً رسول الله)، تعارف عليه اسماً للتحيات المقروءة في الصلاة والذكر الذي يُقرأ ذلك فيه [١٢٩].

المطلب الثاني: التطور الدلالي للغريب وخصائصه: فاللغة كأي ظاهرة اجتماعية عرضة للتطور في مختلف عناصرها بأصواتها وقواعدها ودلالاتها، وإن تطورها هذا يجري وفق اتجاهات عامة وفي نماذج رئيسية، وليس تبعاً للأهواء والمصادفات ولا يد لأحد على وقف عملها أو تغيير ما تؤدي إليه، وليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تطور لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص وشائع في كل اللغات يلمسه كل دارس لمراحل نمو اللغة وأطوارها التاريخية فكل صوت وكل كلمة أو تعبير أو أسلوب يكون شكلاً أو صورة متغيرة ببطء، بقوة غير مرئية أو مجهولة.. وتلك هي حياة اللغة [١٣٠] وهذا لا يعني أنها تتغير وتتطور على نحو مقصود، بل يحدث ذلك تلقائياً، وهو ينتج من تفاعل ثلاثة أسس اجتماعية، هي: اللغة، والبيئة، والمؤثرات الخارجية، فاللغة كائن حي تتأثر بالبيئة والمؤثرات الخارجية، وهي مطواعة لهما تتماشى معهما على وفق ما تقتضيه الظروف ومن أهم عوامل التطور الدلالي مما يعنينا تناوله هنا ما تحكم به الحاجات الاجتماعية، مما يجعلنا نتحدث عن دلالة اجتماعية... ولاشك أن فكرة المقام والمقال عند البلاغيين العرب، تعد بمجملها فهماً واعياً لدور اللغة الاجتماعي، ولظاهرة التطور الدلالي التي تساعد على فهم أسرارها وتوثيق عرى التواصل بها والعمل من ثم على إغنائها وتطويرها؛ لأننا إذ نتواصل باللغة إنما نحياها ونحييها بآن واحد، وذلك من خلال هذه العلاقة الفاعلة والمنفعلة معاً، مما يقود إلى الغنى اللغوي والمعرفي، الغنى الذي ينعكس رقياً اجتماعياً وحضارياً. وفي مسيرة اللغة تلك يتشكل الرصيد اللغوي عند الأفراد [١٣١]، ومن أهم الأسباب والعوامل التي أدت الى التطور الدلالي هي[١٣٢]:

١. عوامل تتعلق باستخدام الكلمات، فمدلول الكلمة يتغير تبعاً للحالات التي يكثر فيها استخدامها.
٢. عوامل تتعلق بمبلغ وضوح الكلمة في الذهن، فكلما كان مدلول الكلمة واضحاً في الأذهان قل تعرضه للتغير، وكلما كان مبهماً غامضاً مرناً كثر تقلبهُ وضعفت مقاومته لعوامل الانحراف، ويساعد على وضوح مدلول الكلمة عوامل كثيرة من أهمها أن تكون مرتبطة بفصيلة من الكلمات معروفة الأصل، ويعمل على إبهامها عوامل كثيرة من أهمها أن لا تكون لها أسرة معروفة الأصل متداولة الاستعمال.

٣. عوامل تتعلق بأصوات الكلمة، فثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتغيرها يذلل أحياناً السبيل إلى تغييره.
٤. عوامل تتعلق بالقواعد؛ فقد تذلل قواعد اللغة نفسها السبيل إلى تغير مدلول الكلمة، وتساعد على توجيهه وجهة خاصة.
٥. عوامل تتعلق بانتقال اللغة من السلف إلى الخلف، فكثيراً ما ينجم عن هذا الانتقال تغير في معاني المفردات، وذلك أن الجيل اللاحق لا يفهم جميع الكلمات على الوجه الذي يفهمها عليه الجيل السابق.
٦. وكثيراً ما يتغير مدلول الكلمة على أثر انتقالها من لغة إلى لغة.
٧. وقد يكون العامل في تغير معنى الكلمة أن شيئاً نفسه الذي تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشؤون الاجتماعية المتصلة به.
٨. عوامل تتعلق باختلاف الطبقات والجماعات، فكثيراً ما ينجم عن اختلاف الناس في طبقاتهم وفئاتهم اختلاف مدلول الكلمات وخروجها عن معانيها الأولى. فالألفاظ تتطور فتكتسب من المعاني أشباهاً جديدة لم تكن لها من قبل، وأن اللفظة تحيا حياة متجددة، وهي أبداً في تغير في دلالاتها وفي طرائق استعمالها مع البطء في تقدمها، غير أنها ليست جامدة أو ساكنة، فجميع عناصرها المكونة لها تتعرض لذلك التغيير ولكن سرعة حركتها وتطورها تختلف من زمن إلى آخر، ومن جنس لغوي إلى آخر [١٣٣] فتميزت لغتنا العربية بأنها من أكثر اللغات الإنسانية قدرةً على التجدد والاستمرار، على الرغم من العوائق المتعددة التي باتت تعترضها وتزاحمها متعللة بأشكال شتى من المسوغات بما تتمتع به اللغة العربية من صفات موضوعية تجعلها في الحقيقة دائمة الحيوية دائمة الحضور والتجدد [١٣٤] وللتطور الدلالي خواص كثيرة ومن أهمها[١٣٥]:

١. أنه يسير ببطء وتدرج، فتغير مدلول الكلمة مثلاً لا يتم بشكل فجائي سريع، بل يستغرق وقتاً طويلاً، ويحدث عادة في صورة تدريجية فينتقل إلى معنى آخر قريب منه، وهذا إلى ثالث متصل به... وهكذا.
٢. أنه يحدث من تلقاء نفسه بطريق آلي لا دخل فيه للإرادة الإنسانية، فسقوط علامات الإعراب في اللهجات العربية الحاضرة، وتغير أوزان الأفعال، وتأنيث بعض الكلمات المذكرة، وتذكير بعض الكلمات المؤنثة، وجمع صفة المثنى، وتأخر الإشارة عن المشار إليه، وتزحزح كثير من المفردات عن مدلولاتها الأولى إلى معان جديدة، كل ذلك وما إليه قد حدث من تلقاء نفسه في صورة آلية لا دخل فيها للتواضع أو إرادة المتكلمين.
٣. أنه جبري الظواهر؛ يخضع لقوانين صارمة لا يد لأحد على وقفها أو تعويقها، أو تغير ما تؤدي إليه.
٤. إن الحالة التي تنتقل إليها الدلالة ترتبط غالباً بالحالة التي انتقلت منها بإحدى العلاقتين اللتين يعتمد عليهما تداعي المعاني، ونعني بهما علاقتي المجاورة والمشابهة.
٥. إن التطور الدلالي في غالب أحواله مقيد بالزمان والمكان، فمعظم ظواهره يقتصر أثرها على بيئة معينة وعصر خاص، ولا نكاد نعثر على تطور دلالي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة ووقت واحد ويتنوع التطور الدلالي الى[١٣٦]:

أولا: تخصيص الدلالة: يعني تضييق المعنى وقصر العام، ويسمى المخصص الذي وضع في الأصل عاماً ثم خُصّ في الاستعمال ببعض أفراده وتحديد مدلولها وتضييق شمولها، إذ تُصبح مختصة بدلالة معينة أقل اتساعاً مما كانت عليه في الأصل، فالحج قصد الشيء والتجريد له، ثم خص بقصد البيت، ومن ذلك أيضاً "السبت" فإنه في اللغة الدهر، ثم خص في الاستعمال بأحد أيام الأسبوع، وهو فرد من أفراد الدهر [١٣٧] نتيجة لإضافة بعض الملامح التمييزية للفظ، فكلما زادت الملامح لشيء ما، قل عدد أفراده)[١٣٨] كلفظة (الإفك) أنها: (الكذب لأنه كلام قُلِبَ عن الحق، ثم ذكر أصله أنها من: أفكتُ الرَجُل إذا صرفته عن رأي كان عليه) [١٣٩] ومنه قيل لمدائن قوم لوط ﴿**الْمُؤْتَفِكَاتِ**﴾[١٤٠]، قال الشاعر: **إن تك عن أحسن الصنيعة مأ فوكاً ففي آخرين قد أُفِكوا**[١٤١] أي: إن تكن في أحسن الضيعة مَعدُلاً.فالأصل إذا أن كلمة (الإفك) تطلق لكل عدول أو انصراف عن رأي أو أمر آخر ثم خصت هذه اللفظة بـ(الكذب) ولفظة (مسافحين) معناها: (زناة، والسفاح: الزنا)، (وأصله من سفحت القِربةً إذا صببتها. فسمي الزنا سفاحاً فسمي الزنا سفاحاً... لأنه يسافح بصب النطفة وتصب المرأة النطفة... وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد أن يفجر بالمرأة قال لها سافحيني أو ماذيني ويكون أيضاً من صب الماء عليه وعليها) [١٤٢] ولفظة الحج في قوله تعالى ﴿**حِجُّ الْبَيْتِ**﴾[١٤٣]، أي قصد البيت، ويقال: حججت الموضع أحُجّه حجّاً، إذا قصدته، ثم سمي السفر إلى البيت حجاً دون ما سواه [١٤٤] ولفظة (البهيمة) التي وردت في قوله تعالى ﴿**أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ**﴾[١٤٥]، لا نطق له وذلك لما في صوته من الإبهام لكن خص في التعارف بما عدا السباع والطيور[١٤٦].

ثانيا: تعميم الدلالة: هو أن يتوسع في معنى الكلمة ودلالتها فتنتقل من معناه الخاص الذي كانت عليه إلى معنى أشمل وأعم من ذلك نتيجة إسقاط لبعض الملامح التمييزية للفظ وأن يصبح مجال استعمال اللفظ أوسع من قبل؛ أي يكون عدد ما يشير إليه اللفظ أكثر مما سبق ويكون متفاوتا مع نظيره التخصيص لأن القضية في التعميم أو التخصيص مسألة نسبية تخضع للزمان والمكان فما يكون عاماً في مكان معين قد يكون خاصاً في مكان آخر، وما يكون خاصاً في زمان معين قد يصير عاماً في زمان آخر، ومن هنا فالمسألة خاضعة للزمان والمكان من حيث الاستعمال والإهمال [١٤٧] وعقد السيوطي فصلاً في كتابه (المزهر) سماه (فيما وضع في الأصل خاصاً ثم استعمل عاماً وضرب أمثلة كثيرة على ذلك منها رفع عقيرته أي صوته، وأصل ذلك أن رجلاً عُقرت رجله فرفعها وصاح، فقيل: بعدُ لكل من رفع صوته: رفع عقيرته)[١٤٨] ونحو كلمة (زخرف) في قوله تعالى ﴿**زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**﴾[١٤٩]، ما زُين منه وحُسِّن وموِّه. وأصل الزخرف الذهب فدل على أن معنى لفظة زخرف في أصلها اللغوي هو الذهب ثم تطور المعنى فشمل كل ما زين وحُسِّن [١٥٠] ولفظة (أسباب) تعني: (وُصْلات، الواحد سبب ووصُلة، وأصل السبب الحبل يشد بالشيء فيجذب به، ثم جُعل كل ما جَرَّ شيئاً سبباً) [١٥١] ولفظة (أسر): (الأسر الشدّ بالقيد من قولهم أسرت القَتَبَ، وسمي الأسير بذلك ثم قيل لكل مأخوذٍ ومقيدٍ وإن لم يكن مشدوداً ذلك) [١٥٢].

ثالثا: انتقال المعنى: أي : تغيير مجال الدلالة من سنن العرب في الكلام بأن ينتقل اللفظ من مجال دلالته إلى مجال دلالة أخرى لعلاقة أو مناسبة واضحة بين الدلالتين الانتقال من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية مما يؤدي إلى تغير في دلالة الألفاظ أو المفردات، [١٥٣] مثلاً (المجد) فمعناها الحقيقي في الأصل امتلاء بطن

الدابة من العلف، ثم كثر استخدامه مجازاً في الامتلاء بالكرم حتى انقرض معناه الحقيقي وأصبح معناه المجازي حقيقة[١٥٤] وقد السيوطي له فصلاً في باب المجاز سماه (معرفة الحقيقة والمجاز)[١٥٥] بين فيه الكثير من علاقات المجاز المرسل، وقال الراغب : الحقيقة مشتقة من الحق، وأنها تستعمل تارة في المعنى وأخرى في اللفظ، فإذا استعملت في اللفظ فالمراد به اللفظ المستعمل فيما وضع له في أصل اللغة من غير نقل ولا زيادة ولا نقصان، والمجاز على عكس من ذلك[١٥٦] فهو وسيلة مهمة من وسائل التوسع اللغوي فيثري اللغة ويسد أوجه النقص في الألفاظ والتراكيب المحدودة، ومن خلاله يصبح للفظة معان جديدة، وتتجدد حياة الألفاظ لينفي عنها الخمول والرتابة وتنتقل دلالة اللفظ من مجال إلى مجال آخر عن طريق التشابه بين الدلالتين أو لعلاقة أو مناسبة واضحة بين الدلالتين [١٥٧] وهذا النوع من التطور الدلالي يكون على طريقين هما:

١-الاستعارة: وذلك بأن ينتقل مجال الدلالة لعلاقة المشابهة بين المدلولين[١٥٨]. ومصطلح الاستعارة يضم بين دفتيه علاقتي (التشبيه والاستعارة)، والفرق بينهما هو أن الاستعارة تعبّر عن المقصود بالتضمين لا بالتصريح[١٥٩] لعلاقة المشابهة بين المدلولين، وهذا يعني أن الرابط بين المعنيين هو المشابهة.وكما هو معروف لدى أهل اللغة أن كلام لعرب شعر ونثر يحفل بالاستعارة حتى قال ابن جني: (إعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة)[١٦٠].

٢-المجاز المرسل: (مجاز لغوي علاقته غير المشابهة وسُمّي مرسلاً؛ لإن الإرسال هو الإطلاق، فهو مطلق في علاقاته أي ليس له علاقة معينة كما هو الشأن في الاستعارة، فالاستعارة علاقتها المشابهة، وللمجاز المرسل علاقات كثيرة)[١٦١] وأهم هذه العلاقات هي: (السببية، والحالية، والمحلية، والمجاورة، والزمانية، والمكانية، والجزئية، والكلية، واعتبار ما كان، وما سيكون، وغير ذلك)[١٦٢] كقوله تعالى: ﴿**نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ**﴾[١٦٣]، انه: كناية وأصل الحرث: الزرع أي هن للولد كالأرض للزرع والعلاقة بين النساء والحرث هي المشابهة فكما أن الزرع ينتج من الحرث كذلك الأولاد تأتي من النساء [١٦٤]، وكلمة (حنيف) معناها: (من كان على دين إبراهيم عليه السلام ثم يسمى من كان يختتن ويحج البيت في الجاهلية حنيفاً، والحنيف اليوم: المسلم)[١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ**﴾[١٦٦]، آسن الماءُ يأسنُ وأسَنَ يَأسِن إذا تغير ريحه تغيراً منكراً وأسن الرجل مرض من أسن الماء إذا غشي عليه... وقيل تأسن الرجل إذا اعتل تشبيهاً به [١٦٧]، ولفظة (النبيذ) هو (التمر والزبيب الملقى مع الماء في الإناء صار اسماً للشراب المخصوص[١٦٨].

رابعا: القرائن[١٦٩] **الدلالية والغريب:** للقرائن الدلالية دو كبير في تحديد مفهوم المفردات والتراكيب الواردة في السياق؛ لان بعض الألفاظ لا يتبين معناها بشكل واضح، فالحكم (على دلالة اللفظ في نص ما، أدق وأوثق مما لو استقيناه من "المعجمات" [١٧٠] قال الرازي: (قرن بين الحج والعمرة يقرن- بالضم والكسر- **قِراناً** أي جمع بينهما. و**قَرَنَ** الشيء بالشيء: وصله به، وبابه: ضَرَبَ ونصر... و**اقتَرَنَ** الشيء بغيره و**قارنتهُ قراناً** صاحبته... و**القِران**: أن تقرِن بين تمرتين تأكلهما.. و**القرين** الصاحب، و**قرينة** الرجُل: امرأته)[١٧١]، ومنها:

- **قرينة السياق:** من القرائن المهمة في فهم النصوص والعبارات تُرشد إلى تبين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، تقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على

مراد المتكلم وتمثل حجر الأساس في علم المعنى فمن أهملها غلط في نظيره وغالط في مناظراته[١٧٢] فلها دور مهم في تحديد المفردات وتوضيح معانيها، وبخاصة في القرآن الكريم، لخصوص الاستخدام القرآني لعدد من الألفاظ، إذاً لا يكفي أحياناً التفسير اللغوي في تحديد عدد منها ذلك أن الحكم على دلالة اللفظ في نص ما، أدق مما لو استقيناه من المعجمات وحدها[١٧٣]، كقوله تعالى ﴿**وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ**﴾[١٧٤]، ان الأمر موجه لأولياء النساء لا لأزواجهن، لأن الأولياء كانوا في الجاهلية لا يعطون النساء من مهورهن شيئاً وذلك أن الله ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء، ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن، ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم إلى غيرهم [١٧٥] وقوله تعالى: ﴿**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[١٧٦]، فسرت هذه التجارة بقوله ﴿**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ إلى آخر الآية أي أن التجارة في الآية العاشرة فسرتها الآية التي تلتها، مبيناً أن التجارة الرابحة التي تُنجي من عذاب الله هي الإيمان بالله ورسوله [١٧٧].

- **القرينة الحالية:** هي العوامل التي تحيط بالعبارة أو النص من موقف ومقام وأسباب التي تساعد على فهم النص على الوجه الصحيح لأن (المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام فثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام من ملابسات وظروف ذات صلة)[١٧٨]، كقوله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾[١٧٩]، فلما بين الآيات التي أمر الله بها رسوله بالتوجه في الصلاة إلى الكعبة بدلاً من بيت المقدس، ذكر سبب نزول الآية وهم أيضاً اليهود فقال: (وهو قول اليهود: كنت وأصحابك تُصلُّون إلى بيت المقدس، فإن كان ذلك ضلال فقد مات أصحابك عليه وإن كان هدى فقد حوَّلت عنه. فأنزل الله ﴿**لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**﴾ أي صلاتكم [١٨٠] وللفظة (زينة) المذكورة في قوله تعالى: ﴿**خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾[١٨١]، ففسرت الزينة باللباس أي: لباسكم عند كل صلاة وذلك أن أهل الجاهلية كانا يطوفون بالبيت عراة: الرجال، والنساء بالليل إلا الحمس: وهم قريش ومن دان بدينهم، فإنهم كانوا يطوفون في ثيابهم، وكانت المرأة تتخذ نسائج من سيور فتعلقها على حقويها فعن أبي عمر: يقال أن آدم ﷺ طاف عرياناً لأنه مشبه بيوم القيامة، فجاء محمد ﷺ فنسخ ذلك[١٨٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى**﴾[١٨٣] إنما نزل في قوم كانوا يتحاشون أن يستقبلوا بيوتهم بعد إحرامهم، فنبه تعالى أن ذلك مناف للبر [١٨٤].
- **القرينة العقلية:** هي من الأدلة التي تُعتد بها لأن هناك الكثير من الألفاظ التي لا يمكن معرفة معناها الحقيقي إلا عن طريق العقل بالنظر والاستدلال كدليل لمعرفة المعنى بعد القرينة اللفظية [١٨٥] كقوله تعالى ﴿**يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾[١٨٦] يريد أنهم يخادعون المؤمنين بالله، فإذا خادعوا المؤمنين بالله: فكأنهم خادعوا الله، وخداعهم إياهم، قولهم لهم إذا لقوهم: ﴿**قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ**﴾ أي مردتهم ﴿**قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾[١٨٧] وما يخدعون إلا أنفسهم: لأن وبال هذه الخديعة وعاقبتها راجعة عليهم وهم لا يشعرون فلا يعقل أن الإنسان مهما بلغ من الذكاء والفطنة أن يخدع الله- جل جلاله- وهو العليم بما كان وما يكون وما لم يكن إذا

كان كيف يكون. فأوّل أن مراد الآية يخادعون المؤمنين بالله [١٨٨]، وكقوله تعالى ﴿**كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ**﴾[١٨٩] أي كدنا له أخوته حتى ضممنا أخاه إليه، والكيد من المخلوقين: احتيال، ومن الله مشيئته بالذي يقع به الكيد [١٩٠] وقوله تعالى: ﴿**وَسَيِّداً وَحَصُوراً**﴾[١٩١] فالحصور الذي لا يأتي النساء إما من العُنَّة وإما من العِفَّة والاجتهاد في إزالة الشهوة والثاني أظهر في الآية، لأن بذلك يستحق المحمدة [١٩٢].

خامسا: الترادف: ما كان معناه واحد وأسماؤه كثيرة أي لفظان أو أكثر يدللن على معنى واحد[١٩٣]، كلفظة (القاسية: القاسية والعاتية والعاسية واحد وهي اليابسة)[١٩٤] وكقوله تعالى ﴿**مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً**﴾[١٩٥] أي يبساً، ويقال: عتا وعسا، بمعنى واحد)[١٩٦]، وكذلك في لفظة (انبجست) بمعنى (انفجرت)[١٩٧] وأيضاً (امتحنوهن) اي: (اختبروهن)[١٩٨]، ومنه أيضاً لفظة (ختم) اي: (طبع)[١٩٩] فسرت لفظة (الخضوع) بـ(الخشوع) [٢٠٠] و(الخلق) بـ(الإبداع)[٢٠١].

سادسا: المشترك اللفظي: هو أن تكون اللفظة محتملة على معاني مختلفة بمعنى اتفاق اللفظ والمعنى مختلف[٢٠٢]، مثل (الخُسران) معناه (النقصان)[٢٠٣] ثم قال (ويكون بمعنى الهلكة) واستدل على هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿**وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[٢٠٤] أي الهالكون، وقوله تعالى: ﴿**فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ**﴾[٢٠٥] أي هلكة، وكذلك لفظة (دين) يكون على وجوه، منها: الدين وما يتدين به الرجل من الإسلام أو غيره، والدين الطاعة، والدين العادة، والدين الجزاء، والدين الحساب، والدين السلطان [٢٠٦] ولفظة (أسف) يذكر أن معناها: (الحزن والغضب معاً، وقد يقال لكل واحد منهما على انفراد وحقيقته ثوران دم القلب شهوة الانتقام، فمتى كان ذلك على من دُونَهُ انتشر فصار غضباً، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزناً، ولذلك سُئل ابن عباس عن الحُزن والغضب فقال مخرجهما واحد واللفظ مختلف، فمن نازع من يقوى عليه أَظهَرَهُ غيظاً وغضباً، ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حُزْناً وجَزَعاً [٢٠٧].

سابعا: التضاد: هو: أن يطلق اللفظ على المعنى وضده، كلفظ الجون الذي يطلق على الأبيض والأسود فظاهرة اتفاق اللفظ وتضاد المعنى من سنن العرب[٢٠٨]، كلفظة (الظن) الواردة في قوله تعالى ﴿**الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[٢٠٩] أي يعلمون، والظن بمعنيين شك ويقين)[٢١٠].

ولفظة (أخفيها) اي: (استرها وأظهرها أيضاً، وهو من الأضداد)[٢١١].

ولفظة (الغريم) معناها: (يقال لمن له الدين ولمن عليه الدين)[٢١٢].

الخاتمة

فبعد هذا العرض نود أن نضع ملخصا لما سبق على النحو الآتي:

- تختلف مدارك العرب في فهمهم ومعرفتهم لما في القرآن الكريم من الغريب والمتشابه.
- غرابة الألفاظ وقلة استعمالها ونقلها عن معانيها التي سيقت لها وتَحوَّل الألفاظ عن معانيها أو حملها على ظاهرها اسباب وعوامل في نشوء الغريب.
- تتحكم الأعراف والتقاليد والسياقات والأساليب في استعمال الألفاظ وبيان مدلولاتها ومعانيها.

- بدأ علم غريب القرآن منذ الصدر الأول للإسلام حيث كان الصحابة- رضي الله عنهم- يسألون الرسول ﷺ عن ذلك.
- تتطلب معرفة الغريب اللغوي التفحص للألفاظ والتتبع لمعانيها ولا تتحقق الا لمن ملك خبرة كبيرة بلغة العرب ومكنة علمية عالية بمدلولات الألفاظ والتأويلات للآيات القرآنية.
- يستند بعض الغريب اللغوي في الاستدلال على القراءات القرآنية.
- ساهم علم الغريب اللغوي في حفظ لغة القرآن فوجود المعجمات دليل على مصادر اللغة العربية وتأصيلها.
- احتوى الغريب اللغوي على الشواهد التفسيرية لألفاظ القرآن الكريم من مفردات وأشعار وأمثال .
- يعتمد الغريب اللغوي على الدلالات بانواعها وتراكيبها وتطورها في بيان معاني الألفاظ .
- للدلالة الصوتية أثر في ظهور المعاني وتحولها فالألفاظ المدغمة، أو المشددة، أو المبدلة مختلفة في التراكيب والمعاني.
- تخصيص الدلالة الألفاظ وتغيير معانيها وتحوّل استعمالها لا يمنع من استعمالها الأصلي ولا يلغي أصلها اللغوي.
- الغريب اللغوي يتنوع من حيث الترادف، والاشتراك والتضاد ويتأثر من حيث المدلول.
- تتوقف معرفة معاني الغريب اللغوي على القرينة المصاحبة أو الخارجية للألفاظ سواء كانت عقلية أم عرفية أو حالية أم مقالية.
- الغريب اللغوي له قيمة علمية كبيرة، مما جعل اللغة العرب ذا قيمة علمية فريدة في تفسير القرآن الكريم.
- الغريب اللغوي إرث تاريخي وادبي حفظ لنا معاني المفردات وبيان تطورها واختلاف معانيها واستعمالاتها.
- دعوة الباحثين الى دراسة الغريب اللغوي وتطور معانيه لغزارة المادة فيه لاعتماده على القرآن الكريم .

والى غير ذلك من النتائج التي ظهرت في ثنايا البحث، ولا أدعي بأني وفيت الموضوع حقه، انما التوفيق من الله للجميع وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

[1] تاج اللغة وصحاح العربية١/ ١٩١ معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٢١، مجمل اللغة، ٣/ ٦٩٥، لسان العرب ١/ ٦٣٧، تاج العروس ١/ ٤٠٧.

[2] ينظر: تلخيص التحبير: العسقلاني، ٣/ ١٤٦.

[3] القاموس المحيط١/ ١١١، والحديث في سنن أبي داود: كتاب الأدب/ باب في الصبي يُولد فيؤذن في أذنه، رقم (٤٤٤٣).

[4] الكليات: للكفوي: ص٦٦٣.

[5] كشف الظنون: ٢/ ١٢٠٣.

[6] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية:: ص٧٤.

[7] غريب القرآن الكريم في عصر الرسول والصحابة والتابعين: ص١٩.

[8] سورة آل عمران: ٧.

[9] ينظر: المسائل والأجوبة: لابن قتيبة، ص٢٣٨.

[10] غريب الحديث: الحربي، ٥/ ١٠.

[11] غريب القرآن الكريم في عصر الرسول ﷺ والصحابة والتابعين: ص١٥.

[12] الإتقان: ٢/ ٣٨٤.

[13] المقدمة لابن خلدون:: ص٤٣٨.

[14] غريب القرآن الكريم في عصر الرسول ﷺ والصحابة والتابعين: ص١٥.

[15] ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق، ١/ ١٣٣، وخزانة الأدب ١/ ٥-٦. الرواية والاستشهاد باللغة: ص١٥٠

[16] ينظر: الإتقان: ١/ ١٢٠- ١٣٣.

[17] تفسير غريب القرآن: ص٨.

[18] البيت للأعشى ميمون. ينظر ديوانه: دار صادر، بيروت: ص٦٤.

[19] ينظر: تفسير غريب القرآن: الصفحات ١٢، ١٤، ١٧، ٢١، ٢٤، ٢٧، ٣٩، ٥٠، ٥٣، ٦٥، ٢٧٠، ٢٩١، ٣٠٢، ٣٥٣، ٤٠٩، ٥٢٣.

[20] غريب القرآن: ص٥-٦.

[21] هذا البيت لم أقف على قائله.

[22] المفردات، مادة (إثم): ص١٩.

[23] البيت للأعشى ميمون. ينظر ديوانه: ص٨٧.

[24] مجمع الأمثال: ١/ ٧. المستقصى في أمثال العرب: للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢: المقدمة، ورقة (ب)

[25] سورة البقرة: ٦٨.

[26] تفسير غريب القرآن: ص٥٢- ٥٣، والمثل يضرب للعالم بالأمر المجرب له وهو في جمهرة الأمثال: العسكري، ٢/ ٣٨.

[27] سورة النمل: ٤٤.

[28] تفسير غريب القرآن: ص٣٢٥، يضرب لكل عزيز ممتنع. مجمع الأمثال: ١/ ١٢٦، أمثال العرب: ص١٤٤.

[29] غريب القرآن: ص٦٩.

[30] سورة الكهف: ٨.

[31] المفردات، مادة (جزر): ص٩٨، وينظر المثل في: مجمع الأمثال: ٣/ ١٥٣، وجمهرة الأمثال: ٢/ ٤١٨.

[٣٢] ينظر: مقدمة النهاية في غريب الحديث والأثر: مقدمة غريب الحديث لأبي عبيد الهروي.

[٣٣] غريب الحديث: لأبي إسحاق الحربي: ١/ ١٠ من المقدمة.

[٣٤] غريب الحديث: لأبي إسحاق الحربي: ١/ ١٠ من المقدمة.

[٣٥] شعب الإيمان: البيهقي، ٢/ ٤٢٧، رقم الحديث (٢٢٩٢).

[٣٦] الإتقان: ١/ ٢٤٤، الحديث في شعب الإيمان: ٢/ ٤٢٨، رقم الحديث (٢٢٩٤).

[٣٧] ينظر: الإتقان: ١/ ٢٤٤.

[٣٨] سورة عبس: ٣١.

[٣٩] الاتقان: ١/ ٢٤٥.

[٤٠] الإتقان: ٢/ ٤١٣ المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم: ص١١.

[٤١] ينظر: المعجم الجامع: ص١٢- ١٨.

[٤٢] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: ١/ ٣٢ المدخل لدراسة القرآن الكريم: ص٩ فاتحة القرآن وجزء عمّ الخاتم للقرآن تفسير وبيان: ص٣١.

[٤٣] علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه: ط٣: ص٤٦، المدخل لدراسة القرآن الكريم: ص٧.

[٤٤] المدخل لدراسة القرآن الكريم: ص١٨٢.

[٤٥] غريب القرآن: ص٤٦، الإقناع في القراءات السبع: ٢/ ٥٩٧.

[٤٦] سورة البقرة: ١٠٦.

[٤٧] تفسير غريب القرآن: ص٦٠- ٦١، كتاب الإقناع: ٢/ ٦٠١.

[٤٨] سورة طه: ١٥.

[٤٩] غريب القرآن: ص٢٧٧، معجم القراءات: ٤/ ٧٤.

[٥٠] سورة البقرة: ٦١.

[٥١] غريب القرآن: ص٥١، وينظر لقراءة ابن مسعود ﷺ: معجم القراءات: ١/ ٦٣.

[٥٢] ينظر: الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥: ص٤٦- ٤٧.

[٥٣] سورة البقرة: ٢٧٩.

[٥٤] غريب القرآن: ص٣٣، القراءة الثانية لأبي بكر وحمزة، ينظر: الإقناع: ٢/ ٦١٥.

[٥٥] سورة النور: ١٥.

[٥٦] غريب القرآن: ص٥٦، معجم القراءات القرآنية: ٤/ ٢٤٠.

[٥٧] سورة الأعراف: ١٢٧.

[٥٨] المفردات، مادة (إله): ص٣١، معجم القراءات القرآنية: ٢/ ٣٩٣.

[٥٩] سورة الأنعام: ١٠٥.

[٦٠] المفردات، مادة (درس): ص١٧٥،: معجم القراءات القرآنية: ٢/ ٣٠٤.

[٦١] سورة الأحزاب: ٦.

[٦٢] المفردات، مادة (أبا): ص١٦، معجم القراءات القرآنية: ٥/ ١١٢.

[٦٣] معجم القراءات القرآنية: ٥/ ١١٢.

[٦٤] سورة البقرة: ٢٢٢.

[٦٥] المفردات، مادة (طهر): ص٣١٠، معجم القراءات القرآنية: ١/ ١٧١.

[٦٦] ينظر: مقاييس اللغة، مادة (دل): ٢/ ٢٥٩ الخصائص ٣/ ١٠٠المفردات، مادة (دلّ): ص١٧١ القاموس المحيط، مادة (دلَّ): ٣/ ٣٧٧.

[٦٧] سورة سبأ: ١٤.

[٦٨] ينظر: الإنصاف: الباقلاني، ص١٥ التأويل عند ابن قتيبة: ص٥٢. تأويل مشكل القرآن: ص١٢١

[٦٩] التعريفات: ص ١٠٤، وينظر: كشاف اصطلاحات الفنون: ٢/ ٢٨٤. علم اللغة: الضامن، ص٧٢

[٧٠] ينظر: البحث الصوتي والدلالي عند الفيلسوف الفارابي: ص١١٥. الأضداد في اللغة: ص٥٥ فقه اللغة وخصائص العربية: المبارك، ص١٦٨

[٧١] الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: الرازي، دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة: د.كمال بشر، ص١٥٣.

[٧٢] التلخيص في علوم اللغة والبلاغة: للقزويني، ص٢٩٣ الإحكام: الآمدي، ص ١٧ الدلالة في البنية العربي بين السياق اللفظي والسياق الحالي: الزيدي، ص١١١، العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم: ص٥

[٧٣] فقه اللغة العربية: الزيدي: ص١٤٦.

[٧٤] جمهرة اللغة: مادة (عقل): ٣/ ١٢٨، ولسان العرب، مادة (عقل): ١٣/ ٤٨٥، والأضداد في اللغة: ص٥٩.

[٧٥] ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (عقل): ٤/ ٦٩- ٧٠.

[٧٦] العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم: ص٥. المباحث اللغوية في العراق: ص١٣ كشاف اصطلاحات الفنون: ٣/ ٢٨٩

[٧٧] مجمع الأمثال: ٣/ ٣١٢.

[٧٨] ديوان النابغة الذبياني: ١٥، وصدر البيت: **إلا الأواري لأياً ما أُبيّنُها**

[٧٩] تفسير غريب القرآن: ص٢٨- ٢٩. تأويل مشكل القرآن: ص٤٦٧

[٨٠] سورة يوسف: ١٧.

[٨١] تفسير غريب القرآن: ص٩- ١٠.

[٨٢] المصدر والصفحة نفسهما.

[٨٣] سورة البقرة: ١٤٣.

[٨٤] تفسير غريب القرآن: ص٩- ١٠. تأويل المشكل: ص٤٨١

[٨٥] المفردات، مادة (كفر): ص٤٣٥- ٤٣٦.

[٨٦] فقه اللغة العربية، الزيدي: ص٤٤ علم اللغة العام: فردينانند ، ص٨٨ دور الكلمة في اللغة: ص٧٤، دلالة الألفاظ: ص١٣٠

[٨٧] العين: الخليل: ٥/ ٦٠. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١/ ١٦- ١٧

[٨٨] الخصائص: ٣/ ٢٦٤.

[٨٩] يُنظر: الخصائص: ١/ ٤٦، فقه اللغة العربية: د.كاصد الزيدي: ص٥٢.

[٩٠] ينظر: فقه اللغة العربية: د.كاصد: ص٥٤.

[٩١] الجرس والإيقاع في التعبير القرآن: د.كاصد الزيدي، ص٣٣٥ وص٣٤٥.

[٩٢] سورة البقرة: ٢٨٦.

[٩٣] الخصائص: ٣/ ٢٦٥.

[٩٤] تفسر غريب القرآن: ص٥٤.

[٩٥] مقدمة التفسير، الراغب: ص٩٨.

* في قصة المقتول والبقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها كي يتعرفوا على القاتل.

[٩٦] تفسير غريب القرآن: ص٣٦٦، في تفسير قوله تعالى ﴿**يخصمون**﴾ الآية ٤٩ من سورة يس.

[٩٧] سورة الانشراح: ٣.

[٩٨] غريب القرآن: ص٢٦.

[٩٩] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/ ١٠٥- ١٠٦، البحر المحيط: ٨/ ٤٨٨.

[١٠٠] غريب القرآن: ص٥٦.

[١٠١] المفردات: مادة (قلَّ): ص٤١٠، وذكر الأمر نفسه في مادة (أبا، وحم).

[١٠٢] سورة القمر: ٤.

[١٠٣] سورة القمر: ٩.

[١٠٤] المفردات، مادة (زجر): ص٢١٧.

[١٠٥] أسرار البلاغة: الجرجاني، ص٣٢٥. المجاز وأثره في الدرس اللغوي، د.محمد بدري عبد الجليل، ص٤٠ دلالة الألفاظ: ص١٣٠

[١٠٦] تأويل مشكل القرآن: ص١٣٥.

[١٠٧] سورة آل عمران: ٢١.

[١٠٨] جامع البيان: ١/ ١٣٢.

[١٠٩] ينظر: الإتقان: ٢/ ٨١.

[١١٠] سورة الأحزاب: ٢٣.

[١١١] تأويل مشكل القرآن: ص١٨٣، ٣٤٩.

[١١٢] تأويل مشكل القرآن: ص٢١٤.

[١١٣] المفردات، مادة (سبق): ص٢٢٨- ٢٢٩.

[١١٤] سورة النازعات: ٤.

[١١٥] سورة هود: ١١٠.

[١١٦] سورة الواقعة: ١٠.

[١١٧] الفروق في اللغة: ص٥٠ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ص٧٩. فقه اللغة، د.كاصد: ص١٤٧

[١١٨] الصاحبي: ص٢٩.

[١١٩] تفسير غريب القرآن: ص٢٩.

[١٢٠] الصاحبي: ص٨٠. النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٩٨

[١٢١] غريب القرآن: ص١٠٣- ١٠٤.

[١٢٢] ينظر: المفردات، مادة (سجد): ص٢٢٩.

[١٢٣] دراسات في القرآن: د.السيد أحمد خليل، مطبعة دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت: ص٢٩.

[١٢٤] المستصفى: الغزالي، ١/ ٣٢٥ التعريفات: ص٨٦. الفروق اللغوية: ص٦٥ المجاز وأثره في الدرس اللغوي: ص١١٣

[١٢٥] المفردات، مادة (أهل): ص ٣٩.

[١٢٦] سورة الأحزاب: ٣٣.

[١٢٧] سورة الواقعة: ٢٧.

[١٢٨] المفردات، مادة (يمين): ص٥٥٤.

[١٢٩] المفردات، مادة (شهد): ص٢٧٣.

(١٣٠) ينظر: اللغة والمجتمع: ، ص٩١. علم اللغة: الضامن: ص١٤٨ دلالة الألفاظ:: ص١٢٣ دور الكلمة في اللغة: ص١٥٣

(١٣١) البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن: ابتهال كاصد ياسر الزيدي، ص١٥٥. اللغة العربية وظاهرة التطور الدلالي: ص١

(١٣٢) علم اللغة: ص٣١٩- ٣٢٥، علم اللغة: د. حاتم الضامن: ص١٥٤.

(١٣٣) التطور اللغوي التاريخي: السامرائي، ص٤٠- ٤١، التراث في اللغة: حاكم مالك اللعيبي، ص٢١. دور الكلمة في اللغة: ص١٥٣

(١٣٤) اللغة العربية وظاهرة التطور: محمد شويحنة، بحث منشور على الإنترنيت: ص١ على موقع: (www.an-nuor.com).

(١٣٥) علم اللغة: د.علي عبد الواحد وافي، ص٣١٤- ٣١٧، علم اللغة: د. حاتم الضامن: ص١٥٣.

(١٣٦) ينظر: الترادف في اللغة: ص٢١- ٢٦، دلالة الألفاظ: ص١٥٢، علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، ص٢٤٥.

(١٣٧) المزهر: للسيوطي: ١/ ٤٢٧. دلالة الألفاظ: ص١٥٢، علم اللغة، وافي: ص٣١٩، دور الكلمة في اللغة: ص١٦٢

(١٣٨) علم الدلالة: ص٢٤٦.

(١٣٩) تفسير غريب القرآن: ص٣٠.

(١٤٠) سورة التوبة: ٧٠.

(١٤١) البيت لعروة بن أذينة. ينظر: شعر عروة بن أذينة: د. يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد: ص٣٤٣.

(١٤٢) ينظر: تفسير غريب القرآن: ص٣٠: ص١٢٣، ومثل ذلك ذكر في لفظة (جاثمين): ص١٦٩، ولفظة (الهشيم): ص٢٦٨.

(١٤٣) سورة آل عمران: ٩٧.

(١٤٤) غريب القرآن: ص٧٢.

(١٤٥) سورة المائدة: ١.

(١٤٦) ينظر: المفردات، مادة (بهم): ص٧٤.

(١٤٧) الترادف في اللغة: ص٢٣. علم الدلالة: ص٢٤٩ دلالة الألفاظ: ص١٥٤ البحث الدلالي في كتب إعجاز القرآن الكريم ، ص٩٩

(١٤٨) المزهر: ١/ ٤٢٩.

(١٤٩) سورة الأنعام: ١١٢.

(١٥٠) تفسير غريب القرآن: ص١٥٨.

(١٥١) غريب القرآن : ص٦.

(١٥٢) المفردات، مادة (أسر): ص٢٧.

(١٥٣) ينظر: الصاحبي: ص١٤٩، فقه اللغة وسر العربية، ص٥٤٣ أسرار البلاغة: ص٢٢، ودلائل الإعجاز، ص٢٧٧الترادف في اللغة: ص٢٤.

(١٥٤) ينظر: لسان العرب: ٣/ ٣٩٥، وتاج العروس: ٢/ ٤٩٦ التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: ص٥٣- ٥٤.

(١٥٥) المزهر: ١/ ٣٥٥- ٣٦٨.

(١٥٦) مقدمة التفسير: ص٩٧.

(١٥٧) عوامل التطور اللغوي، د. أحمد عبد الرحمن حماد، ص٥٧. الأضداد في اللغة العربية: ص٦٧

(١٥٨) الترادف في اللغة: ص٢٤.

(١٥٩) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ص١٦٥.

(١٦٠) الخصائص: ٢/ ٤٤٧.

(١٦١) البلاغة فنونها وأفنانها: د.فضل حسن عباس، مطبعة دار الفرقان، عمان– الأردن: ص١٤٩.

(١٦٢) الترادف في اللغة: ص٢٥.

(١٦٣) سورة البقرة: ٢٢٣.

(١٦٤) تفسير غريب القرآن: ص٨٤.

(١٦٥) المصدر نفسه: ص٧٣.

(١٦٦) سورة محمد: ١٥.

(١٦٧) المفردات، مادة (آسن): ص٢٧.

(١٦٨) المصدر نفسه، مادة (نبذ): ص٤٨٤.

(١٦٩) القرينة في اللغة: (اسم على وزن **فعيلة** وهي مشتقة من قَرَن الشيء إلى الشيء)مقاييس اللغة، مادة (قرن): ٥/ ٧٦.

(١٧٠) دلالة الألفاظ: ص٢١٣.

(١٧١) مختار الصحاح: الرازي، ص٥٣٢– ٥٣٣.

(١٧٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢/ ٢٠٠. دور الكلمة في اللغة: ص٥٩

(١٧٣) دلالة الألفاظ: ص٢١٣، وردت لفظة (المعجمات) في الأصل بلفظ (المعاجم) وهذا خطأ.

(١٧٤) سورة النساء: ٤.

(١٧٥) جامع البيان: ٧/ ٥٥٣ تفسير غريب القرآن: ص١١٩– ١٢٠.

(١٧٦) سورة الصف: ١٠.

(١٧٧) المفردات، مادة (تجارة): ص٨٠.

(١٧٨) البرهان: ١/ ٢٢، والإتقان: ١/ ٦١علم اللغة، ص٢٨٨. لباب النقول: ص٧ مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح، ص١٣٠

(١٧٩) سورة البقرة: ١٥٠.

(١٨٠) غريب القرآن: ص٦٥– ٦٦.

(١٨١) سورة الأعراف: ٣١.

(١٨٢) غريب القرآن: ص١٠٧.

(١٨٣) سورة البقرة: ١٨٩.

(١٨٤) المفردات، مادة (بيت): ص٧٥– ٧٦.

(١٨٥) الإنصاف فيما يجب اعتقاده: ص١٤٤ المستصفى: ١/ ٣٢٩. البرهان: ٢/ ١٧٥

(١٨٦) سورة البقرة: ٩.

(١٨٧) سورة البقرة: ١٤.

(١٨٨) تفسير غريب القرآن: ص٤٠.

(١٨٩) سورة يوسف: ٧٦.

(١٩٠) غريب القرآن: ص١٦٩.

(١٩١) سورة آل عمران: ٣٩.

(١٩٢) المفردات، مادة (حصر): ص١٢٨.

(١٩٣) الكتاب: سيبويه، ١/ ٢٤التعريفات: ص١١٢. فقه اللغة العربية: ١٦٨، العربية والبحث اللغوي المعاصر: ص٣٠، الترادف في اللغة: ص٣٢

(١٩٤) تفسير غريب القرآن: ص١٤٢.

(١٩٥) سورة مريم: ٨.

(١٩٦) تفسير غريب القرآن: ص٢٧٢.

(١٩٧) تفسير غريب القرآن: ص٣٥.

(١٩٨) تفسير غريب القرآن: ص٣٨.

(١٩٩) تفسير غريب القرآن: ص٨٣.

(٢٠٠) المفردات، مادة (خضع): ص١٥٦.

(٢٠١) المصدر نفسه، مادة (خلق): ص١٦٣.

(٢٠٢) الصاحبي: ص٢٠٧، تصحيح الفصيح: ١/ ٢٤٠ أصول الفقه: الخضري، ص١٤٤ المشترك اللغوي- نظرية وتطبيق: ص٩٠

(٢٠٣) تفسير غريب القرآن: ٣٠.

(٢٠٤) سورة التوبة: ٦٩.

(٢٠٥) سورة هود: ٦٣.

(٢٠٦) تفسير غريب القرآن: ص٩٣.

(٢٠٧) المفردات، مادة (أسف): ص٢٧.

(٢٠٨) ينظر: الصاحبي: ص١٥٣المزهر: ١/ ٣٨٩، فقه اللغة، وافي: ص١٩٢. العربية والبحث اللغوي المعاصر: ص٤١

(٢٠٩) سورة البقرة: ٤٦.

(٢١٠) تفسير غريب القرآن: ص٤٧.

(٢١١) غريب القرآن: ص٢٩.

(٢١٢) المصدر نفسه، مادة (غرم): ص٣٦٢.

المصادر والمراجع

١. الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين أبو الحسن علي بن علي بن محمد الآمدي (ت٦٣١هـ)، مطبعة المعارف، دار الكتب الخديوية، مصر (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م).

٢. أسرار البلاغة: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: هـ. ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى، بغداد- العراق، ط٢(١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٣. الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥.

٤. أصول الفقه: الشيخ محمد الخضري، دار القلم، بيروت- لبنان، ط١(١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٥. الأضداد في اللغة: محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد- العراق، ط١(١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

٦. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط٩(١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

٧. أمثال العرب: للمفضل بن محمد الضبي (ت١٦٩هـ)، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ط١(١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٨. الأمثال: لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ط٢.
٩. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: أبو البكر بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر، مصر، ط٢(١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).
١٠. البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن: ابتهال كاصد ياسر الزيدي، رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد (٢٠٠٤م).
١١. البحث الدلالي في كتب إعجاز القرآن حتى نهاية القرن السابع الهجري: أحمد عبد الله محمد النشمي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).
١٢. البحث الصوتي عند الفيلسوف الفارابي: رجاء عبد الرزاق الرفاعي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
١٣. البحر المحيط: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي (ت٧٤٥هـ)، نشر مكتبة ومطابع الحديثة، الرياض (د.ت).
١٤. البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت– لبنان، ط٣(١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
١٥. البلاغة فنونها وأفنانها: د.فضل حسن عباس، مطبعة دار الفرقان، عمان– الأردن (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
١٦. تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين أبو الفيض السيد أحمد المرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فرج وآخرين، طبعة الكويت (١٩٦٥م).
١٧. التأويل عند ابن قتيبة في كتابيه (تأويل مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث): زينب عبد الحسين السلطاني، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).
١٨. تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت– لبنان، ط٣(١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
١٩. التراث في اللغة: حاكم مالك اللعيبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام في العراق.
٢٠. الترادف في اللغة: حاكم مالك اللعيبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام في العراق (١٩٨٠م).
٢١. تصحيح الفصيح: عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت٣٤٧هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد (١٩٧٥م).
٢٢. التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الزرقاء– الأردن، ط١(١٤٠٥هـ).
٢٣. التطور اللغوي التاريخي: د. إبراهيم السامرائي، مطبعة دار الرائد للطباعة، القاهرة
٢٤. التعريفات: أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (د.ت).

٢٥. التعريفات: علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني (ت٨٢٦هـ)، مطبعة دار الفكر، بيروت- لبنان، ط١(١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).
٢٦. تلخيص التحبير: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).
٢٧. التلخيص في علوم البلاغة: الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط٢(١٩٣٢م).
٢٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، من ج١ إلى ج١٥، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مطبعة دار المعارف، مصر، والأجزاء التي تليها: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر (١٣٧٣هـ/ ١٩٦٧م).
٢٩. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، صححه أحمد عبد العليم البردوني، وأبو إسحاق إبراهيم اطفيش، مطبعة دار الكتب المصرية، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط٣(١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).
٣٠. الجرس والإيقاع في التعبير القرآني: د. كاصد ياسر الزيدي، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين، العدد: ٩ (١٩٨٧م).
٣١. جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي- ابن دريد- (ت٣٢١هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدآباد- الدكن (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م).
٣٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، مصر، ط٣(١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
٣٣. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت- لبنان، ط٢.
٣٤. دراسات في القرآن: د. أحمد خليل، مطبعة دار النهضة، بيروت- لبنان (د.ت).
٣٥. دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، ط١١، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان (١٩٨٦م).
٣٦. دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو، مصر، ط٢(١٩٦٣م).
٣٧. الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي: د. كاصد ياسر الزيدي، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين، العدد: ٢٦ (١٩٩٥م).
٣٨. دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢(١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).
٣٩. دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة وتقديم وتعليق: د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ط١(١٩٧٥م).

٤٠. ديوان الأعشى ميمون: دار صادر، بيروت.
٤١. ديوان النابغة الذبياني: شرح وتحقيق: كرم البستاني، مطبعة دار صادر، بيروت- لبنان (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).
٤٢. الرواية والاستشهاد باللغة: د. محمد عيد، دار نشر الثقافة، القاهرة (١٩٧٢م).
٤٣. الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: أبو حاتم بن حمدان الرازي (ت٣٢٢هـ)، حقق الجزئين الأول والثاني: حسين بن فيض الله الهمداني، دار الكتاب العربي، القاهرة (١٩٥٧م).
٤٤. شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أبو هاجر محمد سعيد بسيوني، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١(١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٠م).
٤٥. شعر عروة بن أذينة: د. يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد: ص٣٤٣.
٤٦. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: د.مصطفى الشويحي، مطبعة مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت
٤٧. الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط٣(١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
٤٨. العربية والبحث اللغوي المعاصر: أ.د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة المجمع العلمي، منشورات المجمع العلمي العراقي (١٤٢٥هـ).
٤٩. عقائد السلف (للأئمة أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي): علي سامي النشار، وعمار جمعي الطالبي، المكتبة السلفية، الناشر: منشأة المعارف بالاسكندرية (١٩٧١م).
٥٠. العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم: الآن سمين زنكنة، كلية الآداب، جامعة بغداد (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).
٥١. علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١(١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
٥٢. علم اللغة العام: فرديناند دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد (١٩٨٥م).
٥٣. علم اللغة: د. حاتم صالح الضامن، طبع بمطابع التعليم العالي، موصل- العراق (١٩٨٩م).
٥٤. علم اللغة: د. علي عبد الواحد وافي، مطبعة دار النهضة، مصر، ط٩(د.ت).
٥٥. علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي: د.محمود السعران، دار المعارف، الإسكندرية- مصر.
٥٦. علوم القرآن- مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه: د. عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٣(١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).
٥٧. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة دار الجيل، بيروت- لبنان، ط٤(١٩٧٢م).
٥٨. عوامل التطور اللغوي، د. أحمد عبد الرحمن حماد، دار الأندلس، بيروت، ط١.

٥٩. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار الحرية، بغداد (١٩٨٦م).
٦٠. غريب الحديث: أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: د. سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد، دار المدني، جدة- السعودية، ط١(١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
٦١. غريب القرآن الكريم في عصر الرسول والصحابة والتابعين: د. عبد العال سالم مكرم، مطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١(١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
٦٢. فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن تفسير وبيان: الشيخ محمد محمود الصواف، مطبعة دار المنار، جدة- السعودية، ط٢(١٩٨٧م).
٦٣. فصول في فقه اللغة العربية: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط٢(١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).
٦٤. فقه اللغة العربية: د. كاصد ياسر الزيدي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
٦٥. فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك، مطبعة دار الفكر، بيروت- لبنان، ط٧(١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
٦٦. فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، مطبعة دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان (د.ت).
٦٧. فقه اللغة: د. حاتم الضامن، دار الحكمة، الموصل (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).
٦٨. فقه اللغة: د.علي عبد الواحد وافي، مطبعة دار النهضة، القاهرة- مصر، ط٧.
٦٩. في اللهجات العربية: د. إبراهيم أنيس، مطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ط٢(١٩٧٣م).
٧٠. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، مطبعة دار الفكر، بيروت- لبنان (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
٧١. القراءة الثانية لـ(حمزة) وهو أحد القراء السبعة، ينظر: كتاب الإقناع في القراءات السبع: لأبي جعفر أحد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري بن البادش (ت٥٤٠)، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، مطبعة الركابي، دار الفكر، دمشق، ط١.
٧٢. الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب للطباعة والنشر (د.ت).
٧٣. كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي التهانوي (توفي في القرن الثاني عشر)، تحقيق: د. لطفي عبد البديع، مطبعة دار الكتاب العربي، الهيئة المصرية العامة للتأليف (د.ت).
٧٤. كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون: للأديب المؤرخ مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي (ت١٠٦٧هـ)، منشورات مكتبة المثنى، بيروت- لبنان (د.ت).

٧٥. الكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، مطبعة مؤسسة الرسالة، ط٢(١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).
٧٦. لباب النقول في أسباب النزول: السيوطي (ت٩١١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان، ط١(١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).
٧٧. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، مطبعة دار الفكر، بيروت- لبنان (د.ت).
٧٨. اللغة العربية وظاهرة التطور الدلالي: محمد شويحنة، بحث منشور على الإنترنيت على الموقع www.an-nour.com.
٧٩. اللغة والمجتمع: د. علي عبد الواحد وافي، مطبعة دار نهضة مصر، القاهرة (١٩٧١م).
٨٠. المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية: د. مصطفى جواد، مطبعة لجنة البيان العربي، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ط٢(١٩٥٥م).
٨١. مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط١١(١٩٨٦م).
٨٢. المجاز وأثره في الدرس اللغوي: د. محمد بدري عبد الجليل، دار الجامعات المصرية (١٩٧٥م).
٨٣. مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت٥١٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الجيل، بيروت- لبنان، ط٢(١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
٨٤. مجمل اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١(١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
٨٥. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: عثمان بن جني (٣٧٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، ود. عبد الحليم النجار، ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة (١٣٨٦هـ).
٨٦. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
٨٧. المدخل لدراسة القرآن الكريم: د. الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة، مطبعة دار الجيل، بيروت- لبنان (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
٨٨. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: للسيوطي (ت٩١١هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي (د.ت).
٨٩. المسائل والأجوبة: لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ): منشور في مجلة المورد، تحقيق: شاكر عاشور، العدد (٤)، المجلد الثالث (١٩٧٤م).

٩٠. المستصفى في أمثال العرب: لجار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٢(١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).
٩١. المستصفى في علم الأصول: أبو حامد محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، مطبعة الأميرية ببولاق، مصر (١٣٢٢هـ).
٩٢. المشترك اللغوي– نظرية وتطبيق: د. توفيق محمد شاهين، مطبعة الدعوة الإسلامية، القاهرة– مصر، ط١(١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
٩٣. المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم: إعداد وترتيب الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ط١(١٩٨٦م).
٩٤. معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء: د. عبد العال سالم مكرم، ود. أحمد مختار عمر، مطبوعات جامعة الكويت، ط٢(١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
٩٥. معجم مقاييس اللغة: لابن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة دار الفكر، بيروت– لبنان (١٣٩٩هـ/ ١٩٩٣م).
٩٦. مقدمة ابن خلدون المسمى (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان والذكر): عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت٨٠٨هـ)، مطبعة دار الرائد العربي، بيروت– لبنان، ط٥(١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
٩٧. مقدمة النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي، مطبعة دار الفكر، ط٢.
٩٨. المقدمة لابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت٨٠٨هـ)، مطبعة دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ط٥: ص٤٣٨.
٩٩. الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)، مطبوع بهامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم، مطبعة دار الندوة الحديثة، بيروت– لبنان (د.ت).
١٠٠. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين المبارك بن محمد الجزري بن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، مطبعة دار الفكر، ط١(١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).

دراسة تحليلية لمظاهر التلقي في رواية "مسك الحرام"

للروائية المغربية، سكينة المرابط:

للترقية

د. منير الدين الرياضي صلاح الدين /قسم اللغة العربية، كلية التربية لأدينيرى أوغنصنيا،

ولاية لاجوس، نيجيريا

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة تحليل مظاهر التلقي في رواية **مسك الحرام لسكينة المرابط** التي تعتمد على تعدد النصوص في طرحها القضايا الاجتماعية المغربية والتي عالجت مسألة زنا المحارم وانعكاساتها على الفرد والمجتمع. وبما أن نظرية التلقي بصفتها إحدى نظريات الحداثة التي كسرت حاجزة الصمت المطبّق حيال التهميش الذي يعاني منه القارئ أو المتلقي، وتهتم بالقاريء وما يثيره في النص وأفق توقعه؛ تئيل هذه الدراسة إلى الخوض في إبراز ملامح أساسية لنظرية التلقي في أصولها الغربية بالتفات يسيرٍ إلى البعد التاريخي عن العوامل المؤثرة في ظهورها،ثم يتناول البحث تحليل بعض عناصر التلقي في رواية **مسك الحرام** للمبدعة المغربية سكينة المرابط. وبما أن هذه الرواية حديثةُ العهد تحمل في مضامينها وأحداثها إضاءاتٍ تشير إلى مفهوم التلقي بوصفه نظرية تنظر إلى المتلقي ودوره في أحداث الرواية وأساليبها الفنية ومفرداتها وعباراتها المتوقعة؛ مما يؤدي إلى تفاعل المتلقي معها، واتخاذ رؤية خاصة تجاهها، فالبحث يبرز جودة ألفاظ سكينة المرابط وتراكيبها في سرد أحداث الرواية ومدى موافقتها بعناصر جديدة للتلقي في الإبداع الأدبي المغربي. فالمنهجية المقترحة في ذلك تكون: جمالية التلقي وأفق التوقعات، وجمالية التجاوب وفعل القراءة. وفي تأدية هذه المهمة الأكاديمية، يتبنى الباحث المنهجين الاستقرائي والتحليلي.

الكلمات الافتتاحية: نظرية التلقي،أفق التوقع ،التجربة الجمالية ،والمسافة الجمالية

An analytical study of the manifestations of Reception theory in the novel "Misk Al Haram"

By the Moroccan novelist, Sakina Al-Murabit

By

Dr. Salahuddeen Munirdeen Arriyady

Arabic department, Adeniran Ogunsanya college of Education

Lagos, Nigeria

Research Keywords: Theory of reception, Horizon of expectation, Experiment Aesthetic, Aesthetic Distance

Research Summary

This study deals with the analysis of Reception theory in Sakineh al-Murabit's novel entitled MISKUL HARAM, which reflects the multiplicity of texts in the presentation of Moroccan social issues and reveals the issue of incest and its repercussions on the individual and society. The theory of reception is regarded as one of the theories of modernity, which broke the silence and the marginalization imposed on the reader or the recipient, and attracts the reader's interest in the text and the horizon of his expectation; This study therefore tends to delve into the main features of the reception theory in its Western origins, with little attention to the historical dimension of the factors affecting its emergence. The research also deals with the analysis of some elements of Reception theory in the novel, being a recent novel

which carries in its contents and events some illuminations that refer to the Reception theory as a theory that looks at the recipient and his role in the events of the novel, its artistic methods, vocabulary and expected phrases; Which aids the recipient's interaction with the novel, and assists him to take a special vision towards it. The research highlights the quality of the words used by Sakineh Al-Murabit and its structures in the narration of the events of the novel and the extent of its agreement with new elements of the Theory of Reception in the Moroccan literary creativity. In performing this academic task, the researcher adopts the inductive and analytical approaches.

المقدمة

نظرية التلقي

التلقي؛ هو نظرية تجعل المشاركة الفعالة بين النص والمتلقي أهم شئ في عملية الإبداع، فالمتلقي هو المستقبل للنص، ومستهلكه الذي يتلذذ به أو ينقده أو يحلله، فلا تكتمل حركة عملية الإبداع إلا عن طريق القراءة وإعادة الإنتاج من جديد. إن دلالة نظرية التلقي(Reception Theory) تتقاطع مع الاستقبال كما تتقاطع مع دلالة التواصل. فالتلقي بمفهومه الجمالي يعني عملية ذات وجهين: الأثر الذي ينتجه العمل الفني، وطريقة تلقيه من قبل القارئ. وهي في بعديها العمودي والأفقي، واصطلاحاتها الجديدة، راجعة إلى إدراك قيمة النص، وإعادة تشكله تشكلا صحيحا، من خلال التواصل الفعّال مع القارئ، وجعل النص أكثر مقروئية، أو أكثر جمالية؛ لأن القراء ليسوا على درجة واحدة من الفهم، وهذا ما يسمح في فتح أفق واسع للقراءة.[١]

قد يستخدم مصطلح "نظرية التلقي" للإشارة إلى نقد استجابة القارئ في الولايات المتحدة الأميريكية، لكنه مرتبط خصوصا بجمالية التلقي،[٢] فكلا النظريتين تهتم بالقارئ ودوره في العمل الأدبي، فالقارئ الصوري والمثالي، هو نفسه القارئ الضمني، والكفاءة بمعنى أفق التوقعات، كما سيتضح لنا هذه المعلومات في فصول هذا البحث.

ومن ثم كان التركيز في مفهوم الاستقبال لدى أصحاب هذه النظرية على محورين فقط، هما: القارئ والنص. فالقارئ عندهم، هو المحور الأهم، والمقدم في عملية التلقي.

البعد التاريخي والنهضة الدرامية لنظرية التلقي

يرجع تاريخ بداية التلقي إلى الوهلة الأولى منذ أن جمع الله أبا البشر آدم وزوجه حواه (عليهما الصلاة والسلام) في الجنة يتبوّآن فيها حيث يشاءان، ويتواصلان ويتحدثان، فيتلقى أحدهما كلام الآخر إلى أن عصيَا ربهما بأكل الشجرة المحرومة "**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**".[٣] ولم يرسل الله إلى الناس نبيا إلا أنزل إليه كتابا يقرؤه على قومه، وكان الناس يعون هذه الرسائل الإلهية ويفهمون تلك الكتب المقدسة عن طريق التلقي. قال الله تعالى لخاتم أنبيائه محمد صلّى الله عليه وسلم "**وإنك لتلقّى القرآن من لدن حكيم عليم**".[٤] فهكذا كان كل إنسان يمارس التلقي في يومياته بلا قاعدة معينة سبقت لهذه النظرية، ثم أخذ "التلقي" يتدرج شيئا فشيئا إلى أن أصبح له نظريات وقواعد تراعى له.

أما التلقي بوصفها نظرية حديثة وظاهرة تواصلية فقد نشأت خلال السيتينيات المتأخرة من القرن العشرين، (حوالي سنة ١٩٦٧م)، في ألمانية الغربية، بالأخصفي جامعة "كوستنانس" (University de' Constance)، بتجديد دراسات النصوص تحت ريادة هانز روبرت ياوس (Hans Robert Jauss)، وفولفجانج إيرز (Wolfgang Iser) ثم انتقلت من العلاقة بين الكاتب ونصه إلى العلاقة بين القارئ والنص، ردًّا على الاتجاهات النقدية التي أهملت الاهتمام بالمتلقي، وركّزت على مبدع العمل الأدبي والنص.

وبعضهم يعيدون بداية نظرية التلقي لحقبة قديمة من هذا الزمن. يقول "روبرت هولب" "أن نظرية التلقي لم تهبط من السماء أو تنشأ من فراغ، بل يستطيع الباحث أن يجد إرهاصات بها موغلة في القدم، فيما كتبه أرسطو في كتابه "فن الشعر" متعلقا بالتلقي، وفي التراث البلاغي بصفة عامة، من خلال تركيزه على أثر الاتصال الشفاهي والكتابي على المستمع أو القارئ".[٥] بهذا يعتبر أرسطو من أبرز رواد الفكر اليوناني اهتماما بفلسفة التلقي، إذ كانت فلسفة التلقي عنده مرجعا واضحا لرواد نظرية التلقي في كثير مما يستندون عليه من أحكام وقواعد، فالخلاف في أن أرسطو تناول عناصر ثلاثة (النص، ومنتج النص، والمتلقي) في فلسفة التلقي حيث أن نظرية

التلقي الألمانية تهتم بالقارئ والنص فقط. فكأن فلسفة التلقي هي المحور الهام والنقطة التي تحول في مسار الفكر بينه وبين أستاذه أفلاطون.[٦] ويعترف بعضهم أن "ياوس" نفسه اعترف بأسبقية أرسطو في عملية التلقي، ولم يتردد في دعم أطروحاته قول التجربة الجمالية.

ترجمات عربية لنظرية التلقي وإشكالية تحديد المصطلح

أما ترجمة نظرية التلقي إلى اللغة العربية، فقد تأخرت جدا، بالقياس إلى نظيرتها الغربية التي عرفتها اللغات الإسبانية والإيطالية والإنجليزية، فلم تظهر الترجمة العربية لهذه النظرية إلا في منتصف ثمانينيات القرن العشرين.[٧] بدأت جهودا عربية جديدة في الثمانينيات، عبر تعريب بعض كتابات أعلام مدرسة "كوستانس"، و"هانس روبرت ياوس" بصفة عامة، فقد نشرت مجلة الفكر العربي المعاصر البيروتية عام ١٩٨٦م، ترجمة عربية لمقالة بعنوان "جمالية التلقي والتواصل الأدبي"، و وأنجز الترجمة عن الفرنسية الناقد المقارن المغربي، سعيد علوش، وبعد ذلك بعامين؛ نشرت مجلة "العرب والفكر العالمي" ترجمة عربية لمقالة أخرى لـ"هانس روبرت ياوس"، عنوانها: علم التأويل الأدبي حدوده، ومهماته. ولقد أتاحت هاتان المقالتان للرأي العام العربي، أن يتعرف على نظرية التلقي أو الاستقبال الأدبي،

ومما ساعد على نقل نظرية التلقي الألمانية إلى العربية، التبادل الثقافي بين الشعبين العربي والألماني، من حيث الإنتاج والتلاقي عن طريق البعثات العلمية إلى الدول الأروبية. "فقد استوعبت اللغة والثقافة العربية بعض جوانب من الثقافات الأروبية الحديثة، في شكل بعثات أرسلت إلى فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية من القرن العشرين ليستعيبوا بعض عناصر النظرية."[٨] وكانت الثقافة العربية تستلهم هذه التجربة للتعرف على الفكر الغربي، وللتطور الحاصل. وكان لدى المركز الثقافي الألماني (معهد غوته) برنامج لتشجيع التبادل الأدبي بين ألمانيا والوطن العربي، وذلك من خلال موقع (مداد Midad)، الذي يعنى باللغتين الألمانية والعربية؛ حيث يقيم الكتاب العرب في مدن ألمانية مدة شهر أو أكثر، حتى أتاحت لهم هذه الفرصة أن يتعرفوا على ألمانيا وثقافاتها وآدابها.[٩]

وقيل إن رواد نظرية التلقي، "فولفغانغ إيزر" قام بزيارة رسمية للمغرب الأقصى في "ندوة التلقي والتأويل" التي نظمته كلية الآداب بالرباط، خلال ٢٦-٢٨ نوفمبر ١٩٩٣، فاقترح عليه بعض الكتاب العرب ترجمة فصول من عمله، ورضي بذلك، ثم أرسل إليهم نسخة من الطبعة الإنجليزية عند رجوعه إلى ألمانيا.[١٠] و"نستطيع أن نقول إن ما تمت ترجمته من نصوص نظريات التلقي، والقراءة، والتأويل، وما كتب عنها في كتب ومقالات مترجمة أيضا إلى العربية، بالإضافة إلى كتابات النقاد، والدارسين العرب المعاصرين، وتطبيقاتهم لها على الأدب، والنقد العربي القديم والحديث، يشكل مادة وافرة، تعطينا صورة عربية واضحة لنظرية التلقي، والقراءة، والتأويل، لا نستطيع أن نغفل قيمتها وإسهامها الممكن إلى النظرية نفسها في سياقاتها الغربية المختلفة."[١١]

وفي عام ١٩٨٧م، نشرت **مجلة آفاق المغربية** ملفا عن جمالية التلقي، انطوى على عدد من الدراسات والترجمات التي أدخلت إلى التداول النقدي العربي طائفة من الاصطلاحات الجديدة، المنتمية إلى هذا الاتجاه النقدي من قبيل التحقق، (Concretization)، وأفق التوقع (Horizon of expectation) والتجربة الجمالية (Experiment Aesthetic)، والتفاعل (Interaction)، والمسافة الجمالية (Aesthetic Distance).

من الجدير بالذكر، أن "نظرية التلقي" هي نفسها المقصود بـ"جماليات التلقي"، ولم يحدث بينهما إلا فرق يسير في الترجمات من الجانب المصطلحي، فالمترجم رعد عبد الجليل جواد، هو الذي اختار عنوان "جماليات التلقي" عند ترجمته لكتاب الناقد الإنجليزي روبرت سي هولب (Robert C. Holub) (Reception Theory) سنة ١٩٩٢م. وقام بعده عز الدين إسماعيل بترجمة نفس الكتاب سنة ١٩٩٤م، واختار عنوانا آخر له وهو "نظرية التلقي".[١٢] وقد اختلف سعيد علوش، وبسام بركة في ترجمة مقالتي "هانس روبرت ياوس" اللتين نقلاهما إلى العربية، حيث ترجم بسام بركة كلمة (Rezeption) إلى "الاستقبال"، وترجمها سعيد علوش إلى "التلقي". وقيل إن الاختلاف بينهما يتعلق – بالدرجة الأولى – بصياغة المفهومات الأساسية لنظرية التلقي (Rezeption)، وللمفهومات المرتبطة بها، والمشتقة منها. فقد عرّب سعيد علوش هذه الكلمة تارة بـ"الاستقبال" وتارة بـ"التلقي"، وتحدث عن "جمالية الاستقبال"، و "تاريخ الاستقبال"، ولكنه تحدث أيضا عن "جمالية التلقي". أما بسام بركة؛

فقد اعتمد معادلا مصطلحيا واحدا لـ(Rezeption)، وهو "التلقي" فتحدث عن "التلقي المنتج"، و"جمالية التلقي"وهذه من حيث المبدأ، هو الحل الأفضل لترجمة المصطلح.[١٣]

قيل إن أول ما يواجه كل من حاول القراءة أو الكتابة عن نظرية التلقي، هو اللبس الناتج عن اختلاف المصطلحات التي يشار بها إلى هذه النظرية،[١٤] وترجع هذه التسميات المتنوعة إلى اختلاف الأسس والمرجعيات المعرفية المحددة لنظرية التلقي، وإلى وجود انفصال بين المدرستين اللتين نشأت فكرة هذه النظرية منهما: الأكاديمية الأميركية المتمثلة في "نقد استجابة القارئ"، ومدرسة كونستانس الألمانية المتمثلة في "جمالية التلقي". فهكذا أخذت بدايات بلبلة مصطلحية وفكرية فيما يتعلق بنظرية التلقيتظهر في الساحة النقدية العربية،فالمصطلحات واحدة، ولكن المفاهيم تختلف.[١٥]

جماليات التلقي في التراث العربي القديم

كانت دراسة ظاهرة التلقي معلومة منذ قديم عند العلماء العرب حيث إنهم كانوا يدرسون الأدب والنقد والبلاغة إلى جانب التلقي، وكانوا يعتنون بالتلقي من ناحية تأثرهم الذاتي بالنصوص الأدبية، ومن ناحية علاقة التلقي بعلم النفس والاجتماع والفلسفة، واعتنّوْ كثيرا بعملية القراءة والعلاقة بين النص والقارئ، واهتموا كثيرا بموضوع التلقي والمتلقي بصورة واضحة في أغلب مدوّنات التراث، فالتواصل عندهم لا يتم بين النص والمتلقي إلا بفهم المتلقي لمضمونه من خلال صيغ تعبيرية متميزة.

ولا ينسى التاريخ أن عديدا من الأدباء والنقاد والبلاغيين العرب القدامى اشتغلوا بدراسة ظاهرة التلقي في رحاب تلقي القرآن الكريم والشعر العربي. وفي مقدمتهم الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) الذي يضع القارئ نصب عينيه في كل ما كتب، وجعله منطلقا وغاية، وأظهر اهتمامه به، حيث كان قبله منصبا على السامع، ويولي اهتماما محوريا بما يحقق نظرية البلاغة والبيان، ومن ثم ما تتضمنه تلك الصياغة من أبعاد التلقي والتواصل.

وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، أحد أهم أعلام البلاغة العربية، والذي يعد ما وعاه سبقا في نظرية القراءة والتلقي عند العرب، وتقدما في تصور ما يمكن أن يكون عليه التفاعل بين النص والقارئ. وكان النص عنده "شفرة" بين المبدع والمتلقي.

وكان يومئ إلى تعدد القراءة واختلاف التلقي من متلق إلى آخر، كما هو اليوم معروف في نظرية جمالية التلقي المعاصرة التي تبلورت في مدرسة كونستانس (Constance) الألمانية حين يتحدث عن إمكانية تلقي أنها هي نظرية توفيقية تجمع بين جمالية النص وتلقيه، استنادا إلى تجاوبات المتلقي وردود فعله بوصفه عنصرا فعالا، يربطه بالنص تواصل وتفاعل فني جمالي.وكان مصطلح التلقي حاضرا عند حازم القرطاجني (٦٠٨هـ)؛ ويتضح ذلك في إصراره البين على استعمال ألفاظ ومصطلحات خاصة بأثر الكلام في نفس المتلقي،[١٦] في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء".

فقبل الولوج في تحليل نظرية التلقي والبحث عن ملامحهاوفك ملغازاتها في رواية **مسك الحرام**، نعيد إلى ذاكرتنا أن لمفهوم التلقي في اللغة العربية معنى مزدوجا؛ فالأول يتمثل في أثر العمل المنتج في القارئ، والثاني هو طريقة استقبال وتلقي العمل من قبل القارئ.

أولا: جماليات قراءة مسك الحرام في العتبات النصية

نركز في هذا الصدد على عتبات النص والمداخل النصية التي أحاطت بنصوص وأحداث رواية **مسك الحرام** ، لأنها تؤثر في بناء المعنى وتشكل أفق توقع القارئ، وبما أنّ هذه العتبات "هي أول ما يلقاه القارئ، وهي مدخل مهم لمعرفة فحوى النص الذي يفجر دلالات النصوص، وتمثل المدخل الذي يركز عليه القارئ للولوج إلى أعماق النص، وتهيئ له صورة مبدئية عمّا سيلقاه في صميم النص ليستوعب معانيه من خلال المعطيات السياقية.

فرواية **مسك الحرام** تتحلّى بعتبات نصية قامت بأدوار مهمة في تلقي أحداثها. يتمتع المتلقي لهذا العنوان بظاهرة تواصلية تداولية تقتضي المشاركة بينه وبين مؤلِّفة الرواية وتساعده على بناء قراءته وأُفق توقعه منها على القاعدة الأساسية. لأن عنوان الرواية يتميز باتقاء مُبدعتِها التركيب الإضافي **(مسك الحرام)** ويتجمل بأبعاد

هندسية لغوية ودِلالاتٍ جمالية فنية.علما بأن العنوان ظاهرة تواصلية تداولية تقتضي التفاعل والمشاركة بين الكاتب والمتلقي لأنّ الهدف من العنوان هو الابهار والتأثير لحمل القارئ على اقتناء الكاتب"[١٧]. وهو العتبة النصية الأولى التي يلقاها القارئ في عملية القراءة، ونص مواز يحمل من المعنى ما يحمله النص الأصلي. إذ لا يبني القارئ قراءته للنص وأفق توقعهمنه على الفراغ بل يبنيهما على القاعدة الأساسية. ومن المعلوم أنه تكون طبيعة النص العنواني الحداثي مجبولة على تكسير الزمن الموضوعي لكي يستقر في زمانية ما يبنيها من خلال علاقته بالنص. أما رواية **مسك الحرام**، فهي محددة ولم تحدث عن زمنٍ معيَّن، لكنّها تتحدّث عن ظاهرتين متعارضتين إحدامها مأنوسة منشودة (**المسك**) والأخرى مكروهة (**الحرام**).

ثانيا: المسافة الجمالية

فالمسافة الجمالية هي الفاصلة بين أفق توقع القارئ أو أفق النص، وهي عناصر تساعد المتلقي على تعيين المعنى وتيسير التأويل، وتحديد دلالات النص. وتهتم المسافة الجمالية كثيرا بإشراك القارئ في إظهار مقصدية النص وجمالياته. وهي المعيار الذي تقاس به القيمة الفنيّة للعمل الأدبي، فكلما اتسعت المسافة الجمالية كلما كان النصّ فنيّا إبداعيّا.

ولقد خاضت رواية **مسك الحرام** للمبدعة المغربية غمار التجربة الجمالية الجديدة، بإطلاقها مصطلحات جديدةفي شكلها الشعبي المغربي وفي واقعيتها الحديثة الكلاسكية؛ حيث إنها اقتبست الخصائص الجمالية الّتي رسمتها معالم الرواية الحديثة في أروبا. ومن تمثلات المسافة الجمالية في رواية **مسك الحرام** ما يأتي:

أفق التوقعات في رواية مسك الحرام

يعد أفق التوقعات من أهم المفاهيم الإجرائية التي اعتمد عليها ياوس في نظريته "جمالية التلقي" وهو عملية بناء المعنى ورسم الخطوات المركزية للتحليل.فأفق توقع القارئ هو ما يسمى بـ (أفق الإنتظار) وهو ما يمثل الخلفية الثقافية والمعرفية الأولية الموجودة في ذهن القارئ تجاه نصٍّ ما، ويتكوّن أفق توقعات النص من اللغة وتشكيلاتها وتناصها وانزياحاتها ومراوغتها وتمتعها، ومن التراكيب الغريبة غير المألوفة والتكرار والحذف

وإيحاءات اللغة العامية وغيرها من الأساليب اللغوية، مع ما تحمله هذه اللغة من أفكار وتفسيرات. وكان محور نظرية التلقي الذي يختلف فيه الباحثون منذ ظهوره في الثلاثينيات حتى الثمانينيات هو"أفق توقع القارئ في تعامله مع النص".

فماذا يتوقع المتلقي من قراءته لرواية مسك الحرام؟ إن الجمع بين الكلمتين **(المسك والحرام)** في عنوان رواية سكينة المرابط يخيب أفق توقع المتلقي ويخلق فيه تواترا؛ حيث يصعُب عليه فَكُّ الارتباط بين "**المسك**" الذي تطمئن إليه النفوس و"**الحرام**" الذي تعاند الإنسانية والمروءة، فهذه العبارة تعاكس العبارة **(مسك الختام)** الذي هو الخلفية الثقافية الموجودة في ذهن المتلقي، علما بأن أفق القارئ قد يتغير عندما لا يستجيب العمل الأدبي الجديد لأفق انتظاره المألوف، وهذا يسبب له الانزحاح الجمالي أو ما يُسمَّى الإندهاش والحيرة.

فالمتلقي لهذا العنوان يتلقى "التضاد" وهو الجمع بين عبارتين أو لفطتين مختلفتين لا تجتمعان، كالأبيض والأسود، وتظهر أهمية التضاد في خروجه عن المألوف في الجمع بين ما لا يمكن جمعه على الحقيقة.ومما يخرق انتظار القاريء لرواية مسك الحرام، كثرة شخصياتها من أخوالٍ وخالاتٍ وآباءٍ وأمهاتٍ، وأجداد وجدات، وأحفادٍ ينتسب بعضهم إلى بعض وتتداخل قرابة بعضهم إلى آخرين.

اندماج الآفاق

اندماج الأفق هو عبارة عن استمرار العلاقة بين أفق الإنتظار التاريخي الرّاهن، وبين الأفق الماضي للعمل الأدبي والعملية الفاعلية بينهما، بإتمام النص الماضي عبر إعادة بناء علاقاته بقرائه اللاحقين. ويعني هذا "أن أفق الحاضر في تشكل دائم، لأنه من واجبنا؛ باستمرار أن نختبر أحكامنا المسبقة من مثل هذا التجريب "يأتي اللقاء مع الماضي، وفهم الموروث الذي ننتمي إليه. فلا يستطيع أفق الحاضر أبدا أن يتشكل دون الماضي. إضافة إلى ذلك لا يوجد أفق للحاضر إذا لم يوجد آفاق تاريخية نتواصل إليها".[١٨]ويرى "ياوس" أن النص الأدبي الجديد لا يُتلقى ويحكم عليه فقط بتعارضه مع خلفية أشكال فنية أخرى، ولكن باختلافه عن خلفية تجربة الحياة اليومية، مما يفرض على جمالية التلقي دراسة البعد الأخلاقي لوظيفة الأدب الاجتماعي.

بناء على هذه الفكرة استقت سكينة المرابط في مطلع هذه الرواية معلومات اجتماعية ثقافية ومشاهد حية تتعلق بالنساء المغربية ومكانتِهن في الأسرة بتصوير مباشر يحقق توقع القارئ، فهذا مما جعل قراءة رواية **مسك الحرام** غنية وممتعة.

"تبدأ الزغاريد بوصول أهل خالد وهم يطرقون باب منزلنا فيهب والديَّ لاستقبالهم، ارمق من فتحة باب غرفتي هذا العرض الجميل الخاص والذي لا أستطيع حضوره. تتقدمه باقات ورد جميلة،أستجدي عطرَها الفواح من بعيد، وألوان وأشكال طويلة وعريضة يظهر أنها هداياتتبادل العائلتان السلام والتحية..."[١٩]

هذه هي العبارات التي افتتحت بها قصة موعد الخطوبة التي وردت في مطلع هذه الرواية، فالفكرة تنسجم مع أفق انتظار المتلقي العربي المغربي الذي قد تعود عادات الأسر العربية في زيارات بعضها بعضا للخطوبة احتراما للمرأة، فيحقق أفقَ توقعه لاستمرار العلاقة بين أفق الانتظار التاريخي الرّاهن وبين الأفق الماضي.

ومما جعل رواية سكينة المرابط توافق توقع المتلقي استعمالها التناص الديني، وفي النموذج الآتي إشارات واضحة:

"نحن البنات نغلِقُ باب غرفتنا وننخرط في ضحكٍ هِستيري جنوني صبياني، نتمنى ألا تفاجئنا أختي أحلام فهي مثل أمي بل أكثر جدية منها، غير أن أمي حنونة كثيرا علينا، أما أحلام سوف تأمرنا بالصمت المطبق، فهي تدرس وتستعد للامتحانات ويجب احترام قرارها هذه مقدس لا يُناقِش، بل يُكلَّل بالتأييد من طرف والدي."[٢٠]

بتلقي هذه العبارات نستنتج أن البنات المغربية يختلين في غرف خاصة بهن في زوايا البيت خوفا من الاختلاط، بخلاف ما يحدث في ثقافات أخرى حيث تستقبل البنات الزوار القادمين إلى أسرتهم وتُقدمن الخدمات ترحيبا بهم، وهذه الثقافة تتعلق وتتفق مع الثقافة الإسلامية. فالله سبحانه وتعالى يأمر الله النساء بالبقاء في بيوتهن. قال تعالى:

"وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ "

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروحة ربها وهي في قعر بيتها" وفي هذه الرواية أمثلة أخرى تبرز هذه الثقافة المغربية الإسلامية وتكشف اللثام عن أوضاع المرأة في المغرب، منها أقوال الراوي التالية:

"يُقفل علينا باب غرفة النوم..."[٢١] وقوله: "كم اختلينا بغرفتنا، وهي تحكي لنا عن مغامراتها مع الشبان وماذا قالوا عنها"[٢٢] وقوله: تركت المائدة وعدت للغرفة، لا حَلَّ لي سوى أن ألعب بها وبعدم، دخلت أمي لتجدني مقهورة."[٢٣] وقوله: "ذات يوم بل ذات ليل حار خرجت سعدية من البيت، إنه شهر رمضان، ونحن لا نعتد الخروج في مثل هذا الوقت، فقط يُسمح لإخواني الذكور ببعض اللحظات."[٢٤]

وأوضح من ذلك كله حكاية الراوية عن أختها أحلام المريضة في هذه الرواية نفسها، وهي تقول:اقترب أبي من أمي : لا تدعيها تخرج من البيت لوحدها فالمسمى محمد سحرها وهو السبب في مرضها..."[٢٥]

يتضح جليا من النص المشار إليه أعلاه أن والد أحلام كان يَغير على ابنتها خوفا من الرجال الأجانب، واحترازا من أسباب الفتن.فالتناص الديني في ذلك أنهذا الفعل يوافق قول الله عز وجل في سورة الأحزاب:

"فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا"[٢٦] ويقول رسول االله صلى الله عليه وسلم: "**لَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**"

تدعو كل هذه المقتطفات من رواية **مسك الحرام** إلى رؤية إسلامية للأدب وإلى الترغيب في إنتاج آداب تساهم في تغريس أخلاق روحانية ضد أعراف وتقاليد بالية تساهم في انحلال الفطرة الإنسانية في بعض ثقافات غربية فبهذا تجيب الروائية مسك الحرامعن السؤال الديني والشكلي الذي تطرحها الرواية مطابقا لعناصر توقع الإنتظار من منطلق الأسئلة والأجوبة. وهذا هو ما وصفه "أيزر" بـ"الإستراتيجية" كمرجعية خاصة في إمكان المتلقي لمساهمة في شأنها عبر تمثله للمعنى الكامن داخل النص والتي يحددها "إيزر" بأنها تربط عناصر السجل بعضها ببعض وتقيم العلاقة بين السياق المرجعي والمتلقي كما أنها ترسم معالم موضوع النص ومعناه وشروطه".[٢٧]

التقاليد الزوجية.

نستخلص من تلقينا لرواية سكينة المرابط أن المرأة المغربية لا ترى عيبا في أن تتزوج من رجلٍ أكبر منها سنًا، ويبدوا أن هذه الفكرة صارت ظاهرة اجتماعية ثقافية بين نساء المغرب حسب ما تشير إليه هذه الروائية المغربية؛ سكينة المرابط. فالنصوص الآتية تلقي الضوء الكشاف على هذه العادة المتلائمة مع الثقافة الإسلامية، فإن النبي صلى الله عليه وسلم، تزوج بعائشة بكرا صغيرة، وهو أكبر منها سنا وأوعى منها خبرة وثقافة. فمن النصوص قولها:

"بعد عودتهم، علمنا من حديث أمي لجدّتي أنّها تزوّجت رجلا يكبرها بكثير، اسود اللّون وهي الشقراء الجميلة البيضاء البشرة ذات العينين السّماويّتين[٢٨]" وقولها:"آه، من الأيّام، آه، سُنحت لوالدي أن يعقد قرآنه على أمي وهي طفلة صغيرة جدا، لا يتجاوز عمرها إثني عشر سنة في حين قد تجاوز هو الثلاثين[٢٩]".

وقولها:"فقد اختارت لها والدتها أخ زوجها الذي سارع لطلب يدها مباشرة بعد موت جدي كي يحظى بالجاه، كذلك زوجت عمتي من حماها لا طمعا في ثرائه كما اعتاد المجتمع والناس بمثل هاته الزيجات، بل لتتصرّف بممتلكات ابنتها البكر، ولتساعد أولادها من زوجها الثاني في سير حياتهم وعيشهم.[٣٠]"

وقولها: "والتي هربت من عشيرتها وعمرها لا يتجاوز الحادية عشر بعدما زوجوها من ابن عمّها "قايد المية" الذي في مثل سن والدها آنذاك. وبعد أن حصل على ورقة تطليقها تزوجها هكذا حكت لي أمي أنّه إنسان طيب لدرجة لا تتصوّر.[٣١]"

وقولها: "كان خاصها – تتزوّج – الله يرحمها –كانت صغيرة، وزوينة بزاف ولا معيل لها[٣٢]"

وقولها: "اسمعي يا سناء إن والدتي مريضة جدا وأنت تعلمين ذلك وفي عرفنا وتقاليدنا أن لا يتزوّج الرّجل غيرَ ابنة عمّه أو عمّته أو ابْنَةِ خاله أو خالته وسعيد يحبك كثيرا...[٣٣]".

إن النص المشار إليه أعلاه تؤمئ إلى إباحة زوج المحارم في الثقافة المغربية، فيوافق ذلك أفق توقع المتلقي المسلم الذي كانت عنده خبرة عن موقف الإسلام في زواج الأقارب بعضهم ببعض. ومما يخيب أفق انتظار المتلقي ما ذكرتها سكينة في هذه الروايةمن حوادث العداء والعنف والتشددفي المعاشرات الزوجية حيث ترتعش الزوجات خوفا من حضور أزواجهن في البيت ويخافين منهم ويرتجفن من نشوزهم وشذوذهم الجنسي، يقول

الرّاوي عن "أحلام"حين زارت جدتهاوأدى تأخرها بالعودة إلى بيت زوجها إلى الطلاق بينهما كما يتضح ذلك في النص الآتي:

"عدنا إلى بيتنا، نفكر كيف نتصرف قبل أن يعود أبي إلى البيت، وتتفاقم المشاكل أكثر مما عليه اليوم. نصحتها جدتي أن تغادرها لمنزلها، وتعود غدا بعد أن يخرج أبي للعمل الجديد، لكنها خافت فقد تأخرت كثيرا، خافت أن يضربها زوجها كما اعتاد ويمارس عليها شذوذه الجنسي، فما كان على أمي إلا أن تتصل بصديقة أحلام فتيحة، وتتوسل أمها أن تظل معهما بالبيت ريثما نجد لنا حلا يفصل بينها وبين زوجها[٣٤]"

وشاهد آخر في الرواية: "أقسم بالله إن لم يطلق أختي الآن سأقتله بعدها. احكموا علي وأدخل السجن ولا مشكل لدي[٣٥]"

وخير شاهد لهذا ما قالته الجدة بعد أن اشتكى إليه محمد؛ زوج أحلام بعد خلعها من النكاح وخروجها من البيت: "أنا سبقتك وقدمت بك الشكاية وأتهمك بأنك اعتديت عليها وقمت بطردها من البيت ومعي الشهود ولدي كذلك أوراق الطبيب تفيد بأنك مارست عليها شذوذك الجنسي، وتعنفها والشهادة بخمسة وأبعين يوما وسوف أنادي على كل أهل الحي ليجعلوك كرة بين أيديهم وأرجلهم"[٣٦]

ومن أوضاع المرأة المغربية التي نتلقاها من رواية مسك الحرام، تعلم المرأة المغربية حِرَفاً متعددة إضافة إلى ما حوتها من علوم وآداب من المدارس الحكومية الرسمية، يحكي بطل رواية مسك الحرامقصة سعدية ووالدها على لسان الراوي قائلا: "لم يجد والدي بدا من أن يرسلها لتتعلم صنعة الخياطة فهي لم تُوَفَّقْ في دراستها، سجلها بنادي للخياطة عند سيدة زينب ذات اسم كبير وسمعة طيبة وصرامة جدية. "هذه ستعلمكِ حرفة الخياطة يا سعدية"[٣٧]

إن رواية **مسك الحرام** مليئة بقضايا اجتماعية دينية مركّزة على قصتين رئيسيتين هما: قصة الجدة وقصة الحفيدة، منها قولها:

"**فيُقَبِّل خالد رأس جدَّتي**"[٣٨]

يُفهم من هذه العبارة أن خالد يقبِّل رأس الجدة تحية واحتراما لها، فهذه العادة المغربية تختلف من عادات قارات إفريقية أخرى؛ مثل بلاد يوربا النيجيرية حيث يُعتقد أن الصغير ينحني أو يجثوا أو يسجد أمام الكبير ليحترمه. وفي هذه الرواية عديدة من أمثلة الثقافة الاجتماعية للإحترام والتحية، منها: "آخذ يديها بكلتا يدي أقبلهما وأطبع قبلاتي على وجهها أهدهد نومها الهارب تهدأ وتنام..."[٣٩]

وفي هذه الرواية مثال آخر يعبر عن ثقافة المرأة المغربية، بمعنى أن البنات يختبئن عن الضيوف ولهنّ غرفٌ خاصة بهنَّ حتى لا يختلطن بالرجال ولا يتبرجن تبرج الكاسيات العاريات. يقول الراوي عن فتاة تناديها جدتها لتخرج من الغرفة حتى تسلم على الضيوف: "تعالي يا فتاة سلِّمي على ضيوفك! ترتبك قدماي، وأقف أمام لجنة التحكيم الغربية عنا"[٤٠]

"لماذا ترتبك قدما هذه الفتاة بعد وقوفها أمام الضيوف؟ إنما هي كناية تمثيلية عن استحياء البنات المغربية وآدابهن وأخلاقهن الطيبة. فالمتلقي لهذه الرواية يدرك ويفهم من خلال قراءته أن للمغرب ثقافة اجتماعية غنية في تربية البنات تربية إسلامية صحيحة.

ومما يشير إلى موقف سكينة المرابط الإسلامي وانتمائها إلى الإجابة على الأسئلة الدينية والأخلاقية في هذه الرواية، نصوص نستخلص من خلال قراءتها الانتقائية والإيديولوجية إبراز السكينة القيم الإسلامية في ثقافة المغرب بأسلوب تفكيك الشفرات والعلامات اللّغوية التراثية والتقنية بلعبة التشبيهات والاستعارات. يفهم المتلقي من خلال أحداث هذه الروايةأن التداوي بالرقية الإسلامية والتبارك بأدعية العلماء عادة اجتماعية عند أهل المغرب؛ حيثي تحدث بطل الرواية عن علاج أبيه لأختها الممسوسة المسحورة بالرقية الإلهية، وزيارة الأضرحة والتبارك بالعلماء المتصوفين الذين يرونهم أولياء لله.

يقول أبو المسحورة: "اخرج أيها الجنّ واجهني أنا.. فابنتي لم تفعل شيئا تستحق أن تعذّبها والذي سحرها سوف ينال عقابه بإذن الله![٤١]"

ومنها قوله: "قل أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله واخرج من هذا الجسد[٤٢]

- "أخذت أمي أختي أحلام لزاوية عبد القادر الجيلاني ثم لزاوية سيدي عبد الله بن حسون ولزاوية سيدي بن عاشر".
- "تتكفّل بزيارة للأولياء والأضرحة كما تقول أختي أحلام "أسادات" أو حتّى يجيب الله الشّفا"
- "أذكر مرّة أخرى ونحن "سيدي العربي بن السايح" أدخلت أمي أختي لتغسل من ماء البئر البارد حتّى يذهب عنها الفزع والخوف ويطير الجنّ بل كل العفاريت لحال سبيلهم".
- وفي قصة خطوبة أختها الصغيرة تقول:

"قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "ما خاب من استشارة، ولا ندم من استخارة" فالاستشارة مرتبطة دائما بالاستخارة فلو كان فيها الخير لانشرحت لها القلوب بمقدمها، فأنت تعلم أن القلوب بيد الله يقلّبها كيف يشاء والبرّ ما اطمأنّ إليه القلب وتيسر الأمر، وفيما يخصّ مشاعرك نحوها فهو شعور مبني على طول فترة تعارفكما، قد يكون اتياحا كما تقول ولكن هذا الارتياح على ماذا انبنى؟ أهو قد انبنى على رضاك بامكتوب والنّصيب؟ أم انبنى على تعقّل وتبصّر؟ وهذا التعقّل والتّبصّر ألم يكشف لك بأنّها تخدعك وتريد أن توقعك في شباكها...؟"[٤٣]

"يقول الله تعالى "وعسى أن تحبّوا شيئا وهو شرّا لكم" انطلاقا من الآية الكريمة فهذا الأمر الذي حدث فيه شرّ يريد الله به خيرا ربّما يريد الله من هذا التعكاس تربية أخيها وامتحانا لسناء[٤٤]".

فعل القراءة في الشكل اللغوي في رواية مسك الحرام

كانت رواية **رواية مسك الحرام** غنية بالأساليب اللغوية التي تثير القارئ على القيام بتتع الفجوات الكامنة في نصوصها ليصل إلى معانيها، وسندرس التكرار من أهم المظاهر الأسلوبية التي اشتملتها رواية **مسك الحرام** فيما يأتي:

- **التكرار**: هو إعادة معنى أو لفظ بعينه، وتزيده أكثر من مرة، وقد أشار القدماء إلى ظاهرة التكرار؛ منهم الجاحظ الذي ربطه بالتاثير النفسي،[٤٥] وتحدث حازم القرطاجني عن أهمية التكرار وضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال[٤٦]. فالتكرار "أداة لتصوير حالة نفسية دقيقة أو مجرى اللاشعور من إنسان مأزوم

حيث يتعلق وعي الإنسان في لحظات المحن والأزمات بكلمة أو صورة أو موقف استدعاها وعيه من الماضي وطرقت ذهنه في هذه اللحظة، وكأنها تهبط بعد ذلك إلى اللاشعور وتبقى حبيسة فيه فترة من الزمن لتطفو إلى الوعي بين الحين والحين ويتردد صداها مسموعا في الآفاق"[٤٧]. ويعرف السجلماسي التكرار بأنّه" إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع في القول مرتين فصاعدا، وهو اسم لمحمول يشابه به شيء شيئا في جوهره"[٤٨].

يشكل التكرار ظواهر أسلوبية عديدة في رواية **مسك الحرام** حين استعملته سكينة المرابط لتعبر به عن رؤيتها وأفكارها الخاصة، وسندرس هذه التشكيلات التكرارية على النحو الآتي:

تكرار العبارة والجملة

هو تكرار بعكس الأهمية التي يوليها المتكلم لمضمون تلك الجمل المكررة، ليفتح بها المتكلم فهم مضمون عبارته، فضلا عن تحقيقه للتوازن الهندسي والعاطفي بين الكلام ومعناه، وبما أن التكرار "يأتي للتوكيد، أو لزيادة التنبيه، أو للتهويل، أو للتعظيم، أو للتلذذ بذكر المكرر؛ فقد ذكرت سكينة المرابط على لسان راويها بعض جمل وحروف في أحداث رواية **مسك الحرام** ليعكس من خلالها نظرتها ونفسيتها. ومنها قولها:

- "الله يرحم باباها..."[٤٩]
- "الله يرحمها زوجتك"[٥٠]
- "رحمها الله"[٥١]
- "الله يرحمه ويغفر له"[٥٢]
- "حرام عليه... حرام عليه"[٥٣]
- "تتجول نحاول نحاول"[٥٤]

أتت سكينة بتكرار هذه العبارات لا لمجرد إعادة الألفاظ والعبارات ولكن لتربط بين مفاهيم العبارة ومعناها لغويّا ونصيا ودينيا، ولتؤكد المعنى المراد وترسخه في نفس متلقيها ولنا أمثلة كثيرة من القرآن. يقول عزّ وجلّ: "الحاقة ما الحاقة"،[٥٥] "كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون"،[٥٦] وغيرها من الآيات القرآنية الّتي جاءت في مستويات

التكرار المتنوعة لأغراض شتى مثل: التأكيد أو تناسق الكلام أو الاستيعاب أو لزيادة الترغيب أو لاستمالة المخاطب أو للتنويه لشأن المخاطب أو للترديد وغيرها.

تكرار الكلمة في الرواية

- " آه ثم آه يا حبيبتي "[٥٧]
- "آه ثم آه كم حاولنا أن لا يضر بها"[٥٨]
- وآه، كم عذبتني![٥٩]

هذا نوع آخر من التكرار أتت به الرّوائية المغربية على لسان الرّاوي وتريد به إثارة التوقع لدى المتلقي وتأكيد المعنى وترسيخه في ذهنه، ليتمّ بناء إيقاع داخلي يحقق انسجاما موسيقيا تنبيها وتحذيرا لحبيبتها المخاطبة، والحثّ على الاجتناب وظيفة من وظائف التكرار في اللغة العربية.

تكرار الحرف في الرواية

ورد في هذه الرواية تكرار حرف العطف (بل) متواليا في تعبيرات متشتتة وفي أحداث مختلفة خلال سرد أفكار الرواية وعرض أحداثها. مثل: "شيء واحد أقوله بل هو قرار"[٦٠]. وقوله:

- " قاطعني بالكلام بل طفلان يا سنلء!"[٦١]
- "يردد أبي وكأنه ساخط على وضع أبي، بل هو ساخط فعلا"[٦٢]
- "زوجها يعما في الأسواق، بل "حليقي" يدير حلقة"[٦٣]

الخاتمة

تناول هذا البحث دراسة التلقي وعناصره في رواية الروائية المبدعة المغربية سكينة المرابط. حيث قام الباحث بتحليل هذه ظاهرة الحداثة من نواحي شتى، من حيث المسافة الجمالية وأفق التوقعات والتضاد والتكرار. فالرواية بصفتها رواية اجتماعية حديثة العهد تجلى فيها حضارة المغرب الاجتماعية والدينية والقبلية، وقد حلل الباحث تلك الثقافة على ضوء نظرية التلقي.

[1] انظر: أسامة عميرات، نظرية التلقي النقدية وإجراءاتها التطبيقية، ص٢٧.

[2] انظر: حسن البنا، قراءة الآخر والأنا نظرية التلقي وتطبيقاتها في النقد العربي الأدبي المعاصر، ص١٤.

[3] سورة البقرة، الآية ٣٧.

[4] سورة الأنعام، الآية ٦.

[5] انظر: روبرت هولب، نظرية التلقي مقدمة نقدية، ص١٢

[6] انظر: محمد غينمي هلال، النقد الأدبي الحديث، (القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، ص٧٤.

[7] انظر: دليلة مروك، استرتيجية القارئ في شعر المعلقات: معلقة امرئ القيس نموذجا، ص١٤.

[8] سمير سعيد حجازي، قضايا النقد العربي المعاصر، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠٧م)، ص١٨٠.

[9] انظر: عبده عبود، " تلقي الأدب العربي الحديث في الأقطار الناطقة بالألمانية"، مجلة جامعة دمشق، (قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، سوريا: العدد(٨)، ١،٢٠٠م)، مج٢٣، ص٥٠.

[10] انظر: فولفغانغ إيزر، نظرية القراءة في الأدب، ترجمة: حميد لحمداني، الجلال الكدية، (فاس: مكتبة المناهل، د.ط، ١٩٩٥م)، ص٣.

[11] حسن البنا ، المصدر السابق، ص١٠٢.

[12] انظر: عبد القادر خليف، مصطلح القراءة في كتاب " القراءة وتوليد الدلالة " لحميد لحمداني، (رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٢م)، ص١٣.

[13] انظر: قاسي صبيرة، "النص الأدبي بين الإنتاجية الذاتية وإنتاجية القارئ"، مجلة المخبر، (مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، د.ت)، ص٢٣٦.

[14] انظر: فاطمة البريكي، قضية التلقي في النقد العربي القديم، (الإمارات العربية المتحدة، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦م)، ص٤١-٤٢.

[15] انظر: أسامة عميرات، نظرية التلقي النقدية وإجراءاتها التطبيقية،ص١٠٣.

[16] انظر: موقع إلكتروني،www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=7873

[17] الطيب بودريالة، "قراءة كتاب سيمياء العنوان للدكتور بسام قطوس"، محاضرات المتلقي الدولي الثاني السيمياء والنص الأدبي، جامعة محمد حيضر، بسكرة، الجزائر، ص٢٥.

[18] جان ستاروبنسكي، مقدمة كتاب ياوس من أجل جمالية التلقي، ضمن كتاب نظرية التلقي، ترجمة: عسان السد، (سوريا: دار الغد، ط١، ٢٠٠٠م)، ص٢٠-٢١.

[19] انظر: المرابط سكينة، مسك الحرام، (االمغرب: مطابع الرباط نت، ط١، ٢٠١٨م)، ص ٥.

[20] المرجع نفسه، ص١٦.

[21] المرجع نفسه، ص٣٦

[22] المرجع نفسه، ص٢٩

[23] المرجع نفسه، ص٣٧

[24] المرجع نفسه

[25] المرجع نفسه

[26] سورة الأحزاب، الأية٣٢

[27]عبد الجليل مرتاض، الظاهرة والمختفي: طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، (الجزائر" المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٥م)، ص١٠١.

[28]المرجع نفسه، ص٢٩

[29]المرجع نفسه، ص٤١

[30]المرجع نفسه، ص٤٢.

[31]المرجع نفسه، ص٤٤.

[32]المرجع نفسه، ص٥٠.

[33]المرجع نفسه، ص٥٩.

[34]المرجع نفسه، ص٨٠

[35]المرجع نفسه، ص٨١.

[36]المرجع نفسه، ص٨٠-٨١.

[37]المرجع نفسه، ص٢٥.

[38]المرجع نفسه

[39]المرجع نفسه، ص٧٠

[40]المرجع نفسه

[41]مسك الحرام، ص

[42]المرجع السابق

[43]المرجع نفسه، ص٩١

[44]المرجع نفسه، ص٩٢.

[45]انظر الجاحظ، البيان والتبيان، ص ١٠٥

[46]انظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٤٤

[47]نزك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، (مكتبة النهضة المصرية، بغداد، ط١، ١٩٦٥م، ص ٢٣٠

[48]أبو محمد القاسم السلجماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: دراسة نقدية، (دار السويدي للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م)، ص٤٧٦.

[49]سكينة المرابط: مسك الحرام، ص٤٦.

[50]المرجع نفصه، ص٤٦.

[51]المرجع نفصه، ص٥١.

[52]المرجع نفصه، ص٥٢.

[53]المرجع نفصه، ص٥٣.

[54]المرجع نفصه، ص٦٢.

[55]سورة الحاقة: الآية٢.

[56]سورة التكاثر: الآية٣.

[57]سكينة المرابط: مسك الحرام، ص٨٥

[58]المرجع نفسه، ص٢٨.

[59]المرجع نفسه، ص٥٠.

[٦٠] المرجع نفسه، ص٦٠.

[٦١] المرجع نفسه، ص٨٧.

[٦٢] المرجع نفسه، ص٣٠.

[٦٣] المرجع نفسه، ص٢٩.

مصادر البحث

استقبال النص عند العرب: دراسة أدبية، محمد المبارك، بيروت: الدراسات العربية للنشر، ط١، (١٩٩٩م).

أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عبد الخالق فرحان شاهين، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، عراق: جامعة الكوفة، (٢٠١٢م).

بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، (١٩٩٢م).

البيان والتبيان، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٧، (١٩٩٨م).

تحليل الخطاب الروائي وفق نظرية علم النص: إبراهيم الكوني نموذجاً، عادل محمد يوسف الناجم، رسالة دكتوراه في علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، مصر: جامعة القاهرة، (٢٠١٢م).

التلقي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري، مراد حسن فطوم، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، (٢٠١٣م).

التلقي في النقد العربي القديم، رشيد يحياوي، مجلة علامات في النقد، جدة: النادي الأدبي، ع١٩، (١٩٩٦م)،

التلقي والتواصل في التراث العربي، عبد القادر عواد، مجلة حوليات التراث، الجزائر: جامعة وهران، العدد (١٢)، (٢٠١٢م).

التلقي والتواصل في التراث العربي، عواد عبد القادر: **مجلة حوليات التراث**، الجزائر: جامعة وهران، (٢٠١٢م).

التلقي والتواصل في النقد العربي القديم، حمودة حنان، مجلة التواصل، الجزائر: جامعة عنابة، العدد (٢٣)، (٢٠٠٩م).

التلقي والسياقات الثقافية: بحث في تأويل الظاهرة الأدبية، عبد الله إبراهيم، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط٢، (٢٠٠٠م).

جماليات التلقي في رائية عبد السلام بن رغبان الحميصي، فهيمة لحلوحي، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد(١)، (٢٠٠٩م).

حدود التأويل: قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النقدي، وحيد بن بوعزيز، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط، ١(، ٢٠٠٨م).

دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، القاهرة: مطبعة المدني، ط٣، ١٩٩٢م).

رواية المعجزة بين التلقي والتأويل والرؤية العامة للبنية النصي والفنية، فيصل حسين طحيمر غوادرة، فلسطين: جامعة القدس المفتوحة، (٢٠٠٧م).

عدوي الرحيل: موسم الهجرة إلى الشمال ونظرية "ما بعد الاستعمار"، خيري دومة، عمان: دار أزمنة للنشر والتوزيع، ط١، (٢٠١٠م).

فعل القراءة وإشكالية التلقي، محمد خرماش، مجلة علامات، (١٩٩٨م).

القراءة في الخطاب الأصولي: الاستراتجية والإجراء، يحيى رمضان، إربد: عالم الكتب الحديثة، ط١، (٢٠٠٧م).

لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، بيروت: دار صادر، ٢٠١٠م.)

مختار الصحاح، محمد بن بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية، ط٥، (١٩٩٩م).

المقامات والتلقي: بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمذاني في النقد العربي الحديث، نادر كاظم، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، (٢٠٠٣م).

مقدمة كتاب ياوس من أجل جمالية التلقي، جان ستاروبنسكي، ضمن كتاب نظرية التلقي، سوريا: دار الغد، ط١، (٢٠٠٠م).

المناهج النقدية المعاصرة، أحمد أبو حسن، الرباط: مكتبة دار الأمان للنشر والتوزيع، ط١، (٢٠٠٤م).

نحو النص: اتجاه جديد في الدرس الجديد، أحمد عفيفي، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، (٢٠٠١م).

النحو والشعر: قراءة في دلائل الإعجاز، مصطفى ناصف، مجلة فصول، القاهرة: مجلة النقد الأدبي، العدد(٣)، (١٩٨١م)،.

نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط١، (١٩٩٧م).

نظريات نقدية وتطبيقاتها، أحمد رحماني، القاهرة: مكتبة وهبة، د.ط، (٢٠٠٤م).

نظرية التلقي النقدية وإجراءاتها التطبيقية، أسامة عميرات، رسالة ماجستير في النقد العربي المعاصر، الجمهورية الجزائرية الديمقراطي، جامعة الحاج لخضر، (٢٠١١م).

نظرية القراءة في الأدب، فولفغانغ إيزر، ترجمة: حميد لحمداني، فاس: مكتبة المناهل، (١٩٩٥م).

النقد الأدبي الحديث، محمد غينمي هلال، القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، (١٩٩١م).

علم الدلالة و الرؤية الكونية للقرآن الكريم

د.خديجة مرات / جامعة محمد لمين دباغين –سطيف٢– الجزائر/كلية الآداب واللغات /قسم اللغة والأدب العربي

ملخص:

يحمل القرآن الكريم قدسيّة وأهمية كبيرة لدى المسلمين؛ لفتت نظر الباحثين الاستشراقيين وجذبت اهتمامهم إليه؛ فانكبوا على تأويله وتحليله، وجعلوا منه بؤرة دراساتهم اللّغوية والتاريخية والتفسيرية، وتعدّ المدرسة الاستشراقية اليابانية من بين المدارس التي أولت عناية فائقة للبحث في قضايا القرآن الكريم.

ويبرز توشيهيكو إيزوتسو كأحد أهمّ الباحثين الاستشراقيين اليابانيين الذّين قاموا بدراسة القرآن الكريم بالتحليل والتمحيص، من خلال أعماله المتسلسلة كـ"بنية المصطلحات الأخلاقية في القرآن ومفهوم الإيمان في الدين الإسلامي، وتاريخ الفكر الإسلامي...الله والإنسان في القرآن – علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم– وهو موضوع ورقتنا البحثية، إذ تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الرؤية الكونية للقرآن عند إيزوتسو من خلال هذا الكتاب؛ الذّي جمع فيه بين عمق الرؤية الفلسفية ودقّة استخدام علم الدلالة لاستنباط رؤى ومفاهيم أساسية في القرآن الكريم؛ إذ تصنّف دراسته هذه "علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم" ضمن الجهد الاستشراقي العام لفهم وتحليل مظاهر الحضارة العربية والإسلامية .

وقد اعتمد إيزوتسو في دراسته على منهج علم الدلالة "semantics"، الذّي يعدّ واحدا من أهمّ مجالات علم اللغة الحديث وأكثرها خصوبة وتعقيدا.

يحاول إيزوتسو من خلال دراسته هذه فهم القرآن الكريم ونظامه المفهومي ورؤيته للعالم والرسالة التي يحملها للبشرية، وبالتالي تمهّد دراسة إيزوتسو لدراسات قرآنية دلالية معمّقة وتهيّء لها أساسا منهجيا ورؤية علمية قابلة للتنمية والتطوير.

ومن أجل ذلك جاءت هذه الدراسة المعنوّنة ب" **علم الدلالة و الرؤية الكونية للقرآن الكريم**" من أجل الكشف عن الجديد الذي أتى به في تحليله اللغوي للقرآن الكريم، من خلال بعض التيمات الموجودة داخل الكتاب الذي محلّ دراستنا، كـ: توحيد المفاهيم القرآنية، والمعجم والرؤية للعالم، البنية الأساسية للرؤية القرآنية للعالم .

الكلمات المفتاحية: علم الدلالة، الرؤية القرآنية للعالم، توحيد المفاهيم القرآنية، المعجم والرؤية للعالم.

Semantics and the Cosmic Vision of the Holy Quran

Dr.khadidja merat

University of Mohamed Lamine Debaghin - Setif 2 - Algeria

Faculty of Literatures and Languages

Department of Arabic Language and Literature

abstract

The Holy Qur'an holds great sanctity and importance to Muslims; It caught the attention of orientalist researchers and attracted their attention to it; They devoted themselves to its interpretation and analysis, and made it the focus of their linguistic, historical and interpretive studies, and the Japanese Orientalist School is among the schools that paid great attention to researching issues of the Noble Qur'an.

Toshihiko Izutsu stands out as one of the most important Japanese Orientalist researchers who have studied the Holy Qur'an with analysis and scrutiny, through his serial works such as "The Structure of Moral Terms in the Qur'an and the Concept of Faith in the Islamic Religion, and the History of Islamic Thought…God and Man in the Qur'an - Semantics of the Qur'anic World View- It is the subject of our research paper, as this study aims to clarify the cosmic vision of the Qur'an according to Izutsu through this book, in which he combined the depth of the philosophical vision and the accuracy of using semantics to elicit basic visions and concepts in the Holy Qur'an. Within the general orientalist effort to understand and analyze the manifestations of Arab and Islamic civilization.

In his studies, Izutsu relied on the "semantics" method, which is one of the most important, fertile and complex fields of modern linguistics.

Through this study, Izutsu attempts to understand the Holy Qur'an, its conceptual system, its vision of the world, and the message it carries to humanity. Thus, Izutsu's study paves the way for in-depth semantic Qur'anic studies and provides them with a methodological basis and a scientific vision capable of development and development.

For this reason, this study entitled "Semantics and the Cosmic Vision of the Holy Qur'an" came to reveal the newness that he brought in his linguistic analysis of the Holy Qur'an, through some of the themes found within the book under our study,

such as: Unification of Qur'anic concepts, lexicon and vision. For the world, the basic structure of the Quranic vision of the world.

Keywords: Semantics, Quranic vision of the world, unification of Quranic concepts, lexicon and vision of the world.

مقدّمة :

يشّكل موضوع "علم الدلالة و الرؤية الكونية للقرآن الكريم" جانبا مهما من كتاب "الله والإنسان في القرآن" للمستشرق الياباني "توشيهيكو إيزوتسو" وهو موضوع بالغ الأهمية لأنّه "يكشف عن أهمية اللغة في حياة البشر ودورها الحاسم في تشكيل رؤية الإنسان لعالمه من خلال إعادة تنظيم المفاهيم (القديمة والمستحدثة) وإدخالها في أنساق وعلاقات ذات مستويات معقدة ومتداخلة تشكّل نظاما جديدا ذا طبيعة مختلفة كلّيا عن النظام الذي كانت المفاهيم تتخذه سابقا، ويترتب على ذلك فهم جديد للعالم، ودور جديد للإنسان فيه"[١] . بعبارة أخرى تتمثل أهمية هذا الكتاب في "طبيعة التحوّل الجذري الذي أحدثه القرآن في حياة العرب، بوصفه نظاما مفهوميا جديدا أعاد صياغة المفاهيم السابقة وأضاف إليها مفاهيم جديدة، وربط فيما بينها بعلاقات معقدة، فأنتج رؤية للعالم مختلفة تمتاز بمعمار مفهومي عظيم من حيث تماسكه ومرونته وتنظيمه"[٢]. وعليه جاءت هذه الدراسة لتكشف لنا التصوّر الإيزوتسوي حول علم الدلالة القرآنية، هذا المصطلح الجديد الذي شكلّه إيزوتسو من خلال المزج بين المنهج الدلالي والمدونة القرآنية، ليعطي حقلا مفاهيميا خاصا ورؤية دلالية جديدة. وقبل معرفة أهم التيمات التي شكلت الرؤية القرآنية للعالم،ضبط مصطلحات الدراسة.

أوّلا– نبذة عن توشيهيكو إيزوتسو:

ولد الباحث الياباني Toshihiko Izutsu في طوكيو في اليابان، عام/١٩١٤، وكَانَ باحثاً ولغوياً وأستاذاً جامعياً، درَّس في معهدِ الدِراساتِ الثقافيةِ واللغويةِ من جامعةِ كيو Keio في طوكيو (١٩٥٤–١٩٦٨)، وفي المعهد الملكي لدراسة الفلسفةِ في طهران، وفي معهد الدراسات الإسلامية من جامعة مكجل "**McGill** " في مونتريال بكندا، وكان أستاذاً فخرياً وعضواً في الأكاديمية اليابانية.

ألف عدداً مِنْ الكُتُبِ عن الإسلامِ والأديانِ الأخرى، وعن اللغة والتصوف، وكان موهوباً جداً في تَعلّم اللغاتِ الأجنبيةِ، وكان على معرفة دقيقة بالعربية، والفرنسية والألمانية، فضلاً عن الإنكليزية، وهو من أوائل من ترجم

القرآن الكريم إلى اللغة اليابانية، وترجمته معروفة بدقتِها اللغويةِ وما زالَتْ مشهورة وكثيرة الاستعمال في الأعمال العلمية. توفي في: ١يوليو/تموز ١٩٩٣

ثانيا- علم الدلالة (مفهومه وأنواعه)

١ -مفهوم علم الدلالة: عرّفت الدلالة في تراث العربية بأنّها كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والأول الدال والثاني المدلول، فإذا كان الدال لفظا فالدلالة لفظية، وإن لم يكن لفظا فالدلالة غير لفظية، كدلالة الخطوط، والعقود والنصب والإشارات[٣] .

أما عند الغربيين يشار إليها بمصطلحين عادة، المصطلح الأوّل هو signification أو significance والثاني semantics ويغلب استعماله بمعنى علم الدلالة، كما يستعمل (بحذف (s وصفا في كثير من الأحوال، في حين أنّ الأوّل يستخدم للإشارة إلى العملية التي يقترن فيها الدال بالمدلول، وسأستخدم للمصطلح الثاني اللفظ العربي (دِلالة)على وزن فِعالة بكسر الفاء واستخدم الأول اللفظ (دَلالة) بفتح الدال[٤].

وبذلك فإنّ علم الدلالة هو مصطلح فنّي يستخدم في الإشارة إلى دراسة المعنى، ويعرّف كذلك بأنّه: علم معاني الكلمات وأشكالها النحوية[٥].

إنّ موضوع علم الدلالة أيّ شيء، أو كلّ شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، وهذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطؤيق، وقد تكون إشارة باليد، أو إيماء بالرأس، ومن أمثلة الرمز كذلك حمرة الوجه للدلالة على الخجل، والتصفيق علامة الاستحسان، وعلامات الترقيم، ورسم فتاة مغمضة تمسك ميزانا لرمز العدالة، ومشكلة علم الدلالة ليست هي البحث عن كيان مميّز يسمى المعنى، إنّها بالأحرى محاولة لفهم كيف يمكن لهذه الكلمات أو الجمل أن تعني على الإطلاق أو ربما على نحو أفضل كيف يمكن أن تكون ذات معنى[٦] .

2 -أنواع الدلالة :

قسّمت الدلالة في علم اللغة إلى أنواع مختلفة على حسب المدخلات التي تتدخل في تشكيل

معنى الكلام، حيث يجد المتكلم أبعادا دلالية مختلفة في التركيب الواحد وقد قسّم العلماء الدلالة إلى خمسة أنواع كالآتي[٧] :

أ- **الدلالة الصوتية:** وهي تلك الدلالة التي تستمد من القيمة التعبيرية للحرف المفرد، وقد أورد لها ابن جني عدّة أمثلة كما في الفرق بين (قضم- خضم)، فالقضم لأكل الشيء اليابس، والخضم لأكل الرطب، حيث اختار

العرب الخاء لرخاوتها في كلمة (خضم) للدلالة على أكل الشيء الرطب، واختاروا القاف لصلابتها في كلمة (قضم) للدلالة على أكل الشيء اليابس فأخذوا مسموع الأصوات على محسوس الأحداث[٨].

ب- الدلالة الصرفية: وهي الدلالة التي تستمد من بنية اللفظ وصيغته، وقد أشار إليها ابن جنّي عند حديثه عن تشديد عين الكلمة، حيث تفيد حينئذ قوة المعنى وتكراره، مثل (قطّع)، وقد أشار إبراهيم أنيس في قوله: "لا تصدقه فهو كذّاب؛ هل يعقلا أن تنضخ العين بالنفط في وسط الصحراء في ثوان؟ ! فإن (كذّاب) أقوي في الدلالة من كاذب وذلك بتشديد عين الكلمة، وهنا يعتمد تركيب الجملة الإشارية على جزء معين من التركيب، وكذلك إعطاء دلالات معيّنة يستدعيها التركيب وسياق الكلام، كدلالة التكثير أو القوة في الحدث[٩].

ج- الدلالة المعجمية: تستمد هذه الدلالة من أصل استخدام اللفظ، وتعتبر مركزا لدلالات الكلمة، وينبغي أن تراعي في مشتقاتها واستخداماتها، كما أنها الدلالة المقصودة من اللفظ عند إطلاقه، ولو كان له أكثر من دلالة على المستوى المعجمي فإن السياق هو الذي يحدد أي الدلالات مرادة من الكلمة[١٠].

د- الدلالة النحوية أو التركيبية: وهي الدلالة المستمدة من ارتباط الكلام بعضه ببعض بواسطة التركيب الذي تخضع له أي لغة، كالنحو الذي يعدّ قانون التركيب العربي، فبدونه لا يمكن للكلام أن ينجح في توصيل أيّة رسالة من المتكلم إلى المتلقي، ومن أمثلة الدلالات التركيبية دلالة الفاعلية بين الفعل وفاعله، والمفعولية بين الفعل والمفعول، والتوكيدية المستمدة من حرف التوكيد (إنّ)...وارتباط حرف الجر بمجروره[١١].

هـ- الدلالة الاجتماعية(السياقية):

وهي الدلالة المستمدة من المقام أو الأحوال المحيطة به في المسرح اللغوي، مثل التعجب، أو الدهشة، أو الاستنكار، أو الخوف...الخ، وقد أطلق بعض اللغويين مصطلح (المسرح اللغوي، أو لغة المسرح) حيث يشر المصطلح إلى الأحوال والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي، وينبغي أن توضع في الاعتبار عند التحليل[١٢] .

ثالثا- علم الدلالة و الرؤية الكونية للقرآن الكريم:

سنحاول الوقوف في هذا العنصر كما سبق الذكر آنفا على أهمّ تيمات كتاب "الله والإنسان في القرآن" للمستشرق الياباني إيزوتسو والذي حاول من خلاله خلق رؤية قرآنية جديدة معتمدا فيها على المزاوجة بين علم الدلالة والقرآن الكريم.

1 -الرؤية القرآنية للعالم: مصطلح أطلقه إيزوتسو على علم دلالة القرآن، أو النظرة القرآنية للكون، بحيث تقوم هذه النظرة على أنّه "لابدّ لعلم دلالة القرآن أن يبحث بشكل رئيسي في مسألة كيفية تَبَنْيُن عالم الوجود في

منظور هذا الكتاب الكريم، وماهي مكونات هذا العالم وكيف تتعالق فيما بينها"[١٣] وبذلك يعّرف إيزوتسو علم دلالة القرآن أنّه "دراسة تحليلية للمصطلحات المفتاحية الخاصة بلغة ما تتطلع للوصول في النهاية إدراك مفهومي لـ"الرؤية للعالم" الخاصة بالناس الذين يستعملون تلك اللغة "...[١٤]

إنّ الدراسة الدلالية للقرآن وفق منظور إيزوتسو هي دراسة تحليلية للمفاهيم المفتاحية في القرآن، ليس فقط مجرد تحليل آلي فقط لهذه المصطلحات أو المفاهيم معزولة أو من حيث هي وحدات جامدة، بل الأهم فوق ذلك أن يتضمن حياتها ومعناها السياقي كما تمّ استعمالها في القرآن، ويمثّل إيزوتسو لذلك بكلمة "الله" فهذا المصطلح كان مستعملا عند العرب قبل الإسلام، ليس فقط كإله بين الآلهة، بل حتى كإله أعلى في تراتبية الآلهة، فإنّ القرآن أحدث تغييرا جوهريا بالغا في رؤية العرب للعالم، تحديدا عن طريق تغيير الاستعمال السياقي لهذا المصطلح، بتحميله معنى جديدا، وذلك باستبعاد كل الآلهة وجلب مفهوم الله إلى مركز الوجود.[١٥]

2 -توحيد المفاهيم القرآنية:

يرى إيزوتسو أنّ كلّ الكلمات المهمة التي تمثل المفاهيم المهمة مثل "الله" "إسلام" "نبي" "إيمان"...، هذه الكلمات أو المفاهيم لاتوجد ببساطة هكذا في القرآن الكريم، بحيث تكون كل منها معزولة عن الأخرى، بل يتواقف بعضها على بعض بإحكام، وتستمد معانيها العيانية من نظام العلاقات المحكم بينها[١٦].

وبعبارة أخرى وكما يصفها إيزوتسو إنّها تشكّل بين أنفسها مجموعات متنوعة كبيرة أو صغيرة، ثم تترابط هذه المجموعات بدورها بأشكال متنوعة، وبذلك فإنها تؤلف في النهاية مجموعا كليّا منظما، وشبكة غاية في التعقيد والتركيب من التداعيات المفهومية، وعليه يرى ايزوتسو أنّ هذا النوع من النظام المفاهيمي الذي يشتغل في القرآن، هو أكثر أهمية من المفاهيم المستقلة التي تؤخذ هكذا منعزلة، وتعدّ في أنفسها جزءا من البنية العامّة أو الكلّ الموحد[١٧] .

3 -المعجم والرؤية للعالم:

تتلخص رؤية إيزوتسو في هذا العنصر في أنّ الكلمات في لغة ما تؤلف نظاما مترابطا بقوة؛ إذ أنّ النمط الرئيسي لهذا النظام يتحدد بعدد معيّن من الكلمات ذات الأهمية الخاصة، فليس كل الكلمات في معجم ما ذات قيمة متساوية في تشكيل البنية الأساسية للتصور الأونطولوجي المباطن للمعجم، مهما يمكن أن تبدو مهمة من وجهات نظر أخرى[١٨] ويمثّل إيزوتسو هاهنا لهذا العنصر بكلمة "قرطاس" التي تعني ورقا نفيسا، والواردة في سورة الأنعام في قوله تعالى:" وماقدروا الله حقّ قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب

الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا" الأنعام٩١. فكلمة قراطيس كما يصف إيزوتسو مثيرة للاهتمام و لافتة للنظر، ليس من الناحية اللغوية فحسب، بل من جهة التاريخ الثقافي للعرب أيضا، لكنّها لا تسهم بشكل أساسي في تمييز الرؤية القرآنية الكليّة للكون على حين كلمة"شاعر" أكثر أهمية منها بدرجات عدّة، ولا سيما في معناها السلبي، ذلك أنّ القرآن قد لفت انتباه المناوئين بشكل مشدد إلى أنّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليس شلعرا، ومع ذلك فإنّ أهميتها ضئيلة جدّا إذا ماقورنت بكلمة "نبي" نفسها.[١٩]

إنّ المصطلحات المفتاحية تؤلف فيما بينها النمط العام للمعجم الذي تمثله، وهذا يحدث بدخولها في علاقات مختلفة ومعقدة فيم بينها، أي أنها لاتوجد مستقلة بعضها عن بعض، بل يترابط كل واحد منها مع الآخر بطريقة معقدة جدا وباتجاهات متعددة، وعليه فإنّ الكلمات مأخوذة ككل، تقدم نفسها لنا بوصفها نظاما على أعلى درجات التنظيم مكونا من عناصر يتواقف بعضها على بعض تبادليا، وشبكة من الترابطات الدلالية والنتيجة أن كلمات المعجم كلها ستتوزع على امتداد هذه الخطوط الكبرى[٢٠] ، وهو ما يطلق عليها مصطلح "الحقول الدلالية"، وهاهنا يعقد إيزوتسو مقارنة بين المعجم والحقل الدلالي بحيث يرى أن كل حقل دلالي يمثل مجالا مفهوميا مستقلا نسبيا عن المعجم ومشابها له تماما من حيث الطبيعة، والفرق بين المعجم والحقل الدلالي نسبي، بل ليس بينهما فرق جوهري على الإطلاق، ذلك أنّ الحقل الدلالي، في النهاية، لا يقل عن المعجم من حيث كونه كلاّ منظما، إذ هو مجموع تام من الكلمات التي نظمت في نموذج ذي معنى ويمثل نظاما من المفاهيم المرتبة والمبنية على أساس المنظومة المفهومية[٢١].

إنّ المعجم بوصفه حقلا دلاليا أوسع، ينقسم إلى عدّة حقول خاصة، إلاّ أنّ كلّ واحد من هذه الحقول، كقطاع منظم من المعجم، مؤهل بنفسه تماما لأن يدعى معجما إذا كان واسعا كفاية كي يعامل كوحدة مستقلة. إلاّ أننا عندما نعدّه جزءا خاصا من كل أوسع، فإننا نميزه من الأخير بتسميته "حقلا دلاليا" وهو نظام ضمن نظام[٢٢].

وعليه، فإنّ إيزوتسو يعدّ المعجم القرآني نفسه حقلا دلاليا داخل كلّ أوسع هو معجم اللغة العربية في ذلك العصر، لذا فإنّه يرى عند إهمال اعتبار الأهمية الثقافية الهائلة للمعجم القرآني عندها لن يكون أكثر من نظام فرعي ضمن نظام، ومن حسن الحظ –حسب إيزوتسو– فإن بعض القطاعات الأخرى معروف لدينا بصورة رئيسية من خلال لغة الشعر الجاهلي والمخضرم، بحيث كان الشعراء الجاهليون والمخضرمون يشتركون مع القرآن في قدر جدير بالاعتبار من الكلمات المفتاحية، لكن معجمهم وما ينطوي عليه من رؤية للعالم قد بنيا على امتداد خطوط مختلفة جوهريا عن تلك الخاصة بالقرآن[٢٣].

ويحدّد إيزوتسو مصطلح (الكلمة–المركز) كمقابل لمفهوم منهجي جديد لعزل الحقول الدلالية وتحليلها، بحيث جعل (الكلمة–المركز) كلمة مفتاحية مهمة تبيّن مجالا مفهوميا معينا ومستقلا نسبيا وتحدده أي الحقل الدلالي، ضمن الكل الأكثر سعة للمعجم، وفي هذا يمثّل إيزوتسو بكلمة "إيمان" مع كلّ الكلمات المشتقة مباشرة من الجذر نفسه مثل "آمن" و "مؤمن" وهي تؤدي في القرآن دورا مهما، وبذلك تعدّ (كلمة– مركزا) تحكم المجال الخاص بها، وبذلك تتبدّى لنا رؤية عدد معيّن من الكلمات المهمة المفتاحية، تتعنقد حولها كنواة مفهومية، أو نقطة مركزية، فيتشكل منها مجال مفهومي ضمن معجم القرآن ككل[٢٤].

تحمل الكلمات المتعنقدة حول "الإيمان" طبيعتين، الأولى إيجابية مثل: كلمة "شُكر" من الفعل شَكَر، وكلمة "إسلام" تسليم المرء نفسه لله"، وكلمة "تصديق" أي اعتبار الكلمات الموحاة صادقة و كلمة "الله" بوصفه موضوعا للإيمان...والثانية سلبية، زتتضمن شبكية مفهومية مثل: تكذيب "اعتبار الكلمات الموحاة كاذبة" وكلمة "عصيان" وتعني عدم الطاعة، وكلمة نفاق وتعني إظهار الإيمان الزائف .. وعليه فإنّ هذه الكلمات المفتاحية متمركزة حول كلمة تمثل المجموعة ككل وتوحدها، فتشكل بهذه الطريقة حقلا من المفاهيم مستقلا نسبيا [٢٥] .

الخاتمة:

بعد عرض أهمّ تيمات كتاب "الله والإنسان في القرآن" لإزوتسو، لمعرفة الرؤية القرآنية للعالم نصل إلى أهمّ النتائج وهي:

1 -يهدف إيزوتسو من خلال الدراسة الدلالية للقرآن إلى البحث عن رؤية القرآن لكيفية بناء عالَم الوجود، ومعرفة المكوِّناتُ الرّئيسةُ للعالم، وكيف يتّم ربط بعضُها ببعض، وبهذا المعنى يصبح عِلْمُ دلالات الألفاظ وتطوّرها، نوعاً من عِلْم الوجود « ontology»

2 -تتمثل دراسة إيزوتسو في البحث عن النظام المفهومي الذي يعمل في القرآن، لا المفهومات الفردية منظوراً إليها بعيداً عن البناء العام، أو ما أطلق عليه "البنية المتكاملة" التي اندمج فيها المفهوم.

3 -اهتم إيزوتسو في دراسته بالتحول الدلالي للمفردة اللغوية التي كانت متداولة قبل الإسلام، وذلك بإدخالها في سياق قرآني جديد ودمجها ضمن نظام مفهومي مختلف.

4 -يرى إيزوتسو أنّ إدراك الرّؤية القرآنيّة للعالم يكون بدراسة الكلمات المفتاحيّة الخاصة بمعجم القرآن الكريم الذي يُعدّ منظومة مفهوميّة شديدة التّرابط والتّنظيم تأخذ فيه كلّ كلمة موقعها بدقّة بحيث يصعب فهمها دون ربطها بغيرها من الكلمات وبالشّبكة المفهوميّة الكليّة التّي تنتمي إليها.

٥- لا يُنظر إلى المعجم القرآنيّ في الدّراسة الدّلاليّة بوصفه ترتيبا للكلمات، إنّما هو التّرابط الدّقيق للأنّظمة المفهوميّة والحقول الدّلاليّة التّي تتعالق فيما بينها، وهو ماصطلح عليه إيزوتسو بـ"الكلمات المفتاحيّة" والتّي تؤدّي دورا هاما في تشييد البنية المفهوميّة العامة للقرآن الكريم ومعجمه الشّامل.

الهوامش:

١- توشيهيكو إيزوتسو: الله والإنسان في القرآن، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧، ص١١-١٢.

٢- المرجع نفسه، ص١٢.

٣- محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧، ص٨٥.

٤- المرجع نفسه، ص ٨٨.

٥- السيد العربي يوسف: الدلالة وعلم الدلالة (المفهوم والمجال والأنواع) نشر خاص، شبكة الألوكة، ص٨.

٦- المرجع نفسه، ص٩

٧- المرجع نفسه، ص٣.

٨- المرجع نفسه، ص٣.

9- المرجع نفسه، ص٤.

١٠ - المرجع نفسه، ص٥.

١١- السيد العربي يوسف: الدلالة وعلم الدلالة (المفهوم والمجال والأنواع)، ص٦.

١٢- المرجع نفسه، ص٧.

١٣- إيزوتسو: الله والإنسان في القرآن، ص٣٢.

١٤ - المرجع نفسه، ص٢٠.

١٥- إيزوتسو: الله والإنسان في القرآن، ص٢٠.

١٦- المرجع نفسه، ص٣٤.

١٧- المرجع نفسه، ص٣٤.

١٨- المرجع نفسه، ص٥٢.

١٩ - المرجع نفسه، ص٥٢.

٢٠- إيزوتسو: الله والإنسان في القرآن ، ص٥٤ .

٢١- المرجع نفسه، ص ٥٥.

٢٢- المرجع نفسه، ص٥٥.

٢٣- إيزوتسو: الله والإنسان في القرآن، ص ٥٦.

٢٤- المرجع نفسه، ص٥٩.

٢٥- المرجع نفسه، ص٦٠.

قائمة المراجع:

١- توشيهيكو إيزوتسو: الله والإنسان في القرآن، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧

٢- السيد العربي يوسف: الدلالة وعلم الدلالة (المفهوم والمجال والأنواع) نشر خاص، شبكة الألوكة، (د-ت).

٣- محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧.

المسائل والاشكالات صورها واشكالها عند ابن فلاح اليمني

في شرحه لكافية ابن الحاجب

(الغرض من البحث: الترقية)

م. د لؤي طارق عليّ التميميّ /جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية

الخلاصة:

استعمل علماء اللغة العربية الأَوائل أسلوب الحوار والمناقشة ، وهذا الأسلوب كثير الورود في كتبهم ، وقد عمد إليه النُّحاة للإجابة عمَّا يدور في ذهنهم وما يتخيله القارئ من أَسئلة تحوم حول الموضوعات المطروحة والمعروفة في أَبواب النحو ، وإنَّ أَقدم ما وصل إلينا من استعمال هذا الأسلوب ما رُويَ عن أَول لقاء بين الزَّجاج والمبرِّد عندما ذهب الزَّجاج لفض حلقة المبرِّد وإبعاده عن المنافسة لثعلب ، وكان هذا الأَمر بطلب من ثعلب للزَّجاج.

إنَّ الاسلوب الحواري الذي اتبعه ابن فلاح قد اتخذ صيغ وعبارات متعددة مثل: (فان قيل كذا)، ويكون الجواب بـ(قلنا كذا) ، أَو (اذا قيل ... قلت) ، ومن خلال الاطلاع على شرح ابن فلاح للكافية نجد انَّ اسلوب الحوار والمناقشة جاء ملفتاً للنظر .

الكلمات المفتاحية: ابن الحاجب، ابن فلاح، المسائل والاشكالات، أسلوب الحوار

mawdue walashikalat sawaruha washkalaha eind aibn falah alyamani

fi sharhih likafiat abn alhajib

Dr. Lu'ay Tariq Ali

University of Basrah,

College of Education for Human Sciences,

Department of Arabic Language

Abstract

astaemal eulama' allughat alearabiat al'awayl 'uslub alhiwar walmunaqashat , hadha al'uslub kathir alwurud fi kutubihim , waqad eamid 'iilayh alnuhat lil'iijabat emaa

yadur fi dhihnihim wama yatakhayaluh fi dhihnihim wama yatakhayaluh fi dhihnihim wama yatakhayaluh fi 'afkar hawl almatruhat walmuealajat fi 'abwab alnahw , w'ina 'aqdm ma wasalna min astiemal hadha al'uslubu. ean 'awl liqa' alzajaj walmbrid , wakan hadha al'amr bitalab min thaelab llzajaj.

'ina alauslub alhawaria aladhi atabaeah atabaeah abn falah qad atakhadh siagh waeibarat mutaeadidatan mithla: (fan qil kadhaa) , tawha aljawab bi (qulna kadha) , 'aw ('iidha qil ...) , wamin khilal alaitilae ealaa sharh aibn falah lilkafiat najid ana aslub alhiwar walmunaqashat kanat mlftaan lilnazar.

Key words: abn alhajib , abn falaah , mawdue walashakalat , 'uslub alhiwar

المقدمة:

تعد كافية ابن الحاجب من المتون المهمة في الدرس النحوي ، فقد عمد العلماء الى شرحها وبيان ما فيها عبر قرون عدة ، ومن هؤلاء العلامة ابن فلاح اليمني .

لقد امتاز شرح ابن فلاح اليمني بذكر المسائل الحوارية ، فقد اعتنى الشارح بأسلوب الحوار والمناقشة ووضع الأَسئلة المتخيلة في شرحه ، فالشَّارح عندما يشرح المسائل يضع اسئلة افتراضية للمسائل المشروحة وبعد ذلك يجيب عليها بما يدور في ذهنه ، وهذا الاسلوب الحواري قد اتخذ صيغ وعبارات متعددة مثل: (فان قيل كذا)، ويكون الجواب بـ(قلنا كذا) ، أَو (اذا قيل ... قلت) ، ومن خلال الاطلاع على شرح ابن فلاح للكافية نجد انَّ اسلوب الحوار والمناقشة جاء ملفتاً للنظر ، فهو مكثر منه في شرحه ، وسوف نتطرَّق الى ما وضعه الشَّارح من المسائل التي جُعِلَتْ محل المناقشة والحوار ، ومن الأَبواب النَّحوية التي جاء بها هذا الاسلوب هي:

- اسم الفاعل:

يُعرَف اسم الفاعل بأنَّه: ((ما دلَّ على الحدث والحدوث وفاعله))[١]، أي إنَّه صفة تؤخذ من الفعل المعلوم لتدل على معنى وقع من الموصوف بها ، أَو من قام به على وجه الحدوث لا الثبوت[٢]، ونقصد بالحدوث ـ هنا ـ أن يكون المعنى القائم بالموصوف متجدِّداً بالأزمنة ، فابن فلاح بعد إن علَّق على تعريف ابن الحاجب للاسم الذي يقول فيه الأَخير: ((الاسم ما دلَّ على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الازمنة الثلاثة))[٣]، شرع ببيان ما يخرج من هذا التعريف ، ومن الأَشياء التي تخرج من التعريف بقيد (غير مقترن بأحد الازمنة) اسم الفاعل المنوَّن ، وهنا يأتي سؤال ابن فلاح الافتراضي للحوار والمناقشة فيقول: ((فان قيل : فاسم الفاعل المنون

يدل على الحال والاستقبال ، فقد شارك الفعل في تعيين الزمن))[٤]، وعلى هذا فاسم الفاعل المنوَّن بطبيعته يدلُّ على زمن الحال والاستقبال ، فهو جارٍ على معنى الفعل المضارع ولفظه ، فلو قلنا: (عليٌ دائبٌ في عملهِ) فهنا اسم الفاعل في معنى (يدأبُ فيه) فـ (دائبٌ) جار على لفظ (يدأبُ) في الحركات والسَّكنات ، ومن هذا جاء سؤال ابن فلاح ولكي لا يختلط الأَمر على القارئ والسَّامع ، فقد أَجاب بنفسه عن هذا الإشكال بقوله: ((قلنا دلالته على الزمن عارضة ؛ بدليل انفكاكه عن الزمن في نحو قولك : زيدٌ ضاربٌ ، ولو كان موضوعاً للزمن لم ينفك عنه قياساً على الفعل ، وانَّ الزمن انَّما استفيد بوجود التنوين مع قرينة من خارج ، لا من جوهر اللفظ ، ولا من القرينة المتَّصلة بجوهر اللفظ))[٥]، من هذا فابن فلاح يسلِّط الضوء على الزمن ؛ لأنَّه القيد الذي وضعه المصنِّف لخروج الأَلفاظ عن تعريف الاسم ، فعلى الرغم من انَّ اسم الفاعل يحمل في طيَّاته الدَّلالة على الحال والاستقبال ولكن دلالته على الزمن عارضة وليس أَصلية[٦]، بدلالة انفكاكه عنها ، وطبيعة الفعل الذي يدلُّ على الزمن أَن لا ينفك عنه ، وانَّ التنوين في اسم الفاعل هو الذي استفيد منه الزمن لا من حيث هو اسم الفاعل وجوهره ، فاسم الفاعل (ضاربٌ) موضوع لمعنى من غير زمن في أَصل الوضع ، وانَّ الذي حصل انَّما عرضت فيه دلالة الزمن في بعض المواقع الاعرابية ودلالته على كون اللفظ دال على الزمن اطلاقاً ، فانَّه لو كان موضوع الزمن لم ينفك عنه الدَّلالة الزمنية ، كما هو حاصل في أَصل وضع الأَلفاظ الدَّالة على الزمن[٧] ، فاذا ثبت انَّ وضعه في الأَصل غير معنى الزمن فانَّه في هذه الحالة يدخل في حد الاسم ؛ وذلك لأنَّه لا أَثر لما عرضت عليه على غير القياس ، فاسم الفاعل داخل في حد الاسم وإن صحَّت دلالة الزمن عليه؛ لأنَّها عارضة وليست جوهر فيه[٨].

- الممنوع من الصرف:

وضع النُّحاة أَسباب تمنع الاسم من الصرف وهذه الأَسباب أَطلقوا عليها العلل وهي تسعة: (العلمية ، والتأنيث ، ووزن الفعل ، والوصف ، والعدل ، والجمع ، والتَّركيب ، والعجمة، والأَلف والنون الزوائد)[٩] ، وقد جمعت هذه العلل في بيتين من الشعر:

موانعُ الصرفِ تِسعٌ إن أردتَ بها ... عَوناً لتبلغَ في إعرابكَ الأمَلَا

اجمَعْ وَزِنْ عادِلاً أنِّث بِمَعرفَةٍ ... رَكِّبْ وَزِدْ عُجمَةً فالوصفُ قَدْ كَمُلَا[١٠]

فالاسم يُمنع من الصرف اذا وجدت فيه علتان ، أَو وجدت علة تقوم مقام علتين ، وابن فلاح بعد أَن يبين علل منع الاسم من الصرف وخاصة علة العجمة في الاسم ، أخذ بوضع سؤال قد يتبادر إلى الذهن ، فيقول:

((فان قيل : فما الفرق بين امرأة سميت بـ (إبراهيم) وبين فاطمة))[١١] ، من حيث المنع من الصرف ، والملاحظ على هذا السُّؤال انَّ إبراهيم إذا كان مؤنثاً في مفترض السُّؤال فانه يتوفر فيه العجمة والتعريف والتأنيث أي: ثلاث علل ، في حين انَّ فاطمة مؤنث لفظي بالتاء توجد فيها علة العلمية والتأنيث[١٢]، لذا فابن فلاح يشير في سؤاله الى الفرق من ناحية عدد العلل لا من حيث كون (إبراهيم) اسماً لمؤنث ، و(فاطمة) اسم مؤنث فيستوي فيهما المنع من الصرف ، فانَّه في حالة رفع علة واحدة عن (إبراهيم) فانه يبقى ممنوعاً من الصرف لوجود علتين أُخريين ، في حين لو رفعنا علة واحدة عن (فاطمة) فإنها تصرف ، ولذلك فابن فلاح قد أَجاب عن هذا التساؤل بقوله :((قلنا الفرق بينهما انَّ في المسماة بإبراهيم ثلاث علل ، فلو قدِّر زوال العجمة لم تنصرف ؛ لبقاء التعريف والتأنيث ، ولو قدِّر رفع علة واحدة من فاطمة لانصرفت لبقاء علة واحدة))[١٣] ، وهذه العلة لا توجب منع الاسم من الصرف ، فلو رفعنا العلمية لبقيت علة التأنيث وهي علة لا تقوم مقام علتين ، وكذلك الحال لو رفعنا التأنيث وأَبقينا العلمية فإنَّها لا تقوم مقام علتين[١٤] ، وبهذا يتَّضح الفرق بين مَن سميت بـ (إبراهيم) وبين (فاطمة) ، في انَّ الأَولى لها ثلاث علل ، والثَّانية علتين.

إنَّ المُلاحَظ على سؤال ابن فلاح المفترض انَّه يريد أَن يسلِّط الضوء على المؤنث الحقيقي والعلل التي فيه ، وكذلك على الأَسماء التي تؤنث في بعض الاشكال ، وكذلك فإنَّها تختلف من ناحية عدد العلل التي فيها ، فعدد العلل مهم في هذا السُّؤال.

أَورد ابن فلاح في باب الممنوع من الصرف الإشكال الآتي وهو: لو ((قيل : فالجمع يؤنث بدليل : قامت الرجال ، فهلا امتنع الصَّرف للتعريف والتأنيث ، اذا سمِّي به مذكر))[١٥]، فالشَّارح في هذا السُّؤال أَورده من جانبين ، الأَول وجود التاء في الفعل وهي تاء التأنيث ، والثَّانية انَّ (الرجال) معرفة ، فاجتماع التعريف مع التأنيث للرجال يؤدي حسب قاعدة الممنوع من الصرف إلى منع الاسم من الصرف ، وهذا الإشكال يحل أَو يُجاب عنه من خلال ملاحظة انَّ (الرجال) مذكر فكيف تكون تاء التأنيث تابعة له ، فنحتاج ـ هنا ـ الى تأويل لكي يحل هذا الإشكال ، والشَّارح سلَّط الضوء على هذا التأويل بقوله: ((قلنا : تأنيثه بتأويل الجماعة ، وتأويل الجمع هو مذكر ، فلا يتحقق له التأنيث اذا لم يكن فيه ما يقتضي منع الصرف))[١٦] ، فالتاء ـ هنا ـ تابعة إلى مفردة (جماعة) المحذوفة ، والتقدير: (قامت جماعة الرجال) ، فالرجال مذكر ، وبهذا انتفى كونها مؤنث ، فبقيت علة التعريف وهي واحدة لا تمنع الاسم من الصرف ، فالقياس ـ هنا ـ النظر إلى الأَصل وليس الى ما يطرأ على الاسم دون وجود تأويل ، وقد سلَّط الرضي الضوء على هذا الأَمر من خلال وضع شروط لمنع صرف المؤنث اذا سمِّي به المذكر اذ يقول: ((الَّا يكون تأنيث المؤنث الذي سمِّي به المذكر تأنيثاً يحتاج إلى تأويل غير لازم ، فان نساء ورجال وكل جمع مكسر خالٍ من علامة التأنيث لو سمَّيتَ به مذكراً انصرف لانَّ

تأنيثها لأجل تأويلها بجماعة ، ولا يلزم هذا التأويل ، بل لنا أَن نؤولها بالجمع فيكون مذكراً ، ولم يبق التأنيث الحقيقي الذي كان في المفرد ، ولا التذكير الحقيقي في نحو نساء ورجال ، بل تأنيثهما باعتبار التأويل بالجماعة وهو غير لازم))[١٧].

- الفاعل:

إنَّ المتعارف على الجملة الفعلية انَّها تتكون من أَبسط صيغة وهي: فعل وفاعل ، أَو بعبارة أُخرى من مسند ومسند إليه ، فالفعل هو المسند ، والفاعل هو المسند إليه ، وقد عرَّف العلماء الفاعل بانَّه :((الاسم المسند إليه الفعل أَو ما قام مقامه مقدماً عليه سواء وجد منه حقيقة أَو لم يوجد))[١٨]، فالسُّؤال ـ هنا ـ في حقيقة من قام بالفعل أي: هل الفاعل ـ هنا ـ حقيقي وهو الذي يأتي بعد الفعل أَم لا ؟ والملاحظ على النُّحاة انَّهم أَشاروا إلى هذا الأَمر في مؤلفاتهم ، فابن السَّراج يقول في ذلك: ((الاسم الذي يرتفع بانَّه فاعل هو الذي بنيته على الفعل الذي بنى للفاعل ، ويجعل الفعل حديثاً عنه مقدماً قبله كان فاعلاً في الحقيقة أَو لم يكن ، كقولك : جاء زيد ، ومات عمرو .... ، ومعنى قولي بنيته على الفعل الذي بنى للفاعل ، أي : ذكرت الفعل قبل الاسم))[١٩] ، وهذا يعني انَّ الفعل في (مات عمرو) مستعارة للاختصار إذ فيه بيان انَّ الفاعل في الحقيقة مفعول به ، ومثله (سقط الحائط ، ومرض عليّ) ، وهذا ما نبَّه ابن الوراق عليه بقوله: ((انَّ أَفعال الاستعارة ينبغي أن يكون ما ارتفع بها فاعلاً ؛ لانَّ المعنى قد علم ، وذلك انَّ الموت والمرض ما يصح أن يفعلهما غير الله تعالى عزَّ وجلَّ ، كذلك اذا قلت : سقط الحائط ، لم يكن للحائط فعل في الحقيقة ، وانَّما الفعل في ذلك لله تبارك وتعالى ، وعلم هذا غير خفي على أَحد من الأُمم ، فلما أَمن اللبس في هذه الأَفعال لم يحتج إلى فاعل))[٢٠]، وهذا بحدِّ ذاته ما أَراد ابن فلاح بيانه ، فقد أَجاب على سؤاله الافتراضي بقوله :((أما صورة الإثبات فالفعل ـ في عرف النَّحوي ـ صيغة تقتضي حصول المصدر للفاعل ، وحصول المصدر له أَعم من حصوله له بإيجاده ، فان (قام محمد) يدل على حصول القيام له باختياره ، و (مات زيد) يدل على حصول الموت في ذاته لا باختياره ، فحصول المصدر هو القدر المشترك ، وهو الذي يعتبره النَّحوي في اصطلاحه ، وهو حاصل في هذه الصورة كحصوله في صور الايجاد ، فلذلك أَطلق عليه انَّه فاعل))[٢١] ، فالفاعل في (مات زيد) عند النُّحاة هو (زيد) وان لم يصدر منه فعل حقيقة ، فالمدار عندهم في هذا التركيب هو الترتيب في الجملة فالفعل يأتي أَولاً ومن ثم الفاعل المرفوع الذي يأتي بعده ، حتى وإن كان قد تقدَّم عليه المفعول به فهو منصوب ، والفاعل معروف في رفعه ، وكذلك نستطيع أن نقول انَّ الفاعل يُقسم إلى فاعل حقيقي قام بالفعل حقيقةً ، وفاعل مجازي يُؤتى به لبيان معنى من قام بالفعل وهذا معروف لدى القارئ والسَّامع.

أَمَّا المسألة الأُخرى التي تطرَّق اليها ابن فلاح في باب الفاعل هو تقديم المفعول على الفاعل بعد (إلَّا) فقد جاء بالسُّؤال الآتي الذي يقول فيه: ((فان قيل : فما المانع من تقديم المفعول على الفاعل وهما بعد (إلَّا) ، فيقال : ما ضرب إلَّا عمراً زيد))[٢٢]، وقد أَراد الشَّارح بهذا السُّؤال أن يبين إنَّ ترتيب الجملة الفعلية يكون بتقديم الفعل على الفاعل والأَخير على المفعول خاصة فيما يخص نوع المفعول بعد إلَّا أَو معناها فيجب تقديم الفاعل ، فقوله :(ما ضرب إلَّا عمراً زيدٌ) ، فتقديم المفعول على الفاعل ـ هنا ـ استلزم قصر الصفة قبل تمامها على الموصوف ، وبذلك قلَّ دوره في الاستعمال ، وقد أَجاز أَن يُحصر المفعول بـ (إلَّا) كل من الجزولي و ابن جماعة ، في حين أَجاز البصريون والكسائي والفرَّاء وابن الانباري تقديم المفعول على الفاعل[٢٣] ، وان التقديم ـ هنا ـ بمنزلة التأخير ، في حين جعل الرَّضي في قولنا: (ما ضرب إلَّا عمراً زيدٌ) المضروبية المطلق مقصور على عمرو ، والضاربية المطلقة مقصورة على زيد ، وتختص مضروبية عمرو بزيد وهو عكس المعنى ، هذا مع انَّ الاستثناء لشيئين بأداة واحدة بلا عطف غير جائز مطلقاً عند الاكثرين لضعف أَداة الاستثناء ، وكذلك جعل ((ما ضرب إلَّا عمراً زيد :انَّ زيداً مقدم معنى وليس بمستثنى وانَّ المراد : ما ضرب زيد إلَّا عمراً ، فالمعنى لا ينعكس ولا يلزم استثناء شيئين بأداة واحدة))[٢٤]، وقد أَجاب ابن فلاح عن هذا الإشكال بقوله: ((ذلك يؤدي الى صورة التفريغ في المفعول والفاعل ؛ لوقوعهما بعد (إلاّ) وذلك ممتنع عند الجمهور اذا لم يتقدم ما يبدلان منه ، فيبقى الفعل بغير فاعل ؛ لكون الذي بعد (إلَّا) منصوباً لا يصح جعله فاعلا ، والمرفوع فاعل لفعل يفسره الأَول ، وتصحيحها عندهم أن يقال (ما ضرب أحداً أحد إلَّا عمراً زيدٌ ... وعلى تقدير صحَّة التفريق فالحصر يكون واقعاً في المفعول ؛ لانَّ العبرة باللفظ ، وهو يقتضي الحصر في المفعول والفاعل ، والنية لا يطلع عليها حتى يحكم بان (إلَّا) مع المفعول بعد الفاعل)))[٢٥] ، في حين رأى ابن الحاجب انَّ تقديم المفعول على الفاعل بعد (إلَّا) لا يستقيم ؛ وذلك ((لأنَّه إن جوِّزَ تعدُّد لمستثنى المفرغ بعد إلاّ ..... ، والغرض الحصر في أحدهما ، فرجع الكلام بذلك الى معنى آخر غير مقصود ، وإن لم يجوز كانت المسألة الأَولى ممتنعة ، لبقائها بلا فاعل ، ولا ما يقوم مقام الفاعل ؛ لان التقدير حينئذ (ضرب زيد) فبقي (ضرب) الأَول بغير فاعل ، وفي الثَّانية يكون (عمراً) منصوباً بفعل مقدر غير (ضرب) الأَول ، فيصير جملتين ، فلا يكون فيهما تقديم فاعل على مفعول))[٢٦].

- المفعول المطلق:

يعرِّف النُّحاة المفعول المطلق بانَّه: مصدر يذكر بعد فعل من لفظه تأكيداً لمعناه ، أو بياناً لعدده ، أَو بياناً لنوعه ، أَو بدلاً من التلفُّظ بفعله[٢٧]، والعامل الذي ينصب المفعول المطلق ، امَّا أن يكون الفعل التام المتصرف ، أَو الصفة المشتقة أَو مصدره[٢٨] ، ونقصد بالأخير المصدر النائب عن فعل المفعول المطلق ، وهو الذي

يذكر بدلاً من التلفُّظ بفعله ، وفي هذه المسألة يطرح ابن فلاح إشكالاً اذ يقول: ((فان قيل : لم لا يكون قوله تعالى (فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) منصوبين على المفعول به بتقدير : أولوهم منا وخذوا منهم فداء))[٢٩] ، فسيبويه قد أَشار الى هذه الآية عندما ذكر حذف الفعل من المفعول المطلق ، إذ يقول: ((قول الله عز وجل في كتابه (فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء) إنَّما انتصب على: فإمّا تمنّون مناً وامَّا تفادون فداءً ، ولكنهم حذفوا الفعل لما ذكرت لك))[٣٠] ، وكذلك ذهب الفرَّاء إلى ما ذهب إليه سيبويه إذ يقول هو: ((منصوب أَيضاً على فعل مضمر ، فإما أَن تمنوا ، واما أن تفدوا ، فالمن : أن تشرك الأسير بغير فداء ، والفداء: أن يفدى المأسور نفسه))[٣١] ، فـ (منّاً) و(فداءً) منصوبان بفعلٍ مضمر ، والتقدير: (فإما أن تمنوا مناً وإما ان تفادوا فداء)[٣٢]، على انَّ الرَّضي قد جعل ضابطاً في هذه المسألة وهو أن تذكر جملة طلبية أو خبرية تتضمن مصدراً يطلب منه فوائد وأَغراض ، بحيث إذا ذكرت تلك الفوائد والأَغراض من خلال أَلفاظ مصادر منصوبة تكون مفعول مطلق عقب تلك الجمل وبهذا وجب حذف الفعل ؛ لانَّ ((تلك الأَغراض تحصل من ذلك المصدر المضمون ، فيصح أَن يقوم ما تضمن ذلك المصدر أَغنى الجملة المتقدمة ، مقام ما يتضمن تلك الأَغراض ، أي أَفعالها الناصبة لها ، فلما صح ذلك وتكررت تلك الفوائد ، استثقل ذكر أَفعالها قبلها ، فالزم قيام متضمن المصدر الذي هي أغراضه مقام متضمَّناته فوجب حذفها))[٣٣]، فالآية فيها تفصيل عاقبة بعد طلب ، أي انَّ عامل المصدر الناصب له يحذف للتفصيل.

يبدو انَّ الذي جعل ابن فلاح يضع هذا الإشكال انَّ ابا البقاء العكبري (٦١٦هـ) قد جوز أَن يكون (مناً وفداءً) مفعولين ، والتقدير: أي أولوهم مناً، أَو اقبلوا فداء[٣٤] ، من خلال الإشارة الى التقدير أَو التأويل، وقد أَجاب ابن فلاح عن هذا الإشكال بقوله:((قلنا : إذا جعلا مصدرين دلا على الفعل المحذوف، واذا جعلا مفعولين على الناصب لهما، فلا يصار إليه بلا دليل يدل عليه))[٣٥]، أي انَّ المدار العامل الذي نصب المفعول المطلق فـ(مناً وفداءً) مصدران منصوبان بفعل لا يجوز إظهاره[٣٦] ؛ لان المصدر متى سبق تفصيلاً لعاقبة جملة وجب نصبه بإضمار فعل ، وانَّ ما ذهب إليه أَبو البقاء العكبري لا وجه له، كذلك نلحظ انَّ الآية الآنفة الذكر قد سبقها قوله تعالى: (فشدوا الوثاق) وهي جملة تقدمت على المصادر وبذلك حصلت الفائدة من خلال ذكر فوائدها بأَلفاظ المصادر ، وهذا ما جعل الحذف واجباً للأَفعال لقيام قرينة وهي الجملة السَّابقة ؛ لانَّ اللفظ الأَول قد وقع موقع الفعل فاستغنى عنه لفظا ومعنى فـ (شد الوثاق) متضمن لمعنى (المن ، والفداء ، والقتل ، والاسترقاق)[٣٧]، فكل هذه المعاني عندما ذكرت بأَلفاظ المصادر لم يحتج بان تذكر الأَفعال ، فانتصاب (مناً وفداءً) بإضمار فعل يقدر من لفضهما أي (تمنون مناً) و(تفدون فداء) وهو فعل يجب اضماره ؛ لانَّ المصدر جاء تفصيل عاقبة فعامله ممَّا يجب اضماره[٣٨].

- الاستثناء :

من أفعال الاستثناء التي يستثنى بها (خلا، وعدا) وهي أَفعال ماضية ضُمنت معنى (إلَّا) فاستثني بها ، كما في الاستثناء بـ(الَّا)، والملاحظ على الاسم الذي بعدها انَّه يجوز أن يأتي منصوباً أَو مجروراً، فاذا جاء منصوباً فإنها تكون أَفعالاً ماضية ويكون الاسم الذي يأتي بعدها مفعولاً به ، امَّا اذا جاء مجروراً فهما حرفا جر شبيه بالزائد ، الَّا انَّ النصب بهما كثير في العربية والجر قليل[٣٩].

إلَّا إنَّ الفعلين في بعض الاحيان يقترن بهما (ما المصدرية) وهنا يجب نصب الاسم الواقع بعدها ، إذ لا يجوز أن يجر ، فتكونا فعلين في هذه الحالة ، وفي دخول (ما) على (خلا وعدا) جاء إشكال ابن فلاح على هذه المسألة ، فالشَّارح يقول عن (ما المصدرية) :((فلمَا لا يجوز أَن تكون موصولة))[٤٠] ، والذي جعل الشَّارح يسأل هذا السُّؤال انَّ (ما) إذا جاء بعدها فعل فلها عشر حالات ، منها انَّها موصولة والفعل صلتها والمخصوص محذوف[٤١] ، وكذلك ما ذهب إليه السّهيلي من انَّ شرط كون (ما) مصدرية صلاحية وقوع (ما) الموصولة موقعها وانَّ الفعل بعدها لا يكون خاصاً[٤٢]، لقد رد الشَّارح هذا القول من خلال الإجابة على السُّؤال الذي جاء به بثلاثة أَوجه : الأَول : انه بيَّن انَّ الموصول تقع موقع الصفة والموصوف معاً وفي جملة الاستثناء (جاءني القوم ما خلا زيداً) ذكر قبله الاسم المستثنى منه فليس موضعها.

الثَّاني : انَّها لو كانت بمعنى الذي لوقعت موقعها (من) لاشتراكهما في الدَّلالة على من يعقل، وهو ـ هنا ـ منتفي.

الثَّالث : انَّها لو كانت موصولة لعاد الضمير عليها، وهذا شأن الموصولة في عودة الضمير، وبطل تقدير البعض، وإذا بطل ذلك فهي في موضع مصدر منصوب على الاستثناء[٤٣].

وحقيقة الأَمر في(ما) الداخلة على (عدا ، وخلا) انَّها مصدرية وهذا ما ذهب إليه سيبويه[٤٤] ، والرَّضي[٤٥] ، وابن يعيش[٤٦] ، وابن الحاجب[٤٧]، وقد استشهد الأَخير ببيت من الشعر للشَّاعر لبيد يبين انَّها مصدرية إذ يقول فيه:

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ وكلُّ نعيم لا محالةَ زائلُ[٤٨]

حيث جاء لفظ الجلالة (الله) منصوب بعد (خلا) فدلَّ ذلك على انَّ الاسم الواقع بعد (ما خلا) يكون منصوباً ؛ وذلك لانَّ (ما) مصدرية ولا يكون بعدها إلَّا فعل ، لذلك يجب نصب ما بعدها على انَّه مفعول به ، غير انَّ

هناك من يرى جواز الجر بـ (خلا) و (عدا) عند دخول (ما) عليها حيث جعلت (ما) ـ هنا ـ زائدة ، و(عدا ، وخلا) حرفا جر ، وهو ما ذهب إليه الجرمي[٤٩].

- الصفة:

النعت هو: ((تابع يدل على معنى في متبوعه مطلقاً))[٥٠]،أي انَّ ما يذكر بعد اسم ليبين بعض أَحواله أَو أَحوال ما يتعلق به هو الصفة ، فجملة (جاء زيد المجتهد) بيَّنت حال الموصوف نفسه وهو (زيد) ووصفته بـ (المجتهد) ، في حين انَّ جملة (جاء زيدٌ المجتهد غلامه) بيَّنت حال ما يتعلق به وهو الغلام ، كذلك تكون الصفة موافقة للموصوف، وهنا تطرَّق الشَّارح إلى انَّ صفة المعرفة يُشترط فيها أَن يكون الموصوف أخص من الصفة ، والصفة أَعم منه ، أَو يكون مساوياً لها في الخصوص أَو العموم أي انَّه يوصف الاسم بما دونه في التعريف أَو بما هو مساوٍ له ، وقد علَّل ابن يعيش ذلك بوجهين ، اذ يقول :((أَحدهما انَّ الصفة تتمة للموصوف وزيادة في بيانه والزيارة تكون دون المزيد عليه .... وامَّا الوجه الثَّاني فان الصفة خير في الحقيقة أَلا ترى انَّه يحسن أَن يقال لمن قال جاءني زيد الفاضل كذبت فيما وصفته به أَو صدقت كما يحسن ذلك في الخبر ، واذا كانت خبراً فكما انَّ الخبر لا يكون الَّا أعم من المخبر عنه أَو مساوياً له))[٥١]، وقد ذكر ابن فلاح رأياً ثالثاً مفاده انَّ ذكر الاسم أشهر في الدَّلالة وأَقرب إلى إرشاد السامع وتفهيمه ، فينبغي أن يقدر الأَشهر في الأَشهر ، والأَشهر هو الأَخص في ذلك[٥٢] ، ولا يجوز أن تكون الصفة أَخص من الموصوف[٥٣] ، ورأي الشَّارح هذا خلاف ما ذهب اليه الفرَّاء وابن مالك والشلوبين ، اذ يقول ابن مالك: ((قال أَبو علي الشلوبين : الفرَّاء ينعت الأَعم بالأَخص ، وهو الصحيح ، وحكى عنه : مررت بالرجل أخيك ، على النعت))[٥٤] ، فالفرَّاء وأبو علي الشلوبين وما رجَّحه ابن مالك في جواز أَن تكون الصفة أَخص من الموصوف وارد عنهم ، بل هم يذهبون الى ذلك ، وكان ابن خروف يرى انَّ ما ذكره النُّحاة من هذا التخصيص في المعارف دعوى بلا دليل[٥٥] ، وبين هذه الآراء المؤيدة لان يكون الموصوف أَخص أَو مساوٍ للصفة وبين المخالفة لهذا الرأي ، يأتي سؤال ابن فلاح في هذا الشأن ،اذ يقول:((فان قيل : كيف تكون الصفة بياناً للموصوف وهي أعم منه؟))[٥٦] ، وهذا السُّؤال في الحقيقة قد طرحه قبل ابن فلاح ابن يعيش في شرحه لمفصل الزمخشري[٥٧]، والذي يعنينا من هذا انَّ ابن فلاح قد أَجاب عن هذا الإشكال بقوله: ((البيان يحصل بمجموع الصفة والموصوف ، ومجموعهما أخص من كل واحد منهما منفرداً ، فانَّ (زيداً الطويل) أخص من زيد وحده ، والعموم والخصوص يعلم من ترتيب وصف المعارف))[٥٨] ، أي انَّ (زيد الطويل) أخص من (زيد) وحده ، ومن (الطويل) وحده ؛ ولذلك كانت الصفة والموصوف كالشيء الواحد ، وعلة كون الموصوف أخص أَو مساوٍ للصفة ؛ لانَّ الموصوف هو المقصود بالنسبة المفيدة ، والصفة غير مقصودة بذلك ، ولا يليق بالقياس أَن يجعل المقصود دون غير المقصود في

الدَّلالة على الذات المرادة . وعلى هذا فان الجمهور يرى انَّ من حق الموصوف أَن يكون أخص من الصفة وأعرف منها أَو مساوياً لها ، والفرَّاء وابن مالك والشلوبين يرون عكس ذلك ، وقد اتبع ابن فلاح رأي الجمهور وأَعطى أَدلة على ذلك فهو موافق إلى ما ذهب إليه ابن يعيش والآخرون الذين رجحوا هذا الرأي.

- عطف النسق:

ويسمَّى هذا العطف بـ(العطف بحرف) ، والعطف مصطلح بصري ، في حين انَّ كلمة (النسق) مصطلح كوفي[٥٩] ، والعطف هو: ((الاشتراك في تأثير العامل وأَصله الميل كأنه أميل به الى حيز الأَول ، وقيل له نسق لمساواته الأَول في الاعراب))[٦٠] ، وعطف النسق لا يكون إلَّا بوساطة حرف ، وهي التي يُطلق عليها حروف العطف.

إنَّ العطف في الأَسماء على أَربعة أَنواع ، عطف ظاهر على ظاهر مثله ، وعطف ظاهر على مضمر ، وعطف مضمر على مضمر ، وعطف مضمر على ظاهر ، والذي يعنينا ـ هنا ـ هو النوع الأَول (عطف ظاهر على ظاهر) ،أي: عطف المفرد الظاهر على الظاهر ، ويكون ذلك من خلال اختلاف لفظ الاسمين ، لأَنَّهما اذا اتفقا أغنت التثنية أَو الجمع عن العطف ، نحو قولنا: (جاء عليّ و محمد) فالمعنى ـ هنا ـ انَّ (عليّ ومحمد) اشتركا في حكم المجيء ، وهذا المجيء سواء أَكان قبل محمد أَم العكس ، أَو جاء وقت واحد وهذا الأَمر يستلزم إمكان اشتراكهما في الحكم المنسوب إلى الأَول ، أي انَّ الغرض من العطف اختصار العامل واشتراك الثَّاني في تأثير العامل الأَول[٦١] ، ففي قولنا السَّابق (جاء عليّ ومحمد) يكون الأَصل فيه: (جاء عليّ وجاء محمد) فحذفت لفظ (جاء) الثَّانية لدلالة الأَولى عليه ، فالواو أغنت عن إعادة (جاء) اذ صارت ترفع كما يرفع (جاء) الاسم بعده ، ومذهب سيبويه انَّ العامل في المعطوف والمعطوف عليه هو الفعل الأَول[٦٢] ، في حين انَّ أَبا علي الفارسي يرى انَّ العامل في الاسم المعطوف عليه الفعل ، والعامل في المعطوف حرف العطف[٦٣].

يذكر ابن فلاح في شرحه لهذا النوع من العطف ـ عطف ظاهر على ظاهر مثله ـ سؤالاً في خصوص عدم جواز العطف في نحو قولنا: (مات زيد والشمس) ، اذ يقول :((فإن قيل: فلم لا يُقدِّر للثَّاني فعل يليق به))[٦٤] ، وفي هذا السُّؤال لا يمكن مشاركة الاسم الأَول للثَّاني في الحكم المنسوب إلى الاسم الأَول ؛ بسبب عدم مشاركة الثَّاني للأول في الحكم ، وهو الشَّرط الذي وضعه النُّحاة في عطف الاسم الظاهر على ظاهر مثله بحيث يشترك الاسمان في الحكم المنسوب الى الأَول ، وهنا اختلف الأَول عن الثَّاني ، فـ (زيد) غير (الشمس) فلا يمكن أن نقول: (مات زيد وماتت الشمس) ؛لاختلاف جنس الاسميين ، ولهذا جاء الشَّارح بهذا السُّؤال لكي لا يشتبه القارئ في انَّ هذا التركيب بإمكانه أَن يكون صحيحاً اذا قدِّر بفعل يليق بالثَّاني ، وقد أَجاب الشَّارح عن تقدير فعل بقوله: ((قلنا شرط التقدير وجود قرينة دالة على المحذوف ، ولا قرينة هنا ، فلذلك امتنعا))[٦٥] من

عطف أَحدهما على الآخر ؛ بسبب عدم التشريك في اللفظ وكذلك المعنى وكذلك القرينة ، وكذلك الاسم الثَّاني لا يصلح لعمل العامل في الاسم الأَول وهو الفعل (مات).

نتائج البحث

ان الملاحظ على الإشكالات والاسئلة التي طرحها ابن فلاح انها عبارة عن حوار، الغرض منه بيان المسائل واجوبتها وتفصيلاتها ، فهو بعد ان يطرح السؤال يعمد الى حله بأسلوب فيه تفصيل من كل جانب ، أي يضع فهرساً لحل المسألة من خلال التفصيل فيها بنقاط .

كذلك يجد القارئ ان ابن فلاح من خلال الإجابة على الاسئلة فانه يقدم فهرساً لآراء العلماء من خلال استطلاع آرائهم وطرحها وهذا يكون حسب التسلسل الزمني ، إضافة الى ذلك انه يناقش هذه الآراء في بعض الاحيان ومن ثم يعطي رأيه في المسألة ، وهذا بحد ذاته بيان لقدرة ابن فلاح على استيعاب أَبواب النحو وما فيها من آراء العلماء في أي مسألة ، وقدرته على طرح رأيه مقابل الآراء التي يطرحها لكبار علماء النحو .

ونلاحظ أيضاً ان ابن فلاح يطيل في الإشكالات من خلال التفصيل فيها ، فبعض التساؤلات تتداخل فيما بينها من خلال التفريعات على كل إجابة لسؤال ، او إشكال وهذا ما لاحظناه عندما طرح السؤال الذي يقول فيه: (بأي اعتبار اطلق النحاة الفاعل على المسند اليه) ، فهو بعد ان يجيب على هذا السؤال يرد في جوابه عبارة (صيغة تقتضي حصول المصدر للفاعل) ، فبعد التطرق الى الإجابة ، يطرح السؤال الاتي (فان قيل حصول المصدر يشترك فيه الفاعل والمفعول لتعلق الفعل بهما) ، ويستمر في بعضها الى أن يستوفي كامل الإجابة التي ليس بعدها أي سؤال ، وانَّ نسبة الاسئلة الافتراضية والإشكالات عند ابن فلاح هي نسبة كبيرة ملحوظة في شرحه وهي ظاهرة بارزة عند الشَّارح.

الهوامش:

(١) اوضح المسالك الى الفية ابن مالك :١٩٤/٣

(٢) ينظر: جامع الدروس العربية: ١٢٤

(٣) الكافية في النحو : ١١

(٤) شرح الكافية في النحو : ١٠٩/١

(٥) شرح الكافية في النحو : ١١٠/١

(٦) ينظر : شرح الرضي على الكافية : ٣٩/١ ، وهمع الهوامع : ٢٦/١

(٧) ينظر : شرح المفصل : ٤٩/١

(٨) ينظر : شرح المقدمة الكافية في علم الاعراب :٢٢٤/١ ـ ٢٢٦

(٩) ينظر : شرح المفصل :١١٦/١

(١٠) ينظر : شرح التصريح على التوضيح :٢١٠/٢

(١١) شرح الكافية في النحو : ١٩٧/١

(١٢) الممنوع من الصرف معجم ودراسة : ٢٢٣

(١٣) شرح الكافية في النحو : ١٩٧/١ ، وينظر : شرح المفصل :١٣٢

(١٤) ينظر : الممنوع من الصرف بين مذاهب النحاة والواقع اللغوي:٤٣

(١٥) شرح الكافية في النحو:٢٤٢/١

(١٦) شرح الكافية في النحو : ٢٤٢/١

(١٧) شرح الرضي على الكافية : ١٣٦/١

(١٨) اللباب في علل البناء والاعراب : ٤٣

(١٩) الاصول في النحو : ٧٢/١ ـ ٧٣

(٢٠) علل النحو : ٣٨٤

(٢١) شرح الكافية في النحو : ٢٩٦/١ ، وينظر: اسرار العربية :٩٥

(٢٢) شرح الكافية في النحو :٣٠٧/١

(٢٣) ينظر : اوضح المسالك الى الفية ابن مالك : ١٠٨/٢ ، وشرح ابن عقيل :٤٤٦/١

(٢٤) شرح الرضي على الكافية:١٩٤/١

(٢٥) شرح الكافية في النحو: ٣٠٧/١ ـ ٣٠٨

(٢٦) شرح الوافية نظم الكافية : ١٥٨ ـ ١٥٩

(٢٧) ينظر: شرح ابن عقيل : ٥٠٥/١

(٢٨) ينظر: الاصول في النحو : ١٦٠/١

(٢٩) شرح الكافية في النحو: ٤٦٤/١

(٣٠) الكتاب : ٣٣٦/١

(٣١) معاني الفراء:٥٧/٣

(٣٢) ينظر: شرح المفصل:٢٢٥/١ ، وشرح ابن عقيل:٥١٦/١

(٣٣) شرح الرضي على الكافية:٣١٨/١ ، وينظر: ارتشاف الضرب : ١٣٧٢/٣ ، واوضح المسالك الى الفية ابن مالك:١٩٦/٢

(٣٤)ينظر: املاء ما من به الرحمن : ٢٣٦/٢

(٣٥) شرح الكافية في النحو :٤٦٥/١

(٣٦) ينظر : الكشاف:٢٤٠/٤

(٣٧) ينظر: الايضاح في شرح المفصل:٢٢٩/١

(٣٨) ينظر: تفسير البحر المحيط: ٧٥/٨

(٣٩) ينظر: شرح المفصل :٤١٧/١

(٤٠) شرح الكافية في النحو:٧١٩/٢

(٤١) ينظر : الجنى الداني:٢٣٨

(٤٢) ينظر: الجنى الداني:٣٣١

(٤٣) ينظر: شرح الكافية في النحو:٢/٧٢٠٧١٩-

(٤٤) ينظر: الكتاب : ٣٤٩/٢، وارتشاف الضرب:١٥٣٤/٣

(٤٥) ينظر: شرح الرضي على الكافية :٨٩/٢

(٤٦) ينظر : شرح المفصل :٤١٨/١

(٤٧) ينظر : شرح المقدمة الكافية في علم الاعراب:٥٤٠/٢

(٤٨) ديوان لبيد :٢٥٦

(٤٩) ينظر : شرح الرضي على الكافية:٩٠/٢ ، وشرح الكافية الشافية:٧٢٢/٢ ، وارتشاف الضرب :١٥٣٥/٣، وشرح ابن عقيل:٥٦٤/١

(٥٠) شرح المقدمة الكافية في علم الاعراب:٦٢٤/٢

(٥١) شرح المفصل :٦٢٠/١

(٥٢) ينظر : شرح الكافية في النحو:٨٩٨/٢

(٥٣) ينظر: شرح الكافية في النحو:٨٩٧/٢

(٥٤) شرح التسهيل: ٣٠٨/٣ ، وينظر: شرح الاشموني على الفية ابن مالك:٣٩٤/٢

(٥٥) ينظر: ارتشاف الضرب:١٩١٢/٤ ، والمساعد على تسهيل الفوائد:٤٠٣/٢

(٥٦) شرح الكافية في النحو:٨٩٨/٢

(٥٧) ينظر: شرح المفصل:٦٢٠/١

(٥٨) شرح الكافية في النحو:٨٩٨/٢

(٥٩) ينظر: ارتشاف الضرب:١٩٧٥/٤ ، والمساعد على تسهيل الفوائد:٤٤١/٢

(٦٠) شرح المفصل:٦/٢

(٦١)ينظر: الاصول في النحو:٦٩/٢ ، وشرح المفصل:٧/٢

(٦٢) ينظر:الكتاب:٤٣٧/١ ، وارتشاف الضرب:١٩٧٥/٤

(٦٣) ينظر: الايضاح العضدي:٢٨٥/١ ، وشرح المقدمة الكافية في علم الاعراب:٦٣٦/٢

(٦٤) شرح الكافية في النحو:٩١١/٢

(٦٥) شرح الكافية في النحو:٩١١/٢ ، وينظر : شرح ابن عقيل:٢٠٨/٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ✓ ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان الاندلسي (٧٤٥هـ) ،تحقيق: د. رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ـ مصر ، ط١/١٩٩٨م.
- ✓ أسرار العربية: أبو البركات الانباري (٥٧٧هـ) ، تحقيق: د. فخر صالح قدارة ، دار الجيل ـ بيروت، ط١/ ١٩٩٥م.
- ✓ الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي(٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣/١٩٨٨م.
- ✓ املاء ما من به الرحمن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري(٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط٣/١٩٩٩م.
- ✓ أوضح المسالك الى الفية ابن مالك: ابن هشام الانصاري (٧٦١هـ) ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ـ بيروت، د. ط /٢٠٠٦م.
- ✓ الإيضاح العضدي: أبو علي الفارسي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، مطبعة دار التأليف ـ مصر ، ط١/١٩٦٩.
- ✓ الايضاح في شرح المفصل : أبو عمر عثمان بن عمر ابن الحاجب (٦٤٦هـ)، تحقيق: د. موسى بناي العليلي، مطبعة العاني ـ بغداد/١٩٨٢.
- ✓ تفسير البحر المحيط : أبو حيان الاندلسي(٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وأخرون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط١/١٩٩٣.
- ✓ الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ) ، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط١/ ١٩٩٢م.
- ✓ ديوان لبيد بن ربيعة العامري : تحقيق: د. احسان عباس ، وزارة الارشاد والانباء ـ مطبعة حكومة الكويت ـ الكويت / ١٩٦٢.
- ✓ شرح ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ـ بيروت ، د. ط/ ٢٠٠٨م.

- ✓ شرح الاشموني على الفية ابن مالك (المسمى : منهج السالك الى الفية ابن مالك): لابي الحسن نور الدين علي بن محمد الاشموني : تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ط١/١٩٥٥م.
- ✓ شرح التسهيل : جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك(٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ، ود. محمد بدوي المختون، دار هجر ـ مصر ،ط١/١٩٩٠.
- ✓ شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو ، خالد بن عبدالله الازهري (٩٠٥هـ) ، إعداد : محمد باسل العيون السود، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، لبنان ـ بيروت ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.
- ✓ شرح الرضي على الكافية: محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر ، مؤسسة الصادق ، ايران ـ ط٢ / ١٣٨٤هـ .
- ✓ شرح الكافية الشافية : العلامة جمال الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك، تحقيق: د. عبد المنعم احمد هريدي، دار المأمون للتراث ـ مكة المكرمة.
- ✓ شرح الكافية في النحو: منصور بن فلاح اليمني (٦٨٠هـ) ، تحقيق: نصار محمد حسين حميد الدين ، جامعة ام القرى ـ السعودية / ١٤٢١هـ .
- ✓ شرح المفصل: موفق الدين بن يعيش (٦٤٣هـ)، تحقيق: احمد السيد احمد واسماعيل عبد الجواد عبد الغني ، المكتبة التوفيقية ـ مصر ، د.ت.
- ✓ شرح الوافية نظم الكافية : أبو عمر عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب : تحقيق: موسى بناي علوان العليلي، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٨٠.
- ✓ علل النحو: أبو الحسن محمد بن عبد الله الوراق (٣٨١هـ) ، تحقيق: محمود محمد محمود نصار، دار الكتب العلمية ـ بيروت ،ط٢/٢٠٠٨م.
- ✓ الكافية في علوم النحو والشافية في علمي التصريف والخط: جمال الدين عثمان بن عمر بن ابي بكر المعروف بابن الحاجب (٦٤٦هـ) ، تحقيق: د. صالح عبد العظيم الشاعر ، مكتبة الآداب ـ مصر /٢٠١٠م.
- ✓ الكتاب: أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر سيبويه (١٨٠هـ) ، تحقيق: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ـ مصر ، ط٤/٢٠٠٤م.

- ✓ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: الإمام محمود بن عمر الزمخشري، ضبط وتوثيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهري، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، ٢٠١٢م.
- ✓ اللُّباب في علل البناء والاعراب، أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) تحقيق: الدكتور، خليل بنيان الحسون، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٧٦.
- ✓ المساعد على تسهيل الفوائد: الامام الجليل بهاء الدين بن عقيل ، تحقيق: د. محمد كامل بركات ، جامعة ام القرى ـ مكة المكرمة ، ط٢/٢٠١٢.
- ✓ معاني القرآن : أبو زكريا يحي بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) ، اعتنى به : فاتن محمد خليل اللبون ، ط١، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ـ بيروت ، ٢٠٠٣.
- ✓ المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق: حسن حمد ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط١/ ١٩٩٩م.
- ✓ الممنوع من الصرف بين مذاهب النحاة والواقع اللغوي: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الجيل ـ بيروت ، ط١/١٩٩٢م.
- ✓ الممنوع من الصرف معجم ودراسة : أدما طربيه ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، ط١/٢٠٠١.
- ✓ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : الامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، مصر .د.ت.

جُهْدُ الدّكتور إبْرَاهِيم السَّامرائيّ فِيْ طَرَائِق بِنَاء الفَعل الرّباعيّ فِيْ العاميّة البغداديّة

(الغرض من البحث: الترقية)

م.د. عبّاس فالح حسن المرهون /جامعة البصرة / كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

/ قسم اللّغة العربيّة

ملّخص البحث :

يَسْتَهْدفُ البَحثُ تشخيصَ جُهْد الدّكتور السّامرائيّ في الدّراسة اللهجيّة ، وعلى وجه الخصوص وسائل توليد الفعل الرّباعيّ فِيْ العاميّة البغداديّة التي درسها في كتابه " الفعل زمانه وأبنيته" فقط . فدراسة العاميّة تمثّل تعزيزاً للعربيّة الفصحى وسلامتها ، بلحاظ أنّ العاميّة مظهرٌ جليٌ لسعتها وغَنائها ، وهي غير منبتة عن أرومتها ، بل هي وليدتها ومنشعبة منها، تحتذيها في أبنيتها ودلالاتها .

وقد تناولتُ ظاهرة نشوء الأفعال في العاميّة، والاصطناع في وضعها، وما يقرب من الفصيحة مبنى و معنى منها. وخلُص البحثُ إلى وجود مسالك عدة لنشأة الرّباعيّ في العاميّة ، صرّح الدّكتور السّامرائيّ ببعضها، ودرس الأخرى من غير توحيدها وإبرازها ، فقامتْ الدراسةُ بوصفها وتأثيلها ، وتصنيفها ، فكانت ممّا تشترك فيه مع فصيح العربيّة : بالاشتقاق من الأَسماء ، والزِّيادة على الجذر الثّلاثيّ في أي موضع مِنْ بنيته ، والنّحت ، والثُّنائي المكّرر ، أما التي انفردتْ فيه العاميّة: فالصياغة بوساطة القلب المكانيّ ، أو تكرار فاء الثّلاثيّ حشواً أو تكرار عينه ووضعه في الأوّل ، أو فك الإدغام فِيْ الثّلاثيّ الفصيح ثم التعويض عن أحد الحرفينِ المُدغمينِ بحرف آخر ، وغيرها من الوَسائل التي سيعرض لها البَحث بالتَّفصيل. **الكلمات المفتاحية : (د.إبراهيم السّامرائيّ، الفعل الرّباعيّ، العاميّة البغداديّة)**

Constructing the Quadrant verb in the Baghdadi Colloquial

By Dr. Abbass Falih Hassan Al Marhoon

Basra University/ College of Education for Human Sciences/ Dpt. Of Arabic

Abstract

The research aims to diagnose Dr. Al-Samarrai's effort in dialectical study, and in particular the means of generating the quadrant verb in the Baghdadi colloquial, which he studied in his book "Verb, its time and structures" only. The study of the colloquial represents an enhancement of classical Arabic and its integrity. Noting that the colloquial is a clear manifestation of its sting and singing, and it is not derived from its spelling, but rather it is its offspring and is divided from it, emulating it in its structures and connotations.

I dealt with the phenomenon of the emergence of verbs in the vernacular, the synthesis of their placement, and what is close to eloquent is a structure and meaning thereof. The research concluded that there are several ways of the emergence of the quartet in the colloquial, Dr. Al-Samarrai declared some of them, and studied the others without unifying and highlighting them, so the study was described as, its representation, and classification. So it was what it shares with Standard Arabic: by deriving from the nouns, from the addition to the threefold root, its structure, sculpture, and duplicate duplication, as for that which is unique to the colloquial. The wording is by the mediation of the spatial heart, or the repetition of the three fillings by filling or repeating the eye and placing it in the first, or the decoupling of the insertion in the eloquent threes and then substituting for one of the two letters that are compounded by another letter, and other means that will display it as searched in detail.

Key words: Dr. Ibrahim al-Samarrai, the Quadrant verb, the Baghdadi colloquial

المقدّمة:

لقد خاض الدّكتور إبراهيم السّامرائيّ (ت٢٠٠١م)،عباب اللّغة العربيّة ، وخطّ بأنامله بحوثاً ودراسات علميّة ، زخرتْ بالفكر والمعالجة لشتى المجالات اللغويّة والأدبيّة ، وقد خلّف تحابير وتحقيقات جديرة بالدراسة والاهتمام. ومن ذلك عنايته بدراسة اللّهجات العربيّة القديمة، وتحقيقاته اللغويّة في الأبنية والصيغ المعاصرة، وتشخيص نوادرها البنائيّة والاستعماليّة ، وقصة العاميّة في العراق، وما حفظته العامة من الفصيح المنسي ، وأشتات بصريّة دراسته في لهجة البصرة.

إنّ العاميّة تمثّل ازدواجيّة لغويّة لدى كلّ عربيّ ، والصراع بينها وبين الفصحى بدأ منذ القرن الأوّل الهجريّ فولّدت ألواناً من اللّهجات المحليّة حتى العهود الاسلاميّة [١]، ولقد بذل اللغويونَ جهوداً مضنية لتنقية اللّغة العربيّة ، والحرص على اصلاحها وصونها من لثغات العوامّ ، وتصرّفات ألسنتهم بمبانيها ومعانيها . ومن أهداف البحث الاقتداء بهذه الجهود لاصلاح العاميّة وردها إلى الفصحى، وطلب مضانها ، واظهار المباني

العامة التي يتصرّف إليها الرّباعيّ في اللّسان الدارج ، ومقارنتها بالفصيح العربيّ؛ لتشخيص نسبة قربها من أصولها ، وتأثيلها ، وتحديد دلالتها الفصيحة أو العاميّة المنفردة بها[٢]. ويقصد بمصطلح العاميّة (اللّغة التي خلفت الفصحى في المنطق الفطريّ، وكان منشؤها من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاض عادة الفصاحة، ثم صارت بالتصرّف إلى ما تصير إليه اللغات المستقلة بتكوينها وصفاتها المقوّمة لها، وعادت لغة في اللحن بعد أنْ كانت لحنًا في اللغة) [٣]

ومن الدراسات الحديثة لأصول الفعل الرباعيّ دراسة الاستاذ الدّكتور البندري عبد العزيز العجلان ، والدكتورة منيرة ناصر الغامديّ المعنونة (الفعل الرّباعيّ المجرّد في كلام العامة " دراسة تاصيليّة) [٤]، ومقالة – أشبه بالمعجم المنتقى– للكاتب فهيم السليم عنوانها(قوالب العاميّة العراقيّة " الفعل الرّباعيّ في العاميّة العراقيّة)[٥].

عُني الدّكتور السّامرائيّ بالفعل في العربيّة ، وخصص مباحث صرّح فيها عن وسائل العاميّة [٦] في بناء المواد الفعليّة الرّباعيّة في كتابه (الفعل زمانه وأبنيته) ، وسجّل معجماً موجزاً بدأه بحرف الباء إلى حرف الواو ، معقّباً على نشوء كلّ فعل ، وآلية تركيب عناصره ، أصالة وزيادة ، وحدّد نسبة قربه من الفصيحة ، أو إنعدامها ، وقد رأتْ الدراسة أنّ هذا المعجم بحاجة ماسّة إلى دراسته بدقة للوقوف على هذه الطرائق وتنظيمها وتصنيفها، مَنْ منظورٍ علميّ وصفيّ تحليليّ ، وهذه هي حدود البحث ومنهجيته.

طَرَائِقُ بِنَاءِ الفَعْلِ الرّباعيِّ فِيْ ألسِنَةِ العَامَةِ:

إنّ اللغة استعمال، ومستعمليها يميلون إلى انتقاء الأسهل في النطق ، والأكثر قدرة على تحمّل المعاني ، واختصار الجمل الطويلة ، ولذا تُكتب الحياة لمجموعة من المفردات ، ويُحكم على الأخرى بالإهمال أو الجمود، وانتخاب ما يمسّ الاستعمال اليوميّ المرتبط باشتقاق معاصر ، أو ما يمثّل استعمال محدود في الرقعة الجغرافيّة، ولما كانت عينة الدّكتور السّامرائيّ للهجة البغدادية في عام ١٩٦٦م ، فسنجد افعالاً انعدم استعمالها في الوقت الحالي . وقبل البدء نقرر حقيقة مفادها أنّ الفصحى الأصل الأوّل للعاميّة البغداديّة [٧]، ولا يُنكر تداخل اللغات الغريبة فيها [٨].

تصدّى الدّكتور عبد الله بن علي القيسي لدراسة أقوال اللّغويينَ المتأخرينَ في أصل الجذر الرّباعيّ الفصيح ، وخلص إلى أنّها لا تخرج في مجملها عن (الزيادة على الجذر الثّلاثيّ في أي موضع من مواضعه...، وتكرار أحد أصول الثّلاثيّ ، أو تكرار الجذر الثنائي، وفكّ التضعيف، والترخيم وهو قول جرجي

زيدان في الرّباعيّ الناقص ، والنّحت ، واشتقاقه من الأسماء) [٩] وهذا جارٍ – بطبيعة الحال – على الأفعال في العاميّة التي ستعرضها الدراسة.

ورأى الدّكتور مجيد محمّد عليّ القيسيّ أنّ من مصادر بناء الأفعال العاميّة البغدادية هو فك التضعيف أو الإدغام عن الكثير من الأفعال الفصيحة ، للحصول على معانٍ ودلالات جديدة ، ويكون التضعيف بإبدال أحد الضعفينِ أو كليهما بحروف مناسبة منتزعة من أفعال متقاربة المعاني رباعيّة في الغالب ، ومن أساليبهم اعتماد النّحت أو التركيب المزجي ، وإقحام حرفين على الفعل العاميّ إذا أُستأنس إليهما ، وحصل على المعنى المطلوب بدقة ، و المزج ما بين أكثر من فعلينِ للحصول على معنى متفرّد ، ومتميّز بايقاعٍ جميلٍ ودلالاتٍ مركّبة [١٠] .

درس الدكتور السّامرائيّ وسائل نشوء الفعل الرّباعيّ في معجم الجمهرة وخلُص إلى أنّ (في العربيّة الفصيحة كما اثبتتها معجمات اللغة افتعالاً واصطناعاً وكذباً ، فحقيق بنا أنْ نقول : إنّ عاميّة اليوم لا تخلو من اصطناع وافتعال. غير أنّ الإفتعال في عاميتنا الحاضرة لم يكن كالإفتعال الذي تعمده اللغويونَ الأقدمونَ، وقصدوا إليه إظهاراً للعلم وادّعاءً بالمعرفة ، بل إنّ هذا ممّا يجري به اللّسان عفواً وبداهة) [١١]

أوّلاً : ضَمّ الثنائيينِ ممّا تماثلتْ عينه ولامه

وهو ممّا يُعرف بالفصحى بمضعّف الرّباعيّ ، إذ تكون فاؤه الأوّلى ولامه الثانية من جنس، وعينه ولامه الثانية من جنس آخر ، ويسمّى المطابق [١٢]. وقد اتبعتْ العامّة هذا الأثر، وبنت الرّباعيّ ممّا تماثتْ عينه ولامه ، وضمّت الثنائينِ إلى بعض ، وحال الثّلاثيّ من هذا الرّباعيّ فعل ناقص معتل اللام . واختار الدّكتور السّامرائيّ تسعة وثلاثين فعلاً موزعة على دلالات عديدة منها:

الفعل الرّباعيّ	جذره	تفاصيل نشأته الدلالية	دلالته الخاصة	دلالته العامة وأصل اشتقاقه
رَبْرَبَ [١٣]	من الثنائي العربي (رب، رب)، وفي الفصحى (رَبْرَبَ الرَّجُلُ، إذا رَبَّى يَتِيماً) [١٤]	ضم المقطعين إلى بعضهما وهما رب رب	يدلّ في العاميّة على مَنْ يتكلّم ليظهر سخطه ، وكأنّ الذي يفعل ذلك يكثر من كلمة الرب[١٥]	مشتق من الأسماء. وتستعمل بمعنى التذمر والتأفف الذي يبدأ بالعبارة : يا رب ، يارب [١٦]
رَصْرَصَ	من الثنائي العربي ر ص ر ص [١٧].	ضم المقطعين إلى بعضهما وأصله من الرصاص.	رَصْرَصَ الباب أو القفل أو أي شيء آخر ربطه أو شده بالرصاص تقوية وتثبيتاً.	مشتق من الأسماء ويقال : فلان مرصوص على سبيل المجاز أي صار كالرصاص صلابة وقوة

				.[١٨]
لَعْلَعَ[١٩]	من الثنائي العربي (لع لع) ،هذا الرّباعيّ ورد عن العرب بهذه الصورة	ضم المقطعين إلى بعضهما وأصله من لَعْلَعَ الرَّعدُ: صوَّت، دوّى "لَعْلَعَ صوتُ الرَّصاصِ في الهواء"[٢٠].	وفي العاميّة يدل على الصوت الشديد العالي ، ويقال لمن يتكلم بصوت عالٍ: لعلع،ويحكى بذلك صوت العيارات النارية.	يدل على حكاية الأصوات كما يحدث في الفصيح من العربيّة [٢١]
ضَعْضَعَ [٢٢]	باب الثنائي المكرر[٢٣].	ويستعمل كدلالة الفصيح في العربيّة	بمعنى أضعف نتيجة لحركة ما ، يقال: ضَعْضَعَ البناء إذا أحدث فيه خللاً فاضطرب في تماسكه وقوته [٢٤] .	يدل على حركة خفيفة تحدث ببطء و استمرار أو بصورة متقطعة.
فَلْفَلَ [٢٥]	باب الثنائي المكرر[٢٦]		وهو مطابق لدلالة الفصيح ، بمعنى وضع الفلفل في الطعام ، ويضيف العامة معنى آخر وهو قولهم: شَعْر مفلفل أي: الجَعْد مثل: شعر الزنج.	يفيد دلالة التضعيف والكثرة والمبالغة والقوة.
بَكْبَكَ [٢٧]	من الثّلاثيّ الناقص (بكى) ومثله نَشْنَشَ.	وجاء في فصيح العربيّة فضفض أي: صار رحباً وهو من الفضاء	ويستعمل مزيدًا بالتاء يقال: فلان يتبكبك أي يتباكى تظاهراً ورئاءً [٢٨]	وهذا من الرّباعيّ المضعّف في حين ثلاثيه فعل معتل اللام ، فحذف الحرف المعتل وكُرر المقطع الأوّل .

ثانياً : الاشتقاق من الأسماء

أخذتْ العرب أفعالاً من أسماء الأجناس، وأسماء الأصوات، والمركّبات التامة [٢٩]، وأسماء الأعيان [٣٠]. إذ إنّ تنمية ألفاظ العربيّة جاء من خلال التوسّع في الاشتقاق من أسماء الأعيان دخيلة أو معربة [٣١]. وقد بلغ مجموع ما حاول الدّكتور السّامرائيّ رصده من الرّباعيّ المشتق من الأسماء العربيّة وغيرها ثمانية وثلاثين مثالاً منها :

الفعل الرّباعيّ	جذره	تفاصيل نشأته الدلالية	دلالته	ملاحظات
سُوْدَنَ [٣٢]	السّوداء	اسم عربي لمرض قريب من الجنون.	كناية عن المصاب بخلل في عقله.	نشأ الرّباعيّ بزياة النون في الآخر[٣٣]

صَخْرَجَ	صخر	الصَّخْرُ: اسم عربي لعِظامُ الحِجارة وصِلابُها.	أي: صار كالصّخر	صيغ بتذييل الكلمة بالجيم [٣٤]
كَمْرَكَ	الكَمرك	اسم أعجمي : وأصله من التركية Gumruk، وقد تلفظ (الجُمْرُك) .	وهو جَعْلٌ يُؤْخَذ على البضائع الْوَارِدَة من الْبِلَاد الْأُخْرَى	هي من الاسم مع وزنه بوزن الفعل [٣٥].
هَنْدَسَ	الهندسة	اسم مُشْتَقٌّ مِنَ الهِنْدازِ، وَهِيَ فَارِسِيَّةٌ أَصلها آوْ أَنْدازْ	والمُهَنْدِس: الْمُقَدِّرُ لِمَجاري الْمِيَاهِ والقُنِيّ واحتِفارِها حَيْثُ تُحْفَرُ.	فَصُيِّرَتِ الزَّايُ سِينًا؛ لأَنَّه لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ زَايٌ بَعْدَ الدَّالِ، وَالِاسْمِ الهَنْدَسة [٣٦] .وفي لغة العامة يميلون إلى الزاي بدلاً من السين رجوعاً إلى الأصل الفارسي هندازه [٣٧].

ثالثاً : النَّحت

وهو ضرب من الاختزال لتوليد الألفاظ واشتقاقها، فالعرب تنحت من كلمتينِ كلمة واحدة ومنه الحيعلة نحتاً لقولهم: (حيّ على) [٣٨] ،وطريقته في العربيّة صرفياً أنْ تعمد إلى أفعال مختصرة من جمل وأشباهها على زنة الفعل الرّباعيّ المجرد (فَعْلَلَ) لتختصر الدلالة على حكاية هذه الجملة بدلاً من تكرارها نفسها ، ومما جاء في ذلك (بَسْمَلَ) : إذا قال : (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) [٣٩] و"الاختصار هو جُلُّ مقصود العرب "[٤٠].

وقد اتبعتْ اللّهجات المعاصرة طريقة النّحت سبيلاً لتوليد الألفاظ"[٤١] ؛ لاختصار الجهد العضليّ ولئلا تنطق بالكلمة تامة الحروف، ولاختصار الوقت أيضاً ، وهذا وكد العاميّة والنّحت من الظواهر البارزة في اللّهجات العربيّة القديمة . والاختزال في بنية الكلمات هو :(طي حرف أو أكثر من أحرف الكلمة ، وهذا يقع في الأسماء والأفعال والضمائر والحروف ، يعرض لأول الكلمة كما يعرض لآخرها) [٤٢] ولكن للعامة طريقة خاصة للنّحت تقوم على اختيار حروف من كلمتينِ مع بعض التغييرات فتولّد كلمة تنسبها إلى النّحت، والحال أنّ النّحت الجمليّ أي: ما ينشأ عن جملة ،هو وسيلة التوليد في فصيح العربيّة [٤٣]، ونشوء الأفعال الرّباعيّ من كلمتين – وهو خاص بالعاميّة – مما أقرها الدّكتور السّامرائيّ وأورد تسعة عشر فعلاً ومنها :

الفعل الرّباعيّ	جذره	تفاصيل نشأته الدلالية	دلالته الخاصة	دلالته العامة وأصل اشتقاقه
زَغْلَطَ [٤٤]	ليس له جذر فصيح	من زغل وغلط.	زغلط في اللّعب أي لم يصدق في اللعب أي: يغش ويراوغ	أُخذتْ فاؤه من الفعل العامي زغل.

			.(٤٥)	
طَرْبَقَ(٤٦)	من الطرق والطبطبة	طـرق وطبطـب وكلاهمـا يفيـد الصوت.	تلفظ القاف كافاً ثقيلة طَرْبَگَ.	بمعنى أحدث أصواتاً مزعجة.
شَنْهَقَ (٤٧)	شهق ونهق	احتمل الدّكتور السّامرائيّ النّحت فيه من الشهيق والنهيق.	تلفظ القاف كافاً ثقيلة شَنْهَگَ .	أحدث أصواتاً مزعجة
لَغْمَطَ (٤٨)	لغم و غمط	ولَغَمَ في فصيح العربيّة من رمى باللُغام وهو زَبَد الجمل وتلغّم بالطيب جعله فيه.	وغَمَطَ من صوره تغمّط يقال: تغمّط عليه التراب غطّاه.	لَغْمَطَ الصّبي ثوبه بمعنى وسّخه وأحدث فيه بقعاً وذلك بسكب صبغ أو دهان عليه مثلاً.

هذه الوسيلة نِسْبَتِها إلى النّحت غير حقيقيّة حتى أنّ جذريها غير عربيينِ في الغالب ، فهي طريقة خاصة لدى العوامّ ، فـ(اختزال الحروف أو حذفها ، من أخص خصائص اللهجات الشائعة) (٤٩)

رابعاً : تكرار فاء الثّلاثيّ حشواً أو تكرار عينه ووضعه في الأوّل

من مسالك نشأة الرّباعيّ الفصيح الزيادة على الجذر الثّلاثيّ في أي موضع(٥٠) ، وأكد الدّكتور السّامرائيّ على أنّ الزيادة في الحشو تجيء لعلّة صوتيّة وهو التجانس مع فاء الفعل ؛ لكون هذه الطائفة من الأفعال اتبعت طريقة ميكانيكيّة في البناء ، وبلغ عدد عينته اثني عشر فعلاً منها:

الفعل الرّباعيّ	جذره	تفاصيل نشأته الدلالية	دلالته الخاصة	دلالته العامة وأصل اشتقاقه.
بَرْبَعَ (٥١)	ربع	من الربيع ، وربع بالمكان أطمأن وأقام(٥٢).	بمعنى: شبع وأطمأن وتستعمل كناية عن كثرة الرزق أو سعة النعمة (٥٣).	زيادة الباء في الأوّل.
طَرْطَبَ(٥٤)	رَطِبَ	أي: نَدِيَ وابتلّ فهو رَطْبٌ (٥٥)	أي: بلّل بالماء.	زيادة الطاء في الأوّل.
مَرْمَشَ (٥٦)	مرش	هو الخدش في فصيح العربيّة (٥٧).	مَرْمَشَ اللحم : أكله بنهم ورغبة ولم يبق منه.	زيادة الميم حشواً مجانسة للميم الأوّل وهي فاء الفعل.

خامساً : صياغة الرّباعيّ بوساطة القلب المكانيّ

(يُعنى بالقلب تقديمَ بعض حروف الكلمة على بعض، وأكثرُ ما يتفق القلب في المعتل والمهموز، وقد جاء في غيرهما قليلاً) [٥٨]، وفائدته الاتساع في الكلام [٥٩]، وليس له قواعد مطّردة ، وإنّما يحفظ[٦٠]. وتكثر هذه الظاهرة في عاميتنا لدى الأطفال كقولهم: أنارب في أرانب ، ومرسح في مسرح وغيرها، وقد رصد الدّكتور السّامرائيّ تسعة أفعال منها:

الفعل الرّباعيّ	جذره	تفاصيل نشأته الدلالية	دلالته الخاصة	دلالته العامة وأصل اشتقاقه
بَحْرَثَ[٦١].	مقلوب الفصيح بحثر	ذهب ابن فارس أنّ بحثر جاء من بحث وبثر ، وجعله مرة أخرى من بعثر ،وأنّه ثلاثيه(بثر) زِيدتْ فيه العين.	في الحقيقة أن العين مبدلة من الحاء.	أي: يبحث عبثاً .
عَنْقَرَ[٦٢].	مقلوب يَتَقَنْعَرَ	في الغالب هو مزيد بالتاء.	فلانٌ يتقنعر أي: يصطنع ويبالغ فيه ويزيّنه زينة كاذبة.	النون فيه على طريقة التعويض أي: أصله قعّر ثم فك الإدغام وزيدتْ النون .
بَرْكَشَ[٦٣].	ليس له جذر فصيح	يظنه د. السّامرائيّ مقلوب كَـرْبَسَ مع الإبدال بين السين والشين	والكربسة في العاميّة أنْ تدفع الرجل فتوقعه في هُوَّة	بمعنى خدع واحتال ، والكرباس ثوب فارسي معرّب
چَقْلَبَ[٦٤].	من قلب	وهذا الفعل معروف في غير عاميّة العراق كما في سورية ولبنان فيقولون: (شقلب)	يقلب الشّيء بقوة وشدة [٦٥]	زيد صوت (چ) الدخيل في أوله

يلاحظ قلّة أمثلة هذه الوسيلة فهي محدودة حتى في الفصيحة ، فضلاً عن عدم توافر الجذر الفصيح فيها، نعم هي من وجوه التصرّف العاميّ في الألفاظ فهم يقولون: (غرماً) بمعنى رغماً ، والنوايح للنواحي ، والقرميط من القطمير للشّيء النزر الضئيل [٦٦].

سادساً : صياغة الرّباعيّ بوساطة فك الإغام

يفك الإدغام في الفعل الفصيح ثم يعوض أحد الحرفينِ المدغمينِ بحرف آخر، وهذه الوسيلة قليلة في الفصيحة ، كثيرة في العاميّة(٦٧) وقد سجل الدّكتور السّامرائيّ ثمانية أفعال نشأت بهذه الطريقة ، واحتمل نشأة أفعال أخرى بالطريقة نفسها (٦٨)

الفعل الرّباعيّ	جذره	تفاصيل نشأته الدلالية	دلالته الخاصة	دلالته العامة وأصل اشتقاقه
خَنْزَرَ[٦٩]	خزّر	النون تعويض من الزاء في بعد فك الإدغام.	خزر بقوة	التعويض بالنون كثير في العاميّة قليل في الفصيح .

زَنْعَرَ [٧٠]	زأر ثم حصل الابدال	زعّـــر ، النـــون تعويض من العين بعد فك الإدغام.		أي: صاح بصوت يشبه صوت الحمار.
صَنْبَرَ [٧١]	صبّر	النون فيه تعويض من الباء بعد فك الإدغام.		بمعنى أظهر وادّعى.
شَنْبَطَ [٧٢]	شبّط	النون فيه تعويض من الباء بعد فك الإدغام	أكبر الظن أنّ الثّلاثيّ مأخوذ من شبّوط وهو ضرب من السّمك في العراق ، وما يؤيّد ذلك أنّهم يتبعون في استعمالهم العاميّ هذا الفعل بفعل آخر يقرب منه في أصوله الصوتيّة ومعناه فيقولون: (شبط ولبط) للدلالة على النزوان والوثوب السّريع .	بمعنى انتفش من الغضب ونزا .

سابعاً : زيادة حرف في مواضع مختلفة من بنية الثّلاثيّ الفصيح

أ- زيادة النون

أورد الدّكتور السّامرائيّ مجموعة من الأفعال تبلغ تسعة ، زِيدتْ النون في بنيتها من غير احتذاء قياس، وثلاثيها فصيح أو عامي، وولّدتْ فعلاً رباعياً، فالفعل(حَنْفَشَ) بمعنى توثّب وانتصب ، يقال حنفش الولد على صاحبه كما يفعل الدِّيك[٧٣] ، والحال وجود النون في بنية الفصيح فالـ(حَنْفَشَ) الحيّة الكبيرة ، واحْرَنْفَشَ الدِّيك : اذا تهيّأ للقتال وأقام ريشه ، أما الثّلاثيّ(حَفَشَ) فلا توفّر لنا هذا المعنى[٧٤].

وكذلك الفعل (طَنْبَرَ) اذا ظهرتْ أمارات الغضب على وجهه، أو كأنّه انتفخ ممّا به من كدر ، وقد أشار الدّكتور السّامرائيّ إلى أنْ لا علاقة دلاليّة بين العاميّ والفصيح فالأخيرة (طَنْبَلَ) تعني: تحامق بعد تعاقل[٧٥]. والفعل (خَنْطَلَ) الولد اذا كُسف وكُسرتْ نفسه ، ولكنّ الثّلاثيّ الفصيح بعيد عن هذا المعنى فالـ(الخَطْل) هو المضطرب أم الخنطيلة فهي القطعة من الأبل والبقر والسّحاب وهذا شيء آخر[٧٦] . وقد نشأ الفعل(عَنْقَرَ) بوساطة القلب فهو مقلوب (يَتَقَنْعَر)،أما بقية الأمثلة فقد تحققتْ فيها المطابقة المعنويّة وهي :(فَرْطَنَ ، وطَنْبَرَ، وعَنْفَصَ، وصَخْمَنَ ، وصَنْدَحَ ، وقَنْغَرَ) [٧٧]

ب- زيادة الشين

من سبل العاميّة المعروفة في تكوين الرّباعيّ وغير الرّباعيّ زيادة الشين، وهي تشير إلى كلمة (شي) ، وهذه ترمز للقلة،(وربما كان شيء في الفصيح غير أنّ أهل اللغة لم يعرضوا لهذا بشيء من البحث) [٧٨].وسجل الدّكتور السّامرائيّ خمسة أفعالاً ، لها جذر ثلاثي فصيح زِيدتْ في آخرها الشين ، ومنها الرّباعيّ (حكْرَشَ) ويُظن أنّه مقلوب يَتَحَرْكَشَ مِنْ (حرك) ويدل على معنى يتحرّف فيقال: فلان يَتَحَكْرَشَ ، وزيادة الشين فيه ذات دلالة معنويّة تشير إلى القلّة فدلالتها في الفعل أنّه يتحرّك حركة ما ، والدليل على هذه الدلالة استعمال

العامي (دَقَّشَ) وينطقونها (دكّش)أي: دقّ قليلاً قليلاً ، للمبتدئ في تعلّم مهنة من المهن ،أو مادّة من المواد ، أو درس من الدروس [٧٩].

وهذا مسلك لا يمكن عدّه وسيلة لتوليد الرّباعيّ، لقلة وجوده استعمالياً ، وحتى أمثلة الدّكتور السّامرائيّ محدودة ، وقد حلّل الفعل بوساطة القلب المكانيّ، فضلاً عن تسجيله أفعالاً ختمت بالنون ، ولم تعطِ دلالة القلّة مثل: فَرْطَنَ بمعنى: يتصرّف كما يريد متجاوزاً الحدود [٨٠] ، وفَرْزَنَ بمعنى: ميَّز [٨١] ، وجَرْبَن بمعنى: ادَّعى وتظاهر والحقيقة عكس ذلك[٨٢] . نعم ذكر الشّيخ الشّبيبي أنّ من خصائص اللهجات الشائعة الاتيان بزيادة أو نقصان، فالموصليون يقولون: (قد) بصورة حرف التقليل لكلمة قاعد (قد آكل) أي: قاعد آكل أو قاعد ألعب [٨٣].

ت-زيادة العين

وممّا رصده البحث ستة أفعال زِيدتْ فيها العين حشواً ولها أصل ثلاثيّ فصيح ، منها (مَرْعَد) بمعنى : مزّق وقطّع ، يقال: مَرْعَد ثوبه ، وجذره الثّلاثيّ (مرد) ودلالتها الفصيحة [٨٤] مطابقة لمعناها في العاميّة [٨٥] ،وقد فقد الفعل العامي (زَعْبَلَ) ثلاثيه الفصيح ، فالعامة تقول : الطفل يُزَعْبِلَ بلعبه أي: يعبث ويكسّر ويتلف ، و يُزَعْبِلَ الرجل أي: لا يعمل عملاً منظّماً مثمراً ، والزّعبلة :الاتساخ والفوضى [٨٦] ، وفي ظن الدّكتور السّامرائيّ أنّ الفعل مقام على مادّة (زبل) فالزِبْل والزِبالة الفضلات التي تُرمى عامة، وفي الفصيح الزِبْل : السِّرْقِينُ [٨٧] . واحتمل مجيء العين تعويضاً من الباء في(زبّل) بعد فك الإدغام [٨٨].

ث-زيادة الراء

الرّاء تزاد هنا احتمالاً كما في قولهم : خَرْبَصَ، وهو من الخبص بمعنى الاختلاط نحو : تَخَرْبَصَ الخيط بمعنى اختلط فلم يُعرف رأسه ، وقد يكون تعويضاً من(خبّص) بعد فك الإدغام[٨٩]. ومن ذلك (خَرْخَشَ) بمعنى أحدث صوتاً يشعر به من اجتماع الخاء والشّين فالأصل (خشّ) ثم زِيدتْ الراء والخاء[٩٠] . ومثله دَرْبَكَ [٩١]، وصَرْكَعَ[٩٢].

ج-زيادة اللام

ومن ذلك (سَلْهَمَ) فسَلْهَمَ العين بمعنى كان ناعس الطرف، والأصل الثّلاثيّ الذي بني عليه (سهم) والسّهوم في العربيّة العبوس ، ورجلٌ مُسهم الجسم ذاهبه في الحبّ ، فاللام زِيدتْ حشواً [٩٣]، ومثله شَلْوَطَ ، وسَلْقَطَ ، وبَعْلَجَ [٩٤].

ح-زيادة الواو

يتفنن العامة في بناء الأفعال، فيزيدوا الواو في أماكن مختلفة من بنية الثّلاثيّ الفصيح ، وما سجله الدّكتور السّامرائيّ خمسة أفعال أولاها: (عَثْوَل) ويدلّ في العاميّة على: مَنْ لا يعمل عملاً ذا نتيجة أي: يعبث ، وربّما يستعمل بمعنى (يوسّخ) والأصل فيه (عثل) ، ثم زيدت الواو حشواً[٩٥]. وفي الفصيح (والعَثِلُ: الْكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ... والعَثُولُ: الأَحْمق، وَجَمْعُهُ عُثُلٌ. والعِثْوَلُّ: الكثيرُ شَعَر الْجَسَدِ والرأْس) [٩٦]. وثانيهما:(مَرْوَجَ) والكثير في

استعماله أنْ يأتي مزيداً بالتاء يقال: العمود يَتَمَرْوَجَ أي: يتحرّك ويتمايل . والمتبدى للدكتور السّامرائيّ زيادة الواو [٩٧] . وفي اللسان الفصيح (مَرَجَ الدابَّةَ يَمْرُجُها إذا أَرسلَها تَرعى فِي الْمَرْجِ. وأَمْرَجَها: تَرَكَهَا تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ) [٩٨]. أما الأفعال المتبقية فهي (دُوْهَنَ من المداهنة ، وسُوْرَبَ من السّرب وهو الذهاب ، ونوقل – بالكاف الثقيلة – نوكَل :بمعنى نقل . ويبدو أنّ هذه الواو قد تولّدت من إمالة الألف فهي داهن، وسارب ، وناقل) [٩٩]

خ– زيادة التاء

زِيدتْ التاء بشكل غير مقيس تبعاً للمعنى المقصود، فمرة جُعلتْ في أوّل الفعل الثّلاثيّ نحو (تَرْيَعَ) من(رجع) ومعناه تجشأ [١٠٠]، و ظاهرة ابدال الجيم ياء لا تقتصر على لهجة البغداديين ، وإنّما تمتد من الجزء الجنوبيّ لشبه الجزيرة العربيّة ودول السّاحل الشرقي والأحواز وبعض مناطق الشام [١٠١] . وقد وظفتْ العاميّة دلالة الترجيع لما يخرج من الفم وفي فصيح العربيّة التجشأ هو ما يخرج من الفم "فهُوَ صَوْتٌ يخرج من الحُلْقوم وَالِاسْم الجُشاء، وَهُوَ، تَنَفُّسُ المَعِدَةِ عِنْد الامتلاء " [١٠٢]، أما الرَّجِيعُ" فهو الرَّوْثَ والعَذِرَةَ جَميعاً"[١٠٣] أي: ما يخرج من السبيل الأسفل. وهذه من الدلالات الخاصة التي تبعد عن الدلالة الأصليّة للفعل .

وزادوا التاء بعد عين الفعل في(شَنْتَفَ) فيقال: شَنْتَفَ الثوب فهو مشنتف أي: قصير مُلَملم وثلاثيه (شنف) [١٠٤] وفي الفصيح (الشَّنْفُ: الَّذِي يُلْبَسُ فِي أَعْلَى الأُذن، بِفَتْحِ الشِّينِ...وَالَّذِي فِي أَسفلها القُرْطُ) [١٠٥]، والعلاقة متأتية من العلو والدال على قصر الثوب باعتبار ما يعلّق في أعلى الأذن ، وهو وجه مقبول استعمالاً ومعنًى. وجعلوا التاء في آخر الثّلاثيّ فقالوا: سَرْبَتَ الرجل الخادم أي: صرفه وأبعده [١٠٦] ، وهو من مادّة سرب والسّارب في فصيح العربيّة الذاهب على وجهه [١٠٧]. وقد تزاد التاء في الرّباعيّ كتَبَلْعَمَ في بَلْعَمَ[١٠٨] ، و تَحَتْرَشَ في حَتْرَشَ[١٠٩] ، وهذا قليل.

د– زيادة الهاء

صدّرتْ العاميّة بنية الثّلاثيّ بالهاء نحو(هَجْوَلَ) [١١٠] وقد وفّرت هذه الهاء ، معنى: أبعده وطرده وحمله على الانتقال والابتعاد ، والثّلاثيّ فيه(جول) الفصيحة التي تدلّ على الذهاب والمجيء، والسّوق والزوال عن المكان [١١١]. وفي استعمال آخر يزيدون هذه الهاء بعد فاء الثّلاثيّ كـ (دَهْرَبَ) ومعناه دحرج ،وذهب الدّكتور السّامرائيّ إلى أنّ ثلاثيه (دَرَبَ) واشتقاقه من الاسم (الدّرب)، وهي من الأصول المشتركة بين الفصيح والعاميّ ، وقد تكون نشأتها بوساطة التعويض من الراء بالهاء بعد فك الإدغام من درّب [١١٢]. أقول : إنّ هذا التخريج بعيد لأنّ ؛ (الدَّرْب بابُ السِّكَّة الواسِعُ.. وَهُوَ أَيضاً البابُ الأَكبَر) [١١٣]، وأظن أن (دَهْرَب) نشأت من (دَحْرَجَ) بإبدال الحاء هاء، لقرب الأصول وتطابق الدلالة .

ذ– زيادة الباء

ومن ذلك (بَخْنَقَ) وينطق (بخنگ) ويستعمل مزيداً بالتاء ، يتبخنق وهو وضع الببخنق أو البرقع[١١٤].

ولئلا تذهب الجهود من دون إفادة ، آثرتُ تسجيل الأفعال الرّباعيّة التي أوردها الدّكتور السّامرائيّ ، التي ليس له جذر فصيح ،وهي إحدى وخمسين مثالاً : (بَرْبَدَ ، وبَرْكَشَ ، وجَلْفَطَ ، وجَلْوَزَ ، وجَنْكَلَ ، وحَكْرَصَ ، وخَنْطَلَ ، وخَرْوَطَ ، ودَرْدَشَ، ودَرْدَمَ ، ودَرْدَقَ، ودَرْفَعَ، ودَرْمَكَ ، ورَعْبَلَ، ورَهْدَنَ، ورَهْوَلَ، وزَغْلَطَ، وزَهْلَقَ، وسَكْتَرَ، وشَنْتَرَ، وشَنْتَفَ، وصَفْرَجَ، وصَفْرَنَ، وطَنْبَرَ، وعَذْرَبَ، وعَرْبَدَ ، وعَنْجَرَ، وغَرْبَلَ، وغَشْمَرَ، وفَرْفَحَ، وفَرْهَدَ ، وفَلْحَمَ ، وفَلْفَصَ، وفَوْعَرَ، وكَحْطَلَ، وقَشْوَرَ، وقَلْوَطَ، وكَرْبَلَ، وكَحْوَشَ، وكَرْكَشَ، ولَغْوَصَ، ومَرْوَجَ، ومَقْلَجَ، ونَعْوَصَ، وهَرْبَدَ ، وهَرْبَشَ، وهَدْرَسَ، وهَنْجَلَ، ووَرْشَعَ، ووَنْدَخَ) [١١٥]

النتائج :

١- تمثّل العاميّة البغداديّة ، العاميّة العراقيّة ؛ لأنّها ملتقى العاميّات العراقية المتفرقة، وهي نسق يتبع طرائق لصوغ الفعل الرباعيّ تشترك في انتاجها أصول الكلام الفصيح ، وتداخل اللغات الغريبة، يتواضع عليها المتكلمونَ ، وهي تعكس غَناء الفصيح العربي ، وقدرة العوامّ على مستوى لغته.

٢- توجد مسالك عدة لنشأة الرّباعيّ في العاميّة ، صرّح الدّكتور السّامرائيّ ببعضها، فكانت ممّا تشترك فيه مع فصيح العربيّة : كالاشتقاق من الأَسماء ، والزِّيادة على الجذر الثّلاثيّ في أي موضع مِنْ بنيته ، والنّحت ، والثُّنائي المكّرر ، أما التي انفردتْ فيه العاميّة: فالصياغة بوساطة القلب المكانيّ ، أو تكرار فاء الثّلاثيّ حشواً أو تكرار عينه ووضعه في الأوّل ، أو فك الإدغام فِيْ الثّلاثيّ الفصيح ثم التعويض عن أحد الحرفينِ المُدغمينِ بحرف آخر.

٣- هناك وسائل لبناء الفعل لا ترقى لأنْ تكون وسيلة لتوليد فعل- لقلّة أمثلتها- مثل زيادة حرف في بنية الثّلاثيّ كالشين ،أو النون ،أو الواو ،أو العين ،أو الهاء ،أو الباء ،أو التاء ، أو الراء ،أو اللام وإنّما هي ممّا وضعته العامة استجابة لحاجة تواصليّة آنية ، تخضع لقضايا صوتيّة ، أو طبيعيّة تتعلّق بالإنسانية المائلة إلى العجلة في انتاج الكلام كما في سائر ما يصدر عنها.

٤- انفردتْ الأفعال الرباعيّة العاميّة بدلالات خاصة ، تعكس عبقريّة الشّعب في توليدها بحسب المقاصد ، التي لم تكن من أصل وضعها حينما انتزعت آنئذٍ.

٥- اختيرت نماذج الأفعال المدروسة على وفق الأكثر وجوداً من حيث الاستعمال، وفي أدناه جدولاً إحصائياً يوضّح خصائص عينة الأفعال التي عرضها الدّكتور السّامرائيّ :

العـــــدد	عـــدد الأفعـــال	عدد الأفعال المشتقة	عدد الأفعال التي	عـدد الأفعـال التـي	عدد الأفعال

الكلي للأفعال المدروسة	المشتقة و لها فعل عربيّ ثلاثيّ	من الأسماء ولها جذر ثلاثيّ عربيّ	لها جذر ثنائيّ	نشأت بتكرار فاء الفعل حشواً ولها جذر ثلاثي	التي ليس لها جذر
٣٠٦	١٦١	٤٣	٣٩	١٢	٥١
النسبة المئوية	%٥٢,٦١٤	%١٤,٠٥٢	%١٢,٧٤٥	%٣,٩٢١	%١٦,٦٦٦

الهوامش :

(١) يُنظر: التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ : ٢٣.

(٢) لمن أرد مزيد بيان يراجع : اللهجات العربيّة العاميّة، الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي، لسنة١٩٣٧م :٣/ ٣٥٠ – ٣٦٨ . واللغة العاميّة العراقيّة ، د.مصطفى جواد ، مجلة لغة العرب ج٨ ،السنة الثامنة ، وظواهر لغويّة في عاميّة العراق ، د. نعمة رحيم العزاوي ، مجلة التراث الشعبي ، ع ١٢، السنة الخامسة ، ١٩٧٤: ١٥، والمنحوت العامي واللفظ الدخيل في لغة بغداد ، رزوق عيسى ، بحث منشور في مجلة لغة العرب ، ج ٧، كانون الثاني ١٩١٢، والألفاظ الفارسيّة في اللهجة البغداديّة ، حسن شوندي ، موقع ديوان العرب الإلكترونيّ.

(٣) تاريخ آداب العرب : ١/ ١٥٢.

(٤) بحث منشور في مجلة العلوم الشّرعية واللّغة العربيّة ، الّسنة الثالثة ، المجلد (٣) العدد(٢) لسنة ٢٠١٨.

(٥) مقال إلكتروني منشور بتاريخ ٣/٤/ ٢٠١٣ في موقع إتحاد الجمعيات المندائية الإلكترونيّ في المهجر .

(٦) من الجدير بالذكر إن للدكتور السامرائي بحثاً بعنوان (الأصول التاريخيّة للعاميّة البغداديّة في ألف ليلة وليلة).

(٧) يُنظر: موسوعة اللغة العاميّة البغدادية أصولها وأبنيتها ومعجم ألفاظها : ١٣.

(٨) يُنظر: نظرة عامة في لغة بغداد العاميّة ، رزوق عيسى ، مجلة لغة العرب العراقية ، العدد ٢ ، ١٩١١م : ٧١.

(٩) اختلاف اللغويين المتأخرين أصل الجذر الرباعي ، د. عبد الله بن علي القيسي ، بحث منشور في المجلة الإلكترونيّة الشاملة متعدّدة التخصصات ، العدد الثاني والعشرون شهر (٣) ٢٠٢٠: ١٠.

(١٠) يُنظر: موسوعة اللغة العاميّة البغدادية أصولها وأبنيتها ومعجم ألفاظها:٣٢-٣٣.

(١١) الفعل زمانه وأبنيته : ١٥١

(١٢) يُنظر: الكتاب :٣/٥٢٩-٥٣٠، وارتشاف الضرب ١/٨٠، ودروس التصريف :١٢٨.

(١٣) ومن نظائره : (صَرْصَرَ ، وعَبْعَبَ) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٩.

(١٤) تهذيب اللغة : ١٥/١٣٢(ربّ).

(١٥) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٨(حرف الراء).

(١٦) يُنظر: موسوعة اللغة العاميّة البغدادية أصولها وأبنيتها: ٢٢٤(حرف الراء) .

(١٧) يُنظر:معجم الصّواب اللّغويّ دليل المثقف العربيّ: ١/٤٠٢(رصرص).

(١٨) يُنظر : الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٩ (حرف الراء) ، وتاج العروس : ١٧/٥٩٨(رص رص).

(١٩) ومن نظائره :(قَرْقَرَ، ومَعْمَعَ ، وخَنْخَنَ،وهَلْهَلَ، وكَرْكَرَ، وبَشْبَشَ، وطَبْطَبَ ، وبَسْبَسَ ، ولَقْلَقَ، ودَمْدَمَ، ونَقْنَقَ، ودَشْدَشَ ، وجَفْجَفَ) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٧.

(٢٠) معجم اللغة العربيّة المعاصرة: ٣ /٣٠١٦ (ل ع ل ع).

(٢١) الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٧.

(٢٢) ومن نظائره :(زَعْزَعَ ، وخَلْخَلَ ، وهَدْهَدَ ، وهَزْهَزَ ، ونَعْنَعَ ، وحَلْحَلَ) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٨.

(٢٣) يُنظر: كتاب الأفعال :٢٦٧/٢(ضعضع).

(٢٤) الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٨.

(٢٥) ومن نظائره : (شَدْشَدَ ، وكَبْكَبَ، وشَرْشَرَ، ونَسْنَسَ، ولَمْلَمَ ، ولَفْلَفَ ، ودَقْدَقَ ، وعَلْعَلَ ، وغَمْغَمَ) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٨.

(٢٦) يُنظر: كتاب الأفعال :٤٩١/٢(فلفل).

(٢٧) ومن نظائره:(نَشْنَشَ ويدل في العاميّة على الاستمتاع والاطمئنان ، وهو من النشوة في الفصيح) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٨.

(٢٨) الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٨ .

(٢٩) يُنظر: دروس التصريف في المقدّمات وتصريف الأفعال : ٢١.

(٣٠) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ٥٢.

(٣١) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٨٤.

(٣٢) ومن نظرائه التي أحصيتها :(جَوْرَبَ ، ودَسْتَرَ، ودَوْدَى ، ودَوْلَبَ ، وخَوْصَرَ ، ورَنْدَجَ ، وزَنْجَرَ ، وزَنْجَلَ ، وزَقْنَبَ، وسَكْرَبَ، وسَلْبَحَ ، وسَنْبَلَ، وشَكْبَنَ ، وشَيْطَنَ، وصَلْغَمَ ، وصَنْكَرَ ، وعَسْكَرَ، وعَفْرَتَ ، وعَوْرَضَ، وفَرْعَنَ ، وفَرْنَجَ ، وفَنْطَزَ ، وقَنْدَلَ ، وقَنْزَعَ ، وقَوْلَبَ ، وكَرْوَنَ ، وكَلْبَجَ ، وكَرْزَلَ ، وكَزْبَرَ ،و كَلْبَسَ ، ومَسْكَنَ ، ونَشْتَرَ ، ونَيْشَنَ ، ونَكْرَزَ) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٨٨-١٩٢.

(٣٣) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٨٩، وتكملة المعاجم العربية، : ١٨٢/٦(سودن) ، وجريدة المدى العدد ٢٧٩٤، ٢٠١٣/٥/١١، مقال هاشم العقابي بعنوان (نخلة مسودنة).

(٣٤) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٠، وتهذيب اللغة : ٦٤/٧(صخر).

(٣٥) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٩١، والمعجم الوسيط : ١٣٤(جمر) ، وتكملة المعاجم العربية: ١٤٠/٩(كمرك)

(٣٦) لسان العرب: ٦/ ٢٥١-٢٥٢ (هندس).

(٣٧) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٢.

(٣٨) يُنظر: الصاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها : ٢٠٩.

(٣٩) يُنظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب : ٢٨٧، ودروس التصريف:٦٩.

(٤٠) يُنظر: الاشباه والنظائر : ٦٦/١ ، نقلاً عن الاختصار سمة العربيّة :٥٢.

(٤١) يُنظر: لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحدة :١٩٦.

(٤٢) التوزيع الجغرافيّ في العراق : ١٠٧.

(٤٣) يُنظر: اختلاف اللغويين المتأخرين اصل الجذر الرباعي : ٨.

(٤٤) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٦٤.

(٤٥) يُنظر: قاموس اللهجة العاميّة البصريّة مع أمثال وأشعار شعبية :١١١/٢(حرف الزاي) الأفعال.

(٤٦) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٧٠.

(٤٧) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٦٨.

(٤٨) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٨٠، ومن نظرائه: (عَنْكَشَ :١٧٢،وفَرْقَطَ:١٧٣،وفَرْكَشَ: ١٧٤،وقَحْوَرَ:١٧٥، وقَرْضَمَ:١٧٥، وقَرْطَفَ، وقَرْمَطَ:١٧٦،ومَرْعَطَ، وخَرْبَطَ:١٨١،وشَخْبَطَ:١٦٤، وشَرْبَكَ:١٦٦،وشَعْبَطَ : ١٦٧، وكَعْبَرَ:١٧٩، لَخْبَطَ ، ولَغْوَصَ : ١٨٠).

(٤٩) الشّيخ محمد رضا الشّبيبي ودراسته اللهجيّة : ٢٢١.

(٥٠) يُنظر: اختلاف اللغويين المتأخرين اصل الجذر الرباعي : ١٠.

(٥١) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٥٣، ومن نظائره :(بَرْبَخَ، و دَرْدَقَ ، وفَرْفَطَ ، وكَمْكَشَ، ولَهْلَبَ، ونَعْنَسَ) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٣-١٩٤.

(٥٢) المعجم الوسيط : ٣٢٤(ربع).

(٥٣) يُنظر: موسوعة اللغة العاميّة البغداديّة أصولها وأبنيتها : ١٠٧ (حرف الباء).

(٥٥) المعجم الوسيط :٣٥١(رطب).

(٥٦) ومن نظائره : (مَرْمَصَ ، ومَرْمَطَ ، ومَلْمَسَ) : يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٩٤.

(٥٧) يُنظر: المعجم الوسيط : ٨٦٣(مرش).

(٥٨) شرح شافية ابن الحاجب : ٢١/١

(٥٩) يُنظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : ٢٧٩/٦.

(٦٠) يُنظر: المساعد على تسهيل الفوائد : ٢٠٩/٤.

(٦١) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٥٢و١٣٥.

(٦٢) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٧٢ و١٧٧.

(٦٣) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٥٣-١٥٤.

(٦٤) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٥٦، ومن نظائره: (حَرْمَصَ ، وحَكْرَشَ ، وبَحْلَقَ ، ولَخْبَطَ ، ومَلْغَظَ :١٥٤و١٥٥و١٥٧.

(٦٥) يُنظر: قاموس اللهجة العاميّة البصريّة مع أمثال وأشعار شعبية :١٨٩/٢(حرف الشين) الأفعال

(٦٦) يُنظر: موسوعة اللغة العاميّة البغداديّة : ١٥.

(٦٧) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٥٦(جندل)

(٦٨) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :(صَرْكَعَ=صقّع : ١٦٩ ، وبَهْذَلَ = بذّل : ١٥٤، وخَرْمَشَ = خرّش :١٥٨، وخَرْبَطَ = خرّط : ١٥٩ ،وسَنْكَرَ = سكّر : ١٦٦، وقَنْبَصَ= قبّص: ١٧٧، ودَنْبَسَ= دبّوس : ١٦٢، وفَرْقَسَ/ فرگس= فقّس: ١٧٣، دَرْبَكَ=دبّك:١٦٠).

(٦٩) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٥٩.

(٧٠) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٦٤.

(٧١) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٦٩.

(٧٢) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته: ١٦٧-١٦٨،ومن نظائره: (جَنْدَلَ=جدّل: ١٥٦، وخَنْفَرَ= خفّر :١٦٠، وعَرْوَجَ=عرّج: ١٧١، ورَهْوَلَ=روّل:١٦٣).

(٧٣) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٥٨ (حرف الحاء).

(٧٤) يُنظر: لسان العرب : ٢٩٠/٦ (حنفش).

(٧٥) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٧٠ (حرف الطاء).

(٧٦) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٥٩-١٦٠ (حرف الخاء)

(٧٧) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٧٣(حرف الفاء) ،١٧٢(حرف العين) ، ١٦٨ و ١٦٩(حرف الصاد) ، ١٧٥(حرف الفاء) .

(٧٨) الفعل زمانه وأبنيته : ١٥٧ (حَكْرَشَ)

(٧٩) الم الفعل زمانه وأبنيته : ١٥٧ ومن نظائر:(خَرْطَشَ:١٥٩، ونَخْبَشَ:١٨٢، ونَقْبَشَ:١٨٢، ونَقْرَشَ:١٨٢).

(٨٠) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٧٣ (حرف الفاء).

(٨١) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٧٣ (حرف الفاء).

(٨٢) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٥٥ (حرف الجيم) .

(٨٣) يُنظر: الشّيخ محمد رضا الشّبيبي ودراسته اللهجيّة : ٢٢١.

(٨٤) يُنظر: تاج العروس : ١٦٤/٩(مرد).

(٨٥) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٨١ (حرف الميم) .

(٨٦) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٦٤، ومن نظائره: (دَعْثَر، ودَعْبَلَ :١٦١، وشَعْوَطَ:١٦٧، ولَعْبَطَ:١٨٠).

(٨٧) يُنظر: تاج العروس : ١١١/٢٩ (زبل).

(٨٨) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٦٤.

(٨٩) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٥٩ ، ولسان العرب: ٢٠/٧(خبص)

(٩٠) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٥٩ .

(٩١) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٦٠ (حرف الدال).

(٩٢) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٦٩ (حرف الصاد).

(٩٣) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٦٦ (حرف السين).

(٩٤) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٦٩ (حرف الصاد).

(٩٥) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٧٠-١٧١(حرف العين).

(٩٦) لسان العرب : ٤٢٤/١١(عثل).

(٩٧) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٨١.

(٩٨) لسان العرب : ٣٦٤/١(مرج) .

(٩٩) الفعل زمانه وأبنيته :١٨٨ .

(١٠٠) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٥٥.

(١٠١) يُنظر: دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربيّة : ٦٤، والإبدال في لهجة جنوب البصرة ، أ.د. علي ناصر غالب، بحث منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة البصرة ، ذي العدد : ٢٢لسنة ١٩٩١: ٣٦٨.

(١٠٢) يُنظر: تهذيب اللغة : ٩٤/١١ (جشأ).

(١٠٣) يُنظر: لسان العرب : ١١٦/٨ (رجع).

(١٠٤) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٦٨.(حرف الشين)

(١٠٥) يُنظر: لسان العرب : ١٨٣/٩ (شنف).

(١٠٦) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٦٥ (حرف السين)

(١٠٧) يُنظر: تهذيب اللغة : ٢٨٧/١٢ (سرب).

(١٠٨) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٥٤ .(حرف الباء)

(١٠٩) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٥٦ .(حرف الحاء)

(١١٠) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٨١-١٨٢ ، ومن نظائره: هَتْلَفَ:١٨٢.

(١١١) لسان العرب : ١٣١/١١(جول).

(١١٢) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته : ١٦٢، ومن نظائره: (لَهْوَجَ):١٨١.

(١١٣) لسان العرب : ٣٧٤/١(درب).

(١١٤) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٥٢-١٥٣ .(حرف الباء)

(١١٥) يُنظر: الفعل زمانه وأبنيته :١٥٢ (حرف الباء)، و١٦٥ (حرف الحاء)، و١٥٨(حرف الخاء)،و١٦٠(حرف الدال)،و١٦٢(حرف الراء)،و١٦٤(حرف الزاي)،١٦٥(حرف السين)،و١٦٦(حرف الشين)،و١٦٨(حرف الصاد)،و١٧٠(حرف الطاء) و(حرف العين)، و ١٧٢(حرف الغين)،و١٧٣(حرف الفاء)،و١٧٥(حرف القاف)،و١٧٧(حرف الكاف)، و ١٨١(حرف الميم)،و١٨٢(حرف الهاء)،و١٨٣(حرف الواو).

المصادر والمراجع

- الإبدال في لهجة جنوب البصرة، أ.د. علي ناصر غالب، بحث منشور في مجلة كلية الآداب بجامعة البصرة ، ذي العدد : ٢٢ ، لسنة ١٩٩١ .
- الاختصار سِمَة العربيّة ، د. عبد الله جاد الكريم ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٦م.
- اختلاف اللغويين المتأخرين أصل الجذر الرباعي، د. عبد الله بن علي القيسي ، بحث منشور في المجلة الإلكترونيّة الشاملة متعدّدة التخصصات ، العدد الثاني والعشرون شهر (٣) .٢٠٢٠
- ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان الأندلسيّ (ت ٧٤٥ هـ) ، تحقيق : د. رجب عثمان محمّد ، مراجعة : د . رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م .
- الأشباه والنظائر في النحو ،عبد الرحمن بن أبو بكر جلال الدين السُّيوطي (ت٩١١ هـ) ، تح :فايز ترحيني، طبعة دار الكتاب العربي ،١٩٨٢.
- تاج العروس من جواهر القاموس ،أبو الفيض السيد محمد مرتضى الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ) ، تحقيق : مجموعة من الأساتذة (الأجزاء ٣٩.١) ، مطبعة حكومة الكويت ، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والإنباء في الكويت ج ٩، ١٩٧١م ، وج ١٧ ،١٩٧٧م، وج ٢٩ ، ١٩٩٧م.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي.
- التّطوّر اللّغويّ التّاريخيّ، د. ابراهيم السّامرائيّ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨١م.
- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت: ١٣٠٠هـ) ،نقله إلى العربيّة وعلّق عليه، محمَّد سَليم النعَيمي ،الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقيّة، ط١ ١٩٧٩ م.

- تهذيب اللغة ، أبو منصور الأزهريّ (ت٣٧٠هـ) ، تح : عبد السلام هارون ،و راجعه محمد عليّ النجار ، الدار المصريّة للكتاب والترجمة.
- التوزيع الجغرافيّ في العراق ، إبراهيم السامرائي ، معهد البحوث والدراسات ، جامعة الدور العربيّة ، ١٩٦٨م.
- دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربيّة ، ت.م جونستون، ترجمة الدكتور أحمد محمد الضبيب ، الرياض ١٩٧٥م.
- دروس التصريف في المقدّمات وتصريف الأفعال، محمّد محيي الدين عبد الحميد (ت ١٩٧٣م)، طبعة دار الطلائع بالقاهرة، لسنة ٢٠٠٩م.
- شرح شافية ابن الحاجب ، الشيخ رضي الدين بن الحسن الدين الاستراباذي ، (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق وضبط وشرح : محمّد نور الحسن ، ومحمّد الزفزاف ، ومحمّد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م .
- الشّيخ محمد رضا الشّبيبي ودراسته اللهجيّة، دراسة وجمع الدكتور حامد الظالميّ ، دار الفيحاء ، بيروت ، ط١، ٢٠١٢م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، أبو الحسن أحمد بن فارس ، من علماء القرن الرابع الهجري ، علّق عليه : أحمد حسن بسج دار الكتب العلميّة ، بيضون ، بيروت ط١، ١٩٩٧م.
- الفعل زمانه وأبنيته ، د. إبراهيم السّامرائيّ (ت٢٠٠١م)، ط٣، ١٩٨٣م.
- قاموس اللهجة العاميّة البصريّة مع أمثال وأشعار شعبية ، أحمد عبد الرزاق الحلفي ، وبثينة عبد الوهاب الحلفي ، دار العباد ، بغداد ، ٢٠٠٩م .
- كتاب الأفعال ، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصّقلي (ت: ٥١٥هـ)، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣م.
- الكتاب : سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمّد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ،ط ١ ، ١٩٨٢م .
- لسان العرب، ابن منظور الأنصاري، (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت ، ط١، (د .ت) .
- لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحدة ، د. فاضل المطلبي ، العراق ، ١٩٧٨.
- المساعد على تسهيل الفوائد ، ابن عقيل ، تح: محمّد كامل بركات، نشره جامعة الملك، ١٩٨٠م.
- معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربيّ ، الدّكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، القاهرة ،ط ١، ٢٠٠٨ م

- معجم اللغة العربيّة المعاصرة ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ،الناشر: عالم الكتب،ط ١، ٢٠٠٨ م
- المعجم الوسيط ، قام باخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون ، مجمع اللّغة العربيّة ، دار الدعوة تركية ، ط٢، ١٩٧٢م.
- موسوعة اللغة العاميّة البغداديّة أصولها وأبنيتها ومعجم ألفاظها،الدّكتور مجيد محمد علي القيسيّ ،،دار الأديب ، الأردن ،ط ١، ٢٠١٣.
- نخلة مسودنة، مقال هاشم العقابي، منشور في جريدة المدى (العراقيّة) العدد ٢٧٩٤، ٢٠١٣/٥/١١.
- نظرة عامة في لغة بغداد العاميّة ، رزوق عيسى ، مجلة لغة العرب العراقية ، العدد ٢ ، ١٩١١م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للإمام جلال الدين السُّيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق وشرح : د. عبد العال سالم مكرم ، والأستاذ عبد السلام محمّد هارون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٤١٣هـ ،١٩٩٢م .

"تطوّر النّظرية اللّسانية العربيّة الحديثة- قراءات منهجيّة في لسانيات الكمّ"

الأستاذ: محمّد نجيب مغني صنديد /أستاذ محاضر-أ-

كليّة الآداب واللّغات- قسم اللّغة والأدب العربي / جامعة عين تموشنت- الجزائر

الملخّص:

يحيل هذا البحث المتواضع المتلقي اللّساني على ملاحظات علميّة غير يسيرة،تخصّ التّناول اللّساني الكمّي للمادّة النّحويّة،في باب حروف المعاني،إلاّ أنّ معالجتها ههنا لا تكون بما كانت عليه في التّصوّر الكلاسيكي الّذي يعالج البنية اللّسانية في شكلها المورفولوجي،فلا يجاوزه إلى ما دون ذلك من الجانب الفونولوجي،وهو المتفرّد من المستويات اللّسانية الّذي يعني بأقلّ عناصرها كمّاً،فتتوالد الدّلالة الكامنة بالبنية الفونيميّة والمقطعيّة،والمفصليّة الصّوتيّة،والطّونيميّة والتّنغيميّة.ويكون تناول حروف المعاني بهذا التّصوّر على غير نظيره الكلاسيكي،من حيث الكمّ ومن حيث المقاربة،وقد اتّضحت المباينة الشّاسعة بينهما،إذ لم تتجاوز الدّراسات اللّغويّة في مباحث حروف المعاني الوظيفة النّحويّة والمعاني التّركيبيّة،ولم تبرح المقاربة النّحويّة القديمة في الدّرس النّحوي؛إلا أنّه قد يجد المتلقّي في هذه الورقة البحثيّة زوايا علميّة لم يعهدها من قبل،من حيث تمفصل المادّة النّحويّة إلى ما يقلّ عنها كمّاً،ومن حيث المقاربة الإجرائيّة، الّتي تخرج عن المعهود الأنثروبولوجي،من العلوم الإنسانيّة إلى العلوم الدّقيقة،لاسيما الحقل الفيزيائي الكمّي ونظيره التّفاعلي الكيميائي،اللّذان يولّدان الطّاقة الدّلاليّة بتفاعل العناصر اللّسانيّة المتناهية كمّاً، فيكون كلّه تفسيراً للوظيفة النّحويّة لحروف المعاني ومنها **أم**،واستنطاقاً للدّلالة المتوالدة من هذا التّفاعل الفونولوجي.ويقف المتلقي أيضاً على الفروق الجوهريّة بين الحروف الّتي تتقارب في الوظيفة والمعنى،في التّقدير النّحوي الكلاسيكي،وهي على غير ذلك من التّخريج الكمّي الفونولوجي...

الكلمات المفتاحية:لسانيات؛فيزياء الكمّ؛الوظيفة النحويّة؛أم؛التّفسير الفونولوجي.

"The Development of Modern Arabic Linguistic Theory "
- Systematic Readings in Quantum Linguistics -

Dr: Mohamed Najib Marni Sandid
Faculty of Letters and Languages - Department of Arabic Language and Literature
Ain Témouchent University – Algeria

Abstract:

This modest research places the linguistic recipient on unimportant scientific notes regarding the quantitative linguistic manipulation of elhorof elmaani's grammatical matter, however, its treatment is no longer what it was in the classical conception, which deals with structure. linguistic in its morphological form, therefore it does not go beyond the phonological aspect, which is unique at linguistic levels, meaning the least quantitative elements, to generate the latent meaning in the phonemic, syllabic, joint structure phonetics, tonemism and tonalization. The use of elhorof elmaani in this design is not in the classical method, in terms of the quantity of the

approach, with a vast contrast between them appears, as linguistic studies interested in elhorof elmaani were not going beyond the syntactic function and syntactic meanings, and the old grammatical approach did not leave the syntactic lesson.

However, the recipient can find in this research scientific angles that he has not experienced before, in terms of articulation of the syntactic matter with the less quantitative ones, and in terms of procedural approach, which departs from the anthropological current, from the humanities to the exact sciences, notably the quantitative physical and interactive chemical field, which generates semantic energy through the interaction of less quantitative linguistic elements. All of this is therefore an explanation of the syntactic function of elhorof elmaani including Am, and an extraction of the meaning generated from this phonological interaction.

The addressee also stands on the essential differences between elhorof elmaani which converge in function and in meaning, in classical grammatical perception, and they are on something other than quantitative phonological interpretation.
Keywords: *linguistics; quantum physics; syntactic function; Am; phonological interpretation.*

مقدمة:

أولى الدّرس اللّساني الكلاسيكي العناية بالمورفيم النّحوي بشقّيه:الحرّ من الأسماء والأفعال،والمقيّد من حروف المعاني،فطغت عليها الوظيفيّة،الّتي تناولت المراتب النّحويّة والمواقع الإعرابيّة،وقد خصّت المورفيمات الاسميّة والفعليّة،ومعاني المورفيمات الحرفيّة العاملة،إلاّ أنّه لم يتجاوزها إلى العناصر الفونولوجيّة الدّنيا،الّتي تقلّ عن نظيرتها.وعلى الرغم من تقادم الدّرس في التّيار اللّساني الخليلي،إلاّ أنّه لم يكن مفسّراً للظّواهر اللّغويّة وللمستعصيات النّحويّة،تفسيراً تفاعليّاً بين عناصر المستويات اللّسانيّة، فاقتصرت مضانه البحثيّة في الدّرس الصّوتي على الجانب الفونيتيكي والدّلالة الفونيميّة بتصورهما الكلاسيكي،ومنها نظريّة المحاكاة الطّبيعيّة ولم يدمجه في تفسير البنيات اللّسانيّة التي تزيد عنه كمّاً؛ وكانت هذه حاله إلى أن جاء ابن جني(٣٩٢هـ)رائد النّظريّة الفونولوجيّة العربيّة،الّذي طعّم الدّرس اللّساني ومنه النّحوي بفلسفة الكمّ،بما هي عليه من التّصوّر الفيزيائي المعاصر،إذ بنى نظريّته الجديدة على رؤية علميّة أكثر عمقاً وأقوى حجّةً في التّفسير اللّساني–لاسيما الفونولوجي–في قراءه مغايرة للظّواهر اللّغويّة العربيّة،وقد تبيّن من فلسفته هاته تعويله على العناصر اللّسانيّة ومنها الفونولوجيّة،في معالجة المباحث النّحويّة واللّغويّة.

ولعلّ في هذا الارتباط الأنثروبولوجي الحضاري محاولة لإعادة ترتيب الدّرس النّحوي،وفق المقاربة الفيزيائيّة الكمّيّة،ومن منظور تلاقح العلوم بعضها ببعض،لاسيما وأنّ الظّاهر على اللّسانيات قربها من العلوم الدّقيقة أكثر منها إلى العلوم الإنسانيّة،ممّا يفتح آفاقاً للدّرس اللّساني،لتجد متّسعاً علميّاً تحاول فيه تطويع المقاربات العلميّة الدّقيقة،لتكون أدوات تفسيريّةً للمستغلقات البحثيّة من الدّرس الكلاسيكي؛وقد تبدو هذه المحاولة جريئةً،ويحفّها الخطر من كل جانب،إلاّ أنّها تمثّل تواصلاً حضاريّاً لما قدّمه ابن جنّي بنظريّته اللّسانيّة في تفسير الظّواهر اللّغويّة حينذلك؛مما يهوّن على الباحث اللّساني في هذا الشأن انتهاج هذه الفلسفة اللّسانيّة،شريطة تطوير المقاربة الإجرائيّة،وتحيينها وفق متطلّبات العلم الرّاهنة.

هذا؛وقد يكون المعوّل من هذه المقاربة الكمّيّة البحث في المسائل النّحويّة التّراثيّة،بما يعطي لها تفسيراً أكثر دقّةً وعمقاً،وأقوى حجّةً ومنطقاً.ويخصّ ذلك العناصر اللّسانيّة المتناهيّة كمّاً،وتستنطق مواطن الدّلالة فيها،وتفسّر الوظائف النّحويّة على غير ما كان تأويلها وتناولها في الدّراسات الكلاسيكيّة،وتفتح آفاقاً بحثيّةً

لسانيةً،وتجيب على إشكالات نحويّة عالقة،وتصحّح تصوّرات لغويّة ظنيّة،وتنأى عن الأحكام الفيلولوجيّة التّي جعلت الدّرس اللّساني العربي القديم في العلوم الإنسانيّة المرافقة له،وتنسف المسوّغات المعياريّة الّتي خرجت بالدّرس اللّساني من الأكاديميّة العلميّة إلى الضّوابط المعياريّة،وذلك في الفترة الّتي سلك فيها فنّ النّحو مساره التّعليمي.

ولعلّ من جمهرة المباحث النّحويّة القديمة باب حروف المعاني،الّذي تُنوِّل من جانبين:الوظيفة ومعاني الحروف،وقد عنيت بهذا مصنّفات نحويّة عتيقة،لعلّ أهمّها"المغني اللّبيب"لابن هشام الأنصاري، الموصوف مؤلّفه بالدّقة والشّمول؛ممّا يعزّز العمل الأكاديمي في أن يكون مدوّنةً بحثيّة في هذا الباب، ويتّخذ منهجه عمدةً،اعتباراً من تأليفه للمادّة النّحويّة،ليُتبع بالتّأويل الفونولوجي الكمّي،بما تحمل حروف المعاني من الخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة الّتي تخصّ النّفس(الهواء)،والخصائص الحركيّة الميكانيكيّة الّتي تخصّ مخرج الفونيم وحركة اللّسان،وأجزاء جهاز التّصويت البشري المسؤولة عن النّطق،وذلك في تركيبها الفونيمي والمقطعي السّولابي وفوق المقطعي من الأداءات النّبريّة،والمفصليّة الصّوتيّة،والطّونيميّة التّنغيميّة ونغمات الموجة الكلاميّة،وقد تبيّن أنّها مواضع الدّلالة،والبؤر الّتي تشع بها،المحدثة للوظيفة النّحويّة، والمشاكلة للاتّساق التّلفّظي للبنية اللّسانيّة التّركيبيّة أفقاً،والمنتجة للدّوائر الدّلاليّة المنسجمة شاقولاً...

الإشكاليّة:

لا ريب في أن يجد الواقف على البحث غرابةً في عقد الارتباط،بين حقل اللّسانيات الذّي عدّ من جملة الإنسانيّة،وبين فيزياء الكمّ،لتكون خصائصه العلميّة الدّقيقة الصّارمة منهجاً إجرائيّة،في تناول الدّرس النّحوي العربي؛ممّا يحيل على السّؤال عن صحّة إسقاط المناهج العلميّة الدّقيقة على العلوم الإنسانيّة ومن جهة،وعن درجة القرابة العلميّة بين اللّسانيات،وعلم الفيزياء عموما،وفيزياء الكمّ خصوصاً،من جهة أخرى.

ولمّا كان شأن فيزياء الكمّ أن تلغي فيزياء نيوتن،من حيث الفلسفة والمنهج،ومن حيث والّتناول والنّتائج؛فهل يكون هذه حال الدّرس اللّساني الكمّي،في أن يغاير من فلسفته ومنهجه وتناوله؟،وأن تلغي النّتائج اللّسانيّة العربيّة الكلاسيكيّة،وتعوّضها بنتائج جديدة تكون من مخرجات لسانيات الكمّ؟.

هذا؛وقد يبدو لمريدي الدّرس اللّساني-بتصوّره الأنثروبولوجي-تعارض بعض مضانه وخصوصيّة مباحث اللّغويّة العربيّة؛ممّا يزيد الإشكال العلمي في تلك الإسقاطات اللّسانيّة الكمّية على المادّة النّحويّة العربيّة،ذات الخصوصيّة الحرجة في عمومها،لاسيما لمّا تقترن بالمدوّنة النّحويّة القرآنيّة.وإن صحّت الفرضيّة في إن تراعي اللّسانيات عامّةً ولسانيات الكمّ الخصوصيّة اللّسانيّة العربيّة، فإنّ السؤال بعد ذلك عن درجة الكفاية العلميّة الّتي تقدّمها المقاربة الكمّية،من تحكّمها في المنهج اللّساني المتّبع في معالجة المادّة النّحويّة،من طيب النّتائج العلميّة القويمة الّتي تخرج بها،وعن سعة المباحث النّحويّة الّتي تستجيب لهاته المقاربة.

أم:(٣)"*cvc*"؛تأتي لأربعة أوجهٍ[١]:

١/المتّصلة[٢]:وهي في نوعين وذلك،إمّا أن تتقدّمها همزة التّسوية؛نحو قوله تعالى:﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٣] و قوله تعالى:﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾[٤].ولا يدخل في هذا بيت زهير في تقدير ابن هشام: وَما أَدْري وَسَوْفَ إِخالُ أَدْري ÷ أَقَومٌ آلُ حِصنٍ أَم نِساءُ[٥].

وإمّا أن تتقدّمها همزة لطلب التعيين بها وبأم معاً؛نحو:"أزيدٌ في الدّار أم عمرٌو"[٦]؛وتسمّى متّصلةً إذ لا غنى لما قبلها عمّا بعدها،وتُسمى المعادلة أيضاً،لمعادلتها الهمزة في إفادة التّسوية في النّوع الأول،وإفادة الاستفهام في النّوع الثاني[٧].قد يكون في تكنيّة النّحاة أم بالمتّصلة،على ما يكون من كمّها الفونولوجي،وهو المتحقّق في الهمزة المكرورة في طرفي التّركيب اللّساني،بين ما قبل أم المتّصلة من الكلام وما بعدها، وذلك في همزة التسّوية أو التّعيين،وفي همزة أم،وهي في بداية الطرّف الثّاني من التّركيب اللّساني،كما تزيد ذلك الميم الغالقة في أم،بما تحمل من الانغلاق النّفسي،وما تحمله وهي في موضع إقفال المقطع الصّوتي بها[أم:(٣)"*cvc*"]، بعدّ الانغلاق معيارا للاتّصال النّفسي الكمّي،وهو غير متوافر في أو،وإن كانت تحمل الخصائص الفونيميّة والمقطعيّة الكمّيّة والميكانيكيّة،الّتي تقارب بها أم فونولوجيّاً ودلاليّاً،إلا أنّ في أم ما يوقف على الاتّصال الفونولوجي الكمّي،دون غيره من نظيرتها أو.

ولعل في اصطلاح النّحاة لفظ"المعادلة"ما يوحي إلى التّعادل الفونولوجي،فونيميّاً في أوّل أمره،وهو المرصود في شركة الهمزة،الّتي يجمع طرفي المعادلة،وذلك بين همزة التّسوية في النوّع الأوّل،وهمزة التّعيين في النوّع الثّاني،في الطّرف الأوّل من المعادلة الفونولوجيّة،وبين ما يقابلهما،وبين أم المتّصلة،وهي بداية الطّرف الثّاني،وقد تبين أن المعادلة الفونولوجيّة أقرب إلى التّسوية،بعدّها النّوع الأول،بما تحدثه من تسوية بين الطّرفين،وقد يعضده كثرة الاستعمال أيضاً،فيكون الاصطلاح على الغلبة من الاستعمال اللّغوي وهي عادة النّحاة في أن تسمّي بما يغلب استعماله.ويزيده قوذةً في الحجّة أنّ انتفاء التّسوية يستوجب انقطاع الكلام،لانتفاء التّعادل الفونولوجي،ممذا يعزّز الاتّصال بها على اعتبار النّقيض،وعندها تكون التّسوية أصل المعادلة بأم.وفي ثاني الأمر،أن يكون التّعادل الفونولوجي مقطعيّا؛من ذاك ما هو في الهمزة بعدّها مقطعاً(ء)"*cv*"(1)،وما هو في أم"*cvc*"(3)المقفلة بصامت الميم،وهي أخفّ بما تحمل من صفة الميوعة والذّلاقة،ممّا يحدث قرب التّعادل الفونولوجي.في حين أنّه قد يكون تفسير ما جاء في حكم همزة التّعيين،أن يؤوّل ذلك بالنّبر على الهمزة وهي مفردةٌ،بغير الخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة الّتي للاستفهام، فتتغاير إلى خصائص الطّلب للتّعيين،فيخرجها النّبر بعد ذلك من خصائص الإنشاء الطّلبي،إلى حدود الإخبار،مع الاحتفاظ ببعض خصائص الطّلب؛ليصحب التّعيين بالهمزة في النّوع الثّاني،فلا يستوجب الكلام جواباً،ويكون في موضع الإخبار،وقابلاً للتّصديق وللتّكذيب؛وتكون الخصائص الكمّيّة النّبريّة ههنا أخفّ من خصائص الاستفهام.أو أن يكون النّبر على الهمزة بالخصائص الفيزيائيّة الكمّية المقطعيّة حقيقيّاً فيستوجب جواباً في موضع الاستفهام الحقيقي،ولا يكون الكلام إخباراً،ولا قابلا للتّصديق أو للتّكذيب.

وأما ما جاء من إخراج ابن هشام بيت زهير من النّوع الأوّل،ففيه نظر على تقدير الطّونيم الّذي يعتلي قمّة التّنغيم عند مقطع[(أ):"*cv*"(١)]،فقد يحمل الطّونيم الخصائص الكمّيّة والميكانيكيّة ذاتها للّتي هي لهمزة التسوية،فتكون لذلك ويكون البيت من النوع الأوّل؛ينضاف المعادلة الفونولوجيّة،وما يقابلها من التّعادل الدّلالي ممّا يتضمّنه التّضاد،هو يوافق التّضاد في الشّاهدين القرآنيين في النّوع الأوّل.

ولعلّ ممّا يفارق النّوع الأول الثّاني في أربعة أمور[٨]:

– أنّ أم الّتي بعد همزة التّسوية لا تستوجب جواباً،إذ لم تدل على معنى الاستفهام،فهي في موضع الإخبار،والكلام فيها للتّصديق أو التّكذيب.

– أنّ أم الّتي بعد الطّلب قد تستوجب جواباً في موضع الاستفهام،للدّلالة على معناه،والكلام فيها ليس للتّصديق أو للتّكذيب،إذ هو طلب على حقيقته[٩].

– أنّ الواقعة في النّوع الأول،لا تقع إلاّ بين جملتين مؤوّلتين في مفردتين؛فعليتين كالشّاهدين الأوّلين، واسميتين كقول الشّاعر[١٠]: وَلَسْتُ أُبالي بَعْدَ فَقْدِيَ مالِكاً ÷ أَمَوْتِيَ ناءٍ أَمْ هُوَ الآنَ واقِعُ[١١].

ومختلفتين؛نحو قوله تعالى:﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾[١٢].

– أنّ الواقعة في النّوع الثاني تقع بين مفردتين على الغالب[١٣]؛نحو قوله تعالى:﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾[١٤].وبين جملتين لا تؤوّلان بمفردتين؛وتكونان فعليتين،نحو قوله[١٥]:

فَقُمْتُ لِلطَّيْفِ مُرْتاعاً فَأَرَّقَنِي ÷ فقلتُ أَهْيَ سَرَتْ أَمْ عادَني حُلُمُ[١٦].

على من رجّح هي فاعلاً لفعلٍ محذوفٍ يفسِّر الفعل المذكور بعد الاستفهام.وتكونان اسميّتين أيضاً[١٧]؛ كقوله:

لعَمرُكَ ما أَدْري وَإِنْ كُنْتُ داريا ÷ شُعَيْثُ بنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بنُ مِنْقَرِ[١٨].

إذ يكون الأصل بهمزة الاستفهام في شُعَيْثُ وبالتّنوين في آخره،على الضّرورة في تخريج النّحويين،وقد يفسّر بالتّنغيم الدّال على الاستفهام دون قرينة الهمزة الّتي هي للاستفهام،وقد تؤوّل حذف التّنوين بالعلم بشخص شيعت فلا ينوّن،حين الجهل بشخصه،لا على الضّرورة في صياغة النّحاة؛والمعنى في البيت:"ما أدري أي النّسبين هو الصّحيح"،وفي هذا الباب قد يدخل بيت زهير الذي سبق في تقدير ابن هشام[١٩].

ولعلّ الدّافع النّحوي الّذي جعل ابن الشّجري(٥٤٢هـ)أنّه يضع بيت زهير في النّوع الأوّل،أنّ الاستفهام غير مقصود في الكلام،بحسب المعنى النّحوي،إذ ينافي معنى الدّراية المصرّح بها[٢٠].ويسبقه قبل هذا استحضار الطّونيم بخصائصه الفيزيائيّة الكمّيّة والميكانيكيّة،الّذي يصحب الكلام،وتكون ذروته عند الهمزة،وتكون فارقيّة بتغاير خصائصها الفيزيائيّة،من التّعيين إلى التّسوية،بعد التّصريح بالدّراية،ويكون ذلك بانخفاض النّبض الفيزيائي الكمّي في التّنغيم.وأمّا ما جاء من إخراج ابن هشام لهذا الشّاهد النّحوي من النّوع الأوّل،فله ما يردّه في المثال الّذي قدّمه؛وذلك أن:"علمت أزيدٌ قائمٌ"هو جواب:"أزيدٌ قائمٌ"[٢١]؛إذ لا يجتمع الإخبار بالإنشاء فونولوجيّاً،لما فيهما من تباين فيزيائي كمّي وميكانيكي يخصّ حركة اللّسان،في تماوج تنغيميهما،وتباين طونيميهما في ذروتي الموجة الكلاميّة المركّبة منهما،وينعكس ذلك على الدّلالة، من تعارض الجمع بينهما،لما فيهما من الدّلالة،إذ يقبل الإخبار التّصديق والتّكذيب،ولا يقبله الإنشاء، وخصوص الإفادة الخبريّة في الأوّل،والطّلب والانفعال في الثّاني.كلّ هذا يعضد رأي ابن الشّجري ويعزّزه، بما تستجيب له الفونولوجيّة من خصائص فيزيائيّة كمّيّة وميكانيكيّة،ويزيده ما جاء من تضاد في بيت زهير،وهو ما يغلب على النّوع الأوّل من الشّواهد النّحويّة لاسيما القرآنيّة،إذ يكثر في التّسويّة الدّلّ على تضاد طرفي التّسويّة،وهو مبيّن في المنطق الرّياضي:

"[للاتّصال في التّسوية]. cvc– أم:(٣)" إذن: سواء عليهم ≡ ١.

"[للإضراب في النّفي[22]]. cvc– أو:(٣)" ١/ أستغفرت لهم(ق) ≡ ١.

– (أم– تسوية) ≡ أم منقطع ≡ أو للإضراب ❶. ٢/ لم تستغفر لهم(ق¬) ≡ ٠.

– أو≡ بل للإضراب ❷.

فمن ❶و ❷ فإنّ:أم ≡ بل الاتّصال(الوصل)في جدول الحقيقة:

ق١	ق٢	ق١+ق٢ ≡ ق
١	١	١
١	٠	٠
٠	٠	٠
٠	٠	٠

ق٢≡١. ٨ الاتصال ق≡١ في حال واحدة:ق١≡

التّسويّة≡١ (مسلّمة).

٣/ أم(ق¬) ≡ ٠.

من ٢و٣:أم لم تستغفر لهم≡ (ق¬¬) ≡ ١.

سواء عليهم ≡ أستغفرت لهم + أم لم تستغفر لهم .

ق ≡ ق + ق

¬¬.

ق. ≡ ق + ق

١ ≡ ١ + ١

١ ≡

النتيجة:أم للاتّصال.

وتقع أم في النّوع الثّاني بين جملتين مختلفتين[٢٣]؛نحو قوله تعالى:﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[٢٤]عند من رجّح هذا،في كون أنتم فاعلاً[٢٥].

مسألة١ :أم الّتي تتقدّمها همزة الطّلب،تستوجب جواباً تعيينيّاً،إذ يكون السؤالُ بها عن التّعيين أيضاً،فإن قيل:"أزيدٌ عندك أم عمرو؟"يكون الجواب تعييناً لزيد أو لعمرو،ولا يكون تصديقاً بنعم أو بلا[٢٦].وأمّا قول ذي الرّمّة (١١٧هـ):

تَقولُ عَـــــــجوزٌ مَدْرَجي مُتَرَوِّحاً ÷ عَلى بابها مِنْ عِنْدِ أَهْلي وَغــادِياً

أَذُو زَوْجَةٍ بِالمِصْرِ أَمْ ذو خُـصومةٍ ÷ أَراكَ لهَا بِالبَصْرَةِ العامَ ثـــــاوِياَ؟

فَقُلْتُ لهَا:لا،إِنَّ أَهْلِيَ لجِـــــــيرَةٌ ÷ لأَكْثِبَةِ الدَّهْنا جمَـــــــيعاً وَمالِياً

وَما كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتَني في خُصومَةٍ ÷ أَراجِعُ فيها– يا اِبْنَةَ القَوْمِ– قاضِياً[٢٧]

فليس في قوله:"لا"جواباً لسؤالها،وإنمّا هو دفعٌ لما توهمته من وقوع أحد الأمرين:كونه ذا زوجة،أو كونه ذا خصومةٍ،ولم يكتف بهذا،وزاد على الرّدّ كلاماً تامّاً،جواباً لسؤالها،فقال"إن أهلي جيرة"و"ما كنت مذ أبصرتني"[٢٨].ويفسّر باستحضار الطّونيم الّذي يدفع التّوهّم،ولا يكون جواباً على بخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة والميكانيكيّة المحتملة في تنغيمه المستحضر،خصائص التّنغيم الّذي يحمله التّركيب الضّامّ للا التي يجاب بها عن السّؤال؛ويعضده ما زاد الشّاعر من إجابته عن سؤالها.

مسألة٢ :لا يجوز قياساً العطف بأو بعد همزة التّسوية[٢٩]،ويكثر لحن الفقهاء في نظير قولهم:"سواء كان كذا أو كذا"،وقولهم:"يجب أقلّ الأمرين من كذا أو كذا"وصوّبه ابن هشام،بأن يكون العطف بأم في الأوّل، وبالواو في الثاني.ويرى السّهو في رواية الصّحاح:"تقول:سواء عليَّ قمت أو قعدت"[٣٠]،وروي عن ابن المحيصن(١٢٣هـ)من طريق الزّعفراني(٣٦٩هـ)[٣١]أنّه قرأ:"سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَوْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ"[٣٢]على الشّاذّ من القراءة[٣٣].وقد جاز قياساً في مقابل ذلك العطف بها بعد همزة الاستفهام[٣٤]،وأجيب عنه بنعم أو بلا،فإن أجيب بالتّعيين،في نحوِ:"أزيد عندك أو عمرو"صحّ ذلك أن يكون جواباً وزيادةً[٣٥].ولعلّ ما يزيد في تعضيد الرّأي،في القول بأصل التّسوية في

أم المتّصلة،ما رصده النّحاة في منع العطف بأو بعد التّسوية؛وقد تبين أنّ الاتّصال في أم المسبوقة بهمزة التّسوية يحدث التّعادل الفونولوجي،من فونيمي ومقطعي،فينعكس على الدّلالة ضرورة،لتكون للدّلّ على المعادلة والتسوية،ممّا يستوجب الاتّصال الفونولوجي،ومنه إلى الدّلالة لتعادل الطّرفين.وأمّا العطف بأو،وإن كانت تحمل الخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة والميكانيكيّة،لمقاربة لأم،إلى أنّ الواو المفتوحة نظيرة الميم الغالقة،قد تكون فارقيّة في حدوث الانقطاع الفونولوجي،فينعكس ذلك ضرورة على الدّلالة،ليحيل على دوال الانقطاع من معاني أو النّحويّة.وأمّا جواز العطف بأو بعد همزة الاستفهام، وإن تحمل الخصائص الفيزيائيّة الكمّية والميكانيكيّة، الّتي تبدو ذاتها،إلاّ أنّها ليست على غير ما هي عليه في همزة التّسويّة،وإن تطابقها في الفونيم والمقطع الصّوتي أيضاً،إذ يكون طونيم التّنغيم الّذي يصحب الاستفهام بما يحوي من خصائص فيزيائيّة،تباين نظيرتها التي في التّسوية،وفي هذا التّباين ما يحيل على الانقطاع الفونولوجي،الذي يرافق همزة الاستفهام، ممّا يجوّز لأو العطف بها في موضع أم،وهو الظّاهر من مصاحبة الانقطاع في همزة الاستفهام لأو ذات الانقطاع،فينعكس ذلك على الدّلالة،من إشارتها على دوال الانقطاع من معاني أو النّحويّة،ويجاب بها حينذاك بنعم أو بلا؛وما الجواب إلاّ قطع السّؤال بما يجاب به.وقد يفسّر رياضيّاً بما يلي:

أم المتّصلة (التّسوية) ⟺ الاتّصال(أم) ≠ الانقطاع (أو) ❶. أو≠ أو≠ أم المنقطعة+(أ/للاستفهام) ❷.

فتبين من❶و ❷:أن المباينة في واو أو،في طونيم التّنغيم الّذي يرفق الكلام في ضمّه لهمزة الاستفهام.

وأمّا ما كان في قول:"آ الحسن أو الحسين أفضل أم ابن الحنفية؟"فإن عُطِفَ الحسين على الحسن بأو،وعُطِفَ ابن الحنفية عليهما بأم،فيجاب بقولنا:"أحدهما"دون تفرقة عند أهل السّنة،وبابن الحنفيّة عند الكيسانيّة،ولا يجاب بالحسن أو بالحسين إفراداً،على غير الجواز النّحوي،لأنّه حينذاك يُتوهّم أنّه سُئل عمن هو أفضل بين الحسن وابن الحنفية،أو بين الحسين وابن الحنفية،وقد تبيّن فساده،وإنمّا جعل من أراد السّؤال عن أحدهما لا بالتّعيين،قريناً لابن الحنفية،فكأنّه قيل:"أأحدهما أفضل أم ابن الحنفية؟"[٣٦].

وقد يكون جدول الحقيقة فيصلاً منطقيّاً في هاته المسألة النّحويّة،الّتي تبيذن مفارقة أو لأم؛وذلك فيما يلي:

أو ≡ الفصل؛وجدول الفصل هو:

الحسن أفضل(ق١)	الحسن أفضل(ق١)	القضيّة(ق) ≡[ق١ ⩛ ق٢]	الحكم الشّرعي
١	١	١	جائز
١	٠	١	ممتنع
٠	١	٠	فاسد منطقيا
٠	٠	١	ممتنع

فقد تبيّن من جدول الحقيق وحكم الشّرع عندنا،أنذ الوجع الأوّل هو الأوحد قياساً؛فالأفضليّة لهما على حدّ السّواء،ولا يعيّن أحد عن الأخر؛والأمر نفسه لمّا يقرنان بابن الحنفيّة،فلا يعيّن أحدهما إفراداً ليكون قريناً لابن الحنفيّة،وإنّما يكون بلفظ"أحدهما"قريناً له،وهو الظّاهر في جدول الحقيقة:

أحدهما أفضل	ابن الحفنيّة أفضل	(ق) ≡[أحدهما⩛ابن الحنفيّة]	الملاحظة

١	١	١	**الجمع ممتنع لدى السنة والكيسانية**
١	٠	١	**توجّه السّنة**
٠	١	٠	**توجّه الكيسانية فاسد منطقيا**
٠	٠	١	**ممتنع لدى السنة والكيسانية**

قد تبيّن أنّ فضل أحدهما على ابن الحنفيّة الوجه الأوحد قياساً،ليس ذلك من باب المفاضلة،وإنّما للبرهنة على المسألة النّحويّة دون سواها.

<u>مسألة٣</u>:روى النّحاة حذف أم المتصلة والمعطوف بعدها؛نحو قول أبي ذؤيب الهذلي[٣٧]:

دَعَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لأَمْرِهِ ÷ سَمِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشْدٌ طِلاَبُهَا.

وقد قدّروا المحذوف"أم غي"[٣٨].

ولعلّ في هاته المسألة ما يعضد ما هو مفسّر بطونيم التّنغيم،الّذي يصحب الكلام الّذي يضمّ أم المتّصلة،فيكون ذروة النّبض في الموجة الكلامية عند همزة التّسوية،لتكون المؤشّر الفونولوجي،ومنه إلى المؤشّر الدّلالي للتّعادل،ولدلالة أم على الاتّصال،ممّا يجعل الهمزة مؤشّراً على أم المتّصلة؛ولمّا حذفت في الشّاهد النّحوي دلت عليها همزة التسوية،بما توحي به من الطّونيم المحمول في تنغيم الكلام الضّامّ لها ويبقى تقدير الكلام محمولا على الضّدّية للطّرف الأوّل.وقد أجاز بعضهم حذف المعطوف دونها[٣٩]؛فخرّجوا قوله تعالى:﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ*أَمْ﴾[٤٠]على الوقف عليهما،وقدّروا الحذف:"تبصرون"[٤١]،ثمّ استأنف بـ:﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾[٤٢].وقد أبطله ابن هشام،بأنّه لم يُسمَعْ حذف معطوفٍ دون عاطفه،ويقدّر المعطوف جملة"أنا خيرٌ" تعادل الجملة الّتي قبلها على أصل"أم تبصرون"ثمّ عطف عليها بالاسميّة"أنا خير"دون الفعلية "تبصرون"، وأقام السبب في قوله:"أنا خير"مقام المسبب في معنى"فتكونوا بصراء بقولكم هذا"[٤٣]،إذ رأى أنّ الخيريّة سببٌ في بصره،فأقامها مقام البصر، وقد صرّح به قبل أم العاطفة؛ويراه ابن هشام معنى كلام سيبويه في هذا[٤٤].ويرد على من قال:أتفعل هذا أم لا،بأنّ الأصل:أم لا تفعل بالحذف بعد لا،وليس قبل أم العاطفة، وإنمّا هي من حرف الجواب الّتي تحذف بعدها الجمل في أحايين كثيرة،فتقوم هي مقام تلك الجمل،إذ لم يقع الحذف بعد أم العاطفة بالمباشرة[٤٥].ولعل للتّنغيم اليد الطّولى في حذف ما بعد لا الّتي للجواب،للدّلّ عليها حين الحذف،بالقرينة الفونيميّة"*le tonème*"الّتي تحيل على المحذوف وكأنّه مذكور؛وقد يفسّر هذا أيضا ما أبطله ابن هشام من قبل،من حذف ما بعد أم دونها،واعتراضه على تخريج الوقف في قراءة"أنا خيرٌ"إذ لم يبنِ دعواه إلاّ على عدم السّماع،إلاّ أنّ التّنغيم يجيز ذلك ويقع في تفسيره وتسويغه.وقد لا يخرّج هذا عمّا سبق تفسيراً،من حذف أم المتّصلة،ليزيده حذف معطوفها دونها،وإن لم يستسغه بعض النّحاة،إلاّ أنّ في جواز بعضهم ففيه من القبول،ما هو مفسّر بالطّونيم،الّذي يعتلي ذروة الموجة الكلامية المنغّمة تنغيم أم للاتّصال،ممّا يحيل ذلك على المعطوف وإن حذف.وعلى ذلك يكون حمل الشّاهد القرآني،في حذف جملة"تبصرون"المعطوفة، والموقوف على أم بعد حذف الجملة،ولا يكون الاستئناف في:﴿أَنَا خَيْرٌ﴾بالتّصوّر النّحوي فينقطع المعنى معه،وإنّما هو من قبيل المفصل الصّوتي،الّذي يحمل فاصلاً زمنيّاً،يشير على وجود الحذف،ويكون المستأنف في تقرير النّحاة،جملة اسميّة متعلّقة بالفعل المحذوف بعد أم دونها؛ويكون تقديره:"أم تبصرون أنّي خير".وأمّا ما رواه الزّمخشري(٥٣٨هـ)في حذف المعادل الأوّل قبل أم،فإنّ للطّونيم اليد

الطّولى في تفسير هاته الظّاهرة النّحويّة،إذ يصحب التّنغيم الضّامّ للطّونيم،المتموقع في ذورته عند أم،ليحيل طونيم الطّرف المعادل الثّاني وتنغيمه على المعادل الأوّل المحذوف،بما يوافق السّياق العامّ المتكلّم فيه،ويكون التّنغيم مؤشّراً عليه.وقد أجاز الزّمخشري(٥٣٨هـ)أحاداً حذف ما قبل أم،وهو المعطوف عليه بأم،فخرّج قوله:﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾[٤٦]بجواز كون أم متّصلةً،والخطاب لليهود،فحذف المعادل الأوّل،وقدّره:"أتدّعون على الأنبياء اليهوديّة أم كنتم شهداء؟"[٤٧]؛وقد وافقه الواحدي(٤٦٨هـ)في تخريج الآية نفسها، فقدرها[٤٨]:"أبلغكم ما تنسبون إلى يعقوب من إيصائه بنيه باليهودية أم كنتم شهداء"[٤٩]بحذف المعادل الأوّل المقدّر.

٢/المنقطعة[٥٠]؛وهي ثلاثة أحوال[٥١]:

– المسبوقة بالخبر المحض[٥٢]؛نحو قوله تعالى:﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ*أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[٥٣].

– المسبوقة بهمزة لغير الاستفهام[٥٤]؛نحو قوله تعالى:﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾[٥٥] فالهمزة للإنكار،والإنكار بمنزله النّفي،فلا تقع أم المتصلة بعده[٥٦].

– المسبوقة باستفهام بغير الهمزة[٥٧]؛نحو قوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾[٥٨].إنّ الجامع في أحوال أم الثّلاث تغاير في الخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة والميكانيكيّة،لطونيم التّنغيم الّذي تسبق أم،وقد كانت ذروة نبضه عند الهمزة في حال أم المتّصلة، فلمّا انخفض النّبض بالخبر المحض في الحال الأولى،وبالهمزة الّتي لغير الاستفهام،وهي للإنكار الدّالّ على النّفي،الّذي يؤاخي الخبريّة في الحال الثانيّة كانت **أم** منقطعة.وذلك يكون انخفاض النّبض في الحال الثالثة،بالاستفهام بغير الهمزة؛وقد تبيّن الفارق الفيزيائي الكمّي والميكانيكي،في طونيم التّنغيم الّذي يصحب أم المتّصلة في حال الهمزة الّتي للتّسوية والّتي لطلب التّعيين،وهما الأعلى نبضاً،فتحقّق وإيّاهما التّعادل الفونولوجي،وبعد التّعادل الدّلالي،ويقع بعد ذلك الاتّصال لفظاً ودلالةً؛ولمّا تغايرت الخصائص الفيزيائيّة للطّونيم،انخفض نبض التّنغيم في أحوال أم المنقطعة الثّلاث،فانقطع خيط التّعادل الفونولوجي المتحقّق من جماع الهمزة و**أم**،ووقع الانقطاع الدّلالي بعد ذلك،فكانت أم مؤشّراً على دلالة الانقطاع.ولعلّ مما ينبّه عليه في النوعين الأخيرين،أنّ مراد النحاة بهمزة لغير الاستفهام،والاستفهام بغير الهمزة،تعلّقه بتنغيم الإنكار بوجود القرينة،الّتي تدلّ على الاستفهام في الرّسم،إلاّ أنها لا تدلّ عليه في المنطوق والدّلالة.ولمّا درب هذا السّهو على ألسنة النّحاة وجب التّنبيه عليه وليس ضرورةً أن تكون القرينة الخطّيّة في الرّسم للدّلّ على منطوقاتها على الدّوام،وحكمها إلى التّنغيم،الّذي يكتنفها دلالةً؛ممّا قد يستوجب – بعد هذا كلّه– تدارك السّهو لدى المعربين.

ولعلّ ممّا تومئ إليه **أم** المنقطعة الّتي لا تفارقها دلالة الإضراب؛إذ تتجرّد له في حال،وتتضمّن دلالتي الاستفهام الإنكاري،والطّلبي زيادة على الإضراب،في حالين آخرين[٥٩].فما كان من الحال الأولى؛ نحو قوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ ولعلّ ما يفسّر تجرّد **أم** للإضراب في هذا الشّاهد،أنه لا يدخل الاستفهام على الاستفهام في أم الأولى، وتفسّر الثانية للإضراب،بأن أخبر التّعبير القرآني عن اعتقادهم الشّركاء لله تعالى[٦٠]؛واستدلّ ابن هشام بقول الفرّاء(٢٠٧هـ):"يقولون(هل لك قبلنا حق أم أنت رجل ظالم)يريدون بل أنت"[٦١].وقد يحتل أن تتضمّن أم الأولى

والثّانية دلالة الاستفهام الإنكاري في تصوّر النّحاة،وإن كان إنكاراً محضاً،وإن كان حضرت قرينة الاستفهام،إلاّ أنّ التّنغيم لغير الاستفهام،فهو للإخبار،وقد تبيّن المباينة الفيزيائيّة الكمّية والميكانيكيّة لطونيم التّنغيمين،وما يكون من ارتفاع النّبض للموجة الكلامية في حال الاستفهام الحقيقي،وانخفاضه في حال الإنكار الدّال على الإخبار،في حين حضور قرينة الاستفهام،إلاّ أنها مهملة قيمتها الفيزيائيّة الكمّية،ومن تمّ الفونولوجيّة،ومنها إلى القيمة الدّلاليّة؛من ذاك آية الاستدلال لذلك﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[٦٢].ويكون تخريج الآية الشّاهد على:"هل يستوي الأعمى والبصير،بل لا يستوي الظلمات والنّور،بل جعلوا لله شركاء"،وتخريج شاهد الفرّاء:"ليس لك قبلنا بل أنت رجل ظالم".

وقد عوّضت **أم** بل الّتي للإضراب دلالةً،لمّا أراده المتكلّم،ولمّا تلقاه السّامع من معنى المراد؛إلاّ أنّ هذا في الظّاهر الفونولوجي،قد يفسّر التّقارب الدّلالي في الإضراب،بالتّطابق المقطعي:(أم ≡ بل ≡ (٣)"*cvc*"). ينضاف إليه ما تطابق فيه **أم** نظيرتها بل،من اقترانها بالاستفهام بالهمزة وبغيرها؛على احتمال أنّ الأصل في أحرف الاستفهام الهمزة للقلّة والإفراد الفونيميين؛فالإفراد أصلٌ مقارنةً بالمركّب.

وقد تبيّن أنّه لمّا عادلت الهمزة في **أم** المتّصلة نظيرة المنقطعة- وإن لم يكن هذا محلّ الكلام عنها- همزة التّسويّة في حال،وهمزة الطّلب في حال أخرى،فلمّا قويت **أم** بالهمزة والميم فونيميّاً،على بل الّتي توافقها في الإضراب،وعادلتها مقطعيّاً،وقابلت ما يماثلها فونيميّاً في غيرها من الكلم من الهمزة الّتي للتّسوية أو الّتي للطلب،في التّراكيب الضّامّة لها جميعاً،كانت **أم** الأنسب موقعاً من بل،وقد تضمّنت معناها لما حوت من خصائص فونيميّة كمّيّة وميكانيكيّة،وكذا مقطعيّة،تقربها منها في دلالة الإضراب، ومن تعادل الطّرف الآخر من التّركيب فونيميّاً.

هذا؛ولعلّ ما جاء من الحال الثّانية قوله تعالى:﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾[٦٣]فلو قدّرت أم للإضراب المحض،لزم أن يكون المعنى"بل له البنات"وهو محال في حقه تعالى[٦٤]؛وعلى هذا،فقد احتمل المعنى في أم الاستفهام الإنكاري زيادة معنى الإضراب،في التّصوّر النّحوي،وقد أشّر عليها التّنغيم بما يحمل من الخصائص الفيزيائيّة الّتي لاستفهام الإنكار،وإن تذكر قرينة الاستفهام،إلاّ متضمّنة في أم التي للإضراب[٦٥].ولعلّه مفسرٌ هذا أيضاً بتنغيم الإنكار،وقد يشبه تماوج نغمته الاستفهام،وإن قيل:إنّ قرينة الاستفهام غير ظاهرةٍ في هذه الآية،وتقديره أمراً جزافيّاً،ضعيفاً في الاحتمال،يجاب أنّه قد ذكرت القرينة بهمزة الاستفهام في قوله تعالى:﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ﴾[٦٦]وهو في تأويله الفونولوجي متعلّقٌ بالآية الشّاهد،فكأنها ذكرت وهي على غير ذلك من عدمه،وقد أشّر عليها التّنغيم،بما يحمل من الخصائص الفيزيائيّة،الّتي لاستفهام الإنكار،وإن تذكر قرينة الاستفهام،إلا متضمّنة في أم الّتي للإضراب. وأمّا ما جاء من الحال الثّالثة،ففي قولهم:"إنها الإبل أم الشّاء"،والتّقدير:"بل أهي شاء"[٦٧]،وعلى احتمال أن يكون المعنى في أم الإضراب،مرفقاً بالاستفهام الطّلبي،وقد كان دون قرينة خطيّة في الرّسم،إلاّ أنّ طونيم التّنغيم للاستفهام مستحضر لطلب التّعيين.ولعلّ المفسّر من دلالة أم على الإضراب،كامن في الكمّ الفونولوجي المقطعي،الّذي يوافق نظيره في بل أصل أحرف الإضراب:(أم ≡ بل ≡ (٣)"*cvc*").ينضاف إليه اقترانهما بالاستفهام بالهمزة وبغيرها، وعلى احتمال أنّ أصل أحرف الاستفهام الهمزة للقلّة الفونيميّة والمقطعيّة الصّوتيّة فيها،وقد تبيّن أنّ الإفراد أصل في اللّسان العربي،عند قرانه بنظيره

المركّب.ولمّا كانت أم المنقطعة نظيرةً للمتّصلة،وقد خصّت كل واحدةٍ بخصائص فيزيائيّة كمّيّة ميكانيكيّة لكلّ تنغيم لهما،وقد تبيّن أنّه متعلّق بنبض الطّونيم في الموجة الكلاميّة لكلّ منهما،فقد قوّى هذا موضعها أن تكون للإضراب عوضاً عن **بل**؛زيادةً على القوّة الفونيميّة في **أم** عند قرانها ببل،بما تحمل من قوّة الانفجار الفونيمي في الهمزة،وانقطاع النّفس حين النّطق بها،لتدلّ على الانقطاع الدّلالي في مقابل ذلك،والإضراب من دواله فتضمّنه في المعنى.

ويرى أبو عبيدة(٢١٠هـ)[٦٨]أنها قد تأتي لمعنى الاستفهام المجرّد؛فخرّج على ذلك بيت الأخطل

كذَبَتْكَ عَينُكَ أمْ رأيْتَ بواسطٍ ÷ غَلَسَ الظّلامِ مِنْ الرَّبابِ خَيالا[٦٩].

على أنّه"هل رأيت أو بل رأيت"؛وهو ما لا يراه ابن هشام[٧٠].وقد يكون تأويل مذهب أبي عبيدة ههنا، باستحضار لتّنغيم الاستفهام في صدر البيت،إذ يكون على:"كذبتك عينك أم هل رأيت بواسط"ممّا يجعل ذروة الطّونيم على هل في حال حضورها،وأنّ استحضارها في تنغيم الاستفهام يجعل ذروة الطّونيم عند أم، حتّى يتهيّأ للمتلقّي أنّها بمعنى هل الّتي للاستفهام المجرّد،وهي ليست كذلك،وإنّما كانت أم بخصائص طونيم هل الفيزيائيّة الكمّيّة الميكانيكيّة ذاتها،فيقع ارتفاع النّبض عندها؛ممّا يبيّن ضعف مؤشّر الإضراب في أم ههنا،بما يحمل طونيم تنغيمه من خصائص فيزيائيّة،تكون أقلّ نبضاً من تنغيم الاستفهام.

هذا؛وقد أجمع البصريّون كلّهم،ممّا نقله ابن الشجري(٥٤٢هـ)أنها تأتي بمعنى بل والهمزة جميعاً أبداً،على خلاف الكوفيّين الّذين يرونها في معنى بل،وتجرّدها لدلالة الإضراب دون الاستفهام[٧١]؛وابن هشام يوافق الكوفيين[٧٢]،إذ يرجّح ما ذهبوا إليه من خلافهم،وقد استدلّ على ذلك قوله تعالى:﴿ ﴾[٧٣]إذ لا تكون المعنى للاستفهام ههنا،وتلزم البصريّين تبرير ما ذهبوا إليه في قوله:﴿ ﴾،وقوله تعالى:﴿ ﴾[٧٤]،وقوله:﴿ ﴾[٧٥]،وقوله:﴿ ﴾[٧٦] وإن لم تصحبها الهمزة في الشّواهد القرآنيّة،في حين أنّها بمعنى بل للإضراب.

أَنىَّ جَزَوْا عـــــــامِرًا سَوءاً بِفِعْلِهِمُ ÷ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوءَ مِنَ الحَسَنِ؟

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ ما تُعْطِي العَلُوقُ[٧٧]به ÷ رِئْـــمَانُ أنْفٍ إذا ما ضُنَّ باللَّبَنِ؟[٧٨]

إذ تبيّن أنّها لم تصحب أم ههنا.

وقد روى النّحاة رفع الكسائي(١٨٩هـ)لـ"رئمان"في حضرة الرّشيد(١٨٢هـ)،فاعترض عليه الأصمعي (٢١٦هـ)برواية النّصب،وأجاز الكسائي زيادة على الرّفع النّصب والخفض[٧٩]؛فأمّا وجه الرّفع فعلى الإبدال من ما الموصولة،وأمّا النّصب،فعلى المفعوليّة لـ تُعْطِي،وأمّا الخفض،فعلى البدليّة من الهاء في"به"[٨٠].ورأى ابن الشّجري الصّواب في رأي الأصمعي،لمّا اعترض على الكسائي،قال:"فَقَالَ لأَن رئمانها للبو بأنفها هُوَ عطيتها إِيَّاه لا

عَطِيَّة لَها غَيره فَإِذا رفع لم يبْق لَها عَطِيَّة فِي الْبَيْت"[٨١].والظّاهر أنّه نصب على المفعوليّة لتعطي،وهو الّذي له أحقيّة الإعراب والمعنى؛إذ يحتاج الرّفع إلى ضمير يعود على المبدل منه،يقدّر رئمان أنف له،ولعلّ في الخفض القرب إلى الصّواب،فلو رفع انتفت عطيّتها في الشّاهد، وانتفت تعدية الفعل أعطى إلى المفعول لفظاً وتقديراً، والضّمير في لفظ بفعلهم لقبيلة عامر على الجمع، ومن بمعنى البدل،؛وهو نظير ما جاء في قوله تعالى:﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾[٨٢]إذ يرى بعضهم أنّ من متعلّقة بلفظ البدل المحذوف المقدّر[٨٣].وروى النّحاة أيضاً ما كان بين الريّاشي(٢٥٧هـ)وثعلب(٢٩١هـ)في بيت شعر رواه الأوّل للثّاني،قوله:

ما تَنْقِمُ الحَرْبُ العَوانُ مِنيِّ ÷ بازِلُ عامِينِ حَدِيثُ سِنيّ.

لمِثْلِ هَذا وَلَدَتْني أَمِّي.

فكان ردّ ثعلب على سؤال الريّاشي،برفع لفظ"بازل"على الاستئناف بالابتداء،وبخفضه على الإتّباع النّعتيّة، وبنصبه على الحاليّة[٨٤].

هذا؛وقد أجمع النّحويّون على أنّ أم المنقطعة لا تدخل على مفرد،وعليه قدّروا ضمير الشّأن هي مبتدأ محذوفاً في قولهم:"إنها لإبل أم شاء"[٨٥]؛ولم يلتزم ابن مالك بهذا،إذ قال:"لا حاجة إلى تقدير مبتدأ"[٨٦] ورأى أنها كنظيرتها **بل** دون همزة الاستفهام،الّتي تعطف المفردات،واستدلّ بقول بعضهم:"إنّ هناك لإبلاً أم شاءً"معطوفة على المنصوب[٨٧].ورأى ابن هشام–في حال صحّة الرواية–أن يقدّر الفعل النّاصب للّفظ الشّاء:(أم أرى شاءً)[٨٨].وقد يستحضر طونيم التّنغيم لينصف ابن مالك في توجّهه،في دعوى عدم التزامه تقدير الابتداء في الشّاهد النّحوي الأوّل،وتقدير الفعل في الثّاني،إذ يعوّض الطّونيم المحذوف فيهما،فيقع على **أم**،وعندها تكون ذروة الموجة الكلامية،وبالخصائص الفيزيائيّة الكميّة والميكانيكيّة ذاتها،الّتي تقدّر للمحذوف حين استحضاره؛ونظيره ما جاء من تقدير النّصب في قوله تعالى:﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾[٨٩]على حذف الفعل احذروا،إلاّ أنّ استحضار الطّونيم قد عوّض الفعل المحذوف فكان النّصب[٩٠].

<u>تنبيه</u> :قد ترد أم للوجهين،متّصلة ومنقطعة في موضع واحد[٩١]؛من ذلك قوله تعالى:﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[٩٢].إذ قال الزّمخشري(٥٣٨هـ): "يجوز في أم أن تكون معادلة بمعنى أي الأمرين كائن،على سبيل التقرير،لحصول العلم بكون أحدهما، ويجوز أن تكون منقطعة"[٩٣]،ولعلّ الظّاهر في وجه الآية الأوّل،أن يكون طلب التّعيين من أمرين كائنين، وأم لمعادلتهما في وقوع أحدهما على لسان بني إسرائيل قولاً،وهو في علمهﷺبما تقوّلوا عليه،من اتخّاذهم العهد من ربهم،وقولهم ذلك عليه جهالةً؛وكلّه على سبيل التّقرير[٩٤].ويجوز أن تكون أم منقطعةً على الإنكار،وتقدير بل الّتي للإضراب،على التّقريع والتّقرير[٩٥]؛فلم يكن الاستفهام حقيقيّا هنا،وإن حضرت قرينته الخطّيّة في الرّسم،ولا يكون تنغيمه خالصاً له،بقدر ما هو للإنكار؛ويعضده ما تلا ذلك من الأداة بلى، الّتي توجب المنفي قبلها،ردّاً على ما قالوا من نفي النّار عنهم[٩٦].ولعلّ في نفي تنغيم الاستفهام عن الوجه الثّاني،لتعزيزٌ دلالة الإنكار؛وذلك أنّه لو اقترنا،لدلاّ على أنّه ليس واحد من الأمر واقعاً،فلم يتّخذوا عهدا لله تعالى،ولم يقولوا ذلك جهالةً[٩٧].وقد يكون تأويل هذا ما يكون في وجهي أم المتّصلة،والحال الأولى من المنقطعة وجماع وجهي مقترن بطونيم التّنغيم الّذي تحمله الموجة الكلاميّة،لما تتّصف من خصائص فيزيائيّة كمّيّة وميكانيكيّة،وما يكون فيها من حال ذروة نبضها،فإن كانت

لخصائص الاتّصال الفيزيائيّة، حيث يعلو نبضها فأم متّصلة في هذا الاحتمال،وإن كانت لخصائص الانقطاع،حيث ينخفض نبضها،فهي منقطعة في الاحتمال الثّاني؛ وللمتلقّي التّقدير في استحضار التّنغيم،فيتحدّد طونيمه بما يحمل من خصائص فيزيائيّة.وقوله أيضا:

أُحادٌ أَمْ سُداسٌ في أُحادٍ ÷ لُيَيْلَتُنا المَنوطَةُ بِالتَّنادِ[٩٨].

فإن كانت أم متّصلةً،فالمعنى أنّه قد طالت عليه اللّيلة،فشكّ في تقديرها أليلةٌ أم ستٌّ في ليلةٍ،ثمّ طلب التّعيين في التّقدير[٩٩]؛وهو في باب"تجاهل العارف"من الدّرس البلاغي[١٠٠]،ومنه قوله:

أَيا شَجَرَ الخابُورِ مالَكَ مورقاً ÷ كَأَنّكَ لَمَ تجزَعْ عَلى اِبْنِ طَرِيفِ[١٠١].

ولعلّ تأويل بيت المتنبي،أنّه قدّم الخبر أحادٌ،لكونه المقصود بالاستفهام والمعادل الثّاني،وهو سداس،وحذف الهمزة الدّالّة على الاستفهام قبل المتبدأ لُيَيْلَتُنا،وطلب التّعيين في تقدير اللّيلة[١٠٢]،وقد عوّضها التّنغيم الدّال على هذا كلّه.وعليه،فقد اجتمع الشّرطان،من التّنغيم وأم،ليقع التّعادل بين الطّرفين، المراد تعيين أحدهما،فيفهم السّامع من أوّل الأمر؛ولعلّ المقدّم أعنى بالتّعيين من المؤخّر،كشأن المقدّم في بابه أبداً.فإذا طُلِبَ تعيين المبتدأ،قيل فيه:"أزيدٌ قائم أم عمرٌو؟"أو"أزيدٌ أم عمرو قائمٌ؟"وإذا طُلِبَ الخبر،قيل فيه:"أقائمٌ زيدٌ أم قاعدٌ؟"أو"أقائمٌ أم قاعدٌ زيدٌ؟"[١٠٣].

وإن تقدّر أم منقطعةً،فقد أخبر أنّ ليلته واحدةٌ،ثمّ شكّ لمّا استطالها،فجزم أنها ستٌّ مجتمعةٌ في ليلة،ثمّ أضرب عن ذلك،أو شكّ هل هي ستٌّ في واحدةٍ أم لا فأضرب،واستفهم بعد ذلك[١٠٤]؛ولا تقدّر الهمزة في المنقطعة على مذهب الكوفيّين،ولا يجب تقديم الخبر،إنْ كان الكلام إخبار.ولعلّ الظّاهر من تقدير ابن هشام،أنّه يرجّح الوجه الأوّل،في كونها متّصلةً،بدعوى سلامة الكلام،لِئَلاّ يحتاج إلى مبتدأ،يكون سداس خبراً له،في حال أم منقطعةٌ.ينضاف إليه ما أقرّه الجمهور في:"إنها لإبل أم شاء"من تقدير جملةٍ اعتراضيّةٍ:بل أهي شاءٌ؛ينقاس عليه في البيت،من تقدير جملة اعتراضية"أم هي سداس"تعترض الخبر المقدّم أحاد ولُيَيْلَتُنا المبتدأ المؤخّر،وبسلامتها أيضاً من الإخبار عن اللّيلة الواحدة أنها ليلةٌ،فلا تعود الفائدة في المعنى.وقد يُعترَض على هذا التّرجيح بحذف همزة الطّلب للاستفهام والتّعيين،وهو قليل في المتّصلة،على خلاف المبتدأ،وهو مطّردٌ في تقدير أم منقطعة[١٠٥].

وقد يبدو اليسر في التّفسير الكمّي الفونولوجي،ممّا هو عليه في تخريجات النّحاة الأكثر تعقيداً،بما يحتملونه من التّقدير النّحوي،إلاّ أن احتمال الطّونيم في تنغيم البيت،قد يكون الفارق الدّلالي بين الجملتين في أم من حيث دلالتي الاتّصال والانقطاع،كما هي عليه الحال في احتمال الشّاهد القرآني،الّذي سبق هذا من تقدير خصائص الطّونيم الفيزيائيّة الكمّيّة والميكانيكيّة،الّتي تحدّد دلالة أم الاتّصال أو ضدّه.

هذا؛وقد ذكر ابن هشام مواقع اللّحن من بيت المتنبّي،هذا،من ذاك:أنّه استعمل لفظي أحاد وسداس،وقصد بهما:واحدة وستّ،والأصحّ في اللّغة بمعنى واحدة واحدة،وستّ ستّ[١٠٦].ينضاف إليه أنّ أكثر النّحاة على أنّ المعدول من العدد ما قلّ عن خمسة؛أحاد وثناء وثلاث ورباع،ويأبون سداساً وغيره، على غير ما تجيزه الكوفة في هذا الباب.والعرب بعد هذا تصغّر ليلة على لُيَيْلَيَة في غير قياس؛وقد قيل إنّ بناءها من ليلاة[١٠٧]،نحو قوله:

يا وَيحَهُ من جَمَلٍ ما أَشْقاهْ ÷ كلَّ يَوْمٍ ما وكلَّ لَيْلاهْ[١٠٨].

ولعلّ ممّا يحمله البيت من المعنى،الجمع بين متناقضين استطالته اللّيلة وتصغيرها[١٠٩]؛فيحتمل أنّه قد أتى بلغة من يصغّر في موضع التّعظيم[١١٠]؛نحو قول الشّاعر:

وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ ÷ دُوَيْهِيَةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الأَنَامِلُ[١١١].

٣/الزّائدة:ذكره أبو زيدٍ(٢٣١هـ)[١١٢]،وقد رآه في قوله تعالى:﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ*أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾[١١٣]،فقال على تقدير:"أفلا تبصرون أنا خير"[١١٤].ولعلّ زيادة أم ظاهرة في بيت ساعدة بن جؤيّة[١١٥]:

يا لَيْتَ شِعْرِي وَلا مَنْجى مِنَ الهَرَمِ ÷ أَمْ هَلْ عَلى العَيْشِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنَ نَدَمِ[١١٦].

إنّ المسوق من قول النّحاة بزيادة الأدوات في الشّواهد القرآنيّة،غير مؤسّس في الدّرس اللّساني عموماً،وفي التّخريج الكمّي الفونولوجي على الوجه الأخصّ،إذ تحتكم لسانيات الكمّ إلى أطر قريبة من الدّقّة والصّرامة العلميّتين،لاسيما وأنّها تتلاقح والعلوم الدّقيقة،ومنها فنّ الكيمياء،الّذي تحسب فيه الأجزاء المتناهية في الكمّ.وقد تبيّن في مواطن كثيرة أنّ العربيّة لسان غلفاني،يهتزّ لأدقّ الإشارات التّلفّظيّة،فكيف هي الحال بأدوات نحويّة ظاهرة في تلفّظها،إلاّ أنّها تعامل معاملة المهمل في تقدير النّحاة،وتوسم بعد ذلك بالزّيادة؛وعلى نقيض ذلك،فإنّ التّأويل الكمّي يستحضر المحذوف من التّلفّظ،فيعوّضه في الأداءات لتشير إلى دلالة ذلك المحذوف.

٤/التّعريفيّة[١١٧]:عند أهل طيّء[١١٨]وحمير[١١٩]؛وشاهده:

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُوَاصِلُنِي ÷ يَرْمِي وَرَائِي بِأَمْسَهْمٍ وَأَمْسَلِمَهْ[١٢٠].

ومنه حديث المصطفى:(ليس من أمبرّ أمصيِّام أمسَّفر)[١٢١].وقيل في هذه اللّغة أنها تخصّ الأسماء،غير المدّغمة لام أل فيها بالفونيم الأوّل من هاته الأسماء،نحو:(غلام/أمغلام)و(كتاب/أمكتاب)،ولا تصحّ في نحو:ناس ولباس؛وحكى ابن هشام عن طلبة من اليمن في ذلكم الحين،أنهم سمعوا من يقول في بلادهم: "خذ الرّمح،واركب أمفرس"[١٢٢].ولعلّها لغيّة لهم،يلهج بها بعضهم لا جميعهم،حين قرانها بالشّاهدين النّبوي والشّعري،أين وقعت أم في موضع الادّغام وغيره.وقد يسوّغ شأن تلك اللّغيّة،أنّ بعضهم لم يستسغ فكّ الادّغام،بعد دخولها على الأسماء،في نحو:ناس ولباس ورمح،لاسيما في حال استرسال الكلام،من الانسياب النّطقي،والذّلاقة الفونيميّة،إذ يتعسّر تحقيق ذلك،إلا بالوقوف على أم دون الاسم،بمفصل صوتي زمني[١٢٣]؛ولعلّه المراعى في لغة الجميع من يمن وحمير.وقد يكون هذا المفصل الصّوتي ظاهرةً فونولوجيّةً تمتاز بها هذه اللّغة،تفرق أبناءها وتميّزهم من الدّخيلين عليها،من غير أبنائها[١٢٤].

والجلي من هاته اللّغيّة أنّها ظاهرة لغويّة يلهج بها بعض من العرب،من طيّء وحمير وقليل من اليمن،وقد يفسّر دخول أم التّعريفيّة على الأسماء المدّغمة فيها لام أل وغير المدّغمة عند سائر العرب،بما يحيل عليه المفصل الصّوتي من دلالة لسانيّة اجتماعيّة"*sociolinguistique*"تميّز ابن اللّسان واللّهجة، النّاطق بهاته اللّهجة فهي لغته،من نظيره الدّخيل عليهما من غير أبنائهما؛ولعلّ المروي عن هؤلاء القوم لاسيما اليمن،حفظ سليقة لسانهم السّاذجة ولغاتهم الّتي يلهجونها من الغريب الدّخيل عليهم؛ومن ذاك رواية مرتضى الزّبيدي(١٢٠٥هـ)عن فصاحة أهل عَكَاد إلى عهده،وعن سبب خوفهم على سليقة لسانهم[١٢٥].

ويزيده ما يشير إليه الإبدال الفونيمي"*la commutation phonémique*"بين اللّام والميم من ائتلاف الخصائص الفيزيائيّة الكمّيّة والميكانيكيّة لاسيما الثّانيّة،إذ هما أخوان متقاربان في الميوعة"*liquide*" والذّلاقة الفونيميّة

والخفّة،إلاّ أنّ اللاّم فونيم منحرف،والميم منغلقة عند الشّفة،وبين الانفتاح الفونيمي في اللاّم وانغلاقه في الميم،ما هو مفسر بما يوافق الطّبيعة البشريّة،الآهلة لخصائص جيولوجيّة تضاريسيّة، تلزم القاطنين بها بهذا التّصرّف اللّهجي،وبما تفسّره اللّسانيات الجغرافيّة"*la géolinguistique*"من تدخّل العوامل الجيولوجيّة في لغة البشر الآهلين بها؛وقد تبيّن انعكاس الطّبيعة هناك على طبائع الفرد ولغته[١٢٦]

نتائج عامّة :

لقد خلصت نتائج هذا البحث المتواضع إلى تخريجات فونولوجيّة لمباحث حرف المعنى أم،وفق التّصوّر الفيزيائي الكمّي،فكانت على غير التّناول النّحوي الكلاسيكي،الّذي لا يعالج إلاّ المادّة المورفيميّة النّحويّة،في حين أنّ المقاربة اللّسانيّة الكمّيّة تعني بما يقلّ عن المورفيمات النّحويّة كمّاً،وتجاوزها إلى المادّة الفونولوجيّة،بما تحوي من عناصر فونيميّة،ومقطعيّة سولابيّة،ومفصليّة صوتيّة،وطونيمية تنغيميّة، والموجة الكلاميّة،وهي في كلّها تحمل خصائص فيزيائيّة كمّيّة وميكانيكيّة مخرجيّة،تشير إلى مواطن السّرّ في بنيّة حرف المعنى،وتحيل على مواقع الدّلالة الفونولوجيّة،وتفسّر وظيفته الفونولوجيّة الخفيّة الّتي تسوّغ نظيرتها النّحويّة الظّاهرة.

هذا؛وإنّ المأمول من تناول حروف المعاني بالمنهج اللّساني الكمّي،أن يضع الباحث على تصوّر لساني جديد،يعالج المادّة اللّغويّة العربية القديمة،بغير التّصوّر الكلاسيكي النّمطي الذي عجز عن تفسير المستغلقات النحويّة تفسيرا علمي دقيق،يستجيب لضوابط المنطق العلمي القويم في أحايين كثيرة؛ممّا يؤّهل المقاربة اللّسانيّة الكمّيّة أن تفتح أفاق النّظريّة اللّسانيّة المعاصرة،الّتي تحاول أن تحيّن ذلك الرّكام اللّساني التّراثي الثّرّ.وقد تينع ثمار نتائجها كأن يكون من ضمنها ما يلي:

١/ لقد فرضت النّظريّة اللّسانية الحديثة منطقها،في أن تجد فضاءات علميّة تعينها على تفسير الظّواهر اللّغويّة العالقة والمستغلقة،أو أن تعيد ترتيب الدّرس اللّساني وفق مقاربات علميّة جديدة،قد لا تكون من الحقل الأنثروبولوجي ذاته،فتجاوزه إلى حقل آخر من العلوم الدّقيقة،ومنها المقاربة الفيزيائيّة الكمّيّة.

٢/ قد يجد الباحث اللّساني في المقاربة اللّسانيّة الكمّيّة،ما يفتح باب القراءات اللّسانيّة الجديدة للدّرس النّحوي الكلاسيكي،فهو من كثرة المصنفات النّحويّة القديمة،إلاّ أنّه لا يبرح تياره التفسيري بنمطيّة منهجيّة تقادم بها الزمن وتجاوزها المنهج العلمي القويم.

٣/ لعلّ ما يميّز المقاربة اللّسانيّة الكمّية في تناول الدّرس النّحوي القديم،توظيف المنهج العلمي الصّارم، الّذي تسير في مساقه العلوم الدّقيقة.

٤/ إنّ ممّا يعوّل عليه في سلوك المقاربة اللّسانيّة الكميّة منهجا علميّا دقيقاً،أنّها تفسّر المستغلقات النّحويّة القديمة،وتقف على دقائق المباحث اللّغويّة الكلاسيكيّة،وتحاول الإجابة على الإشكالات اللّسانيّة العالقة.

٥/ قد يفتح المقاربة اللّسانيّة الكمّيّة للدّرس النّحوي مجالاً رحبا،في محاولة بناء تصوّرات تنظيريّة لسانيّة عربيّة أصيلة،فتكون تواصلا حضاريا للتّراث اللّساني العربي،وقراءات جديدة في المادّة النّحوّية،لاسيما وأنّها تحوي المدوّنة القرآنيّة المثاليّة.

٦/ قد لا يجد المنشغل باللّسانيات ذلك التّناطح العلمي الأنثروبولوجي،بين المقاربة الكمّيّة بعدّها مقاربة إجرائيّة،وقراءة جديدة في إعادة ترتيب الدّرس النّحوي،وفق مخرجات اللّسانيات الحديثة،وبين النّظريّة اللّسانيّة الّتي دعا إليها ابن جني،في تفسير مباحث النّحو العربي بالأدوات الفونولوجيّة.

٧/ قد يقف الباحث اللّساني على تمكين المقاربة اللّسانيّة الكميّة من جعل الدّرس اللّساني العربي الحديث منفتحا على آفاق علميّة،على غير التّناول اللّساني البيني المعهود،من استعانة اللّسانيات بأدوات العلوم الأخرى،في تفسير الظّواهر اللّغويّة،وإنّما يكون بتطويع فلسفة العلوم الدّقيقة ومناهجها في التّناول والدّراسة.

٨/ لا تتعارض مباحث الدّرس اللّغوي الكلاسيكي،وما تقدّم المقاربة اللّسانيّة الكمّية من قراءات تفسيريّة علميّة للمّادّة النّحويّة ذاتها،إلاّ أنّ تناولها البحثي لم يكن كما كان عليه من قبل،لما فيه من صبغة الدّقّة العلميّة التي تفرضّ منهجها الأكاديمي الصّارم.

١- ينظر:ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف(٧٦١هـ):"المغني اللّبيب في كتب الأعاريب" تحقيق: محيي الدّين عبد الحميد- لبنان- بيروت-المكتبة العصرية- (د/ط)-١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م- ص:٥١/١.

٢- ينظر:المرادي أبو محمد الحسن بن قاسم(٧٤٩هـ):"الجني الدّاني في حروف المعاني"تحقيق:فخر الدّين قباوة ومحمّد نديم فاضل- لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط١- ١٤١٣هـ/١٩٩٢- ص:٢٠٤.

٣- سورة المنافقون- الآية:٠٦.

٤- سورة إبراهيم- الآية:٢١.

٥- ينظر:زهير بن أبي سلمى:"ديوان زهير بن أبي سلمى"تحقيق:علي حسن فاعور- لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط١- ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م- ص:١٧.

٦- ينظر: المصدر نفسه- ص:٢٠٥.

٧- ينظر:المالقي أحمد بن عبد النور(٧٠٢هـ):"رصف المباني في شرح حروف المعاني"تحقيق:أحمد محمد الخرّاط- سورية- دمشق- مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق- ط١- 1395هـ/١٩٧٥م- ص:٩٣.

٨- ينظر:ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:٥١/١.

٩- ينظر:الدّسوقي مصطفى محمد عرفة(١٢٣٠هـ):"حاشية الدّسوقي على المغني اللّبيب"تحقيق:عبد السّلام محمّد أمين- لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط١-١٤٢٠هـ/٢٠٠٠- ص:١١٤/١.

١٠- ينظر:المصدر والصّفحة.

١١- البيت لمتمم بن نويرة- ينظر:السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين:"شرح شواهد المغني"طبع وتعليق على الحواشي:أحمد ظافر كوجان مذيل،ومحمد محمود ابن التلاميد التركزي الشنقيطي- لبنان- بيروت- لجنة التراث العربي الطبعة- (د/ط)-١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م- ص:١٣٤/١.

١٢- سورة الأعراف- الآية:١٩٣.

١٣- ينظر: السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(٩١١هـ):"همع الهوامع في شرح جمع الجوامع"تحقيق: شربيني شريدة- مصر- القاهرة- درا الحديث- ط١-١٤٣٤هـ/٢٠١٣م- ص:١٦٩/٣.

١٤- سورة النّازعات- الآية:٢٧.

١٥- ينظر:الدّماميني بدر الدّين محمّد بن أبي بكر(٨٧٢هـ):"شرح الدّماميني على المغني اللّبيب"تحقيق:محمّد السّيّد عثمان- لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط١- ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠- ص:١/١٧٠و ١٧١.

١٦- البيت لزياد بن منقذ.ينظر السّيوطي:"شرح شواهد المغني"ص:١/١٣٤.

١٧- ينظر:ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٢.

١٨- ينظر:البيت للأسود بن يعفر- ينظر:السّيوطي:المصدر نفسه- ص:١/١٣٨.

١٩- ينظر:الدّسوقي:"حاشية الدّسوقي"ص:١/١١٤و ١١٥.

٢٠- ينظر:ابن الشّجري هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي:"أمالي ابن الشّجري"تحقيق:محمود محمد الطّناحي- مصر- القاهرة- مكتبة الخانجي- ط١- ١٤١٣هـ/١٩٩٢م- ص:٣/١٠٦و ١٠٧.

٢١- ينظر:ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٢.

٢٢- ينظر:المصدر نفسه" ص:١/٧٥و ٧٦.

٢٣- ينظر:الدّماميني:"شرح الدّماميني"ص:١/١٧٤.

٢٤- سورة الواقعة- الآية:٥٩.

٢٥- ينظر:السّمين الحلبي أحمد بن يوسف(٧٥٦هـ):"الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون"تحقيق:أحمد محمد الخرّاط- سورية- دمشق- دار القلم- ط٣-١٤٣٢هـ/٢٠١١م- ص:١٠/٢١٤.

٢٦- ينظر:المالقي:"رصف المباني"ص:٩٤.

٢٧- ينظر:ذو الرّمة غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي الربابي التميمي(١١٧هـ):"ديوان ذي الرّمّة"تحقيق: أحمد حسن بسج- لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط١- ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م - ص:٢٨٩و ٢٩٠.

٢٨- ينظر:المالقي:"رصف المباني"ص:٩٤.والسيوطي:"شرح شواهد المغني"ص:١/١٣٩.

٢٩- ينظر:سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(١٨٠هـ):"الكتاب"مصر- القاهرة- مكتبة الخانجي- والمملكة العربية السّعودية- الرّياض- دار الرّفاعي- ط٢-١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م- ص:٣/١٦٩و ١٨٧.والمبرد أبو العبّاس يزيد بن محمد (٢٨٥هـ): "المقتضب"تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة- لبنان- بيروت- عالم الكتب- (د/ت)- ص:٣/٢٨٦.

٣٠- ينظر: الجوهري إسماعيل بن حمّاد(٤٠٠هـ):"الصّحاح"تحقيق:أحمد عبد الغفور عطّار- لبنان- بيروت - دار العلم للملايين- ط٤-١٩٩٠م- ص:٦/٢٣٨٩.

٣١- ينظر:ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٣و ٥٤.

٣٢- سورة البقرة- الآية:٠٦.

٣٣- ذكرها ابن هشام في"المغني اللّبيب"ولم أجد لها أثراً في مصادر علم القرآات القرآنية.

٣٤- ينظر:سيبويه:"الكتاب"ص:٣/١٦٩و ١٨٧.والمبرد:"المقتضب"ص:٣/٢٨٦.

٣٥- ينظر:ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٣و ٥٤.

٣٦- ينظر:المصدر نفسه- ص:١/٥٤.

٣٧- ينظر:الدّسوقي:"حاشية الدّسوقي"ص:١/١٢٠.

٣٨- ينظر:المصدر نفسه والصّفحة.

٣٩- هذا تقدير سيبويه.ينظر:

٤٠- سورة الزّخرف- الآية:٥١.

٤١- ينظر:ابن الشّجري:"أمالي ابن الشّجري"ص:٣/١١٠.

٤٢- سورة الزّخرف- الآية:٥٢.

٤٣- ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٤.

٤٤- ينظر:سيبويه:"الكتاب"ص:٣/١٧٣.

٤٥- ينظر:ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٤و٥٥.

٤٦- سورة البقرة- الآية:١٣٣.

٤٧- ينظر:الزّمخشري أبو القاسم جار الله بن عمرو الخوارزمي(٥٣٨هـ):"الكّشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل"تحقيق:الشّربيني شريدة- مصر- دار الحديث- ط١- ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م- ص:١/١٨١.

٤٨- ينظر:لم يكن ذلك في تفسيره الوسيط،أو موجزه الوجيز؛ولم يقدّرها عاطفة،وإنما قدّرها أم المنقطعة التي بمعنى بل.

٤٩- ينظر: ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٥.والسّيوطي:"همع الهوامع"ص:٣/١٧٠.

٥٠- ينظر:المرادي:"الجني الدّاني في حروف المعاني"ص:٢٠٥.

٥١- ينظر:المصدر نفسه والصّفحة.وابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٥.

٥٢- ينظر:ابن الشجري:"أمالي ابن الشجري"ص:٣/١٠٨و١٠٩- وابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٥.

٥٣- سورة السّجدة- الآيتان:٢و٣.

٥٤- ينظر:المصدران والصّفحات.

٥٥- سورة الأعراف- الآية:١٩٥.

٥٦- ينظر:المصدران والصّفحات.

٥٧- ينظر:المصدران والصّفحات.

٥٨- سورة الرّعد- الآية:١٦.

٥٩- ينظر:الدّماميني:"شرح الدّماميني"ص:١/١٨٤.

٦٠- ينظر:ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٥.

٦١- الفرّاء أبو زكريا يحيى(٢٠٧هـ):"معاني القرآن"تحقيق:إبراهيم شمس الدّين- لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط١- ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م- ص:١/٥٨.

٦٢- سورة الإنسان- الآية الأولى.

٦٣- سورة الطّور- الآية:٣٩.

٦٤- ينظر:الدّسوقي:"حاشية الدّسوقي"ص:١/١٢٣.

٦٥- ينظر:الدّماميني:"شرح الدّماميني"ص:١/١٨٤.

٦٦- سورة الطّور- الآية:١٥.

٦٧- ينظر:المصدر نفسه والصّفحة.

٦٨- ينظر:أبو عبيدة معمر بن المثنّى التّيمي(٢٠١هـ):"مجاز القرآن"تحقيق:محمد فؤاد سزكين- مصر- القاهرة- مكتبة الخانجي- ط١-١٣٨١هـ/١٩٦٢م- ص::٥٧و٥٨.

٦٩- ينظر:الأخطل غياث بن غوث بن الصلت(٧٠هـ):"ديون الأخطل"تحقيق:مهدي محمد ناصر الدّين- لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط٢-١٤١٤هـ/١٩٩٤م- ص:٢٤٥.

٧٠- ينظر:ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٨.

٧١- ينظر:ابن الشّجري:"أمالي ابن الشّجري"ص:٣/١٠٨.

٧٢- ينظر المصدر السّابق- ص:١/٥٦.

٧٣- سورة الرّعد- الآية:١٦.

٧٤- الآية نفسها.

٧٥- سورة النّمل- الآية:٨٤.

٧٦- سورة الملك- الآية:٢٠.

٧٧- العلوق:الناقة التى علق قلبها بولدها.

٧٨- البيت لأفنون التّغلبي.ينظر:السّيوطي:"شرح شواهد المغني"ص:١/١٤٤و١٤٥.

٧٩- ينظر:السّيوطي:"الأشباه والنّظائر في النحو"تحقيق:غريد الشّيخ- لبنان- بيروت- دار الكتب العلميّة- ط٣-٢٠١١م- م٢- ج٣- ص:٢٥٣و٢٥٤.

٨٠- ينظر:ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٦و٥٧.

٨١- هذه رواية ابن هشام في"المغني اللّبيب"ص:١/٥٧؛وفيها تحريف من الأصل. ينظر:ابن الشّجري:"أمالي ابن الشّجري" ص:١/٥٦.

٨٢- سورة التّوبة- الآية:٣٨.

٨٣- ينظر:المصدر نفسه والصّفحة.

٨٤- ينظر:السّيوطي:"الأشباه والنّظائر في النحو"م٣- ج٣- ص:٢٤٧.

٨٥- ينظر:المرادي:"الجني في حروف المعاني"ص:٢٠٥و٢٠٦.والمالقي:"رصف المباني"ص:٩٥.

٨٦- هذه رواية ابن هشام في:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٧،على الأصل لابن مالك في:"شرح التسهيل"ص:٣/٢٠٥.

٨٧- ينظر:ابن مالك:"شرح التسهيل"ص:٣/٢٠٥.

٨٨- ينظر:المصدران والصفحتان.

٨٩- سورة الشّمس- الآية:١٣.

٩٠- ينظر:الفرّاء:"معاني القرآن"ص:٣/١٥٨.

٩١- ينظر:ابن هشام في:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٨.

٩٢- سورة البقرة- الآية:٨٠.

٩٣- ينظر:الزّمخشري:"الكشّاف"ص:١/١٥٠.

٩٤- ينظر:السّمين الحلبي:"الدرر المصون"ص:١/٤٥٤و٤٥٥.

٩٥- ينظر:البيضاوي ناصر الدّين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمّد(٦٩١هـ):"أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل"تقديم: محمّد عبد الرّحمن المرعشلي- لبنان- بيروت- دار إحياء التّراث العربي- (د/ط)- (د/ت)- ص:١/٣٥١.

٩٦- ينظر:المصدر السّابق والصّفحتان.

٩٧- ينظر:البقاعي برهان الدّين أبو الحسن إبراهيم بن عمر(٨٨٥هـ):"نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور"تحقيق:عبد الرّزّاق غالب المهدي- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط٣- ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م- ص:١/١٧٨.

٩٨- ينظر:المتنبي أحمد بن الحسين أبو الطيب الكندي(٣٥٤هـ):"ديوان المتنبي"لبنان- بيروت- دار صادر- ط١- ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م- ص:٨٥.

٩٩- ينظر:الدّماميني:"شرح الدّماميني"ص:١/١٩١وما بعدها.

١٠٠- ينظر:القزويني الخطيب(٦٦١-٧٣٩هـ):"الإيضاح في علوم البلاغة"تحقيق:عماد بسيوني زغلول- لبنان- بيروت- ط٣- (د/ت)- ص:٣١٦.

١٠١- البيت لليلى بنت طريف- ينظر:السّيوطي:"شرح شواهد المغني"ص:١/١٤٨.

١٠٢- ينظر:الدّماميني:"شرح الدّماميني"ص:١/١٩١وما بعدها.

١٠٣- ينظر:ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٥٨.

١٠٤- ينظر:المصدر السّابق والصّفحات.

١٠٥- ينظر:المصدر السّابق- ص:١/٥٨و٥٩.

١٠٦- ينظر:المصدر السّابق- ص:٥٩.

١٠٧- ينظر:الدّسوقي:"حاشية الدّسوقي"ص:١/١٣٢.

١٠٨- ينظر:لدلم أبي زغيب - ينظر:السّيوطي:"شرح شواهد المغني"ص:١٥٠.

١٠٩- ينظر:المصدر نفسه والصّفحة.

١١٠- ينظر:الخفاجي الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان(٤٦٦هـ):"سرّ الفصاحة"لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط١- ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م- ص:٩١.

١١١- ينظر:لبيد أبو عقيل بن ربيعة بن مالك العامِري من عامر بن صعصعة"ديوان لبيد"لبنان- بيروت- دار صادر- ط١- ١٩٦٦م- ص:١٣٢.

١١٢- ينظر:المرادي:"الجني الدّاني"ص:٢٠٦و٢٠٧.

١١٣- سورة الزخرف- الآيتان:٥١و٥٢ .

١١٤- ينظر:ابن الشّجري:"أمالي ابن الشّجري"ص:٣/١١٠.

١١٥- ينظر:المصدر نفسه والصّفحة.

١١٦- ينظر:السّيوطي:"شرح شواهد المغني"ص:١/١٥٠.

١١٧- ينظر:المالقي:"رصف المباني"ص:٩٦.

١١٨- ينظر:المرادي:"الجني الدّاني"ص:٢٠٧.

١١٩- ينظر: السّيوطي:"المزهر في علوم اللّغة وأنواعها"تحقيق:فؤاد علي منصور- لبنان- بيروت- دار لكتب العلمية- ط١- ١٤١٨هـ/١٩٩٨م- ص:١/١٧٧.

١٢٠- البيت لبجير بن غنمة. ينظر:السّيوطي:"شرح شواهد المغني"ص:١/١٥٩.

١٢١- ينظر:ابن حنبل أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمّد(١٦٤-٢٤١هـ):"مسند الإمام أحمد بن حنبل"تحقيق:شعيب الأرنؤوط وإبراهيم الزّيبق- لبنان- بيروت- مؤسّسة الرّسالة- ط١-١٩٩٩م/١٤١٩هـ - ص:٥/٤٣٤.

١٢٢- ينظر:ابن هشام:"المغني اللّبيب"ص:١/٦٠.

١٢٣- ينظر:ماريو باي:"أسس علم اللّغة"ترجمة:أحمد مختار عمر- مصر- القاهرة- عالم الكتب- ط٨- ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م- ص:٩٢.

١٢٤- ينظر:محمّد نجيب مغني صنديد:"نظريّة التّفسير الصّوتي في القرآن الكريم-قراءة لسانيّة في الموافقات الدّلاليّة للمباحث الفونولوجيّة والأدائيّة-جمهوريّة لاتفيا-ريغا-شارع بريفيباس غاتف-مؤسّسة نور للنّشر-ط١-٢٠١٨م- ص:١١٨.

١٢٥- ينظر:الزّبيدي محمّد مرتضى الحسيني(١٢٠٥هـ):"تاج العروس من جواهر القاموس"تحقيق:عبد السّتّار أحمد فراج- الكويت- وزارة الإرشاد والأنباء- مطبعة حكومة الكويت-١٩٦٥م- باب (عكد)-٥/١٢٠.

١٢٦- ينظر محمّد نجيب مغني صنديد:"جذور الهوية اللّسانيّة في الجزائر وأبعادها الحضاريّة العربيّة والسّاميّة-قراءة في المسح اللّساني الجغرافي لأصقاع جزائريّة-ص٨٧-١٠٤/مجلة التعليميّة-المجلد٠٦-العدد٠١/٠١أفريل٢٠١٩-ردمك:١٧١٧-٢١٧٠/مجلّة دوليّة بجامعة سيدي بلعباس- الجزائر- ص:١و٢.

شعرية النثر وتقابل التأويل في الحور العين لنشوان الحميري (ت٥٧٣هـ)

الغرض من البحث : للترقية

أ.د رائد حميد البطاط **م.م تغريد خليل حامي**

جامعة ذي قار /كلية التربية للعلوم الإنسانية **المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار**

الملخص

في متن النص الأدبي تشكلت الخصائص الجمالية القائمة على الانسجام والتناسق الصوتي والايقاعي في تنظيم فني لانساق تركيبية لغوية ومضامين دلالية تأويلية ، تعبر تعبيراً لغوياً وتأويلياً لأجل ابلاغ المعاني المقصودة بإطار ايقاعي باعث على التأويل وتحريك المشاعر والأحاسيس ، ومن ثمَّ استجابة القارئ ليشارك بأفكاره ومشاعره في تأويلات النص وايحاءاته .

ومن ذلك تهدف الدراسة إلى البحث في الخصائص المتفردة التي تضمنتها (الحور العين) عبر دراسة الانساق الفنية والايقاعية من جانب ، وبيان الدلالات التأويلية المرتبطة بهده الخصائص الشعرية من جانب آخر ، وعليه يقوم البحث على محورين هما : (شعرية الانساق النثرية) ، إذ تم تحديد الانساق النثرية وهي (العنونة والاستهلال والخاتمة) ،ومن ثمَّ بيان خصائصها الشعرية وتأويلات معانيها) أما المحور الثاني فقد بحث في (شعرية الاتساق الايقاعي في النثر) ، ففيه تم تناول التقنيات الايقاعية في (الحور العين) وهي : (السجع والجناس والتضاد) .

الكلمات المفتاحية : شعرية النثر ، التأويل .

Prose poetry and the interpretation in

(poplars meets the eye of Nashawan al-Hamri)

Prof. Dr. Raid Hameed Al-Battat
Thi-Qar University

T.A Taghreed Khaleel Hami
Directorate General of Education in Dhi Qar
College of Education for Humanities
Province

ABSTRACT

TS in the literary text formed the aesthetic characteristics based on harmony and rhythmic audio consistency in organizing professional linguistic and semantic content compositional formats tauilih, language and reflect the tauilia for informing their intended meanings within the rhythmic chanting interpretation and tingling feelings And sensations, then the reader response to share his thoughts and feelings in the interpretations of the text and overtones. And this study aims to look at the unique characteristics in the (Al-Hoor) through the study of artistic and rhythmic patterns, and interpretative signs statement associated with this poetic characteristics by another, thus a search on two axes: (lattice sundry formats), select Sundry formats (addressing and inception and conclusion), then the poetic characteristics statement and interpretations of their meaning) second axis search (lattice rhythmic consistency in prose), rhythmic techniques is addressed in (Al-Hoor): (rhyme and alliteration and contrast).

الشعرية :

الشعرية مصطلح يرتبط بجمالية النص الأدبي وفنيته وتعددت الآراء فيه وتباينت ، ويعدُّ أرسطو أول من تطرق في كتابه (فن الشعر) إلى مصطلح الشعرية بقوله : ((إنَّ الشاعر يجب أن يكون صانع الحكايات وخرافات أكثر منه صانع أشعار ؛ لأنَّه شاعر بفضل المحاكاة ، وهو إنَّما يحاكي أفعالاً))[١]، فهي مصدر صناعي ينحصر معناه في اتجاهين ، فن الشعر وأصوله والطاقة المتفجرة في الكلام المتميز[٢]؛ لأنَّها ((من الألفاظ التي حاول الشكلانيون الروس بعثها ، ولم يعرفها العرب القدماء بمعناها الحديث ، وإنَّما ترددت عندهم ألفاظ مثل (الشاعرية) و(شعر الشاعر) و(القول الشعري) و(القول غير الشعري) و(الأقاويل الشعرية)))[٣].

فالظاهرة الشعرية ((إذن تتحول إلى ظاهرة يمكن قياسها وتقديمها على أنَّها متوسط التردد لمجموعة من المجاوزات التي تحملها اللغة الشعرية إلى لغة النثر))[٤].

والشعرية محاولة وضع نظرية عامة مماثلة للأدب بعده فناً لفظياً ، فهي تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجبها وجهة أدبية ، ومن ذلك تشخص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي بغض النظر عن اختلاف اللغات وهذه خاصية جوهرية متفردة تتميز بها شعرية النصوص الأدبية[٥]؛ لأنَّها تتركز ((في دراسة الاجراءات اللغوية التي تمنح لغة الأدب خصوصية مميزة تفضلها عن أنماط التعبير الفنية واللغوية الأخرى ، وهذه الخصوصية تتميز بأنَّها منبثقة من الأدب ذاته وماثلة في البنية التعبيرية))[٦] المتخذة من الصياغة الأدبية والخصائص الجمالية والفنية عنواناً لذلك ، فتبتكر وتبدع انساقاً ومضامين متميزة تدلُّ على القدرة الفائقة للكاتب وعمق نصه الابداعي ، مما يجذب انتباه القارئ ويدهشه بغير المتوقع ويحقق له المتعة واللذة الفنية ، فالشعرية تعني : ((الخصائص النوعية للأدب، هذه الخصائص لا يمكن البحث عنها إلا من خلال الخطاب))[٧]؛ لأنَّها خاصية علائقية تجسد في النص الأدبي لشبكة متسلسلة عن العلاقات النامية بين عناصر أولية سمتها الرئيسة فكلاهما يقع في سياق نصي آخر من دون أن يكون شعرياً لكنه في السياق الذي تتشكل فيه هذه العلاقات ، وفي حركته المتعالقة والمتداخلة مع عناصر أخرى لها السمة الرئيسة ذاتها ، يتحول إلى فاعلية خلق الشعرية ومؤشر واضح على وجودها[٨].

وقد افادت الشعرية ((من السيمياء العامة وقدمت نظريات عدة في الشعرية مستفيدة من معطيات نظرية أخرى معرفية وثقافية ، ومن أهم الشعريات السيميائية نظرية (امبرتوايكو) في مضاعفة الشفرة في الاعمال الشعرية التي تؤدي إلى انفتاح العالم الدلالي الشعري على مدلولات متعددة ولا نهائية ، وكذلك نظرية (جوليا كرستيفا) المتحورة على مفهوم النفي أو السلب لمنطق الكلام العادي في الخطابات الشعرية))[٩].

ومما تقدم فالشعرية هي مجموعة من القوانين التي تقود الأديب في نصه وتمنحه ابداعاً وتميزاً عن غيره من النصوص الأدبية التي تقوم بها في نظام الاسلوب والاجناس والمضامين ، لذلك يسعى الأديب إلى الكشف

عن الأنظمة الجمالية والفنية المتحكمة بنصه ، فهذه الأنظمة تمكنه من أداء الوظيفة التأثيرية الاغرائية للإيقاع بالقارئ واغرائه للدخول إلى عوالم نصه الأدبي بشوق ولهفة .

التأويل :

يبدو أنَّ للنص الأدبي تأويلات متعددة انطلاقاً من وجهة نظر القارئ وقدرته اللغوية والثقافية في استعمال الرموز المناسبة في استنطاق المسكوت في النصوص واظهار قضاياها بوساطة التأويلات والايحاءات التي يتركها الأديب للقارئ فيفسر نصه ويعيد انتاجه من جديد على وفق رؤيته الخاصة وتأويله الذاتي ، زد على ذلك ما دام ((المعنى غير واضح ومبهم فإنَّ الدلالة ، بوصفها نظاماً إرشادياً ، هي القادرة على التحقق في المعنى ، والبحث في نسيج الكلام عن علائق تبلور المعنى وتتيح له اندماجاً مع المستويات اللسانية ؛ لأنَّ المعنى ليس منفصلاً عن بنية الكلام بل هو متضمن فيها ومنعقد عليها))[١٠].

بدأت المقاربة التأويلية في ارهاصاتها الأولى ((تساير النص منذ نشأته ، وبالتحديد منذ نشأة النص المقدس ، بتواز مع معنيين : معنى حرفي وهو المعنى الظاهر ، ومعنى روحي ، وهو المعنى الباطني))[١١]، لأنَّ النص الأدبي الجيد هو الذي ((ينصب شراكاً لقرائه ، ويدعوهم إلى الامتنان به ، والوقوع في أسر محبته))[١٢]، لذلك فإنّ تأويلات النص ودلالاته مرتبطة أساساً بالقارئ ليبيين السمات الفنية والجمالية التي تميزه والتعرف على انساقه الدلالية ومضامينه انطلاقاً من انطواء النص على معنيين جوهرين ، معنى ظاهري الذي يبرز في نسق النص ، ومعنى خفي وهو المسكوت عنه في النص والمقصود بالتأويل ، وبما أنَّ النص يثير تفسيرات وقراءات متناهية ذات متعة جمالية، فإنّ تأويلات المتلقين تتعدد وتختلف على وفق رؤيتهم الذاتية ومخيلتهم الواسعة في تفسير عمق النص واظهار جماليته وعناصره الفاعلة لاستنطاق رموزه حتى يبرز المعنى المقصود في النص وتحقق الغاية القصدية فيه .

أولاً : شعرية الانساق النثرية

١_ شعرية العنونة : يعدُّ العنوان الركيزة الأولى لبناء جسر تواصلي تأثيري ما بين الكتاب أو النص ومؤلفه من جانب والقارئ من جانب آخر ، إذ يعمل على توضيح الدلالات الايحائية واستنباط معانيه الخفية والظاهرة ، ويكون الأداة التي يتحقق بها انسجام النص واتساقه التركيبي والتأويلي فالعنوان ((مقطع لغوي ، أقل من الجملة ، نصاً أو عملاً فنياً ، ويمكن النظر إلى العنوان من زاويتين : أ_ في السياق ، ب_ خارج السياق ، و(العنوان السياقي) يكون وحدة مع العمل ، على المستوى السيميائي ، ويملك وظيفة مرادفة للتأويل عامة))[١٣]، ومن هنا نجد أنَّ العنوان شفرة أدبية تتضمن بداخلها الايحاء والتأويل وتكثيف المعنى المتضمن قراءات دلالية تعبّر عن مكنونات النصوص الداخلية وتأويلاتها .

ولما كان العنوان مفتاحاً تأويلياً من اثارته لعدد من التأويلات الايحائية على مستوى البنية الدلالية العميقة للنص ، لذا فهو ((مؤشر تعريفي وتحديدي ينقذ (النص) من الغفلة ؛ لكونه _أي العنوان_ الحدَّ الفاصل بين العدم والوجود ، والفناء والامتلاء ، فأنَّ يمتلك النص اسماً (عنواناً) ، هو أنَّ يحوز كينونة ، والاسم (العنوان) في هذه الحال ، هو علامة هذه الكينونة (يموت الكائن) ويبقى اسمهُ))[١٤] وعليه فإنَّ عنوان النص يمثل رموزاً واضحة عن مضمونه ؛ لأنَّه مفتاح المؤلف للدخول إلى مضمون النص والتحرك عبر قراءة تأويلية لمجاهل النص الموازي ومساحاته المغلقة التي تعمل على فك رموزه وإضاءة غوامضه والكشف عن الايحاء الدلالي المعبر عن معنى تأطيري يشير إلى محتواه الكلي لاقتناص القارئ وشدّه إلى آخر لحظة التي تتكشف فيها معاني النص ومكنوناته التأويلية .

ومن ذلك اختار (نشوان الحميري) (الحور العين) عنواناً رئيساً لكتابه المتضمن رسالة يعرض فيها رؤيته الخاصة والواضحة ويسلطنا على أفكاره الداخلية ، فكان صوته المهيمن على العوالم الموضوعية والفنية المتخلقة في الرسالة ، ويمكننا القول إنَّ نشوان الحميري لم يضع هذا العنوان اعتباطاً ، بل من انطلاقات ذاتية تؤكد أنَّه يخضع في تكوينه التركيبي والايحائي لوعي الكاتب وقدرته التعبيرية المستقطبة لرؤيته الذاتية وأفكاره التي تكشف عن امكانيات خطيرة في تأويل النص تأويلاً مقنعاً بما يريد تجسيده تجسيداً تاماً .

فصاغ الكاتب عنوانه في قالب تتنوع فيه الوظائف وتتعدد لأنَّ هذه الوظائف تجسد قوة النص وشعريته ، إذ تقوم بدور فعَّال في تكثيف شعرية النص ورمزيته ، ومن هنا يؤدي العنوان في رسالة (الحور العين) وظائف متعددة هي : الوظيفة التعينية والوظيفة الوصفية والوظيفة الايحائية والوظيفة الاغرائية ، وهذه الوظائف لها دور كبير في استماله القارئ واشراكه في لعبة قراءة النص بصورة متفاعلة ومتواصلة .

ويرسم الكاتب عبر عنوانه صورة تأويلية مشبعة بالقيمة الايحائية ؛ لأنَّها تنفتح على جميع الاحتمالات وتستعمل دلالاتها التفسيرية بوساطة سلسلة لا متناهية من الرموز والتأويلات التي تؤدي خطاباً يلهب أحاسيس القارئ ، وتعمل إلى ادخاله في متاهات النص وصولاً إلى متعة التأويل.

ويتشكل العنوان من مفردتين الأولى مبتدأ والثانية خبر فتكون الجملة الاسمية حاملة اللغة المكثفة والدلالة المعبرة عن مضمون النص فخطاب العنوان ((يتأسس بدوافع قصدية ، يعكس الرؤى الأيديولوجية في الفضاء السوسيولوجي وليس بذلك الخطاب الطارئ على النص لغايات اشهارية فحسب))[١٥].

إذ يدلُّ العنوان قبل قراءة المتن النصي أنَّ الرسالة تتعلق بحور العين والحوراء هي الأنثى التي يفوق جمالها الوصف ، والعين ضخامة العين وحسنها في الأنثى ، أي حور العين نساء كأنَّهن اللؤلؤ الأبيض البهي المستور عن الشمس والرياح والأعين كقول نشوان الحميري : ((والمستقر لحور العين ، بعيدة عن رجم الظنون ، كأمثال اللؤلؤ المكنون ، بيض الغرر والترائب ، سود الطرر والذوائب ، مقرونة الحواجب ، موسومة الرَّواجب))[١٦]، وعليه فحور العين النساء كاملات الأوصاف جميلات الصفات ،وما يؤكد ذلك أيضاً قوله في شرح رسالته : ((والحور : جمع حوراء وأحور ، والحور : شدة بياض العين في شدة سوادها ، والحوريات : نساء الأمصار))[١٧]، ومن هنا تكون دلالة (الحور العين) دلالة واضحة وبسيطة خالية من الرمز والايحاء ، ولكن بعد قراءة الرسالة والخوض في تفاصيلها بصورة متأنية نستشف أنَّ الذي يقصده الكاتب من عنوانها هو كتب العلم المتضمنة قضايا اللغة وتاريخ الأديان وأخبار العرب ، إذ تناظر عنونة (الحور العين) على صعيد الجانب النحوي عنونة الجملة الاسمية من جانب . ولها دلالة رمزية تأويلية تنبع من مضامين ايحائية وأفكار

ومعاني مميزة تسلط الضوء على قضايا في اللغة شرحاً وتفسيراً للمعاني والألفاظ وفي العروض والقافية والنحو والصرف من جانب آخر .

فأصل هذه الرسالة مقامة بديعية سماها مؤلفها رسالة الحور العين وتنبيه السامعين ، وقد قام بشرحها وبيَّن أنَّ هذه تكنية عن كتب العلم الشرائف دون حسان النساء العفائف ، وقد ضمن رسالته هذا الشرح والتفسير ، فكان يأتي بمقطع تركيبي ودلالي من الرسالة ثم يعقب بالشرح والتفسير بذلك المقطع ، ويوثق الشرح بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال وأقوال العرب والشعر ، ومن أمثلة ذلك قوله : ((تضرع بالدعاء إلى رب السماء ، وتوصل بالأفعال والاسماء ، وابتهال من أسير عانٍ في يد الزمان ، فالتضرع : التذلل ، قال الفراء : التضرع :الحاجة والتضرع بها . والضريع : سَلَع وهو نبت مر ، قال ابن عَيْزارة :

وحبس في هزم الضَّريع فكلها جدباء دامية اليدين حرورُ

ومنه قوله تعالى : ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾))[١٨].

ويتضح من ذلك أنَّ العنوان يتكون بدوافع قصدية يعكس رؤى وأفكاراً موحية ليرتاض بها القارئ في كل باب من أبواب البديع والبيان بألفاظ تتصف بغاية البلاغة والجزالة . زد على ذلك أردفها بتفسير غريب الألفاظ وبيان معانيها وشرحها .

وكذلك تحدث الكاتب في رسالته عن أخبار العرب في الجاهلية وتاريخ الأديان والنحل والمذاهب الفلسفية والفرق المختلفة ، ومن أمثلة ذلك قوله : ((وستذكر في هذا الموضع جملة من عيون المذاهب ، مختصرة تكون سبباً لنظر الناظر وتذكرة ، وتقتصر منها على المذاهب المشهورة ، والمقالات المأثورة ، ونسند كل منها إلى أول من ابتدعه ، وسنَّه لمن بعده وشرّعه ، ونقتصر على أئمة الأديان وأربابها ، ومصنفي الكتب وأصحابها ، ولا نتعدى الأصول إلى الفروع ، ولا نذكر التابع الحنفاء بذكر المتبوع ، وتبين اختلاف المختلفين من الأنام ، في معرفة المعبود والأمام))[١٩].

وبعد ذلك يتبين أنَّ عنوان (الحور العين) يحمل لذاته تأويلات ودلالات متعددة قد اعطت لمضمون النص جواً استراتيجياً ، يفيض بالعلوم المتنوعة والفرق والمذاهب المختلفة تحتضنها أوساط متعددة ، إذ يشكل مرتكزاً دلالياً وتأويلياً ((يجب أن يبنى عليه فعل التلقي ، بوصفه أعلى سلطة تلق ممكنة ، ولتميزه بأعلى اقتصاد لغوي ممكن ، ولاكتنازه بعلاقات إحالة مقصدية حرّة إلى العالم ، وإلى النص ، وإلى المرسل))[٢٠]أي إنَّ العنوان عبَّر عن انساق النص وسياقاته ، وفتح ابواب الإشارة الرمزية والايحائية لمعانيه وذلك لإدراك مقاصد النص ودلالاته التي تتناسب تناسباً انتقائياً مع هوية العنوان وتأويلاته التي يستعملها الكاتب قناعاً لرؤية ما دينية أو ثقافية أو أيديولوجية ، وبذلك يبدع الكاتب بوساطة عنوانه في إيصال مضمونه وغايته للقارئ ليستميله للولوج إلى كنه النص بشوق ولهفة .

٢_ شعرية الاستهلال

يعدَّ الاستهلال المفتاح الثاني من مفاتيح قراءة النص بعد مفتاح العنونة ؛ لأنَّه ((المحرك الفاعل الأول لعجلة النص))[٢١] ويستميل القارئ ليتابع ما بعده في طبقات المتن النصي بشوق ومتعة .

فهو بنية فنية ودلالية خاصة تجعله متميزاً عن بقية عناصر النص وهذه البنية آتية من أن محتوى النص وتأويله هما اللذان ولَّدا مفردات الاستهلال ، فالاستهلال نتاج للنص ، وأنَّ هذه المفردات تمتد داخل النص كخيوط السدى لتولد صوراً أو مفردات جديدة منبعثة منها ، وتكون البنية متناسبة في الموقع بدايةً في أول الكلام ثم الأخذ ثانياً بدوره في حمل نوى النص [٢٢]، وعليه فقد شبه الاستهلال بالبيضة المخصبة التي تتحول خلال عملية الابداع إلى جنين ومن ثمَّ إلى كيان إنساني كامل له رأس وجسد وأحشاء حاملاً في تركيبه طباعاً وسلوكاً نفسياً ومشاعر وأحاسيس وأفكاراً[٢٣].

ونص الاستهلال على قصره يذكَّر القارئ بـ النص الأكبر الذي ينتمي إليه ، أيا كان الاستهلال أدباً أو فلسفة أو حكمة أو تاريخاً أو ديناً ، فينتبه القارئ وهو في حضرة القراءة ، إلى أنَّ النص الذي بين يديه له صلات عديدة مع نصوص أخرى تجذبه إليها ويجذبها إليه[٢٤]، وبهذه الامكانية التي يمتلكها الاستهلال تجعله

من أكثر العتبات غنىً وتعالقاً ، وتمنحه قدرة على أن يكون نصاً موازياً بجدارة ، الأمر الذي يفتح للتأويل والتكهن بحقيقة النص الأصل[٢٥].

وفي ضوء هذه المنطقية لا يعد الاستهلال عنصراً منفصلاً عن بنية العمل الفني كله ، كما يوهم موقعه في بدء الكلام ، وكما أنَّه ليس بنية مغلقة على ذاتها ، بل هو البنية النسقية والموضوعية المتكونة من العمل الفني كله ، ليوصل إلى المعرفة التي يريدها القارئ ،ولهذا يكون الاستهلال موجه عادة إلى جمهور معين ويترك مساحة للإجابة عن أسئلة مفترضة بالعنوان الرئيس أو الفرعي دفاعاً أو تبريراً أو تصحيحاً[٢٦].

فالاستهلال مقياس مهم لتشخيص براعة الكاتب في خلق استهلال بارع قوي الوشيجة بمضامين النص عبر بنيته التركيبية والدلالية التي تقف منها مكوناته التأويلية والايحائية ، لذلك نجد نشوان الحميري يهتم اهتماماً واضحاً ببراعة استهلاله المنعكس على سائر النص ، مشيراً إلى خصائص التكثيف والدقة التعبيرية والتأويلية المكونة للاستهلال المتواصل نصياً ودلالياً مع المتن النصي سعياً لإثارة القارئ وتحريك حساسيته واغرائه نحو متابعة طبقات المتن النصي .

إذ استهل نشوان الحميري رسالته بقوله : ((والصلاةُ والسلامُ على سيّد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ، السلام عليك أيتها العقوة ، التي لا تُلم بها الشقوة ، والرَّبوة ، الموقَّرة عن الصَّبوة ، ذات القرار المعين ، والمستقر لحور العين ، بعيدة عن رجم الظَّنون ، كأمثال اللؤلؤ المكنون ، بيض الغُرر والترائب ، سود الطرر والذوائب ، مقرونة الحواجب ، موشومة الرواجب))[٢٧].

وهو استهلال ينطوي على كلمات وفواصل نثرية متوازنة (أيتها العقوة ، التي لا تُلم بها الشقوة ، والرَّبوة ، الموقَّرة عن الصَّبوة) ، (ذات القرار المعين ، والمستقر لحور العين) ، (بعيدة عن رجم الظَّنون، كأمثال اللؤلؤ المكنون) ثم استعماله لشعرية التضاد في (بيض الغرر والترائب ، وسود الطرر والذوائب) مما خُلق تناغم ايقاعي جميل بين تلك العبارات المتوازنة والألفاظ المتضادة المتشكلة بين الوحدات النصية دالاً بذلك على أنَّ لهذه الأنظمة الايقاعية دلالات قصدية تبعاً لاستدعاء المعاني والأفكار لذلك .

ومن ذلك فإنَّ هذا الاستهلال يكشف عن شعرية خاصة تعمل على فاعلية التركيز للعلامة وتبئيرها في منطقة مركزة حيوية ((وعلى اختزال الفاعلية الأدبية للرموز في ظلال هذه المنطقية ، وضخَّها بطاقة اشعاع كثيفة تشتغل في منطقتها وتمتد إلى الأعلى حيث عتبة العنوان وإلى الأسفل حيث طبقات المتن النصي ، إنَّ إدراك قيمة المفتتح الاستهلالي ودوره في توجيه القراءة عبر طرح الأسئلة النصية ، والتحريض على الإمساك بمفاتيح الاستهلال التي تقود إلى المنطقية النصية الساخنة ، من شأنه أن ينشئ علاقة توتر مثالية وضرورية بين القراءة والنص منذ اللحظات الأولى للمواجهة))[٢٨] ، وهي قضية جوهرية تنبع من هذه الانساق اللفظية وقدرتها الموسيقية الفاعلة على جذب انتباه القارئ وتحفيزه إلى تتابع ايقاعاتها من الشكل إلى المضمون ، وعندها تتشكل ثنائية الاقناع والامتاع في إطار نصي تأويلي دلالي يتناسب ايحائياً لرموز وعلامات تستدعي التأويل والتنبيه لقصدية الكاتب ، زد على ذلك تحكم هذه الألفاظ المتضادة علامة جمالية تخلق ايقاعاً موسيقياً يعمل على إبراز صورة المعاني والأفكار المراد ابرازها ، فمنحت بذلك وظيفة جمالية تأثيرية وحيوية في الاستهلال النصي .

٣_ شعرية الخاتمة :

تعدُّ الخاتمة عنصراً استراتيجياً حاسماً من مكونات النص الأدبي بوصفها ((مرحلة العبور ، سواء أتعلق الأمر بالمبدع أم بالقارئ ، وبما أنَّ موقعها التخومي يُؤطر النص ، فإنَّها تبث اشعاعاتها داخله لتضيء بعض المعاني اللائذة))[٢٩]، فهي وسيلة فنية ودلالية تسهم اسهاماً كبيراً في تحقيق أعلى تماسك تركيبي تأويلي ممكن للنص ، بما تحمله من صور ايحائية مكثفة تؤثر في مركز فعالية التلقي ومصيرها إذ تجعل من النص عمارة نصية تأويلية ((ذات تشكيل متجانس ومؤثر وحيوي وقائم على التماثل والتفاهم النصي بين مكونات النص وعتباته جميعاً))[٣٠].

إذ تعمل بقوة ضمن سلسلة العتبات الأخرى لإنتاج مزيد من دلالات شعرية للنص ، فضلاً عن ذلك تثير نوعاً من المفاجأة والدهشة باحتوائها على أمر لم يتنبأ به المتلقي ، وتعمل الخاتمة على غلق التفاعلات النصية على مستوى النص ، لكن ليس على مستوى الدلالة والتأويل.

ونجد نشوان الحميري يختتم رسالته بفن الدعاء وهو ((نوع فني قوامه خطاب الله تعالى ، والتضرع إليه ، والتوسل له ، وتمجيده ، مما يستدعي بناءً فنياً خاصاً يميز هذا النوع ويبين طبيعته))[٣١]، ولعله لجأ إلى هذا الفن لكونه وسيلة تعبيرية بنائية من أدوات التفاعل الخطابي والاجتماعي من جانب ، وصورة من صور تشكيل المعنى من جانب آخر ؛ليخلق صورة تواصلية تأثيرية بينه وبين المتلقي ومشاعره وأحاسيسه ، وبذلك أصبحت العبارات الدعائية علامة تأويلية ايحائية في سياق النص ومحاولة للفت انتباه المتلقي وشده إلى آخر لحظة للتفاعل والتأثير فيه .

إذ يقول نشوان الحميري : ((اللهم اهدِ ضلّيلاً جارَ على اللقم ، واشف عليلاً موفياً عن السَّقم ، طال ما ضربت له الأماني حبالها ، وألبسته المطامعُ سربالها، فشام خلباً بومض في جهام ، وقتاماً يحبسه دفع الرهام ، حتى انقضت أيام العنفوان ، ومضت بوادر الأوان ، وقد شغل شغلَ ذات النحيين ، وبلغ حزام رحلة الطيبين ، وهو في ذلك المضمار ، يعلل النفس بضمار ، وقد انفق رأس المال بالآمال ،ومنع الأثقال ، عن الانتقال ، وطمع في الدنيا طمع أشعب ، فعنى نفسه وأتعب ، فظهر منها بخفي حنين ، وبصر بكمة القلب لا العينين ، يا صفر الكفين ، بظفر الخفَّين ، ويا ندم الكسُعى لنظيره في العيّ .

اللهم أقل عاثراً زلق به القدم ، وطال تأسفه والنَّدم ، وأرحم قنيصاً أوقع نفسه في الحُبالة ، ومفرحاً مفحم اللبيد والباله ، وافكك أسيراً يوسف في الصفاء ، لا الضمد المستفاد ، يا خبر مدعوّ ، وأفضل مرجوّ ، يدعوه المضطر ، ويرجوه القانع والمعترّ ، إنك بالإجابة جدير ، وأنت على كل شيء قدير))[٣٢].

تنهض هذه الخاتمة بالصيغ الدعائية المؤثرة لغرض التلطيف التي مثلت تمثيلاً بارعاً بعبارات متوازنة توازناً ايقاعياً جميلاً في (اللقم والسقم ، فنشام وجهام والرهام ، العنفوان والأوان ، والنحيب والطبيب ، الاثقال والانتقال ، اشعب واتعب ، الكفين والخفين ، القدم والندم ، مدعو ومرجو) فقد وظف الكاتب صياغة هذه العبارات

الدعائية المتوازنة بدلالة تأويلية مؤثرة . القصد منها التأثير في المتلقي تأثيراً واضحاً بصورة خطاب موجه إلى الله سبحانه وتعالى بتعبير مباشر جسدها تركيب (اللهم) . وقد اردف بعدها صيغ دعائية متوازنة التي أغنت النص وزادته جمالية وتأويلاً ، زد على ذلك تجسدت سلسلة متتابعة من التأويلات والرموز ، مما تعكس قدرة الكاتب اللغوية والتركيبية المعتمدة على لغة شعرية مكثفة تغني الصياغة المعتمدة على صيغ دعائية في إقامة المعاني التأثيرية والايحائية ، وصياغتها صياغة مناسبة يتشكل منها المتن النصي ، والقائمة على جذب انتباه القراء واستثارة عواطفهم وأحاسيسهم .

ثانياً : شعرية الاتساق الايقاعي في النثر

الايقاع :

يعدُّ الايقاع من أهم العناصر الجمالية في النص الأدبي نظراً ((لارتباطه بطبيعته التركيبية العصبية للبشر من حيث استجابتها لما هو منظم ... فإن اقتران ما هو منتظم من الأفعال بما هو منتظم من الأصوات سيضاعف من فاعلية العنصر الايقاعي ويكسبه أهمية خاصة...))[٣٣]؛ لأنَّ الايقاع يمثل الاعادة المتتابعة والمنتظمة داخل السلسلة المنطوقة للإحساسات سمعية متماثلة تشكلها العناصر الايقاعية المختلفة[٣٤]، أي إنَّه حركة صوتية ترتبط فيما بينها بصورة متسلسلة ايقاعية لإنتاج الرسالة الشعرية.

فالإيقاع : ((النقلة على الفهم في أزمنة محددة المقادير والنسب أو تقدير لزمان النقرات أو قسمة زمان اللحن بنقرات ، وهو النقلة على أصوات مترادفة في أزمنة تتوالى متساوية وكل واحد منها يساوي دوراً أو اظهار مناسبات أجزاء الزمان من القوة إلى الفعل بحسب اختيار الفاعل))[٣٥].

ويقوم الايقاع في النص الأدبي على اجتماع الكلمات المنتظمة ايقاعياً وصوتياً محدثاً نبرة جمالية مستساغة في الأذن تخلق حسن الانتقال من جملة إلى أخرى كالسجع والجناس والموازنة والتضاد ، لذلك ارتأينا أن نبين شعرية الاتساق الايقاعي في (الحور العين) على وفق العناصر التي تتكون عنها البنية الايقاعية لهذه الرسالة .

١ _ شعرية السجع

يعدُّ السجع من التقنيات الاساسية في النص النثري وهو يعني ((تؤطر الفاصلتين من النثر على حرف واحد))[٣٦] أي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن ، فالأصل في السجع((إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء ، والنفس تميل إليه بالطبع))[٣٧].

ومن هنا يبنى السجع على أساس تماثل الحروف في نهايات الفواصل مما يحقق تناغماً وجرساً موسيقياً يجذب انتباه القراء ويحرك مشاعرهم ، ومن أبرز ما يمثل ذلك قول نشوان الحميري : ((هل أتاك نبأ النار المؤنسة ، نار سؤدد رُفعتُ للنواظر ، وهديت بها البوادي والحواضر ، جاهلها في الناس مُليم ، وفاز من هولها كليم ، مُضرمة لأولي بلهب من ذهب ، وللعدو بهلاك ورهب ، أججت بأعواد الكرم لا الكروم ، وأرجت بطيب الأغصان والأروام ، تخضّر تجربها الغرائس ؛ ويثرب المفتقر البائس ، يعوذ بها الأوَّاهُ المثيب ، ويلوذ اللاحق والجنيب))[٣٨].

في النص السابق قد وظفت العبارات المسجوعة توظيفاً ايقاعياً وجمالياً قائماً على التوازي والتجاور تتمثل في (المؤنسة والمقدسة ، والمشيد والرشيد ، للنواظر والحواضر ، مليم وكليم ، ذهب ورهب ، الكروم والأروم ، الغرائس والبائس ، المنيب والجنيب) فهذه الفواصل المسجوعة حققت الانسجام والتناغم الصوتي ذات صبغة ايقاعية تشد انتباه القارئ وتحرك أحاسيسه ومشاعره ، بأجمل صورة تأويلية وتأثيرية متناسقة الألفاظ والوحدة الدلالية المتوالية تواليا متنامياً، مع ايقاع العبارات المنغمة تنغيماً ايقاعياً وتأويلياً يحقق تعادلاً صوتياً بصورة واضحة بفعل ايقاع الفواصل الثنائية ذات سجعات متشابهة ، لتؤدي المعنى المقصود وتوصيل ما يريده الكاتب إلى القارئ ، فقارئ النص لا بدَّ من أن يفهم تأويلات النص وايحاءاته عبر ألفاظ وعبارات لها نبرة موسيقية تسهم بصورة فعَّالة ومتفاعلة في بيان الغاية القصدية من النص النثري .

وقد استعمل نشوان الحميري السجع بأنواعه المختلفة ، فقد استعمل ما يسمى بـ(الازدواج) وهو أسلوب من الأساليب البديعية يلتزم التماثل بفاصلتين اثنتين وهو بذلك يحقق ايقاعاً موسيقياً يستقطب انتباه القراء ويثير

أحاسيسهم عبر تركيبه الموسيقي الصوتي ، ومما يؤكد ذلك قول العسكري : ((لا يحسنُ منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً ، ولا تكاد تجدُ لبليغٍ كلاماً يخلو من الازدواج))[٣٩]، وما يمثل ذلك قول نشوان الحميري : ((هل يبارى الفرسان إلى الأنفال ، كفل على ثقال، يعجز عن الذّياد ، على الجياد ، وعن قبض الرّهان ، بكليل الجري مُهان ، أصبح عن السباق ، مضاعف الرّباق ، والمعنّ السائر ، دهر مثنيّاً عن المراد ، وقد جمع بين المبنّ الغابر ، والمعن السائر ، دهر كأم الستة من الدوائر ، واللبيب مع الجميع ، كحدّ السريع ، نزل للخلاص بربع غير مربع لا يستمتع بضرع ولا ضريع ، ولزم للفكاك جزءاً وحده، واشتركت الثلاثة في الجزء الذي بعده، ولزم الاحزان ثالث الأجزاء ، وهو آخر النقوض والأبزاء ، ولن يكون فكّ إلا من حركة ، من آخر الدوائر المشتركة ، وربما أدت الحركة ، إلى غير بركة ، وأل بالحرف ، السكون إلى حذف))[٤٠].

أثارت هذه الفقرات المتناغمة جرساً موسيقياً متناسقاً مبثوثاً بين نسيج كل مفردة وأخرى المتمثل في (الأنفال وثقال ، الرهان ومهان ، السباق والرباق ، الطراد والمراد ، الغابر والسائر ، والدوائر ، الجميع والسريع ، ومريع وضريع ، وحده وبعده ، الأجزاء والأبزاء ، حركة والمشتركة والبركة، الحرف والحذف) .

فلو تأملنا هذه الفواصل لوجدنا أنَّها قائمة على سجع الأزدواج ، إذ استعمل الكاتب في البدء فواصلاً ثنائية ذات تسجيع متشابهة ثم استعمل فواصلاً ثلاثية وبعدها فواصل ثنائية ، وهذا التنويع يحدث وقعاً وتواشجاً موسيقياً ينبع عبر تراصف وتجاور العبارات المزدوجة والمتصلة الواحدة بالأخرى ، فكل منها تحدث ايقاعاً موسيقياً يستميل القارئ ويحرك مشاعره ويجعله يتفاعل والقيمة التأويلية للنص النثري ، فيلجأ القارئ للتأويل المؤدي لتعدد الدلالات الايحائية في جوانب النص عبر الايقاعات المتنامية والمتجاورة المميزة للمعنى الذي يقصده الكاتب في اطاره الصوتي ودلالته التأويلية المعبرة والمتناسقة موسيقياً مع الفواصل المتوازنة توازناً لغوياً وصوتياً .

ومثله أيضاً قوله : ((أوصحّ قول الراوندية إنَّ الإمامة من التراث ، وإنَّها لأقرب العصبة والوارث ، فإنَّها بعد النبي للعباس ، بغير شك بينهم ولا التباس ، وإنَّ نبي البنات لا يرثون شيئاً مع العم ، ولا إمامة في النساء

فيدلون بإرث الأم ، لقد اشترك فيها البر والفاجر ، ووقع الاختلاف والتشاجر ، وحكم بها لكل ظالم قط ، على قدر الوراثة والحظ))[٤١].

نجد الكاتب في النص السابق قد استعمل ألفاظ مزدوجة متمثلة في (التراث والوراث ، للعباس والتباس ، العم والأم ، الفاجر والتشاجر ، قط والحظ)، فأكد بذلك الدلالة التأويلية وصعد من موسيقية نصه وإيقاعه في نسقية العلاقات المتصلة مع بعضها بوشائج تأويلية وايقاعية في بنية النص وتركيبه ، إذ نشعر مع تلك الوقفات الايقاعية المتحققة في التسجيع المزدوج كأن هذه الفقرات أبيات شعرية تختم أشطرها بالقافية ذاتها ، مما يخلق المتعة الفنية والجمالية الناشئة من الإيقاع المنظم من جانب ، واظهار المعنى المقصود ومنح النص البعد الجمالي والتأثيري لاستمالة القارئ وإثارة مشاعره وانفعالاته الوجدانية بما يحدثه من تناسق صوتي وايقاعي من جانب آخر .

٢_ شعرية الجناس :

الجناس هو أحد أنواع البديع وفيه تتشابه الكلمتان في اللفظ وتختلفان في المعنى ، أي أنَّ تجانس كلّ واحدة من الكلمتين صاحبتها في تأليف الحروف وترتيبها وعددها وهيأتها ، وهو ما يسمى بـ(الجناس التام) ، أما إذا اختلفت فيه الكلمتان في أمر من هذه الأمور فعندها يصبح الجناس غير تام[٤٢]، فتكون ((بعض الألفاظ مشتقة من بعض إن كان معناهما واحداً ، أو بمنزلة المشتق إن كان معناهما مختلفان ، أو تتوافق صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى ، وهذا إنَّما يحسن في بعض المواضع إذا كان قليلاً غير متكلف ولا مقصود في نفسه))[٤٣]، ومن أمثلة ذلك قول نشوان الحميري : ((بورك من في النار ، وعلى علوّ ذلك المنار ، أنَّى وإن غدوت والبين على جان ، وضربتُ من الدهر بصولجان ، ضرب كرةٍ بين الحزاور ، ولفظة ينطق بها كل محاور : يحفظ الغيب لجدير ، وعلى هديّة الشكر لقدير ، لسيّد مطاع ، أصبح لبيت الشرف كالسّطاع ، صنائعه في كل جناب ، كالأوتاد له والأطناب ، لا يفتأ من صيانة حسب ، غير مؤتشب ، بإهانة ما أكتب ،

من وفر ونشب ، وحكم بالعدل مقسط ، ولدوحة الشرف متوسط ، بين والد مُشب ، ومغرس كرم نامي العشب ، وطرف من الأخوة والأولاد منجب ، وشرف عالي العماد مرجب ، فهو كعبة للثناء يضيف بقاصدها الفجاج ، ويفيء بحمدها الحجاج ، ما صفرت يد القابض ، ولا رمى الظن بنكس حابض ، فحرس الله الحضرة المطهرة بأزال ، عن كل ما غير النعم وأزال ، حتى تنخفض واجبات الأفعال))[٤٤].

يتجلى الجناس في الكلمات (على جان ، بصولجان) و(الحزاور ، والمحاور) و(لجدير ،لقدير) و(مطاع ،كالسطاع) و(جناب ، الأطناب) و(مؤتشب ،نشب) و ((مقسط، متوسط) و (منجب ، مرجب) و(الفجاج ، الحجاج) و (القابض ، حائض) ، وهو نوع من الجناس غير التام ، المتمتع بنظام ايقاعي موسيقي خاص بتناسق الكلمات وتآلفها مع الدلالة التأويلية للنص ، زد على ذلك توظيف السجع المزدوج في الكلمات ذاتها يمنح المتن النصي ((صياغة تعبيرية تكسب الدلالة قيماً جمالية بحركاتها الثلاثية : (الانسجام، والتناسب، والتآلف) في عناصر الدّوال الصوتية في بنية الانساق اللغوية ، من خلال تحقيقها درجات واعية في السّلم المعياري للصوت ، والصورة ، والصيغة البنائية))[٤٥]، وبذلك فقد أضاف هذا الاجتماع بين الجناس وسجع الازدواج ايقاعاً تركيباً ودلالياً بفعل التتابع المنظم للألفاظ المتجانسة والمسجعة وتناسقها بصورة متوالية تواليا متنامياً ، مما منح المتن النصي تماثلاً صوتياً وتأويلياً ، يسهم في إثرائه وتأكيد إيقاعاته الصوتية وتقويتها عبر ازدواجية الفقرات وتناسقها .

كذلك يتجلى في النص الجناس التام بين الكلمتين (بأزال وأزال) فقد اتفقت الكلمتان في الحروف من دون اتفاقهما على معنى واحد ، ومن هنا تتشكل دلالة تأويلية متنوعة قائمة على تكثيف الايقاع وتعزيزه بصورة تكشف الثراء الموسيقي للنص المتصل بتأويلاته الايحائية ، مما يضفي على النص جمالاً وتأثيراً في نفس القارئ من جهة واغرائه بتصوير المعنى المتواشج مع التناغم الايقاعي الذي يحقق تأويلاً منفتحاً على دلالات متنوعة من جهة أخرى .

يبدو أنَّ ((اجتماع المفردات والعبارات بطريقة منتظمة ، تكسب الكلام جرساً موسيقياً جميلاً يمكن له أن يحقق دلالة معينة ، وبالتحديد فإنَّ الايقاع الموسيقي يساعد على اكتساب المعنى المراد تحقيقه صفة صوتية

تظهر الجوهر العام للمعنى))[٤٦]. ومن أبرز ما يمثل ذلك قوله : ((وجار على غير السبيل جار ، ولا ينسخ ليلة بافجار ، شاركته في الطبع بالجوار ، شركة أعراب الجوار ، في الخطاب والحوار ، فالرواة منه في أمر مريج ، لا يتفق له العلماء على تخريج ، وحاسد ، يبيع الثمين بكاسد ، ويروم تغطية الشمس ، براحته وأنامله الخمس ، ينظر سليم الطرف بأحوله ، نظر آخر الرجز إلى أوّله وخليل كأسمه خليل ، بين الصحيح والعليل ، يمدّ الكف إلى الجرباء ، يتلوَّن تلون الحرباء ، فهو كالدَّخيل المرويّ ، بين الأساس والرويّ ، يتمثَّل كلَّ ساعةٍ في صوره ، ولا يقف على طريقة محصورة ، يلبس كلَّ حين إهاب حرف ، ويبدو في هيئة وظرف))[٤٧].

لو تأملنا النص السابق نجد السجع المزدوج يؤكد الجناس غير التام تأكيداً واضحاً ، إذ يثبت التنغيم الايقاعي ويصعده داخل الألفاظ ذاتها ، مما يخلق أجواء تنغيمية خاصة تنسجم مع الألفاظ المزدوجة انسجاماً يناسب تأويلات النص ودلالاته الموحية ، فاللفظة بمفردها لا تمتلك سياقاً مستقلاً إذ لا يتفسر معناها بمعزل عن الألفاظ الأخرى المتصلة بها ، والذي يحدد قيمتها ودلالتها هو السياق المنتمية إليه فتنسجم وتتآلف مع الألفاظ الأخرى لتشكل المعنى التأويلي المقصود في النص ، وعليه نجد الانسجام الايقاعي في الألفاظ المتجانسة (بإفجار والجوار والحوار) و(مريج وتخريج) و(حاسد وبكاسد) و(الشمس والخمس) و(بأحواله وأوله) و(خليل والعليل) و(الجرباء والحرباء) و(المروي والروي) و(صوره محصوره) و(حرف وظرف) .

إذ اتفقت هذه الألفاظ بالبنية الايقاعية واختلفت بالبنية التركيبية بحرف واحد ، وعليه فتحقق الجناس غير التام من الجانب التأويلي أكثر من الجانب الايقاعي ؛ لأنَّ هذه الألفاظ المتجانسة لها دلالة تأويلية تختلف عن الأخرى فالنسق التركيبي لها يخلق تنغيماً ايقاعياً يتصاعد تدريجياً مع تأويلات النص ورموزه فتتشكل الصورة الملونة تلويناً ايقاعياً مؤثراً وذلك ؛ لأنَّ تداخل وتواشج التنغيم الايقاعي والتأويلي يؤدي إلى انتاج المعاني الجديدة المتناسقة تناسقاً متوالياً مع الايقاعات الفنية المؤطرة للنص التي تبرز للقارئ وتثير انتباهه وتقوي ادراكه لتفسير النص وتأويله فتجعله يتفاعل مع القراءة النصية تفاعلاً متواصلاً ومؤثراً .

٣_ شعرية التضاد

ويسمى أيضاً الطباق وهو : ((الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة))[٤٨]، ويعدُّ التضاد من الثنائيات المعنوية الضدية التي تحقق شبكة من العلاقات القائمة على التماثل والاختلاف والتقارب والتباعد والاتحاد والانفصال ، ومن ذلك فالتضاد يرسم صورة معبرة عن تناسق الألفاظ تناسقاً موسيقياً منغماً من جهة ويمنح النص تأويلاً منفتحاً على المعاني المقصودة من جهة أخرى .

ومن أمثلة ذلك قول نشوان الحميري : ((بيض الغرر والترائب ، سود الطرر والذوائب ... معقدة تسير في بعد وقرب ، صائمة عن الأكل والشرب ؛ ممنوعة عن اللذات ، نقية العرض والذات ، لا تغسل من درن ، ولا توصف بكسل ولا أرن ، تنطق بصموت ، وتحيا بعد أن تموت ؛ يسمع نطقها بالعين ، لا تلفظ بلسان ولا شفتين ، تضحك وتبكي السامر والضجيع ، بنظام حسن وتسجيع))[٤٩]، وقوله : ((وخليل كاسمه خليل ، بين الصحيح والعليل ، يمد الكفّ إلى الجرباء ، ويتلون تلون الحرباء ، فهو كالدَّخيل المرويّ بين الأساس والرويّ ... يُلقن وليده ، تقليده ، ويُلهم ابنه ، أفنه ، فحفظ الأخر عن الأول ، ما ليس عليه بمعدل ، وبعض عن بعض زار ، وهو مثقل من الأوزار ، يرى ضده جاهلاً غبياً ، ولو كان صديقاً ونبياً ، ويجعل مخالفه مخطياً ، وعن اللحاق بالسوابق مبطياً ، وبعد سكينة سابقاً مجلياً ، لاحقاً مُصلياً ، ومجلى غيره فسكلا ، وجليّه الواضح مُشكلا كلٌّ يداوي سقيماً من مقالته ، فمن لنا بصحيح ما به سقم ؛ قلبت على الفطن الاهواء ، فكل جؤجؤ هواء ، واستحسنت الأسراء ، فالحسن وضده سواء ، كل يؤسس على هار ، ويصل الليل بالنهار ، قد صكّ بالعمى ، صكه عميّ ، وشغف بالغيّ ، شغف عيلان بميّ))[٥٠].

قد تجلت الثنائيات الضدية في (بيض وسود) و(بعد وقرب) و(تحيا وتموت) و(تضحك وتبكي) و(الصحيح والعليل) و(الأول والآخر) و(سابقاً ولاحقاً) و(الليل والنهار) ، فقد استعمل الكاتب التضاد بالاسم والفعل معاً ، مما أطر نصوصه بالمعاني التأويلية المقصودة من جانب وبسلسلة من الايقاعات الصوتية المتتابعة من جانب آخر .

فالتضاد حقق وظيفته الدلالية بين الكلمات والجمل المتوازنة توازناً منسقاً بالسجع المزدوج والجناس ، فعند تناسب الثنائيات الضدية وانسجامها مع الفواصل المكثفة والمتوازنة فان هذا يؤدي إلى تشكل نسق منظم من

الايقاعات الفنية والجمالية يؤطر الدلالة التأويلية للنص ، وهذه الصورة التأويلية والايقاعية كان التضاد هو الصانع لها بصيغته الضدية المتناسقة التي مثلت انساقاً ودلالات تأويلية تتضاد فيما بينها ، وتتصادم في تصوير المعاني المحددة لتنتج تأويلات تقابلية ضدية ، لها القدرة على استمالة القارئ واغرائه لتوصيل المعنى الكامن في مضامين النص وتأويلاته .

خاتمة البحث ونتائجه

بعد الانتهاء من الدراسة لشعرية النثر وتقابل التأويل في (الحور العين) توصل البحث إلى جملة من النتائج الآتية :

١_ ترتبط شعرية النثر في (الحور العين) بتأويلات ودلالات المعاني المقصودة التي تتضمنها الرسالة ، بعدّ الشعرية مصطلحاً يتخذ من الانساق والخصائص الفنية والجمالية عنواناً لها ، فتبدع مستويات ايقاعية ودلالية تدلُّ دلالة واضحة على قدرة الكاتب وعمق نصه النثري .

٢_نجد أنَّ شعرية النثر وتقابل التأويل تجسدت في الانساق النثرية المتمثلة بالعنونة والاستهلال والخاتمة أولاً ، وفي الاتساق الايقاعي وتقنياته المتمثلة بالسجع والجناس والتضاد ثانياً ، فهذه الاتساق والتشكيلات الايقاعية ارتبطت فيما بينها بصورة منسقة ومنتظمة ايقاعياً وتأويلياً مكونة البنية التركيبية والدلالية للنص .

٣_ كشفت الدراسة أنَّ الانساق النثرية تتشكل في قوالب تأويلية ايحائية تتنوع فيها الوظائف تبعاً لقوة النص وشعريته ، إذ تنفتح على جميع التأويلات وتسلط الأضواء على مضامين النص وموضوعاته الذي يؤدي خطاباً يستميل القارئ ويشد انتباهه لإدراك مقاصد النص وتأويلات معانيه التي تنسجم مع هوية انساقه وتركيباته اللغوية .

٤_ تضافرت التشكيلات الايقاعية المنغمة المرتبطة بتأويلات النص وايحاءاته ، فضاعفت هذه التشكيلات من العنصر الايقاعي المتنامي تنامياً منظماً ومستساغاً في الأذن ينتقل من فاصلة إلى أخرى يشد انتباه المتلقي

ويحرك مشاعره وانفعالاته الوجدانية بأجمل صورة متناسقة الوحدة الدلالية والعبارات المنغمة تنغيماً تأويلياً وايقاعياً .

٥_ وظفت في النص التشكيلات الايقاعية بأنواعها الثلاثة مجتمعة : السجع والجناس والتضاد، وبذلك فقد أضاف هذا الاجتماع ايقاعاً تأويلياً مركباً بفعل التوالي المنظم للفواصل المتناسقة بصورة منحت النص بعداً تأويلياً منغماً يسهم في اثرائه وتأكيد معانيه المقصودة وتأويلاته المتنوعة .

الهوامش

(١) أرسطو طاليس ، تر : عبد الرحمن بدوي ، فن الشعر ،دار الثقافة ، (د. ط) ، بيروت _ لبنان ، ١٩٧٣ : ٢٨ .

(٢) يُنظر : أحمد مطلوب ، في المصطلح النقدي ، منشورات المجمع العلمي ،(د. ط) ، بغداد ، العراق ، ٢٠٠٢ : ١٥٢ .

(٣) أحمد مطلوب ، الشعرية . مجلة المجمع العلمي العراقي ، (د. ط) ، ١٩٨٩ : ٤٤ .

(٤) جون كوين ، بناء لغة الشعر ، دار الطليعة ، (د. ط) ، بيروت ، تر : أحمد درويش ، ١٩٩٠ : ٢٥ .

(٥) يُنظر : حسن ناظم ، مفاهيم شعرية (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج) ، مؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ،٢٠٠٣ : ٩ .

(٦) ، صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص المجلس الثقافي للفنون والآداب ، ط١، ١٩٩٢ :٦٩ .

(٧) سعيد يقطين ،تحليل الخطاب الروائي ، (الزمن ، السرد ، التبئير) ، المركز الثقافي العربي ، ط٣ ، ١٩٩٧ : ١٤ .

(٨) يُنظر : كمال أبو ديب ، في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١ ،بيروت ، ١٩٨٧م : ١٤ .

(٩) يوسف اسكندر ، هيرمنيوطقيا الشعر العربي، دار الكتب العلمية ، ط١ ،بيروت– لبنان : ٢٥ .

(١٠) القاضي أبو الحسن عبد الجبار ، تح : محمد خضر نبها ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، (د. ط) ، القاهرة ، ١٩٦٥ : ٦٥/٥ .

(١١) عبد القادر فيدوح ، إرادة التأويل ومدارج معنى الشعر ، دار الزمان النيل والفرات ،(د. ط) : ٥١.

(١٢) محمد حماسة عبد اللطيف ،فتنة النص ،بحوث ودراسات نصية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،(د. ط) ، القاهرة، مصر :٨٧ .

(١٣) سعيد علوش ،معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، بيروت _ لبنان ، ١٩٨٥م : ١٥٥.

(١٤) خالد حسين حسين ، في نظرية العنوان ، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، (د. ط) ،دمشق _ سوريا ، ٢٠٠٧م : ٥ .

(١٥) خالد حسين حسين ، في نظرية العنوان ، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية : ٣٦٧ .

(١٦) أبو سعيد نشوان الحميري (ت٥٧٣هـ) ، تح : كمال مصطفى ، الحور العين ، عن كتب العلم الشرائف دون النساء العفائف ، دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، بيروت _ لبنان ، ١٩٨٥م : ٢٩ .

(١٧) المصدر نفسه : ٥٧_٥٨ .

(١٨) أبو سعيد نشوان الحميري .الحور العين : ٨٥ .

(١٩) المصدر نفسه : ١٨٨ .

(٢٠) أندريه مارتين ،مبادئ اللسانيات ، تر: أحمد الحمو ، المطبعة الجديدة ، (د. ط) ،دمشق ، ١٩٨٥م : ١٢٥ .

(٢١) ياسين النصير ، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ،بغداد ، ١٩٩٣م : ١٥.

(٢٢) يُنظر : المصدر نفسه : ٢٥_٢٦ .

(٢٣) يُنظر : المصدر نفسه : ١١.

(٢٤) يُنظر : محمد آبن ميهوب ، تقديم محمد القاضي ، الرواية والسير ذاتية في الأدب العربي المعاصر ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، ط١ ،عمان ، ٢٠١٦م : ١٨٧ .

(٢٥) يُنظر : وداد هاتف رتوت ، العتبات النصية المحيطة في أعمال صنع الله إبراهيم الروائية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ،العراق _ بغداد ، ٢٠١٥:٩١_٩٢ .

(٢٦) يُنظر : عبد الحق بلعابد ، تقديم : سعيد يقطين ، عتبات (جيرار جنيت من النص إلى المناص) ، منشورات الاختلاف ، ط١ ،الجزائر ، ٢٠٠٨م : ١٢١_١٢٢ .

(٢٧) أبو سعيد نشوان الحميري .الحور العين : ٢٩ .

(٢٨) محمد صابر عبيد ، التجربة والعلامة القصصية ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، دار جدار للكتاب العالمي ، ط١ ،عمان ، ٢٠٠٩م : ٢٦ .

(٢٩) شادية شقروش ، سيميائية الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح للشاعر عبد الله العشي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، دار جدار الكتاب العالمي ، ط١ ،عمان ، ٢٠١٠م : ٦٩ .

(٣٠) جميلة عبد الله العبيدي ، عتبات الكتابة القصصية ، دراسة في بلاغة التشكيل والتدليل ، تموز ، ط١، دمشق ، ٢٠١٢م : ١٠٢ .

(٣١) ا فائز عمر ،لنثر الصوفي ، دراسة فنية تحليلية ، ط١ ، بغداد ، ٢٠٠٤م : ٢٢٠ .

(٣٢) أبو سعيد نشوان الحميري .الحور العين : ٤٩_٥٠ .

(٣٣) محمد البستاني ، البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي ، دار الفقه للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٢٤هـ : ١٣٥.

(٣٤) يُنظر : توفيق الزيدي ، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث ، الدار العربية للكتاب ، ط١ ، ١٩٨٩م : ٦٣ .

(٣٥) صفي الدين عبد المؤمن الأرموني البغدادي ، تح : هاشم محمد الرجب ،كتاب الأدوار ، دار الرشيد للنشر ، (د. ط) ، بغداد ، ١٩٩٨م : ١٣٩_١٤٠ .

(٣٦) الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ،، دار الكتب العلمية ، ط١ ،بيروت_ لبنان ، ٢٠٠٣م: ٢٩٦/٢ .

(٣٧) ضياء الدين بن الأثير ،المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطبع والنشر ،(د. ط) ، الفجالة – القاهرة : ٣٧٧/١ .

(٣٨) أبو سعيد نشوان الحميري .الحور العين : ٣٠ .

(٣٩) أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين ، (الكتابة والشعر) ، دار احياء الكتب العربية ، ط١، ١٩٥٢م : ٢٦٠ .

(٤٠) أبو سعيد نشوان الحميري .الحور العين : ٤٦ .

(٤١) المصدر نفسه : ٤٣ .

(٤٢) يُنظر : أبوهلال العسكري ،كتاب الصناعتين : ٣٢١ ، ويُنظر : ضياء الدين بن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٢٦٢ ، ويُنظر :الخطيب القزويني الايضاح في علوم البلاغة: ٢٨٨.

(٤٣) ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ،(د. ط) ،القاهرة ، ١٩٦٩م : ١٨٣ .

(٤٤) أبو سعيد نشوان الحميري .الحور العين : ٣٠ .

(٤٥) عبد القادر عبد الجليل ، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع ،ط١ ،عمان، ٢٠٠٢م : ٥٧٢.

(٤٦) صائل رشدي شديد ، عناصر تحقيق الدلالة في العربية (دراسة لسانية) ، مطبعة الأهلية ، ط١ ،عمان_ الأردن ، ٢٠٠٤م : ٧٦ .

(٤٧) أبو سعيد نشوان الحميري . الحور العين : ٣٢ .

(٤٨) الخطيب القزويني ،الايضاح في علوم البلاغة : ٢٥٥ ، ويُنظر : السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، المكتبة العصرية ، (د٠ط) ،صيدا _ بيروت : ٣٠٣ ، ويُنظر : يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، مطبعة مقتطف ، (د٠ط) ،مصر ، ١٩١٤ : ٣٧٧ .

(٤٩) أبو سعيد نشوان الحميري .الحور العين : ٢٩ .

(٥٠) المصدر نفسه : ٣٢_٣٣ .

المصادر والمراجع

- ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، (د. ط) ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
- أبو سعيد نشوان الحميري (ت٥٧٣هـ) ، الحور العين ، عن كتب العلم الشرائف دون النساء العفائف ، تح : كمال مصطفى ، دار آزال للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، بيروت _ لبنان ، ١٩٨٥م .
- أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين ، (الكتابة والشعر) ، دار احياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٩٥٢م.
- أحمد مطلوب ، الشعرية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ،(د. ط) ، ١٩٨٩م .
- أحمد مطلوب ، في المصطلح النقدي ، منشورات المجمع العلمي ، (د. ط) ، بغداد ، العراق ، ٢٠٠٢م.
- أرسطو طاليس ، فن الشعر ، تر : عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، (د. ط) ، بيروت _ لبنان ، ١٩٧٣م.
- أندريه مارتين ، مبادئ اللسانيات ، تر: أحمد الحمو ، المطبعة الجديدة ، (د. ط) ، دمشق ، ١٩٨٥م .
- توفيق الزيدي ، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث ، الدار العربية للكتاب ، ط١ ، ١٩٨٩م .
- جميلة عبد الله العبيدي ، عتبات الكتابة القصصية ، دراسة في بلاغة التشكيل والتدليل ، تموز ، ط١ ،دمشق ، ٢٠١٢م .
- جون كوين ، تر : أحمد درويش ، بناء لغة الشعر ، دار الطليعة ، (د. ط) ، بيروت ، ١٩٩٠ م .
- حسن ناظم ، مفاهيم شعرية (دراسة مقارنة في الأصول والمنهج) ، مؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١ ، ٢٠٠٣ .
- خالد حسين حسين ، في نظرية العنوان ، مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، (د. ط) ، دمشق _ سوريا ، ٢٠٠٧م .

- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ،، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت_ لبنان ، ٢٠٠٣م .
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط١ ،بيروت _ لبنان، ١٩٨٥م .
- سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، (الزمن ، السرد ، التبئير) ، المركز الثقافي العربي ، ط٣،١٩٩٧
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،المكتبة العصرية،(د. ط)، صيدا _ بيروت.
- شادية شقروش ، سيميائية الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح للشاعر عبد الله العشي ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، دار جدار الكتاب العالمي ، ط١ ،عمان ، ٢٠١٠م .
- صائل رشدي شديد ، عناصر تحقيق الدلالة في العربية (دراسة لسانية) ، مطبعة الأهلية ، ط١ ،عمان _ الأردن ، ٢٠٠٤م .
- صفي الدين عبد المؤمن الأرموني البغدادي ، كتاب الأوان ، تح : هاشم محمد الرجب ، دار الرشيد للنشر ، ط١ ،بغداد ، ١٩٩٨م .
- صلاح فضل ،بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الثقافي للفنون والآداب، ط١،١٩٩٢.
- ضياء الدين بن الأثير ،المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، (د.ط) ، الفجالة – القاهرة .
- عبد الحق بلعابد ، عتبات (جيرار جنيت من النص إلى المناص) ، تقديم : سعيد يقطين ، منشورات الاختلاف ، ط١ ،الجزائر ، ٢٠٠٨م .
- عبد القادر فيدوح ، إرادة التأويل ومدارج معنى الشعر ، دار الزمان النيل والفرات (د. ط) .
- عبد القادر عبد الجليل ، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع ،ط١ ،عمان، ٢٠٠٢م .
- فائز عمر ، النثر الصوفي ، دراسة فنية تحليلية ، ط١ ، بغداد ، ٢٠٠٤م .
- القاضي أبو الحسن عبد الجبار ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، تح : محمد خضر نبها ، (د.ط) ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- كمال أبو ديب ، في الشعرية ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٧م .
- محمد آبن ميهوب ، الرواية والسير ذاتية في الأدب العربي المعاصر ، تقديم محمد القاضي ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، ط١ ،عمان ، ٢٠١٦م ..
- محمد البستاني ، البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي ، دار الفقه للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٢٤هـ .

❖ محمد حماسة عبد اللطيف ،فتنة النص ،بحوث ودراسات نصية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ط) ، القاهرة، مصر.
❖ محمد صابر عبيد ، التجربة والعلامة القصصية ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، دار جدار للكتاب العالمي ، ط١ ، ٢٠٠٩م .
❖ وداد هاتف رتوت ، العتبات النصية المحيطة في أعمال صنع الله إبراهيم الروائية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، العراق _ بغداد ، ٢٠١٥ .
❖ ياسين النصير، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة،ط١ ، بغداد، ١٩٩٣م
❖ يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، مطبعة مقتطف ، (د. ط) ، مصر ، ١٩١٤م .
❖ يوسف اسكندر ، هيرمنيوطقيا الشعر العربي ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ،ط١.

اتساع المعنى السياقي في اللغة القرآنية

أ.م. د. حسين علي حسين المهدي /قسم اللغة العربية – كلية الآداب– جامعة البصرة

الملخص

إنّ سياقات القرآن الكريم سياقات محكمة ومعجزة، فتراكيبه أُختيرت فيها الكلمات اختيارًا دقيقًا؛ لتؤدي المعاني المقصودة. وتبرز في تلك السياقات ظاهرة اتساع المعاني وتجدّدها؛ إذ ينفتح النص القرآني انفتاحًا واسعًا؛ ليشمل الوجود بأسره، فقد تكون معاني الألفاظ القرآنية في عالم المادة لها حدّ محدود ومعانٍ خاصة؛ لتناسب المعنى المادي، أما عند استعمال الألفاظ نفسها في عالم المجردات فتتجاوز لغة النص القرآني المعاني المحدودة؛ لتتحوّل إلى معانٍ مطلقة تناسب ذلك العالم الذي أراده المنشئ العظيم، الله العلي العظيم، نحو قوله تعالى : (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا) [الكهف/٤٩]. نعلم جميعًا أنّ الكتاب المألوف يُكتب فيه ما يمكن أن يستوعبه، ولا يتضمن أكثر ممّا يحتويه؛ لأنّه محدود بحدّ معين. أما الكتاب الإلهي الذي عبّر عنه القرآن فله إمكانات هائلة وكبيرة إذ يستوعب كلَّ شيء. وهذا المعنى جاء من تجديد القرآن لمعنى الكتاب في لغته وباستعمال أسلوب الحصر بنفي فعل المغادرة. وإثبات فعل الإحصاء الواسع مهما كان المكتوب صغيرًا أو كبيرًا. فالسياق القرآني مؤثر في تجدّد المعنى، واتساعه المعنوي الذي يلائم عالمه المجرّد غير المحدود.

فجاء البحث ليكشف تلك المعاني السياقية المتسعة والمتجدّدة بعد متابعتها قرآنيًّا ، ولغويًّا، وتفسيريًّا كاشفًا البعد الجمالي والإيحائي في التعبير القرآني متابعاً الحركة المعرفية الناتجة من تلك الإيحاءات التي جسدتها لغة القرآن الكريم.

الكلمات المفاتيح : اتساع المعنى ، اللغة القرآنية ، المعنى السياقي.

ABSTRACT

The holy Quranic contexts are strict and marvelous, as its structures are carefully chosen in order to give an intended meaning. In those contexts, it appears a phenomenon of widening and renewability of meaning, as the Quranic text opens widely accommodating the entire existence. Meanings of Quranic utterances in the world of material might have a specific limit and special meanings, matching a

certain material meaning. As to the use of same utterances in the world of abstractions, then the language of a Quranic text exceeds limited meanings, to be turned to absolute meanings to match that world created by the Great Creator, God, as He said: *"Ah! woe to us! what a Book is this! It leaves out nothing small or great, but takes account thereof!"(Kahf/49).* In the common book, there it could be written what it can accommodate, not including more than its content due to its limitation by a specific limit. As far as the Divine Book, it has tremendous and great capabilities, where it can accommodate everything. This meaning has come from renewability of Quran to the meaning of a book in its language through the use of exclusivity style via negating a departure verb and confirming a wide inclusion whatever the written segment size, tiny or large. The Quranic context impacts the meaning renewability and its meaning widening fitting its unlimited abstraction world.

This paper has come to disclose widening and renewable contextual meanings after being followed up Quranically, linguistically and in an interpreting way. It has brought about an aesthetic and paradigmatic dimension in a Quranic expression heading to knowing move resulting from those hints referred to in the language of Holy Quran

Key words: Widening of meaning, Quranic language, contextual meaning

المقدمة

بسم الله نبدأ، وعليه نتوكل وإليه المآب، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الأطهار والحمد لله رب العالمين على النعم الظاهرة والباطنة.

هذا بحث أتناول فيه الاتساع في المعاني السياقية في النص الإلهي المقدس وفي تعبيراته الخاصة. إنّ لغة القرآن الكريم لغة متجدّدة تجدّد الحياة؛ لأنّه منهج ودستور حياة الموجودات والإنسان منذ وجدوا إلى أن يبعثوا، وفي النص القرآني إمكانات تمنحه ذلك الفهم المتجدّد المنفتح المستند إلى العقل والوجدان، والتتبع للألفاظ في سياقاته وما تحويه من معانٍ يكشف عمق الدلالة في تلك السياقات وتطورها في الجانب الاستعمالي.

امتازت اللفظة القرآنية بالثراء اللغوي من حيث المعاني، وتجديد الدلالات فيها إذ إنّ لسياقاتها أحكاماً تكشفه تلك المعاني فضلاً عن الجوانب الفنية والجمالية لتلك الاستعمالات اللغوية المتطوّرة في دلالة الألفاظ ، فالسياق القرآني آلية من آليات انفتاح المعنى وأثرائه ، وقمتُ بمتابعة تلك المعاني . مستعينًا بالله تعالى وكتابه المجيد . لتوظيف المعرفة اللغوية، والتفاسير القرآنية كي أتوصّل إلى فهم تطورات المعنى القرآني واتساع ، وانتقاله من مجاله المألوف إلى مجالات جديدة. وجاء البحث بمقدمة ومدخل تضمن تعريفًا بمعنى التوسع لغةً واصطلاحًا، وكذلك السياق لغةً اصطلاحًا وأنواع السياق، ثم جاء المحتوى التطبيقي للبحث وكان الترتيب للكلمات فيه ألفبائياً، وخاتمة فيها أبرز نتائج البحث،{وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [هود/٨٨].

مدخل

التوسع في اللغة

المفهوم اللغوي لمادة وسع في المعجم[١]: الاتساع، والاغناء، والطاقة الكبيرة، والإحاطة، والشمول، والبسط والكثرة: ((وسع الله عليه رزقه وفي رزقه يوسع وسعا بسطه وكثره وأغناه وسع الشيء يسع سعة لم يضق والشيء لم يضق عنه والله عليه رفهه وأغناه ورحمه الله كل شيء ولكل شيء وعلى كل شيء لم تضق عنه)) [٢].

التوسع في الاصطلاح

منح النص القرآني الألفاظ دلالات جديدة لم تكن مستعملة من قبل توسعًا في المعنى؛ لتناسب مقامات القرآن التي أراد التعبير عنها، فلبست الألفاظ ثوابًا جديدًا قشيبًا وهو ميّزة من ميزات اللغة القرآنية، ففي الألفاظ من الزخم المعرفي ومن المرونة ما يساعد على إعطاء دلالات ومعانٍ جديدة، فتوسع المعاني والدلالة أما أن يكون في الكلمة المفردة وهو: ((توسيع المعنى أو امتداده عندما يحدث الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام... ويعني أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل))[٣]، تتسع الدلالة القرآنية للألفاظ المفردة؛ لتشمل آثاراً معرفيةً جديد لم تكن مستعملة من قبل فرضها في الواقع الإسلامي ، إذ فيها يفتح النص القرآني أفاقًا جديدة لمعانٍ متعددة. وقد توسع في دلالة اللفظ المفردة، فمنحت دلالات أُخر ، وهذا الأمر جارٍ في الاستعمالات القرآنية[٤]: نحو مفهوم الصوم : الذي يعني معجميًّا الامتناع أو الإحراق، فقد نقلها القرآن إلى الامتناع عن الطعام والشراب وعن بعض المحللات من مجيء الفجر إلى غروب الشمس، وهذا الصوم يحرق الذنوب. فانتقلت دلالة اللفظ الحسية إلى دلالة معنوية وهي إحراق الذنوب، وكذلك مفهوم الصلاة التي تعني لغويًّا الدعاء انتقلت إلى مفهوم الصلاة التي تبدأ بتكبيرة الإحرام وتنتهي بالتسليم ، وهكذا الحج الذي يعني القصد بالمفهوم العام وقد نقل المعنى إلى قصد بيت الله الحرام وهو مفهوم في وقت محدد وبصفة مخصصة وبشروط محددة وهو الحج

القرآني، والزكاة في اللغة الزيادة والنمو وفي المعنى القرآني إخراج مقدار من المال بحدود محددة وبصفة معينة ، وهكذا كثير من المفردات القرآنية.

وأما أن يكون التوسع في العبارة والتركيب، وهو نوع من تطوير المعنى عند الدلاليين المحدثين: إذ ((قد يؤتى بالعبارة محتملة لأكثر من معنى ... وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فبدل أن يطيل في الكلام ليجمع معنيين أو أكثر يأتي بعبارة واحدة تجمعها كلها، فيوجز في التعبير ويوسع في المعنى وهذا أمر ظاهر في اللغة غير مستنكر))[٥]، وهنا المعاني متكونة متأتية من السياق ، فالسياق كاشف كبير من كواشف المعاني فـ ((إنّ الجمل تكتسب دلالاتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث ،أي من خلال سياق الحال كما أن، المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية،أي وضعها في سياقات مختلفة))[٦].

السياق في اللغة

جاء في مادة (سوق) في معجم لسان العرب[٧] نزع الروح أو المهر الصداق كان يساق من الإبل والغنم وغيرها ، وورد في المعجم الوسيط في المادة نفسها أن السياق يعني ((المهر ، وسياق الكلام : تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه)) [٨]، وما يعنينا هو تتابع وأسلوب الكلام وما يجري عليه.

السياق في الاصطلاح

هو((ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى، وقد يكون التوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال، وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام ،وقد تكون العلاقة بين هذا الكلام وبين شيء آخر كلاماً كان أو غير كلام...))[٩]، وتتعدد السياقات بحسب الحاجة والمقام، فقد تكون لغوية لفظية وهو سياق الجملة، وسياقات غير لغوية غير لفظية : سياق اجتماعي أو سياق الحال[١٠]((كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع))[١١]، فمدلولات الألفاظ والعبارات خاصة يحددها السياق[١٢]، فهو يرشد ((إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته وانظر إلى قوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}[١٣] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير))[١٤]، نلاحظ المعنى الناتج عن السياق المختلف اختلافًا كليًّا عن المعنى اللفظي للعبارة، فلولا ملابسات النص السياقية ودلالتها على مخاطب غير مؤمن؛ لفهم بغير مراد المتكلم، فالسياق فرض دلالات لم تكن موجودة لولاه، فهناك حذف لمقول القول في العبارة؛ لذا تحتاج إلى تقدير. وهو أمر سياقي خارجي لفهم المعنى فيكون: ((تقديره: قولوا له أو يقال له، والذوق مستعار للإحساس وصيغة الأمر

مستعملة في الإهانة، وقوله ... خبر مستعمل في التهكم بعلاقة الضدّية، والمقصود عكس مدلوله أي أنت الذليل المهان والتأكيد للمعنى التهكمي))[١٥].

المحتوى التطبيقي

ههنا أنتخبت مجموعةً من الكلمات التي اتسعت معانيها اتساعًا يشمل مساحات دلاليّة واسعة في السياق القرآني، وأفردت كلّ كلمة في تحليل دلالي خاص بها؛ بناءً على استقراء أبرز الكلمات التي تشهد على ذلك التَّطوّر في المعنى، وهي :

١. الأنهار

ينقلنا النص القرآني إلى عالم مدهش تتخذ الأشياء صورًا معنويّة جديدة. فتظهر الأنهار في العالم الآخر بأنواع مختلفة في قوله تعالى:{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى}[محمد/١٥] طبيعة الأنهار الدنيوية أنْ يكون فيها مياه، وهنا توسع في المعنى والدلالة، فنرى أنواع من الأنهار على صيغة جمع الكثرة أي أنهار كثيرة، وهذه الأنهار غير مألوفة فيها (مَاءٍ غَيْرِ آَسِنٍ) ماء عالي الجودة لا يتأثر، ولا يتغير بتغيرات الزمن. ولا بالظروف كما هو الحال في الدنيا فيتلوث بتغيير طعمه وراحته تغييرًا كبيرًا منكرًا[١٦] ، ثم ذُكِرت أنواع أُخر من الأنهار غير المألوفة لهم على سبيل المماثلة للأنهار وإن كان محتوى الأنهار مألوفاً لديهم ومرغوباً عندهم، ولكن ليس بالأنهار، وهي اللبن المحافظ على جودته، وقد عبّر عنه بالماضي بصيغة (لم والفعل المضارع) ويبقى على أصله خلافًا للبن الدنيا الذي يتغير بعد حلبه. وبقائه بالحموضة أو أي شيء من المؤثرات الدنيوية في الألبان. فتفقد قيمتها الصحية والذوقية ، والخمرة اللذيذة غير المأثرة في الشارب أو متأثرة بتغيير. وهي هناك من المشروبات الحلال خلافًا للدنيا، فشرابها لذيذ وعواقبه حميدة خلافًا لخمرة الدنيا المؤذية من حيث السكر والصداع أو التأثير في العقل عمومًا ، والعسل المصفى من القذى والأذى ومن الرغوة والشمع ومن كل المعايب المصاحبة للعسل الدنيوي، وهو وصف ثابت ودائم له وفيه صور استعارية وتشبيهية، وغيرها[١٧] تناولها النص القرآني بأسلوب رائع وصور جمالية أنيقة جمعتها التراكيب اللفظية المناسبة لها.

٢. البكاء

تأخذ الكلمة امتدادًا دلاليًّا من المعنى المألوف إلى معنى جديد في قوله تعالى:{فما بكت عليهم السماءُ والأرضُ}[الدخان/٢٩] فيعني((البكاء ... سيلان الدمع عن حزن وعويل...، وقد قيل: إن ذلك على الحقيقة، وذلك

قول من يجعل لهما حياة وعلمًا، وقيل: ذلك على المجاز، وتقديره: فما بكت عليهم أهل السماء))[١٨]، إنّ بكاء السَّماء والأرض توسّع وتطوّر في معنى البكاء. فإن كان على الحقيقة، فلابد أن تكون لهما مشاعر وأحاسيس وعقل يميّزان مَن يستحق البكاء عليه أو لا يستحق، وإنْ كانت على المجاز، فقد قيل[١٩] في استعمل هذا السياق بكاء السماء والأرض والرياح والشمس والنجوم والليل... هي نوع من أنواع التعظيم والمبالغة في الجزع على المتوفى أي هي أمر مجازي، والمقصود أهل السماء، أو تغيير أحولها، وأحوال الأرض حقيقةً أو مجازاً [٢٠]، فمن هم أهل السماء وما المقصود فيه؟ الملائكة أم الجنّ أم موجودات أُخر كالنجوم والقمر إذن فلابد لهم من الأمر نفسه من المشاعر، والأحاسيس، والعقل، والتمييز لمَن يستحق البكاء ممن لا يستحقّه. إذن في كلتا الحالين توسّع في المعنى والدلالة.

وفي سياق الآية نفي البكاء تحقيرًا لهم؛ لأنهم لا يستحقون ذلك((فعدم بكائهما عليهم بعد إهلاكهم كناية عن هوان أمرهم على الله و عدم تأثير هلاكهم في شيء من أجزاء الكون))[٢١]، وجنح ابن كثير[٢٢] إلى التفسير الروائي أي جنح إلى سياقٍ خارجي؛ لتعزيز ظاهرة بكاء السماء والأرض لما في الأمر من غرابة، فمرة يتجه إلى حذف في الكلام ، ويقدره بأبواب السماء ، أو موارد نزول الرزق من السماء وفي الأرض المصلى وأماكن العبادة ، وفعل الخيرات والمهم في الأمر هو حاجة القارئ والمتلقي للتوسع في فهم مثل هذه التعبيرات القرآنية.

٣. التوفي

في قوله تعالى : {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[الزمر/٤٢]، وقوله تعالى :{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[الأنعام/٦٠]، للتوفي في التعبير القرآني دلالات ومعانٍ بحسب سياقها ولم يرادف القرآن بينها وبين الموت والإماتة بل فرق بينهما وأشار البلاغي[٢٣]، إلى ذلك برفضه الترادف رفضا قاطعاً رادًّا على اللغويين والمفسرين الذين يتجهون إليه. ورفضه كان بسبب سياق الآيات التي تناولت مادة التوفي، فيجب التدبر في مواد استعمال المفردات في الأسلوب القرآني وعدم قبول التفسير غير المستند إلى القرآن نفسه ،لأنّ ((محاور القرآن الكريم بنفسها كافية في بيان ذلك كما في قوله تعالى في سورة الزمر ... ألا ترى أنّه لا يستقيم الكلام إذا قيل الله يُميت الأنفس حين موتها وكيف يصحُّ أنّ التي لم تَمُت يُميتها في منامها؟ و كما في قوله تعالى في سورة الأنعام... فإنّ توفّي الناس بالليل إنّما يكون بأخذهم بالنوم ، يبعثهم الله باليقظة في النهار ليقضوا بذلك آجالهم، ثم إلى الله مرجعهم بالموت والمعاد))[٢٤]، فالتوفي في الاستعمالات القرآنية : الأخذ، والاستفاء، والحفظ بعناية مع عدم الفناء ، وأخذ الشيء وافياً تاماً ((التوفي لم يستعمل في القرآن بمعنى الموت بل بعناية الأخذ والحفظ، وبعبارة أخرى إنما استعمل التوفي بما في حين الموت من الأخذ للدلالة على أن نفس الإنسان لا يبطل ولا يفنى بالموت الذي يظن الجاهل أنه فناء وبطلان بل الله تعالى يحفظها

حتى يبعثها للرجوع إليه، وإلا فهو سبحانه يعبر في الموارد التي لا تجري فيه هذه العناية بلفظ الموت دون التوفي))[٢٥]، ومن معنى الاستفاء والأخذ ما جاء في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}[آل عمران/٥٥] معلوم أن عيسى "عليه السلام" لم يمت والتوفي هنا بالاستيفاء ،والقبض، والأخذ، أو بالنوم الذي عُبّر عنه في بعض الآيات بالتوفي والطبري[٢٦] في تفسيره على الرغم من أنه يذهب إلى أن التوفي هي الإماتة إلا أنه طرح الآراء الأُخرى بشكل مفصل متوسع فيه .

٤. الجنة

يتسع المعنى القرآني في قوله تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[آل عمران/١٣٣] وفي قوله تعالى: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّت لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ}[الحديد/٢١]

للأماكن حدود محددة ولكن هناك مكان مفتوح ومتسع اتساعًا عظيمًا وهو مخصص للمؤمنين. فما هذه الرحمة الواسعة واللطف العميم؟!! نعرف أنّ السماء والأرض كبيرتان؛ لذا قرب الله الوصف بهما وذكر لنا العرض، ولم يذكر الطول دلالة عظمهما إذ لا يعلم الطول إلا الله فالسابق والمسابقة، والإسراع والمسارعة ، والمسابقة[٢٧]، أبلغ لأن فيها معنى يزيد على المسارعة ففي المسابقة سرعة، وحركة، وتقدم على الآخرين الداخلين معك في المسابقة، وهدفها كبير. ويستحق التنافس فيه وهي الجنة الواقعية الحقة، وهذا المعنى الناتج عن السياق معنى حقيقي. وليس مجازيًا؛ لأن العلماء كانوا يعتقدون أن اتساع السماوات والأرض أمر مجازي. وليس حقيقيًا. فقد كشف العلم الحديث اتساعهما بل إنهم عاجزون عن إدراك حدودهما من حجم السعة الكبير((وربما كان بعضهم في الزمن الخالي – قبل أن تكشف بعض الحقائق عن سعة هذا الكون – يميل إلى حمل مثل هذه الآية على المجاز... فأما اليوم ومراصد البشر الصغيرة تكشف عن الأبعاد الكونية الهائلة التي ليس لها حدود ، فإن الحديث عن عرض الجنة ... يقع قطعاً موقع الحقيقة القريبة البسيطة المشهودة ، ولا يحتاج إلى حمله على المجاز إطلاقاً! فإن ما بين الأرض والشمس مثلاً لا يبلغ أن يكون شيئاً في أبعاد الكون يقاس!)) [٢٨]، وإذا كانا كذلك، فالجنة مثلمها سعة وحجماً، والجنة رحمة من رحمات الله، ورحمة وسعت كلّ شيء. قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف/١٥٦] وقال أيضا: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}[غافر/٧]. ولو عقدنا موازنة سياقية بين الآيتين آية(آل عمران/١٣٣)، وآية(الحديد/٢١) لكشفت الموازنة عدة أمور، وفيها يكون بيان المعاني مع بيان فروقها الدلالية السياقية ومن الأمور[٢٩]:

المسارعة أيسر وأبسط × المسابقة فيها مشقة وتكليف

إِلَى مَغْفِرَةٍ = إِلَى مَغْفِرَةٍ ، طلب الله من عامة الناس والمتقين التطهر والخلاص من الذنوب للوصول إلى مغفرة الله؛ ولفظ المغفرة سابق على لفظ الجنة ؛ لأنَّ المغفرة سبب للدخول إلى الجنة ليناسب طاهرة الجنة وعلوها ، فالمغفرة موجودة في كلتا الآيتين.

عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ الجنة هنا أوسع وأكبر؛ لأنها عرض السماوات وهي جمع السماء الواحدة الموجودة في الآية الأخرى. × عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أقل سعة؛ لأن عرضها عرض سماء واحدة مع وجود كاف التشبيه أي ليس صورتها كصورة تلك الجنة من السعة الموجودة في آل عمران.

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ : خاصة × أُعِدَّت لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ : للمؤمنين عامة ، لذا كانت الجنة في آية آل عمران أوسع وأكبر؛ لأنها للمتقين خاصة.

٥. الدّابة

في قوله تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[هود/٦] ،وقوله تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} [النمل/٨٢]

الغرابة في التعبير القرآني في كلمة الدابة التي تشمل الإنسان وغيره. وكل ما تحرك على الأرض أو في السماء من حيوان أو غيره، وكذلك دَابَّة مِنَ الْأَرْضِ تتكلم، ويكون كلامها مفهومًا للناس لإثبات الآيات الإلهية إذ مادة (كَلَمَ) في القرآن الكريم تأتي بمعنى التأثير عموماً سواء أكان مادياً أم معنوياً ، فالقرآن يسمي المعاني الملقاة في القلوب أو في الأسماع كلامًا، وقولًا سواء أكانت صادرة من الملك، ، أم من الشيطان أم من الإنسان أم من الحيوان أم من غيرهم. فما دامت هذه الدابة تحدث تأثرًا في نفوس الناس أو أذهانهم فهو كلام وتكليم؛ لأنّ من المفسرين ذهب مع المعنى اللغوي التكليم بمعنى الجرح والتجريح[٣٠]، ومنهم من يذهب إلى إفهام المعاني. وهذا المعنى المتسع في الدابة وفي كلامها ((وما أراد به القرآن الاتساع المترامي ، فإنه يختار له الألفاظ الدالة على هذا الاتساع بكل شمولية واستيعاب ...فسنجد عمومية الألفاظ وشموليتها مما يتناسب مع عمومية المعاني وتطاولها ، ويتواكب مع استقرار كل الجزئيات وعدم تناهيها ، وذلك من أعاجيب القرآن وطرائفه ... الدابة تستوعب مجموعة عامة مركبة من خلق الله مما دبَّ وهب ودرج من الانس والجن والطير والأنعام والوحوش والهوام وكائنات لا نعرفها ، ومخلوقات لا نتصورها ، أرأيت عمومية وشمولية كهذا في دلالة لفظ واحد عليه مع عدم إمكان حصر ملايين النسمات في ضوئه)) [٣١].

٦. الركض

في قوله تعالى:{ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}[ص/٤٢] الركض الحركة والمشي السريع، والركض يكون بالرجل لا بغيرها إذن لماذا جاءت الآية (بِرِجْلِكَ)؟. قيل إنها زيادة توكيد. وفي الآية يقول أصحاب الاختصاص الركض بمعنى ضرب الأرض والحركة السريعة هي التي ولّدت الضرب ولماذا قال له (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ)لأنّه مريض،

ولا يقوى على الحركة. وهذا النداء يوحي له أنّه تشافى ويستطيع الحركة وأكثر منها بالضرب على الأرض، وفي الآية حذف وإضمار وتقدير؛ لأنّها استجابة دعاء بعد نداء. ومسألة أيوب"عليه السلام:((وفي الكلام إيجاز بالحذف والتقدير فركض برجله واغتسل وشرب فبرأه الله من مرضه))[٣٢]، وفي سياق الآية تأكيد وتوسع في المعاني و((استشراف السياق البنيوي وتعالق الكلم في الآية الشريفة...فالمعول عليه في الوقوف على المتعين من دلالة ركض في سياقها الشريف ذلك هو مَلحَظ التطور الدلالي... يقعُ تحتها معنيان أولها متقادمٌ مُعَمّر، وثانيهما حادث مُتَخلِّق من التطور الدلالي))[٣٣] المتقادم هو ضرب الأرض والمتخلق هو الحركة السريعة[٣٤].

٧. القول

لكلمة "القول" ومشتقاتها معانٍ كثيرة بسبب سياقاتها المتعدّدة حتى يشمل القولُ موجودات لا تحمل الجهاز النطقي الإنساني الذي يتحقّق القول عنده في((التفهيم والتفهم الذهني المستخدم فيه الاعتبار اللغوي والأصوات المؤلفة الموضوعة للمعاني))[٣٥]، ويتحقّق القول فيما عداه بالأثر المترتب عليه من معنى((القول وخاصته وهو فهم المعنى المقصود وإدراكه فبين الملائكة أو الشياطين قول لا كنحو قولنا، وكذا بين الله سبحانه وبينهم قول لا بنحو إيجاد الصوت واللفظ الموضوع وإسماعه لهم كما سمعت وكذلك القول في ما ينسب إلى نوع الحيوانات العجم من القول في القرآن الكريم))[٣٦]، فالقول: هو تعبير عمّا في الضمير أو الذهن ، أي يجب أن يكون القائل إنساناً أو أنْ يكون الناطق حيوانًا، فلبعض الحيوانات إمكانات نفسية خاصة تحتاج التعبير عمّا في شعورها الغريزي، فالقول ربما يصدر منهما[٣٧]؛ ولكن وجدنا كلمة(القول) في الاصطلاح القرآني وبحسب سياقتها المتعدّدة تجاوزت هذا المعنى إلى إلى معانٍ متطوّرة؛ لتشمل جميع الموجودات: الإنسان، والحيوان مثل : النملة، والهدهد، والنحلة، والطير... والجنّ، والسماء، والأرض... ويتسامى (القول) لدى الملك أو الملائكة، فالله يكشف لهم معرفةً عن إرادته ومشيئته بل أنَّ عموم ((حقيقة القول والكلام هو الكشف عن المقصود وإزالة الستار عن المراد ... باستخدام نوع من الدلالة والإشارة))[٣٨]، فتطوّرت كلمة(القول)، واتسعت مجالات استعمالها، وكأنّ المخلوقات كلها قائلة بلسان فصيح عمّا تشعر به من حاجة أو عمّا تقوم به من وظيفة في العالم، نحو قوله تعالى: {قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ* فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا}[النمل/١٨- ١٩]، وقوله: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ* لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ* فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} [النمل/٢٠-٢٢] ، وقوله:{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}[فصلت/١١] ، وقوله:{وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا}[البقرة/٣١- ٣٢]، وقوله:{قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ

أَمِينٌ}[النمل/٣٩] ، وقد يخاطب الله موجوا ما بالقول كقوله تعالى:{قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}[الأنبياء/٦٩]، فلابد للنار وللأرض والسّماء والجنّ والنحل أن يفهمن الأمر الإلهي، وهكذا النصوص في هذا السياق كثيرة تعبر عن القول بسياقاته المختلفة عند الموجودات كافة، فهو إظهار أمر ما عند موجود معين وبأي وسيلة كانت((وهذا المعنى يختلف باختلاف الطرفين من جهة التفهيم والتفاهم فالقول غير مخصوص بالإنسان وبالأذن واللسان بل يجري في أي مقام ومرحلة من عوالم اللاّهوت والعقول والملائكة والإنسان والحيوان وسائر الطبيعيّات))[٣٩].

٨. الكتاب

يفاجئ القرآن القارئ بمعانٍ غير مألوفة نحو قوله تعالى : {مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} [الكهف/٤٩]، نعلم جميعًا أنّ الكتاب المألوف يُكتب فيه ما يمكن أن يستوعبه، ولا يتضمن أكثر ممّا يحتويه؛ لأنّه محدود بحدّ معين. أما الكتاب الإلهي في القرآن فله إمكانات هائلة وكبيرة إذ يستوعب كلّ شيء. وهذا المعنى جاء من تجديد القرآن لمعنى الكتاب في لغته وباستعمال أسلوب الحصر بنفي فعل المغادرة. وإثبات فعل الإحصاء الواسع مهما كان المكتوب صغيرًا أو كبيرًا وهو من باب التهويل والتعظيم للإحصاء[٤٠]، فالسياق القرآني مؤثر في تجدّد المعنى، واتساعه المعنوي الذي يلائم عالمه المجرّد غير المحدود إذ شاهدنا((الكتاب جامع مانع في إحصائية استقصائية لأعمال الخلائق وتصريف شؤونها ، وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها إن آية واحدة من كتاب الله ترتفع بنا إلى المستوى الدلالي المتطور في جملة ألفاظها))[٤١].

٩. الكتابة

قوله تعالى: { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}، [المجادلة/٢١] ، وقوله تعالى: {قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام/١٢] فعل الكتابة الإلهي يتسع ليناسب هيبة الجمال والجلال واللطف والرحمة عنده تعالى ((وفعل الكتابة المتعارف المحسوس لا يُليق بالله تعالى فيكون المراد به الإثبات والقضاء والحتم... لائقة بالله سبحانه مجردة عن المادة وصفاتها فهي كتابة مجردة عن استعمال القلم والورق في الكتابة ومنزهة عن الكثرة مناسبة المناسبة للعالم المادي المحسوس))[٤٢]، وحتما هنا الكتابة تختلف عن الكتابة التي يكتبها الإنسان على نفسه نحو قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} [البقرة/٧٩] نلاحظ في الآية الذم عليهم بسبب فعل الكتابة، فالأفعال المنسوبة إلى الله تقيدها الدلالة والتعبير القرآني لتتسع وتشمل وجودا شاملا عاما دائما مناسبة للعظمة الإلهية.

١٠. الكلمة

الكلمة تشمل أشياء كثيرة ربما الرزق أو الخلق أو الآيات والمعجزات إذ أي أثر أو تأثر فهو كلمة[٤٣]، وأنها لا تنفد فآثار باقية بوجوده تعالى، ففي قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان/٢٧] السياق حاكم على تطور المعنى فنفدت تعني الفناء

والانتهاء لغويا؛ ولكن السياق قلب دلالتها لعدمه بوساطة النفي مع سعة وجودية عظمى تصل إلى إعجاز البشر عن الإحصاء والتتبع ((وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه – مع قلة الحجم – متضمن للمعنى الجم، وبحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية عن استيفائه))[٤٤]، وهو ما جاء في آية سورة لقمان السابقة إذ ((المعنى: ولو جعل أشجار الأرض أقلاما وأخذ البحر وأضيف إليه سبعة أمثاله وجعل المجموع مدادا فكتب كلمات الله – بتبديلها ألفاظا دالة عليها – بتلك الأقلام من ذلك المداد لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله لكونها غير متناهية، ومن هنا يظهر أن في الكلام إيجازا بالحذف))[٤٥]، وكذلك المعنى الواسع والشامل للرزق الإلهي الذي هو كلمة من كلمات الله أي هو أثر من آثاره أو آية من آيات، فهو لا ينفد أبدا بدليل التركيب المنفي واستعمال اللفظ اللغوي المناسب وهي لفظ النفاد الذي يدل على الفناء[٤٦] في قوله تعالى: {إن هذا لرزقنا ما له من نفاد} [ص/٥٤] في حين الآية تشير بسياقها المنفي للبقاء والاستمرار للسياق المنفي أثر في قلب المعنى.

وفي قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ*تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم/٢٤-٢٥] الكلمة ليست كل الكلمات فهي طيبة وأثرها طيب ولها نتائج مثمرة، وقالوا: ((هي شهادة أن لا إله إلا الله، و قيل: الإيمان، وقيل: القرآن، وقيل: مطلق التسبيح والتنزيه، وقيل: الثناء على الله مطلقا، وقيل: كل كلمة حسنة، وقيل: جميع الطاعات، وقيل: المؤمن.وثانيا في المراد من الشجرة الطيبة ... كل شجرة تثمر ثمرة طيبة ... شجرة صفتها ما وصفه الله وإن لم تكن موجودة بالفعل))[٤٧]، الشجرة الأرضية ،أو المادية لها حجم خاص ومحدد، وهنا الشجرة جذروها في الأرض، وفروعها في السماء ، وثمار الشجر الدنيوي لها مواسم محددة، وهنا هذه الشجرة تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ وقت، فهذه المعاني المتسعة، والمتكثرة لكلمتي الكلمة والشجرة منحها السياق القرآني.

١١. الوقود

ينتقل الخطاب القرآني إلى المتلقين بإنتاج لغة غير متوقعة تُظهر بعضَ الموجودات في مواطن غير محتملة، فنجد الكافر يتحوّل إلى حطب ملقى في نار جهنم. قال تعالى : {فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}[البقرة/٢٤] وقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}[التحريم/٦] فالوقود المألوف هو الحطب أو ما يوقد به من السوائل والمواد القابلة للاشتعال أما الوقود غير المألوف فقيدته الإضافة والوصف بأن يكون الناس والحجارة وهما أداة الإحراق للإنسان والموجودات و((معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران، بأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة ، وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أوّلا بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه ، وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمي بالنار ، وبأنها لإفراط حرّها وشدّة ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به نار، اشتعلت وارتفع لهبها))[٤٨]، فهو توسع

في المعنى وتقيد بالسياق، ويقول سيد قطب[٤٩] الجمع بين الناس والحجارة؛ لأنّ الناس هم حجارة فعلاً لعدم استجابتهم للأوامر الإلهية، فجمع الله بينهم وبين الحجارة التي ربما أصلها الأصنام؛ لتكون وقود جهنم، فهي صورة مرعبة من صور أهوال يوم القيامة ومشد مفزع للكافرين، وتكرر المعنى المتسع نفسه في قوله تعالى في سورة الأنبياء: {إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم}[الأنبياء : ٩٨] ، وغير ذلك وممكن أن تجمع سياقات كل كلمة وحدها. وتبين الاستعمال غير المألوف مع الكلمة؛ ليكون السياق الجديد قرينة على تطور معنوي وتوسع دلالي، وتعطي معنى جديدًا نحو قوله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ} [هود/٨٢] المطر أساسًا يكون في الماء النازل من السماء. ولكن عدة آيات أشارت إلى وجود مطر من نوع آخر بالحجارة. وهو ما عبر عنه في البلاغة بالاستعارة، فقد توسع المعنى، وشمل نوعًا آخر من أنواع المطر. وقد قيل إن صياغة أمطرنا فيه دلالة نوع من العذاب والهلاك والغضب الإلهي؛ لذا جاءت معها الحجارة من سجيل منضود أو الأحجار النارية النازلة بالعذاب[٥٠].

النتائج

١- إنّ لغة القرآن الكريم لغة متجدّدة بتجدّد الحياة؛ لأنّه منهج ودستور حياة الموجودات والإنسان منذ وجدوا إلى أن يبعثوا.

٢- إنّ سياقات القرآن الكريم سياقات محكمة ومعجزة، فتراكيبه اُختيرت فيها الكلمات اختيارًا دقيقًا؛ لتؤدي المعاني المقصودة، وتبرز في تلك السياقات ظاهرة اتساع المعاني وتتجدّدها، فالسياق كاشف كبير من كواشف المعاني.

٣- تتسع الدلالة القرآنية للألفاظ المفردة؛ لتشمل آثاراً معرفيةً جديدة لم تكن مستعملة من قبل فرضها في الواقع الإسلامي، إذ فيها يفتح النص القرآني أفاقًا جديدة لمعانٍ متعددة، وقد توسع في دلالة اللفظ المفردة، فمنحت دلالات أُخر، وهذا الأمر جارٍ في الاستعمالات القرآنية نحو مفهوم الصوم، والصلاة، الحج ، والزكاة وغيرها.

٤- الاتساع السياقي قد يكون لغويًّا ، نحويًّا ، أو صرفيًّا ، أو دلاليًّا ، أو قد يكون سياقًا خارجيًّا سياق الحال ،أو السياق الاجتماع ، أو غيره.

٥- السياق القرآني مؤثر في تجدّد المعنى، واتساعه المعنوي الذي يلائم عالم المجرّدات غير المحدود فالأنس والاعتياد بالمعاني المادية يحرم الإنسان من معانٍ معينة وجب عليه معرفتها. ويحجم المعنى والتدبر يؤدي إلى فهم المعنى الصحيح المتجدّد الذي يناسب تجدّد القرآن.

٦- تأتي لفظة واحدة في سياق ما تتسع؛ لتشمل تحتها الكثير من المعاني نحو كلمة دابة تعني كلَّ ما تحرك من الإنسان والجن والحيوان من الطير والأنعام والوحوش والهوام وكائنات لا نعرفها وغيرها من معانٍ، فالاتساع يصل حدّ الإعجاز إذ الدابة في سياقها وصفت بأنها معجزة وآية من آيات الله، فهي تُكلّم الناس.

٧- كشف التتبع لبعض المعاني القرآنية في سياقاتها أنها معانٍ حقيقية، وليست مجازية كسعة السماوات والأرض.

٨- عقد الموازنات للسياقات القرآنية يكشف الفروق الدلالية التي تمنح المعنى دقةً ووضوحًا، وتُعين على فهم مجالات التطوّر الدلالي، ففي لفظة التوفي خلاف بين العلماء رُفِع بالاستناد للسياق القرآني .

٩- الأفعال المنسوبة إلى الله تعالى في القرآن الكريم تناسب مقامه ، فهي مجردة عن المحسوسات والماديات؛ لذا معناها يختلف عمّا ينسب إلى المخلوقات فالسياق يحدد المعاني أن كانت منسوبة لله أو المخلوقين.

الهوامش

١- ينظر: العين-الخليل بن أحمد، مادة (وسع): ٢٠٣/٢ ، ولسان العرب – ابن منظور- مادة (وسع) :٣٩٢/٨.

٢- المعجم الوسيط – مجموعة من المؤلفين: مادة (وسع) :١٠٣١/٢.

٣- علم الدلالة – د. أحمد مختار عمر :٢٤٣.

٤- ينظر في مفاهيم الألفاظ: التعريفات- الجرجاني : الحج : ٨٧، والزكاة:١١٧ ، والصلاة:١٣٧ ، والصوم: ١٣٩.

٥- الجملة العربية والمعنى – د. فاضل السامرائي: ١٦٣ وينظر: المعاني دور الكلمة في اللغة – أولمان: ١٦٢.

٦- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ، يحيى أحمد : ٨١-٨٢.

٧- ينظر: لسان العرب مادة (سوق) :١٦٦/١٠.

٨- المعجم الوسيط: مادة (سوق) :٤٦٥/١.

٩- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث- د. محمد أحمد أبو الفرج : ١١٦.

١٠- ينظر: أنواع السياق: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق :٥١/١، ٧١ ، ٧٦ ، ٩٣.

١١- دروس في علم الاصول- السيد محمد باقر الصدر:١٠٨/١ .

١٢- ينظر : البرهان في علوم القرآن – الزركشي : ٢٩١/١.

١٣- الدخان : ٤٩.

١٤- البرهان في علوم القرآن : ٢٠٠/٢.

١٥- تفسير التحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور : ٣١٦/٢٥ .

١٦- ينظر: العين،مادة(أَسَنَ):٣٠٣/٧ ، ومفردات ألفاظ القرآن – بالراغب الأصفهاني مادة (أَسَنَ):٧٦ ، ولسان العرب : مادة (أَسَنَ) :١٦/١٣.

١٧- ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن – الطبرسي:١٨٠/٩، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور- البقاعي:٢١٩/١٨-٢٢١، تفسير التحرير والتنوير:٩٦/٢٦-٩٧.

١٨- مفردات ألفاظ القرآن : مادة(بكى) : ١٤١.

١٩- ينظر: الكشاف – الزمخشري :٢٧٩/٤-٢٨٠، وتفسير التحرير والتنوير: ٣٠٣/٢٥-٣٠٤.

٢٠ - التحقيق في كلمات القرآن الكريم - الشيخ حسن المصطفوي : مادة (بكى) : ٣٥٢/١.

٢١- الميزان في تفسير القرآن – الطباطبائي : ١٨/ ١٤٣.

٢٢- ينظر : تفسير القرآن العظيم – ابن كثير: ٢٥٣/٧-٢٥٤.

٢٣- ينظر: آلاء الرحمن في تفسير القرآن- محمد جواد البلاغي : ١/ ٨١-٨٤ .

٢٤- آلاء الرحمن في تفسير القرآن: ٨٢/١ ، وينظر في تفسير التوفي بالنوم : معاني القرآن وإعرابه- أبو إسحق الزجاج:٢٥٧/٢-٢٥٨ ، وفي تفسير التوفي بالإماتة : جامع البيان في تأويل القرآن- الطبري : ٤٥٥/٦، الكشاف:٣١/٢ ، تفسير القرآن العظيم – ابن كثير: ٤٧/٢، وتفسير التحرير والتنوير: ٢٧٥/٧-٢٧٧ .

٢٥- الميزان في تفسير القرآن: ٢١١/١٧.

٢٦- ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ٤٥٥/٦-٤٦١.

٢٧- ينظر : مجمع البيان :٤٤٥/٩ ، والميزان في تفسير القرآن : ١٧١/١٩-١٧٢.

٢٨- في ظلال القرآن – سيد قطب : ٣٤٩٢/٦ .

٢٩- ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٧١/١٩-١٧٢.

٣٠- ينظر : الكشاف:٣٩٠/٣ ، وينظر : في معنى الكلام في اللغة: العين : مادة (كلم) :٣٧٨/٥، ولسان العرب : مادة (كلم) : ٥٢٢/١٢ ، وفي الاصطلاح والتفسير: مفردات ألفاظ القرآن مادة (كلم) : ٧٢٢ ، والميزان في تفسير القرآن: ٣١٩/٢- ٣٢٠ ، والتحقيق في كلمات القرآن الكريم مادة (كلم) : ١١٩/١٠ .

٣١- تطور البحث الدلالي دراسة تطبيقية في القرآن الكريم – د. محمد حسين الصغير :٥٠.

٣٢- الميزان في تفسير القرآن – الطباطبائي : ٣/ ٢٣٨-٢٣٩.

٣٣- التطور الدلالي الإشكال والأشكال والأمثال- د. مهدي أسعد عرّار : ٣٥ .

٣٤- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن مادة (ركض) : ٣٦٤.

٣٥- الميزان في تفسير القرآن : ٣٢٢/٢.

٣٦- المصدر نفسه : ٣٢٢/٢-٣٢٣.

٣٧- ينظر : المصدر نفسه: ٣١٩/٢ ، وتفسير التحرير والتنوير:٢٣٢/١٩ .

٣٨- تسنيم في تفسير القرآن – جوادي آمليّ : ٢٣/١ ، وينظر المصدر نفسه: ٢٤/١.

٣٩ - التحقيق في كلمات القرآن الكريم: مادة (قول) : ٣٧٦/٩.

٤٠- ينظر: الكشاف:٦٧٨/٢-٦٧٩،وتفسير القرآن العظيم:١٦٥/٥،ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور:٧٢/١٥.

٤١- تطور البحث الدلالي دراسة تطبيقية في القرآن الكريم : ٥٢ .

٤٢- النظام النحوي في النص القرآني تجليات لفظية ومعنوية – د.أحمد رسن :٧٧ ، وينظر: في معنى كتب: مفردات ألفاظ القرآن مادة (كتب) : ٦٩٩-٧٠٢ .

٤٣- ينظر : في معنى الكلام في اللغة: العين : مادة (كلم) :٣٧٨/٥، ولسان العرب : مادة (كلم) : ٥٢٢/١٢ ، وفي الاصطلاح والتفسير: مفردات ألفاظ القرآن مادة (كلم): ٧٢٢، والميزان في تفسير القرآن: ٣١٩/٢-٣٢٠ ، والتحقيق في كلمات القرآن الكريم مادة (كلم) : ١١٩/١٠ .

٤٤- مفردات ألفاظ القرآن :١/ ٥٣ ، وينظر : تفسير القرآن العظيم : ٣٤٨/٦ .

٤٥- الميزان في تفسير القرآن – الطباطبائي : ٢٣٨/١٦.

٤٦- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن مادة (نفد) :٨١٧.

٤٧- الميزان في تفسير القرآن : ٤٩/١٢.

٤٨- الكشاف: ١/ ١٣٢.

٤٩- ينظر: في ظلال القرآن : ٤٩/١.

٥٠- ينظر: الكشاف :١١٧/٢-١١٨ ، ٣٩٣، وتفسير التحرير والتنوير : ٢٣٧/٨ ، ١٣٤/١٢-١٣٥.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ، د. يحيى أحمد ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ٢٠ العدد ٣ . الكويت ، ١٩٨٩ .
- البرهان في علوم القرآن : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٣٩١هـ.
- التحرير والتنوير: المعروف بتفسير ابن عاشور : الأستاذ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور . الناشر: الدار التونسية- تونس ، ١٩٨٤م.
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم يبحث عن الأصل الواحد في كل كلمة وتطورها وتطبيقه على مختلف موارد الاستعمال في كلماته تعالى: المحقق المفسر حسن مصطفوي الناشر مركز نشر آثار مصطفوي، المطبعة اعتماد ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٥=١٤٢٧هـ.
- تسنيم في تفسير القرآن : عبد الله الجوادي الطبري الآملي ، تعريب : عبد المطلب رضا ، تحقيق: محمد عبد المنعم الخاقاني ، الناشر: دار الإسراء للطباعة والنشر – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.
- تطور البحث الدلالي دراسة تطبيقية في القرآن الكريم – د. محمد حسين الصغير ، الناشر: دار المؤرخ العربي- بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- التطور الدلالي الإشكال والأشكال والأمثال- د. مهدي أسعد عرّار ، ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية . لبنان . بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م .
- التعريفات : الشريف علي محمد علي الحسيني الجرجاني ، وضع حواشيه وفهارسه: محمّد باسل عيون السّود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت، الطبعة الثانية ،١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م.
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة :الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- جامع البيان في تأويل القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق : أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- الجملة العربية والمعنى – د. فاضل السامرائي، الناشر: دار ابن حزم بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

- دروس في علم الاصول– السيد محمد باقر الصدر، إعداد وتحقيق : لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدرϖ ، الناشر مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدرϖ ،المطبعة شريعت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤ هـ. ق
- دور الكلمة في اللغة – ستيفان أولمان ، ترجمه وقدم له وعلق عليه : د. كمال محمد بشر ، الناشر :مكتبة الشباب.
- علم الدلالة – د. أحمد مختار عمر ، الناشر: عالم الكتاب، الطبعة السادسة،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية : د. صبحي إبراهيم الفقي ، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ .٢٠٠٠م.
- العين (كتاب): أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ،تحقيق : د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ هـ.
- في ظلال القرآن: سيد قطب، الناشر: دار الشروق، الطبعة الثانية والثلاثون، ١٤٢٣-٢٠٠٣م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر الزمخشري ، تح : عبد الرزاق المهدي، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان:١٤٢١ هـ -٢٠٠١م.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، أدب الحوزة: قم– إيران،١٤٠٥هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين قدم له الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت : لبنان ، د. ط ، د.ت .
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: د. محمد أحمد أبو الفرج، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦.
- المعجم الوسيط: مجموعة من المؤلفين:(إبراهيم مصطفى،وأحمد حسن الزيات،وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار)،الناشر: مكتبة المرتضوي ،المطبعة: باقري، الطبعة الثانية:١٤٢٧هـ.ق -١٣٨٥هـ .ش.
- معاني القرآن وإعرابه– أبو إسحق إبراهيم بن السّرِي الزجاج، شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عَبدُه شلبي، الناشر: عالم الكتب– بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- مفردات ألفاظ القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الناشر: دار القلم – دمشق والدار الشاميّة – بيروت، المطبعة كيميا ، الطبعة الرابعة، ١٣٨٣هـ.ش=١٤٢٥هـ.ق.
- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الإمام المنتظر عج – إيران – قم ، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤.
- النظام النحوي في النص القرآني تجليات لفظية ومعنوية : د.أحمد رسن ، الناشر : شهريار،
- الطبعة الأولى:٢٠١٩.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي- مصر – القاهرة.

جهود المحدثين في نقد النحو العربي ــ

الدكتور مهدي المخزومي نموذجًا

د. مصطفى أحمد قنــبر/ وزارة التعليم والتعليم العالي ـ دولة قطر

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على جهود واحد من علمائنا المحدثين المعروفين في نقد النحو العربي، هو الدكتور مهدي المخزومي. مبرزًا رؤيته لعدة قضايا في النحو العربي وأوجه القصور في النظر النحوي، ومناقشًا لما عرض له في كتابه (في النحو العربي: نقد وتوجيه) من قضايا.

الكلمات المفتاحية: مهدي المخزومي، نقد النحو، التجديد، اللغة.

The efforts of modern scholars in criticizing Arabic grammar -

Dr. Mahdi El Makhzoumi as a model

Dr. Moustafa Qunbor

Ministry of Education and Higher Education - Qatar

Abstract:

This research aims to stand on the efforts of one of our well-known modern scholars in criticizing Arabic grammar, Dr. Mahdi El Makhzoumi. It highlighting his vision of Several issues in the Arabic grammatical and the shortcomings in grammatical consideration. Moreover, it discusses what was presented to him in his book: (fi alnahw alearabii: naqd watawjih) from the issues.

Keywords:

Mahdi El Makhzoumi, Critical grammar, Renewal, Language.

مقدمــة:

ليس بجديد فريةُ وُصم العقل العربي المسلم ـ عبر عدة عصور ـ بالجمود والتقليدية، والاكتفاء بالركون إلى الموروث، والنأي عن إعمال الفكر فيما تركه أسلافنا من علوم وفنون، إذ ليس في الإمكان أفضل مما كان، فضلا عن إيثار السلامة؛ خوفًا من أن تصوب إلى هذا العقل المستنير ـ إن تجرأ وأَعْمَلَ الفكر ـ سهام الحادة من حُراسه ومقدِّسيه.

بيد أن هذا العقل المستنير بفطرة الخالق ـ جلتْ قدرته ـ لم يقنع بالركون والدعة، وكان قد انتفض كثيرًا بعد أن بللَّه قطْرُ حُرمة النظر ـ ولو خلسة ـ فيما سطره أسلافنا رضوان الله عليهم، وأعلن ثورته، فأعرب عن عدم الرضا بكل ما هو متوارث، والتمرد على حراسته التي تجرِّم إعادة النظر والتفكير. فأعملَ الفكرَ فيما يجب إعمالَه، وسجل رؤيته التي لا تنتقص من قيمة التراث، بل تضيف إليه كما أضاف إليه الأولون.

لكنَّ بعضا من بني جلدتنا رأى أن الفرصة واتته لكي يعبث بما شاء، مدفوعًا بقناعات أقل ما تُوصف به أنها رعناءُ تشي بسوء الفهم، أو بفهم غذَّته روافد من حاقدين على التراث العربي الإسلامي؛ فرأى أن يثور على كل شيء، فانسخ من هُويته، وتعرى من ألبسة حضارته، بصورة سافرة وأخرى مقنَّعة، وكفر بالضوابط والحدود، ورأى أن عدم الثورة سبب التخلف والانحطاط والجمود، ووراء الهزيمة الحضارية والانكسار؛ ومن ثمَّ فَقَدَ بوصلة السير نحو التجديد، وأخطأ في فهم المراد من المراجعة والتحرير. فرأى أن ينقلب على عقبيه، وأن يبدأ من جديد من حيث هو الآن، بل ويأخذ من غيره، حتى وإن كان فيه غرس لهُوية الآخر ومحوٌ لهويته، فهذا الآخر هو المتقدم والأقوى والغالب، ونحن المغلوب الأضعف، المولع بالتقليد والجمود.(١)

بهاتين الرؤيتين المتغايرتين فهم بعض السلف والخلف التراث النحوي العربي، فجاءت صرخات: خلف الأحمر (١٨٠هـ)، والجاحظ (٢٥٥ هـ)، وابن مضاء القرطبي (٥٩٢ هـ)، وابن خلدون (٨٠٨ هـ)، ثمَّ رفاعة الطهطاوي، وعلي مبارك، وطه حسين، وإبراهيم مصطفى، وشوقي ضيف، ومهدي المخزومي، وعبد الرحمن أيوب ... وغيرهم.(٢)

ومن الاتجاه الثاني جاءت دعوات بعض المحدثين أمثال: عبد العزيز فهمي، ومحمد كامل حسن، وسلامة موسى... وغيرهم. الذين وصل الحد ببعضهم إلى التعدي على نظام الكتابة العربية، إذ طالب استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي، بل والتقعيد النحوي والصرفي للهجة العوام المصرية، حتى تجاوز بعضُ الدارسين إلى حد التشكيك في منهج العلماء الأفذاذ.(٣)

التعريف بالدكتور مهدي المخزومي، وكتابه نقد النحو:

ولد الدكتور مهدي المخزومي في النجف الأشرف في العراق سنة ١٩١٧، وبعد أن أتم تعليمه في المدارس العراقية سافر ليلتحق بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليًا) مع البعثة العلمية العراقية، ويتخرج من قسم اللغة العربية وذلك عام ١٩٣٤م، ويعود إلى العراق ليعمل مدرسًا لقواعد اللغة العربية بالمدارس الثانوية أربع سنوات.

وقد أتاحت له وزارة المعارف العراقية فرصة أخرى ليعود إلى القاهرة، ويتلقى دراسته الجامعية في جامعتها، حيث أعد بحثه للماجستير ونوقش فيه وأجيز عام ١٩٥١عن موضوع (الخليل بن أحمد الفراهيدي: أعماله ومنهجه) بإشراف إبراهيم مصطفى، واستمر ليعد بحثه للدكتوراه، وكان موضوعه:(مدرسة الكوفة ومنهاجها في اللغة والنحو) بإشراف مصطفى السقا.

تولى الدكتور مهدي المخزومي التدريس في كلية الآداب والعلوم ببغداد ثم أُسند إليه عمادتها، وبعد إحالته إلى التقاعد سنة ١٩٦٣ انتدب للتدريس في المملكة العربية السعودية فعين رئيسا لقسم اللغة العربية بجامعة الرياض. وبعد انتهاء عقده عاد الى بغداد وعين ثانية أستاذا في كلية الآداب وقد تولى الإشراف على عشرات الرسائل الجامعية وإبداء المشورة والرأي، وقد كانت داره مثابة لطلبة الدراسات العليا يلتقون به للإفادة من علمه الغزير وتوجيهاته السديدة الرشيدة.

وقد ترك الدكتور المخزومي ـ يرحمه الله ـ للمكتبة العربية، مجموعة من المؤلفات في الدراسات اللغوية والنحوية، منها:

١ـ النحو العربي: قواعد وتطبيق، وقد صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٦.

٢ـ في النحو العربي: نقد وتوجيه ـ بيروت ١٩٦٤.

٣ـ الدرس النحوي في بغداد ـ دار الحريج ـ بغداد ١٩٧٥.

٤ـ أعلام في النحو العربي ـ الموسوعة الصغيرة (رقم ٦٠) بغداد ١٩٨٠.

٥ـ ديوان الجواهري، في سبعة أجزاء، جمع وتحقيق وإشراف بالمشاركة مع الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور على جواد الطاهر ورشيد بكتاش، وزارة الإعلام (١٩٧٣ــ١٩٨٠).

٦ـ كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، بثمانية أجزاء، حققه بالمشاركة مع الدكتور إبراهيم السامرائي. وزارة الثقافة والإعلام (١٩٨٠-١٩٨٥).

وقد نشرت له عشرات الدراسات النحوية واللغوية في المجلات والدوريات العراقية والعربية والعالمية، وقد توفي يرحمه الله في سنة ١٩٩٣م.(٤)

أما عن عناية الدكتور المخزومي بالنظر النقدي في النحوي العربي، فقد كان ذلك ثمرة تجربتين خاض غمارهما بنفسه، الأولى: حين عُين مدرسًا لقواعد اللغة العربية بالمدارس الثانوية، وطوال هذه الفترة من عمله لمدة أربع سنوات اطلع على جملة من الصعوبات التي تعوق الدارسين عن فهم تلك القواعد والإقبال على دراستها؛ لصعوبة مصطلحاتها، وكثرة المذاهب والآراء في تفسير ظواهر الإعراب فيها.

والثانية: عند عكوفه بعد انتهائه من دراسته في مصر، وعودته للعراق حيث التدريس في كلية الآداب؛ على دراسة مادة النحو جميعها في كتب المتقدمين والمتأخرين، إذ اهتدى إلى أن هناك فروقًا كثيرة بين نحو القدماء المؤسسين للنحو، ونحو المتأخرين أصحاب المتون والشروح والحواشي، لا في المصطلحات وحدها، بل في تطوير مادة النحو تطويرًا آليًا، طبقت فيه القواعد المنطقية والآراء الفلسفية على مادة النحو، فمثلت في الصورة التي نراها في كتب المتأخرين من التزام الحدود والتعاريف الدقيقة الغامضة، على حين لم يكن القدماء يحفلون بذلك كله، وإنما كانوا يحرصون على المثال وحده ويجعلونه فارقًا بين معنى ومعنى، كما يجعلونه

الطريق لتصور الموضوع، دون إلحاح على ما يندرج تحته أو يخرج عنه من صور التعبير والموافقة والمخالفة.(٥)

وقد خصص الدكتور المخزومي كتابه (في النحو العربي: نقد وتوجيه) لعرض آراءه النقدية في النحو العربي، التي خلص إليها من تجاربه. وقد طبع الكتاب أول مرة عام ١٩٦٤م، وكانت طبعته الثانية عام ١٩٨٦م.

صدر هذا الكتاب مؤكدا ومؤمنًا ومتممًا لجهود سابقة في حقل النقد النحوي العربي، بدأها ـ كما قال مصطفى السقا ـ ابن مضاء اللخمي القرطبي في مباحث قيمة في كتابه (الرد على النحاة) الذي نشره الدكتور شوقي ضيف، ثم إبراهيم مصطفى ـ أستاذ المخزومي ـ في كتابه المعروف (إحياء النحو)،(٦) ناهيك عن كتاب الدكتور عبد الرحمن أيوب، الموسوم بـ (دراسات نقدية في النحو العربي)، وكان أول صدور له قبل كتاب المخزومي بسبع سنوات عام(١٩٥٧).

ولا يعني ذلك أن أفكار المخزومي التي جاء في كتابه قد سبق إليها الدكتور عبد الرحمن أيوب، أو أن مقالات الدكتور أيوب قد دفعت الدكتور المخزومي إلى هذا النوع من الدراسة في النحو العربي، أو سارعت بإخراجها إلى النور؛ فالرجل كما عرفنا من تاريخ حياته منذ الثلاثينيات من القرن المنصرم ـ وبشهادة أستاذه السقا ـ شغلته قضايا النحو العربي، وما يعانيه الدارسون من صعوبات إثر ما علق بهذا العلم من شوائب ليست منه، وقد رأى ذلك بأم عينه عندما مارس التدريس في التعليم الثانوي ثم في الجامعة.

أما الأساس الذي قامت عليه أبحاث الكتاب، ومنه جاء وسْمُهُ، فهو نقد أعمال النحاة، ومناقشة أحكامهم التي أقاموها على أساس من فكرة العامل، ومن ثَمَّ توجيه النحو إلى الوجهة الصحيحة، وهي الوجهة اللغوية التي إليها ينتمي.(٧)

منهج المخزومي في نقد النحو:

على المنهج الوصفي قامت بحوث هذا الكتاب، وهذا ما صرح به المؤلف في مدخل الدراسة، فالنحو في نظره دراسة وصفية تطبيقية، ومن ثم فليست من وظيفة النحوي الذي يريد أن يعالج نحوا للغة من اللغات أن يفرض على المتكلمين قاعدة، أو يخطِّئ لهم أسلوبًا.(٨) وقد سار المؤلف في معالجاته للقضايا التي ضمنها كتابه على الخطوات المتتابعة الآتية:

١ـ عرض القضية التي ينتقدها.

٢ـ مناقشتها لبيان ما فيها من قصور.

٣ـ محاولة البحث عن أسباب وجودها.

٤ـ التوجيه المناسب لمعالجتها وفق المنهج اللغوي الذي يراه.

وقد قدم الأستاذ مصطفى السقا ـ أستاذ المؤلف والذي أشرف عليه في أطروحته للدكتوراه ـ للكتاب معرفًا بالمؤلف وبنشاطه، ومتضامنًا مع ما ذهب إليه فيما طرحه من قضايا نقد النحو، وما اقترحه من حلول وصفها بالسهلة الخالية من التعسف الذي ارتكبه النحاة في سبيل طرد نظرية العامل؛ فألزموا الناس قواعد هي من نتاج النظر العقلي وحده، وأهملوا الحلول اللغوية التي هي أجدر بالرعاية في المباحث اللغوية؛ ولذلك تعقدت مسائل النحو وصعبت على المتعاطين لها، وخصوصًا المبتدئين والشداة من طلاب العلم. ورأى الأستاذ السقا أن مباحث الكتاب تعتبر بحق تطويرًا جديدا وتوجيها حديثا للدراسات النحوية، وأنها التطوير الذي سيبقي أثره.(٩)

ولذا أثنى الأستاذ السقا في أكثر من موضع في تصديره للكتاب، على البحث وصاحبه ومنهجه في التناول، ولعل هذه الإشادات المتعددة تشي بالمنزلة العلمية المرموقة للمؤلف عند أستاذه، فضلا عن الجرأة التي تميز بها المؤلف إثر خوضه غمار هذا البحث دون خوف أو تردد مما قد يجره عليه من نقد، وهي تلك الجرأة التي كان يشجع عليها ـ آنذاك ـ جيل من الأساتذة في الجامعة المصرية، أمثال: إبراهيم مصطفى، وأمين الخولي، ومصطفى السقا... وغيرهم.

القضايا النقدية التي عرض لها المخزومي:

عرض الدكتور المخزومي بالنقد لكثير من القضايا في عديد من أبواب النحو العربي، ولن نستطيع في هذا البحث الوقوف عند كل القضايا التي أثارها المؤلف في كتابه، خاصة أن كثيرًا منها قد عرض لها بإسهاب، يتعذر معه أن نناقشها مجتمعة في هذه السطور؛ لذا سنكتفي بعرض بعض منها ومناقشتها، على النحو الآتي:

١ـ الجملة العربية في الدرس النحوي:

يري الدكتور المخزومي أن الجملة العربية كان حظها من عناية النحاة قليلا جدًا، مع أن الجملة هي الوحدة الكلامية الصغرى، ولها أهمية كبيرة في التعبير والإفصاح والتفاهم، إذ لم يعرضوا لها إلا حين يريدون أن يبحثوا في موضوع آخر، ولم يعنوا بالبحث فيها إلا في ثنايا الفصول والأبواب، ولم يشيروا إليها إلا حين يضطرون إلى الإشارة إليها حين يعرضون للخبر الجملة، والنعت الجملة، والحال الجملة. ويؤكد المؤلف أن ابن هشام أول من عُنى بها في المغني.(١٠)

ويعلل الدكتور لهذا المسلك من النحاة قبل ابن هشام، بعنايتهم بظاهرة الإعراب وتفسيرها، وفكرة العمل والعامل، وأثر هذا العامل في الكلمات المعربة وليس في الجملة، ولذلك كان البحث في تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، وإلى المعرب والمبني. ويصل الدكتور المخزومي إلى نتيجة مفادها أن هذا المسلك أصاب الدرس النحوي بالجمود، وحرمه من مصادر حيويته. ومن ثَمَّ كان النحوي أبعد الدارسين اللغويين عن فقه اللغة ونحوها وأساليبها، لأن دراسة الأساليب لا تتم بمثل ما دأبوا عليه، ولا يتم الوصول إليها بالعكوف على ملاحظة أواخر الكلمات بناءً وإعرابًا.(١١)

وبعد أن عرض الدكتور المخزومي للقضية وناقشها، وذكر الأسباب التي أدت إلى ظهورها، وتأثيراتها في الدرس النحوي، يصل إلى ما يبرر به ما اهتدى إليه، وهو قوله: " أن نصحح نهج القدماء، ونعيد إلى هذه الدراسة اعتبارها الذي جار عليه تعنت النحاة وتمحلهم وجهلهم موضوع دراستهم، وانتهاجهم منهجًا غريبا بعيدا كل البعد عن منهج هذه الدراسة".(١٢)

وحتى يقوِّي المؤلف ما ذهب إليه يرى أن الرجوع إلى أقدم الكتب التي أُلفت في هذه الدراسة وهما كتاب سيبويه، وكتاب الفراء معاني القرآن؛ يوضح الفرق بين نهج النحاة الأوائل، ونهج النحاة المناطقة الذين أبعدوا في تجميد هذه الدراسة الحية، وإثقالها بالقيود.(١٣) ويؤكد أن علماء العربية حين فرقوا بين اختصاص النحاة، واختصاص أهل المعاني، بين صحة الكلام وفصاحته؛ كان مبنيًا على اعتبارات عقلية محضة، ومن ثم فالاختصاص واحدٌ.(١٤)

لقد حاول الدكتور المخزومي بما نعت به الدرس النحوي من عيوب أن يعلل لما ذهب إليه من وجوب النظر الكلي أو اللغوي الذي لا يقتصر على ضبط آخر الكلمة طبقًا لموقعها في الجملة.. والتعليل المنطقي البعيد عن روح اللغة، وهو ما نعته بالمنهج الفلسفي الكلامي.

ومن يقرأ ما ارتكن إليه الدكتور من أدلة، خاصة كتابي سيبويه والفراء، يستشعر شيئا من الغرابة؛ تجعله يتساءل: كيف يغيب عن الرجل أن المعاجلة العلمية للعربية في الكتابين كانت لغوية شاملة؛ إذ لم تكن حدود العلوم العربية من أصوات وصرف ونحو وبلاغة ... قد ظهرت معالمها ووجهت مباحثها بعد، وأضحت لها أُطرُ يلام من يخرج عنها، وينعت بأنه نأى بما يعالجه من قضايا عن مباحث ما يعرف بالتخصص الدقيق!

بيْد أن تلكم المعالجة الشاملة التي يدعو إليها الدكتور المخزومي هي الآن ما يُعبر عنه بمستويات التحليل اللغوي، وصار كل من يتخصص في نوع منها أو في فرع من فروعها الدقيقة لا غرابة أن يتعمق فيه، وربما لا يدري بما وصلت إليه أحدث البحوث في تخصص دقيق آخر يُعنى ببقية مستويات التحليل اللغوي الأخرى، غير أن هذا لا ينفي أن كثيرًا من المباحث اللغوية صارت تفيد من تخصصات أخرى خارج اللغة، خاصة في العلوم الإنسانية فيما يعرف الآن بالدراسات البينية.

٢ـ الجملة بين الاسمية والفعلية:

حاول الدكتور المخزومي أن يقدم مفهوما جديدًا للجملة الاسمية وللجملة الفعلية، وقد نعت ما استقر عليه النحاة من تحديد للجملتين بالساذج! الذي يقوم على أساس التفريق اللفظي المحض ولا يتفق مع طبيعة اللغة،

(١٥) ثم يقول: "ويؤخذ بعد هذا على مقالة ابن هشام أنه اعتبر الجملة الاسمية أساسًا للجملة العربية، ولهذا قدم ذكرها على حد مأخذه ومأخذ غيره في معالجة هذه الأمور، وهو مبني على أساس أن الاسم أصل والفعل فرع، لأن الاسم ـ كما يرى هو، وكما يرى البصريون ـ أصل المشتقات، لأن من المقرر عندهم أن المصدر ـ وهو اسم أصل المشتقات جميعا."(١٦)

والدكتور المخزومي لم يعترض على تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية، بل أضاف أن هذا التقسيم يقره الواقع اللغوي، (١٧) لكن الذي أوقف عليه اعتراضه هو تحديد النحاة العرب القدماء للفعلية والاسمية كما رأينا. ووصف الدكتور تحديد ابن هشام للجملتين بأنه ساذج، وعلته لهذا الوصف أن هذا التحديد يقوم على أساس من التفريق اللفظي المحض. وهو قولٌ لا يليق أن يوجه إلى قامة علمية عربية كابن هشام، لازالت آثاره العلمية لم تأخذ نصيبها بعد من البحث والدرس الجادين، ولئن صح هذا الأساس (التفريق اللفظي المحض) في التحديد كما قال الدكتور، فلا يعني أن التفريق اللفظي لا يعتد به في النظر النحوي، ولسنا في حاجة إلى ضرب أمثلة تبرهن أن التفريق اللفظي المحض كان هو المعول الوحيد عليه في كثير من مباحث العلوم اللغوية. وكان يمكن للدكتور أن يبدي اعتراضه بأن التفريق اللفظي لا يجب أن يكون هو وحده الفيصل في هذه النكتة، وابن هشام نفسه في ذات الموضع الذي استشهد به الدكتور المخزومي، يورد أمثلة تنسف الادعاء بأن التفريق اللفظي المحض هو وحده أساس التفريق بين الجملتين، بل إن المعنى المستفاد من البنية هو الأساس وإن كانت الصدارة للفظ يخالف التحديد الذي يستفاد من المعنى، يقول ابن هشام: " وَالْمُعْتَبر أَيْضا مَا هُوَ صدر فِي الأَصْل فالجملة من نَحْو كَيفَ جَاءَ زيد وَمن نَحْو {فَأَي آيَات الله تنكرون} وَمن نَحْو {ففريقا كَذبْتُمْ وفريقا تقتلون} و {خشعا أَبْصَارهم يخرجُون} فعلية لِأَن هَذِه الْأَسْمَاء فِي نِيَّة التَّأْخِير وَكَذَا الْجُمْلَة فِي نَحْو يَا عبد الله وَنَحْو وَكَذَا الْجُمْلَة فِي نَحْو يَا عبد الله وَنَحْو {وَإِن أحد من الْمُشْركين استجارك} {والأنعام خلقهَا} {وَاللَّيْل إِذا يغشى} لِأَن صدورها فِي الأَصْل أَفعَال وَالتَّقْدِير: أَدْعُو زيدا وَإِن استجارك أحد وَخلق الْأَنْعَام وَأقسم وَاللَّيْل" (١٨) إذ المعنى المستفاد من الجملة هو الأساس الذي بنى عليه ابن هشام تحديد للجمل بالفعلية، رغم أن الصدارة ليست للفعل.

أما ادعاء الدكتور المخزومي أن ابن هشام اعتبر الجملة الاسمية أساسًا للجملة الفعلية، فهذا ما لم يستطع الدكتور أن يقيم عليه دليلا من مصادر ابن هشام، بل هو استنتاج له، فَهِمَهُ من كلامه، وعلى هذا الاستنتاج بنى نتيجة أخرى يقول فيها: إن ابن هشام قدَّم ذكر الجملة الاسمية، وهذا منهج لابن هشام ولغيره ويقصد البصريين.

وليس بعيدًا أو مستغربًا أن يُفهم من كلام الدكتور أنه يطعن في هذا المنهج، ويؤكد هذا الفهم وصفه للنماذج التي أوردها ابن هشام بالارتباك الذي اعترى الأمثلة الممثلة للجملة الاسمية، ويناقش مثالا على ذلك هو اسم الفعل (هيهات).(١٩)

بعد ذلك يصل الدكتور المخزومي إلى نتيجة مفادها ضرورة النظر في تحديد الفعلية والاسمية في الجمل، على أساس ما يقتضيه الأسلوب اللغوي. آملا الوصول إلى تفريق يدخل في كلا القسمين ما هو منه، ويخرج من كليهما ما ليس منه.(٢٠) فالجملة الفعلية هي الجملة التي يدل فيها المسند على التجدد، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجددًا، وبعبارة أوضح، هي التي يكون فيها المسند فعلا لأن الدلالة على التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها. ويستشهد الدكتور بما جاء عند القزويني عند ذكر أحوال المسند: أنه فعل للتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أحضر وجه مع إفادة التجديد.(٢١)

ثم يأتي أيضا برأي الجرجاني: أنَّ موضوعَ الاسم على أن يُثْبَتَ به المعنى للشيءِ من غيرِ أن يَقتَضي تجدُّده شيئاً بعْدَ شيء، وأما الفعلُ فموضوعُه على أنه يقتضي تَجدُّدَ المعنى المُثْبَت به شيئاً فشيئاً، بل يكونُ المعنى فيه كالمعنى في قولك: "زيد طويل"، و "عمرو قصير": فكما لا تقصد ههنا إلى أن تَجعل الطولَ أو القِصَر يتجدَّد ويَحدثُ، بل تَوجِبُهما وتُثْبِتُهما فقط، وتَقْضي بوجودِهما على الإطلاقِ، كذلك لا تتعرَّضُ في قولك: "زيدٌ منطلقٌ" لأكْثَرَ مِن إثباتِهِ لِزَيد. وأمَّا الفعلُ، فإنهُ يُقْصَدُ فيه إلى ذلك، فإذا قلتَ: "زيدٌ ها هو ذا يَنْطلقُ"، فقد زَعمْتَ أنَّ الانطلاقَ يقعُ منه جُزءاً فجزءاً، وجعلْتَهُ يُزاوله ويُزَجِّيه. وإنْ شئتَ أن تُحِسَّ الفرْقَ بينهما مِنْ حيثُ يَلْطُفُ، فتأملْ هذا البيت:

لا يأْلَفُ الدِّرْهَمُ المَضْرُوبُ خِرقَتَنا، ... لكِنْ يَمُرُّ عليها وهو منطلق (٢٢)

ولم تسلم فكرة الدكتور المخزومي من النقد، حين خلط بين المفاهيم البلاغية والمفاهيم النحوية، وأراد الإفادة من الأولى، يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: " غير أن الدكتور المخزومي الذي أفاد من مقالة الجرجاني واتخذها دليلا للتمييز بين الجملتين الاسمية والفعلية، لم يفطن إلى أن هذه المقالة حجة عليه، فالتجديد المنسوب إلى الفعل المنسوب إلى الاسم يتحقق في قولهم: "محمد سافر"، " سافر محمد" ومن هنا لا يمكن للسيد المخزومي ولا لغيره الإفادة من هذه المقالة البلاغية النقدية. أما نحن فنقول: "محمد سافر"، " سافر محمد" جملتان فعليتان ما دام المسند فعلا، وليس لنا أن نلصق التجدد بالفعل؛ لأن ذلك ليس من منهجنا، ولأن الشواهد لا تؤيد هذا التجدد المزعوم. وكيف لنا أن نفهم التجدد والحدوث في قولنا: "مات محمد، و"هلك محمد" وانصرف بكر، فهذه الأفعال كلها أفعال منقطعة لم يكن لنا أن نجريها على التجدد."([٢٣])

٣ـ النظر الفلسفي والمنطقي في القضايا النحوية:

كثيرا ما ناقش الدكتور المخزومي القضايا النحوية التي عرض لها في كتابه، وبعد أن يعرض ما يراه فيها منْ بُعد عن النظر اللغوي السديد، يُرجع ذلك إلى تأثير المنهج الفلسفي والتفكير المنطقي على النحاة القدماء في دراستهم اللغة والنحو.

حيث يؤكد أن النحاة والبصريين خاصة، قد استأنسوا بالمنهج الفلسفي في دراسة النحو واللغة، وقد سيطر هذا المنهج على أذهانهم بحيث جعلوا كل حركة في أي موضوع أثرًا لعامل، وأنزلوا العامل النحوي المزعوم منزلة العلة والسبب، غير ناظرين إلى مقتضيات الأسلوب والاعتبارات اللغوية الأخرى. ويبرئ ساحة الخليل والفراء ومن في طبقتهما من ذلك؛ فكل ما تركاه من آثار كان نتيجة لدراسة لغوية بعيدة عن أسلوب الفلاسفة.([٢٤])

وليس الدكتور وحده صاحب هذا الرأي، فالدكتور عبد الرحمن أيوب يؤكد أن التأثر بالفلسفة الإغريقية في قضية الموجودات، قد ظهر بجلاء عند النحاة العرب، إذ اتخذ النحاة العرب الدلالة أساسًا لتقسيم الكلمة وتعريفاتها: فحصروها في ثلاثة أنواع: (اسم، وفعل، وحرف) مع وجود أنواع أخرى كأسماء الأفعال، وذلك نتيجة

التأثر بهذه الفلسفة، كما أن التعريفات التي قال بها النحويون للاسم والفعل والحرف، تنطبق كل الانطباق على أجزاء الموجودات التي ذكرتها فلسفة أفلاطون.(٢٥)

ومن جملة القضايا التي رأى الدكتور المخزومي فيها هذا التأثر قضية (النصب بالفتحة)، وقد افتتحها بقوله: " ليست الفتحة علمًا لشيء خاص، ولكنها علم كون الكلمة خارجة عن نطاق الإسناد أو الإضافة، وهي الحركة الخفيفة المستحبة التي يهرع إليها العربي ما وجد للخفة سبيلا." (٢٦) ثم يقول: "وهو رأي الخليل في كثير من المنصوبات كالمنادى المضاف، وما يسمونه بالشبيه بالمضاف، ثم ينقل عن الخليل ما جاء في كتاب سيبويه: " إنهم نصبوا المضاف، نحو يا عبد الله، ويا أخانا، والنكرة حين قالوا: يا رجلا صالحًا، حين طال الكلام، كما نصبوا هو قبلَكَ، وهو بعدَكَ"(٢٧) ثم يقول: " أما النحاة ـ والبصريين خاصة ـ فالفتحة أثر للعامل كالحركتين الأُخْريين فهي منسوبة إليه أبدا، ولذلك عزوا فتحة المنادى المنصوب إلى عامل تكلفوا في تقديره، فقالوا هو (أدعو)، وقامت (يا) مقامه، ونابت عنه.(٢٨) حيث يرى أن المناديات المنصوبات لم تؤدِ أية وظيفة لغوية، ولم تُنصب إلا لأن الفتحة أخف ما يستعان به على تحريكها في درج الكلام كما فطن الخليل.(٢٩) وبعد أن يستعرض كثيرًا من المنصوبات عند النحاة العرب يصل إلى أن معالجاتِهم لهذه الموضوعات ـ كما تدل عليها أقوالهم ـ معالجةُ منطقية بحتة، لا أثر فيها لفقه لغوي، ولا إلمام بأساليب الكلام. (٣٠)

ولن نستطيع في هذه العجالة أن نتتبع الدكتور في كل ما كتبه حول المنصوبات واستأنس فيه برأي أستاذه ورائده في هذا المجال، الأستاذ إبراهيم مصطفى. لكننا نحاول أن نناقش بعضا منها، فأما قوله عن الفتحة (ليست الفتحة علمًا لشيء خاص ... وهي الحركة الخفيفة المستحبة التي يهرع إليها العربي ما وجد للخفة سبيلا.) ثم نسبة هذا إلى الخليل، فإن ما نقله من كتاب سيبويه لم يؤكد هذا الكلام، تصريحًا ولا تلميحا: (إنهم نصبوا المضاف، نحو يا عبد الله، ويا أخانا، والنكرة حين قالوا: يا رجلا صالحًا، حين طال الكلام، كما نصبوا هو قبلَكَ، وهو بعدَكَ) فهل يفهم من هذا علة الفتحة ناصبةً؟، وأما عن علة نصب المنادى كما أوردها الدكتور عن النحاة القدماء، بتقدير الفعل (أدعو)، فما الضرر الذي يصيب المتعلم بذلك؟ وما الذي يبعد هذا الكلام عن

روح الأسلوب وطبيعة النظر اللغوي؟ وأما عن أن المناديات المنصوبات لم تؤدِ أية وظيفة لغوية، فهل المناديات المبنية أدت وظيفة لغوية؟ وما هي هذه الوظيفة المرجوة من المناديات؟

خاتـمة:

وبعد فقد حاول هذا البحث الوقوف على بعضٍ من جهود أحد العلماء المحدثين، الذين عَنوا بالنظر النحوي في جهود سلفنا، وليس لنا ـ نحن الخَلف ـ أن نحقِّر من منجزات هذا السلف التي كانت شاهدة على مظهر من مظاهر التفكير ازدهرت به الحضارة العربية الإسلامية، وبالإمكان أن نتصور كيف يكون حال التراث اللغوي إن لم يوجد هؤلاء، أو كانوا منشغلين بشيء ما، ألهاهم عما يجب أن ينجزوه لأمتهم وحضارتهم!

رحم الله سلفنا، وأعاننا على محاولة تقديم قراءة منصفة وجادة لتراثهم، تضيف إليه، وتقدمه للأجيال بكل فخر واعتزاز. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الهوامش:

(١) انظر: د. امحمد بنبري: نظرة في النحو العربي، مفهومه وسبيل تحصيله، في: مجلة: الإحياء، جامعة باتنة ١ الحاج لخضر، الجزائر، مجلد١١، ع ١، ص٢٢٤.

(٢) انظر: د. صابر بكر أبو السعود: في نقد النحو العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة (١٩٨٨م)، ص ٧ وما بعدها. ود. عز الدين عماري: في نقد النحو العربية . بحث في النشأة والتطور، في: مجلة المقرى للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة محمد بضياف . المسيلة الجزائر، ع٣، (٢٠١٨) ص١٥٠.

(٣) انظر: سليمان يوسف خاطر: منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم ، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان (١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م) ص١٧١.

(٤) انظر في ذلك:

ـ تصدير مصطفى السقا لكتاب (في النحو العربي: نقد وتوجيه): د. مهدي المخزومي: في النحو العربي: نقد وتوجيه، بيروت، دار الرائد العربي، ط ٢ (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦) ص٥ وما بعدها.

ـ د. سهيلة طه محمد البياتي: المنهج الوصفي في كتاب (في النحو العربي نقد وتوجيه) مجلة سر من رأى (٢٠٠٨) المجلد ٤، العدد ١١، ص ٤٢.

ـ عبد الحميد الرشودي: الدكتور مهدي المخزومي وجهوده في الدراسات النحوية واللغوية، ملاحق المدى، في: ٢٣/١٠/٢٠١٩ https://almadasupplements.com/view.php?cat=21513

ـ إيمان جباري، وأحمد جلايلي: محاولات تيسير النّحو عند مهدي المخزومي، في مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، المجلد ٥، العدد ٢ ص١١٠ في:
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/66665#15041

(٥) انظر: د. مهدي المخزومي: في النحو العربي: نقد وتوجيه، بيروت، دار الرائد العربي، ط ٢ (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦) ص٥ وما بعدها.

(٦) انظر: د. مهدي المخزومي: في النحو العربي: نقد وتوجيه، ص ١٠

(٧) المرجع السابق، ص ١٦.

(٨) السابق، ص ١٩.

(٩) انظر: تصدير الأستاذ السقا للكتاب في: د. مهدي المخزومي: في النحو العربي: نقد وتوجيه، ص٩.

(١٠) د. مهدي المخزومي: في النحو العربي ، ٣٢-٣٣.

(١١) المرجع السابق، ص ٣٥.

(١٢) السابق، ص ٣٤.

(١٣) السابق، ص ٣٥.

(١٤) السابق، نفس الصفحة.

(١٥) المرجع السابق، ٣٩.

(١٦) السابق، ص ٤٠.

(١٧) السابق، ص ٣٩.

(١٨) ابن هشام (عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ت٧٦١هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط ٦(١٩٨٥)١/٤٩٣.

(١٩) د. مهدي المخزومي: في النحو العربي ص ٤١

(٢٠) المرجع السابق، ص ٤٢.

(٢١) انظر: السابق ص ٤١، والقزويني (الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، ت ٧٣٩): الإيضاح في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي (١٩٠٤) ، ص ١٠١.

(٢٢) الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، ت ٤٧١هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة ـ دار المدني بجدة، ط ٣(١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ١/١٧٤.

(٢٣) د. إبراهيم السامرائي: الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاني، بغداد (١٣٦٨هـ ـ١٩٦٦م) ص٢٠٢.

(٢٤) د. مهدي المخزومي: في النحو العربي، ص ٨٣.

(٢٥) انظر: د. عبد الرحمن أيوب: دراسات نقديّة في النحو العربيّ، مؤسسة الصباح، الكويت (١٩٨٠) ص ١٠. ود. مصطفى أحمد قنبر: نقد النحو العربي عند المحدثين، في: النحو العربي واللسانيات المعاصرة، تحرير وإشراف د. مختار حسيني، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة ـ الأغواط الجزائر، ط ١(١٤٤١هـ ــ ٢٠٢٠) ص٣٩٣.

(٢٦) د. مهدي المخزومي: في النحو العربي، ص ٨١.

(٢٧) السابق، نفس الصفحة.

(٢٨) د. مهدي المخزومي: في النحو العربي، ص ٨٢

(٢٩) المرجع السابق، ص ٨٥.

(٣٠) المرجع السابق، ص ٩٥

المراجع والمصادر

أولا: الكتب:

١ ـ د. إبراهيم السامرائي: الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاني، بغداد (١٣٦٨هـ ـ١٩٦٦م).

٢ ـ الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت ٤٧١هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة/ دار المدني بجدة، ط٣ (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م).

٣ ـ د. صابر بكر أبو السعود: في نقد النحو العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة (١٩٨٨م).

٤ ـ د. عبد الرحمن أيوب: دراسات نقديّة في النحو العربيّ، مؤسسة الصباح، الكويت (١٩٨٠).

٥ ـ القزويني: (الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، ت ٧٣٩): الإيضاح في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي (١٩٠٤).

٦ ـ د. مصطفى أحمد قنبر: نقد النحو العربي عند المحدثين ـ عبد الرحمن أيوب نموذجًا، في: النحو العربي واللسانيات المعاصرة، تحرير وإشراف د. مختار حسيني، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة ـ الأغواط الجزائر، ط ١(١٤٤١هـ ــ ٢٠٢٠).

٧ ـ د. مهدي المخزومي: في النحو العربي: نقد وتوجيه، بيروت، دار الرائد العربي، ط ٢ (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦)

٨ ـ ابن هشام (عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ت٧٦١هـ): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط ٦(١٩٨٥).

ثانيا: الرسائل الجامعية:

٩ ـ سليمان يوسف خاطر: منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان (١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م)

ثانيًا: الدوريات:

١٠ ــ د. امحمد بنبري: نظرة في النحو العربي، مفهومه وسبيل تحصيله، في: مجلة: الإحياء، جامعة باتنة ١ الحاج لخضر، الجزائر، مجلد١١، ع ١.

١١ ـ إيمان جباري، وأحمد جلايلي: محاولات تيسير النّحو عند مهدي المخزومي، في مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، المجلد ٥، العدد٢.

١٢ ـ د. سهيلة طه محمد البياتي: المنهج الوصفي في كتاب (في النحو العربي نقد وتوجيه) مجلة سر من رأى (٢٠٠٨) المجلد ٤، العدد ١١.

١٣ ــ عبد الحميد الرشودي: الدكتور مهدي المخزومي وجهوده في الدراسات النحوية واللغوية، ملاحق المدى، في: ٢٣/١٠/٢٠١٩ ــ https://almadasupplements.com/view.php?cat=21513

١٤ ـ ــ د. عز الدين عماري: في نقد النحو العربية . بحث في النشأة والتطور، في: مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة محمد بضياف . المسيلة الجزائر، ع٣، (٢٠١٨).

التنمية اللغوية العربية

-دراسة تطبيقية على الالفاظ المجمعية والمحدثة في المعجم الوسيط-

(للترقية)

أ. م. د. سنكر علي مامة/ الجامعة : جامعة أربيل التقنية : المعهد التقني الإداري / أربيل

القسم: المعلومات والمكتبات

الملخص باللغة العربية:

هذا البحث يتناول تنمية اللغة العربية وطرائق تطورها، وتلك الكلمات التي تطورت في عصرنا، وقد بدت المجامع اللغوية العربية في الدول العربية جهودا مبذولة لتنمية اللغة العربية ولاسيما (مجمع اللغة العربية في مصر)، وذلك باستحداث الكلمات الجديدة؛ اعتمادا على القياس والاصل، ولهذا اخترنا هذا البحث الموسوم بـ(التنمية اللغوية العربية -دراسة تطبيقية على الالفاظ المجمعية والمحدثة في المعجم الوسيط-) لبيان جهود مجمع اللغة العربية في مصر في استحداث الالفاظ المجمعية والمحدثة في المعجم الوسيط، وهذا البحث يتكون من مقدمة وخاتمة، وثلاثة مباحث، أما المبحث الاول فبعنوان: (التنمية اللغوية العربية)، وأما المبحث الثاني فبعنوان (المجامع و الأكاديمية اللغوية في الدولية العربية)، وأما المبحث الثالث فبعنوان(المعجم الوسيط و الألفاظ المحدثة والمجمعية في المعجم الوسيط).

مفتاح الكلمات

المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية في مصر – الألفاظ المجمعية – الألفاظ المحدثة

الملخص باللغة الانكليزية:

This research is the development of the Arabic language and its methods of development, and from those words that developed those words that developed those words that developed in our time, and the Arab linguistic societies in the Arab countries saw efforts made, especially (the Arabic Language Academy in Egypt). This research is the efforts of the Arabic Language Academy in Egypt. In the introduction of the publication of collocative and updated words in the Intermediate Dictionary,

This research consists of an introduction and a conclusion, and three topics. As for the first topic, it is titled: (Arab Linguistic Development), and the second topic is entitled (Linguistic Academies and Academies in the Arab International), and the third topic is titled (Intermediate Lexicon and Updated and Collective Terms in the .Intermediate Dictionary)

مقدمة

لقد نمت العربية نموا كبيرا في عهود التطور العلمي والازدهار الحضاري منذ بواكرها، وقد كان العصر العباسي يموج بالحركة العلمية والثقافية وكان لابد من التعبير عنها فاتسعت اللغة وربت ووجد فيها العلماء والمؤلفون مادة وسعت علومهم وأفكارهم ولولا ما أصاب العرب في العهود المتأخرة من قهر سياسي وتخلف فكري لازدادت نموا، وازدهرا ازدهارا عظيما، ثم إن سدنة اللغة العربية أحيوا ما اندرس منها وعادوا إليها حياتها التي سلبتها عهود القهر والتخلف، وسعوا إلى أن تستجيب لمتطلبات الحياة الجديدة التي أخذت نسماتها تهب، ولاسيما بعد الاتصال بالغرب والاطلاع على ملامح العصر الجديد.

واللغة العربية معروفة بالمواكبة على التطور والتنمية اللغوية، ولهذا نمت نموا كبيرا في عهود التطور العلمي والازدهار الحضاري، في كل العصور والأزمنة، وإن ترخت في بعضها ولكنها استقامت على رجلها بسواعد اللغويين وازدهرت من جديد، وفي عصرنا هذا جاءت المجامع اللغوية العربية في بعض الدول العربية للحفاظ على هذا الإرث العظيم، فوضعوا مصطلحات و ألفاظ وكلمات محدثة ومجمعية لركوب بحر التطور، ولهذا اخترنا هذا البحث الموسوم بـ(التنمية اللغوية العربية –دراسة تطبيقية على الالفاظ المجمعية والمحدثة في المعجم الوسيط–) للتعرف على جهود مجمع اللغة العربية في مصر اللغوية في الالفاظ المجمعية والمحدثة، ولذلك جاءت خطبة البحث على مقدمة، وخاتمة، وثلاثة مباحث، أما المبحث الاول فبعنوان: (التنمية اللغوية العربية)، ويبحث (وسائل نمو اللغة العربية)، وأما المبحث الثاني فبعنوان: (المجامع و الأكاديمية اللغوية في الدولية العربية)، وأما المبحث الثالث فبعنوان: (المعجم الوسيط و الألفاظ المحدثة والمجمعية في المعجم الوسيط) وهو دراسة تطبيقية على الالفاظ المحدثة والمجمعية في المعجم الوسيط.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة هذا البحث في:

١- هل مجمع اللغة العربية في مصر له باع في استحداث الالفاظ الجديدة؟

٢- كيف واكب مجمع اللغة العربية في مصر القرارات التي تصدر منه؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقق هذه الأهداف:

١- التعرف على أهداف مجمع اللغة العربية في مصر اللغوية، وجهوده في حقل المصطلح العلميّ.

٢- وسائل نمو اللغة العربية.

٣- معرفة الألفاظ المحدثة والمجمعية في المعجم الوسيط.

فرضية البحث:

١- ماذا قدم مجمع اللغة العربية في مصر من جهود لغوية للحفاظ عليها؟

٢- هل قرارات مجمع اللغة العربية في مصر قرارات صائبة؟

منهج الدراسة:

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في التعرف على الألفاظ المجمعية والمحدثة في عصرنا هذا.

حدود البحث:

يتناول هذا البحث باب (الألف) فقط للتعرف على الألفاظ المجمعية والمحدثة لكي لا يطول البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الاول

التنمية اللغوية العربية

١ – التطور اللغوي في اللغة العربية

إن اللغة هي ((أصوات يعبر بها كل قوم من أغراضهم))[١]، وهي مرتبطة بتطور المجتمع والفكر الانساني، ولذلك كانت لغات الشعوب المتقدمة أوسع من غيرها في مفرداتها وأساليبها واللغة العربية نشأت لتسد حاجة المتكلمين بها، ففي البداية كانت محدودة ولكن بعد ذلك إتسعت بإتساع الحياة العربية، وتقدم الأمة وكان القرآن الكريم ثورة في اللغة إذ فجر طاقاتها وجعلها تستوعب الدين الجديد والحياة التي بدات تغير بتقدم العرب علميا وحضاريا، وقد نقل القرآن كثيرا من الألفاظ إلى معان جديدة، أو أكسبها دلالة لم تكن معروفة من قبل الاسلام.

ونمت العربية نموا كبيرا في عهود التطور العلمي والازدهار الحضاري، وكان العصر العباسي يموج بالحركة العلمية والثقافية وكان لابد من التعبير عنها فاتسعت اللغة وربت ووجد فيها العلماء والمؤلفون مادة وسعت علومهم وأفكارهم ولولا ما أصاب العرب في العهود المتأخرة من قهر سياسي وتخلف فكري لازدادت نموا، وازدهرا ازدهارا عظيما، ولولا كتاب الله والامناء عليه لأصابها شيء من الضياع وكان للنهضة الفكرية أواخر القرن التاسع عشر أثر في عودة الروح إلى العربية، إذ بدأ المؤمنون بأمتهم ولغتها يحيون ما اندرس منها ويعيدون إليها بهاءها الذي سلبته عهود القهر والتخلف، ويسعون إلى أن تستجيب لمتطلبات الحياة الجديدة التي أخذت نسماتها تهب ولاسيما بعد الاتصال بالغرب والاطلاع على ملامح العصر الجديد[٢].

لقد وجد العاملون في حقل تنمية اللغة أن العربية تحمل في نفسها عوامل نموها وازدهارها، وهو مت وقف عنده القدماء يوم تعرضوا للحياة الجديدة وقد استطاعوا أن يحققوا نصرا كبيرا حينما درسوها دراسة عميقة واستخلصوا وسائل نموها وقدرتها على استيعاب متطلبات الحياة وكانت هذه الوسائل عدتهم فيما سعوا إليه فعكفوا عليه دارسين يحدوهم حب لغة القرآن الكريم، وحب أمتهم التي آمنوا برسالتها الانسانية، وهي المجاز، والاشتقاق، والتعريب، والارتجال، والتوليد، والنحت، والقياس[٣].

وشاء الله أن تنتبه العربية في العصر الحديث وأن تخطو خطوات جبارة بفضل الرواد الاوائل حيث وضعوا المعاجم وألفوا الكتب واهتموا بإحياء الالفاظ الفصيحة والاساليب البليغة[٤].

عقد القدماء من علماء العربية فصولا مستفيضة في كتبهم لبحث مسائل عديدة من اللغة تدور كلها حول ظاهرة واحدة الا وهي نمو اللغة في ألفاظها وأساليبها، ووسائل هذا النمو، وهم في علاجهم لتلك المسائل لا يكادون يربطون بينها، ولا نكاد نلحظ في كلامهم أنهم نظروا إلى كل تلك المسائل على إنها المنابع أو الوافد التي تمد اللغة بكل جديد مستحدث من الكلمات أو الالفاظ أو الاساليب[٥].

إن طرائف نمو اللغة أمدتنا بفيض زاخر من الالفاظ والاساليب، وجعلت لغتنا العربية اغزر اللغات السامية مادة، واكثرها تنوعاً في الاساليب، وأدقها في القواعد[٦].

٢ – وسائل نمو اللغة العربية

هناك عوامل ووسائل كثيرة لتنمية اللغة العربية، وتقسم تلك العوامل على عوامل متعددة، يمكن بيانها على النحو الأتي:

١– الإرتجال: هو وضع كلمات جديدة لم تكن معروفة من قبل، والارتجال وسيلة من وسائل نمو اللغة ووضع المصطلحات وقد قال إبن جني: ((أن الأعرابي اذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد به فقد حكي عن رؤبة وأبيه أنهما كا ن يرتجلان الفاظا لم يسمعاها ولا سبقا اليها)) [٧].

٢– الاشتقاق: هو أخذ كلمة أو أكثر من أخرى لمناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في الأصل اللفظي والمعنوي ليدل بالثانية على المعنى الاصلي مع زيادة هامة لأجلها إختلفت بعض حروفها أو حركاتها أو هما معا[٨]، وللاشتقاق دور في تكوين المصطلحات وتنميتها في العصر الحديث فقد اهتم به اللغويون العرب المعاصرون وأولوه عناية كبيرة[٩]، إذ هو من الوسائل المهمة لنمو اللغة ولذا ((فقد تنبه علماء العربية القدماء إلى فكرة الاشتقاق منذ بدءوا يبحثون في اللغة، وربطوا بين الألفاظ ذات الأصوات المتماثلة والمعاني المتشابهة، واتضحت لهم ناحية الأصالة والزيادة في مادة الكلمة)) [١٠].

وهناك الكثير من الكلمات المشتقة التي يجري استعمالها بسهولة ويسر و((تم التعود عليها حتى غدت جزءاً ثابتاً من رصيدنا المعجمي مثل: ثلاجة، فرامة، طحانة، جرافة، حوامة، الحاسوب، الهاتف، السيارة، المقسم (الذي يوزع الاتصالات الهاتفية في مكان ما كمؤسسة أو وزارة) وقد تناولت مجموعة قرارات أصدرها مجمع القاهرة اللغوي قضية " الاشتقاق " مؤكداً على أن الحياة المعاصرة تتطلب اشتقاق كلمات لم ترد في المعاجم العربية ويمكن صياغتها بوسائل لغوية عدة كي تصلح هذه الكلمات للتعبير عن المفاهيم المستحدثة في العلوم والصناعة والاقتصاد وغيرها من صنوف العلم))[١١].

٣– القياس: هو حمل مجهول على معلوم وحمل غير المنقول على ما نقل وحمل ما لم يسمع على ما سمع في حكم من الاحكام وبصلة جامعة بينهما، قال إبن الأنباري: ((هو في عرف العلماء عبارة عن تقير الفرع بحكم الاصل على الفرع. وقيل: هو إلحاق الفرع بالاصل بجامع، وهو أيضا اعتبار الشيء بالشيء بجامع))[١٢]، وقال أبو عثمان المازني إن ((ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب))[١٣].

٤– المجاز: هو نقل الكلمة أو المفردة من المعنى القديم إلى المعنى الجديد مع قرينة تدل على ذلك النقل، وقد اختلف القدماء فيه فقد اعتقد بعضهم أن اللغة كلها حقيقية، واعتقد البعض الآخر إنها مجازية، واعتقد فريق

آخر إنها خقيقية ومجاز، وقد استعمل العرب اللونين في كلامهم، حيث كان المجاز بابا واسعا دخلوه للتفنن والابداع وكان من اكثر وسائل التصوير وأوسعها أفقا، وأبعدها مدىً[١٤].

٥- التوليد: لقد أورد (أحمد مطلوب) في بحثه الموسوم بـ(المصطلح نشأته وتطوره) قول السيوطي وحسن ظاظا، إذ قال: ((المولد هو ما احدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم))[١٥]، وإن المصنوع يذكره صاحبه على أنه عربي فصيح وهذا بخلاف المولد[١٦]، وقال الدكتور حسن ظاظا أن التوليد ((هو لفظ عربي البناء اعطي في اللغة الحديثة معنى يختلف عن المعنى القديم مثل: الجريدة، والمجلة، والسيارة، والطيارة)) [١٧] ثم قال: ((ان الدخيل افضل من المولد احيانا وذلك خشية ان يختلط بالمعنى القديم الذي ما يزال متداولا فمثلا بالهاتف وقال: ما نزال نفضل على الهاتف كلمة التلفون الدخيلة، لان الهاتف بمعناه القديم ما يزال صالحا للاستعمال)) [١٨].

٦- الاقتراض أو المعرب: هو أخذ كلمة أو اسلوب من لغة واستعمالهما في لغة أخرى، وقد استعمل اللغويون المحدثون هذا المصطلح بينما استعمل القدماء مصطلحا آخر وهو(المعرب) وهو عندهم: استعمال العرب للألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها، وقالوا: عن تعريب الاسم الاعجمي: ((أن تتفوه به العرب على منهاجها)) [١٩]، وقالوا عن التعريب أيضا أنه نقل اللفظة أو المفردة من العجمة إلى العربية[٢٠]. وقد يطلق على المعرب اسم (الدخيل)[٢١]، ولكن المحدثون يفرقون احيانا بينهما ويقولون ان الدخيل هو لفظ أخذته اللغة من لغة أخرى. وتأتي الكلمة الدخيلة كما هي أو بتحريف طفيف في النطق[٢٢].

والتعريب ((ظاهرة من ظواهر التقاء اللغات بالتقاء أهلها بطريقة مباشرة كالحرب والاحتلال والدراسة والترحال والتجاور أو غير مباشرة كالإعلام والتجارة والاتصال بوسائل حديثة كالهاتف والشبكة الدولية للمعلومات))[٢٣]، وهو يعني: ((استعمال اللغة العربية في مختلف فروع المعرفة كلاماً وكتابةً ، دراسةً وتدريساً ، وبحثاً وترجمةً وتأليفاً)) [٢٤]، ويعني أيضا: ((صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية)) [٢٥]، وإن من شأن التعريب أن ينمي((المصطلحات ويزيد من مفردات اللغة مما يثريها ويوسع الفرص أمام أبنائها للبحث والإنجاز. ونظراً لأهمية نقل العلوم والمعرفة إلى اللغة العربية فقد كان التعريب مكانة واضحة في العديد من الدول العربية وقامت فيها مراكز تُعنى بتعريب العلوم الحديثة وعلى رأسها مكتب تنسيق التعريب ومجلته " اللسان العربي " إلى جانب مراكز التعريب الأخرى)) [٢٦].

وكان لمجامع اللغة العربية دور كبير في التشجيع على التعريب حيث رأى مجمع اللغة العربية في القاهرة أن ((للتعريب في عصرنا الحديث فوائد تتلخص في غنى اللغة بذخيرة من الكلمات التي تعبر عن كل ظلال

المعاني الإنسانية، كما أنه يمدنا بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لا نستغني عنها في نهضتنا العلمية)) [٢٧].

والاقتراض اللغوي ((يؤدي الاحتكاك المباشر وغير المباشر بين الشعوب ولغاتها إلى انتقال مفردات من لغة لأخرى. فاللغة العربية شهدت عبر تاريخا الطويل وما تزال تشهد دخول مفردات وألفاظ ومصطلحات عديدة من لغات الشعوب المجاورة والبعيدة كالفارسية والتركية والإنجليزية والفرنسية. ويعرف هذا الانتقال للمفردات من لغة لأخرى بالاقتراض المعجمي أو المفرداتي وقد يسمى بالاستعارة اللغوية)) [٢٨].

ومما لاشك فيه أن الاقتراض اللغوي من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية ساهم في تكوين الكثير من المصطلحات وتنميتها في العديد من صنوف العلم، ((فاقتراض الألفاظ عمل يقوم به الأفراد كما تقوم به الجماعات، وفي العصور الحديثة قد تقوم به أيضا الهيئات العلمية كالمجامع اللغوية وأمثالها. على أن عمل الفرد هنا لا يظل عملاً منعزلاً عن الناس، بل رغم أنه يبدأ كعمل فردي لا يلبث في غالب الأحيان أن يقلده مجموعة من أفراد، ثم قد يصبح ملكاً للجماعة كلها، ويكون حينئذ عنصراً من عناصر اللغة المستعيرة)) [٢٩]، و حتى لا تعاني الأمة من التغريب في لغتها وثقافتها فـ((لقد أدى الاقتراض اللغوي إلى دخول المئات وربما الآلاف من الكلمات الأجنبية إلى اللغة العربية، حيث تنوعت تلك الألفاظ بين علمية تتعلق بالتقنية وغيرها من العلوم التطبيقية مثل كلمات (الكمبيوتر، التلفزيون، الموبايل، الديسك، الانترنت، الويب، سي دي، التلفون، الفيروس، الفيتامين) وبين ألفاظ ترتبط بالعلوم الإنسانية مثل كلمات:(الديمقراطية، الكونفدرالية، الفيدرالية، الأنثروبولوجيا، الميتافيزيقيا، الفلكلور)، ولا شك أن هذا الكم الكبير من المفردات المقترَضة يساهم في تنمية كلمات اللغة ولكنها تبقى ألفاظاً دخيلة تحتاج)) [٣٠].

٧- النحت: ((اخذ كلمة من كلمتين او اكثر مع المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى معا: بأن تعمد الى كلمتين او اكثر فتسقط من كل منهما او من بعضها حرفا او اكثر وتضم ما بقى من احرف كل كلمة الى الاخرى وتؤلف منها جميعا كلمة واحدة فيها بعض احرف الكلمتين او الاكثر وما تدلان عليه من معان))[٣١] ولكي لا يقع التباس أو إختلاط يلجأ إليه أصحاب اللغة الإختصار، والنحت معروف عند العرب وهو سماعي، وقد ذهب ابن فارس إلى أن كثيرا من الكلمات الرباعية والخماسية تألفت منه[٣٢]، ولكن أبا حيان الأندلسي قال: ((وهذا الحكم لا يطرد وانما يقاس منه ما قالته العرب)) [٣٣].

ويجيء النحت أما من جملة للدلالة على التكلم بهذه الجملة أو من علم مؤلف من مضاف ومضاف إليه، أو من أصلين مستقلين للدلالة على معنى مركب في صورة ما من معاني هذين الاصلين[٣٤].

والنحت من الظواهر اللغوية العربية التي عني بها الباحثون لأهميتها في رفد اللغة بالعديد من الألفاظ والمصطلحات، ((وقد عرفت اللغة العربية النحت على نحو محدود منذ الجاهلية وسجل اللغويون في القرن الثاني الهجري أمثلة بأعيانها تناقلتها كتب اللغة على مدى القرون، ثم طرحت قضية النحت في العصر الحديث في إطار الإفادة من الإمكانيات اللغوية المختلفة لصوغ المصطلحات العلمية والكلمات الحضارية)) [٣٥].

والنحت من أهم وسائل تكوين المصطلحات العلمية وتنميتها ومعناه: ((أن يُعمد إلى كلمتين أو جملة، فتُنزَعُ من مجموعة حروف كلماتها كلمة فذّة تدل على ما كانت تدل عليه الكلمتان، أو الجملة نفسها)) [٣٦].

وقد وافق مجمع اللغة العربية في القاهرة على نحت الكلمات العربية عند الضرورة ونص القرار بأنه ((يجوز النحت عندما تلجئ الضرورة العلمية إليه)) [٣٧].

المبحث الثاني:

المجامع و الأكاديمية اللغوية في الدولية العربية

١- نشأة المجامع اللغوية

أدت الأحوال التاريخية إلى ظهور عوامل جديدة أفضت إلى نهضة عربية هي في الحقيقة نهضة لغوية في منطلقاتها ومضامينها، وقد كان للطباعة والصحافة والمدارس الجديدة ولغة الدواوين في الدول العربية الناشئة في مصر ثم بلاد الشام والعراق، اليد الطولى في نشأة لغة جديدة في أساليبها تقصد إلى اليسر والسهولة في توصيل مضامين النهضة ومفاهيم العصر الحديث وما حملته من مسميات مادية ومعنوية، ففكر الحريصون على اللغة في إنشاء مؤسسة لغوية تتصدى لذلك، ولعل أحمد فارس الشدياق هو أول من دعا إلى ذلك ثم تبعه آخرون، فكانت في مصر والشام محاولات عدة لإنشاء مجمع لغوي[٣٨]، وتعود فكرة ظهور المؤسسات والمجامع اللغوية في العالم العربي إلى الاتصال الثقافي للعرب بالحضارة الغربية مع بداية القرن التاسع عشر وظهور التعليم المبرمج وما أحدثته الطباعة من وثبات نوعية في نشر الثقافة والعلم على نطاق واسع[٣٩]، ومن هذه المجامع والأكاديميات[٤٠]:

المجمع العلمي العربي بدمشق : إذ أسس سنة (٨ / ٦ / ١٩١٩)، ومجمع اللغة العربية في مصر الذي أسس سنة (١٩٣٢)، والمجمع العلمي العراقي الذي أُسس عام ١٩٤٧[٤١]، ومجمع اللغة العربية الأردني أُسس عام ١٩٧٦م[٤٢]، والأكاديمية الملكية المغربية التي كانت اسمها (أكاديمية محمد السادس للغة العربية) وأنشئت عام ١٩٨٠، ومجمع اللغة العربية بالشارقة[٤٣]، ومجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر أسس سنة ١٩٩٦[٤٤]، ومجمع اللغة العربية – ليبيا إذ أسس سنة ١٩٩٩ في مدينة طرابلس[٤٥]، وغيرها من المجامع اللغوية الأخرى.

وهناك اختلاف بين المصطلحين : (المجمع) و(الأكاديمي)، إذ أختيرت كلمة (المجمع) لتقابل كلمة (أكادمي) اللاتينية وهي تقابل الإنكليزية، وكان المجمع العلمي العربي قد أقرها في تسميته وتشير إلى: ((مكان اجتماع العلماء قصد إصلاح العلوم والفنون والآداب))، وقد رأى جواد علي أن : ((هذه الترجمة المغلوطة للفظة (أكاديمي) أوقعت الكثير من الناس في أخطاء فظنوا أن المجمع العلمي العراقي هو مجمع علمي بحت وبالمعنى الإصطلاحي المفهوم من لفظة (علم) وأوضح أن المجمع ليس على ما ذهبوا إليه وإنما هو (مجمع أسس لخدمة العربية وتاريخها وتاريخ العراق والمسلمين)) [٤٦].

٢ – مجمع اللغة العربية في مصر:

أُنشئ مجمع اللغة العربية في القاهرة في مصر، وهو مجمع لغوي أنشأه فؤاد الأول (١٨٦٨–١٩٣٦) ملك مصر، في السنة ١٩٣٢، وذلك للإفادة منه في الحفاظ على سلامة اللغة العربية، ووضع معجم تأريخي لها، وتنظيم دراسة لهجاتها وبحث كل ما له شأن في تطور اللغة العربية[٤٧]، وأخذ ينظر في قضايا اللغة معجما، ومصطلحا، وتنظيرا، وأساليب، كما أولى اللهجات عناية خاصة مستعينا بأساتذة كبار من المستشرقين مع الحرص على وجود ممثلين له عربا من خارج مصر في محاولة لإضفاء شمولية تعزز من أهمية قراراته وتيسر انتشارها في اقطار الوطن العربي خدمة للعربية .وأولى موضوع الكتابة اهتماما كبيرا، ولم تخل أروقته من دعوة هدامة مثل الدعوة إلى الكتابة بالحرف اللاتيني التي تبناها عبد العزيز فهمي، وتصدى لها الغيارى من أعضاء المجمع وغيرهم[٤٨].

وكانت فكرة إنشاء مجمع للغة العربية في مصر أملا يتطلع إلى تحقيقه كثير من أهل اللغة والأدب والعلم، ومنذ نحو مئة عام أخذت هذه الفكرة تتخلق حتى تمخضت عن مجمع أنشئ بدار البكرى عام ١٨٩٢، ألفه جماعة من أعلام العلماء والأدباء، في طليعتهم الشيخ محمد توفيق البكري، والأمام محمد عبده، والشيخ محمد محمود الشنقيطى، ولكن هذه المجمع لم يبلغ من العمر سوى أشهر قليلة[٤٩].

وظلت الدعوة إلى إنشاء مجمع لغوى حية بأقلام العلماء والأدباء فى مصر، بل أخذت تنمو، ويصلب عودها، فى مهب الدعوة إلى استعمال اللهجات العامية، أو استقبال الوافد الدخيل من اللغات الأجنبية، فقد خشى حماة الفصحى أن يصير الأمر فوضى لغوية، تختلط فيها الألفاظ والتراكيب العامية والأجنبية – وبخاصة التركية والأوربية – بالعربية الفصحى، حيث تتداخل وتتوالد، فيكثر فيها الهجين من الألفاظ والأساليب كثرة تفصل ماضي الثقافة العربية عن حاضرها، وتجعل الخطر جسيما أثيما على مستقبل ثقافتنا وأمتنا العربية الأصلية.

ولكن هؤلاء الدعاة كانوا – مع ذلك – حريصين على أن تواكب لغتنا العصر الحديث، وتعبر عن مستحدثاته، وتفتح الباب للتعريب والتوليد بحساب تفرضه ضرورة المعاصرة، وتسمح بالتيسير اللغوي دون عقوق أو تمرد على الضوابط والأقيسة التى تأصلت في عربيتنا الفصحى. وقد ساعد على هذه المعاصرة ما اكتسبته العربية من مرونة خلال مسيرتها العلمية، في عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، وما تميزت به من خصوبة اشتقاقية، لا يوجد لها نظير فى غير العربية. وقد أخذت الجهود تتصاعد، وتتكاثف، ويشد بعضها بعضا، لإنشاء المجمع اللغوي المنشود. وكان لـ " نادي دار العلوم " صولة وجولة في الميدان، وبخاصة في ندوته التي عقدها عام ١٩٠٨، وتتابعت جلساتها خلال أسبوعين، ألقيت فيها بحوث للأساتذة: حفني ناصف، وحمزة فتح الله، ومحمد الخضري، وطنطاوي جوهري، وفتحي زغلول، تناولت العديد من قضايا الفصحى والعامية، والمعرب والدخيل، وانتهت إلى قرار ينص على أن " يبحث فى اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لغة، فاذا لم يتسير ذلك – بعد البحث الشديد – يستعار اللفظ الأعجمى، بعد صقله ووضعه فى مناهج اللغة العربية، ويستعمل في اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوي الذي يتتألف لهذا الغرض ".

وفى عام ١٩١٦ دعا الأستاذ أحمد لطفي السيد، مع بعض العلماء والأدباء، إلى إنشاء مجمع لغوي أهلي بدار الكتب المصرية، التى كان مديرا لها. وقد أنشئ هذا المجمع وسمى " مجمع دار الكتب "، واختير الأستاذ الشيخ سليم البشري – رئيسًا لهذا المجمع، والأستاذ أحمد لطفي السيد كاتب سره، وكان من أعضائه الأستاذ الشيخ أحمد الاسكندري، والأستاذ الشيخ حمزة فتح الله، والأستاذ حفني ناصف. ثم توقف هذا المجمع حين قامت ثورة ١٩١٩.

أهدافه

ان الهدف الاساس الذي انشأ من اجله المجمع هو[٥٠] :

(أ) المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة.

(ب) النظر في أصول اللغة العربية وأساليبها، لاختيار ما يوسع أقيستها وضوابطها ويبسط تعليم نحوها وصرفها، وييسر طريقة إملائها وكتابتها.

(ج) دراسة المصطلحات العلمية والأدبية والفنية والحضارية وكذلك دراسة الأعلام الأجنبية، والعمل على توحيدها بين المتكلمين بالعربية.

(د) بحث كل ماله شأن فى تطوير اللغة العربية والعمل على نشرها.

(هـ) بحث ما يرد للمجمع من موضوعات تتصل بأغراضه السابقة.

وسائل المجمع لتحقيق أهدافه

كانت من أهداف المجمع ما يأتي[٥١]:

(أ) وضع معجمات لغوية محررة على النمط الحديث فى العرض والترتيب، ومعجمات علمية اصطلاحية خاصة أو عامة ذات تعريفات محددة.

(ب) بيان ما يجوز استعماله لغويا، وما يجب تجنبه من الألفاظ والتراكيب فى التعبير.

(ج) الإسهام فى إحياء التراث العربى فى اللغة والآداب والفنون، وسائر فروع المعرفة المأثورة.

(د) دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها دراسة علمية لخدمة الفصحى والبحث العلمى.

(هـ) دراسة قضايا الأدب ونقدة، وتشجيع الإنتاج الأدبى، بالتنوية به أو بعقد ندوات ومسابقات فيه ذوات جوائز أو بأية وسيلة أخرى.

(و) إصدار مجلات أو نشرات أو كتب تحوى قرارات المجمع وأعماله وبحوث أعضائه وغيرهم، مما يتصل بأغراض المجمع.

(ز) توصية الجهات المختصة باتخاذ ما يكفل الانتفاع بما ينتهى إليه المجمع لخدمة سلامة اللغة، وتيسير تعميمها وانتشارها وتوحيد ما فيها من مصطلحات.

(ح) الدعوة إلى عقد المؤتمرات والندوات التى تتصل بأغراض المجمع والاشتراك فيما يدعى إليه المجمع من مؤتمرات وندوات تتصل بأغراضه.

(ط) توثيق الصلات بالمجامع والهيئات اللغوية والعلمية فى مصر وفى خارجها.

(ى) إتخاذ أية وسائل لتحقيق أغراض المجمع.

جهوده في حقل المصطلح العلميّ

بذل أعضاء المجمع جهوداً كبيرةً للحفاظ على العربية وجعلها مسايرةً لتطوّر الحياة، فاجتهدوا في وضع المصطلحات في شتّى العلوم، وذلك باستخدام الألفاظ الفصيحة في حقل المصطلحات، أو بتعريب ما لم يجدوا له لفظاً عربيّاً، وقد كان نِتاجُ تلك الجهود عدداً كبيراً من المصطلحات في علومٍ مختلفةٍ سعى المجمع إلى نشرها ليُستفاد منها، فأنشأ لجاناً مختلفةً لمراجعة تلك المصطلحات وإقرارها بعد مرورها على مجلس المجمع ثمّ مؤتمر المجمع، وقد نشر الكثير من تلك المصطلحات في مجلة المجمع، ثمّ بدأ بنشرها في كتيّباتٍ خاصّةٍ، فنشر في عام١٩٤٢ مجموعة المصطلحات التي أُقرّت في الدورات الستّ الأولى، فبلغت نحو(٣٥٦٦) مصطلحاً، ثمّ نشر عام ١٩٥٧ مجموعةً ثانيةً تشمل(٩٥٩٠) مصطلحاً في شتّى العلوم، ثمّ نشر مجموعةً ثالثةً عام ١٩٦٠ تشمل (٢٣٥٧) مصطلحاً، ثمّ نشر مجموعةً رابعةً عام ١٩٦٢ تشمل (٢٢٥٠) مصطلحاً، وفي عام ١٩٦٣ نشر مجموعةً خامسةً تشمل (١٥٠٠) مصطلح، واستمرّ نشر المجمع للمصطلحات التي أقرّها[٥٢].

وقد شكلت اللجان العلمية والنتاج العلمي، كالاتي[٥٣]:

-لجنة الأصول العامة : وهي للنظر في التعريب والتوليد والاشتقاق، والتضمين، ونيابة الحروف بعضها عن بعض.

-لجنة مصطلحات الرياضيات : للنظر في مصطلحات الحساب والهندسة والجبر وعلم الآلات)التكنولوجيا)، والحيل (الميكانيكا) والفلك.

-لجنة مصطلحات العلوم الطبيعية والكيمياء : لمعالجة مصطلحات الكيمياء والفيزياء والكهرباء والمغناطيس.

لجنة مصطلحات الحياة والطب : لمعالجة مصطلحات الطب بعلومه المختلفة ووظائف الأعضاء.

-لجنة مصطلحات العلوم الاجتماعية : لمعالجة مصطلحات العلوم الاجتماعية والفلسفية ونحوها.

-لجنة مصطلحات الآداب والفنون : لمعالجة مصطلحات التاريخ والجغرافيا والفنون الجميلة والصناعات والحرف ونحوها من أمور الحياة.

-لجنة المعجم : لوضع المعاجم وفي مقدمتها المعجم التاريخي.

-لجنة اللهجات : لدراسة اللهجات العربية في مصر والبلاد العربية.

-لجنة المجلة : لنشر مجلة المجمع وما يستلزمه من اختيار المواد.

-لجنة خزانة الكتب : لإنشاء مكتبة المجمع وتزويدها بالمراجع والمجلات الضرورية لأبحاث المجمع.

أهم منشورات المجمع وجهوده في حقل المعجم:

ان للمجمع العلمي بالقاهرة جهودٌ عظيمةٌ تفوق التعداد هنا، و من أبرز جهوده وإنتاجه[٥٤]:

-مجموعة القرارات العلمية : من الدورة الأولى إلى الدورة الثامنة والعشرين.

-كتاب الألفاظ والأساليب : في ٣ أجزاء، القاهرة ١٩٧٧- ٢٠٠٠م.

-مجمع اللغة العربية : قانونه، لائحته، هيأته، أعضاؤه العاملون والمراسلون، خبراء اللجان - القاهرة ١٩٦١م.

-مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً : ماضيه وحاضره - القاهرة 1383هـ ١٩٦٤م.

-مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً : المجمعيون - القاهرة 1386هـ ١٩٦٦م.

-معجمٌ فلسفيٌّ اشتمل على المصطلحات الفلسفيّة التي أقرّها المجمع.

-معجمٌ في الجغرافيا جاء حصيلة عمل لجنة الجغرافيا في عشر سنوات، وضمّ أكثر من ألفٍ وخمسمائة مصطلح.

-معجمٌ في الجيولوجيا اشتمل على نحو ألفٍ ومائتين من المصطلحات.

-معجم ألفاظ القرآن : في ٣ أجزاء - القاهرة ١٩٥٣م.

-المعجم الكبير : صدر منه أربعة أجزاء.

-معجم المصطلحات العلمية والفنية : في ٤ أجزاء - القاهرة ١٩٥٧- ١٩٦٢م، وهي تشمل المصطلحات التي وضعها المجمع.

-المعجم الوجيز / المعجم الوسيط / المعجم الكبير.

-المعجم اللغوي التاريخي : للمستشرق الألماني أوغست فيشر، وقد أصدر المجمع منه أوله من أول حرف الهمزة إلى (أبد) - القاهرة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

-كتاب الجيم - لأبي عمرو الشيباني، بتحقيق عدد من العاملين في المجمع، القاهرة ١٣٩٥هـ 1975م.

-مجلة المجمع : صدر الجزء الأول منها في رجب عام ١٣٥٣هـ أكتوبر عام ١٩٣٤م بعنوان (مجلة مجمع اللغة العربية الملكي)، وفي الجزأين الرابع والخامس بعنوان (مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية)، وبعدها أصبح عنوانها (مجلة مجمع اللغة العربية)، وتُعدّ المجلة من أعظم نتاج المجمع لما فيها من بحوث قيمة، واشتمالها على الكثير ممّا صدر عن المجمع من المصطلحات والأساليب ونحوها، ولذا فهي من الكنوز العلمية.

المبحث الثالث

المعجم الوسيط و الألفاظ المحدثة والمجمعية في المعجم الوسيط

أولا: المعجم الوسيط

رأى مجمع اللغة العربية في مصر أن من أهم وسائل تنمية اللغة وضع معجم يقدم للقارئ والمثقف ما يحتاج إليه من مواد لغوية، في أسلوب واضح، قريب المأخذ، سهل التناول، واتفق على أن يسمى هذا المعجم "المعجم الوسيط"، و وكل المجمع إلى لجنة من أعضائه وضع هذا المعجم وقد تم وضع هذا المعجم بعد الاسترشاد بما أقره مجلس المجمع ومؤتمره من ألفاظ حضارية مستحدثة، أو مصطلحات جديدة موضوعة أو منقولة، في مختلف العلوم والفنون، أو تعريفات علمية دقيقة واضحة للأشياء، ففي ١٩٣٦ طلبت وزارة المعارف المصرية إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة وضع معجم عربي وفق ما توصل إليه التأليف المعجمي الحديث، وبعد العمل لوضع المعجم المطلوب ظهر المعجم في ١٩٦٠ في جزءين كبيرين يحتويان نحو ١١٠٠ صفحة من ثلاثة أعمدة، ومن القطع الكبير، ويشتملان على نحو ٣٠ ألف مادة لغوية ومليون كلمة وستمئة صورة، وتحت اسم (المعجم الوسيط) تمييزاً له من المعجمات الصغيرة والكبيرة[٥٥]، و قد ((تهيأ لهذا المعجم ما لم يتهيأ لغيره من وسائل التجديد، واجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من خصائص ومزايا، حيث تم إهمال الكثير من الألفاظ الوحشية، الجافية، أو التي هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها. كذلك أغفلت بعض المترادفات التي تنشأ عن اختلاف اللهجات وثم الاعتناء بإثبات الحي السهل المأنوس من الكلمات والصيغ، وبخاصة ما يشعر الطالب والمترجم بحاجة إليه، مع مراعاة الدقة والوضوح في شرح الألفاظ أو تعريفها. وتمت الاستعانة في شرح ألفاظ هذا المعجم بالنصوص والمعاجم التي يعتمد عليها، وتعزيزه بالاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأمثال العربية، والتراكيب البلاغية المأثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء وتضمين المعجم ما يحتاج إليه من صور مختلفة كما تم في متن المعجم إدخال مادتي الضرورة إلى إدخاله من الألفاظ المولدة أو المحدثة، أو المعرّبة أو الدخيلة، التي أقرها المجمع، وارتضاها الأدباء، فتحركت بها ألسنتهم، وجرت بها أقلامهم))[٥٦].

ثانيا: الدراسة التطبيقية

على الالفاظ المحدثة والمجمعية في المعجم الوسيط

أ-الالفاظ المحدثة

بقصد باللفظ المحدث في المعجم الوسيط اللفظ الذي استعمله المحدثون في العصر الحديث، وشاع في لغة الحياة العامة[٥٧].

وهنا نورد الألفاظ المحدثة التي أستحدثها مجمع اللغة العربية في مصر، ونأخذ باب (أ) أنموذجا لبيان تلك الألفاظ، وهي :

(الإجارة) الأجرة على العمل وعقد يرد على المنافع بعوض.

(الأدبي) المنسوب إلى الأدب يقال قيمة أدبية تقدير معنوي غير مادي ومنه مركز أدبي وشجاعة أدبية وكسب أدبي وموت أدبي.

(الإذن) (في الشرع) فك الحجر وإطلاق التصرف لمن كان ممنوعا منه شرعا والإعلام بإجازة الشيء والرخصة فيه (إذن البريد) ورقة مالية تتعامل بها مصلحة البريد في مبالغ لا تتجاوز جنيها واحدا (ج) أذون. ويقال في الاستئذان بإذنك وعن إذنك.

(الأرضية) أجرة شغل الأرض وقتا ما وأرضية الحجرة ونحوها ما يقابل سقفها.

(أشره) أشره يقال ثغر مؤشر وعلى الكتاب وضع عليه إشارة برأيه (محدثة).

(أصل) الشيء أساسه الذي يقوم عليه ومنشؤه الذي ينبت منه والأصل كرم النسب ويقال ما فعلته أصلا أي قط ولا أفعله أصلا.

وفيما ينسخ النسخة الأولى المعتمدة ومنه أصل الحكم وأصول الكتاب.

(الإله) كل ما اتخذ معبودا (ج) آلهة والحق الإلهي أصل استند إليه بعض ملوك أوروبة في القرون الوسطى يقرر أن سلطة الملك على شعبه تفويض إلهي وقد اندثر من بعد.

(استأنف) الشيء ائتنفه والحكم طلب إعادة النظر فيه.

ب: الالفاظ المجمعية

يقصد بالألفاظ المجمعية تلك اللفاظ التي أقرها مجمع اللغة العربية في مصر[٥٨]، وهي:

(الأبابة) داء يصيب الغريب وهو شده حنينه إلى وطنه.

(الأبيقوريون) أتباع المذهب الذي أسسه الفيلسوف اليوناني أبيقور وهم يقيمون الفلسفة على مذهب مادي حسي في الأخلاق ويتخذون اللذة هدفا أعلى للحياة السعيدة الخالية من الآلام والمخاوف وملاك هذه الحكمة العملية عندهم المنطق والعلم الطبيعي.

(الأثرة) المنزلة يقال لفلان عندي أثرة وتفضيل الإنسان نفسه على غيره وفي الحديث(سترون بعدي أثرة) يستأثر أمراء الجور بالفيء وأثرة العلم بقية منه تؤثر و(في الفلسفة) حب النفس ويطلق أخلاقيا على من لا يهدف إلا إلى نفعه الخاص ويقابل الإيثار.

(الأثير) بريق السيف والمفضل على غيره يقال هو أثيري أوثره وأفضله

(وعند الطبيعيين) سيال يملأ الفراغ يفترضون تخلله الأجسام

و(عند الكيميائيين) سائل غيرذي لون طيار يذيب المواد الدهنية ويستخدم في الطب.

(الإيثار) تفضيل المرء غيره على نفسه.

(الإيثارية) (عند علماء الأخلاق) مذهب يعارض الأثرة ويرمي إلى تفضيل خير الآخرين على الخير الشخصي.

و(عند علماء النفس) اتجاه اهتمام الإنسان وميول الحب منه نحو غيره وقبل ذاته سواء أكان هذا عن فطرة أم عن اكتساب.

(أجج) النار ألهبها وبينهم الشر أوقده وأثاره والماء جعله أجاجا.

(الأجر) عوض العمل والانتفاع والمهر(ج) أجور وفي التنزيل العزيز) فآتوهن أجورهن فريضة(والأجر الحق(في الاقتصاد) الأجر الذي يكفي العامل ليعيش عيشة هادئة مريحة.

(والأجر الحقيقي) ما للنقد الذي يحصل عليه العامل من قوة الشراء.

(الأجزخانة) دكان الصيدلي.

(الأذينة) آلة السمع والجزء الأسفل من الأذن و(في النبات) جزء ناتئ من قاعدة الورقة متحول يتخذ صورا مختلفة.

(المأذون) موثق عقود الزواج والطلاق.

(الأرجون) عنصر غازي عديم اللون والرائحة يوجد في الهواء بنسبة قليلة ويستخدم عادة في ملء المصابيح الكهربية.

(التاريخ) جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما ويصدق على الفرد والمجتمع كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية. ويقال فلان تاريخ قومه إليه ينتهي شرفهم ورياستهم

(التأريخ) تسجيل هذه الأحوال.

(الأرخبيل) مجموعة من الجزر المتقاربة.

(الأرستقراطية) حكومة أو طبقة تمثل الأقلية الممتازة.

(الأرغن) آلة موسيقية نفخية بها منافيخ جلديه وأنابيب ومفاتيح لتنغيم الصوت(يونانية).

(الأرمادا) الأسطول الإسباني الذي هزمه الإنجليز في القرن السادس عشر الميلادي وتردد ذكره في التاريخ.

(الإران) الثور الوحشي يطلق على الذكر من الفصيلة البقرية وهو من العواشب أي آكلات العشب المجترة.

(الإزار) ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن يذكر ويؤنث والرأي يعلق به في أسفل الكتاب ويقال فلان عفيف الإزار عف عما يحرم عليه من النساء وإزار الحائط ما يلصق به بأسفله للتقوية أو الصيانة أو الزينة.

(الأزمة الأزمة) الضيق والشدة يقال أزمة مالية وأزمة سياسية وأزمة مرضية والقحط والحمية و(في علم الطب) نهاية فجائية تحدث في مرض حاد كالتهاب الرئة أو الحميات كالتيفوس والراجعة وهبة حادة في سير مرض مزمن و(في علم الأحياء) دور اضطراب أحيائي كالبلوغ.

(الإسباناخ) نبات من الخضر الشتوية من الفصيلة السرمقية يطبخ ويؤكل.

(الإسبيداج) كربونات الرصاص وهو مادة بيضاء تستخدم في أعمال الطلاء.

(الأسبيرين) استيل حمض الساليسيليك ويستعمل طبيا في علاج الصداع والروماتيزم.

(الأسد) جنس من الفصيلة السنورية يشمل الذكر والأنثى ويطلق على الأنثى أسدة ولبؤة وهو من الوحوش الضارية وله في العربية أسماء كثيرة.

(الأساس) قاعدة البناء التي يقام عليها وأصل كل شيء ومبدؤه ومنه أساس الفكرة وأساس البحث والتعليم الأساسي الخبرة العلمية والعملية التي لا غنى عنها للناشئ والنظام الأساسي هو النظام الذي يمثله دستور الدولة.

(المؤسسة) كل تنظيم يرمي إلى الإنتاج أو المبادلة للحصول على الربح.

(الأسطرلاب) جهاز استعمله المتقدمون في تعيين ارتفاعات الأجرام السماوية ومعرفة الوقت والجهات الأصلية.

(الاسفاناخ) الإسباناخ(السبانخ).

(الأسفلت) أحد المنتجات الثقيلة التي تتخلف عن تقطير البترول الخام ويستعمل في تعبيد الطرق ونحو ذلك.

(الإسفيداج)الإسبيداج.

(الإسفين) وتد يستعمل في أغراض كثيرة منها ربط جسم بآخر أو الإبقاء على الانفراج.

(الإسقاله) ما يربطه المهندسون من الأخشاب والحبال ليصلوا بها إلى المحال المرتفعة(ج) أساقيل.

(الأسقربوط) مرض يصيب الجسم من سوء التغذية ومن أعراضه الضعف العام وآلام في الأطراف.

(الأسمنت) مسحوق يتكون من محروق الحجر الجيري والطفل يضاف لناتجهما نسبة صغيرة من الجبس ويستعمل في البناء ومنه أنواع أخرى تستعمل في أغراض شتى.

(المأساة) (التراجيدية) مسرحية عنيفة التأثير بليغة الأسلوب سامية المغزى تقتبس غالبا من التاريخ أو الأساطير وتنتهي بخاتمة محزنة(ج) مآس.

(أسيا) أعظم القارات اتساعا بين خطي العرض الشماليين ١. ٥ ٧٨. ٥ ما عدا جزائر الهند الشرقية وتمتد من المنطقة الحارة إلى المنطقة الجامدة الشمالية ويعيش فيها نحو نصف سكان العالم النسبة إليها أسيوي. وقد تنطق آسيا بالمد والنسبة إليها آسي وآسيوي

(الأسيتون) سائل طيار عديم اللون له رائحة مميزة.

(أشبه) مبالغة في أشبه وبينهم حرش وصنع أشابة.

(الأشابة) من الناس الأخلاط قال النابغة الذبياني يصف جيش عمرو بن الحارث الغساني

(وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت قبائل من غسان غير أشائب) ومن الكسب ما خالطه الحرام(ج) أشائب و(في الكيمياء) مادة مكونة من اتحاد معدنين أو من اتحاد معدن بغير معدن.

(الأشنان) شجر من الفصيلة الرمرامية ينبت في الأرض الرملية يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيدي.

(الأفق) الناحية وخط دائري يرى فيه المشاهد السماء كأنها ملتقية بالأرض ويبدو متعرجا على اليابس ومكونا دائرة كاملة على الماء.

(الأكسيجين) عنصر غازي من عناصر الهواء عديم اللون والطعم والرائحة ويذوب بنسبة ضئيلة في الماء وهو لازم للتنفس للحيوان والنبات.

(الالكترون) دقيقة ذات شحنة كهربائية سالبة شحنتها هي الجزء الذي لا يتجزأ من الكهربائية.

(التأليه) القول بوجود إله مدبر للكون.

(الاستئمارة) المرة من الاستئمار وهو طلب الأمر و(في اصطلاح الدواوين) مثال مطبوع يتطلب بيانات خاصة لإجازة أمر من الأمور.

(الأمر) الحال والشأن وفي التنزيل العزيز) ليس لك من الأمر شيء(والحادثة(ج) أمور والطلب أو المأمور به وفي التنزيل العزيز) وقضي الأمر((ج) أوامر وأولو الأمر الرؤساء والعلماء وأمر الوفاء(أمر الأداء) أمر يصدره القاضي تعويلا على مستند بوفاء دين من الديون الصغيرة.

(المؤتمر) مجتمع للتشاور والبحث في أمر ما.

(المأمور) أحد رجال الإدارة المصرية.

(أممه) قصده والمرفق والشركة جعلهما ملكا للأمة.

(الإمام) من يأتم به الناس من رئيس أو غيره ومنه إمام الصلاة والخليفة وقائد الجند والقرآن للمسلمين وفي التنزيل العزيز) وكل شيء أحصيناه في إمام مبين(والدليل للمسافرين والحادي للإبل والقدر الذي يتعلمه التلميذ كل يوم في المدرسة يقال حفظ الصبي إمامه والطريق الواسع الواضح وخشبة أو خيط يسوى بهما البناء يقال قوم البناء على الإمام والمثال و(في الاصطلاح) أصدق مقياس اتفق عليه لضبط الوحدات المتداولة أو لقياس الأشياء أو الصفات.

(الأمومة) نظام الأمومة نظام تعلو فيه مكانة الأم على مكانة الأب في الحكم ويرجع فيه إلى الأم في النسب أو الوراثة.

(أمن) على دعائه قال آمين وعلى الشيء دفع مالا منجما لينال هو أو ورثته قدرا من المال متفقا عليه أو تعويضا عما فقد يقال أمن على حياته أو على داره أو سيارته. وفلانا جعله في أمن وفلانا على كذا أمنه

(التأمين) عقد يلتزم أحد طرفيه وهو المؤمن قبل الطرف الآخر وهو المستأمن أداء ما يتفق عليه عند تحقق شرط أو حلول أجل في نظير مقابل نقدي معلوم.

(الأنبوب) ما بين الكعبين من القصب والقناة و(في الاصطلاح العلمي) جسم مجوف أسطواني طويل من الخشب أو المعدن أو الزجاج.

(الأنزيم) إفراز يخرج من الخلايا الحية يحدث تغييرات كيميائية في المركبات التي تحويه دون أن يتغير.

(الآنسة) مؤنث الآنس والفتاة الطيبة النفس المحبوب قربها وحديثها يؤنس بها والفتاة ما لم تتزوج.

(الإنسان) الكائن الحي المفكر(ج) أناسي(أصله أناسين) وإنسان العين ناظرها وإنسان السيف والسهم حدهما والإنسان الراقي ذهنا وخلقا والإنسان المثالي الذي يفوق العادي بقوى يكتسبها بالتطور.

(الإنسانية) خلاف البهيمية وجملة الصفات التي تميز الإنسان أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات.

(الأنسولين) هرمون تفرزه جزر(لانجرهانز) بالبنقرياس(البنكرياس) ويختص بعمليات أيض(الكربوهيدرات).

(الاستئناف) طريق الطعن على الحكم برفعه إلى المحكمة الأعلى من المحكمة التي أصدرته لإلغائه أو تعديله.

(الانفلونزا) حمى معدية يسببها فيروس يتميز بالتهاب رشحي في الجهاز التنفسي أو الهضمي أو العصبي يصحبها صداع وأرق.

(الأنقليس) نوع من السمك يعيش في مياه الأنهار والمحيطات والبحر المتوسط وهو يشبه الثعبان في شكله.

(الأنيلين) سائل زيتي طيار عديم اللون له رائحة نافذة وطعم لاذع يجمد إذا تعرض للهواء والضوء ويذوب في الغول(الكحل) والبنزين وهو صبغ كيماوي يتخذ من تقطر النيلج مع البوتاسا الكاوية.

(الأوج) العلو وأبعد نقطة في مدار القمر على الأرض.

(أورانس) أحد كواكب المجموعة الشمسية التسعة وهو أول كوكب اكتشف في العصر الحديث يدور حول الشمس مرة كل أربع وثمانين سنة.

(الأورطى) الشريان الرئيسي الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب.

(الإيالة) الوادي وقطعة من أرض الدولة يحكمها وال من قبل السلطان.

(الإياس) السل وفترة حرجة في حياة الإنسان تكون في النساء في العقد الخامس وعند الرجال بعد ذلك سببها نقص إفراز المبيضين أو الخصيتين.

(الأيون) ذرة أو مجموعة متماسكة من الذرات ذات شحنة موجبة أو سالبة ويطلق أيضا على الإلكترون وسواه من الجسيمات المشحونة.

الخاتمة

توصل البحث في نهاية مطافه إلى هذه النتائج:

١–اللغة العربية معروفة بالمواكبة على التطور والتنمية اللغوية، ووسائل كثيرة لتنمية اللغة العربية الإرتجال الاشتقاق والقياس المجاز الاقتراض أو المعرب النحت.

٢–لقد تأثرت المجامع اللغوية العربية بفكرة ظهور المؤسسات والمجامع اللغوية الأجنبية، ويرجع ذلك إلى الاتصال الثقافي للعرب بالحضارة الغربية، ولهذا أسست مجامع لغوية عربية كثيرة للحفاظ على اللغة العربية من اضمحلال والدروس، ومن أهم تلك المجامع: المجمع العلمي العربي بدمشق، ومجمع اللغة العربية في مصر، والمجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية الأردني، والأكاديمية الملكية المغربية التي كانت اسمها (أكاديمية محمد السادس للغة العربية)، ومجمع اللغة العربية بالشارقة، و مجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر، ومجمع اللغة العربية –ليبيا.

٣– كان لمجمع اللغة العربية في مصر في الحفاظ على سلامة اللغة العربية، دور مهم لوضع معجمات مهمة، وتنظيم دراسة لهجاتها وإذ بحث في تطور اللغة العربية والاهتمام بقضايا اللغة معجما، ومصطلحا، وتنظيرا، وأساليب، والعناية باللهجات عناية خاصة وتيسر انتشارها في اقطار الوطن العربي خدمة للعربية.

٤–ان المجمع العلمي في مصر استطاع ان يحشد الفاظا جديدة ومحدثة وكذلك الألفاظ المجمعية التي أقرها المجمع في معجم معاصر الا وهو (المعجم الوسيط).

الهوامش

([1]) الخصائص ج١، ص٣٣.

([2]) التنمية اللغوية ص٢٨٧.

([3]) نفسه، ص٢٨٨.

([4]) نفسه، ص٢٨٨.

([5]) من اسرار اللغة:٩.

([6]) نفسه، ص٩.

([7]) شرح المفصل، ج١، ص٣٢.

([8]) ينظر: ابنية الصرف من كتاب سيبويه، ص٢٤٦.

([9])مستويات استعمال اللغة العربية بين الواقع والبديل: ١٢٠.

(١٠) من أسرار اللغة: ٦٢.

(١١)المصطلحات والتنمية اللغوية العربية: ٤.

([12]) لمع الادلة ص٩٣، وينظر: الشاهد واصول النحو في كتاب سيبويه ص٢١ وما بعدها.

([13]) المنصف، ج١، ص١٨٠.

(١٤)المصطلح نشأته وتطوره:١٦-١٧.

(١٥) المزهر، ج١، ص٣٠٤، وانظر: المصطلح نشأته وتطوره:١٦-١٧.

(١٦) نفسه، وانظر: المصطلح نشأته وتطوره:١٦-١٧.

(١٧) كلام العرب ص٧٩، وانظر: المصطلح نشأته وتطوره: ١٦-١٧.

(١٨) كلام العرب ص٨٧، وانظر: المصطلح نشأته وتطوره :١٦-١٧.

(١٩) المزهر، ج١، ص٢٦٨.

([20]) شفاء الغليل ص٢٣.

([21]) المزهر، ج١، ص٢٦٩.

([22]) كلام العرب، ص٧٩/ وانظر: المصطلح نشأته وتطوره:١٨-١٩.

(٢٣)المصطلحات والتنمية اللغوية العربية: ٤.

(٢٤) تجارب في التعريب:٩.

(٢٥) مادة: عَرُبَ من (المعجم الوسيط).

(٢٦)المصطلحات والتنمية اللغوية العربية: ٤.

(٢٧) من أسرار اللغة :١٣١.

(٢٨)المصطلحات والتنمية اللغوية العربية: ٧.

(٢٩) من أسرار اللغة: ١١٧.

(٣٠)آليات توليد المصطلح الاقتراض اللغوي آلية:٢٩٥.

(٣١) الاشتقاق: ٣٩١.

(٣٢) ينظر: الصاحبي: ص٢٧١.

(٣٣) المزهر: ج١ / ص٤٨٥.

(٣٤) ينظر: فقه اللغة: ص١٨٠-١٨١.

(٣٥) جامع الدروس العربية : ١ / ٤٧.

(٣٦) المصطلح العلمي بين الثراء والإغناء: ٢٣.

(٣٧) اللغة العربية عبر القرون:١٠٠.

(٣٨) ينظر: المجامع اللغوية العربية الوظيفة والأداء المجمع العلمي العراقي أنموذجا: ٣٩٣.

(٣٩) ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي: ١١، وما بعدها.

(٤٠) ينظر: المجامع اللغوية العربية الوظيفة والأداء المجمع العلمي العراقي أنموذجا: ٣٩٣.

(٤١) ينظر: نفسها: ٣٩٣.

(٤٢)https://arabic.jo/.

(٤٣)https://www.alashj.ae/.

(٤٤)https://alarabiahcouncil.org/.

(٤٥)https://www.majma.ly/.

(٤٦)المجامع اللغوية العربية الوظيفة والأداء المجمع العلمي العراقي أنموذجا: ٣٩٣، و: المجامع العلمية: ٦ / ٣١٨.

(٤٧) ينظر: مرسوم إنشاء المجمع في: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما:١١٣.

(٤٨)المجامع اللغوية العربية الوظيفة والأداء المجمع العلمي العراقي أنموذجا: ٣٩٣، و: المجامع العلمية: ٦ / ٣١٨.

(٤٩) ينظر الموقع الاكتروني: http://faculty.ksu.edu.sa

(٥٠)ينظر: مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا: ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م : ٢٠ وما بعدها، و:المجامع اللغوية العربية: ٢٤٥.

(٥١)ينظر: مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا:٢٠ وما بعدها، و:المجامع اللغوية العربية: ٢٤٥.

(٥٢) ينظر: مجمع اللغة العربية دراسة تاريخية: ٢٠ وما بعدها.

(٥٣) ينظر: نفسه: ٢٠ وما بعدها.

(٥٤) ينظر: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مناهج ترقية اللغة العربية تنظيرا ومصطلحا ومعجما:١٣، وينظر: مجمع اللغة العربية دراسة تاريخية: ٢٠ وما بعدها.

(٥٥) ينظر: مرسوم إنشاء المجمع في: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما: ٦٦-٦٧.

(٥٦)مقدمة (المعجم الوسيط): ١ / ٢٧.

(٥٧)مقدمة (المعجم الوسيط): ١ / ٣١.

(٥٨)مقدمة (المعجم الوسيط): ١ / ٣١.

المصادر والمراجع

- أبنية الصرف من كتاب سيبويه، خديجة عبد الرازق الحديثى، مكتبة النهضة، بغداد،ط١،١٩٦٥.
- أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مناهج ترقية اللغة العربية تنظيرا ومصطلحا ومعجما، محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، تونس ١٩٨٨م.
- الاشتقاق، عبد الله أمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ط٢)، ٢٠٠٠م.
- التنمية اللغوية، محمود فهمي حجازي، دار الكتاب الحديث،٢٠١٠.
- الجامع في تاريخ الأدب العربي، الفاخوري حنا، دار الجيل،ط(٢)، ١٩٩٥، بيروت.
- الخصائص، لابي الفتح ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢، دار الهدى، بيروت.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لاحمد بن فارس، القاهرة، بيروت، ١٩٦٤.
- اللغة العربية عبر القرون د. محمود فهمي حجازي، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٨.
- تجارب في التعريب، محمود الجليلي، الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٤م.
- جامع الدروس العربية الشيخ مصطفى الغلاييني، بيروت: المكتبة العصرية،١٩٩٢.
- سر صناعة الاعراب، ابن جني تحقيق: مصطفى السقا وغيره،القاهرة، البابي، ط١، ١٩٥٤.
- شرح المفصل، للزمخشري، تأليف: موفق الدين بن يعيش، عالم، الكتب – بيروت.
- شفاء الغليل، لابن القيم الجوزية، دار الحياة – بيروت.
- فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م.
- كلام العرب، لحسن ظاظا، بيروت، ١٩٧٧.
- لمع الأدلة – أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري تحقيق سعيد الأفغاني، دمشق، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.

- الشاهد واصول النحو في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، جامعة الكويت، الكويت، ١٣٩٤ هـ .

- مجمع اللغة العربية دراسة تاريخية، عبد المنعم الدسوقي الجميعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨٣.

- مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا، شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ط: ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- مرسوم إنشاء المجمع في: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما، لإبراهيم مدكور، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٦٤.

-المزهر في علوم اللغة وانواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق : محمد احمد جاد الله و علي محمد البجاوي، و محمد ابو الفضل، ابراهيم، دار احياء، الكتب العربية.

-المصطلح نشأته وتطوره، أحمد مطلوب، مجلة دراسات الترجمة، بغداد ١٩٩٩م.

-المعجم الوسيط، من إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الرابعة عام ٢٠٠٤.

-من اسرار اللغة د. إبراهيم أنيس، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م.

الرسائل الجامعية:

- مستويات استعمال اللغة العربية بين الواقع والبديل، رحمون حكيم، رسالة الماجستير، كلية الاداب واللغات، جامعة مولود معمري/ تيزي وزو.

الدوريات:

- آليات توليد المصطلح الاقتراض اللغوي آلية، جودي مرداسي، مجلة الذاكرة، جامعة باتنة، العدد (٥) / ٢٠١٥.
- المجامع العلمية: جواد علي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج/ ٦ / ٣١٨، ١٩٥٥.
- المجامع اللغوية العربية الوظيفة والأداء المجمع العلمي العراقي أنموذجا: إيمان صالح مهدي و: علي كاظم حسين، مداد الاداب، كلية الاداب، الجامعة العراقية.
- المجامع اللغوية العربية، (دمشق، القاهرة، بغداد، عمّان)، خير الله الشريف، مجلة (التراث العربي)، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ع: ١٠٩/ ربيع الاخر، ١٤٢٩هـ، اذار، ٢٠٠٨، السنة ٢٨.

– المصطلح نشأته وتطوره، أحمد مطلوب، مجلة دراسات الترجمة، بغداد ١٩٩٩م.

– المصطلحات والتنمية اللغوية العربية، عمر هزايمه، مجلة العلوم الإنسانية، الأردن، السنة الخامسة، العدد ٣٥، ٢٠٠٧.

المواقع الإلكترونية

1-http:// www.faculty.ksu.edu.sa

2-https:// www.alarabiahcouncil.org

3-https:// www.arabic.jo

4-https://www.alashj.ae

5-https://www.majma.ly

اللغة العربية وتحديات وسائل التواصل الاجتماعي

أ.م.د.سرى طه ياسين / الجامعة العراقية – كلية التربية للبنات –قسم اللغة العربية

Email; suratahа2020@gmail.com

الملخص

في ظل التطور التقني الهائل في العقود الاخيرة ، توفر فرص لا محدودة للتواصل الاجتماعي بين شعوب العالم على اختلاف اعراقهم وقومياتهم ودياناتهم ، وجد الناطقون باللغة العربية انفسهم امام تحديات جديدة متنوعة ينبغي العمل الدؤوب لمواجهتها ، وفي المقابل وفرت وسائل التواصل الاجتماعي فرصاً ممتازة للحفاظ على اللغة العربية وكنوزها ونشرها مع توفر فرصة فريدة لولادة لغة عربية وسيطة تتعالى على اللهجات الموجودة في البلدان العربية قد لا ترتقي الى مستوى اللغة العربية الفصحى ، لكنها تخفف من الهوة التي بدأت بالاتساع بين الناطقين بالعربية بسبب البعد المكاني .

وقد سعى هذا البحث الى دراسة التأثيرات الايجابية لوسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية ، وكذلك التأثيرات السلبية على لغة الضاد ، وتقديم جملة من التوصيات والاقتراحات تسهم في مواجهة التحديات الراهنة .

وقد انقسم البحث على بعد التمهيد على محاور ، المحور الاول : التأثيرات الايجابية لوسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية .والمحور الثاني : التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي على لغة الضاد . والمحور الثالث : نماذج من التلوث اللغوي الذي تسببه وسائل التواصل الاجتماعي . ثم التوصيات والمصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية : اللغة العربية ، تحديات ، وسائل التواصل الاجتماعي.

The Arabic language challenges of social media

Assi.Prof**. Dr. Sura Taha Yasseen**

Iraqi University - College of Education for girls - Department of Arabic Language

Abstract

Arabic speakers find them solves facing new challenges resulting from the huge technical development .

The research we presented seeks to provide recommendations and suggestion to address the challenges facing the Arabic language .

The research was divided into an introduction , three sections , there is a fourth section on recommendations and then a list of references .

Kaye words ; The Arabic language, challenges, social media.

التمهيد

تمهيد العالم لاسيما في عقديه الاخيرين – جملة من التحولات المستمرة في مجال الاتصال وتقنية المعلومات في شتى بقاعه وفي مختلف الاوساط الاجتماعية ، نساءً ورجالاً ، اميين ومتعلمين ومن طبقات شتى الفقراء واغنياء ومن متوسطي الدخل في المدن الكبيرة والقرى واتاحت هذه التقنيات فرصة غير مسبوقة للاتصال والتواصل وتناول الكتب والاخبار والصور والافكار مع امكانية تبادل الحديث لساعات على منصات الفيسبوك وتويتر والفايبر وسواها .

ومن الطبيعي ان يكون لهذه التطورات تأثيراتها السلبية والايجابية على اللغة العربية وقبل الخوض في هذه التأثيرات التي هي موضوع محاور البحث ، فسيكون من المهم التطرق الى مفهوم كلمة (اللغة) في اللغة والاصطلاح

كلمة اللغة في اللغة : يقول لسان العرب (اللغة مادتها (ل.غ.ا) نقول ، لغا ، اللغو ، واللغا ..... ما لا يحصل على فائدة ولا على نفع ..... واللغة من الاسماء الناقصة ، واصلها لغوة من لغا اذا تكلم)[١] ، وفي الصحاح لغا ، قال باطلا ... واللاغية : اللغو ، قال تعالى :(لاتسمع فيها لاغية) (٢) أي كلمة لغو ... واللغة اصلها لغى ولغو وجمعها لغى ... لغات [٣]، وجاء في القرآن الكريم :(والذين هم عن اللغو معرضون) [٤]

كلمة اللغة في الاصطلاح : اللغة عند ابن جني (ت٣٩٢ هـ) هي (اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم)[٥] وبعد دوسوسير اللغة اجتماعية فهي (ذخيرة من الانطباعات مخزونة في دماغ كل فرد من افراد مجتمع معين ، ويكون ذلك شبه المعجم الذي توزع منه نسخ على كل فرد)[٦] .

ومع الاستعمال الواسع جداً لوسائل التواصل العالمي برزت تحديات ليس امام اللغة العربية وحدها بل امام كل اللغات التي تواصل بواسطتها في وسائل التواصل الاجتماعي وهو ما دفع ديفيد كرسيكال [٧] الى تأليف كتابه (اللغة الانترنت) الذي صدر باللغة الانكليزية الذي نشرته جامعة كامبردج والذي ناقش منه تأثير الانترنت على اللغات ومنها اللغة الانكليزية وان مراقبة استعمال اللغة العربية في الانترنت ستقود الى جملة تساؤلات يمكن اجمالها على شكل ملاحظات هي كالتالي :

١- مستخدمو مواقع التواصل يستعملون لغات بديلة للغتهم الاصلية التي هي العربية .

٢- بما ان هناك اقراراً بوجود اشكاليات تواجه استعمال اللغة العربية في مواقع التواصل ، فهل قامت المؤسسات المعينة بدورها لتذليل هذه الاشكاليات .

٣- ان وسائل التواصل الاجتماعي كان لها دور فردوج في التأثير سلباً وايجاباً على اللغة العربية ، ويمكن والحالة هذه تطوير جوانب التأثير الايجابي والحد من التأثير السلبي .

المحور الاول

التأثيرات الايجابية لوسائل التواصل الاجتماعي على اللغة العربية

امام كل ظاهرة جديدة واختراع تقني حديث ، ينقسم الباحثون والمتابعون الى اقسام فمنهم من يرى الجوانب الايجابية فيما هو جديد ، فيما يرى اخرون الجوانب السلبية ، وهناك فريق ثالث يوازن بين الجوانب بتوعيها .

ولا يمكن لاحد ان يتجاهل ما قدمته التكنولوجيا الحديثة من خدمات واضحة للغة العربية من توفير مستلزمات وتطبيقات مساعدات في توفير فرص لتعليم اللغة العربية على وفق مبانيها الصحيحة وذلك عبر الدروس الالكترونية او في عرضها للنصوص الفصحى ناهيك عن القواعد العربية السليمة وكيفية الكتابة بإملاء صحيح.

ويعكس الصحفي المصري حسام مصطفى ابراهيم بعض ما يراه البعض سلبياً حول استعمال اللغة العامية في وسائل التواصل الاجتماعي فيقول (الشباب يكتبون باللغة العامية طوال الوقت حتى من قبل ظهور وسائل التواصل الاجتماعي ، وذلك لانهم ضعفاء في اللغة العربية ، وكل ما فعلته تلك الوسائل هو ان جعلتنا نرى اخطاء هؤلاء الشباب اللغوية بعد ان سلطت عليها الاضواء ، ودفعتنا الى ترشين مبادرات لمعالجة تلك الاخطاء)[٨] ان واحدة من فوائد مواقع التواصل الاجتماعي انها اظهرت الواقع الذي كان من الصعب تلمسه قبل ظهور الانترنت . لقد بات من السهل ملاحظة ومتابعة اللغة المستعملة في الانترنت وجعلها مادة قابلة للقراءة الوصف والدراسة ووضع المقترحات المناسبة .

ومن جملة الايجابيات ان وسائل التواصل الاجتماعي اوجدت وعياً بأخطاء اللغة العربية والسبب هو ان (بعض القراء يكشفون الاخطاء ويشيرون اليها من خلال تعليقاتهم على كلام بعضهم البعض)[٩] ان مواقع التواصل الاجتماعي تضم اشخاصاً من مستويات تعليمية وثقافية متباينة ، ومن الطبيعي ان يحاول المتعلم والمثقف عكس بشخصيته وابرازها بأفضل صورة ممكنة ولا بد انه سيعرض قدراته وثقافته وهو في هذه الحالة سيكون القوة المؤثرة وليس الجهة المتأثرة ، وبالمقابل فان الاطراف قليلة الثقافة ستتأخر وتستفيد من كل شاردة وواردة وتلتقف كل تعبير او معلومة وتتأثر بها وتستعملها لاحقاً .

ومن الايجابيات الكبيرة هي توفير وسائل التواصل الاجتماعي فرصة واسعة لكتابة المقالات وهو ما يسهم لاحقاً في تطوير مهارات اللغة وتقويتها لدى الكتّاب المهرة الذين وجدوا في هذه المواقع اراضي خصبة لنشر مقالاتهم وافكارهم باستخدام اللغة العربية السليمة والفصحى [١٠] .

ان اللغة كما هو معروف بين علماء اللغة هي كائن يحتاج دائما الى المراقبة والمعالجة والتصحيح من اجل ان تبقى معافاة قادرة على النمو الدائم والتطور المستمر والتكيف لمواجهة التحديات والمستجدات الطارئة بسبب التفاوت في التطور التقني والعلمي .

المحور الثاني

التأثيرات السلبية لوسائل التواصل الاجتماعي على لغة الضاد

لقد بات واضحاً تماماً مقدار اندفاع الناس في كل بقاع الارض لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي من مختلف الاعمار وما يخلفه ذلك من كم هائل من المنشورات والتعليقات والمحادثات التي تستعمل في اللغة .

لإنجاز كل ذلك ، وكلما كثر استخدام اللغة كلما كثرت الاخطاء ، وسيكون مقدار استخدام اللغة العامية والفصحى معاً وسيكون لكل ذلك تأثير كثير السلبية على اللغة اذ سيكون من الصعوبة التفريق بين مفردات اللغتين عند الكثير من الاشخاص وهذه مشكلة لا تقتصر مواجهتها على اللغة العربية فقط ، بل تنبه لها علماء شتى اللغات .

ان زيادة وسائل الاتصال وزيادة مستخدميها نتيجته زيادة في (مطالب الاتصال الاسرع والمريح مع الميل الى ارتكاب اخطاء املائية واستخدام الاختصارات)[١١] .

ومن جملة التأثيرات السلبية التي يخلفه الاستخدام المفرط لوسائل التواصل الابتعاد عن اساليب وتركيب الجملة العربية ، واختراع تحريفات غير مقبولة في الكلمات العربية وفي المصطلحات .

ان السرعة المطلوبة عند التواصل جعلت الكثيرين من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي ، يميلون للاختصارات والايماءات المتاحة من ادارات تلك المواقع للتعبير عن مزاجهم وردود افعالهم وردود افعالهم

وانفعالاتهم عوضاً عن التعبير الكتابي "[١٢] . عن الافراط في استخدام " الايموجي " تبعد المستخدم عن اللجوء الى اللغة للتعبير عن نشاعره واحساسيه ، وبذلك تنطفئ قدرته على استعمال الكتابة والتعبير بواسطتها .

ومن السلبيات الكبيرة التي اتيحت لها فرص الانتشار هو ما جاءت به الترجمة غير الدقيقة التي يتولاها مترجمون من غير ذوي الاختصاص حافلة الاخطاء النحوية والاملائية وهو ما ادى الى (ظهور لغة جديدة لا تلتزم بقواعد العربية)[١٣] وادى هذا الى بروز لغة هي خليط من العربية والانجليزية ، وبين الحروف والارقام واطلق على هذه اللغة الهجينة (العربيزي)[١٤] (عربي – انكليزي) ، او (العربتيني) ، (عربي – لاتيني) .

وظهرت اللغة العربية تتسم بالاختصار ، بسبب اسقاط عدد من حروف الكلمة وكذلك اسقاط حروف الجر والنداء[١٥] .

واذا كنا نجد الان من يكتب اللغة العربية بأحرف لاتينية والاستعاضة من الحروف التي ليس لها مقابل بالأحرف اللاتينية بالأرقام ، وهو ما يثير صنف الكثيرين ، الا ان التوجه ليس جديداً (ففي جلسة المجمع اللغوي المصري التي انعقدت بتاريخ ٢٩٤٣/٥/٣ تقدم عبد العزيز باشا فهمي باقتراح دعا فيه الى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ولم كان هذا الاقتراح مستقبلاً ، بل كان مشفوعاً بالدعوة الى هجر الفصحى واحلال العامية محلها)[١٦] .

ومحاولات الكتابة بأحرف اللاتينية هي صدى لدعوات صدرت من اوربا منها دعوة ولهلم سبيتا التي تلقفها جماعة منهم سلامة موسى وانيس فريحة وسعيد عقل (وهذا الامر يدفع البعض للنظر بأسى الى الزمن الغابر التي كانت فيه الابجدية العربية تتوسع لتُعتمد في لغات اخرى كالفارسية والكردية والتركمانية والصومالية والسواحيلية وبعض اللغات القوقازية) [١٧] ، لقد تغيرت الاوضاع كثيراً واصبح العرب في موقع الدفاع في كل مواقع بما فيها لغتهم التي باتت عرضةً لهجوم شديد في مقدمة للإجهاز على دينهم وكتابهم المقدس المكتوب باللغة العربية .

المحور الثالث

نماذج من التلوث اللغوي الذي تسببه وسائل التواصل الاجتماعي

ان استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لا بد ان يكون لها تأثير من نوع ما على امور كثيرة ومنها اللغة سلباً وايجاباً ، ومن المنطقي ان يكون هناك تلوث لغوي بسبب التماس مع لغات وثقافات اخرى ، وهذه الظاهرة ليست جديدة فقد شاعت في عقود سابقة تعابير جاءت بسبب الترجمة من لغات اخرى من ذلك تعبير مشروبات روحية الذي جاء من اللغة الفرنسية Boissons spirituelles علماً ان هذه المشروبات ليست لها علاقة بالروح ، بل هي على العكس من ذلك تهدم الشعور وتخدر الاحساس وقد شاع تعبير في العصر الذهبي لدور العرض – السينما – هو (نجاح ساحق) ولا احد يعرف من هم هؤلاء الذي سحقهم هذا النجاح .

ولعل ابرز التلوث الذي اصاب اللغة العربية هو محاولة كتابتها بأحرف لاتينية هي في الاصل قاصرة عن التعبير الصوتي والدلالي للمفردات العربية ، وقضيته الكتابة بهذه الاحرف (توثق للانفصال عن اللغة الام ، فهناك البرنامج ta3reeb – تعريب ، الذي ادرجته غوغل في عام ٢٠٠٨ وبرنامج maren – مرن الذي عرضته شركة مايكروسوفت)[١٨] وهناك سواها هذه محاولات متعمدة للقضاء على العربية وتراثها ، ان الموافقة على هذه الطروحات والافكار ستكون نتيجته الانقطاع التام عن كل التراث العربي المكتوب باللغة العربية وهو تراث ضخم ومتعدد (وانه يجب ان نتذكر اننا بدون العربية ننقطع من جذورنا تماماً ... وكيف سيقرأون القرآن الكريم الذي يعتمد بالاساس على اللغة العربية)[١٩] .

ومن مظاهر التلوث الذي اصاب اللغة العربية شيوع الاختصارات سواء كانت مكتوبة بالحروف العربية او الحروف اللاتينية ، وهذه الاختصارات تمحو معالم اللغة العربية وتصبح هي الاساس مع الوقت ويتم نسيان الاصل الذي جاءت منه (ويقصد بالاختصار هو استعمال بعض الحروف والارقام في الكتابة ، على نحو يقارب مفهوم النحت في اللغة العربية ، لكن للاسف هو نحت للجمل الاجنبية واقتصارها على اوائل الحروف التي تتكون منها كلمات الجمل)[٢٠]

نماذج من كلمات عربية مكتوبة بحروف لاتينية[٢١]

قلب : 2alb لا يوجد حرف (ق) في اللاتينية فقابله رقم (2)

عامل : 3amel لا يوجد حرف (ع) في اللاتينية فقابله رقم (3)

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته : salam 3licom wa rahma allah

الاحوال : elahwal

ان شاء الله : in sha2a allah ومختصرها isa

ما شاء الله : ma sha2a allah ومختصرها msa

الحمد لله : hamdullah ومختصرها hml

انا اضحك بصوت عالٍ ترجمت الى الانكليزية I oughing out loud

ثم اختصرت الى lol واختفى الاصل العربي ، او لم يعد احد يعرف لا المعنى العربي ولا الاصل الانكليزي .

صورة : 9orah (رقم 9 هنا يمثل حرف (ص))

يضاف الى كل ذلك ان هناك فوضى يتم بها الوضع اللغوي المعاصر خصوصا على صعيد المصطلح الذي هو وظيفته (تأسيس العلم ... ٢. تقييد العلم ... ٣. تنظيم المعرفة العلمية في بنيتها الداخلية وتنظيم تواصل الباحثين بلغة معينة وعبر مفاهيم يجمعون على معناها ويعطونها تسمية واحدة) [٢٢] ، واذا كان هذا هو حال الشأن العلمي الذي يعيش في شبه فوضى فان المواطن المتعلم والمواطن العادي ليس قادراً على وضع نفسه من الانحراف في ما يصدر من وسائل الاتصال الاجتماعي واللهاث خلف ما يعده حداثة .

الهوامش

---

[١] لسان العرب ، ابن منظور ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ١٩٩٧ ، مادة (لغا) .

[٢] سورة الغاشية ، الآية ١١ .

[٣] مختار الصحاح ، الامام الرازي ، ضبط وتحرير وتعليق مصطفى ديب ، ط٤ ، دار الهدى ، الجزائر ، ١٩٩١م ، مادة (لغا) .

[٤] سورة المؤمنون ، الآية ٣ .

[٥] الخصائص ، ابن جني ، تح محمد علي النجار ، مطبعة الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢ م ، ج١ ص٥٧ .

[٦] علم اللغة العام ، فردنياند دوسوسير ، ترجمة يوئيل يوسف عزيز ، دار افاق العربية ، بغداد ، ١٩٨٥ م ، ص٣٨ .

[٧] ديفيد كرسيكال استاذ في جامعة ويلز ، عالم في اللغة الانكليزية له مؤلفات عدة .

[٨] هل تسهم مواقع التواصل في ضعف مستوى اللغة العربية بين الشباب ؛ احمد الخطيب ، موقع بي بي سي العزلي bbc.com .

[٩] تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على اللغة الانكليزية ، ندين حميدان ، موقع عزلي e3arabi.com .

[١٠] الادمان على مواقع التواصل الاجتماعي والتأثير السلبي على اللغة ، موقع الامل www.hopeeg.com .

[١١] تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على اللغة الانكليزية ، ندين حميدان

[١٢] وسائل التواصل الاجتماعي .. مرآة تعكس عقوق اللغة الأم ، اعداد د. محمد سبيل ، موقع جريدة البيان albayon.ae

[١٣] ينظر : اللغة العربية ومواقع التواصل الاجتماعي الفرص والتحديات ، شوقي عبد الله عباد موقع البيان ، albayan.co.uk .

[١٤] ينظر : ظاهرة العربيزي ، ظاهر بن ناصر ، مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية ، ١٤٣٦ هـ .

[١٥] ينظر : العربتيني ، الكتابة العربية بالاحرف اللاتينية ، سعد بن طفلة العجمي ،مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية ١٤٣٦ .

[١٦] ينظر : اللغة العربية ومحاولات الهدم – كتابة العربية بحروف لاتينية ، أ.د. جابر قميحة ، موقع شبكة الألوكة ، alukah.net

[١٧] أرَب ايزي ، يزاحم لغة الضاد ، منى سركيس ، موقع قنطرة ، AR.QANTARA.DE .

[١٨] أرَب ايزي ، يزاحم لغة الضاد ، منى سركيس ، موقع قنطرة ، AR.QANTARA.DE .

المصدر السابق

[١٩] كتابة العربية بحروف لاتينية ، نكتة تحولت الى كابوس ، سمير محمود ، موقع الخطباء ، khutabaa.com .

[٢٠] جدل اللغة في النصوص الابداعية الرقمية ، زهير زحاحلة ، مجلة دراسات العلوم الانسانية واللاجتماعية ، كلية السلط للعلوم الاسلامية ، م ٤٦ ، العدد ٣ ، الاردن .

[٢١] واقع استخدام اللغة العربية في الخطاب الرسمي ، د. بوهلة شهيرة ، مجلة اشكالات في اللغة والادب ، مجلد ٩ ، العدد ٥ ، سنة ٢٠٢٠ ، الجزائر ص٦١٤ .

[٢٢]تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها ، فريق عمل ، وزارة الثقافة والشباب ، الامارات العربية المتحدة uni.bamberg.de ، ص٢٢٩ .

المصادر

١. الادمان على مواقع التواصل الاجتماعي والتأثير السلبي على اللغة ، موقع الامل www.hopeeg.com .

٢. أرَب ايزي ، يزاحم لغة الضاد ، منى سركيس ، موقع قنطرة ، AR.QANTARA.DE.

٣. تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على اللغة الانكليزية ، ندين حميدان ، موقع عزلي e3arabi.com .

٤. تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها ، فريق عمل ، وزارة الثقافة والشباب ، الامارات العربية المتحدة uni.bamberg.de

٥. جدل اللغة في النصوص الابداعية الرقمية ، زهير زحاحلة ، مجلة دراسات العلوم الانسانية واللاجتماعية ، كلية السلط للعلوم الاسلامية ، م ٤٦ ، العدد ٣ ، الاردن .

٦. الخصائص ، ابن جني، تح محمد علي النجار ، مطبعة الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢ م

٧. ديفيد كرسيكال استاذ في جامعة ويلز ، عالم في اللغة الانكليزية له مؤلفات عدة .

٨. ظاهرة العربيزي ، ظاهر بن ناصر ، مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية ، ١٤٣٦ هـ .

٩. العربتيني ، الكتابة العربية بالاحرف اللاتينية ، سعد بن طفلة العجمي ،مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية ١٤٣٦ .

١٠. علم اللغة العام ، فردنياند دوسوسير ، ترجمة يوئيل يوسف عززيز ، دار افاق العربية ، بغداد ،١٩٨٥م

١١. كتابة العربية بحروف لاتينية ، نكتة تحولت الى كابوس ، سمير محمود ، موقع الخطباء ، khutabaa.com .

١٢. لسان العرب ، ابن منظور ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ١٩٩٧

١٣. اللغة العربية ومحاولات الهدم – كتابة العربية بحروف لاتينية ، أ.د. جابر قميحة ، موقع شبكة الألوكة ، alukah.net

١٤. اللغة العربية ومواقع التواصل الاجتماعي الفرص والتحديات ، شوقي عبد الله عباد موقع البيان ، albayan.co.uk .

١٥. مختار الصحاح ، الامام الرازي ، ضبط وتحرير وتعليق مصطفى ديب ، ط٤ ، دار الهدى ، الجزائر ، ١٩٩١م

١٦. هل تسهم مواقع التواصل في ضعف مستوى اللغة العربية بين الشباب ؛ احمد الخطيب ، موقع بي بي سي العزلي bbc.com .

١٧. واقع استخدام اللغة العربية في الخطاب الرسمي ، د. بوهلة شهيرة ، مجلة اشكالات في اللغة والادب ، مجلد ٩ ، العدد ٥ ، سنة ٢٠٢٠ ، الجزائر

١٨. وسائل التواصل الاجتماعي .. مرآة تعكس عقوق اللغة الأم ، اعداد د. محمد سبيل ، موقع جريدة البيان albayon.ae

رَصْدُ حَرَكةِ التَّطوُّر الدلالِيّ للثُّنائية الضِّدِّيّة (الأنس والوحش)

الغرض من نشر البحث هو التَّرقية

د. إيناس محروس بوبس[1]/أستاذ مساعد في جامعة إزمير كاتب جلبي

كلية العلوم الإسلامية/ قسم اللغة العربية وبلاغتها

مُلخَّصُ البَحث

في رحلة الزَّمن تتغيَّر الأشياء، ولكلِّ لغةٍ رحلةٌ زمنيّةٌ تتكفَّل بتغيير بعض ألفاظها عن طريق انتقالها من سياق إلى آخر، وتتكفَّل بهَجْرِ بعض ألفاظها الأخرى تَبعًا لتغيُّر الظّروف الثّقافيّة والاجتماعيّة والحضاريّة لكلِّ مجتمع، وقد تتطوَّر بعض الألفاظ عبر مرورها في تاريخ العصور أيضًا.

وتطوُّرُ الألفاظ إمّا أن يكون بالانتقال بين المحسوسات، وإمّا أن يكون بانتقال المفهوم من الحِسّيّ إلى المُجرّد، وإمّا أن يكون عن طريق الاستعمال المجازيّ لِلَّفظ.

وقد مهّدت للموضوع بمدخل يتحدّث عن التَّطوّر الدّلاليّ، وأهمّ عوامله (الاجتماعيّ، والنّفسيّ، واللّغويّ)، ومحاور علم الدّلالة، والفرق بين علم الدّلالة والدّراسة المعجميّة، ثمّ الفرق بين الدّلالة المعجميّة والدّلالة الاستعماليّة والدّلالة المجازيّة، وبعد ذلك تحدّثت عن بعض العلامات التّطوّريّة في المعاجم العربيّة القديمة.

وجاءت دراسةُ كلٍّ من كلمتي الأنس والوحش بداية من حيث الدّلالة المعجميّة، ثم الدّلالة الاستعماليّة والمجازيّة، وبعد ذلك رصدتُ وُرودَهما في القرآن الكريم، ثم وُرودَهما في الشّعر العربيّ الجاهليّ، الأمويّ، العباسيّ، الحديث، انتهاءً بتحديد التّطوّر الدّلاليّ الذي طرأ عليهما.

Monitoring the semantic evolution of the two antonyms (AL- UNS AND AL- WAHSH =humans and monsters)

Dr. Enas Boubes

Summary

In the journey of time, things change, and every language has a chronological journey that takes care of changing some of its expressions by moving from one context to another.

The development of expressions is either by the transition between the tangible, or by the transfer of the concept from the sensual to the abstract, or by the metaphorical use of the word.

It paved the way for the topic with an introduction that talks about semantic development, its most important factors social, psychological, and linguistic, semantics axes, the difference between semantics and lexical study, then the difference between lexical significance, use signification and metaphorical significance, and after that, some signs talk about semantics and lexicography.

The study of each of the words human being and the beast came first in terms of the lexical connotation, then the use and metaphorical connotation, and after that I monitored their inclusions in the Holy Qur'an, then their inclusion in Arabic poetry pre-Islamic, Umayyad, Abbasid, hadith, ending with determining their semantic development.

المقدّمة

يرصد هذا البحث التطور الدلالي للثنائية الضدية أنس، وحش، وسبب اختيار هذه الثنائية التي يجمع بين لفظيها الطباق المعنوي هو كثرة ورودها في الشعر العربي القديم من جهة، وفي فنون النثر جمعاء من جهة أخرى، والقارئ في كتب العربيّةِ يتبين بجلاء اهتمام العرب بالمتضادات واعتمادهم عليها في تفسير بعضها في المعاجم. أمَّا إشكالية البحث فتتجلى بسؤالين؛ الأول: هل حافظت الألفاظ في رحلتها الزمنية على مر العصور على معناها التي قامت عليه؟ وما المراحل التي مرت بها في أثناء تطورها ابتداء من ورودها في القرآن الكريم مرورًا بمعجمات اللغة العربية، وانتهاء بالمعاني التي حملتها في الشعر العربي عبر عصوره كلّها؟

أما منهج العمل فقد راعيت فيه التاريخ في ترتيب معاجم العربية والنقل عنها، فجاء كتاب مفردات القرآن الكريم للراغب الأصفهاني٤٢٥هـ في أولها، فأساس البلاغة للزمخشري٥٣٨هـ، فلسان العرب لابن منظور ٧١١هـ، وختاماً المعجم الوسيط، وجاء عرضُ اللَّفظتين وفق عناوين محددة؛ إذ أُثْبِتُّ في البداية مقدمة نظرية تحدثت فيها عن الدلالة المعجمية مراعية الترتيب التاريخي للمعاجم كما ذكرت، وعند إثباتها تَحَرّيتُ المعاني المكررة في المعاجم التي عدت إليها فلم أذكرها إلا حيث وردت للمرَّة الأولى، ثم انتقلت للحديث عن الدلالة المعجمية وأثبتّ الدلالة الاستعمالية والمجازية، واتَّكأت في ذلك على أساس البلاغة في حين، وعلى الملاحظة الشخصية في حين آخر؛ وذلك لِتحديد الدلالة الاستعمالية للفظ، وبعد ذلك رصدت ورود اللفظ في

القرآن الكريم، وأحصيت الآيات التي ورد فيها، وحين كثر عددها اكتفيت ببعض الآيات للتمثيل على المعنى أو المعاني التي حملها اللفظ، وقد استوفيت في الأمثلة المذكورة المعاني المختلفة للَّفْظِ الواحد وفق ما يحدده السياق، ثم رصَدْتُ حركة اللفظ في الشعر العربي عبر العصور التاريخية المعروفة في تقسيم الأدب والشعر العربي، واخترت من كل عصر ثلاثة دواوين لشعراء مختلفين لا اختلاف فيهم أو حول أشعارهم.

إلامَ يهدف هذا البحث؟ وما الجديد الذي يسعى إلى تقديمه؟

يُمهّد البحث قبل الشروع في دراسة الثنائية الضدية المختارة بالحديث عن فكرة التطور الدلالي فيعرّفه ويتحدث عن أهم عوامله وطرائقه، ثم يميّز بين الدلالة المعجمية والدلالة الاستعمالية والدلالة المجازية للفظين، ثم يبين المعاني التي حملها اللفظان ويُظهِر بالأمثلة كيف حافظ على معناه حيناً، وكيف تطور في حين آخر، وكيف هُجر استعمال اللفظ في بعض السياقات التي كان معروفاً فيها. وفي خِتام الدّراسة حَدَّدتُ التطور الدلالي الذي طرأ على كل لفظ من الثنائية الضدية، وجاء ذلك بعد استعراض مسيرته التاريخية في المعاجم والقرآن الكريم والشعر العربي عبر العصور.

العرض والمناقشة:

مدخل

لا بد بداية من الوقوف على بعض المفاهيم الأساسية التي تُمهّد طريق البحث في الدلالة وتطوراتها وتجعله راسخ القدمين على أرضية علمية رصينة وواضحة؛ وفيما يأتي عرضٌ لأهم ما يجب نقف عليه قبل الولوج إلى رصد حركة الثنائية الضدية أنس، وحش.

- **التطور الدلالي:**

منذ أوائل القرن التاسع عشر بدأ اهتمام علماء الدلالة بموضوع التطور الدلالي، وحاولوا تأطير تغيّر المعنى بقواعد واضحة، فبحثوا عن أسباب تغير الدلالة وأشكاله وصوره، وعرّفوه بأنه تغيّر معاني الألفاظ عبر الزمن، ومعلومٌ أن الألفاظ تربطها بدلالاتها علاقة يُنَاط بها حدوث التطور، فإذا ما حدث تغير في هذه العلاقة تغيّر المدلول، ولا يكون التطور في مفهوم علم الدلالة في اتجاه تصاعدي دائماً، فقد يحدث أن يُضاف إلى المعنى أو يخصص، ويمكن أن يَتّسع أو يُعَمّم، فيكون الانتقال من المعنى الضيق أو الخاص إلى المعنى الاتساعي أو العام، وقد يحدث العكس أيضًا، ولذلك يرى بعض علماء اللغة المحدثين أن مصطلح تغير المعنى أدقّ من مصطلح التطور الدلالي؛ وفي ذلك يقول المسدي: "إن الحقيقة العلمية التي لا مراء فيها اليوم هي أن كل

الألسنة البشرية ما دامت تتداول فإنها تتطور، ومفهوم التطور هنا لا يحمل شحنة معيارية لا إيجاباً ولا سلباً، وإنما هو مأخوذ في معنى أنها تتغير إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدل نسبي في الأصوات والتركيب من جهة، ثم في الدلالة على وجه الخصوص، ولكن هذا التغير هو من البطء بحيث يخفى عن الحس الفردي المباشر"[٢].

يُعدُّ التغير الدلالي ظاهرة طبيعية، ويمكن رصدها بوعي لغوي لحركية النظام اللغوي المرن، إذ تنتقل العلامة اللغوية من مجال دلالي معين إلى مجال آخر، وهذا ما يمكن أن نجده في مباحث المجاز، وفي حركية اللغة الدائبة قد تتخلف الدلالة الأساسية للكلمة فاسحة مكانها للدلالة السياقية أو لقيمة تعبيرية أو أسلوبية أُخرى، وبذلك تغدو الكلمة ذات مفهوم أساسي جديد، وقد يحدث أن ينزاح هذا المفهوم بدوره ليحل مكانه مفهوم آخر، وبذلك يستمر التطور الدلالي في حركة لا متناهية تتميز بالبطء والخفاء، ناهيك من أن التغيير الذي يطرأ على بنية اللغة، لا يحدث إلا إذا توفرت عوامل موضوعية وأخرى ذاتية تدفع العناصر اللغوية إلى تغيير دلالاتها، وقد حصر علماء الدلالة هذه العوامل في ثلاثة أنواع: عوامل اجتماعية ثقافية، وعوامل نفسية، وعوامل لغوية، وقد نجد غير هذه العوامل المذكورة التي تتحكم في التطور الدلالي[٣].

- **ما أهم عوامل التطور الدلالي؟**

١_العامل الاجتماعي الثقافي:

نتيجة لوعي العقل الإنساني ورقي العقل الإنساني تنتقل الألفاظ من الدلالة الحسية إلى الدلالة التجريدية، لكن ذلك لا يكون إلا تدريجياً، وقد تندثر الدلالة الحسية الأساسية وتفسح المجال للدلالة التجريدية، وقد تظل مستعملة جنباً إلى جنب مع الدلالة التجريدية لفترة من الزمن[٤].

٢_العامل النفسي:

تحمل بعض الألفاظ دلالات مكروهة يمجُّها الذوق الإنساني/ مما يدفع اللغة إلى أن تعدل عنها، ويبدو ذلك في ابتعاد المجتمع عن استعمالها، ويخضع ذلك لثقافة المجتمع ونمط تفكيره وحسه التربوي، فيلجأ المجتمع اللغوي إلى تغيير اللفظ ذي الدلالة المكروهة والممجوجة بلفظ آخر ذي دلالة يستحسنها الذوق، وكأن ذلك نوع من أنواع التحايل في التعبير أو ما يسمى بالتلطف، وهو في حقيقته إبدال الكلمة الحادة بالكلمة الأقل حدة، ويُعدّ هذا النزوع نحو التماس التلطف في استعمال الدلالات اللغوية السبب الكامن في تغير المعنى[٥].

٣_ العامل اللُّغوي:

يحدث أحيانًا في صلب اللغة بعض الفجوات المعجمية التي لا تجد معها اللفظ الذي يعبر عن الدلالة الجديدة، فيلجأ علماء اللغة إلى سدها عن طريق الاقتراض اللغوي أو الاشتقاق، وقد يتجه المجتمع اللغوي نحو

المجاز فيبتدع دلالة جديدة، أو قد ينقل دلالة من حقل دلالي إلى آخر، وأمثلة ذلك كثيرة في اللغة العربية؛ كقولنا: أسنان المشط، فدلالة "الأسنان" نُقِلت من مجال دلالي يخص الكائن الحي بوجه عام إلى مجال آخر يبدو بعيداً ويخص" المشط". ومثل ذلك قولنا: "أرجل الكرسي"، و"ظهر السيف"، و"كبد السماء"، وغيرها من التراكيب اللغوية.

تُعدُّ هذه الأسباب أهم العوامل التي تتحكم في التطور الدلالي أو تغيّر المعنى، وقد عقد إبراهيم أنيس فصلاً في كتابه "دلالة الألفاظ" وضح فيه أسباب تغيّر المعنى ومظاهره، وشبهها بمظاهر المرض وأعراضه، وحصرها في خمسة مظاهر؛ هي: تخصيص الدلالة، وتعميمها، وانحطاطها، ورقيها، وتغيير مجال الاستعمال؛ أي ما يُعرَف بـ المجاز[٦].

ويعني تخصيص الدلالة تحويلها من المعنى الكلي إلى الجزئي، أو تضييق مجال استعمالها، أما تعميم الدلالة فمعناه أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر ممّا أشارت إليه سابقًا، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل. أمَّا رقي الدلالة وانحطاطها فيدرجه علماء الدلالة تحت مصطلح "نقل المعنى"، إذ قد تتردد الكلمة بين الرقي والانحطاط في سُلّم الاستعمال المُجْتَمعيّ، وقد تصعد الكلمة الواحدة إلى القمة وتهبط إلى الحضيض في وقت قصير، فكانت دلالة طول اليد كناية عن السخاء والكرم، وهي قيمة عليا لكنها أضحت وصفاً للسارق فيما بعد، إذ يقال: فُلانٌ طويل اليد. أما تغيير مجال الاستعمال بنقل الدلالة من الحقيقة إلى المجاز فيمثلون له بكلمة "رسول" التي كانت تطلق على الشخص الذي يُرسل لأداء مهمة ما، ثم حُوِّل مجال استعمالها الدلالي فأضحت تطلق على شخص "النبي" ﷺ، وصارت تتبادر إلى الذهن كلما استعملت ضمن الخطاب اللغوي العادي[٧].

- **محاور علم الدلالة:**

هناك محاور أساسية لعلم الدلالة، يهتم بها مختصو اللغة والدّلاليّون إذا صحّ التعبير، وهي تتطلب ربطاً بجوانب من الدراسات اللغوية، ثم تتفرع إلى أنماط تطبيقية وتحليلية يكثر فيها الاجتهاد، وتتعدد الآراء. وهذه المحاور هي:

- العلاقة الرمزية بين الدال والمدلول، والمنعكسات الاجتماعية والنفسية والفكرية.
- أسباب التطور الدلالي وقوانينه، والعلاقات السياقية والمَحَلِّية في الحياة والعلم والفن.
- المجاز وتطبيقاته الدلالية، وصلاته الأسلوبية[٨].

- **ما الفرق بين علم الدلالة والدراسة المعجمية؟**

لا تهتم الدراسة المعجمية إلا بوصف فحوى الكلمات عند تسجيلها، لذا فإنّ المعجمات لم تتابع حركة الألفاظ التطورية ومسيرتها في الأزمنة اللاحقة لعصر الاحتجاج، ويقول رمضان عبد التواب في ذلك: "لقد

اقتصرت جهود اللاحقين على تنظيم ما جمعه أسلافهم، ولم يحاول واحد منهم أن يدوّن ملاحظاته على الفروق بين تلك اللغة القديمة؛ لغة البدو في القرون الأولى، ولغة معاصريه، فلم يحاول واحد من علماء القرن الخامس مثلاً أن يُبيّن لنا المعنى الذي يفهمه معاصروه في لفظة جمعها زميل له في القرن الثاني الهجري". ولذا نستطيع أن نقول إن الدارسين ميّزوا بين ضربين من الدلالة؛ الأول معجمي يقدمه مصنفو المعاجم، والثاني هو الدلالة التي يقدمها السياق[٩].

- **ما الفرق بين الدلالة المعجمية والاستعمالية والمجازية؟**

يُقال في تعريف الدلالة المعجمية: "إن المعنى المعجمي الإفرادي هو مدلول التركيب أو اللفظ، أو هو محصلة علاقات الكلمة بالكلمات الأخرى في نفس المجال الدلالي"[١٠]. أما الدلالة الاستعمالية فهي أن يدلّ اللفظ على معناه الحقيقي أو معانيه المجازية، لكن بقرينة مرتبطة بالسياق الذي يوضحها، فالألفاظ المفردة لا تستعمل لإفادتها مدلولاتها إلا في التركيب[١١]. والدلالة المجازيةالتأويلية هي أن تخرج دلالة اللفظ من حقيقتها إلى الدلالة المجازية، وفي ذلك يُعدّ المجاز الذي يعتمد على القرينة وضعاً تأويلياً[١٢].

- **علامات تطورية في المعاجم العربية القديمة:**

من يُطالع مطالعة عميقة في لسان العرب وأساس البلاغة وغيرهما من المعاجم الأخرى؛ يقع على فرضية حديثة ترى أن معاجمنا إضافة إلى تأديتها دورها في إعطاء الدلالة العامة، تستطيع إضاءة جوانب من تاريخ الألفاظ ودلالاتها. وقد بدأ التطور الدلالي بالانتقال من المحسوس إلى المجرّد، وهناك تطور بين المحسوسات عن طريق التوسع والتعميم، وهناك ما هو عن طريق انتقال الدلالة من مجال إلى آخر عن طريق التشبيه والاستعارة المستندين إلى مسوغات الشبه الكلي أو الوظيفي[١٣].

١_ الأنس:

- **الدلالة المعجمية:**

الأَنْس: أُنْسُ الإنسانِ بالشيء إذا لم يسْتَوْحِشْ منه. وتقول العرب: كيف ابن إنْسِك؟ إذا كان يسأله عن نفسه. ويقال إنسان وإنسانان وأناسيُّ. وإنسان العين هو صَبِيّها الذي في السّواد[١٤].

والإنس: خلاف الجن، والأنس: خلاف النفور، والإنسي منسوب إلى الإنس وهو وصفٌ يقال لمن كثر أنسه، ولكل ما يؤنس به، ولهذا سُمّي الجانب الذي يلي الراكب من الدابة إنسي الدابة، وإنسي القوس هو الجانب الذي يقبل على الرامي. والإنسي من كل شيء: ما يلي الإنسان، والوحشي: ما يلي الجانب الآخر له. وجمع

الإنس أناسي، قال الله تعالى: "وأناسي كثيراً" [الفرقان/٤٩]، وفي قوله تعالى: "حتى تستأنسوا"[النور/٢٧] أي: تجدوا إيناساً. وسُمي الإنسان بذلك لأنه خلق خلقه لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض، وقيل: سمي بذلك لأنه يأنس بكل ما يألفه، وقيل: هو إفعلان، وأصله: إنسيان، سمي بذلك لأنه عهد الله إليه فنسي.[١٥]

ويقال: إذا جاء الليل استأنس كل وحشي واستوحش كل إنسيّ. وعن الجارية آنسة، والجمع أوانس، وهي الطيبة النفس المحبوب قربها وحديثها. وفلان جليسي وأنيسي. ومكان مأنوس: فيه أنس. وآنست ناراً، وآنست فزعاً، وآنست منه رشداً. واستأنس له وتأنس: تسمع.[١٦]

الإنسان جمعه الناس أيضًا، وهو مذكر، وفي التنزيل"يا أَيها الناسُ"[البقرة:٢١]. وقد يؤنث على معنى القبيلة أَو الطائفة. والإِنسانُ أَصله إِنْسِيانٌ لأَن العرب قاطبة قالوا في تصغيره أُنَيْسِيانٌ فدلت الياء الأَخيرة على الياء في تكبيره ، إِلا أَنهم حذفوها لما كثر الناسُ في كلامهم، وإِذا قالوا أَناسينُ فهو جمع بَيِّنٌ مثل بُسْتانٍ وبَساتينَ، وإِذا قالوا أَناسي كثيراً فخففوا الياء أَسقطوا الياء التي تكون فيما بين عين الفعل ولامه مثل قَراقيرَ وقراقِرَ. والإِنْسُ جماعة الناس والجمع أُناسٌ وهم الأَنَسُ. والأَنَسُ بالتحريك الحيُّ المقيمون، والأَنَسُ أَيضاً لغة في الإِنْس، والأَنَسُ خلاف الوَحْشَةِ وهو مصدر قولك أَنِسْتُ به بالكسر أَنَساً وأَنَسَةً، يقال: وفيه لغة أُخرى أَنَسْتُ به أُنْساً مثل كفرت به كُفْراً .والأُنْسُ والاستئناس هو التَّأَنُّسُ وقد أَنِسْتُ بفلان. والإِنْسِيُّ منسوب إِلى الإِنْس كقولك جَنِّيٌّ وجِنٌّ وسِنْدِيٌّ وسِنْدٌ والجمع أَناسِيُّ كَكُرْسِيّ وكَراسِيّ. ويقال للمرأَة أَيضاً إِنسانٌ ولا يقال إِنسانة والعامة تقوله. والمشهور فيها كسر الهمزة منسوبة إِلى الإِنس وهم بنو آدم الواحد إِنْسِيٌّ. والأُنْسُ وهو ضد الوحشة الأُنْسُ بالضم وقد جاءَ فيه الكسر قليلاً، ورواه بعضهم بفتح الهمزة والنون. والإِنْسِيُّ من الدواب هو الجانب الأَيسر الذي منه يُرْكَبُ ويُحْتَلَبُ، وهو من الآدمي الجانبُ الذي يلي الرجْلَ الأُخرى، والوَحْشِيُّ من الإِنسانِ الجانب الذي يلي الأَرض .وقيل: الإِنْسِيُّ الأَيْسَرُ من كل شيء. وقال الأَصمعي: هو الأَيْمَنُ، وقيل: كلُّ اثنين من الإِنسان مثل الساعِدَيْن والزَّنْدَيْن والقَدَمين فما أَقبل منهما على الإِنسان فهو إِنْسِيٌّ وما أَدبر عنه فهو وَحْشِيٌّ. ويقال: هذا حِذْئي وإِنسي وخِلْصي وحِلْسِي كله بالكسر. والإِيناسُ خلاف الإِيحاش وكذلك التَّأْنيس. والأَنَسُ والأُنْسُ والإِنْسُ الطمأْنينة، وقد أَنِسَ به وأَنَسَ يأْنَسُ ويأْنِسُ وأَنُسَ أُنْساً وأَنَسَةً وتَأَنَّسَ واسْتَأْنَسَ. والعرب تقول آنَسُ من حُمَّى؛ يريدون أَنها لا تكاد تفارق العليل فكأَنها آنِسَةٌ به. والمؤنسات بمعنى السلاح وإِنما سُمِّين بالمؤنسات لأَنهن يُؤْنِسْنَ الفارس فَيُؤَمِّنَّه أَو يُحَسِّنَّ ظَنَّهُ، وكانت العرب القدماءُ تسمي يوم الخميس مُؤْنِساً لأَنَّهم كانوا يميلون فيه إِلى الملاذِّ. وآنَس الشيءَ علمه، يقال آنَسْتُ منه رُشْداً أَي علمته، وآنَسْتُ الصوتَ سمعته. وقيل للإِنْسِ إِنْسٌ لأَنهم يُؤنَسُونَ أَي يُبْصَرون، كما قيل للجنِّ جِنٌّ لأَنهم لا يؤنسون أَي لا يُبصَرون. ومن أَمثالهم يقولون: بعد اطِّلاعِ إِيناسٌ؛ أي بعد طُلوعِ

ونظر إيناس. والمَأْنُوسَةُ جميعاً النار ويقال لها السَّكَنُ لأَن الإنسان إذا آنَسَها ليلاً أَنِسَ بها وسَكَنَ إِليها، وزالت عنه الوَحْشَة، وإِن كان بالأَرض القَفْرِ. ويقال للدِّيكِ الشُّقَرُ الأَنيسُ. والأنيس المُؤَانِسُ وكل ما يُؤْنَسُ به.[١٧]

والإنسان الراقي ذهناً و خلقاً، والإنسان المثالي الذي يفوق العادي بقوى يكتسبها بالتطور. والإنسانية خلاف البهيمية و جملة الصفات التي تميز الإنسان أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات. والآنسة الفتاة ما لم تتزوج.[١٨]

- **الدلالة الاستعمالية والمجازية:**

من المجاز: هو ابن إنس فلان لخليله الخاصّ به. وباتت الأنيسة أنيسته أي النار، ويقال لها: المؤنسة. ولبس المؤنسات أي الأسلحة؛ لأنهنّ يؤنسنه ويطامن قلبه. وتخيرت من كتابه سويداوات القلوب، وأناسيّ العيون. وكتب بإنسيّ القلم.[١٩]

وفي الاستعمال المعهود يقال: الإنس للجنس البشري، والأُنْس للطمأنينة، والأَنَس للطمأنينة أيضاً، ويستعمل كاسم علم. والإيناس يستعمل كاسم علم بمعنى ما هو ضد الإيحاش، أو بمعنى اليقين أو الإبصار. والأنيس هو من يؤنس بقربه.

- **ورودها في القرآن الكريم:**[٢٠]

وردت كلمة الإنس في القرآن الكريم بمعنى البشر في مواضع عديدة يصل عددها إلى ثماني عشرة مرة، نذكر منها:

الآية الكريمة	رقم الآية	السورة ورقمها
"وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ"	١١٢	الأنعام٦
"قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ"	٨٨	الإسراء١٧
"فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا"	٢٦	مريم١٩
"فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ"	٣٩	الرحمن٥٥
"فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ"	٥٦	الرحمن٥٥
"لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ"	٧٤	الرحمن٥٥

"وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا" ٥ الجن٧٢

ولم يرد الأَنس أو الأُنس في القرآن الكريم، ولا تجد الإيناس أو المشتقات الأخرى كالأنيس والمؤنس والآنسة، لكنك تجد الفعل آنس بمعنى أبصر وبمعنى علم، كما في الآيات الآتية:

الآية الكريمة	رقمها	السورة ورقمها
"فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ"	٦	النساء٤
"إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ"	١٠	طه٢٠
"إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ"	٧	النمل٢٧
"فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا"	٢٩	القصص٢٨

وقد وردت كلمة الإنسان في القرآن الكريم ثلاثاً وستين مرة، وكلها بمعنى الكائن البشري المعروف.

- **ورودها في الشعر العربي:**

١. قبل الإسلام:

وردت كلمة الإنس في الشعر الجاهلي بمعنى الجنس البشري، وما هو خلاف الجن، كقول لبيد بن أبي ربيعة:[٢١] [الكامل]

عهدي بها الإنسَ الجميعَ وفيهم قبل التفرّق ميسرٌ ونـدامُ

وفي قول حميد بن ثور الهلالي:[٢٢] [أحذّ الكامل]

وكأنما كُسيت قلائدها وحشيةً نظرت إلى الإنس

وفي شعر عنترة كقوله:[٢٣] [الطويل]

وقد أبعدوني عن حبيبٍ أحبّه فأصبحت في قفرٍ عن الإنسِ نازح

وجاءت لفظة الأُنس بمعنى الطمأنينة في الشعر الجاهلي كما في قول عنترة العبسي وهو يدعو لأطلال المحبوبة:[٢٤] [المنسرح]

سـقى الخيـامَ التـي نُصـبْنَ علـى شـــربة الأُنـــس وابـــلُ المطـــر

٢. في العصر الأموي:

حافظت الكلمة على معناها في العصر الأموي، وتراها في قول جرير التالي جاءت بمعنى ما هو خلاف الجنّ، يقول جرير:[٢٥] [الطويل]

لِتَبْـكِ عَلَيـهِ الإِنـسُ وَالجِـنُّ إِذ ثَـوى فَتـى مُضَـرٍ فـي كُـلِّ غـرب ومشـرق

وكذلك في قول عمر بن أبي ربيعة:[٢٦] [الكامل]

فعجبـــتُ منهـــا إذ تقـــول لنـــا يـا صـاح مـا هـذي مـن الإنـس

وجاءت في شعر ابن الدّمينة بنفس المعنى، كما في قوله:[٢٧] [الطويل]

أخـا الجـنّ بلّغهـا السـلام فـإنني مـن الإنـس مـزْوَرُّ الجنـاح كتـومُ

وتجدها في شعر جرير بفتح الهمزة وبمعنى سكان المحل، كقوله:[٢٨] [الوافر]

فليـت الظّـاعنين هـمُ أقـاموا وفـارقَ بعـضُ ذا الأَنَـسِ المقـيمِ

٣. في العصر العباسي:

حافظت كلمة الإنس على معناها، كقول المتنبي:[٢٩] [الطويل]

بكـلّ فـلاةٍ تنكـرُ الإنـسَ أرضُـها ظعـائنُ حمـر الحلْـي حمـر الأيـانقِ

وجاءت كلمة الأُنس بمعنى الطمأنينة وما هو خلاف الوحشة كما في قول أبي هلال العسكري:[٣٠] [السريع]

إنْ تطلـــب الأُنـــسَ ففـــارقهم إلـــى كتـــاب وإلـــى يـــاس

وكذلك في قول أبي العتاهية:[٣١] [الطويل]

ووسّـــع صـــبري بـــالأذى الأُنـــسُ بـــالأذى وقد كنتُ أحياناً يضيق به صدري

وجاءت لفظة الإيناس بمعنى الطمأنينة وخلاف الإيحاش في شعر ديك الجنّ الحمصيّ، إذ يقول:[٣٢] [السريع]

هـــي الليـــالي ولهـــا دولـــة ووحشـــة مـــن بعـــد إينـــاس

٤. في الشعر الحديث:

في الشعر الحديث نجد استعمال المشتقات غدا أكثر وضوحاً، ونجد الإنس قد حافظت على معناها كما في قول البارودي:[٣٣] [أحذّ الكامل]

أحِمـــى الجزيـــرةِ مطلـــع الشـــمس أم لاح ضـــوءُ غزالـــةِ الإنـــس؟

ونجد استعمال اسم الفاعل الآنس بمعنى المطمئن في شعر البارودي أيضاً، إذ يقول:[٣٤] [الطويل]

فمـــا ذاقهـــا حتـــى تهلّـــلَ ضـــاحكاً وأقبـــلَ مســـروراً بمـــا هـــو آنـــسُ

وكذلك نجد لفظ الإيناس بمعنى الطمأنينة والأُنس، إذ يقول:[٣٥] [الكامل]

وإذا أرابكمـــا الزّمـــانُ بوحشـــةٍ فاستمخِضـــاهُ اليسْـــرَ بالإينـــاسِ

ومن ديوان البارودي إلى ديوان الخليل مطران حيث نجد اسم الفاعل مؤنس في قوله:[٣٦] [الطويل]

لنحـــذر مـــن اليـــأسِ الـــذي دونـــه الـــرّدى ومـــن كـــلِّ مـــأفونٍ مـــن الـــرّأي مـــؤنسِ

ونجد الأُنس بمعنى الطمأنينة كما في قوله:[٣٧] [السريع]

الضـــاحك اللاعـــب بـــالأمس بـــات صـــريعاً فاقـــد الأُنـــس

ونجد الأَنْسَ بمعنى ما هو خلاف الجن في قوله:[٣٨] [السريع]

مـــاذا تـــراه نـــاقلاً فـــي دجـــى مثـــــواه للجـــــن والأَنْـــــسِ

- **التطور الدلالي الذي طرأ عليها:**

نلحظ بعد التجوال الذي قمنا به مع لفظ الأنس عبر تاريخ الشعر العربي أن الكلمة تطورت تطوراً طبيعياً، وهذا التطور يتمثل بداية بالتعميم والانتقال من المحسوس إلى المجرد؛ فبداية كانت كلمة الإنس تعني الجنس البشري وما هو خلاف الجنّ، والآن صرنا نقول الإنسانية ونعني بها المعنى المجرد الذي يمثل خصائص الجنس البشري، وهذا يُعدّ انتقالاً من المحسوس إلى المجرد وهو يدخل في إطار تعميم هذا المفهوم، إذ كان يعني الجنس البشري ثم غدا بعد التعميم يعني خصائص هذا الجنس البشري أيضاً. ونجد أن الكلمة بقيت محافظة على وجودها عبر السنين الطويلة، وزاد استعمال مشتقاتها مع مرور الزمن. وأما عن العلاقة بين الإنس والأُنس فلا تخفى على متمعن، فالأُنس والطمأنينة لا تكون من غير الناس ومن هنا فالعلاقة جدٌّ واضحة. وبما أن الإنسان يأنس بأخيه الإنسان والأُنس شعور داخلي كان أن عبّر العرب عن كل ما هو داخلي قريب من الإنسان بالإنسي كالجانب الداخلي من أعضاء الجسم ، الذي يحاذي جسم الإنسان، ومن هنا توسّع المفهوم ليشمل كثيراً من الأشياء عن طريق التشبيه والاستعارة كإنسيّ القوس، وكإنسان العين. ومن الملاحظ أن معنى الإبصار المستفاد من الفعل آنس لم يكن شديد الحضور في العصور التالية لنزول القرآن. ونلحظ أيضاً أن لفظ الإنس بات يحلّ محلّه في هذه الأيام لفظ الناس، والله أعلم إن كان لفظ الناس مشتقاً من النسيان أو من الإيناس بمعنى الإبصار واليقين والأُلفة والطمأنينة. ومهما طرأ على الكلمة من تطور فإننا نستطيع القول إنها لم تخرج من إطار معناها البدائي الذي جاء به القرآن الكريم والذي كان معهوداً عند العرب قبل الإسلام، وإنما نقول إنها توسعت من حيث المعنى ومن حيث استعمال اشتقاقاتها، وأكبر تطور طرأ عليها هو الانتقال من المحسوس الإنس إلى المجرد الإنسانية.

٢_ الوحش:

- **الدلالة المعجمية:**

وَحْش الواو والحاء والشين: كلمةٌ تدلُّ على خلاف الإنس. توحَّش: فارَقَ الأنيس. والوَحْش: خلاف الإنس. وأرضٌ مُوحِشَةٌ، من الوَحْش. ووَحشيُّ القَوس: ظَهْرُها. ووَحْشِيُّ الدَّابّة في قول الأصمعي: الجانبُ الذي يَرْكَب منه الرَّاكبُ. ويقولون: لقيتُ فلاناً بوحْشِ إصْمِتَ، أي ببلدٍ قَفْر. ويقال: وَحَش بثَوْبه: رمى به. وبات الوَحْشَ؛ أي جائعاً. كأنّه كان بأرضٍ وَحْش لا يجد ما يأكلُه.[٣٩]

الوَحْشُ: خلاف الإنس، وتسمى الحيوانات التي لا أنس لها بالإنس وحشاً، وجمعه: وحوش. قال تعالى: "وإذا الوحوش حشرت" [التكوير/٥]، والمكان الذي لا أنس فيه: وحش، وبات فلان وحشاً: إذا لم يكن في جوفه طعام، وجمعه أوحاش، وأرض موحشة: من الوحش، ويسمى المنسوب إلى المكان الوحش وحشياً، وعبر بالوحشي عن الجانب الذي يضاد الإنسي.[٤٠]

وحش: أرض كثيرة الوحش والوحوش. وهذا حمار وحشٍ، وحمارٌ وحشيّ. وأرض موحوشة: ذات وحشٍ. واستوحشت منه، وأوحشني، وأوحش المكان وتوحّش، ومكان موحش ومتوحش ووحشٌ: خالٍ من الإنس. وتركوا الدّار وحشاً ووحشةً. وباتوا أوحاشاً: جوعاً. وأوحش الرّجل وتوحّش: جاع. وبات موحشاً ومتوحشاً ووحشاً. وتوحّش للدّواء: تجوّع له. ووحّش المهزوم ثيابه وسلاحه تخفّفاً: رمى به بعيداً. ومال الرّجل لوحشيّه: لشقّه الأيسر.[٤١]

وحش: الوَحْش كلُّ شيء من جواب البَرّ مما لا يَسْتأْنس، وهو وَحْشِيّ والجمع وُحُوشٌ لا يُكسّر على غير ذلك، حمارٌ وحْشَيٌّ وثورٌ وَحْشِيٌّ كلاهما منسوب إلى الوَحْشِ، ويقال للواحد من الوحْشِ هذا وحْشٌ ضَخْم وهذه شاةٌ وَحْش، والجماعة هي الوَحْشُ والوُحُوش والوَحِيش، وكل شيء يسْتَوْحِشُ عن الناس فهو وَحْشِيّ، وكل شيء لا يَسْتَأْنس بالناس وَحْشِيٌّ. والوَحْشةُ: الفَرَقُ من الخَلْوة، يقال: أَخذَتْه وَحْشةٌ. وأرض مَوْحُوشةٌ كثيرة الوَحْشِ. واسْتَوْحَشَ منه لم يَأْنَسْ به فكان كالوَحْشيّ. ومكانٌ وَحْشٌ: خالٍ، وأَرض وَحْشةٌ بالتسكين؛ أَي قَفْرٌ. وأَوْحَشَ المكانُ من أَهله وتوَحّشَ: خَلا وذهبَ عنه الناسُ، ويقال للمكان الذي ذهب عنه الناسُ قد أَوْحَشَ، وطَلَلٌ مُوحِشٌ. والوَحْشةُ: الخَلْوة والهَمُّ، وأَوْحَشَ المكانُ إِذا صارَ وَحْشاً وكذلك توحّشَ، وقد أَوْحَشْت الرجلَ فاسْتَوْحَشَ. وبلادٌ حِشُون: قَفْرةٌ خالية، وباتَ وَحْشاً ووَحِشاً: أَي جائعاً لم يأْكل شيئاً فخلا جَوفُه، والجمع أَوْحاشٌ، فهو الوَحْشُ والمُوحِشُ. والتوَحُّشُ للدواء الخُلُوُّ له، ويقال للجائع الخالي البطن قد توَحَّشَ. ورجل مُوحِشٌ ووحْشٌ ووحِشٌ وهو الجائع من قوم أَوْحاشٍ، وبِتْنا أَوْحاشاً أَي جِياعاً. والوَحْشِيُّ والإِنْسِيُّ: شِقَّا كلِّ شيء، ووحْشِيُّ كلِّ شيء: شِقُّه الأَيْسَر، وإِنْسِيُّه شِقُّه الأَيْمنُ. والوحشي من التِّين: ما نَبَت في الجبال وشَواحِط الأَوْدية ويكون من كل لون أَسود وأَحمر وأَبيض، وهو أَصغر التين وإِذا أَكل جَنِيّاً أَحْرق الفم.[٤٢]

الوحشة :الأرض القفر المستوحشة، ومن الناس الانقطاع وبعد القلوب عن المودّات، والخلوة والخوف من الخلوة والخوف والهم. والوحيش: ما لا يستأنس من دواب البر. والجانب الوحيش الوحشي، وجمعه وحشان.[٤٣]

- **الدلالة الاستعمالية والمجازية:**

الدلالة الاستعمالية الأكثر استخداماً لهذا اللفظ أن يستعمل بما هو عكس الأنس، وبما هو مرادف للخوف والفزع، هذا من الناحية المجردة، أما من الناحية الحسية فيطلق على دواب البرّيّة التي لا تأنس بالإنس ولا يأنس الإنس بها.

ومن مجاز اللفظ ما جاء به المعجم الوسيط بأن الوحشة هي خلو القلوب من المودّات فيما بين الناس، والخلوة والخوف منها، والهم والخوف منه. ولعل استخدام اللفظ مع السلاح على سبيل المجاز وانتقال اللفظ من سياق لآخر.

- **ورودها في القرآن الكريم:**[٤٤]

لم ترد لفظة الوحش أو الوحشة في القرآن الكريم، ولا نجد لفظ الجمع منها الوحوش إلا في موضع واحد، في سورة التكوير يقول الله عز وجل: "وإذا الوحوش حشرت" التكوير:٥. وهي هنا بمعنى حيوانات البرّيّة المخيفة.

- **ورودها في الشعر العربي:**

١_قبل الإسلام:

نجدها في شعر النابغة الذبياني بمعنى حيوانات البرية، إذ يقول:[٤٥] [البسيط]

مـــن وَحْـــشَ وجْـــرة موشـــيّ أكارعـــه طـــاوي المصـــيرِ كســـيف الصـــيقل الفـــرد

وبالمعنى نفسه في شعر امرئ القيس عندما يقول:[٤٦] [الطويل]

تصـــدّ وتبـــدي عـــن أســـيلٍ وتتقـــي بنـــاظرةٍ مـــن وحـــشِ وجْـــرة مطفـــل

وكذلك في شعر عنترة العبسي، يقول:[٤٧] [الطويل]

وأجســـاد قـــوم يســـكنُ الطّيـــرُ حولهـــا إلـــى أن يـــرى وحْـــشَ الفـــلاة فينفـــر

وجاءت في شعر عنترة بمعنى ما هو خلاف الإيناس، حيث يقول: [الكامل]

ناحَـــت خَمـــيلاتُ الأَراكِ وَقَـــد بَكـــى مِـــن وَحشَـــةٍ نَزَلَـــت عَلَيـــهِ البـــانُ

٢_في الشعر الأموي:

فـــي الشـــعر الأمـــوي حافظـــت اللفظـــة علـــى معناهـــا، وقـــد وردت فـــي شـــعر الأخطـــل فـــي قوله:[٤٨] [البسيط]

كَأَنَّهـــا بَعـــدَ ضَـــمِّ السَـــيرِ جَبلَتَهـــا مِـــن وَحـــشِ غَـــزَّةَ موشِـــيٌّ الشَـــوى لَهَـــقُ

وكذلك في قول الفرزدق:[٤٩] [الطويل]

لَقَـــد أَمِنَـــت وَحـــشُ الـــبِلادِ بِجـــامِعٍ عَصا الدينِ حَتّى ما تَخافُ نَوارُها

وفي شعر ذي الرمّة إذ يقول:[٥٠][الطويل]

لَأُدمانَـــةٍ مِـــن وَحـــشٍ بَـــينَ سُـــوَيقَةٍ وَبَـــينَ الحِبـــالِ العُفـــرِ ذاتِ السَلاسِـــلِ

وقد ورد من مشتقات الجذر وحشة ووحشي في هذا العصر في دواوين لم أقف عليها.

٣_ العصر العباسي:

فـــي الشـــعر العباســـي حافظـــت الكلمـــة علـــى معناهـــا وتراهـــا فـــي قـــول ابـــن الرومـــي:[٥١] [الخفيف]

تنفـــرُ الأنفـــسُ الســـواكنُ منهـــا حـــين تَـــدنُو فإنمـــا هـــي وحْـــشُ

ونجدها في شعر أبي العتاهية بمعنى الإيحاش وخلاف الإيناس، يقول:[٥٢][السريع]

للمـــرء يـــوم يُحتمـــى قربـــه وتظهـــر الوحشـــة مـــن أُنْســـه

ويقول أبو الطيب المتنبي:[٥٣][الكامل]

فَـــاليَومَ قَـــرَّ لِكُـــلِّ وَحـــشٍ نـــافِرٍ دَمُـــهُ ، وَكـــانَ كَأَنَّـــهُ يَتَطَلَّـــعُ

٤_ في الشعر الحديث:

وفي الشعر الحديث نجد الجذر جاء بكل معانيه التي حافظ عليها وحملها معه من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، فها هو حافظ إبراهيم يأتي بالوحشة التي هي خلاف الأُنس، فيقول:[٥٤][الرمل]

لا تَخَف مِن وَحشَةِ القَبرِ وَلا تَبتَئِس إِنّي مُوافٍ عَن قَريبِ

وها هو إلياس أبو شبكة يأتي باللفظ بمعنى الوحوش البرية، فيقول:[٥٥][البسيط]

خَرَّبتُ قَلبي وَأَطعَمتُ الوُحوشَ دَمي في كُلِّ مَخلَبِ وَحشٍ مِنهُما خِربُ

ونجد لفظ الإيحاش في شعر الخليل مطران، إذ يقول:[٥٦] [السريع]

أَثْكَلَ أَهْلاً لاَ عَزاءٌ لَهُمْ وَأَوْسَعَ الرُّفَقَةَ إِيحاشَاً

- **التطور الدلالي الذي طرأ عليها:**

لا نجد كثيرَ كلامٍ يقال على تطور هذا اللفظ، فقد حافظ على معناه منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وربما نستطيع القول إنه عن طريق المجاز والاستعارة والتشبيه يمكن أن يكون قد انتقل من سياق إلى آخر، كتشبيه بعض المحبوبات بالوحوش البرية في جمال عيونها مثلاً، وفي ذلك انتقال كبير للفظ من سياق الخوف والوحشة من تلك الحيوانات إلى سياق الغزل والتشبيه. وهذا اللفظ من بداية وجوده كان يحمل معنى حسياً وآخر مجرداً، لكن الأكثر استعمالاً في العصر الحديث هو المعنى المجرد الذي هو ضد الأُنس. ونرى أن استعمال المشتقات قد ازداد أيضاً مع مرور اللفظ عبر الزمن، ولعل هذا الأمر سمة لكل الألفاظ، فاللغة العربية تتّسع لاسيما أنها لغة اشتقاقية من الدرجة الأولى.

وعلى صعيد التوسع والتعميم يمكن أن يكون هذا الجذر قد اتسع في انتقاله بين المحسوسات ، فلم يعد التعبير عن الحيوانات البرية هو المعنى الوحيد الذي يُستخدم فيه اللفظ، بل انتقل ذلك للتعبير عن كل ما هو غير أليف ومخيف للنفس حتى لو كان ذلك الشيء إنساناً. وترانا في هذه الأيام نتحدث عن مفهوم الوحشية وفي ذلك انتقال للمعنى الحسي إلى المفهوم المجرّد الذي يعبّر عن خصائص الوحوش المرعبة، لكنه لفظ يطلق على البشر الذين يتسمون بتلك الخصائص ولا يتسمون بخصائص الإنسانية.

ونلاحظ من ناحية أخرى أن استعمال اللفظ في التعبير عن الجانب الخارجي لأطراف الإنسان لم يعد مستعملاً في أيامنا هذه، إضافة إلى أن اللفظ لم يعد مستعملاً للتعبير عن الجوع وقد يرجع ذلك لتغيّر المجتمع والثقافة بالإضافة إلى استهجان اللفظ في التعبير عن الجوع ، ولم يعد مستعملاً للتعبير عن التحضّر لتناول الدواء أيضاً، ولعل هذين المعنيين من المعاني التي أصبحت في حكم المهجورة والتي لا نعرف معانيها الأصلية إلا بالعودة إلى المعاجم اللفظية.

الخاتمة

إن أكثر ألفاظ العربية تسامت دلالاتها بفضل الإسلام ووصلت إلى مستوى ملموس من الرقي بسبب العاملين الديني والحضاري، ومعلوم أن هناك ألفاظاً حافظت على مدلولاتها وهناك قسم منها انتقلت فيه الدلالة الأصلية إلى المفهوم العرفي والاصطلاحي. وفي هذه الدراسة بيّنت كيف تطور لفظ الإنس من الدلالة الحسية إلى الدلالة المعنوية مع بقائه محافظاً على دلالته الأصلية، وكيف حافظ لفظ الوحش على معناه الأصلي أيضاً وتوسع فصار لدينا ما يسمى بمفهوم الوحشية، وكيف هُجر منه التعبير الدال على الجوع تبعاً لما يناسب الذوق الحضاري والاجتماعي الجديد، وبيّنت كذلك كيف تطور كل لفظي الصدور والورود وانتقلا من سياقهما الأصلي إلى سياق جديد يناسب روح العصر والثقافة السائدة.

وفي نهاية البحث أقول: إن عبقرية العربية راسخة مهما لاكت الألسن عكس ذلك، ومهما تشدّق المتشدّقون، وجواهر العربية وكنوزها التي لم يُكشف عنها بعد ما تزال بانتظار فرسان العربية الذين سيزيلون الغبار عن وجهها البهيّ، وإنهم لفاعلون بإذن الله. والله وليّ التوفيق.

---

[1] د. إيناس محروس بوبس

أستاذ مساعد في جامعة إزمير كاتب جلبي/ كلسة العلوم الإسلامية/ قسم اللغة العربية وبلاغتها.

Email: eboubes@gmail.com

Telephone: 00905511702166

ORCID ID: 0000-0001-9358-7186

[2] عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، تونس: المطبعة العربية، ١٩٨٦م، ٣٨.

[3] ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١، ٦٩، ٧٠.

[٤] يُنظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ١٩٧٢، ١٦١-١٦٢.

[٥] ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ١٩٨٨، ٢٤٠.

[٦] ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ١٩٧٢، ١٥٢_١٦٧.

[٧] ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ١٩٨٨، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٨.

[٨] ينظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق، د.ت، ٩.

[٩] ينظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق، د.ت، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٦.

[١٠] عادل عبد الجبار زاير، معجم ألفاظ العلم والمعرفة في اللغة العربية، ١٩٩٧، ٦٣.

[١١] يُنظر: المرجع نفسه:٦٣.

[١٢] يُنظر: المرجع نفسه:٦٤.

[١٣] يُنظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق، د.ت، ٢٢٥، ٢٢٦، ٣٥٢.

[١٤] مقاييس اللغة، ابن فارس٣٩٥، تح: عبد السلام هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب ، مادة[أنس]، ١٤٥/١.

[١٥] مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني٤٢٥، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى١٩٩٦، ص:٩٤.

[١٦] أساس البلاغة، الزمخشري٥٣٨، بيروت/لبنان، ناشرون، الطبعة الأولى١٩٩٦م، مادة[أنس]، ص١٠.

[١٧] ينظر: لسان العرب، ابن منظور ٧١١، دار صادر، بيروت/لبنان، الطبعة السادسة١٩٩٧م، مادة[أنس]، ١٠/٦_١٧.

[١٨] ينظر: المعجم الوسيط، إخراج:إبراهيم مصطفى وآخرون، دار العودة، استنبول/تركية، الطبعة الثانية، مادة[أنس]، ٢٩/١_٣٠.

[١٩] أساس البلاغة، الزمخشري٥٣٨، مادة[أنس]، ص١٠.

[٢٠] ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، روحي البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الاولى١٩٩٩، ص:٢٨٧.

[٢١] ديوانه، اعتناء: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى٢٠٠٤، ص:١٠٥.

[٢٢] ديوانه، صنعة عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى١٩٥١، ص:٩٨.

[٢٣] ديوانه، الطبعة الرابعة برخصة مجلس معارف ولاية بيروت وبنفقة خليل الخوري صاحب المكتبة الجامعة بمطبعة الآداب١٨٩٣، ص:٢١.

[٢٤] المصدر نفسه، ص:٣٨.

[٢٥] ديوانه، ضبط: عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٧، ص:٣٣٨.

[٢٦] ديوانه، تصحيح: بشير يموت، المطبعة الوطنية، بيروت، الطبعة الأولى١٩٣٤، ص:١٥٢.

[٢٧] ديوانه، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تح: أحمد راتب النفاخ، دار العروبة، القاهرة، لا يوجد ذكر لتاريخ الطبع، ص:٤١.

[٢٨] ديوانه، ص:٤٠٣.

[٢٩] شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة١٩٨٦، ٦٧/٣.

[٣٠] ديوانه، تح: جورج قنازع، المطبعة التعاونية، دمشق، طبعة١٩٧٩، ص:١٤٧.

[٣١] ديوانه، تح: شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق١٩٦٥، ص:١٧٥.

[٣٢] ديوانه، تح: مظهر الحجي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤، ص:١٥٩.

[٣٣] ديوانه، تح: علي الجارم و محمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، طبعة١٩٩٢، ص:٢٨٨.

[٣٤] المصدر نفسه، ص:٢٨٧.

[٣٥] المصدر نفسه، ص:٢٨٥.

[٣٦] ديوانه، دار مارون عبود، بيروت، لا يوجد ذكر لتاريخ الطبع، ٢٦٥/٢.

[٣٧] المصدر نفسه، ٢٧٠/٢.

[٣٨] المصدر نفسه، ٢٧١/٢.

[٣٩] مقاييس اللغة، ابن فارس٣٩٥، مادة [وحش].

[٤٠] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني٤٢٥، ص:٨٥٨.

[٤١] أساس البلاغة، الزمخشري٥٣٨، مادة [وحش]، ص:٤٧٨.

[٤٢] ينظر: لسان العرب٢، ابن منظور ٧١١، تح: هاشم الشاذلي وآخرون، دار المعارف، القاهرة، لم يذكر تاريخ الطبع، مادة[وحش]، المجلد٦/ص:٤٧٨٤.

[٤٣] ينظر: المعجم الوسيط، مادة[وحش]، ص:١٠١٧.

[٤٤] ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم٢، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، باب [وحش]، ص:٧٤٦.

[٤٥] ديوانه، شرح:حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية٢٠٠٥، ص:٣٣.

[٤٦] ديوانه، صنعة حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية، مصر، طبعة١٩٣٠، ص:٩٩.

[٤٧] ديوانه، ص:٤٠.

[٤٨] شعر الأخطل، صنعة السكري، تح: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية١٩٧٩، ٦٠٦/٢.

[٤٩] ديوانه، شرح:عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٧، ص:٣٣٥.

[٥٠] ديوانه، شرح الإمام الباهلي، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الثانية١٩٨٢، ١٣٤٠/٢.

[٥١] ديوانه، تح: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، ١٢٤٤/٣.

[٥٢] ديوانه، ص:١٩٦.

[٥٣] ديوانه، شرح: العكبري، ضبط:مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، بيروت، لا يوجد ذكر لتاريخ الطبع، ٢٧٦/٢.

[٥٤] ديوانه، ضبط: إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العودة، بيروت، لا يوجد ذكر لتاريخ الطبع، ٢٠١/١.

[٥٥] مجموعته أفاعي الفردوس، دار الحضارة، بيروت، الطبعة الثالثة١٩٦٢، ص:٧٤.

[٥٦] ديوانه، ص:٢٧٦.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١_ أساس البلاغة، الزمخشري٥٣٨، ناشرون، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى١٩٩٦م.

٢_ دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة أنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٧٢.

٣_ديوان امرئ القيس، صنعة حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية، مصر، طبعة١٩٣٠.

٤_ديوان البارودي، تح:علي الجارم و محمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، طبعة١٩٩٢.

٥_ديوان البحتري، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٦_ديوان بشر بن أبي خازم، تح: عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث، دمشق، ١٩٦٠.

٧_ ديوان أبي تمام، شرح: محيي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٧.

٨_ديوان جرير، ضبط:عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٧.

٩_ديوان جميل بثينة، شرح:أشرف احمد عدرة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٦.

١٠_ ديوان حافظ إبراهيم، ضبط: إبراهيم الأبياري وآخرون، دار العودة، بيروت، لا يوجد ذكر لتاريخ الطبع.

١١_ديوان حميد بن ثور الهلالي، صنعة عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى١٩٥١.

١٢_ ديوان الخليل مطران، دار مارون عبود، بيروت، لا يوجد ذكر لتاريخ الطبع.

١٣_ديوان ابن الدمينة، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تح:أحمد راتب النفاخ، دار العروبة، القاهرة، لا يوجد ذكر لتاريخ الطبع.

١٤_ديوان ديك الجن الحمصي، تح:مظهر الحجي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.

١٥_ ديوان ذي الرمة، شرح الإمام الباهلي، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الثانية١٩٨٢.

١٦_ديوان ابن الرومي، تح: حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.

١٧_ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تح:فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة١٩٨٠.

١٨_ ديوان أبي العتاهية، تح:شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق١٩٦٥.

١٩_ديوان عمر بن أبي ربيعة، تصحيح:بشير يموت، المطبعة الوطنية، بيروت، الطبعة الأولى١٩٣٤.

٢٠_ديوان عنترة العبسي، ، الطبعة الرابعة برخصة مجلس معارف ولاية بيروت وبنفقة خليل الخوري صاحب المكتبة الجامعة بمطبعة الآداب١٨٩٣.

٢١_ ديوان أبي فراس الحمداني، اعتناء:سامي الدهان، بيروت، ١٩٤٤، لم تُذكر دار النشر.

٢٢_ديوان الفرزدق، شرح:عمر الطباع، دار الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٧.

٢٣_ديوان لبيد بن أبي ربيعة، اعتناء:حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى٢٠٠٤.

٢٤_ديوان المتنبي، شرح: العكبري، ضبط:مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، بيروت، لا يوجد ذكر لتاريخ الطبع.

٢٥_ديوان النابغة الذبياني، شرح:حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية٢٠٠٥.

٢٦_ديوان أبي هلال العسكري، تح:جورج قنازع، المطبعة التعاونية، دمشق، طبعة١٩٧٩.

٢٧_ شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة١٩٨٦.

٢٨_شعر الأخطل، صنعة السكري، تح: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية١٩٧٩.

٢٩_علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت/لبنان، الطبعة الثانية١٩٨٨م.

٣٠_علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربيدراسة، منقور عبد الجليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.

٣١_ علم الدلالة العربيالنظرية والتطبيق، فايز الداية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى.

٣٢_ لسان العرب، ابن منظور ٧١١، دار صادر، بيروت/لبنان، الطبعة السادسة١٩٩٧م. ولسان العرب٢، ابن منظور ٧١١، تح:هاشم الشاذلي وآخرون، دار المعارف، القاهرة، لم يذكر تاريخ الطبع.

٣٣_ اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، المطبعة العربية، تونس، طبعة ١٩٨٦.

٣٤_ مجموعة[أفاعي الفردوس]، دار الحضارة، بيروت، الطبعة الثالثة١٩٦٢.

٣٥_ معجم ألفاظ العلم والمعرفة في اللغة العربية، عادل عبد الجبار زاير، مكتبة لبنان/ناشرون، الطبعة الأولى١٩٩٧.

٣٦_ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، روحي البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الاولى١٩٩٩.

والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم-٢، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.

٣٧_ المعجم الوسيط، إخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، دار العودة، استنبول/تركيا، الطبعة الثانية.

٣٨_ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني٤٢٥، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى١٩٩٦.

٣٩_ مقاييس اللغة، ابن فارس٣٩٥، تح:عبد السلام هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب

مكانة اللغة العربية ودورها في فهم القرآن الكريم وتفسيره

غرض البحث: ض استكمال متطلبات مناقشة الدكتوراه،

نرجس بخوش /جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة/ الجزائر

كلية: الآداب والحضارة الإسلامية /قسم: اللغة العربية / البريد الإلكتروني: nerdjes.bekhouche7@gmail.com

ملخص

تعد اللغة العربية من مقومات وجودنا الإنساني، إذ تعدّ أكمل اللغات السامية وأجلها، وأوفرها لفظا وأقواها تركيباً، وأجودها تعبيراً، تنمو وتتجدَّد باستمرارٍ، وهي محفوظةٌ بحفظ القرآن الكريم، حيث حفظها من الاندثار وجعل لها الصدارة والعالمية لقرونٍ في ظل الدولة الإسلامية، وهذه الدراسة تسعى إلى الكشف عن أهمية اللُّغة العربيَّة ودورها في فهم القرآن الكريم وكذا تفسيره.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، القرآن الكريم، علم التفسير

The status of the Arabic language and its role in understanding and interpreting the Noble Qur'an

nerdjes bekhouche

University for Islamic Sciences Emir Abdul Qader

College of Arts and Islamic Civilization the department of Arabic language

Abstract

The Arabic language is one of the basics of our human existence, as it is considered the most complete and lasting of the Semitic language, the most pronounced and the most powerful of the syntax, and the best expression. It grows and is constantly renewd. To reveal the importance of the arabic language and its role in understanding the nNoble Qur'an as well as its interpretation.

Key words : Arabic language, the Noble Qur'an, the science of exegesis.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، منزل الكتاب بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وبعد،

فإنَّه لا يمتري أحدٌ في أنَّ اللُّغة العربيَّة وعلومها تنزل من علوم الإسلام ومعارفه منزلة اللِّسان من جوارح الإنسان، لأنَّها لسان الإسلام الأسمى، بها نزل القرآن الكريم؛ فإذا اعتور اللُّغة العربيَّة ضعفٌ استعجم فهم كتاب الله تعالى، ذلك أنَّ زمن مجد المسلمين كان مرتبطاً بفهم القرآن الكريم وأساليبه، والذي كان منطلقه من فهم أسرار اللغة العربية، فقواعدها لم تُدوَّن إلاَّ صوناً للقرآن الكريم من أن يَدْلِف إليه اللَّحن، ولقد دأب العلماء قديماً على تقديم تعليمها على باقي العلوم الأخرى، ذلك أنَّ دارس القرآن ومفسِّره لا يتأتى له فقه ذلك إلاَّ إذا فقه فنون العربية.

وبناءً على ما تقدَّم، فإنَّ هذه الورقة البحثيَّة تسعى إلى الكشف عن أهمية اللُّغة العربيَّة ودورها في فهم القرآن الكريم وكذا تفسيره، وقد اعتمدت على المنهج الوصفي مستندةً على التحليل والتركيب كآليتين إجرائيتين، وعلى هذا الأساس فإنَّ هذه الورقة البحثية ستحاول الإجابة عن مجموعةٍ من الأسئلة المتعلقة بمكانة اللغة

العربية ودورها في فهم القرآن الكريم، ولعلَّ أهمها: ما مكانة اللغة العربية بالنسبة للقرآن الكريم؟ كيف تعامل معها الصحابة واللغويون؟ وما أهمية اللغة العربية بالنسبة لمفسِّر القرآن الكريم؟. ومن أجل الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها، فقد تم اعتماد خطة تقوم على مبحثين اثنين، وهي حسب الآتي:

المبحث الأول: عناية المسلمين الأوائل باللغة العربية

المطلب الأول: عناية الصحابة باللغة العربية

المطلب الثاني: عناية اللغويين باللغة العربية

المبحث الثاني: أهمية اللغة العربية في فهم كتاب الله تعالى

المبحث الأول: عناية المسلمين الأوائل باللغة العربية

تعدُّ اللغة هوية الأمم، ومعيار قوَّة وضعف أي مجتمعٍ من المجتمعات، لأنَّها وعاء ثقافتها، واللغة العربية تعدُّ من ثوابت الأمة الإسلاميَّة، لأنَّها أداة الدين، ولا يَصِل إنسانٌ إلى فَهْم هذا الدين فهمًا صحيحًا إلاَّ عن طريق هذه اللغة الغراء، ومن القواعد الفقهية "ما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب"، وفَهْم القرآن الكريم لا يكون إلاَّ باللغة العربية؛ لذا فتعلُّمها واجبٌ على كل مسلمٍ، وقد حرص رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على ذلك أشد الحرص، حتَّى إنَّه سمع رجلاً يَلحَن فقال: «أرشدوا أخاكم»[1].

ومن عظم عناية المسلمين الأوائل باللغة العربية أنَّه كان إذا لحن فيها أحدٌ أن يقول: "استغفر الله"، حيث عُدَّ اللَّحن آنذاك بمثابة ارتكاب جرمٍ شنيع، من أمثلة ذلك: ما روي عن الحسن بن أبي الحسن وهو من التابعين، أنَّه كان إذا عثَر لسانه بشيءٍ من اللَّحن، قال: أستغفر الله، فسئل في ذلك، فقال: مَن أخطأ فيها؛ أي: في العربية، فقد كذب على العرب، ومن كذب فقد عمل سوءًا، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[2].

ومع انتشار الفتوحات ودخول العجم البلاد الإسلامية، واختلاطهم بالمسلمين، تمكَّن اللَّحن من اللسان العربي إلى أن وصل الأمر أن يُعَد مَن لا يلحن، فقالوا: أربعة لم يلحنوا في جِد ولا هزل: الشعبي، وعبد الملك

بن مروان، والحجاج بن يوسف، وابن القرية، والحجاج أفصحهم، يأتي الخليفة المثقَّف عبد الملك بن مروان ويقول: "اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب، والجُدَري في الوجه"[٣]. ولما قيل له: "لقد عجل إليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: شيَّبني ارتقاء المنابر، وتوقُّع اللَّحن"[٤].

وكانت هذه هي البداية التي جاءت في إثرها علوم العربية، وخاصة النحو الذي تكاد تُجمِع الروايات على أنَّه نشأ تلبيةً لحاجات المجتمع الإسلامي، والذي بات اللَّحن فيه ظاهرةً تُهدِّد اللسان العربي.

ولمكانة اللغة العربية وعناية المسلمين بها؛ عُدَّ تعلمها من الواجبات، وفي ذلك يقول ابن تيمية: "إنَّ نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فَهْم الكتاب والسنة فرض، ولا يُفهَم إلاَّ بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجبٌ"[٥]. وأمَّا الإمام ابن حزم، فقد ألزم من أراد أن يتعلَّم الفقه تعلُّم النحو واللغة، فقال "لزم لمن طلب الفقه أن يتعلَّم النحو واللغة، وإلاَّ فهو ناقصٌ مُنحطٌ لا تجوز له الفُتيا في دين الله عزَّ وجلَّ"[٦].

المطلب الأول: عناية الصحابة باللغة العربية

كان الصحابة يحرصون على ضبْط اللسان من اللَّحن باللغة السليمة؛ لأنَّه الوعاء الذي نزل به القرآن، والسبيل الأوَّل إلى فَهْمه فهمًا صحيحًا، واستنباط أحكامه استنباطًا سديدًا، من ذلك ما كان من أمر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حينما قدم أعرابيٌّ، فقال: من يقرئني ممَّا نزل على محمد (صلى الله عليه وسلم)؟ قال: فأقرأه رجل براءة، فقال: ﴿إنَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولِه﴾ بجر اللام. فقال الأعرابي: أوَ قد برئ الله من رسوله؟! فإن يكن الله بريءٌ من رسوله، فأنا أبرأ منه؟، فبلغ (عمر) مقالة الأعرابي، فدعاه. فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟. فقال: يا أمير المؤمنين، إنِّي قدمت المدينة، ولا عِلم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني، فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: إنَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولِه، فقلت: أوَ قدر برئ الله من رسولِه؟ إن يكن الله بريءٌ من رسوله، فأنا أبرأ منه؟. فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي. قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟. قال: إنَّ الله بريءٌ من المشركين ورسولُه. فقال الاعرابي: وأنا والله أبرأ ممَّا برئ الله ورسوله منه. فأمر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ألاَّ يقرئ الناس إلاَّ عالمٌ باللغة، وأمر أبا الأسود، فوضع النحو[٧].

وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يأمر أصحابه أن يتعلَّموا العربية، كما كان يأمرهم أن يتعلَّموا الفرائض، فكان يقول: "تعلَّموا العربية؛ فإنَّها من دينكم، وتعلَّموا الفرائض؛ فإنَّها من دينكم"، فقدَّم (رضي الله عنه) تعلُّم العربية على تعلُّم الفرائض، لما يعلمه لها من فضل فهي الأداة التي تفهم بها تعاليم الدين. كما روي عنه أنه مرَّ على قوم يرمون نبلاً فعاب عليهم، فقال أحدهم: يا أمير المؤمنين، "إنا قوم متعلمين"، والصحيح، "مُتعلِّمون" فقال: لحْنكم أشد عليَّ من سوء رميكم، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: ((رحِم الله امرءاً أصلح من لسانه))[٨]. وممَّا روي عنه أيضًا، أنَّ الحصين بن أبي الحر، وقيل: أبو موسى الأشعري، أرسل إليه كتابًا، فلحن في حرف فيه، فكتب إليه عمر (رضي الله عنه): أن قنِّع كاتبك سوطًا[٩]؛ وفي بعض الروايات أمر بعزله. وقد سمع عمر (رضي الله عنه) رجلاً يتكلَّم في الطوافِ بالفارسية، فأخذ بِعَضُدِهِ وقال: "ابتغ إلى العربية سبيلاً"[١٠]، وقال عطاء: "رأى عمر رجلين وهما يَتَرَاطَنَان في الطوافِ، فعلاهما بالدِّرَّةِ، وقال: لا أُمَّ لكما، ابتغيا إلى العربية سبيلاً"[١١].

وضرب علي (رضي الله عنه) الحسنَ والحسين على اللَّحن[١٢] وكان ابن عمر (رضي الله عنهما) يضربُ أولادَه على اللَّحن ولا يضربهم على الخطأ[١٣].

وقال عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما): "ما كنت أدري ما معنى ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[١٤]، حتى سمعت امرأةً من العرب تقول: أنا فطرته. أي: ابتدأته"، وكان يقول: " إذا خَفِيَ عليكم شيءٌ من القرآن فابتغوه في الشعر فإنَّه ديوان العرب"[١٥]. وروى أبو عبيد في فضائلِ القرآن عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قال: "لأن أعرب آيةً أَحَبُّ إليَّ من أن أحفظَ آيةً"[١٦]؛ وذلك لأنَّ فهمَ الإعراب يعينُ على فهمِ المعنى، والقرآن نزل للتدبُّرِ والعمل. وفي هذه الآثار دلالةٌ واضحةٌ على اعتناء الصحابة بفصاحة اللسان، لأنَّها لغة القرآن والسبيل إلى فهم دلالات النصوص القرآنية بالشكل الصحيح.

المطلب الثاني: عناية اللغويين باللغة العربية

لقد فطن علماء اللغة إلى أهمية العناية باللغة العربية، وأنَّ هناك علاقة متلازمة بينها وبين القرآن الكريم، فحين ننظر إلى اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، يتَّضح أنَّ القرآن الكريم ثبَّت اللغة المتداولة آنذاك، فوقفت اللغة العربية على أكمل صورها التي وصلت إليها، فتنادى العلماء واللغويون لجمعها وحفظها، فكانت بعد ذلك علوم العربية الأساسية من لغةٍ ونحوٍ وصرفٍ. ومن عظيم اهتمام السلف بالعربية أنَّ الكسائي

تعلَّم النحوَ وقد كبر سنُّه، وبيَّن العصامي سببَ ذلك؛ حيث قال: "وسببه أنَّه مشى يومًا حتىَّ أعيا، فجلس وقال: عييتُ، فقيل له: لحِنْتَ، قال: كيف؟ قيل: إن كنت أردت التَّعبَ، فقل: أعييت، وإن كنت أردت انقطاع الحيلة، فقل: عييت بغيرِ همز، فأنف من قولِهم: لحِنْتَ، واشتغل بالنحو حتَّى مَهِر وصار إمام وقته، وكان يُؤَدِّب الأمين والمأمون، وصارت له اليد العظمى، والوجاهة التامَّة عند الرشيدِ وولدَيْه، وتوفي محمد بن الحسن والكسائي في يومٍ واحدٍ سنة سبعٍ وثمانين ومائةٍ، ودُفِنا في مكانٍ واحدٍ، فقال الرشيد: ها هنا دفن العلمُ والأدب"[١٧].

وفي ذلك يقول الزجاجي: "فإن قيل: فما الفائدة في تعلم النحو؟ ... فالجواب في ذلك أن يقال له: الفائدة فيه للوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة صواباً غير مبدّل ولا مغيَّر، وتقويم كتاب الله عزَّ وجلَّ الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النَّبي (صلى الله عليه وسلم) وإقامة معانيها على الحقيقة؛ لأنَّه لا تُفهم معانيها على صحَّةٍ إلاَّ بتوفيتها حقوقها من الإعراب"[١٨]. وعن جمال العربية وأهميتها في دنيا الناس يقول أبو هلال العسكري: "فعلم العربية على ما تسمعُ من خاص ما يَحتاجُ إليه الإنسانُ لجماله في دنياه، وكمال آلته في علومِ دينه[١٩]".

في حين يجعل ابنُ فارسٍ إتقان علومها أمراً واجباً على أهل العلم لتحرِّي الصواب، فيقول: "فلذلك قلنا: إنَّ علم اللغة كالواجب عَلَى أهل العلم، لئلاَّ يحيدوا فِي تأليفهم، أَوْ فتياهم عن سَنن الاستواء، وكذلك الحاجة إِلَى علم العربية فإنَّ الإعراب هو الفارق بَيْنَ المعاني؛ ألا ترى أنَّ القائل إذا قال: "ما أحسن زيد" لَمْ يفرّق بَيْنَ التعجب والاستفهام والذمّ إلاَّ بالإعراب؛ وكذلك إِذَا قال: "ضرب أخوك أخانا" و"وَجْهُك وجهُ حُرّ" و"وجهُك وجهٌ حرٌ" وَمَا أَشْبَه ذَلِكَ من الكلام المشْتَبه"[٢٠].

وقد فطنَ بعضُ العلماء إلى أهمية تلك المعرفة؛ منهم الراغب الأصفهاني في كتاب "المفردات في غريب القرآن"؛ تناولَ فيه دلالاتِ الألفاظ في القرآن الكريم، وكذلك فعل الزمخشري في كتابه" أساس البلاغة"؛ حيث وضَّحَ الاستعمالاتِ المختلفةَ للفظ، وما يضيفه الاستعمالُ من دلالةٍ حقيقيةٍ أو مجازيةٍ.

ومن أجمل ما يُذكر في المناظرات ما رُوي عن الفراء ومحمد ابن الحسن، فكان أحدهما يقدم النحو على الفقه والآخر يقدم الفقه على النحو، ورُوي أنَّ الفراء زار محمد بن الحسن، فتذاكرا في الفقه والنحو، ففضَّل

الفراء النحو على الفقه، وفضَّل محمد بن الحسن الفقه على النحو، فبدأ الفراء يُدلِّل على صحة قوله، فقال: قَلَّ رجل أنعم النظر في العربية، وأراد علمًا غيره إلاَّ سَهُل عليه. فأراد محمد بن الحسن أن يُبطِل حجَّتَه، فقال له: يا أبا زكريا، قد أنعمت النظر في العربية، وأسألك عن باب من الفقه، فقال الفراء: هات على بركة الله، فقال ابن الحسن: ما تقول في رجلٍ صلىَّ فَسَهَا في صلاته، وسجد سجدتي السهو، فَسَهَا فيهما؟ فتفكَّر الفراء ساعةً، ثم قال: لا شيء عليه، فقال له محمد: ولمَ؟ قال: لأنَّ التَّصغير عندنا ليس له تصغير، وإنَّما سجدتا السهو تمام الصلاة، وليس للتَّمام تمامٌ، فقال محمد بن الحسن: ما ظننتُ أنَّ آدميًّا يَلِد مثلك[٢١]. فاللغة بذلك تُعدُّ من أبرز أدوات فهم تعاليم الدين، لهذا كانت العناية بها من الأولويات.

المبحث الثاني: أهمية اللغة العربية في فهم كتاب الله تعالى

شهدت العصور المتقدمة حرص العلماء على فهم كتاب الله تعالى، فكان السبيل إلى ذلك تأليفهم في إعراب القرآن ومعانيه؛ مما يدل على أهمية اللغة العربية في فهم الكتاب العزيز؛ بل إنَّ بعض هذه الكتب منها ما يسمى "معاني القرآن"؛ ممَّا يوحي بأهمية الإعراب في فهم المعاني، فإعراب القرآن عملٌ جليلٌ يقوم به أهل اللغة والنحو، وهوما استفاد منه المفسرون، ولعظمة شأن "إعراب القرآن الكريم" عَدَّه كتاب "كشف الظنون" علماً من فروع علم التفسير، والمتصفح لبعض التفاسير يجدها تحتوي آراءً نحويةً لا حصر لها، من ذلك: تفسير الطبري الذي أودع فيه صاحبه آراء النحويين كسيبويه والكسائي والأخفش والفراء وشواهدهم؛ حيث بلغت شواهده الشعرية نحو ثمانمائة وألف شاهدٍ شعريٍّ، غير ما اشتمل عليه من أقوال العرب وأمثالهم.

قال الزركشي: "واعلم أنَّه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيءٍ من كلام الله، ولا يكفي في حقِّه تعلُّم اليسير منها؛ فقد يكون اللَّفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر"[٢٢]. وللسبب ذاته يقول مالك: "لا أُوتَى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً"[٢٣]، فمعرفة معاني القرآن الكريم وأسراره نابع من الاستعانة باللغة العربية وإجادتها.

وقد أبان عن أهمية اللغة لعلوم الدين وعلى رأسها التفسير أهلُ اللغة أنفسهم؛ وفي ذلك يقول الزمخشري: "وذلك أنَّهم لا يجدون علمًا من العلومِ الإسلامية فقهها وكلامها، وعلمي تفسيرها وأخبارها، إلا وافتقاره إلى العربية

بيِّن لا يُدفع، ومكشوفٌ لا يتقنَّع، ويَرَوْن الكلامَ في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيًّا على علمِ الإعراب[٢٤]. وما ذكره الزمخشري عين الصواب؛ وذلك لتوقُّفِ معرفة دلالات النصوص القرآنية وغير ذلك على علوم العربية.

وهو الأمر ذاته الذي أبانه ابن تيميَّة في قوله: "لا بُدَّ في تفسيرِ القرآن والحديث من أن يُعرَف ما يدلُّ على مرادِ الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يُفهَم كلامُه؟ فمعرفةُ العربيةِ التي خُوطبنا بها ممَّا يُعين على أن نفقه مرادَ اللهِ ورسولِه بكلامِه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظِ على المعاني؛ فإنَّ عامَّة ضلالِ أهل البدع كان بهذا السبب، فإنَّهم صاروا يحملون كلامَ اللهِ ورسولِه على ما يَدَّعون أنَّه دالٌّ عليه، ولا يكون الأمر كذلك"[٢٥].

ثم إنَّه بمقدارِ التضلُّعِ من علومِ العربية، يكون قرب المفسِّر من الفهمِ الصحيح للنصوص، والجهل باللغة يحيد بالمفسر عن الصواب، ومن أمثلة التفاسير الخاطئة المبنية على الجهل بالعربية قول من زَعَم أنه يجوزُ للرجلِ نكاح تسع حرائر، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾[٢٦]، فالمجموع تسع نسوة؛ قال الشاطبي: "ولم يشعر بمعنى فُعال ومفعل، وأنَّ معنى الآية: فانكحوا إن شئتم اثنتين اثنتين، أو ثلاثًا ثلاثًا، أو أربعًا أربعًا"[٢٧]. ومن ذلك قول من قال: إنَّ المحرَّمَ من الخنزير إنَّما هو اللَّحم، وأمَّا الشَّحمُ فحلالٌ؛ لأنَّ القرآن إنَّما حرَّمَ اللَّحم دون الشَّحم، ولو عرف أنَّ اللَّحم يُطلقُ على الشَّحمِ، بخلاف الشَّحم فلا يطلقُ على اللَّحمِ، لَمَا قال ما قال. ومن ذلك قول من قال في حديث: «لا تسبُّوا الدَّهر، فإنَّ الله هو الدَّهر، يقلِّبُ الليلَ والنَّهار»[٢٨] بأنَّ فيه مذهب الدهرية، وهذا جهلٌ، فإنَّ المعنى: لا تسبُّوا الدَّهرَ إذا أصابتكم مصائبٌ، ولا تنسبوها إليه، فإنَّ الله هو الذي أصابكم، فإنَّكم إذا سببتم الدهرَ، وقع السبُّ على الفاعل لا على الدَّهر. ويعقب الشاطبي بعد ذكره للأمثلة السابقة: "فقد ظهر بهذه الأمثلةِ كيف يقعُ الخطأ في العربيةِ في كلام الله (سبحانه)، وأنَّ ذلك يؤدِّي إلى تحريفِ الكلم عن مواضعِه، والصحابة (رضوان الله عليهم) براءٌ من ذلك؛ لأنَّهم عربٌ لم يحتاجوا في فهمِ كلامِ الله تعالى إلى أدواتٍ ولا تعلُّم، ثم من جاء بعدهم ممَّن هو ليس بعربيّ اللسان تكلَّفَ ذلك حتى علمه"[٢٩].

وتزداد أهمية تعلُّم اللغة العربية حين بَعُد الناس عن المَلَكة والسليقة اللغوية السليمة؛ ممَّا سبَّب ضعف المَلَكات في إدراك معاني الآيات الكريمة؛ ما جعل من الأداة اللغوية خير مُعينٍ على فهم معاني القرآن الكريم.

الشروط الواجب توفرها في مفسِّر كتاب الله تعالى

وقد جُعل إتقان علوم اللغة شرطاً في مفسِّر كتاب الله عزَّ وجل، وفيما يأتي تفصيل هذا الشرط:

١/ **معرفةُ أوجهِ اللغة**؛ وهو أمرٌ ضروري في اختيارِ ما يناسب النص، وقَصْر المعنى على الوجهِ المراد، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾[٣٠]، فإنَّ لفظة: (الضلال) تقعُ على معانٍ كثيرة، فتوهَّم البَعْضُ أنَّه أراد بالضَّلالِ الذي هو ضد الهدى، وزعموا أنَّ الرسول (صلَّى الله عليه وسلَّم) كان على مذهبِ قومه أربعين سنة، والله سبحانه وتعالى إنَّما أراد بالضَّلالِ الذي هو الغفلة، كما قال في مواضعَ أخرى: ﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾[٣١]؛ أي: لا يغفل سبحانه وتعالى[٣٢].

٢/ **معرفة الصِّيغ** وما تدل عليه من معنى؛ لئلا يؤدِّي ذلك إلى تفسيرِ القرآن الكريم بما لا يليق، أو فهم المعنى غير المراد؛ ومن ذلك على سبيل المثال :﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[٣٣]، وغير ذلك من الآياتِ التي ورد فيها نفي الظلم عن الله سبحانه وتعالى بصيغة (فعَّال)، ففي هذه الآيةِ وما أشبهها وردت لفظةُ (ظلاَّم) بصيغةِ المبالغة، ومعلومٌ أنَّ نفي المبالغة لا يستلزم نفي الفعل من أصلِه؛ مثال ذلك قولك: زيد ليس بنحَّارٍ للإبل، لا ينفي إلاَّ مبالغته في النَّحر، ولا ينفي أنَّه ربَّما نَحَر بعضَ الإبل، ومعلوم أنَّ المرادَ بنفي المبالغة في الآياتِ هو نفي الظلم من أصلِه عن الله سبحانه وتعالى. وأُجيب عن ذلك بناءً على فهمِ اللغة العربية؛ وهو أنَّ المراد نفي نسبة الظلمِ إليه سبحانه، لأنَّ صيغة (فعَّال) قد جاءت في اللغةِ العربية مرادًا بها النسبة فأغنت عن ياء النَّسب، ومثاله في لغةِ العرب قول امرئ القيس:

وَلَيْسَ بِذِي رُمْحٍ فَيُطْعِمُنِي بِهِ وَلِيْسِ بِذِي سَيْفٍ وَلَيْسَ بِنَبَّالِ[٣٤]

أي: ليس بذي نَبْلٍ، وعلى هذا أجمعَ المحقِّقون من المفسِّرين واللغويين[٣٥].

٣/ **معرفةُ الأوجه الإعرابية**: يجبُ على المفسِّر معرفة أوجه الإعراب؛ لأنَّ المعنى يتغيَّرُ بتغيُّر الإعراب، ويختلف باختلافِه، وعلى سبيلِ المثال لو أنَّ قارئًا قرأ :﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[٣٦] برفع (كفو) ونصب (أحد)

لكان قد أثبتَ كفوًا لله –تعالى عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا –؛ بل إنَّ الحركةَ لها دورٌ في المعنى ولو لم تكن إعرابًا، ويدلُّ على ذلك لزوم كسر الخاء في قوله تعالى :﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾[٣٧]، وكسر الواو في قوله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾[٣٨]، فإنَّ فتحَها يؤدِّي إلى الكفر.

٤/ وممَّا يحتاجُه طالبُ علم التفسير المعرفة بلغات العرب؛ إذ من المعلومِ أنَّ لكلِّ قبيلةٍ لغتها، وأفصح اللغاتِ لغة قريشٍ، إلاَّ أنَّ هناك بعضَ الكلمات في القرآن جاءت على غيرِ لغة قريشٍ، فقد أشكل على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) معنى قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾[٣٩]، فقام في المسجدِ فسأل عنها، فقامَ إليه رجلٌ من هذيل، فقال معناها "على تنقصٍ"؛ أي: شيئًا فشيئًا، ودليلُه قولُ شاعرنا الهذلي يصفُ سرعةَ ناقتِه:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[٤٠]

أي: أخذ الرحل يحتكُّ بسنامِ النَّاقة من سرعتها، حتى كاد ينقص كما يبري البحَّار عود السفينة بالسِّكين لينقصَ منها.

وما يفهم من ضرورة تعلُّم المفسر للغة العربية؛ أنَّه ليس المقصود الاقتصار على القواعدِ الأساسية التي تتوقَّفُ وظيفتها على معرفةِ ضوابط الصحَّة والخطأ في كلام العرب؛ وإنَّما المقصودُ من تعلُّمِ اللغة العربية لمُفسِّر كتاب الله تعالى والمتأمل فيه هو فهم أسراره، والبحث عن كلِّ ما يفيدُ في استنطاق النَّصِّ، ومعرفة ما يؤديه التركيبُ القرآني على وجه الخصوص؛ باعتباره أعلى ما في العربيةِ من بيانٍ، وقد نبَّه على هذه الخاصيةِ الزَّجاجيُّ؛ حين قال: "فإن قِيل: فما الفائدةُ في تعلم النحو؟ فالجوابُ في ذلك أن يُقال: الفائدة فيه للوصولِ إلى التكلُّم بكلامِ العرب على الحقيقة صوابًا غير مبدّلٍ ولا مغيّرٍ، وتقويم كتاب الله (عزَّ وجلَّ) الذي هو أصل الدِّينِ والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) وإقامة معانيها على الحقيقة؛ لأنَّه لا تفهم معانيها على صحَّةٍ إلاَّ بتوفيتِها حقوقها من الإعراب"[٤١].

خاتمة

من خلال ما تقدم، فإنَّنا نخلص إلى النتائج الآتية:

–لزوم اللغة العربية للقرآن الكريم بوصفها من أبرز أدوات فهم تعاليمه بالشكل الصحيح، كما وأنَّ القرآن الكريم من أعظم وسائل حفظها من الزوال والاندثار.

– حرص الصحابة والتابعين كل الحرص على تقويم أيِّ اعوجاجٍ يطرأ على الألسنة، خوفًا على اللسان العربي، وإيمانًا منهم بوجوب التفقُّه فيه.

– تعدُّ اللغة العربية لغة الدين، ولا يُفهَم الدين ولا القرآن الكريم إلاَّ بها، لذا أوجب الحق سبحانه وتعالى تعلُّمها، لهذا لا بد من النظرِ إلى اللغة العربية على أنَّها لغةُ القرآن الكريم، ولغةُ التشريع الإسلامي؛ بحيث يكون الاعتزازُ بها اعتزازًا بالإسلام، وتراثه الحضاري العظيم.

–اللغة العربية وعاء للمعرفةِ والثقافة بكلِّ جوانبها، ولا تكون مجردَ مادةٍ مستقلة بذاتها للدراسة؛ لأنَّ الأمَّةَ التي تهمل لغتَها أمةٌ تحتقر نفسَها، وتفرضُ على نفسِها التبعية الثقافية.

---

[1] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ٦١١/١. وفي رواية «فقد ضل».

[2] سورة النساء: ١١٠.

[3] ، العقد الفريد، ٣٠٨/٢.

[4] المرجع نفسه، ٣٠٨/٢.

[5] اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٤٢٤/١.

[6] الإحكام في أصول الأحكام، ١/ ٢٠٨.

[7] الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، ٢٤/١.

[8] اتفاق المباني وافتراق المعاني، ص١٣٧.

[9] البيان والتبيين، ص٣٢١.

[10] شعب الإيمان، ١٨٨/٤.

[11] مصنف عبدالرزاق، ٥ /٤٩٧.

[12] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ٢٥١/٣.

[13] المرجع نفسه، ٣ /٢٥٣.

[14] سورة الأنعام: ١٤

[15] الإحكام في أصول الأحكام، ٥١/١.

[16] الإشراف في منازل الأشراف، ٤٦٩/١، ٤٧٠.

[17] سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢٠١/٢.

[18] الإيضاح في علل النحو، ص٩٥.

[19] اللغة العربية التحديات والمواجهة، ١٠/١.

[20] الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص ٣٥.

[21] معجم الأدباء، ١٧/١.

[22] البرهان في علوم القرآن، ١/ ٢٩٥.

[23] الإتقان في علوم القرآن، ٢/ ١٧٩.

[24] المفصل في صنعة الإعراب، ص٣.

[25] الإيمان، ص١١١.

[26] سورة النساء: ٠٣.

[27] الاعتصام، ٥٦/٢.

[28] صحيح البخاري، ١٦١/١٩، وصحيح مسلم، ١١ /٣١٣.

[29] الاعتصام، ٢ /٥٨.

[30] سورة الضحى: ٠٧.

[31] سورة طه : ٥٢.

[32] الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف، ص٧٢.

[33] سورة فصلت: ٤٦.

[34] ديوان امرئ القيس، ص٤٩.

[35] البحر المحيط في التفسير، ص ٣١٣١.

[36] سورة الإخلاص: ٠٤.

[37] سورة الحديد: ٠٣

[38] سورة الحشر: ٢٤.

[39] سورة النحل: ٤٧.

[40] قيل: "أنشد البيت الأزهري لابن مقبل، وليس له، ورواه بعضهم لذي الرمة، وليس له، وروى صاحب الأغاني في ترجمة حماد الراوية أنه لابن مزاحم الثمالي، ويروى لعبد الله بن عجلان النهدي. انظر: العباب الزاخر، ١/ ٤٠٩.

[41] الإيضاح في علل النحو، ص٩٥.

المصادر والمراجع

- اتفاق المباني وافتراق المعاني، الدقيقي (سليمان)، تح: يحيى عبدالرؤوف جبر، دار عمار، ط١، (١٩٨٥).
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية (تقي الدين)، عالم الكتب، ط٧، (١٩٩٩).
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (عبد الرحمن)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، (١٩٧٤).
- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي (علي)، تح: أحمد شاكر، مطبعة العاصمة بالقاهرة.

- الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي (سيد الدين)، تح: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق.

- الإشراف في منازل الأشراف، ابن أبي الدنيا (عبد الله)، تح: نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، (١٩٩٠).

- الاعتصام، الشاطبي (إبراهيم)، تح: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، ط١، (١٩٩٢).

– الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف، البطليوسي، (أبو محمد)، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت، ط٢، (١٤٠٣).

- الإيضاح في علل النحو، للزجاجي، الزجاجي (عبد الرحمن)، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣، (١٩٧٩).

- الإيمان، ابن تيمية (تقي الدين)، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط٥، (١٩٩٦).

- البحر المحيط في التفسير، ابن حيان (أثير الدين)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١، (١٤٢٠).

- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، (١٩٥٧).

- البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان)، تح: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط١، (١٩٦٨).

- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، القرطبي (شمس الدين)، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، (٢٠٠٣).

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي (أحمد)، تح: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.

- ديوان امرئ القيس، امْرُؤُ القَيْس، (بن حجر)، دار المعرفة، بيروت، ط٢، (٢٠٠٤).
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، العصامي (عبد الملك)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٨).
- شعب الإيمان، البيهقي (أحمد)، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، (٢٠٠٣).
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس (أحمد)، تح: محمد علي بيضون، ط١، (١٩٩٧).
- صحيح البخاري، البخاري (أبو عبدالله)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، (١٤٢٢).
- صحيح مسلم، مسلم (أبو الحسن)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- العباب الزاخر، العمري (رضي الدين)، دون معلومات نشر.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه (أحمد)، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٨٣).
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي (علي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، (١٩٨١).
- اللغة العربية التحديات والمواجهة، الفلق (سالم)، دون معلومات نشر، (١٩٩٣).
- مصنف عبدالرزاق، عبد الرزاق (أبو بكر)، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط٢.
- معجم الأدباء، الحموي (ياقوت)، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، (١٩٩٣).
- المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري (جار الله)، تح: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١،

النَّقد اللُّغوي في كتابِ الزَّاهر لابن الأنباري

(الغرض من البحث: الترقية)

م. د سناء زكيّ عليّ/ جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

الخلاصة:

إنّ شيوع ظاهرة الّحن على أَلسنة الأفراد الذين دخلوا الإسلام من الأعاجم والموالي جعلت من اللُّغة العربية تبتعد شيئاً فشيئاً عن الفصاحة المعهودة لها، حتى إنّ اللّحن في تلك الفترة وصل الى أبناء العربية أنفسهم؛ نتيجة المُخالطة مع الأقوام الأعجميّة ، وهذا في حدِّ ذاته قد جعل السَّليقة العربيَّة تضعف حتى عند الخواص والخُطباء ، وعلى هذا فقد أَجمعت الرّوايات التاريخية في كتبِ العربية على أنّ العرب قد تنبّهوا لهذا الخطر الذي يهدِّد اللُّغة العربية ، بل أزعج الحسّ العربي الفصيح وكان الدّافع الى ذلك هو الحفاظ على لُغةِ القرآن الكريم ، فانطلق اللّغويون والنحويون يبحثون عن النّقاء اللّغوي الخالص من أجل سلامة العربية والنص القرآني ، فبدأت المُصنَّفات بالكتابة على يدِ هؤلاء العُلماء.

الكلمات المفتاحية: اللحن، النقد اللغوي، ابن الانباري، كتاب الزاهر.

Alnaqd allughwy fi ktab alzaahr liabn al'anbari

Dr:Sana Zaki Ali

University of Basrah , College of Education for Human Sciences,

Department of Arabic Language

Abstract:

'innha alllhn fi tilk alfatrat 'iilaa alfiaat alearabiat nafsiha ; natijat almukhaltt lil'asl , wahadha hu alsabab fi 'ana alsabab aladhi jaealah yasil 'iilaa aldarajat al'uwlaa , waealaa hadha , waqad wasal 'iilaa hadha aljuz' min alsafhat , waealaa hadha alnahw , waqad wasal 'iilaa hadha alsafhat , waqad wasal 'iilaa

hadha aljuz' min alsafhati. alhifaz ealaa lught alquran alkarim , faintalaqun min 'ajl alhifaz ealaa alnnqa' min 'ajl alhifaz ealaa salamat alearabiat walnasi alquranii , fabada'at almusnafat bialkitabat ealaa yd hawula' aleulma'

Key wored: allahn , alnaqd allughawiu , abn alianbarii , kitab alzaahir

المقدمة:

إنَّ شيوع ظاهرة الّحن على أَلسنةِ الأفراد الَّذين دخلوا الإسلام من الأعاجم والموالي كلّ هذه الأمور جعلت من اللُّغة العربيَّة تبتعد شيئاً فشيئاً عن الفصاحةِ المعهودة لها، حتى إنّ اللّحن في تلك الفترة وصلَ إلى أبناء العربية أنفسهم؛ نتيجة المُخالطة مع الأقوام الأعجميّة، وهذا في حدِّ ذاته قد جعل السَّليقة العربيَّة تضعف حتى عند الخواص والخُطباء[١] ، وعلى هذا فقد أَجمعت الرّوايات التاريخية في كتبِ العربية على أنّ العرب قد تنبّهوا لهذا الخطر الذي يهدِّد اللُّغة العربية ، بل أزعج الحسّ العربي الفصيح وكان الدّافع إلى ذلك هو الحفاظ على لُغةِ القرآن الكريم ، فانطلق اللّغويون والنحويون يبحثون عن النّقاء اللّغوي الخالص من أجل سلامة العربية والنَّص القرآني، فبدأت المُصنَّفات بالكتابة على يدِ هؤلاء العُلماء[٢] .

لقد تميَّزت فترة التّأليف الأولى في هذا المجال بالشّدةِ وعدم التّسامح مع الشُّعراء والكُتَّاب وحتى عامَّة النّاس، وهذا يرجع إلى الهجمة الخطيرة التي أخذها على عاتقهم أولئك العلماء.

إنّ النُّقّاد العرب القُدامى من نحويين ولغويين جاء نقدهم لبعض النصوص أو المؤلّفات ؛ نتيجة للمخالفات الأصولية التي جمعوها من الأعراب واستقراؤها في مؤلفاتهم سواء من جهة الإعراب أم اللُّغة الموضوعة من ناحيةِ اللفظ وتغيير الحركة، أو خروج المعنى إلى معنى آخر؛ نتيجة التَّطور اللُّغوي وكذلك الأخطاء في الصّياغة، وهذا كُلَّه أدَّى إلى ظهور لون جديد من الكُتّاب وهو ما أطلق عليهم فيما بعد بالنُّقاد اللغويين ، وهذا النقد يمتاز بالموضوعيَّة وعدم التَّعصب؛ نتيجة وجود معايير، وللإحاطة بدقائق اللُّغة وأصول النحو.

وعلى هذا نستطيع أن نقول إنَّ النقد اللُّغوي نقد قديم ظهرَ منذ زمنٍ مبكرٍ، وجذوره ممتدة إلى العصورِ الأولى من التَّأليف اللُّغويّ والنَّحويّ.

إنَّ النَّقد اللُّغوي في كتاب الزَّاهر لابن الأنباري (ت ٣٣٨هـ) جاء مُختصَّاً من عنوان الكتاب باللُّغة المستعملة عند عامَّة الناس، إذ إنَّ المؤلِّف قد جعلَ الكتاب في معاني كلمات الناس بعد إن أحسَّ ((بحاجةِ النَّاس إلى ضرورة تفهُّم ما يجري بينهم من كلام في الحياة الدينيّة والدّنيويّة))[٣]، وهذا هو الدافع والمحفّز من تأليفه هذا الكتاب، إذ إنّ المتصفح لكتاب الزَّاهر يجد أنّ المؤلف قد ناقشَ بعض العلماء وردَّ على أقوالهم في الكثير من

المواضع، وأحياناً يذكر رأيه مُقابل آرائهم وهذا الأمر بحدِّ ذاته نجده في القضايا اللُّغوية والنَّحوية والدَّلالية وغيرها.

وكذلك ينبّه على الكثير من الأقوال الصَّادرة عن العامَّة والأخطاء التي تصدر منهم ، فإنّنا نستطيع أن نقول إنّ كتاب الزاهر يُعد من كتبِ التَّصويب اللُّغوي ؛ لما فيه من آراء لغويَّة تصوِّب ما يصدر عن العامَّة من أخطاء وأقوال غير موافقة للُّغة العربيَّة[٤] .

لقد جاء البحث ليسلِّط الضَّوء على الآراء النقديَّة من لغةٍ، ونحوٍ، وصرفٍ، وتطور دلالي ورد ذلك على لِسانِ المؤلف ، حيث نبَّه إليها ؛ ليكشف عن مدى ما وصلتْ إليه اللُّغة العربية ـ في ذلك الوقت أي القرن الثَّالث الهجري ـ من خطورة الالتباس الذي وقع فيه عامَّة الناس في ألفاظهم، وسوف نتطرق إلى الآراء النقدية في المجالات اللُّغوية المعروفة: (الصوتيَّة ، والصرفيَّة ، والنحويَّة ، والدلاليَّة).

أولا: النَّقد في الجانب الصَّوتي:

إنّ للجانب الصَّوتي أهمية كبيرة في اللُّغة العربيَّة، لذا حرصَ النُّقَّاد والمؤلفون على الانسجام الصوتي وتلاؤمه داخل الكلمة، فقد ذكر ابن جني(ت٣٩٢هـ) كيف تكون الكلمة منسجمة من الناحية الصوتيَّة، إذ ذكر انَّ العرب تُحبّب تركيب ما تباعدت مخارج حروفه مثل: الهمزة مع النون، والحاء مع الباء في نحو: آن ، ونأي ،و حُب ، وغيرها ، وتستقبح ما تقاربت مخارج حروفه[٥] ، وعلى هذا فإنّ شروط فصاحة اللَّفظ أن تكون حروفه من الحروف المتقاربة المخارج فيحدث الخطأ في القول والوهم ، فتأتي الكلمة فيها أكثر من لفظ ؛ لتوهم العَوام أحياناً وصاحب الاختصاص أحياناً كثيرة، من ذلك ما أورده ابن الانباري تعليقاً على كلمة (أربى) ، في قولهم: ((قد أربى فلانٌ على فلانٍ))[٦] ، فقد قال عن أربى إنّ فيه لغتان ((قد أرْبَى و أرْمَى))[٧] ، ونلاحظ انَّ وجود الخلط ما بين اللَّفظين (أربى) و (أرمى) جاء نتيجة تقارب حرف الباء مع حرف الميم من مخرج واحد وهو المخرج الشفوي[٨]، والذي حدَّده سيبويه بقوله: ((مِمّا بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو))[٩] ، وقد حرص ابن الانباري على أن تكون (أربى) هي الأصح ، وقد رجَّح هذا الرّأي ودافع عنه وأخذ بذكر سبعة أوجه في لفظ هذه الكلمة[١٠] .

كذلك ينقد ابن الانباري رأي العَامة عندما تطرق الى كلمة (شَوَّشت) في قولهم: ((قد شَوَّشتُ الشيءَ ، وشيءٌ مُشَوَّش))[١١] ، إذ ينفي أن يردَ مثل ذلك في لغتنا العربية، إذ يقول ((لا أَصلَ لشوَّشت في كلامِ العرب، والصَّواب : هَوَّشتُ الشيءَ وشيءٌ مُهَوَّش))[١٢] ، إذ إنّ معنى هَوَّشَتْ : خلَّطت وهيَّجت، وهو الأصل في اللُّغة

الفُصحى، إذ أخذَ ابن الانباري في ذكرِ الاحاديث النَّبوية وأعطى رأياً لابن عباس وبيتاً لذي الرّمة يعضَّد رأيه في إنَّ (شوّشَتْ) غير فصيحة وإنما الفصيح هو (هَوَّشت) وهذا ما أيَّدته بعضُ المعاجم فيما بعد دون ذكرهم لقول العَوام (شوَّشت)[١٣]، ونرى أنّ كتاب العين جاء فيه لفظ (هوشت) دون لفظة (شوَّشت) في قول الخليل(ت ١٧٥هـ): ((هَوَّشتُ الشيء أي : خلطتهُ ، وهَوَّش القومُ اختلطوا))[١٤] ، وكذلك جاء على لسان المتأخرين مثل: الحريري (ت٥١٦هـ) إنّ (هوَّشت) هي الأصوب والأصح[١٥].

والجدير بالذكر أنَّ الخلط الحاصل بين الشين والهاء في هذه الكلمة ناجم على أنَّ الشين صوت لثوي حنكي احتكاكي مهموس ، والهَاء صوت حنجري احتكاكيّ مهموس ، فهما يتشابهان في أغلب الصِّفات إلَّا في الحنكِ والحنجرة ، وهذا هو مدار الخلط بين الحرفين في هذه الكلمة[١٦].

وأوردَ المصنِّف أيضاً خطأً على ما جاء على ألسنة العامَّة في كلمة (شَحّاث) وهو خطأ ناتج عن قُربِ الأصوات فيما بينها إذ يقول عن قولهم ـ أي العامَّة ـ : ((رجلٌ شحَّاث))[١٧] ، فيقول معلقاً على قول العامَّة ـ هذا ـ :((هذا مِما يخَطيء فيه العَوام فيقولونه بالثاء والصَّواب رجلٌ شحاذ بالذال وهو المُلِحُّ في مسألتهِ في قولهم قد شَحَذ الرجلُ السَّيفَ ، ألحَّ عَليهِ بالتّحديد))[١٨] ، والجدير ذكره أنّ الحريري (ت ٥١٦هـ) قد أورد هذا القول بالنص فيما بعد[١٩]، ولكنّ صاحب تاج العروس(ت١٢٠٥هـ) جعل هذه اللفظة من لحن العَوام وهذا الرأي أَخذهُ من الصَّاغاني ، ولكنَّه جعل (الشحّاث) لُغَة صحيحة على أنَّه من الإبدال، إذ يقول: ((إنَّ الذّال تُبدَّل ثاء بلا غلط فيه ولا لَحن وصَرَّح به الخفاجي في العناية وغيره))[٢٠].

والخلط الحاصل في هذه اللفظة بين حرفي الثاء والذال نابع أنّ كل من الصّوتين لهما مخرج واحد وهو مخرج طرف اللِّسان وأطراف الثّنايا[٢١] .

وكذلك الإبدال الصَّوتي عند ابن الانباري لا يخلو من النقد، إذ يعلِّق على بعض الألفاظ من باب الخفة الصَّوتية [٢٢]، فيقول: ((قد تَملَمَلَ الرَّجلُ على فراشهِ معناه : قد تملَّلَ من المِلَّة، أي كأنَّه على مَلَّة، والمَلَّة موضعِ الخبز من الرّماد والنَّار))[٢٣]، وأوضح انَّ العَوام يقولون : تملَّلَ للخفة وعدم الاستثقال للأصوات ؛ لأنهم استثقلوا الجمع بين الميمات فأبدلوا الثانية لاماً، والتململ هو تقلّب الرجُّل على فراشه[٢٤]، كما يتقلَّب الخبز على النَّار أو الجمر.

وكذلك الحال في (حَثْحَث) فيقول عنه:((قد حَثْحَثْتُ الرجل، الأصل فيه: حَثَثْتُه))[٢٥]، يقول الخليل(ت ١٧٥هـ) في هذه اللفظة:((والحَثحثةُ اضطرابُ البرق في السِّحاب وانتَخال المطر والثّلج))[٢٦]، والملاحظ أنَّ هذه

اللفظة قد ضمت ثلاث ثاءات والعرب تستثقل ذلك فذهبوا الى إبدال الثاء الثانية حاءً وهذا موجود في كلامهم فهم يستبدلون ما استثقل من اللَّفظ .

وكذلك في (كفكفت) و(بثبثت) و(تلحلح) ففيها من الإبدال ما ورد عن لغة العرب المُستعملة والتي يحسن الإبدال فيها، للابتعاد عن الثّقل في اللفظ[٢٧].

وكذلك جاء النقد الصوتي في قولهم : ((قد دَخلَ في خمار النَّاس))[٢٨]، إذ يقول عن هذا الخطأ الصوتي : ((هذا ممَّا يُخطئ فيه العَوام فيقولون : غُمار بالغين ، والذي تقول العرب : دَخَل في خمار الناس بالخاء وهو جمعهم أي استترَّ بهم وتغطَّى ومن ذلك (الخمار) سُمِّي بذلك لتغطية الشَّعر))[٢٩] ، ولكنّ الخليل يجيز (غمار النَّاس) و (خمار النَّاس)[٣٠]، أي : الجماعة التي يختفي فيها، إذ يقول: ((دَخَلَ في غمار النَّاس وخمارهم، ودخل في خمار النّاس وخمرهم: أي جماعتهم فخفي فيهم))[٣١]، وكذا الحال عند الجوهري (ت ٣٩٨هـ) إذ يُجيز أن يُقال: (غمار النَّاس) ويُعلِّل ذلك بأنها لُغة ، وهو متأخر عن ابن الانباري ، وكذا الحال عند ابن منظور (ت ٧١١هـ) فيقول: بوجود لُغة بالقول الثاني[٣٢]، والمُلاحظ أنَّ الخليل قبلَ المؤلف يقول بوجود (غمار الناس) وبعده الجوهري في الصحاح وابن منظور في (لسان العرب)، ولكنَّ ابن الانباري يصرُّ على عدّ ذلك من أخطاء العامَّة وهذا الأمر في حقيقته جاء من باب الحرص الشَّديد على سلامة اللغة العربية ، إذ نُلاحظ أنّ النّقد اللغوي القديم يُعنى بالصّحة والسَّلامة والصَّواب الذي يتحقق من خلال السَّلامة اللغوية التي تحفظ اللغة الفُصحى وهذا ما حرصَ عليه المؤلف من خلال رفضه أيَّة لغة ضعيفة تحسب على الفصحى وجعلها من العامي المبتذل.

وأورد المؤلف أيضاً قولهم: ((مِسْكٌ أَذْفَرُ))[٣٣] ، معناه: ((ذكيٌ شديد الرّائحة))[٣٤]، وهذا هو الحال

في بعض المعاجم العربية كما في الصِّحاح[٣٥] وغيره من المعاجم ، وكلام المؤلف قاطع في استعمال هذا اللفظ للرائحة الزكية، ولكنَّ بعض المعاجم فيما بعد تعطي هذا اللفظ فضلاً عن المعنى السَّابق معنًى جديداً وهو الخبث، إذ يقول الازهري(ت ٢٧٠هـ): ((وأما الذَّفَر بالذّال وتحريك الفاء فهو حِدَّة رائحة الشيء الخبيث أو الطّيب))[٣٦] ، وكذلك ابن منظور يورد المعنى نفسه .

ولكنَّ ابن الانباري يورد نقداً صوتياً في هذه المسألة فيقول: ((إنَّ الذَّفَرَ بالدَّال : النّتن لا يكون إلَّا ذلك فمن ذلك قولهم للدُنيا : أمُ دَفر يريدون النَّتن، ومنه قول للأمَّة: دَفارِ، يريدون بذلك أيضاً النتن))[٣٧]، وعلى هذا فإن الابدال الصَّوتي بين الذّال والدّال قد نتج عنه تغيير في المعنى من الرائحة الزكية إلى الرائحة النتنة وهو ما مالَ إليه ابن الانباري جاعلاً ذلك من أوهام العامة أو الخاصَّة دون ذكر أيّ منهم ، والمعروف أنّ الإبدال عند علماء

العربيَّة أن تتفق الكلمتان في جميع الأصوات عدا صوت واحد له موضع الترتيب نفسه[٣٨] ، وهذا ما حصل في (دفر، وذفر).

وكذا الحال عند التطرق الى قولِ العامة: ((قد بلغَ فلانٌ الصُّكاك))[٣٩] ، و(الصُّكاك) في اللغة هو: الضرب يقول الصاحب بن عبَّاد:((الصَّكُّ ضرب الشَّيء بالشَّيء العريض ، والكتاب الذي يُصَل للشِّرى))[٤٠]، ولكنَّ ابن الانباري يعدُّ قول العامة خاطئ ؛ لأنّ المقصود بقولهم ليس(الصُكاك) وإنما (السُّكاك) ؛ لأنهم قد توهموا في اللفظ وهذا التوهم ناتج عن تقارب صوتَي: السِّين والصَّاد في المخرج ؛ لأنَّ مخرجهما من طرف اللِّسان وبين الثَّنايا[٤١] ، فيقول عن ذلك: ((الصَّواب : قد بلغ فلانٌ السُّكاك بالسِّين ... والسُّكاك الهواء))[٤٢] ، وعلى هذا المعنى يذهب صاحب تاج العروس في انَّ (السُّكاك) بالضم هو الهواء الذي يلاقي أعنان السَّماء ، أي الهواء المرتفع عن الأرض[٤٣].

ومن هذا يتبين لنا أنَّ العامة تخلط في بعض الألفاظ بين السِّين والصَّاد، حتى إننا نجد قراءة قرآنية للفظة الصراط في قوله تعالى: ﴿ اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾[٤٤] ، بالسّين (سراط)[٤٥] ، وهذا ناتج ـ كما قلنا ـ عن تقارب مخرج صوتي: السِّين والصَّاد.

وأورد أيضاً خطأً للعامَّة في قولهم: ((مِلحٌ ذرآنّي))[٤٦]، فيقول ابن الانباري معلِّقاً على قولهم هذا: و((العَامَّة تخطيء فيه فتتكلَّم به بالدَّال وتزيد عليه ما ليس منه، والعرب تقول : ذَرْآنّي وذَرَآنّي قال أبو العباس: وصف لذلك لِبياضه))[٤٧]، وهذا ما يراه ابن دريد (ت٣٢١هـ) في الجمهرة،والجوهري(٣٩٨هـ) في الصحاح، والفيروز آبادي والصاغاني، والزهري وابن منظور(ت ٧١١)[٤٨] ، والتكرار في هذه المعاجم دليل على انَّ قول ابن الانباري صائب؛ لأن هؤلاء الأعلام المتأخرون لم يذكروا ما قاله العامة من الصَّواب أو حتى على لهجة من اللهجات ، وهذا يدلُّ على أنَّ العامة قد اختلط بهم من ليس بعربي ، وإنما أُخذت هذه الالفاظ من الأعاجم الذين لا يستطيعون أن يتلفظوا ببعض الألفاظ العربية على صحتها، وإنما يغيروا بها على لكنتهم من خلال إبدال بعض الحروف مع بعضها كإبدال الغين بالقاف ، والذّال بالدّال ، والسّين بالصّاد وغيرها الكثير.

ومن هذا نجد ابن الانباري يسترسل في النقد الصوتي في الكثير من المواضع من كتاب الزاهر[٤٩].

إن النقد اللغوي موجَّه أساساً للعناية بأصوات النَّص ومقاطعه وصيغ كلماته ومعاني مفرداته وعلاقاتها في السّياق وتركيب الجملة[٥٠] ، وهذا ما لاحظناه من خلال التطرق إلى النقد الصوتي عند ابن الانباري كما مرَّ ذكره سابقاً.

ثانياً: النقد في الجانب الصّرفي:

من الأمور التي عُني بها النُّقاد اللغويين واكثروا من الاهتمام به هو الجانب الصرفي من اللغة؛ للأهمية الكبيرة التي أولوها في تشكيل المفردات داخل الجملة لكي تكتمل جوانب اللغة الفصيحة دون أن يكون للعامي والمُبتذل مجالاً فيها، فالتغيرات التي تطرأ على صورة الكلمة وبنائها تؤدي بالنتيجة إلى تغيير مدلولاتها المعجمية والصرفية والنحويَّة والتي تكون مركبة من نسيج محكم، ولذلك نلاحظ أن أغلب الكُتَّاب ـ في الشعر أو النثر ـ لا يوظفون الكلمات إلَّا بعد أن يختاروا الصيغ الصَّرفية التي تلبي احتياجاتهم في السياق العام؛ لأنها ضرورة فنية في النص؛ وبذلك يحافظ على أداء الانفعال كاملا[٥١] .

لهذا كله نجد أنّ النقاد قد اهتموا بالصيغ الصرفية على مدى العصور عند مزاولتهم هذه المهنة، ومن هؤلاء ابن الانباري الذي تطرّق الى أكثر من موضع في بيان النقد الصرفي والأخطاء التي وقع فيها العَوام في عصره ، وسوف نتطرق الى هذه المواضع.

فقد ذكر ابن الانباري أنّ العامة تخطيء في قولها:((إنّما هم أكلَةُ رأسٍ))[٥٢]، فتُسَكَّن الكاف (أَكْلَة) وهو في رأيه خطأ ولحن ، والصواب عنده بفتح الكاف؛ لأنها جمع (آكل) ، ويرى الرضي أنّ صيغة (فَعَلة) من صيغ جمع القلة بفتح الفاء والعين وهو يرى في هذا القول إنَّ:((هم آكلة رأس : أي قليلون يكفيهم ويشبعهم رأسٌ واحد وليس بشيء ، إذ القلة مفهومة من قرينة شبعهم بأكل رأسٍ واحدٍ لا من اطلاق فعلة))[٥٣] ، والجدير بالذكر انّ هذا القول هو مثل عربي قديم قد دخل فيه اللحن من قبل العَوام فجعلت الكاف ساكنة وهي مفتوحة وهو قول لطُريف من بني عمرو ، أراد بهذا المثل أنَّ القوم الذين سوف يقاتلهم قليلون[٥٤] .

ومن هنا نجد أنَّ جموع القلة لم يرد فيها وزن (فَعْلة) بسكون العين؛ لأن جمع القلة من المكسَّر ((أَفعل ، وأفعال ، وأفعلة ، وفعلة))[٥٥]، وبهذا يكون رأي ابن الانباري سديداً في تخطئة من يقول بسكون الكاف .

وكذلك أورد خطأً صرفياً لقول العامَة:((قد مضى فلان الى المآصَر))[٥٦] ، بفتح الصَّاد وهذا من الأخطاء الشائعة في ذلك العصر ، والصَّواب عنده أن تُكسر الصَّاد ؛ وذلك لأنّ معنى (المآصِر) ((حبلٌ يمدُّ على نهرٍ أو طريق تحبس السّفن والسّابلة لتؤخذ منهم العُشور))[٥٧] ، وهذا يعني أنّ المعنى اللُّغوي هو الموضع الحابس، أمّا إذا فُتِح حرف الصاد فيصبح المعنى مختلفاً، فيكون عبارة عن نوع من الحثيث وبهذا فانّ دلالة اللفظ تختلف عند فتح الصاد وكسرها.

وأورد المصنف أيضاً خطأً صرفياً في قول العَامة: ((حُمَةُ العَقْرَبِ))[٥٨]، واللحن في هذا القول من خلال مفردة (حُمَة) التي يقوم العامَة بتشديد الميم (حُمَّة) وهي مخففة عند العرب ، إذ لا يجوز تشديدها ؛ وذلك لأن تأويل هذا القول عند العامة فيه خطأ ، إذ يقول ابن الانباري: ((وتخطيء في تأويلها فتظن أنّ الحمة الشوكة التي تلسع بها ، وليس هو كذلك ، وإنما الحمة السُّمُّ ، سُمُّ الحيّة و العقرب والزّنبور ويُقال للشَّوكة الإبرة))[٥٩] ، وعلى هذا الرأي أن العامة عندما تشدد الميم فإنها بهذا تغير لفظ الكلمة ولكنتها فتخرج عن الإطار والقالب والصيغة التي وضعها العرب عندما لفظوا هذه المفردة دون تشديد.

وكذلك يخطّئ ابن الانباري العامَة في قولهم: ((لا يَفْضُضنِ اللهُ فاكَ))[٦٠] ، إذ العامة تلحن وتخطئ فتقول:((لا يُفضِضن اللهُ فاكَ))[٦١]، بضمّ الياء، على انّ المؤلف يذكر وجهين لهذه المقولة:

الأولى: (لا يَفضُضِن الله فاكَ)، بفتح الياء وضم الضَّاد الاولى وكسر الثانية.

الثَّانية: (لا يُفضِ اللهُ فاكَ) ، بضمِ الياء وحذف الياء الثانية للجزم.

وهذه الآراء إنما يكون تَعدَّدها مصاحباً لتعدّد المعنى الذي يأتي معها، فالوجه الأول يكون الفض للشّيء إذا انكسر وفُرّق، وكذلك يأتي لتفريق القوم وكسرهم، ويستشهد المؤلِّف بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٦٢]، إذ معنى الآية على رأي ابن عاشور: انَّك يا رسول الله إن كنت فظاً لأعلنوا الكفر وتفرقوا عنك[٦٣] ، وحدوث التفرقة نتيجة القسوة والغلظة وهذه نتيجة حتمية لصاحب الاخلاق الصعبة وغير المتسامح مع الآخرين .

أما الوجه الثاني (يُغضِ) فإنّ المعنى في هذا أنّ:((لا يجعل الله فاكَ فضاءً لا أسنان فيه))[٦٤]، وبهذا فإنّ المعنى قد تغيرَ ـ هنا ـ اذ الزيادة في المبنى يتبعها زيادة في المعنى ، وهذا واضح في الوجهين ، اذ المعنى الأوّل مخالف للمعنى الثاني.

وأورد ابن الانباري قولا مهماً فيما يخصّ ظهور أوّل لحن من خلال قولهم:((قد ضربته بالعصا))[٦٥] ، فالمعروف أن العصا لا يجوز مدَّها ، ولا أن تدخل التاء معها ، وهنا يذكر انَّ اوّل لحن ظهر في كلمة (عصاتي) من إدخال التاء على مفرد كلمة (عصا) ، وهذا غير جائز عند أهل اللغة، وهو أول لحن قد ظهر ومكان وروده في العراق كما يقول ويزعم[٦٦] .

وكذلك الحال في قولهم:((هذا الأَمر لا يَعنيني))[٦٧]، فقد أوضح المصنّف أنَّ هناك لغتان في (يعنيني) الأولى بفتح الياء (يَعنيني) أي: انّ المعنى يكون (يشغلني) وعلى هذا يصبح قولهم: (هذا الأمر لا يشغلني)،

يُقال: عناني الشيء يعنيني إذا شغلني[٦٨]، أما اللغة الأخرى فتكون بضمّ الياء (يُعنيني) وعلى هذا فإنَّ اللفظ يأتي على أي لغة صحيح، وإنما ذكر ابن الانباري الرأيين للتنبيه على ذلك دون أن يخطأ بأي منهما ، ولكن الخليل أورد لغة واحدة في ذلك فيقول: ((عناني الأمر يَعينني عِناية فأنا مَعنيّ به واعتنيتُ بأمره وعنت أمور واعتنت أي : نزلت ووقعت))[٦٩] .

ويظهر من ذلك أنَّ المتقدمين قالوا بـ(يَعنيني) دون (يُعيننني) ولكن الازهري وابن منظور قد ذكرا اللغتين معاً.

في الجانب الصرفي من النقد نجد أنَّ النُقاد يرفضون استعمال اللغة على نحو عامي مبتذل فهو وإن كان يمثل جانباً من حياة المجتمع ولكنه ينال من رقي اللغة العربية وفصاحتها في مجال تداولها وكتابتها وبالأخصِ لدى الكُتاب والشعراء الذين يكونون بتماس مع اللغة ، وبذلك فإنّ توجيه ابن الانباري لخطأ العامَة ولحنهم ؛ للإشارة الى ذلك والابتعاد عنه لكي لا يصبح جزءاً من الفصحى فيأخذه الجيل القادم على ما فيه من هنات، ولذلك فهو أَشار حتى الى الحركة التي تغير المبنى الصرفي للكلمة، وهذا ما حرص عليه النُقاد في ذلك الوقت فألَّفوا المؤلفات ووضعوا المصنَّفات خدمة للغة العربيَّة الفصحى، ومن هذه المؤلفات الكتاب موضع الدراسة.

ثالثاً: النقد في الجانب النّحوي:

أنّ النقد النحوي لا يقل أهمية عن بقية الأنواع من النقد الصوتي والصرفي والدلالي ؛ لأنه يكون على مستوى الجملة من خلال جانب الخطأ والصَّواب ، فالنقد النحوي الذي يُعنى بالخطأ والصَّواب على إطار الجملة لم يكن جديداً أو وليداً عند ابن الانباري في كتاب الزاهر وإنما ظهر قبل ذلك، ونحن في هذا المجال سنحاول تسليط الضوء على النقد النحوي في كتاب الزاهر ، والملاحظ أن هذا المجال قليل ؛ لِقلة التطبيقات في كتاب المصنف ، اذ لم يشر إلى الكثير منه ، فقد ذكر ابن الانباري نقداً أو رأياً نحوياً في قولهم في الصياح بصاحب الباقلاء: ((يا باقلاء حارّ))[٧٠] ، فيذكر ابن الانباري في هذه الجملة المُنادى بها خمسة أوجه هي :

١ـ يا باقلاءُ حارٌّ ، برفع الباقلاء على انها منادى مفرد ، ورفع الحار على تجديد النداء أي كأنك تقول: ((يا باقلاءُ يا حارٌ))[٧١].

وعلى هذا فإن النداء في اللفظ واقع على الباقلاء وهو في الحقيقة لصاحب الباقلاء، ويقرّب هذا الرأي بذكر المثال الآتي عن العرب قولهم: (قد ربحت دراهمك و دنانيرك، وقد خسرت تجارتك)، والمعنى في هذه العبارة أنَّ الخسارة وقعت على أصحاب التجارة ، والعرب كما كانت هذه معلومة عندهم في الايجاز جاز الاختصار في الكلام ، فخير الكلام عندهم ما قلَّ ودلَّ ، والمعروف أنّ النداء يقصد به الاستدعاء أو التنبيه[٧٢] ، وإن التنبيه

لأجل الاقبال أي انك تنبه المدعو ليقبل عليك أي هي دعوة إلى المخاطب لتنبيهه وجلب سمعه وفكره لسماع ما يُلقى إليه[٧٣] .

٢ـ يا باقلاءَ حارّاً، وعلى هذا يجب نصب الكلمتين؛ وعلَّة ذلك انَّ كل نكرة منصوبة اذا نُودي بها نُصبت هي ونعتها؛ وذلك لأنهما يُشبَّهان بالمضاف[٧٤]، وهذا ما عرف عند النحويين الذين يقولون بنصب الكلمتين.

٣ـ يا باقلاءُ الحارُّ ، فيقول عن هذه الجملة انَّك ترفع الباقلاء؛ لأنها منادى مفرد، والحار جاءت ـ هنا ـ نعت، وعلَّة هذا الحكم أن المنادى النكرة إذا نوديَ صار معرفة، ولكنها في هذا الموضع ترفع؛ لأنها معرفة دون أن تصبح نكرة ، وبذلك فإن كلمة (الحار) نعت للمنادى المعرفة.

٤ـ يا باقلاءُ الحارَّ أَقبل ، فهنا ترفع لفظة (باقلاء) ، لأنه منادى مفرد ، وتنصب الحار ؛ لأنه لا يحسن فيه الياء.

٥ـ يا باقلاءَ الحارّ أقبل، فتنصبهما معاً ، والسَّبب في ذلك انَّهما اسم واحد الزمهما الفتح.

وأورد ابن الانباري قول العامة: ((طوباكَ إن فعلت كذا وكذا))[٧٥] ، فهو يرى أنَّ هذا القول من لحن العامة ؛ لأن مفردة (طوبى) لا تضاف إليها الكاف عند أغلب النحويين ، فابن الانباري يرى الصَّواب في قول:(طوبى إن فعلت كذا وكذا) ويستشهد في ذلك بقوله تعالى:﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[٧٦] ، وكما ذكرنا انَّ أغلب النحويين أو نقول جُلَّهم يقولون بعدم إضافة (طوبى) الى (الكاف) فتصبح (طوباك) وهذا ما جاء على لسان الأزهري بقوله: ((العَرب تقول طوبى لك ... ولا تقول طوباك وهذا قول أكثر النحويين إلا إنَّ الأخفش جعل جواز إضافة طوبى الى الكاف))[٧٧].

وقول الازهري هذا قاطع في انّه استقرى كلام أغلب النحويين ولم يرَ من يخالف ذلك إلَّا الأخفش ، فقد جعل (طوبى) تضاف الى (الكاف) وهذا مخالف لرأي النحاة جُلَّهم[٧٨] .

ـ التَّطور النّحوي:

لقد سجَّل ابن الانباري في كتابه الزَّاهر مظهراً من مظاهر التَّطور النحوي وهذا التطور لا يقطع المظاهر السَّابقة وانما هو طور حادث استجابة لتطور مظاهر الحياة وقد جاء في قولهم على حد قول ابن الانباري: ((وقولهم : لا جَرَمَ أنّك محسن))[٧٩] ، حيث نقل ابن الانباري عن الفراء: أن الأصل في قولهم (لا جرم)، أي:(لابدَّ ولا محالة) وعند رجوعنا الى معاني القرآن للفراء وجدناه يقول:((كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بُدَّ أنّك

قائم ولا محالة أنّك ذاهب، فجرت على ذلك ، وكثر استعمالهم إياها ، حتى صارت بمنزلة حقّاً ؛ ألا ترى أن العرب تقول : لا جَرَم لآتينك ، لا جرم قد أحسنت))[٨٠].

من هذا نلحظ أنَّ التركيب النحوي (لا جرم) قد تغيَّر وتطوَّر مدلوله عن (لا محالة) و (لا بد) الى (حقاً) بفعل التقدم في الزمن وحاجة الاستعمال إليه.

وبهذا يكون تفسير قوله تعالى:﴿ لاَجَرَمَأَنَّهُمْفِيالآخِرَةِهُمُالأَخْسَرُونَ ﴾[٨١] ، أي حقّاً أنهم في الآخرة الأَخسرون[٨٢] .

رابعاً : النقد في جانب التَّطور الدَّلالي:

إنَّ المعاني بين الكلمات هي عبارة عن الدَّلالة في الكلمة؛ لأنها علاقة متبادلة بين اللَّفظ والمعنى، أي انَّ الدلالة هي المعنى[٨٣]، ومعنى التطور الدّلالي، أن المعنى يتغير للكلمة إذا ما حدث أي تغيير في هذه العلاقة الأساسية بين (اللفظ والمعنى) ، وهذا التطور طبيعي ؛ وذلك أنّ اللغة ليست ساكنة أو هامدة بأي حال من الاحوال ، فأحياناً يكون التطور بطيئاً أو يكون سريعاً تبعاً للظروف الزمانية والمكانية في اللغة ؛ لانَّ اللغة هي ظاهرة اجتماعية وجدت في كنف المجتمع ويعبّرون عنها انَّها كأي كائن حي تخضع للنَّمو والتَّطور[٨٤] .

والتَّطور عادة يكون في تخصيص الدَّلالة، أي تضييق المعنى، بمعنى أن الدلالة العامة تقتصر على بعض الأجزاء فيكون مدلول الكلمة على أقل عدد من الجوانب التي كانت لمعنى الكلمة فيما سبق[٨٥] .

أما الجانب الثاني فيكون من خلال توسّع الدَّلالة وتعميم المعنى نتيجة لتوسع المعنى فيكون أشمل وأعم مما كان عليه سابقاً، والملاحظ في هذين الأمرين أن تخصيص الدَّلالة يكون أوسع من تعميم الدَّلالة ؛ وعلَّة ذلك أنَّ الناس تبتعد في حياتها اليومية عن العموميات ويؤثرون لأنفسهم الدَّلالة الخاصّة وأحياناً يميلون إلى الدَّلالة العامَّة فيستعملونها استعمالاً خاصّاً[٨٦].

والذي يعيننا من هذا الكلام انَّ ابن الانباري قد أشار الى ألفاظ عدة حدث فيها تطور دلالي في كتاب الزاهر منها:

١ـ التَّطور الدَّلالي في الألفاظ الدينية:

لقد حظيت الألَفاظ الدينية لعملية تطور دلالي، وإذا دققنا في الكلام نستطيع أن نقول إن الالفاظ الدينية قد خضعت إلى التخصيص في الدَّلالة من خلال الاستعمال القرآني والدِّيني لها[٨٧].

فقد كانت هذه الألفاظ عامة الدَّلالة ثم شاع استعمالها في العصر الإسلامي في معانٍ خاصة تتعلق بالألفاظ الإسلامية دون الأخرى ، وكذلك عند مجيء الإسلام فقد استبدلت دلالة كثير من الكلمات التي لا يحسن ورودها على الألسن واستعمل أيسرها على النطق وأبينها في الدلالة على المعنى وحرص على مطابقة القول بمقتضى الحال[٨٨] ، فمثلا كلمة (كافر) أوردها ابن الانباري في قولهم:((فلانٌ كافر))[٨٩]، فيقول: إن ((الكافر معناه في كلام العرب الذي يغطي نعم الله وتوحيده أُخذ من قول العرب: قد كفرت المتاع في الوعاء أكفره كفراً ، إذا سَترتَه فيه ، وقال لنا أَبو العباس : إنما قيل لليل كافر، لأنه يغطي الاشياء بظلمته))[٩٠] .

والملاحظ في هذا المعنى انَّ القرآن الكريم استعمله في قوله تعالى ((كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ))[٩١]، فلفظة الكفار ـ هنا ـ جاءت بمعنى (الزُّراع)[٩٢] ، والمعروف أنّ لفظة (كافر) قد استعملت فيما بعد للذي يجحد الأديان السَّماوية وينكرها وخاصة الدين الاسلامي ؛ لأنّ الكفر في اللغة هو التغطية[٩٣] ، وهذه المعاني قد نبَّه إليها المؤلف.

وكذا الحال في قولهم: ((رجل فاسق))[٩٤]، فالفسوق في اللغة معناه الخروج ، يقول الزبيدي:((فسقت الرطبة عن قشرها أي : خرجت كانفسقت ... ومنه اشتقاق الفاسق لانفساقه أي : لانسلاخه عن الخير))[٩٥] ، ولكنَّ المعنى فيما بعد قد تطوَّر وخُصص نتيجة استعمال القرآن له، فأصبح الفاسق يُطلق على الشخص الذي يخرج من الايمان إلى الكفر ، ومن الطاعة إلى معصية الله ، وقد ورد هذا المعنى في الكثير من الآيات القرآنية ، منها قوله تعالى:﴿ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾[٩٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[٩٧]، وقوله تعالى:﴿ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾[٩٨] ، وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾[٩٩]، وغيرها الكثير، ونلحظ من كل ذلك انّ الدلالة قد خُصِّصت بعد ان كانت عامة في العصر الذي سبق مجيء القرآن الكريم ، وأنّ تخصصيها كان بسبب استعمال القرآن لها ومن ثمَّ استعملها الناس عن غرار الاستعمال القرآني، فأصبح الاستعمال القرآني هو السَّائد على ألسنة الناس دون المعنى الآخر .

وأورد المؤلف أيضاً قولهم:((رجلٌ منافق))[١٠٠]، والمعروف لدى الناس أنّ المنافق هو الذي يبطن غير الذي يظهر وهذا معنى إسلامي ، إذ إنّ الأصل في هذه المفردة جاءت من النافقاء وهو:((موضع يرقِّقه اليربوع من جحره، فإذا أتى من قبل القَاصعاء ضرب النَّافقاء برأسه فانفق أي مزج))[١٠١] ، أي إنه جحر في الأرض له مخرجان من مكانين مختلفين.

ومن هذا جاء اشتقاق المنافق ؛ لانّ صاحب النفاق يكتم خلاف ما يظهر فيتلبَّس بلباس الايمان أو يخرج من الايمان بخفاء، وهذا بحدِّ ذاته برنامج للشخص في جريان الحياة، فصاحبه غير ثابت بل ينفد وينقضي

باعتبار التخالف بينه وبين القلب والسريرة الباطنة[١٠٢]، فالنفاق في الدين:((أن يظهر الإسلام مع خَواء قلبه أو فراغه من الإيمان))[١٠٣].

من هذا نستنتج أنّ ابن الانباري قد طرح هذا القول ليبين أنّ المعنى الدِّلالي الذي جاء به العرب قد جاء بمعنى إسلامي طغى عليه وخصَّصه إلى هذا الوقت ، إذ انَّ المنافق يعرف من خلال المعنى الإسلامي دون المعنى القديم الوضعي المعروف عند العرب قبل الإسلام.

وأوردَ المصنّف أَيضاً في هذا المجال قولهم: ((قد أدى فلانٌ الزكاة))[١٠٤] ، فالزكاة في اللغة معناها الزيادة والنَّماء فكل شيء ازداد ونَمَا فهو زكا- يزكو[١٠٥]، وبعد ذلك أصبحت لزكاة المال فأخذت معنى غير المعنى الأول فأصبحت بمعنى التَّطهير ، يقول الأَزهري : ((زكاةُ المال وهو تطهيره))[١٠٦]، وبهذا فقد تطوَّر المعنى وتخصَّص إلى أن أصبح مصطلحاً إسلامياً خالصاً دون المعنى القديم .

فالزكاة مصطلح إسلامي ((يُراد به تزكية الاموال وإيتاء ما يُتحصّل منه ، فالزكاة اسم مصدر لما يحصل من التَّزكية))[١٠٧] ، فقد انسلخ المعنى الدلالي القديم و حلَّ محله المعنى الدلالي الجديد وهو خاص بزكاة المال دون المعنى الآخر ، فقد اكتسبت (الزكاة) دلالة اجتماعية جديدة وفق الدين الجديد.

وكذلك أورد ابن الانباري قولهم: ((رجلٌ عابد))[١٠٨]، فقد ورد في اللغة قولهم : طريق مُعبَّد أي: صالح للسير يكثر فيه السَّابلة ، وبعير معبد وهو الذَّلول[١٠٩]، وفيما بعد أصبح (العابد) مصطلح إسلامي غير بعيد عن المعنى اللغوي المأخوذ عن العرب ، إلا إنه قد خُصِّص لمعنى واحد إسلامي وهو الخضوع والتذلُّل للهِ وحده دون غيره ، فالعابد هو الخاضع لربه المستسلم لقضائه المُنقاد لأمره[١١٠] .

إنّ تخصيص بعض الألفاظ الإسلامية إنما جاء نتيجة للاستعمال القرآني بالنسبة للناس حتى طغى المصطلح القرآني على المصطلح اللغوي في الاستعمال وهذا حال الكثير من الالفاظ التي هجرها أصحابها بالاستعمال الاول وحَلَّ محلها الاستعمال الثاني لكثرة استعمالها وتداولها، فأصبحت هذه الالفاظ يُطلق عليها مصطلح (الالفاظ الإسلامية) واستعمالها من قبل القرآن كانت بداية التطور الدلالي لمجمل هذه الألفاظ.

٢ ـ التطور الدلالي في الألفاظ الاجتماعية:

سلَّط ابن الانباري الضّوء على مجموعة من الألفاظ في مجال التطور الدّلالي ، وإن لم يشر الى هذا الأمر بصراحة ، فهو يذكر أنَّ هذا اللفظ قد يرد باستعمالين أو معنيين ، فالتطور الدلالي يعني:((تغيير معاني

الكلمات واطلاق لفظ التَّطور على هذه الحالة؛ لأنه انتقال بالكلمة من طورٍ الى طور))[١١١] ، وظاهرة التطور لا تقتصر على لغة دون أخرى ، بل هي ظاهرة عامة تكاد تشمل جميع اللغات في العالم ، والسَّبب في ذلك يعود الى إنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل التَّطور، وانَّ التَّطور في اللُّغة يمكن أن يسير في إحدى طرق كثيرة لا يمكن حصرها ؛ وذلك لعوامل عدة مؤثرة في تطوّر اللغة والتي لا يمكن أن نحصرها ونضبطها بقانون لغوي فللحوادث التاريخيَّة والعوامل الاجتماعية والدينيَّة أثر في توجيه هذا التَّطور ، كذلك نلحظ أنَّ الالفاظ تتبدل معانيها قليلاً أو كثيراً خلال الزمن وكل هذا يؤدي إلى أن تكون اللغة غير ثابتة على مر الزمن بل تتحول وتتبدل[١١٢]، وسوف نتطرق إلى مجموعة من الالفاظ المتداولة في الجانب الاجتماعي دون غيره ، ونأخذ قسما منها لكثرتها.

فمثلا لفظة (رقص) قد وردت في كتاب الزاهر لقولهم: ((قد رقَصَ فلانٌ))[١١٣] ، والرقص لا يكون إلَّا للاّعِب أو الابل ونحوِه، وما سوى ذلك يَنْقُزُ ويَقْفِزُ[١١٤] ، إلّا انَّ ابن دريد يقول: إنَّ الرَّقص ((شبيه بالنقزان من النشاط ، رقصَ يرقصُ رقصاً وهو من أحد المصادر التي جاءت على فَعَلَ فَعلاً .... وأرْقَصَ الرجلُ بعيره ارقاصاً إذا حملهُ على الخبب))[١١٥]، وعلى هذا المعنى يرى ابن الانباري أن المعنى اللغوي للرقص:((الارتفاع والانخفاض يقال: قد أرقص القوم في سيرهم إذا كانوا يرتفعون وينخفضون))[١١٦]، والملاحظ أنّ المعنى اللغوي لا يبتعد كثيراً عن المعنى المعروف في المجتمع لمفردة الرقص من الحركات المعروفة لدى العامة والتي تحمل في طياتها الارتفاع والانخفاض والدوران، وإنما تطور هذا المعنى عن المعنى اللغوي المختص بالمشي للقوم فيكون من خلاله الارتفاع والانخفاض عن الأرض.

وأورد كذلك قولهم:((فلانٌ كثير العَقارِ))[١١٧] ، فقد ذكر ابن منظور فيما يخص (العقار) قوله:((وعقر النخلة أن يكشط ليفها عن قلبها ويؤخذ جَذبُها فإذا فعل ذلكَ يبستْ وهمدتْ))[١١٨] ، أي يُطلق على النخل دون غيره، وهذا المعنى مأخوذ من (العَقْرُ والعُقْمُ) للرحم ولكنَّ العرب أخذت تستعمل (العقار) للإشارة الى الدار او المنزل او الضياع أو البساتين[١١٩]، ومن هذا فانّ التطور الدلالي قد حدث في هذه اللفظة من خلال المعنى اللغوي الذي يكون في عقر النخلة وإزالة رأسها الى عقر الرحم ، ومن ثم اطلاقها على الأرض والمنزل والبساتين والضياع التي يمتلكها الفرد، والجدير بالذكر أنَّ هذه المفردة إلى الان مستعملة بالاستعمال الثاني دون الاول ، فالأول انمحى وانقرض تقريباً.

وكذا الحال في التَّطور الحاصل في لفظة (عقيرة) فقد اورد المؤلف قولهم: ((قد رفع الرجل عَقِيرتَه))[١٢٠] ، فالأصل في هذه المقولة أنَّ رجلاً قطعت رجله فرفع المعقورة ووضعها على الصَّحيحة و أخذ يبكي عليها ويرفع

صوته بالبُكاء والصّياح، وأصل العقيرة الساق المقطوعة[١٢١] ، فأصبحت فيما بعد تطلق هذه العبارة على كل من رفع صوته ، وهذا بحدِّ ذاته تطور دلالي للَّفظ[١٢٢].

وأورد المصنّف قولهم:((قومٌ همج))[١٢٣]، فالهمج يقول عنها الخليل(١٧٥هـ): ((كل دُودٍ ينفقيء عن ذُباب أو بَعوض))[١٢٤] ، وبعد ذلك تطور هذا المعنى وتوسَّع ، فأخذ يُطلق على ((ذُبابٌ صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعْيُنها))[١٢٥] ، وأخذت المعاني لهذه اللفظة بالتكاثر فبعضهم عدَّها ذباب ، والبعض جعلها لصغار الدوابّ ، وجعل ابن خالويه (الهمج) الجُوع ، وكذلك أطلق هذا اللفظ على الغنم إذا هَرِمَتْ[١٢٦]، ولكنَّ هذا المعنى تطوَّر دلالياً واستقر على معنى الرُّعاعُ من الناس الذين يتخالطون دون نسب معين أو نظام ، وقيل: إنهم رذائل الناس أو الحمقى وهذا التطوّر بالمعنى جعل هذه اللفظة تستقر إلى الآن على الهمج من الناس وهم الذين لا يحدهم نظام معين ، فهم أراذل القوم وسفلتهم.

وكذلك الحال في قولهم((رجلٌ فاتِك))[١٢٧] ، فأصل (الفتك) في اللغة هو:((ركوب ما هَمَّ من الأمور ودعت إليه النفس فتك يفتك فتكا .... والفاتك الجريء الصَّدر ورجلٌ فاتك جريء))[١٢٨] ، إلا انّ ابن الانباري يورد رأياً آخر في اللغة فيقول: ((أصل الفتك في اللُّغة أن يأتي الرجل رجلا غارًّا فيقتله، أو يكمن له في شجرة، أو على جبل، حتى يقتله غافلاً فكان هذا أصله))[١٢٩]، ولكنَّ المعنى قد تطوَّر فيما بعد حتى أصبح كلّ من هجم على الأمور العظام فاتكاً وهذا الرأي لابن الانباري[١٣٠]، وهذا المعنى اندثر وأخذ المعنى الثاني بالشيوع حتى سادَ على المعنى الاول.

من هذا نجد ان أسباب التطور الدلالي في اللغة العربية ترجع الى العديد من الأسباب منها التغيّرات الاجتماعية ففي أغلب الأحيان تؤدي التغيرات الاجتماعية الى تطور لغوي ودلالي فتموت بعض الالفاظ وتنبعث الفاظ أخرى و تتبدل معان بعضها عبر الاجيال ، فيرث الجيل اللاحق الفاظاً من الجيل السابق فيستحسن بعضها ويرفض البعض الاخر، وكذلك العامل الديني الذي يطلق عليه (الالفاظ الإسلامية) فهي أيضاً سبب في التطور الدلالي واللغوي ، وكذلك أسباب متصلة بالصيغ والاشكال اللغوية والعلاقة بين اللغات بسبب حاجة الناطقين إليها على اعتبار أن اللغة أداة للتعبير عن أفكار الناس وحاجاتهم، فظهرت اشياء عدة من ذلك تخصيص الدلالة أو تعميمها ، او انتقال الدلالة والنحت والاشتقاق والتعريب وغيرها من الأمور[١٣١] ، والمعروف من خلال متابعة كتاب الزاهر انَّ ابن الانباري قد سلَّط الضوء على هذه الاشياء وأشار اليها والى تطورها في طيات كتابه.

نتائج البحث

لقد توصل البحث الى النتائج الاتية:

- جاء النقد اللغوي في كتاب الزاهر للنثر دون الشعر وهذا مخالف لما قبله من النقد الموجّه بالدرجة الأساس للشعر دون النثر.
- النقد اللغوي في كتاب الزاهر موجه إلى كلام عامة الناس دون كلام الخواص منهم.
- لم يكن منهج ابن الانباري في النقد متزمتا في نقده، وانما كان يذكر قول العامة الشائع آنذاك ـ خطأ ـ ويرجح الذي يراه صواباً.
- اعتمد ابن الانباري على كتاب (الفاخر) للمفضل بن سلمة بشكل كبير في ايراده للأخطاء التي وقع فيها العامة.
- جاء البحث ليسلِّط الضوء على النقد اللغوي في المجال الصوتي إذ إنّ أغلب الاخطاء التي وقع فيها العامة جاءت من خلال تقارب مخارج الحروف، كحرف الغين مع القاف، والذال مع التاء وغيرها.
- سلَّط البحث الضوء على النقد اللغوي في المجال الصرفي والنحوي وكذلك الدلالي ، وقد أخذ الاخير مجالاً واسعاً في طيّات الكتاب.
- كان النقد اللغوي في المجال النحوي قليلا اذا ما قيس في النقد في المجال الصوتي والصرفي والدلالي.

الهوامش

---

(١) ينظر : درة الغواص في أوهام الخواص: ١١
(٢) ينظر: موسوعة اللحن في اللغة : ١٤
(٣) الزاهر : ٣٩/١
(٤) ينظر: المصدر السابق: ٤٦/١
(٥) ينظر: الخصائص : ٢٨/٢، وسر الفصاحة: ٦٤
(٦) الزاهر:٤٤٧/١
(٧) المصدر السابق : الصفحة نفسها
(٨) ينظر: المصطلح الصوتي:٨٤
(٩) الكتاب: ٤٣٣/٤
(١٠) ينظر: الزاهر : ١/ ٤٤٨
(١١) الزاهر: ٤٥٠/١
(١٢) الزاهر: ١/ ٤٥٠
(١٣) ينظر: المحيط في اللغة : ٣١٥/١، وتهذيب اللغة: ١٨٩/٦
(١٤) العين: ٤/ ٦٧
(١٥) ينظر: درة الغواص في أوهام الخواص: ٣٦
(١٦) ينظر: علم الأصوات : ٣٠٢ ـ ٣٠٥

(١٧) الزاهر: ٥١٨/١
(١٨) المصدر السابق: ١/ ٥١٨
(١٩)ينظر: درة الغواص في أوهام الخواص:١٣٤
(٢٠) تاج العروس:٢٠/١
(٢١) ينظر: الكتاب: ٤٣٣/٤
(٢٢) ينظر: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث: ٣٤٨
(٢٣) الزاهر: ١/ ٣٢٧
(٢٤) ينظر: تهذيب اللغة : ٢٥٣/١٥
(٢٥) الزاهر:٣٢٧/١
(٢٦) العين: ٢٣/٣
(٢٧) ينظر: الزاهر: ٢٢٧/١ و ٢٢٨ و ٢٢٩ ، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٢٨
(٢٨) الزاهر: ٥١٣/١
(٢٩) الزاهر: ٥١٣/١
(٣٠) العين : ٤١٦/٤
(٣١) ينظر: الصحاح في اللغة : ٢/ ٤٠٤، ولسان العرب:٣٢٩٥/٥
(٣٢) الزاهر: ١م٥٨٣
(٣٣) المصدر نفسه : الصفحة نفسها
(٣٤) ينظر: الصحاح في اللغة: ٤١٢/٢
(٣٥) تهذيب اللغة: ٣٠٥/١٤
(٣٦) ينظر: لسان العرب:١٥٠٤/٣
(٣٧) الزاهر: ٥٨٤/١
(٣٨) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٦٩
(٣٩) الزاهر: ٤٦٠/١
(٤٠) المحيط في اللغة: ١٨/٢
(٤١) ينظر: المصطلح الصوتي :٨٠
(٤٢) الزاهر: ٤٦٠/١
(٤٣) ينظر: تاج العروس:١٠٠/٢
(٤٤) سورة الفاتحة: ٦
(٤٥) ينظر: المفتاح في القراءات السبع:٥٦
(٤٦) الزاهر: ٣٤٥/٢
(٤٧) المصدر نفسه : الصفحة نفسها
(٤٨) ينظر: جمهرة اللغة: ٦٩٦/٢، والصحاح في اللغة : ٢٧/١، والقاموس المحيط:٥١، والعباب الزاخر: ١٨/١، وتهذيب اللغة: ١٥/٧، ولسان العرب:١٥٠٠/٣
(٤٩) ينظر: الزاهر: ٢٩٣/١، و ٣٨٥ و ٤٤٣ و ٥٩٨ و ٦٠٩
(٥٠) ينظر: اللغة والنقد الادبي: تمام حسان : مجلة فصول ، ١٤/ الهيئة المصرية العامة للكتاب:١٩٨٣، ص٣٩
(٥١) ينظر: النقد اللغوي في القرن الرابع الهجري: ٣٠٣
(٥٢) الزاهر:١٧/٢
(٥٣) شرح شافية ابن الحاجب : ١٨٠/١
(٥٤) ينظر: مجمع الامثال:٤٩/١
(٥٥) شرح شافية ابن الحاجب:١٣٩/١
(٥٦) الزاهر:٥٩/٢
(٥٧) تهذيب اللغة : ١٦٣/٢
(٥٨) الزاهر:٧٩/٢
(٥٩) الزاهر: ٧٩/٢، وينظر: تهذيب اللغة : ١٨٣/١، والقاموس المحيط: ١١٧٤
(٦٠) الزاهر: ٢٧٤/١
(٦١) الزاهر: ٢٧٤/١

(٦٢) سورة آل عمران:١٥٩
(٦٣) ينظر: التحرير والتنوير:١٤٦/٤
(٦٤) الزاهر: ٢٧٧/١
(٦٥) الزاهر: ٥٩٤/١
(٦٦) ينظر: اصلاح المنطق: ٢٩٧
(٦٧) الزاهر: ٦٠٦/١
(٦٨) ينظر: تهذيب اللغة: ٣٨٢/١
(٦٩) العين: ٢٥٣/٢
(٧٠) الزاهر: ١٣/٢
(٧١) المصدر نفسه: الصفحة نفسها
(٧٢) ينظر: الكتاب:١٨٤/٢
(٧٣) ينظر: شرح المفصل: ٢٥٢/١، والنحو الوافي:١/٤، والنحو العربي نقد وتوجيه : ٣٠١
(٧٤) ينظر: أوضح المسالك:٢٠/٤ ـ ٢١
(٧٥) الزاهر:٥٥٧/١
(٧٦) سورة الرعد:٢٩
(٧٧) تهذيب اللغة:٢٢٨/٤
(٧٨) ينظر: معاني القران:٢٣١
(٧٩) الزاهر:٣٧٥/١
(٨٠) معاني القران (للفراء):٨/٢
(٨١) سورة هود:٢٢
(٨٢) ينظر: معاني القران (للفراء): ٨/٢
(٨٣) ينظر: دلالة الافاظ:٧
(٨٤) ينظر: المشترك اللفظي:٢٥
(٨٥) ينظر: لحن العامة:٣٥
(٨٦) ينظر: دلالة الألفاظ: ١٥٣
(٨٧) ينظر: الصاحبي: ٤٥، و المزهر : ٢٩٤/١
(٨٨) ينظر: التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآن: ٣٣
(٨٩) الزاهر: ٢١٦/١
(٩٠) المصدر نفسه: الصفحة نفسها
(٩١) سورة الحديد:٢٠
(٩٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤١١/١٤
(٩٣) ينظر: العين: ٣٥٦/٥
(٩٤) الزاهر: ٢١٧/١
(٩٥) تاج العروس: ٥٤٩/١، وينظر: لسان العرب: ٣٤١٤/٥
(٩٦) سورة الحجرات: ١١
(٩٧) سورة الكهف: ٥٠
(٩٨) سورة الانعام:١٤٥
(٩٩) سورة الانعام:١٢١
(١٠٠) الزاهر:٢٢٩/١
(١٠١) التحقيق في كلمات القران الكريم: ٢٢٨/١٢
(١٠٢) التحقيق في كلمات القران الكريم: ٢٢٨/١٢
(١٠٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القران الكريم:٢٣٠٦/٤
(١٠٤) الزاهر: ١٨٦/٢
(١٠٥) ينظر: العين: ٣٩٤/٥
(١٠٦) تهذيب اللغة: ٣٩٥/٣
(١٠٧) التحقيق في كلمات القران الكريم: ٣٥٥/٤

([108]) الزاهر:٢٠٤/١
([109]) ينظر: العين:٥٠/٢
([110]) ينظر: تهذيب اللغة : ٢٣٢/١
([111]) فقه اللغة وخصائص العربية: ٢٠٧
([112]) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية:٣٢
([113]) الزاهر:٤٠/٢
([114]) ينظر: العين : ٦٢/٥
([115]) جمهرة اللغة: ٧٤٢/٢
([116]) الزاهر:٤٠/٢
([117]) الزاهر:٥١/٢
([118]) لسان العرب : ٣٠٣٦/٤، وينظر: الصحاح في اللغة : ٤٦٨/٢
([119]) المصدر نفسه: الصفحة نفسها
([120]) الزاهر:٥٨/٢
([121]) ينظر: الصحاح في اللغة : ٤٦٨/٢، ومظاهر التطور الدلالي في كتب لحن العامة من القرن الثاني حتى نهاية القرن الرابع الهجري:١٦٩
([122]) ينظر: جمهرة الامثال:٣٣/١، والصاحبي في فقه اللغة العربية:٥٨
([123]) الزاهر:٧٨/١
([124]) العين:٣٩٦/٣
([125]) الصحاح في اللغة:٢١٥/١
([126]) ينظر: لسان العرب: ٤٦٩٦/٦، وتاج العروس:٤١٤/٥
([127]) الزاهر:١٨/٢
([128]) لسان العرب:٣٣٤٣/٥، وينظر : تاج العروس:٦٧٦/١
([129]) الزاهر:١٨/٢
([130]) ينظر: الزاهر: ١٩/٢
([131]) ينظر: التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني:١١

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- اصلاح المنطق: ابن السكيت (ت٢٤٤هـ) شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون ، ط٤، دار المعارف.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ـ بيروت ٢٠٠٦م
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق : مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ١٩٩٨م .
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم : العلامة مصطفوي ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠٠٩م .

- التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني (اطروحة دكتوراه): جنان منصور كاظم الجبوري، جامعة بغداد ، كلية التربية، ابن رشد، قسم اللغة العربية، اشراف: أ. د. قيس اسماعيل محمود الاوسي، ٢٠٠٥م.
- التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علو الاصوات الحديث قراءة في كتاب سيبويه : د. عادل نذير بيري الحساني، العراق ـ ديوان الوقف السني، ط١/٢٠٠٩م.
- تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور ، دار السَّداد ـ تونس١٩٨٤م .
- تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن احمد الأزهري(ت٣٧٠ هـ) ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ٢٠٠١م .
- جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ (ت٣٢١هـ) ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، ط١ ، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٧م .
- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط٢ ، المكتبة العلمية ـ مصر ١٩٥٢م .
- درة الغواص في أوهام الخواص: القاسم بن علي الحريري، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا، لبنان، ط١/ ٢٠٠٣م.
- دلالة الألفاظ : د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة د. ت .
- الزاهر في معاني كلمات الناس : ابو بكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٨٨هـ) تحقيق: حاتم صالح الضامن، العراق، وزارة الثقافة ، دار الرشيد ، ١٩٧٩م.
- سر الفصاحة : ابو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٩٨٢م.
- شرح المُفصل : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) ، تحقيق : احمد السيد سيد احمد ، وإسماعيل عبد الجواد عبد الغني ، المكتبة التوفيقية ـ مصر د. ت .
- شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد واخرون ، دار احياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠٠٥م .
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق: أحمد حسن بسيج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م .

- الصِّحاح تاج اللغة وصِحاح العربية : إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، ط٣ ، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٤م.
- العباب الزاخر واللباب الفاخر: للصاغاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن ال ياسين، بغداد، ١٩٧٧م.
- علم الاصوات : د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠٠م.
- فقه اللغة وخصائص العربية: محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٧٢م .
- في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢/ ١٩٨٦م.
- القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروز ابادي(ت ٨١٧هـ) تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ٢٠٠٣.
- كتاب العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ١٩٨٨م .
- كتاب جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري (ت ٢٩٥هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطيش، المكتبة العصرية ـ بيروت ٢٠٠٥م .
- الكتاب: ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٥ ،٢٠٠٩م.
- لحن العامة والتطور اللغوي: د. رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م.
- لسان العرب :ابن منظور (ت٧١١هـ) ، عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ـ مصر د. ت .
- اللغة والنقد الادبي : د. تمام حسان، مجلة فصول ، ع١٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.
- مجمع الأمثال : أبو الفضل احمد بن محمد بن احمد الميداني ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ـ بيروت ١٠٠٩م .
- المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ) تحقيق: محمد حسن ال ياسين، عالم الكتب ، ط١، ١٩٩٤م.
- المشترك اللفظي في اللغة العربية: الاستاذ عبد الكريم شديد محمد ، جمهورية العراق ، ديوان الوقف السني، بغداد، ٢٠٠٧م .
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م.

- مظاهر التطور الدلالي في كتب لحن العامة من القرن الثاني حتى نهاية القرن الرابع الهجري(بحث) : احلام فاضل عبود ، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، مجلد ٢، العدد٢ ، ٢٠١٢م.
- معاني القران : ابو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط (ت٢١٥هـ) ، تحقيق: د. هدة محمود قراعة ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١، ١٩٩٠م.
- معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار وآخرين ، دار السرور ـ د.ت .
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القران الكريم: د. محمد حسن حسن جبل ، مكتبة الآداب ، القاهرة، ٢٠١٢م.
- المفتاح في القراءات السبع: تأليف الشيخ ابو القاسم عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب القرطبي(ت٤٦١هـ)،د. ط ، د. ت.
- موسوعة اللحن في اللغة: د. عبد الفتاح سليم ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٩م.
- النحو الوافي : عباس حسن ، ط٣ ، دار المعارف ـ مصر د. ت.
- النقد اللغوي في القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير) ، فريد بو الكعيبات ، إشراف الدكتور : عمار ويس ، الجزائر، جامعة منتوري ، ٢٠٠٨

نحو النص مفهوما ومنطلقات.

إعداد الدكتور محمد بن سالم بن خلفان المسلمي /سلطنة عمان

جامعة الشرقية –كلية الآادب والعلوم الإنسانية

خلاصة البحث:

ينطلق الباحث من آخر ما توصل إليه البحث في اللغة والنقد، بما يتضمنه النص (السياق اللغوي)، والسياق الخارجي، وما يتعلق بهذا من مراعاة المقام، وطرفي الخطاب وما يتعلق بهما، ونجد أن مصطلح نحو النص مصطلح مركب تركيبا إضافيا، لم يرد في الدرس النحوي القديم، وسنقف على جزأيه استعمالا ودلالة، فالنحو ورد بعدة معان في معجمات العربية. وكذلك مصطلح النص بمفهومه الحديث لم يرد عند القدماء، بل ورد مصطلح المتن، ونجد أن أول من استعمله بما يعنيه النص علماء الحديث.

نحو النص مفهوما ومنطلقات.

١) مفهوم النحو: لغة:

القصد – المِثل – المقدار– الناحية – النوع – بعض – الحرف.

٢) مفهوم النص:

أ– عند القدامى

ب– عند الغربين.

ت– عند المحدثين من العرب.

٣) مفهوم نحو النص.

Department of Arabic language

Conference / Arabic Legacy and Heritage

23/ 5/ 2021

Research title: Towards the text as a concept and premises

Prepared by: Dr. Mohammed Salem Khalfan Al Musallami (PhD)

Saltant of Oman

Abstract

The researcher starts from the latest findings of the research in language and criticism, including what is included in the text (the linguistic context), the external context, and what is related to this in terms of taking into account the place, the two sides of the discourse and what is related to them. The old grammar, and we will stand on its two parts in terms of usage and semantics, as grammar has several meanings in Arabic dictionaries. Likewise, the term text in its modern sense was not used by the ancients. Rather, the term al-Matn was mentioned, and we find that the first to use it with the meaning of the text was scholars of hadith.

Towards the text as a concept and premises

1- The concept of grammar: language

Intent - proverb - amount - aspect - type - some - letter

2- the concept of the text:

a- By the ancients .

b- By the Wests

c- By the modernists of the Arabs

3- The concept of the grammar of the text

المقدمة

ينطلق الباحث من آخر ما توصل إليه البحث في اللغة والنقد، بما يتضمنه النص (السياق اللغوي)، والسياق الخارجي، وما يتعلق بهذا من مراعاة المقام، وطرفي الخطاب وما يتعلق بهما.

أولا: مفهوم النحو:

إن مصطلح نحو النص مصطلح مركب تركيبا إضافيا، لم يرد في الدرس النحوي القديم، وسنقف على جزأيه استعمالا ودلالة، فالنحو ورد بعدة معان في معجمات العربية ذكرها الإمام الداودي في هذين البيتين:

"للنحو سبع معان قد أتت لغة جمعتها ضمن بيت مفرد كمــلا

قصد ومثل ومقدار وناحية نوع وبعض وحرف فاحفظ المثلا"[1]

وأفصل القول في هذه المعاني لغة على الوجه الآتي:

ترجع معاني النحو في اللغة إلى عدة معانٍ: منها القصد، والتحريف، والجهة، وأصل هذه المعاني هو القصد؛ لأن النحو مأخوذٌ مِن قول أبي الأسود الدُّؤَلي، عندما وضع كتابًا فيه جمل العربية، ثم قال: "... انحوا هذا النحو"؛ أي: اقصدوه، والنحو القصد، فسُمِّي لذلك نحوًا"[2]. لذا سأعرض بعض التعريفات لمفهوم النحو متتبعا كل تعريف.

أولا: القصد:

قال الخليل (ت١٧٠هـ): "نحو: النَّحْوُ: القَصْدُ نَحْوَ الشّيء. نَحَوْتُ نحوه، أي: قَصَدْتُ قَصْدَهُ وبلغنا أنّ أبا الأسودِ وضع وجوهَ العربيّة، فقال للناس آنحوا نَحْوَ هذا فسُمْي نحوًا. ويُجمعُ على الأَنْحاء. قال:

وللكلامِ وجوهٌ في تَصَرُّفِه والنّحو فيه لأهل الرأي أنحاءُ"[٣].

وتابعه الصاحب بن عباد(ت٣٢٦هـ): "النَّحْوُ: القَصْدُ، نَحَوْتُ نَحْوَهُ، ومنه سُمِّيَ النَّحْوُ في العَرَبِيَّةِ، وقال أبو زيدٍ: نَحَوْتُ طَرْفي نَحْوَه أَنْحَاهُ وأَنْحُوْهُ: صَرَفْتَه إليه، فإنْ عَدَلْتَه عنه قُلْتَ: أَنْحَيْتُ بَصَري عنه"[٤].

ثانيا: المِثل:

قال العوتبي: "النحو: المِثل، تقول: هذا نحو هذا. أي مثل هذا"[٥]. والمثل أو الشبه والنظير بمعنى واحد، نقول: مررت برجل نحوك، أي: مثلك. ونقول: سررت بضيف نحوك، أي: مثلك.

ثالثا: المقدار:

قال أبو القاسم الزمخشري(ت ٥٣٨هـ): "وعنده نحوٌ من مائة رجل"[٦].

وتابعه الزبيدي (١٢٠٥هـ): "النحو: بمعنى المثل، وبمعنى المقدار وبمعنى القسم، وقالوا: هو على ثلاثة أنحاء"[٧].

رابعا: الناحية:

قال الخليل (ت١٧٠هـ): "والنّاحيةُ من كلّ شيءٍ: جانِبُه"[٨].

قال الصاحب بن عباد(ت٣٢٦هـ): "والنّاحِيَةُ: كلُّ جانِبٍ تَنَحّى عن القَرَارِ، ويُقالُ: ناحٍ، بمَعْناه، ونَحَّيْتُه فَتَنَحّى، ونَحَيْتُه، وأنا أَنْحَاهُ نَحْيًا. والنّاحَاتُ: النَّوَاحي، واحِدَتُها: ناحَةٌ"[٩].

خامسا: النوع:

قال الصاحب بن عباد(ت٣٢٦هـ): "وهو على نحية واحدة أي نحو ومذهب واحد"[١٠]،

سادسا: بعض:

قال الخضري(ت١٢٨٧هـ) في حاشيته: "..والبعض: كأكلت نحو السمكة، وأظهرها وأكثرها الأول"[١١].

سابعا: الحرف:

قال الأزهري(ت٣٧٠هـ): "وأخبرني المنذريّ عن الحرّاني عن ابن السكيت (ت٢٤٤هـ)، أنه ذهب إلى أن النحو مشتق من معنى التحريف، قال: ومنه سمي النحوي نحويا، لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب. وينحا الكلام، أي يحرف الكلام، ونحا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرفه"[١٢].

أما في الاصطلاح فهو:

قال ابن السراج(ت٣١٦هـ):"النحو إنما أُرِيد به أن ينحو المتكلِّم إذا تعلَّمه كلامَ العرب، وهو علمٌ استخرجه المتقدِّمون فيه مِن استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة"[١٣].

قال أبو علي الفارسي(ت٣٧٧): "النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب"[١٤].

وقال ابن جني(ت٣٩٢هـ): "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره: كالتثنية، والجمع، والتحقير والتكسير والإضافة والنسب، والتركيب، وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وأن لم يكن منهم، وأن شذ بعضهم عنها رد به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوا، كقولك قصدت قصدا، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم"[١٥].

قال السكاكي(ت٦٢٦هـ): "اعلم أن علم النحو هو أن تنحو معرفة التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل معنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها"[١٦].

وعرَّفه ابن يَعِيشَ(ت٦٤٣هـ) بقوله: "النحْوُ قانونٌ يُتوصَّل به إلى كلام العرب"[١٧].

وكرر ابن عصفور(ت٦٦٩هـ) أنه: "علمٌ مستخرج بالمقاييس المستنبطة مِن استقراء كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أجزائه التي ائتَلف منها"[١٨].

وعرفه ابن الناظم(ت٦٨٦هـ) قال: "العلم بأحكام مستنبطة من استقراء كلام العرب، أعني أحوال الكلم في ذواتها، أو ما يعرض لها بالتركيب لتأدية أصل المعاني من الكيفية بالتقديم والتأخير"[١٩].

وعرفه الشاطبي(ت٧٩٠هـ): "علمٌ بالأحوال والأشكال التي بها تدلُّ ألفاظ العرب على المعاني، أو أنه علمٌ بالمقاييس المستنبطة مِن استقراء كلام العرب"[٢٠].

وورد عند الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ): "هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل: النحو: علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال، وقيل: علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده"[٢١].

وصاغ محمد علي التهانوي (ت ١١٥٨هـ) تعريفه كالآتي: "بفتح النون وسكون الحاء: اسم لعلم من العلوم المدونة. ويسمى علم الإعراب أيضا؛ وهو علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقاما وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه من حيث هو هو، أو لا وقوعها فيه"[٢٢].

أما جبور عبد النور فذكر أنه: "علم يعرفنا بأحوال أواخر الكلمات من حيث الإعراب والبناء، وهو علم يوضح أنواع العوامل التي تؤثر في الكلمة وشروطها، وما ينجم عن كل واحد منها"[٢٣].

وأجمل محمود عبد السلام شرف الدين فعرفه: "هو العلم الذي بأصوله وقواعده تعرف أحوال الكلمات حال تركيبها، أو هو البحث عن علاقة الكلمة بما قبلها وما بعدها، وما يستتبعه هذا من الوقوف على بإعرابها وبنائها، فالنحو أصل من أصول اللغة العربية ومن أسبقها إلى الوجود"[٢٤].

ومما ذكره عوض القوزي في معرض حديثه عن النحو: "هذا العلم بالألفاظ لم يتصالح عليه العرب الأوائل، ولا نحاتهم بهذا الاصطلاح، ولم يدُر اصطلاح النحو بينهم في مناقشاتهم ومحاوراتهم، ولكنهم يعبرون عنه باصطلاحات أخرى هي: العربية – الكلام – اللحن – الاعراب – المجاز"[٢٥].

وقال محمود السعران: "يُعرَف علم النحو بأنه علم بأصول تُعرفُ بها أحوال الكلمات العربية؛ من حيث الإعرابُ، والبناءُ؛ أي: مِن حيث ما يعرِضُ لها في حالِ تركيبِها، فبه نعرِفُ ما يجبُ أن يكونَ عليه آخرُ الكلمةِ من رفع، أو نصب، أو جرٍّ، أو جزم، أو لزوم حالة واحدة بعد انتظامها في الجملة؛ فهو يراقِبُ الوظيفة التي تشغَلُها الكلمة في التركيب: أهيَ فاعل، أم مفعول، أم مبتدأ، أم خبر...، فالعنصرُ النَّحْويُّ يُساعِد على فَهْم وظيفة كلِّ كلمة في التركيب؛ لأنه يهتمُّ بدراسة العَلاقات المُطَّرِدة بين الكلمات في الجملة والوصول إلى معناها ودلالتها"[٢٦].

وعرفه تمام حسان: "النحو نظامٌ من المعاني والعَلاقات التي تتحكم في معنى الجملة العربية"[٢٧].

وجد الباحث أن مقولة ابن جني" هو انتحاء سمت كلام العرب..."[٢٨]، لا تقصر على وجوه الاعراب فحسب، وهذا المفهوم يوسّع من دائرة اهتمام علم النحو بكلام العرب والطرائق التي يتم بها ذلك الكلام. وهو ينسجم مع ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)[٢٩]. فيما يسمى بثنائية اللفظ والمعنى، وما يترتب عنهما من تفضيل الواحد على الآخر، إذ نجده يثبت أن اللفظ والمعنى أساس الظاهرة اللغوية، وجوهر الكلام من حيث تآلفهما وتوافقهما في المفردة الواحدة أو أكثر من ذلك تركيبا وهذا منبثق من تعريفه لنظرية النظم، ومن ذلك المنحنى العقلي في تحليل العلاقات الدلالية بين اللفظ والمعنى، فيرى الجرجاني أن وحدات اللغة ألفاظ، وبفضل النحو نستعمل الألفاظ لنشكل التراكيب، وتتجدد بفضل النحو دائما لإعادة تراكيبها، فالألفاظ عند الجرجاني رموز

للمعاني، والإنسان يتعرف إلى مدلول اللفظ المفرد بداية، ثم يتعرف على مدلوله داخل التراكيب، فالألفاظ سمات لمعانيها، ولا يمكن أن تسبق الألفاظ معانيها، ونفسر ذلك بأن النظم هو وضع الكلام حسب ما يقتضيه علم النحو، من قوانين وأصول ومناهج، والنظم عنده سبيل من سبل تحقيق معاني النحو في الكلام وإن كان لم يصرح بأن النظم هو معاني النحو يتفق مع هذه التعريفات.

ثانيا: مفهوم النص:

لغة:

قال الخليل (ت ١٧٠هـ): "نص: نصصت الحديث الى فلان نصا أي رفعته قال:

ونص الحديث الى أهله فإن الوثيقة في نصّه

والمنصة: التي تقعد عليها العروس. ونصصت ناقتي: رفعتها في السير. والنصنصة: إثبات البعير ركبتيه في الأرض وتحركه إذا همّ بالنهوض. والماشطة تنص العروس أي تقعدها على المنصّة، وهي تنتص أي تقعد عليها أو تشرف لترى من النساء. ونصنصت الشيء: أي حركته. ونصصت الرجل: استقيت مسألته عن الشيء، يقال: نصّ ما عنده أي استقصاه. ونص كل شيء: منتهاه، وفي الحديث: "إذا بلغ النساء نصّ الحقاق فالعصبة أولى" أي بلغت غاية الصّغر إلى أن تدخل في الكبر فالعصبية أولى بها من الأم، يريد بذلك الإدراك والغاية. وقوله: أحق بها يحفظونها وكينونتها عندهم"[٣٠].

قال ابن فارس(ت٣٩٥هـ): "ونصَصْت الرّجُل: استقصيتُ مسألتَه عن الشَّيء حتَّى تَستخرِجَ ما عنده. وهو القياس، لأنك تبتغي بلوغَ النِّهاية"[٣١].

وقال أحمد رضا(ت١٣٧٢هـ/١٩٥٣م): نصّ: "ونص القرآن والحديث: اللفظ الدال على معنى لا يحتمل غيره"[٣٢].

ولم يرد معنى النص في المعجمات اللغوية على ما هو عليه الآن.

واصطلاحا:

إن مصطلح النص بمفهومه الحديث لم يرد عند القدماء، بل ورد مصطلح المتن، ونجد أن أول من استعمله بما يعنيه النص علماء الحديث، فهو عندهم: "ما ينتهي إليه السند من الكلام، وما بعد الاسناد"[٣٣].

والمتن عند أهل اللغة كما ذكره الفراهيدي: "ومتن كل شيء: ما ظهر منه"[٣٤].

وفي تاج العروس: المتن مجازا هو: "ما في متن الكتاب وحواشيه، ومتون الكتب"[٣٥].

أما مصطلح النص فقد ورد عند القدامى العرب بمعنى غير الذي استقر في الاصطلاح المعاصر ومنهم: الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) قال: النص: "ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: (أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحتي ويغتم بغمي)، كان نصا في بيان محبته. وما لا يحتمل إلا معنى واحداً. وقيل: ما لا يحتمل التأويل"[٣٦].

وقال الكفوي(ت١٠٩٤هـ) النص: "أن أصله أن يتعدى بنفسه لأن معناه الرفع البالغ..ثم نقل في الإصطلاح إلى الكتاب والسنة وإلى ما لا يحتمل إلا معنى واحدا"[٣٧].

وقال التهانوي(ت١١٥٨هـ) في تعريفات للنص: "كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة. والنص هو الظاهر. وما لا يتطرق إليه الاحتمال أصلا، لا على قرب ولا على بعد كالخمسة مثلا فإنه نص في معناه لا يحتمل شيئا آخر...، وما لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل"[٣٨].

أما النص اصطلاحا عند الغربيين فورد على النحو الآتي:

نجد الباحث الروسي لوتمان(*Lotman*) الذي يرى أن النص يعتمد على ثلاثة مكونات: التعبير: أي الجانب اللغوي. والتحديد: أي أن للنص دلالة لا تقبل التجزئة. "فهو يحقق دلالة ثقافية محددة، وينقل دلالتها الكاملة"[٣٩]. وعلى هذا التعريف فإن الخاصية البنيوية تعني أن النص بنية منظمة وليس مجرد متوالية من العلامات، بل التنظيم الداخلي ضروري للنص وأساس في تكوينه. إذ يركز هارتمان في تعريفه للنص على ربطه بالموقف الاتصالي فيرى أن النص: "علامة لغوية أصلية، تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي"[٤٠].

أما جوليا كرستيفا(Julia Kristeva) فترى النص: "أكثر من مجرد خطاب أو قول، فهو موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية، بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة، لكنها غير قابة للانحصار في مقولاتها"[٤١]، وبهذا المعنى هو عملية إنتاجية.

أما بول ريكور(Paul Ricœur) فيولي الكتابة اهتمامه، وأنه يرى في ذلك ضرورة فيندفع إلى تأسيس نظرية للحدث الكتابي تميزه من الحدث الكلامي والنص عنده: "مثبت بواسطة الكتابة"[٤٢].

وعرف رولان بارت(Roland Barthes) النص أنه: "نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بحيث تفرض شكلا ثابتا ووحيدا ما استطاعت إليه سبيلا... والنص هو الذي يوجد الضمان للشيء المكتوب"[٤٣].

وينطلق هاليدي(*Halliday*) من النص وحدة دلالية، وهو: "لا يتعلق بالجملة بل يتحقق بواسطتها أو مشفر فيها"[٤٤].

ويعرفه دي بو جراند(Robert de beaugrand) بأنه: "تشكيلة لغوية ذات معنى، تستهدف الاتصال، ويضاف إلى ذلك ضرورة صدوره عن مشارك واحد ضمن حدود فترة زمنية معينة، وليس من الضروري أن يتألف النص من الجمل وحدها، فقد يتكون النص من جمل أو كلمات مفردة، أو أية مجموعات لغوية تحدد أهداف الاتصال، ومن جهة أخرى فقد يكون بين بعض النصوص من الصلة المتبادلة ما يؤهلها لأن تكون مقالا"[٤٥].

أما فاندريش(H.weinrich) فينطلق من مفهوم الترابط النحوي، إذ يعرفه بأنه: "تكوين حتمي يحدد بعضه بعضا، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكل"[٤٦].

وانطلق برينكر(Brinker) من مفهوم التداول في تعريفه للنص، فقال: "يسم (نص) تتابعا محدودا من علامات لغوية متماسكة في ذاتها، وتشير بوصفها كلا إلى وظيفة اتصالية مدركة"[٤٧].

أما كلاوس برنكر(Klaus Brinker) فنجد عنده أن النص: "تتابع مترابط من الجمل محدودا بعلاقات لغوية متماسكة في ذاتها، وتشير بوصفها كلا إلى وظيفة اتصالية مدركة"[٤٨].

ثم عرفه العرب المحدثون على الوجه الآتي:

جبور عبد النور: "كلام لا يحتمل إلا معنى واحدا. وتوسعا في التعريف هو الكلام مكتوب أو مطبوع"[٤٩].

وقال مجدي وهبة وكامل المهندس النّص: "هو الكلمات المطبوعة أو المخطوطة التي يتألّف منها الأثر الأدبي، أو هو اقتباس أجزاء من الكتب المقدسة، والتعليق عليها في الوعظ، أو أنه الاقتباس الذي يعتبر نقطة انطلاق لبحث أو خطبة"[٥٠].

ونجد أن سعد مصلوح يعرف النص أنه: "ليس إلا سلسلة من الجمل، كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد فاصل جمع للجمل أو لنماذج الجمل الداخلة في تشكيله"[٥١].

أما منذر عياشي فيعرف النص أنه:" فعالية كتابية ينضوي تحتها كل من الكاتب والقارئ"[٥٢].

ونجد أن نصر حامد أبو زيد في تعريفه للنص يقول:" ‘ن النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي"[٥٣].

أما صلاح فضل فيعرف النص أنه: "وحدة معقدة من الخطاب، إذ لا يفهم منه المكتوب فحسب، بل يفهم منه أيضا انتاجه وتركيبه الذي يجعل منه بنية كبرى تكتنف عددا من البنى الصغرى وفقا للشفرة الخاصة بالجنس الأدبي الذي ينتسب إليه، مما يتيح لقارئه فهمه وتأويله، والوقوف على ما فيه من مزايا الكلام البليغ"[٥٤].

وذكر محمد مفتاح أن النص: "وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة"[٥٥]. واستنادا إلى المقومات الأساسية، فالنص عنده مدونة كلامية، وحدث تواصلي، وتفاعلي، وله بداية ونهاية، أي أنه مغلق كتابيا، لكنه توالدي معنويا لأنه "متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية...وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له"[٥٦].

ورد النص عند الأزهر الزناد أنه: "نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، وتمثل علاقة كبيرة ذات وجهين: وجه الدال والمدلول"[٥٧].

وقال محمد حماسة عبد اللطيف أن النص: "لا يصبح نصا إلا إذا كان رسالة لغوية تشغل حيزا معينا، فيها جديلة محكمة مضفورة من المفردات والبنية النحوية، وهذه الجديلة المضفورة تألف سياقا خاصا بالنص نفسه ينبث من المراسلة اللغوية كلها"[٥٨].

وقد عرف عبد الرحمن طه النص بأنه: "كل بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات"[٥٩].

ويعرفه أحمد عفيفي أنه: "وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين، فهو ينقل شيئا ما إلى المخاطب، وهو ليس هدفا في حد ذاته، إنما هو طريق الخطاب"[٦٠].

أما النص عند عثمان أبو زنيد فهو: "نظام كلي ينطوي على أبعاد دلالية ومحمولات معرفية تشكل وحدة تواصلية في فضاء نصي مركب من مجموعة من العلاقات المتبادلة بين مجريات لغوية ومعطيات انجازية، خاضعة للدلالة العميقة المنتجة له، والإطار التلقي المفترض في مرحلة الإنتاج"[٦١].

أما نواف نصار فيعرف النص أنه: "الكلام الأصلي المكتوب سواء كان مخطوطا أو مطبوعا، فنقول: نص الرواية، نص المسرحية"[٦٢].

دارت تعريفات مصطلح النص على أنه نسيج لغوي مترابط بعلاقاته وقرائنه، لا ينحصر بمدى محدد، واختلاف الألفاظ والعبارات التي ظهرت في تعريفات المحدثين لا تشكل فرقا كبيرا في الدلالة عليه.

أما المصطلح المركب نحو النص (Text Grammer) فقد جاءنا من الترجمة، إذ عرفه الغربيون على الوجه الآتي:

عرفه جاك ريتشارد (j.Richards) أنه: "فرع من فروع علم اللغة يهتم بدراسة النصوص وارتبطت فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد"[٦٣].

وعرفه نيلز(Nils) بأنه: "دراسة الأدوات اللغوية التي تحقق صور التماسك النصي الشكلي والمضموني والدلالي، مع مراعاة السياق وخلفية المتلقي المعرفية بالنص"[٦٤].

وعرفه كريستال(Crystal): "أن نحو النص يعني الدراسة اللغوية للأبنية النصية"[٦٥].

يتضح من خلال هذه التعريفات أنها تتفق تقريبا على أن هذا العلم تفرع من علم اللغة، في دراسة الأبنية النصية منطوقة أو مكتوبة، وتتجلى في العناصر المؤثرة في تماسك النص وترابط أدواته شكلية ودلالية.

وفي اصطلاح النصيين هو: "علم بمبادىء وأصول يعرف بها تماسك النص انسجاما واتساقا، وغرضه معرفة مدى نصية النص"[٦٦].

وعرفه صبحي الفيل بأنه: "العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها، وصور الترابط والانسجام داخلها ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص لها مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص وتشرك فيها متلقيه"[٦٧].

وعرفه أخرون بأنه: "نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تمتد قدرتها التشخيصية إلى ما وراء الجملة بالإضافة ألى فحصها لعلاقات المكونات التركيبية داخل الجملة"[٦٨].

يتضح من خلال هذه التعريفات أنها تتفق تقريبا على أن هذا العلم تفرع من علم اللغة، في دراسة الأبنية النصية منطوقة أو مكتوبة، وتتجلى في العناصر المؤثرة في تماسك النص وترابطه أدوات شكلية ودلالية.

يرى الباحث أن النص –أي نص– هو الوحدة اللغوية الكبرى التي ينظر فيها على وفق مستويات البحث اللغوي الخمسة

أهم النتائج:

١–وجد الباحث أن مقولة ابن جني(ت٣٩٢هـ) هو انتحاء سمت كلام العرب، لا تقصر على وجوه الاعراب فحسب، وهذا المفهوم يوسّع من دائرة اهتمام علم النحو بكلام العرب والطرائق التي يتم بها ذلك الكلام.

ونجد أن ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) إذ قال: معلوم أن ليس النظم إلا تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض، فيما يسمى بثنائية اللفظ والمعنى، وما يترتب عنهما من تفضيل الواحد على الآخر، إذ نجده يثبت أن اللفظ والمعنى أساس الظاهرة اللغوية، وجوهر الكلام من حيث تآلفهما وتوافقهما في المفردة الواحدة أو أكثر من ذلك تركيبا وهذا منبثق من تعريفه لنظرية النظم، ومن ذلك المنحنى العقلي في

تحليل العلاقات الدلالية بين اللفظ والمعنى، فيرى الجرجاني أن وحدات اللغة ألفاظ، وبفضل النحو نستعمل الألفاظ لنشكل التراكيب، وتتجدد بفضل النحو دائما لإعادة تراكيبها، فالألفاظ عند الجرجاني رموز للمعاني، والإنسان يتعرف إلى مدلول اللفظ المفرد بداية، ثم يتعرف على مدلوله داخل التراكيب، فالألفاظ سمات لمعانيها، ولا يمكن أن تسبق الألفاظ معانيها، ونفسر ذلك بأن النظم هو وضع الكلام حسب ما يقتضيه علم النحو، من قوانين وأصول ومناهج، والنظم عنده سبيل من سبل تحقيق معاني النحو في الكلام وإن كان لم يصرح بأن النظم هو معاني النحو يتفق مع هذه التعريفات.

٢-لم يرد معنى النص في المعجمات اللغوية على ما هو عليه الآن.

إن مصطلح النص بمفهومه الحديث لم يرد عند القدماء، بل ورد مصطلح المتن، ونجد أن أول من استعمله بما يعنيه النص علماء الحديث،

٣-دارت تعريفات مصطلح النص على أنه نسيج لغوي مترابط بعلاقاته وقرائنه، لا ينحصر بمدى محدد، واختلاف الألفاظ والعبارات التي ظهرت في تعريفات المحدثين لا تشكل فرقا كبيرا في الدلالة عليه.

٤-يتضح من خلال هذه تعريفات المصطلح المركب أنها تتفق تقريبا على أن هذا العلم تفرع من علم اللغة، في دراسة الأبنية النصية منطوقة أو مكتوبة، وتتجلى في العناصر المؤثرة في تماسك النص وترابطه أدوات شكلية ودلالية.

---

[١] معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية/ بيروت، سنة ١٩٨٠م، ط١، ص١٤١.

[٢] الايضاح في علل النحو: أبو القاسم الزجاجي(ت٣٣٧هـ)، تحقيق/ مازن المبارك، دار النفائس، ط٣، سنة١٩٧٩م، ص٨٩.

[٣] العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، (باب الحاء والنون و(واي) معهما)، تحقيق/ مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ب د، ب ط، ب ت، ٣٠٢/٣.

[٤] المحيط في اللغة: الصاحب إسماعيل بن عباد(ت ٣٨٥هـ)، تحقيق/ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ٢١٥/٣.

[٥] كتاب الإبانة في اللغة العربية: سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، تحقيق/ عبد الكريم خليفة ونصرت عبد الرحمن وصلاح جرّار ومحمد حسن عواد، مطابع عمان للصحافة والنشر والإعلان، ط١، سنة ١٩٩٩م، ٢١/١.

[٦] أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، (مادة نحو)، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١ ، سنة ١٩٩٨م، ٢٥٧/٢.

[٧] تاج العروس من جواهر القاموس: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(ت ١٢٠٥هـ)، (مادة نحو)، تحقيق/ ضاحي عبد الباقي وعبد اللطيف محمد الخطيب، ط١، الكويت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٤٥/٤٠.

[٨] العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، (باب الحاء والنون و(واي) معهما)، تحقيق/ مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، د.ط، د.ت، ٣ / ٣٠٣.

[٩] المحيط في اللغة: الصاحب إسماعيل بن عباد (ت٣٨٥هـ)، تحقيق/ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، ٢١٥/٣.

[١٠] المحيط في اللغة: الصاحب إسماعيل بن عباد(ت٣٨٥هـ)، ٤٧٢/١. وينظر: الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، تحقيق/ محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط٢، ١٩٥٢م، ١٠٣/١. والمحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت٤٨٥هـ): ٥٧/١-٥٩. وأساس البلاغة: الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، (باب النون والحاء وما

بعدهما الأسماء)، ص ٦٥١٤. والقاموس المحيط: الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، (باب الواو والياء فصل النون: نحى)، ٥١٧/٤. وتاج العروس: الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، (مادة نحو)، تحقيق/ عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت/ الكويت، ١٩٨٣م، ٢٢٥/٢٠. ومعجم متن اللغة: أحمد رضا، دار مكتبة الحياة/ بيروت، ب ط، ١٩٦٠م، ٤١٨/٥.

[١١] حاشية الخضري على شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك: محمد بن مصطفى الدمياطي (ت ١٢٧٨هـ)، ضبط وتشكيل وتصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ١٥/١.

[١٢] تهذيب اللغة: الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري(ت٣٧٠هـ)، (حرف النون: نحا)، تحقيق/ عبد الله درويش، مراجعة/ محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ب.ط، ب ت، ٢٥٣/٥. وينظر: كتاب الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، تحقيق/ عبد الكريم خليفة ونصرت عبد الرحمن وصلاح جرار ومحمد حسن عواد وجاسر أبو صفية، مطابع مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، ط١، ١٩٩٩م، ٢١/١. و القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، (فصل النون: نحى)، تحقيق/ مكتبة تحقيق التراث في مكتبة الرسالة، مكتبة الرسالة / بيروت- لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م، ٥٧١/٤، و تاج العروس: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)، ٢٢٥/٢٠-٢٢٦.

[١٣] الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي(ت٣١٦هـ)، تحقيق/ عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ٣٥/١.

[١٤] كتاب التكملة: أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي (ت٣٧٧)، تحقيق ودراسة/ كاظم بحر المرجان، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت- لبنان، ط٢، سنة ١٩٩٩م، ص١٨١.

[١٥] الخصائص: ابن جني(ت٣٩٢هـ)، ٣٤/١.

[١٦] مفتاح العلوم: السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي(ت٦٢٦هـ)، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط٢، سنة ١٩٨٧م، ص٧٥.

[١٧] شرح المفصل للزمخشري: أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت٦٤٣هـ)، تحقيق/ إميل يعقوب، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط٢، ٢٠٠١م، ٦٦/١.

[١٨] المقرب: علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور(ت٦٦٩هـ)، تحقيق/ أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني/ بغداد، ط١، سنة ١٩٧٢م، ٤٥/١.

[١٩] شرح ابن الناظم على ألفية بن مالك: ابن الناظم بن الإمام جمال الدين بن محمد بمن مالك(ت٦٨٦هـ)، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٤.

[٢٠] المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت٧٩٠هـ)، تحقيق/ محمد إبراهيم البنا، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث/ مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ١٧/١.

[٢١] كتاب التعريفات: الجرجاني علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق/ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي/ بيروت، ط٢، ١٩٩٢م، ص٣٠٨.

[٢٢] موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: العلامة محمد علي التهانوي (ت١١٥٨هـ)، تحقيق/ علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون/ بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ٢٣/٢.

[٢٣] جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٨٤م، ص٢٧٩.

[٢٤] المركب الإسمي بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية: محمود عبد السلام شرف الدين، مجلة مجمع اللغة العربية/ مصر، الجزء٤٢، ذو الحجة ١٣٩٨هـ/ نوفمبر ١٩٧٨م، ص١٢٦.

[٢٥] المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري: عوض حمد القوزي، عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض/المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨١م، ص١-١٧.

[٢٦] علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي: محمود السعران، دار النهضة العربية/ بيروت، ب.ت، ص٢٣٣.

[٢٧] اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، عالم الكتب/ ب.م، ط٥، ٢٠٠٦م، ص٣٥.

[٢٨] الخصائص: ابن جني(ت٣٩٢هـ)، ٣٤/١.

[٢٩] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، ص٣.

[٣٠] كتاب العين: الخليل(ت١٧٠هـ)، (باب الصاد والنون)، ٨٦/٧-٨٨. وينظر: تاج العروس: الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)، (مادة ن ص ص)،١٧٨/١٨-١٧٩. وجمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد(ت٣٢١هـ)، (باب الصاد والنون والهاء)، تحقيق/ رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين/ لبنان- بيروت، ط١، ١٩٧٨م، ٩٠/٣. ومعجم مقاييس اللغة: ابن فارس(ت٣٩٥هـ)، (كتاب النون: باب النون وما بعدها في المضاعف والمطابق)، دار الفكر، ب.م، ب.ط، سنة ١٩٧٩م، ٣٥٦/٥. وأساس البلاغة: الزمخشري، (مادة نصص)،٢٧٦/٢. والمحكم والمحيط الأعظم: ابن سيده(ت٤٥٨هـ)، (مادة: ن ص ص)،٢٧١/٨-٢٧٢. وشمس العلوم: نشوان سعيد الحميري(ت٥٧٣هـ)، (باب النون وما بعدها من الحروف)، دار الفكر المعاصر/ بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٩م، ٦٤٤١/١٠. وتاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق/ أحمد عبد الغفار عطار، ط١، ١٩٨٧م، ص٦٠٣.

[٣١] مقاييس اللغة: ابن فارس(ت ٣٩٥هـ)، ٣٥٦/٥-٣٥٧.

[٣٢] معجم متن اللغة: أحمد رضا(ت١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، مادة(نص)، ٤٧٢/٥-٤٧٣.

[٣٣] منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، دار الفكر/ دمشق، ط٣، سنة ١٩٨١م، ص٣٣.
وينظر: أصول التخريج ودراسة الأسانيد، محمود الطحان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع/ الرياض، ط٣، سنة ١٩٩٦م، ص١٣٩. وعلوم الحديث، وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب، سلطنة عمان، دائرة إعداد المعلمين، ط١، ١٩٨٥م، ص١٦.
[٣٤] كتاب العين: الخليل(ت١٧٠هـ)، (باب التاء والنون والميم معهما)، ١٣١/٨.
[٣٥] تاج العروس، الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)،(مادة ن ص ص)، ٧٣/٩.
[٣٦] كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ)، ص٢٠٢-٢٠٣.
[٣٧] الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب موسى الحسيني الكفوي(ت١٠٩٤هـ)، إعداد/ عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ص٩٠٨.
[٣٨] كتاب التعريفات: الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ)، ص٣٠٩. وينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهانوي(ت١١٥٨هـ)، تحقيق/ رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ٢٣/١.
[٣٩] نقلا عن: بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، عالم المعرفة، عدد ١٦٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت، ١٩٩٢، ص٢١٦.

[٤٠] نقلا عن: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات: سعيد بحيري حسن، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان/ بيروت، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص١٠٨.
[٤١] علم النص: جوليا كرستيفا، ترجمة/ فريد الزاهي، دار توبقال للنشر/ الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م، ص٢١.
[٤٢] النص والتأويل: بول ريكور، ترجمة/ منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي-العدد الثالث/ بيروت، ١٩٨٨م، ص٣٧.
[٤٣] نظرية النص: رولان بارت، ترجمة/ محمد علي البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي-العدد الثالث، بيروت، ١٩٨٨م، ص٨٩.
[٤٤] نقلا عن: انفتاح النص الروائي: سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩م، ص١٦.
[٤٥] نقلا عن: مدخل إلى علم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، وفولفانج دريسلر: إلهام أبو غزالة، وعلي خليل أحمد، دار الكاتب/ القاهرة، ط١، ١٩٩٢م، ص٩.
[٤٦] نقلا عن: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: سعيد بحيري، مكتبة لبنان ناشرون/ بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص١٠٨.
[٤٧] التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج: كلاوس برينكر، ترجمة/ سعيد بحيري، المختار للنشر والتوزيع/ القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٧.
[٤٨] نفسه، ص٢٧.
[٤٩] المعجم الأدبي: جبور عبد النور، دار الملايين/ بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص٢٨٢.
[٥٠] مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان/ بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص٤١٢.
[٥١] العربية نحو الجملة الى نحو النص – مقالة في الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ: عبد السلام هارون في ذكراه الثانية سعد مصلوح، جامعة الكويت كلية الآداب، ١٩٩٠م، ص٤٠٧.
[٥٢] منذر عياشي: مقالات في الاسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق، ١٩٩٠م، ص١٣١-١٣٢.
[٥٣] مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن: نصر حامد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، د.ط، ١٩٩٠م، ص٢٧.
[٥٤] بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، عالم المعرفة/ الكويت، د.ط، ١٩٩٠م، ص٢٤١.
[٥٥] التشابه والاختلاف: محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص١٥.
[٥٦] تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص: محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، البيضاء/ بيروت، ط٣، ١٩٩٢، ص١٢٠.
[٥٧] نسيج النص (بحث فيما يكون الملفوظ به نصا): الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي/ الدار البيضاء، ١٩٩٣م، ص١٢.
[٥٨] منهج في التحليل النصي: محمد حماسة عبد اللطيف، مجلة فصول، المجلة ١٥ العدد الثاني، صيف، ١٩٩٦م، ص١٠٨.
[٥٩] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: عبد الرحمن طه، المركز الثقافي العربي/المغرب، ط٢، ٢٠٠٠م، ص٣٥.
[٦٠] نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرف/ القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢٠.
[٦١] نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية: عثمان أبو زنيد، عالم الكتاب الحديث/ الأردن، ط١، ٢٠٠٩م، ص٣٠.
[٦٢] المعجم الأدبي: نواف نصار، دار ورد/ الأردن، ط١، ٢٠٠٩م، ص٣٠.
[٦٣] نقلا عن: علم اللغة النصي: صبحي إبراهيم الفقي، ٣٥/١.
[٦٤] نقلا عن: علم اللغة النصي: صبحي إبراهيم الفقي، ٣٥/١.
[٦٥] نفسه، ٣٥/١-٣٦.
[٦٦] نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية: عثمان أبو زنيد، ص٣١.
[٦٧] علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: صبحي إبراهيم الفقي، ٥/١.
[٦٨] عناصر السبك بين القدماء والمحدثين: نادية رمضان النجار، بحث منشور في كتاب العربية بين نحو الجملة ونحو النص، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، كلية دار العلوم/ جامعة القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٥٦٣/٢.

المصادر والمراجع:

١- ابن الناظم بن الإمام جمال الدين بن محمد بمن مالك(ت٦٨٦هـ): شرح ابن الناظم على ألفية بن مالك، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (كتاب النون: باب النون وما بعدها في المضاعف والمطابق)، دار الفكر، د.ط، ١٩٧٩م.

٣- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي(ت٧٩٠هـ): المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق/ محمد إبراهيم البنا، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث/ مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٤- أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي(ت٦٤٣هـ): شرح المفصل للزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تحقيق/ إميل يعقوب، دار الكتب العلمية/بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

٥- أبو البقاء أيوب موسى الحسيني الكفوي: الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، إعداد: عدنان درويش محمد المصري، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

٦- أبو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق/ محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط٢، ١٩٥٢م.

٧- أبو القاسم الزجاجي(ت٣٣٧هـ)، الايضاح في علل النحو، ت/مازن المبارك، دار النفائس، ط٣، ١٩٧٩م.

٨- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة (مادة نحو)، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١ ، ١٩٩٨م.

٩- أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد: جمهرة اللغة (باب الصاد والنون والهاء)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين/ لبنان-بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

١٠- أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي(ت٣١٦هـ): الأصول في النحو، تحقيق/ عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١١- أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي (ت٣٧٧): كتاب التكملة، تحقيق ودراسة/ كاظم بحر المرجان، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٩٩م.

١٢- أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، ط١، ١٩٨٧م.

١٣- أحمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة/ بيروت، ١٩٦٠م.

١٤- الأزهر الزناد: نسيج النص (بحث فيما يكون الملفوظ به نصا)، المركز الثقافي العربي/ الدار البيضاء، ١٩٩٣م.

١٥- الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ): تهذيب اللغة (حرف النون: نحا)، تحقيق/عبد الله درويش، مراجعة/ محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ب.ط.

١٦- إلهام أبو غزالة، وعلي خليل أحمد: مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، وفولفانج دريسلر، دار الكاتب/ القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

١٧- بول ريكور: النص والتأويل، ترجمة: منصف عبد الحق، مجلة العرب والفكر العالمي-العدد الثالث/ بيروت، ١٩٨٨م.

١٨- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٥، ٢٠٠٦م.

١٩- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار الملايين/ بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٢٠- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط٢ ، ١٩٨٤م.

٢١- الجرجاني علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ): كتاب التعريفات، تحقيق/ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي/بيروت، ط٢، ١٩٩٢.

٢٢- جوليا كرستيفا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط١، ١٩٩١م.

٢٣- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق/مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ب د، ب ت.

٢٤- د. محمود عبد السلام شرف الدين: المركب الإسمي بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية /مصر، الجزء٤٢ ، ذو الحجة ١٣٩٨هـ – نوفمبر ١٩٧٨م.

٢٥- رولان بارت: نظرية النص، ترجمة: محمد علي البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي–العدد الثالث، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٦- سعيد بحيري حسن: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، بيروت، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

٢٧- سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون/ بيروت، ط١، ١٩٩٧م

٢٨- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩م.

٢٩- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي(ت٦٢٦هـ): مفتاح العلوم، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٣٠- سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري: كتاب الإبانة في اللغة العربية، تحقيق/عبد الكريم خليفة ونصرت عبد الرحمن وصلاح جرّار ومحمد حسن عواد، مطابع عمان للصحافة والنشر والإعلان، ط١، ١٩٩٩م.

٣١- سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري: كتاب الإبانة في اللغة العربية، تحقيق: عبد الكريم خليفة ونصرت عبد الرحمن وصلاح جرار ومحمد حسن عواد وجاسر أبو صفية، مطابع مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، ط١، ١٩٩٩م.

٣٢- السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(ت ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس (مادة نحو)، تحقيق: ضاحي عبد الباقي وعبد اللطيف محمد الخطيب، ط١، الكويت، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م .

٣٣- الصاحب إسماعيل بن عباد(ت ٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة، ت/محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب.

٣٤- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة/الكويت، د.ط، ١٩٩٠م.

٣٥- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، عدد ١٦٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/ الكويت، ١٩٩٢.

٣٦- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية/ بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

٣٧- عبد الرحمن طه: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي/ المغرب، ط٢، ٢٠٠٠م.

٣٨- العربية نحو الجملة الى نحو النص – مقالة في الكتاب التذكاري المهدى إلى الأستاذ: عبد السلام هارون في ذكراه الثانية سعد مصلوح، جامعة الكويت كلية الآداب، ١٩٩٩م.

٣٩- العلامة محمد علي التهانوي (ت١١٥٨هـ): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون/ بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٤٠- علوم الحديث، وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب، سلطنة عمان، دائرة إعداد المعلمين، ط١، ١٩٨٥م.

٤١- علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور(ت٦٦٩هـ): المقرب، تحقيق/ أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني/ بغداد، ط١، ١٩٧٢م.

٤٢- عوض حمد القوزي: المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عمادة شؤون المكتبات-جامعة الرياض/المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨١م.

٤٣- كلاوس برينكر: التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة/سعيد بحيري، المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

٤٤- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ): القاموس المحيط (فصل النون: نحى)، تحقيق/ مكتبة تحقيق التراث في مكتبة الرسالة، مكتبة الرسالة/ بيروت- لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م.

٤٥- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان/ بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٤٦- محمد بن مصطفى الدمياطي (ت ١٢٧٨هـ): حاشية الخضري على شرح بن عقيل على ألفية ابن مالك، ضبط وتشكيل وتصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٤٧- محمد حماسة عبد اللطيف: منهج في التحليل النصي، مجلة فصول، المجلة ١٥ العدد الثاني، صيف، ١٩٩٦م.

٤٨- محمد علي التهانوي(ت١١٥٨هـ): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

٤٩- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٥٠- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، البيضاء/ بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

٥١- محمود السعران: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية/ بيروت، د.ت.

٥٢- محمود الطحان: أصول التخريج ودراسة الأسانيد، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع/ الرياض، ط٣، ١٩٩٦م.

٥٣- منذر عياشي: مقالات في الاسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق، ١٩٩٠م.

٥٤- نشوان سعيد الحميري (ت٥٧٣هـ): شمس العلوم (باب النون وما بعدها من الحروف)،دار الفكر المعاصر/ بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

٥٥- نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، د.ط، ١٩٩٠م.

٥٦- نور الدين عتر: منهج النقد في علوم الحديث، دار الفكر/ دمشق، ط٣، ١٩٨١م.

تداخل الأجناس في المجموعة الشعرية (جنوب المراثي) لمسلم الطعان

بحث ترقية

م.م شروق سندان شرشاب /الأستاذ الدكتور ضياء غني العبودي

جامعة ذي قار كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية /الأدب

الملخص :

إن الأدب ظاهرة إنسانية متطورة بفعل عوامل خارجية وداخلية ، وهو بأي حال من الأحوال عملية إبداعية ، والإبداع كما هو معلوم يكسر الحدود وينفر التقولب أو التماهي أو الترافد بل وحتى التناص الاجناسي ما بين النصوص الأدبية . وقد اصطلح على هذا النوع بالنص المفتوح أو الحر ، والاستدلال في الجنس على المظاهر والأمارات الدالة على الجنس يأتي من خلال الاجناس الأدبية على اختلاف انواعها وأشكالها .

فتداخل الأجناس الأدبية وأنواعها ليس حدثا جديدا طرأ على النظرية الأدبية ، وإنما كان نتيجة لتعدد أنواعها وتطورها عبر عملية التوارث من جهة ، والتجريب المستمر من جهة أخرى ، إذ نجد ملامح هذا التداخل في النظرية الأرسطية الذي مازال النقاد والمنظرون يعتمدونه إلى يومنا هذا[١] فأرسطو يقسم الشعر إلى أجناس هي المأساة والملحمة ، ويرى أن الأولى بدأت شعرا معتمدا على اللحن إلى جانب الإيقاع الشعري ، ثم بدأت تعالج نثرا في العصر الحديث[٢] أما الثانية فهي قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين العجيبة التي تبوئهم منزلة الخلود بين وطنهم ، ويلعب الخيال فيها دورا كبيرا[٣].

الكلمات المفتاحية، الأجناس، النوع، التداخل، جنوب المراثي.

AN overlapping of geners in the poetic collection(Janoob Al-Marathy) by Muslim Al-Ta,aan

A research promotion

M.A Sharouq Sandan Shershab

Dr.Dhiya,a Ghani Al-abouda

Thi-Qar university, college of

Education for human sciences

Arabic language dept.literature

Abstract

The phenomenon of literary genres appears because of the literature is a human developed phenomenon as a result of external and internal factors. It is a creative process and that creativity as well known, surpasses boundaries, alienates stereotypes, identification or intertextuality, even overlapping geners between literary text .This .type was termed as open or free text

The aesthetic trends in the body of the text ,which are based on the sound and semantic interpretation contents, and the interference of geners comes through the .literary genres for different types or forms

The overlapping of literary genres and their kinds is not a new event, but it was the result of the multiplicity of its types and its development during the the inheritance process on the one hand.,and constant experimentation on the other hand. As we find the characteristic of this overlapping in the Aristotelian theory .that critics and theorists still adopting nowadays

Aristotle divided poetry into genres, which are tragedy and epic ,he assured that the first started as poetry based on melody ,in addition to poetic rhythm after that began .to deal with prose in the modern era

Either,the second, an epic is a poetic fiction, its theme,the marvelous events of - national heroes which makes them immortal in their homeland. The imagination .plays a vital role in the epic story

Keywords: Races, Type, Interference, Southern Marathi

القصيدة السردية

يقول لورنت جيني : إن كل نص شعري هو حكاية ، أي حكاية تحكي صيرورة ذات ، لذا تعد علاقة الحكي بالشعر علاقة قديمة نسبيا([٤]) ، والشعر السردي أو القصيدة السردية هي قصة على شكل طويل نسبيا من الشعر الذي يحتوي على جميع العناصر اللازمة للقصة بما في ذلك من الشخصيات والموضوع والحوار مثل القصص . ومن المعروف أن الشعر له مميزات وخصائص ولغة ينفرد بها عن السرد ، ودخول الأجناس الأدبية ، وتداخلها الشديد ، واقتراب لغة الشعر وموضوعاته من الواقع ، إلا أن القصائد السردية تقدم صراعا وتبني ذروة وتنتهي بقرار ، وفي ذات الوقت تحتوي القصائد السردية على عناصر شعرية تميزها عن الروايات والقصص النثرية ، فهي تحتوي على شكل من اشكال الصوت والانماط الإيقاعية (القافية والتكرار والجناس وغيرها) لذلك فإن الانعكاسات الشفوية للقصيدة السردية تختلف اختلافا ملحوظا عن ايقاعات النثر ، ومع هذا الاختلاف هناك تقارب بالوحدة العضوية بين الشعر والسرد " فينتقل عبرها التشكيل السردي من النثر إلى الشعر من دون أن تتعثر حركته ، إنما تمتد بما يمكن أن يضيفه الشعر إلى القصة أو يرتفع به عن تفاصيلها ملخصا حدثا أو معلقا عليها عبر عدد الشخصيات "([٥])

الشعر والسرد

يورد ابن طباطبا العلوي في كتابه عيار الشعر اشارات تتصل بالمستويات الفنية الخاصة بالشعر يكشف من خلالها عناصر سردية ، يقول وعلى الشاعر إذا اضطر إلى اقتصاص خبر في شعره دبره تدبيرا يسلس له معه القول ، ويطرد فيه المعنى ، فيبنى شعره على وزن يحتمل أن يحشى بما يحتاج إلى اقتصاصه بزيادة من الكلام يخلط به ، أو نقص يحذف منه ، وتكون الزيادة والنقصان يسيرين غير مخدجين لما يستعان فيه بهما ، وتكون الالفاظ المزيدة غير خارجة عن جنس ما يقتضيه . بل تكون مؤيدة له وزائدة في رونقه وحسنه([٦]) . وقد اثار السرد في الدراسات الحديثة جدلا واسعا حيث اختلف النقاد حول مفهومه ، فالكلمة تطرح ازدواجية في المصطلح ، ينشأ عنها سؤال يختلف في الإجابة عليه : " هل المقصود الطريقة أي فعل السرد ذاته مرتبطا بسارد ؟ أم المقصود (النص) المسرود الملفوظ ، بوصفه كيانا قوليا مستقلا ، هل دراسة السرد تختص بالقول أم بالمقول ؟ بالخطاب أم بالنص : هل المقصود بالسرد الإخبار (Telling) المقابل للغرض ؟ أم أن المقصود بالسرد الخطاب (Discoures) أي القول الذي يستحضر عالما خاليا مكونا من أشخاص وأفعال وأمكنة ، وحينئذ يشملها جميعا ؟ وهل يكون السرد بذلك مقابلا للحكاية ؟ أم يكون مقابلا للحكي "([٧])

ومثال ذلك ما جاء في قصيدة (نبوءات جدي) لمسلم الطعان يقول :

قال الجد : صبرا صبرا

قد تصبح يا ولدي يوما ما

استاذا تتقن في نطق اللغة الآخرى

ويقوم الطلاب فرادى وصفوفا

إجلالا للوجه الناطق باللغة الأخرى

قد تصبح ذا شأن

أجرك مرتفع

تسكن في بيت ممتلئ بالنافورات

عربات فارهة تكون بأمر بنانك

قد تنسى أحزانك

بل قد تذكر يوما ما جدك هذا

وتشوي لوجه الله سمكا

تتلو الفاتحة وتهدي ثوابا

يا جدي

يا جدي

يا جدي ....، [٨]

عنوان القصيدة ينبئ بحوار سردي يتأمل فيه الشاعر تحقيق حلم جده ، وقد استهل الشاعر قصيدته ب (قال) فأفعال القول حين تأتي فإنها تفرض على بنية النص المسحة السردية ، ثم يأتي بعدها تفاصيل الحكي وربما يكون قائل القول في الحالتين اللتين تتجاذبان الحوار هو الراوي \ الشاعر نفسه ، يفتح لنفسه مجال السرد ، وهذا التحول في بنية القصيدة الحديثة يشير إلى تحول في بنية الخطاب المتحول من الغنائية المفرطة إلى الدراسة السردية وأصبحت مستويات البنية النصية أكثر ثقافة وتناميا وحركة عبر معطيات عدة حتى يشعر القارئ بأن

التجربة من حديث الذات والوصف الخارجي إلى الاتصال المباشر مع الآخر مما أضفى حيوية ونشوة في التلقي.

فالاستهلال مرحلة مهمة في الخطاب باعتبار موقعها منه . وتتسم به دوره في التواصل من حيث هيمنة الاحوال النفسية على طرفي الخطاب ، فهي تكتسي بعدا تداوليا جديرا بالاهتمام بما هو رافد اتصالي يسهم بقدر كبير في إدارة الخطاب وتوجيهه وصياغة النص على انحاء من التشكيل . لذلك يعد الاستهلال المفتاح الثاني من مفاتيح قراءة النص بعد مفتاح العنونة ؛ لأنه " المحرك الفاعل الأول لعجلة النص"[٩] وما يمثل ذلك قصيدة (أغنية للكسر الذبيح) إذ يقول الشاعر:

لماذا يسكن الكسر بين أضلعي ؟
تمر الأربعون
وأنا ما زلت طفلا
أجري على أديم الحقول
أغني لقريتي
ترفع الريح دشداشتي
وصورتي
أبصرها تستحم بماء الكسر
يمشط شعري بكلتا ضفتيه
ويزرع في رأسي الصغير
حلم القصيدة
وتسألني القوافي:
لماذا يسكن الكسر بين أضلعي
لماذا يرافقني بعد تلك السنين
كأدمعي
لماذا ينام ويصحو معي...؟![١٠]

إذ استهل الشاعر هذه القصيدة بالاستهلال الاستفهامي الاستنكاري بقوله (لماذا يسكن الكسر بين اضلعي ؟) فقد انماز هذا الاستهلال الاستفهامي بديناميكية في استحضار المعنى المكثف بدلالات تأويلية تظهر هدفها الأساس للمتلقي ؛ وذلك لان أسلوب الاستفهام ((ابداء لما في النفس من فضول معرفي، وبوح بما في القلب من وحدات الذات وكشف عمّا في الضمير من حيرة، وإذا ما كان مخبوء يغتدي مكشوفاً، وإذا ما كان مستكيناً يمسي معري))[١١]، فقد عمد الشاعر إلى رسم صورة درامية استنكارية ترفض حقيقة الواقع المؤلم الذي يعيشه في جو درامي يهز الانفعالات الوجدانية في محاولة منه للتمهيد عن الصراع الداخلي النفسي الذي يعيشه

إذ يسهم هذا الصراع في خلق جو استنكاري مؤطر بالتوتر والحركة يؤدي إلى النهوض بالأحداث المتتابعة وتناميها.

وإن اختتام العمل في النص الشعري سمة اسلوبية ، وآلية تختلف من شاعر إلى آخر ، وربما من قصيدة إلى أخرى لذات الشاعر ، فيمكننا القول أن تحديد الخاتمة في أي قصيدة هو تخمين قرائي ، مبني على القراءة الدقيقة والمعمقة ، وحس نقدي عال ، ولا يتم ذلك إلا بمتابعة القصيدة بصورة عامة . فهي وسيلة فنية ودلالية تسهم اسهاما كبيرا في تحقيق أعلى تماسك تركيبي تأويلي ممكن للنص ، بما تحمله من صور إيحائية مكثفة تؤثر في مركز فعالية التلقي ومصيرها إذ تجعل من النص عمارة نصية تأويلية "ذات تشكيل متجانس ومؤثر وحيوي وقائم على التماثل والتفاهم النصي بين مكونات النص وعتباته جميعا"[١٢].وما يمثل ذلك قول الشاعر في القصيدة نفسها :

سيأتي قريبا بعيد اغتساله

سينزع معطف الدم

ويرتدي ثوب عرسه

سيأتي قريبا

يكحل أجفان القرى

يكحل المحبة

سيحملني بين ضفتيه

كما كنت بالأمس طفلا

أجوب البساتين بالأغنيات

وأرشق الصبايا بهاء الحلم

تغازلني المرايا

أطير بأجنحة القوافي(١٣)

ترافقني طبول المزارع

سأغني رغم المواجع

إنه الكسر يشدو بين أضلعي.. ![١٤]

تنهض هذه الخاتمة الشعرية في تحقيق أعلى فعالية التلقي من جهة ، وتقضي إلى بناء درامي متناسق قادر على التأثير والإقناع من جهة أخرى ، فتنشأ من هذه الأحداث المتتابعة صراعات درامية تتطور و تتأزم ، بوساطة مواقف وأفعال الشخصية التي تتألم وتعاني في واقع مظلم تواجهه ويعترضها في هذا الواقع صعوبات وعقبات ، ومن هذا تتصارع الذات مع الآخر (الواقع المظلم) ويتنامى الصراع ويتطور عبر التساؤل والتعجب الاستنكاري بقول الشاعر : (أطير بأجنحة القوافي ترافقني طبول المزارع سأغني رغم المواجع إنه الكسر يشدو بين أضلعي.. !) ، وهذا صراع ذات مع الاخر بأنماطه يمثل عنصراً اساسا في سير الأحداث المتصاعدة تصاعدا دراماياً ومؤثرا ، فضلا عن ذلك تتضح عبر هذا الصراع الدرامي رؤى ذات الشاعرة ونوازعها الوجدانية ، وعليه فقد اسهمت هذه الخاتمة الشعرية المتداخلة مع السرد اسهاما واضحا في تحقيق لذّة تلقي جمالي عالي الكفاءة يغري القارئ ويثير انتباهه ليجذبه نحو النص مستمتعا.

الدراما

" حركة محاكية ، حركة تقلد أو تمثل سلوكا إنسانيا ، والجانب الحاسم هو التركيز على الحركة"[١٥] ، فالدراما من الفنون التي تمخضت عن جدل الإنسان مع الطبيعة ، فكل النصوص الدرامية التي برزت من أقدم العصور " تنبض بحرية الإنسان وهو يتحرك ... إنها تعني سلسة من الحوادث التي توحدت في نبل وجلال ، فالدراما في ضوء هذا المعنى تعتمد على قوة الصورة وصدقها أكثر من اعتمادها على عامل فردي يمثلها كان هذا العامل شهريا او عقليا "[١٦]

تتجلى الدراما في قصيدة (هذيان الساعة)[١٧]

هذيان الساعة

والليل يراود أفخاذ الصمت

رويدك يا هذا

فلنا معك درب تفضي

للحلم الغارق في بحر

لجته هم الفقراء...!

هذيان الساعة

والعهر المتسربل

في أورقة الشمس المنطفأة

كان لنا

وجبة صمت في مائدة الصوت

ندور كثيرا

كحصان اتعبه الجري

وراء سراب في الصحراء..!

هذيان الساعة

فالأبيات وإن بدت مستقلة إلا أن الذي حركها حدث . والذي دفع شاعرها إلى إنشادها قصة . يتخذ الشاعر الأسلوب الدرامي في القصيدة ، وهو ما يمثل الجانب الخفي في عملية التداخل بين القصة والشعر ، وهو خفي تعلق بلحظة الانشاد وهي لحظة خاصة بالشاعر ، لم يشهدها إلا هو أو ربما مجموعة كانوا يشاركونه اللحظة ، لكنها تظل قصة خفية باسلوب درامي (حكائي) . وقد ذهب البعض إلى أن العديد من أشكال الفن – ومنها تلك التي تتصف بالتجريد الشديد – تستند إلى فن القصة(١٨) ، فالشاعر يتنقل بصوره الشعرية عبر لوحات فنية محكمة الصنع ، فيأتي المنولوج بوصفه تكتيكا سرديا ليتسع المجال للتدفق النفسي القائم على الجدل ، ويدخل إلى القارئ بوصفه نموذجا إنسانيا يشاركه الانكسار والتموج ورغبة البوح .

مسمار في حائط تأريخ

قدته الريح قميصا

يحلم في حبل غسيل

لشهوات تحسن فن الإغواء..!

هذيان الساعة [١٩]

تكرار عنوان القصيدة اعطى إيقاعا داخليا ، جعل المتلقي يلتفت بين الفينة والاخرى لما بعد هذه العبارة ، والصورة الآنفة الذكرى ، صورة شعرية تحمل تناصا دينيا مع قصة يوسف (ع) مع زوجة عزيز مصر ، إلا أن توظيف الشاعر لها بهذا النص أخذ بعدا آخر ، اراد به الشاعر بيان حالة الفقر والفاقة التي يعيشها مجتمعه ، يهيمن على القصيدة مجموعة من الضمائر (انا ، نحن ، انت ، هو ، هي انتِ) حيث تؤكد هذه الضمائر حضورا فاعلا للراوي العليم الذي يعرف كيف تتحرك خطاه في ظل الانهيارات المتعددة والشعور الدائم بالهزيمة التي لحقت بمجتمعه ،

والحوار الدرامي في الشعر من الأدوات الفنية التي توسل بها الشاعر المعاصر في التعبير عن تجربته المعقدة والرغبة في بناء نصي بعيدا عن التسطيح والمباشرة والغنائية ، اذ يعرف الحوار بأنه " الأقوال المتبادلة بين شخصين أو أكثر من لحظة الالتقاء إلى لحظة الافتراق ، مع ما يصحب هذه الأقوال من هيئات وإيماءات وحركات وكل ما يخبر عن طرف التواصل ترد جميعا على نحو خطاب اسنادي "([٢٠]) ، وعلى الرغم من أن الحوار يعد تقنية مسرحية فإن الفنون الأخرى مثل الشعر والرواية قد اتخذت وسيلة تعبيرية خصوصا الشعر ، فالشاعر القديم كان يتعامل مع الحوار من خلال أدوات (قال) (قلت) ، وبهذا " يبتعد عن التجسيم الدرامي بمقدار ما يقترب من السرد القصصي"[٢١] ، ولكن الشاعر المعاصر اتخذ الحوار بوصفه وسيلة تحقق الدرامية في قصيدته ، وتبتعد بها عن الغنائية "ورغبته في الإخلاص للتجربة وحرصه على تجسيمها"[٢٢] . وعلى الرغم من أن الحوار تكنيك مسرحي فإنه يخلق مساحة سردية تتشكل عبر أصوات سردية متحاورة في الوقت الذي يخلص الحوار البنية النصية الشعرية من أفق ممتد ذي تواصل حركي هادئ إلى أفق متعرج ، متوتر ، وتتماهى مع الإنساني الذي يتسم بالاشتباك والحركة والتواصل والتداخل مع الآخر والصخب والتوتر والاكتشاف ، فيبقى النص الحواري وثيقة وجود عميق مزدحم بالأسئلة والحوار مع الذات والآخر حتى يبقى حضور الذات مضيئا ساطعا .. "ومن هنا كان ازدواج الدراما بالشعر أشد تكافؤا واكثر عونا على تحقيق جوهر كل منهما في وحدة تبرز خواطرها الوظيفية"[٢٣]

ومن المشاهد الحوارية الدرامية في (جنوب المراثي) قصيدة (تخاذلت يا أبي)

تخاذلت في قاموسهم

تخاذلت يا أبي

لكنني لم أخذل العشيرة

ولم أخن سيف جدي

ولم أبع سيف أختي

لعهر نخاسهم

تخاذلت يا أبي

لكنني لم احن قامتي

لافواج انجاسهم

والشاهد الكسر

وصاياه ملح وجمر

في جفن ابنك يا أبي

نمت أنت طويلا

لكنني لم أنم

سل القصيدة عني وجمر الألم

تخاذلت يا أبي

حينما بكت وردة

وقالت طفلة :

من نواح الحيارى

ينسجون اجراسهم[٢٤]

يقوم المونولوج بفاعلية سردية ، فالشاعر يستدعي والده ويحاوره في استرسال يخلق مساحة سردية فهو المرسل ووالده المرسل إليه، والذي يخلق هذه الخاصية البنائية القلق والحيرة اللذان يشكلان عالم الذات وهو

يحاول أن يقرأ واقعه في إطار نفسي مما يسهم في عملية التداعي التي تتم في وعي الشاعر . فتتشكل البنية السردية عبر المنولوج الداخلي حيث يقدم الشاعر صورة تعتمد على التذكر لوصايا والده ، حيث يرسم مشهدا سرديا لعالم الذات ، فيأتي المونولوج الداخلي شكلا من أشكال الحوار المباشر مع الذات وهو في حالة تدفق وتماه كاشفا عن تداخل الأصوات السردية عبر ضمائر : المتكلم والغائب والمخاطب في بنية نصية واحدة استطاع الشاعر أن يكسر احادية الصوت وغنائيته في الوقت الذي يؤكد الاستفهام حالة القلق والتوتر المماثل للتوتر البنائي ، حيث انتصر الشاعر لشاعريته في نهاية القصيدة (لكنني أطلقت نار قصائدي على رأس متراسهم).

لقد تشكلت في هذه القصيدة ملامح سردية أسهمت في تناميها وتطورها عبر بنى الحوار والوصف والحكي واستجابة لنزعة قديمة في تكوين الإنسان العربي وهي ميله إلى الحكي و أسطرة القصص البالغة بالتخييل والخروج من أسر البنية الجافة إلى عالم الحركة والثراء والتنوع القائم على الشفافية لأداء الشعر .

فالقصيدة "كائن حي وليست بناء جامدا مهما كان وضعه محكما"[٢٥] ومن أهم مميزات القصيدة المعاصرة تعدد جمالياتها وسماتها المتجددة " فلم يعد هناك معيار نقدي جاهز للتطبيق على كل قصيدة ، فضلا عن أن يكون على كل شاعر "[٢٦] إلا أن هناك شرطا لابد من توافره ، ألا وهو ضرورة توافق البنية الفنية مع الرؤيا الشعرية وإلا فلن يتحقق التميز الشعري ، ومن هذا المنطلق ظهرت درامية العنوان والتي تعتبر أهم ركيزة في البناء التواصلي التأثيري ما بين النص والقارئ ، إذ يعمل على توضيح الدلالات الايحائية واستنباط معانيه الخفية والظاهرة ، ويكون الأداة التي يتحقق بها انسجام النص وإتساقه التركيزي والتأويلي فالعنوان " مقطع لغوي أقل من الجملة ، نصا أو عملا فنيا ، ويمكن النظر إلى العنوان من زاويتين أ- في السياق ، ب- خارج السياق ، و (العنوان) السياقي يكون وحده مع العمل ، على المستوى السيميائي ، ويملك وظيفة مرادفة للتأويل عامة"[٢٧] .

ومن امثلة ذلك في ديوان (جنوب المراثي) قصيدة (اغنية) حيث يظهر العنوان بأنه مليء بالإيحاء والسرد وهو بطبيعته يعمل في متن النص المتجانس مع اجناس اخرى تتمثل بالسرد والدراما .

إذ يقول الشاعر :

على أبوابكم دقت جراحاتي

بدقات المعاناة

اكف الحزن تسبقها

وروحي سوف تطرقها

بتسكاب لآهاتي ..

على أبوابكم ناحت قطاراتي

وهاج الجرح إذ جنت محطاتي

سراب دمعكم صوبي

وجمر الغدر في قلبي

تؤججه انكساراتي

ترى من ذا سيطلقني

وينهي القيد في ذاتي ...؟([٢٨])

المتأمل في القصيدة يرى أنَّ العنوان له دلالة خاصة يتشكل بغايات قصدية تعكس الأفكار والمشاعر الذاتية في فضاء مشهدي درامي يصوره الشاعر تصويراً متقنا عبر السرد الوصفي لتفاصيل الحوار الداخلي الذي يكشف ما يعانيه الشاعر في واقعه من جانب ويفسر انكساراته وانفعالاته الوجدانية من جانب اخر. وعليه تظهر هذه الانكسارات والانفعالات لذات الشاعرة عبر كل سطر شعري يجعل العين تمارس دورها في انتاج الدلالة ويخلق تراسلية سردية ، هذه التراسلية " تضع المرسل والمتلقي في علاقة مباشرة ، مع تبيان أن الطابع التراسلي للغة يعزز انسجامه على خلاف ما يمكن أن تحمله الكتابة المطبعية"([٢٩]) .

أما قصيدة (أوراق في قارعة الخبز المسروق) حمل عنوانها دلالات عديدة ، أهمها صدق الشاعر في التعبير عن أفكاره وانفعالاته الوجدانية ، فعكس تكرار عنوان القصيدة اثبات غايات الشاعر فيما يريد إيصاله إلى المتلقي بشوق ولهفة .

إذ يقول الشاعر:

تسقط أوراق العفة يا يونس والسيف

ينام ذليلا

ويكون قتيلا

والجوع بديلا

في زمن جد مخيف

تسقط أوراق العفة يا يونس

كالورق المتساقط من خنق خريف

تسقط أوراق العفة يا يونس

من أجل رغيف ..!؟

نحن الأحياء الأموات

نصرخ في زمن قد وأدت فيه الأصوات[٣٠]

إذ نجد في عنونة (أوراق في قارعة الخبز المسروق) انفتاحا للدلالات التأويلية والايحاء ، فدلالات الجوع والفقر والذل والهوان متوافرة برموز وعلامات متميزة بقول الشاعر: (تسقط أوراق العفة يا يونس والسيف ينام ذليلا ويكون قتيلا والجوع بديلا في زمن جد مخيف) ، ومن هنا تتحقق الدرامية في هذا العنوان ؛ ليستشف المتلقي تعالق العنوان مع المتن النصي دلالياً وتأويليا فقد استعمل الشاعر الوصف الانتقائي ، لينقل الصورة المؤثرة نقلا معبرا عمَّا يعتمل في نفس الذات الشاعرة التي تحاكي جبروت الحياة ومرارتها ، ومن هنا نجد تداخلت الاجناس والفنون الأدبية بين (السرد والدراما والشعر) فقد وظف الشاعر الصورة الدرامية توظيفا جماليا معبرا عما يعتمل الشاعر من أفكار واحاسيس وجدانية. ناهيك عن تكرار الالفاظ والعبارات بقول الشاعر: (تسقط أوراق العفة يا يونس كالورق المتساقط من خنق خريف تسقط أوراق العفة يا يونس من أجل رغيف ..!؟) الذي منح القصيدة إيقاعا داخليا ، باسلوب أقرب منه إلى السردية الحوارية . فحقق ذلك تناغما وجرسا موسيقيا يلفت انتباه القارئ والسامع محركا مشاعرهم .

الهوامش

(١) ينظر : نظرية الانواع الادبية . فنسنت ت : حسن عون، ٤٦

(٢) ينظر : النقد الادبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، القاهرة دار النهضة ١٩٧٧ . ص ٦٢ وما بعدها

(٣) ينظر المصدر السابق نفسه : ٩٠

(٤) ينظر تحليل الخطاب الشعري ، د ز محمد مفتاح ، بيروت : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٢ ، ص ١٤٩

(٥) سرد الامثال ، دراسة في البنية السردية لكتب الامثال العربية : لؤي حمزة عباس :٧١

(٦) عيار الشعر ، ابن طباطبا ، ١٦ \ ٢٠٣

(٧) السرد في الرواية العربية ، د . عبد الرحيم الكردي ، القاهرة دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٩٢ ، ص ٧٨

(٨) جنوب المراثي ، ١٦

(٩) الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي ، ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية العامة ط ١ بغداد ، ١٩٩٣ م : ١٥

(١٠) جنوب المراثي : ٦٩-٧٠ .

(١١) مرتاض، عبد الملك ، السبع معلقات، مقاربات سيميائية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م: ١٧٣.

(١٢) عتبات الكتابة القصصية ، جميلة عبد الله العبيدي ، دراسة في بلغة التشكيل والتدليل . تموز ، ط١ ، دمشق ، ٢٠١٢م : ١٠٢

(١٣) جنوب المراثي ، ٧١

(١٤) جنوب المراثي : ٧٠ .

(١٥) تشريح الدراما ، مارتن اسلن . تر : اسامة منزلجي ، دار الشروق للنشر والتوزيع – عمان الأردن ، ط١ . ١٩٨٧ م : ١٥

(١٦) الدراما ، أشلي ديوكس ، تر : محمد خيري ، مراجعة عبد الحميد يونس ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة . (د.ت) : ١-٢

(١٧) جنوب المراثي ، ٢١

(١٨) ينظر : الشفاهية والكتابية ، والترج اونج ، تر ، الدكتور حسن البنا عز الدين ، (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٩٤م) ص ٢٤٨

(١٩) جنوب المراثي ، ٢٣

(٢٠) معجم السرديات ، محمد القاضي وآخرون : ١٥٨ – ١٥٩

(٢١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنونة ، عز الدين إسماعيل ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٧ ، ص ٣١ و

(٢٢) المصدر السابق نفسه ، ٢٩٩

(٢٣) فصول ، صلاح فضل ،اكتوبر ، ١٩٨٠ ، ص ٢٤٤

(٢٤) جنوب االمراثي ، ٤٨

(٢٥) بناء القصيدة الفني ، يوسف حسين بكار ، دار الثقافة ، مصر ط١ ، ١٩٧٩ ص ٣٧٣

(٢٦) جماليات القصيدة المعاصرة ، طه واوي ، الشركة المصرية للنشر ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص ١٣

(٢٧) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، بيروت – لبنان ١٩٨٥م ، ١٥٥

(٢٨) جنوب المراثي ، ٣٣

(٢٩) الشكل والخطاب ، محمد الماكري ، ص ٢٠٥

(٣٠) جنوب المراثي ، ٢٧

المصادر والمراجع

١-الاستهلال فن البدايات في النص الادبي ، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٣م.

٢- بناء القصيدة الفني، يوسف حسين بكار، دار الثقافة، ط١، مصر، ١٩٧٩م.

٣- تشريح الدراما، مارتن اسلن، تر: محمد خيري، مراجعة عبد الحميد يونس، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة، (د. ط) (د. ت).

٤- تحليل الخطاب الشعري، محمد مفتاح بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م.

٥- جماليات القصيدة المعاصرة، طه واوي، الشركة المصرية للنشر، ط١، القاهرة ٢٠٠٠م.

٦- جنوب المراتي، مسلم الطعان، (د. ط)، (د. ت)

٧- الدراما، اشلي ديوكس، تر: محمد خيري، مراجعة: عبد الحميد يونس، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، (د. ت).

٨- السبع معلقات مقاربة سيميائية، عبد الملك مرتاض، (د. ط). دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م.

٩- سرد الامثال دراسة في البنية السردية لكتب الامثال العربية، لؤي حمزة.

١٠-السرد في الرواية العربية ، عبد الكريم الكردي، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٩٢م.

١١-الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين اسماعيل، القاهرة دار الفكر العربي، ١٩٨٧م.

١٢-الشفاهية والكتابية، والترج اونج، تر: عز الدين البناء، الكوين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٤م.

١٣-الشكل والخطاب، محمد الماكري، ط١ بيروت _لبنان، المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م.

١٤-ثبات الكتابة القصصية، جميلة عبد الله العبيدي، ط١، دمشق، ٢٠٢١م.

١٥-عيار الشعر، ابن طباطيا، ط٢، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥.

١٦-فصول، صلاح فضل، أكتوبر، ١٩٨٠م.

١٧-معجم السرديات، محمد القاضي واخرون، تونس، دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م.

١٨-معجم المصطلحات الادبية المعاصرة، سعيد علوش، ط١، بيروت-لبنان، دار الكتابة اللبناني، ١٩٨٥م.

١٩-نظرية الانواع الادبية، فنسنت، تر: حسن عون، (د. ط)، (د. ت).

٢٠-النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، القاهرة، دار النهضة، ١٩٧٧م.

الصِّناعةُ المعجميَّةُ بينَ التَّنظِيرِ والوَاقِعِ والمَأمُولِ

الغرض من البحث: الترقية

د. لينا أكرم خضر /أستاذ مساعد في النَّقد الأدبيِّ- كلِّيَّة المجتمع في قطر

الملخَّص

حظيت الصِّناعة المعجميَّة باهتمام اللُّغويِّين، وعُنيَ صنَّاع المعاجم ببيان منهجهم في تأليف معاجمهم، واختلفت الطرائق في التَّعامل مع الوحدات المعجميَّة من حيث التَّعريفُ والتَّرتيبُ والوسم، غير أنَّ المعاجم شابها بعض الزَّلل، من ذلك أنَّها تقوم على جمع ما خطَّهُ السَّابقونَ واختصاره، من غير اتِّباعِ منهجيَّةٍ واضحةٍ في صناعة المعجم؛ كما لحقَ بها الحشو والتَّكرار والقصور والاضطراب في المنهج. ومن هنا تتجلَّى أهمِّيَّة إخضاع المعجم العربيِّ للنَّقد في سبيلِ الوصول إلى معجمٍ يواكب العصر، وينماز بالدِّقَّة في تعريف موادِّه وترتيبها، وييسِّر على مستخدمه البحث عن مبتغاه. وقد وعى صنَّاع المعاجم التَّقصير الَّذي شاب المعاجم السَّابقة؛ لذا حاولوا أن يتجاوزوه، بيد أنَّ ذلك لم يحلْ دون وقوعهم في بعض الأخطاء، ومن هنا كانت الرَّغبة في الوقوف على ما اعترى المعجم العربيّ من قصور، والبحث في طرق تجاوزه.

ويختصُّ هذا البحث في دراسة ما سبق، عن طريق الوقوفِ على بعض المآخذ على المعجم العربيِّ- المعجم الوسيط أنموذجًا، وتقديم رؤيةٍ جديدةٍ فيما يتعلَّق بسبل الوصول إلى آليَّةٍ ناجعةٍ في الصِّناعة المعجميَّة؛ وذلك من خلال الوقوف على مآخذ الصِّناعة المعجميَّة، ومن ثمَّ تقديم مقترحاتٍ نستطيع من خلالها تجاوز ما سلف من قصور وَسمَ المعجم العربيّ.

الكلمات المفتاحيَّة: الصِّناعة المعجميَّة، الوحدات المعجميَّة، المعجم، التَّعريف.

Lexicography: The theory, the current status, and the aspirations

Dr. Lena Akram Kheder

Community College of Qata-Assistant Professor

The Abstract:

The lexicography received interest, attention, and interest in the lexicography Lexicon; It also .makers explaining their methodology in composing their dictionaries caught up with fillers, repetition, shortcomings and disturbance in the curriculum. Hence the importance of subjecting the Arabic dictionary to criticism in order to reach a dictionary that keeps pace with the times and is characterized by accuracy. The dictionary makers are aware of the shortcomings that marred previous dictionaries. Try to reach that, acknowledging in the introduction to their methodological dictionary that However, all of this did not prevent them from making they will follow in making it, some mistakes.

This research specializes in studying the above, by examining some of the shortcomings of the Arabic dictionary and presenting a new vision regarding ways to reach an effective mechanism in the lexical industry This is done by examining the stages of lexical composition, then presenting some shortcomings, and then presenting a methodology through which we can overcome the foregoing deficiencies and label the Arabic dictionary.

Key Words: Lexicography, Lexical unit, Lexicon, Definition.

المقدِّمة

شغلت الصِّناعة المعجميَّة اهتمام اللُّغويِّين قديمًا وحديثًا، وأدرك المحدثون وجود بعض الزَّلل شاب المعاجم، ومن هنا بدأت الدِّراسات المعجميَّة تلقي الضَّوء على بعض ما اعترى المعاجم من تقصير، مخضعةً المعاجم للنَّقد في

سبيل الوصول إلى معجمٍ يواكب العصر، وينماز بالدِّقَّة في تعريف موادِّه وترتيبها. ولمَّا كان التَّعريف طريقًا لشرح معنى الوحدة المعجميَّة وبيان الفروق التَّمييزيَّة بينها وبين سواها من الوحدات، برزت أهمِّيَّة الوقوف على موضوع التَّعريف المعجميِّ، فمن الملحوظ أنَّ المعاجم لم تلتزم نمطًا واحدًا أو نظريَّةً معيَّنةً في تعريف وحداتها، ومن هنا برزت إشكالات في التَّعريف المعجميِّ.

تختصُّ هذه الورقة البحثيَّة في دراسة التَّعريف المعجميِّ لسبع كلمات؛ وهي: (أزرق، حُبّ، سَجَد، امرأة، كلب، مِن، هذا)، وهي كلماتٌ مختارة من المعجم الوسيط الَّذي أُلِّفَ بقرار من مجمع اللُّغة العربيَّة في القاهرة، ويعود السَّبب في اختيار هذا المعجم لكونه من أفضل المعاجم حديثًا بشموليَّته ومنهجيَّته الَّتي اتَّبعها في التَّصنيف، وعلى قدرٍ كبيرٍ من التَّنظيم في ترتيب موادِّه المعجميَّة، وقد وعى مؤلِّفوه التَّقصير الَّذي شاب المعاجم السَّابقة؛ لذا حاولوا أن يتجاوزوا ذلك، مقرِّين في مقدِّمة معجمهم المنهجيَّة الَّتي سيتَّبعونها في صناعته، بيد أنَّ ذلك كلَّه لم يحلْ دون وقوعهم في بعض الأخطاء، ومن هنا كانت الرَّغبة في الوقوف على بعض المداخل المعجميَّة في هذا المعجم لنتبيَّن كيف عُولِجت؛ فإلى أيِّ مدى اتَّبع مؤلِّفو المعجم منهجًا واضحًا في التَّعريف المعجميِّ؟ وهل اعتمدوا إحدى النَّظريَّات اللِّسانيَّة أو كان تعريفهم على غير هدى؟ وما السَّبيل إلى تجاوز التَّقصير الَّذي وسمَ الصِّناعة المعجميَّة؟

سيُعالج البحث ما سلف من خلال الوقوف على واقع الصِّناعة المعجميَّة بالاعتماد على نماذج من المعجم الوسيط؛ لبيان مواطن القصور، ومن ثمَّ نخلص إلى بعض المقترحات.

أوَّلًا: بين التّنظير للصِّناعة المعجميَّة وواقعها

بذل اللُّغويُّون القدماء جهودًا ثرَّة في صناعة المعجم العربيِّ، وبدءًا من النِّصف الثَّاني من القرن التَّاسع عشر ظهرت مساعٍ حثيثةٌ لاستدراك ما وقعت به المعاجم القديمة، فلم يألُ المحدثون جهدًا في سبيل تقديم معجمٍ عربيٍّ شاملٍ يعوِّل على جهد القدماء، وينأى عمَّا سلف من زلل، ويساير النَّهضة العربيَّة، وبالرَّغم من جديَّة هذه المساعي فإنَّ شيئًا من النَّقص قد لحقها، ولم ترقَ إلى المراد.

إنَّ إلقاء الضَّوء على المعاجم الحديثة ونقدها هو السَّبيل الأولى إلى معرفة مواطن الزَّلل وتفاديها، والنَّظرة المتأمِّلة تشي أنَّ لصناعة المعجم حديثًا ميزاتٍ وعيوبًا، أمَّا ميزاته، فهي: "الدّقة في ترتيب المواد وتنسيقها وضبطها...، [و] الجهد في توضيح موادّه بالأمثلة الدقيقة والرسوم المعبّرة،... [فضلًا عن] إتقان الإخراج الَّذي يشمل جودة الطِّباعة وحسن المظهر"[1]، ومحاولة استدراك ما وقع في المعاجم القديمة من تصحيفٍ وتحريفٍ وخطأ، "كما أضافوا إليه مجموعة من المفردات الحديثة، وسعوا إلى طرح المهمل والمترادف والمشترك والأضداد"[2]. إلَّا أنَّ هذه المحاولات لم تكن على قدرٍ من الدِّقَّة؛ فما كانت أحيانًا إلَّا جمعًا واختصارًا لما سبق، وقد شابها ما شابها من خلطٍ وإقحامٍ اللُّغة الدَّارجة أو عدم الدِّقَّة في التَّعريف.

وأوَّل العيوب الَّتي تُوجَّه إلى المعاجم هي عدم وجود منهجيَّةٍ واضحةٍ وطريقةٍ واحدةٍ يلتزمها صانع المعجم في عمله؛ ذلك أنَّهم لم يعتمدوا على مدوَّنةٍ لغويَّةٍ؛ إذ استقوا مادتهم من المعاجم القديمة، يأخذون ممَّا خطَّه السَّابقون جمعًا واختصارًا أو اختيارًا اعتباطيًّا غير مقيَّدٍ بضابطٍ واضحٍ يسوِّغ اختياراتهم.

والنَّقص والوهم والخطأ أحيانًا حالوا دون بلوغ الغاية المنشودة، فقد شاب بعضها التَّحريف وغياب التَّفسير الدَّقيق وقلَّة الشَّواهد الدَّاعمة للمعنى، أضف إلى ذلك جمع الغريب والنَّادر من الألفاظ، ونلحظ ذكر الأعلام العربيَّة والأعجميَّة وأسماء الأماكن وبعض المصطلحات، من غير الانتباه إلى أنَّ لهذه مكانها في المعاجم المختصَّة وليس في المعجم اللُّغويِّ العامّ. ومن المعلوم أنَّ لكلّ علمٍ مصطلحاته، ولا بدَّ من وجود معجمٍ مختصٍّ بمصطلحات كلِّ علم.

ومن عيوب المعاجم العربيَّة أنَّها لم تلبِّ احتياجات أبناء العصر؛ فغابت معاني الكلمات الجديدة الَّتي دخلت إلى العربيَّة أو عُرِّبَت، وقصرت عن مسايرة النَّهضة العربيَّة العلميَّة الحديثة والتَّطوُّر الكبير في العلوم. كما أنَّها لم تقف على التَّطوُّر الدِّلاليِّ للألفاظ، ومعروف أنَّ اللُّغة كائن حيّ متطوِّر، ولا بدَّ من أن تساير صناعة المعجم هذا التَّطوُّر، فكثير من ألفاظ العربيَّة اكتسبت معاني جديدة لأسبابٍ سياسيَّةٍ أو اجتماعيَّةٍ أو تاريخيَّةٍ؛ مثل لفظة

(الأجير) فـ "كانت تدلُّ على العامل المستخدم، أصبحت الآن في عرف السِّياسيين من يخون وطنه ويعمل لغير صالحه"[٣].

كما لحق بهذه المعاجم التَّصحيف والخطأ في التَّفسير أحيانًا، أضف إلى ذلك تضمين مؤلِّف المعجم كلامه الوارد في ثنايا معجمه كلمات ليست مثبتةً في مكانها من معجمه (الخطيب، ١٩٩٤، ص ٧٩)، وسبب ذلك الاعتماد على الجمع من المعاجم لا المدوَّنة، وهذا ما أدَّى إلى غياب كثيرٍ من الألفاظ المعاصرة عن المعجم العربيِّ؛ ما يجعله لا يواكب روح العصر. فغياب وجود مدوَّنةٍ لغويَّةٍ ممثِّلةٍ لواقع اللُّغة تكون الأساس المُعتمَد عليه في الصِّناعة المعجميَّة؛ سبَّب الانتقائيَّة في معاجمهم، فيكون ذوق صانع المعجم هو المعوّل الَّذي يتحكَّم في اختيار الموادِّ[٤].

ويعدُّ المعجم الوسيط من أفضل المعاجم حديثًا بشموليَّته ومنهجيَّته الَّتي اتَّبعها في التَّصنيف، وقد أخذ التَّرتيب في هذا المعجم أحد شكلَين؛ ترتيبٌ صرفيٌّ وترتيبٌ ألفبائيٌّ، فتحت الجذر يقسِّم المعجم الوسيط الكلمات إلى مجموعتَين؛ الأفعال والأسماء، والبداية مع الأفعال الثَّلاثيَّة ثمَّ الرُّباعيَّة، ويقسِّم الفعل الثُّلاثيَّ إلى مجرَّد ومزيد، ويرتِّب الفعل المجرَّد حسب أبوابه السِّتَّة، أمَّا المزيد؛ فيُرتِّبه بحسب عدد حروف الزِّيادة؛ المزيد بحرف، ثمَّ المزيد بحرفين، ثمَّ المزيد بثلاثة، ثمَّ ينتقل إلى الفعل الرُّباعيِّ المجرَّد، ثمَّ المزيد، ثمَّ ينتقل إلى الأسماء، فلا يرتِّبها أسوة بالأفعال اشتقاقيًّا؛ إذ يعدل عن ذلك إلى ما هو أسهل؛ التَّرتيب الألفبائيّ.

كما استبعد المعجم الوسيط بعض الألفاظ المهجورة، وأضاف قدرًا من المصطلحات العلميَّة الحديثة الملائمة لحاجات عصرنا، بيد أنَّ ثمَّة بعض العيوب الَّتي شابته؛ منها: عدم التزام مؤلِّفيه بالخطَّة الَّتي أقرُّوها في بناء المعجم؛ إذ يُلحَظ عزوفهم أحيانًا عمَّا ذكروه في مقدِّمة المعجم من الابتعاد عن الألفاظ الحوشيَّة والمهجورة (مادَّة "درف"، "درص"). وعدم التزام المؤلِّفين بكتابة صورة إملائيَّة واحدة للكلمة الواحدة، ومثال ذلك: الاختلاف في كتابة الحرف الأخير من الكلمات الأعجميَّة؛ فتارةً تُكتَب بالألف (أستراليا)، وتارةً بالتَّاء المربوطة مثل: (سيبيرية).

فضلًا عمَّا نجده من اضطراب في تعريف الوحدات المعجميَّة، فمن شروط التَّعريف المعجميِّ الدِّقَّة والشُّمول والمساواة والتَّمايز[٥]، إلَّا أنَّ التَّعريفات الدَّقيقة غابت في كثيرٍ من الأحيان، ولم يعنَ صنَّاع المعاجم بصياغة التَّعريفات الَّتي تميِّز بين الوحدات المنتمية إلى الجنس ذاته.

ثانيًا: نماذج تطبيقيَّة عن واقع الصِّناعة المعجميَّة- المعجم الوسيط أنموذجًا

التَّعريف المعجميُّ أساس الصِّناعة المعجميَّة، وقد حظيَ بأهمِّيَّة كبيرة في الدِّراسات المعجميَّة؛ لوظيفته في تحديد المعنى وتوضيحه، فالهدف من التَّعريف هو الوقوف على السِّمات المميِّزة للوحدة المعجميَّة من سواها من الوحدات، فلكلِّ وحدةٍ أربع خصائص؛ وهي: الانتماء المقوليُّ، والتَّأليف الصَّوتيُّ، والبنية الصَّرفيَّة، والدِّلالة[٦]، والكلمات قد تشترك بالمقولة والتَّأليف الصَّوتيِّ والبنية الصَّرفيَّة، باستثناء الدِّلالة –بخلاف من يجوّز وجود التَّرادف في اللُّغة– وبذلك من الممكن أن يُحصر مجال التَّعريف اللِّسانيِّ في المعجم في الدِّلالة، فنحدِّده بأنَّه "عمليّة لسانيّة تمييزية بين الأدلة اللغوية في خصيصتها الدلالية"[٧].

وتشكِّل الوحدات المعجميَّة Lexemes الرَّكيزة الأساسيَّة في المعجم؛ والوحدة المعجميَّة هي أصغر وحدة مميَّزة في النِّظام الدِّلاليِّ للُّغة[٨]، وتُعالج كلُّ وحدةٍ وفق أربعة مستويات؛ وهي: المستوى الصَّرفيُّ Morphological والمستوى الصَّوتيُّ Phonological والمستوى التَّركيبيُّ Syntactic والمستوى الدِّلاليُّ Semantic. والنَّاظر إلى المعاجم العربيَّة يجد أنَّ صانعيها لم يعتمدوا منهجًا واحدًا في تعريف الوحدات المعجميَّة، واعتمدوا أحيانًا على التَّعريف بالشَّاهد، أو التَّعريف الاشتقاقيِّ أو تعريف الكلمة بما يرادفها أو بالضِّدِّ أو بالصُّورة.. إلخ، ولا شكَّ في أنَّ التَّعويل على إحدى هذه الصُّور في التَّعريف لا يجدي؛ فلكلٍّ منها عيوبه.

١- التَّعريف بالشَّاهد

اتَّسمت التَّعريفات المعجميَّة في المعجم الوسيط بالبعد عن المنهجيَّة من جهتين؛ فمن ناحية لم تلتزم خطَّة محدَّدة في الإفادة من العناصر المساعدة في التَّعريف المعجميِّ؛ كالصُّورة والشَّاهد والمثال؛ فتارةً تذكرهما، وتارةً تضرب

صفحًا عنهما، ومن جهةٍ أخرى يُلمَح في بعض التَّعريفات المختارة موضوع الدِّراسة الاستطراد في ذكر المعلومات الموسوعيَّة الَّتي لا مكان لها في المعجم اللُّغويِّ العامِّ، كما تتَّضح العموميَّة في بعض التَّعريفات، الَّتي تنمُّ عن عدم انتباه صانعي المعجم إلى ضرورة وجود "فاصلة" أو سمة مميِّزة للوحدة المعجميَّة المراد تعريفها؛ نلحظ ذلك في مادَّة (كلب)؛ فقد جاء في الوسيط: "(الكلب): حيوانٌ أهليٌّ من الفصيلة الكلبيَّة ورتبة اللَّواحم، فيه سلالاتٌ كثيرةٌ تُربَّى للحراسة أو للصَّيد أو للجر، و– كلُّ سبعٍ عقور". فلا يوجد في التَّعريف سمةٌ واضحةٌ تميِّز الكلب من بقيَّة الحيوانات الَّتي تنتمي إلى الفصيلة الكلبيَّة، وكذلك في ذكر أنَّه ينتمي إلى "رتبة اللَّواحم" كلامٌ عامٌّ لا يفيد في التَّعريف، وبذلك غابت عن التَّعريف وظيفته الأساسيَّة المتمثِّلة في تحديد الوحدة المعجميَّة، وذكر ما يميِّزها من سواها من الوحدات الَّتي تنتمي إلى الجنس نفسه.

وشغلت الشَّواهد من القرآن الكريم أو الحديث النَّبويِّ الشَّريف أو الشِّعر أو النَّثر؛ حيِّزًا كبيرًا في المعجم الوسيط، كما اعتمد على الأمثلة حينًا آخر، ولا تخفى أهمِّيَّة الشَّواهد في توضيح المعنى عن طريق وضع الوحدة المعجميَّة في سياق استعمالها؛ لذا يعدُّ الشَّاهد من أهمِّ العناصر المساعدة في شرح الوحدة المعجميَّة؛ إذ يضع الكلمة في سياق استعمالها، وبذلك يتميَّز بوظيفته التَّوضيحيَّة الدَّاعمة للمعنى؛ إذ يمكن عدُّه "تطعيمًا للشرح ليقدم قيمة مضافة، وهذا ما يعطي للمعجم مكانة خاصة ومتميزة؛ إذ تكمن قيمته فيما يتضمنه من شواهد وأمثلة، وعبارات مسكوكة أو متلازمة"[٩].

والعلاقة بين التَّعريف والشَّاهد "إيحائية وإحالية...، فإذا كان الأول يعد ركيزة أساسية في المعجم لإيضاح المعنى في بنائه وحسب خاصيته اللغوية أو العلمية لما يقدمه من إمكانية شرح دقيق لمعرفة اللُّغة، فإن الثاني (أي الشَّاهد) يحمل بين مفرداته الإيضاح والتبيان من خلال الاستعمال"[١٠]. والملحوظ في المعجم الوسيط الاضطراب في ذكر الشَّواهد والأمثلة، فلو استعرضنا ما ذُكر في معاني (مِن) الجارّة (مادة من) نجد ما يأتي:

١. يذكر تعريف الوحدة المعجميَّة مكتفيًا بذكر الشَّاهد من غير أيِّ تعليقٍ أو شرحٍ؛ ومن ذلك: "التَّعليل: نحو: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾. البدل نحو: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾".

٢. ترد التَّوضيحات في بعض معاني (مِن)؛ منها: "الفصل والتَّمييز: وهي الدَّاخلة على ثاني المتضادَّين نحو: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾. توكيد العموم: وهي الزَّائدة في نحو: ما جاءني من أحد، ويشترط أن يتقدَّمها نفيٌ أو نهيٌ أو استفهامٌ بهل، وأن يليها نكرة نحو: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾".

٣. قد يُكتفى بذكر مثال؛ نحو: "الابتداء، وهو الغالب، ويدخل على الزَّمان قليلًا؛ نحو: مرض من يوم الجمعة، وعلى غير اسم الزَّمان؛ نحو: سار من القاهرة".

٤. يذكر مثالًا وشاهدًا؛ نحو: "التَّبعيض: فيمكن أن يُذكر موضعها كلمة بعض؛ مثل: منهم من أحسن ومنهم من أساء، وفي التَّنزيل العزيز: ﴿تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾".

وبهذا يتبيَّن أنَّ المعجم الوسيط لم يلتزم منهجيَّةً واضحةً ومحدَّدةً في الاستشهاد سواء بما يحتجُّ به من الشواهد، والأمثلة، فترى أحيانًا يكتفي بالتَّعريف من خلال ذكر الشَّاهد فحسب، وأحيانًا يذكر شاهدًا ومثالًا، وقد تغيب الشَّواهد والأمثلة، من ذلك ما نجده في تعريف مادَّة (كلب)، وهنا تكمن الإشكاليَّة؛ إذ يجب أن يعرض المعجم السِّياقات الَّتي ترد فيها الكلمة المعرَّفة؛ ذلك أنَّ معنى الكلمة يختلف تبعًا للسِّياق الواردة فيه. وفضلًا عن ذلك يُلحظ عدم التَّوثيق عند ذكر الآية، فلم يذكر المعجم رقم الآية أو اسم السُّورة.

٢ – التَّعريف بالصُّورة

قد يكون الرَّسم أو الصُّورة سبيلًا إلى التَّعريف، وإن كان مكانه الأساسيُّ في الموسوعات، إلَّا أنَّه يسهم في توضيح الدِّلالة، "فمن الممكن أن نعدّ الصُّورة في المستوى اللغوي الماورائي، مثلها مثل التَّعريف النحوي، تعبيرًا عن العلامة اللغوية"[١١]، والصُّورة من العناصر المساعدة في التَّعريف المعجميِّ، بيد أنَّها ليست أساسيَّة، ولا يمكن التَّعويل عليها بمفردها، فهي تعبِّر عن شيءٍ عامٍّ وليست علامة لغويَّة ذاتيَّة، ومن ناحية ثانية لا يمكن أن تكون

الصُّورة أداةً صالحةً للتَّعريف وإن ساعدت في ذلك؛ لأنَّها تبقى قاصرةً عن تأدية المعاني المجرَّدة؛ كالحبِّ والعدل والحريَّة وما شابه ذلك، ولذلك فهي تلحق عادة بالأسماء، ولا يمكنها أن تبلغ ذلك التَّجريد إلَّا في حال رضخت لنظامٍ صُوريٍّ؛ مثل نظام الكلام الَّذي له قواعد مطَّردة؛ من ذلك أنَّ صورة الثَّعلب علامة على الحيلة[١٢]، ووجود الصُّورة في المعجم اللُّغويِّ العامِّ يثير اللَّبس، من ذلك ما نجده في مادَّة (كلب)، فبعد أن يذكر المعجم حدَّ (الكلب)؛ يتحدَّث عن وجود سلالاتٍ كثيرةٍ للكلاب، ملحقًا حديثه بصورٍ لبعض الأنواع، وهنا السُّؤال لماذا اختار صورًا لبعض أنواع الكلاب دون غيرها؟

والإشكاليَّة الثَّانية الَّتي تثيرها الصُّورة هي عدم وضوحها، وهذا يجرِّدها من وظيفتها المساعدة في توضيح المعنى المعجميِّ، وغير ذلك لا يعتمد المعجم الوسيط على الصُّورة في كلِّ المداخل المعجميَّة؛ ما يدلُّ على غياب المنهجيَّة في التَّعريف بالرَّسم، فقد بدا وضع الصُّورة انتقائيًّا؛ يتبع ذوق صانع المعجم.

٣- التَّعريف بالتَّرادف

يميل بعض صنَّاع المعاجم إلى تعريف الكلمة بما يرادفها، وظاهرة التَّرادف في اللُّغة من الظَّواهر الَّتي اختلف فيها الدَّارسون؛ فمنهم مؤيِّد لوجود هذه الظَّاهرة، بالنَّظر إلى أنَّه يوجد في اللُّغة كلمتان أو أكثر تحملان المعنى ذاته بشكل كلِّيّ أو جزئيّ[١٣]. ومنهم منكر للتَّرادف، يرى أنَّه من غير الممكن أن تشترك لفظتان أو أكثر بالدِّلالة ذاتها؛ ذلك أنَّ لكلِّ لفظةٍ معنى خاصًّا بها، وأمَّا الكلمات الَّتي يُقال عنها إنَّها مترادفة، فهي تتقارب في المعنى فحسب.

وكثيرًا ما يعتمد أصحاب المعاجم على تعريف الكلمة بما يرادفها، من غير الانتباه إلى أنَّ هناك فروقًا دقيقةً بين المعاني، ولا يوجد لفظان يحملان المعنى ذاته. ومن أمثلة ذلك في المعجم الوسيط ما نجده في مادَّة (سجد): "سجد: سجودًا: خضع وتطامن"، عُرِّفت (سجد) تعريفًا اسميًّا؛ ظنًّا أنَّ (خضع) ترادف (سجد)، مع إغفال الفروق

الدِّلاليَّة الدَّقيقة الَّتي يتميَّز بها كلُّ فعلٍ من الآخر، والسُّؤال: إذا بحثنا عن تعريف (خضع) في المعجم الوسيط، فهل سيكون تعريف (سجد) ذاته؟

بالعودة إلى تعريف مادَّة (خضع) في المعجم الوسيط يُلمَح معنى الانقياد أو الإجبار الَّذي يغاير معنى السُّجود، فالسُّجود يخلو من معنى الإجبار: "(خضع) خضعًا وخضوعًا وخضعانًا: مال وانحنى وذلَّ وانقاد له؛ لأنَّ كلامه وفي سيره جد ومدَّ عنقه وطأطأه و- الكلام له لينه.... (خضع) خضعًا: مال وانحنى. وفي حديث الزبير: (أنَّه كان أخضع) ويُقال: خضع عنقه تطامن ودنا من الأرض خلقة ورضي بالذُّلِّ".

يجدر الانتباه إلى أنَّ بين هذه الكلمات الَّتي تتشابه في المعنى فروقًا دلاليَّة دقيقة، فلا بدَّ من ذكر الفاصلة أو السِّمة الَّتي تجعل كلًّا من هذه الكلمات مختلفة عن الأخرى، من خلال الاحتكام إلى المنهج البنيويِّ الَّذي يستند إلى النَّظريَّات الدِّلاليَّة؛ لتتضح من خلال ذلك الفروق الدَّقيقة بين الألفاظ الَّتي تحمل دلالاتٍ متقاربةً والَّتي تستبين من خلال السِّياقات، ولعلَّ في اعتماد التَّعريف البنيويِّ ما يعينُ على حلِّ هذه الإشكاليَّة؛ فـ "التَّعريف البنيوي كفيل بتعريف طائفة كبيرة من المداخل المعجميَّة الصعبة التحديد، فهو يعمل من جهة على تضييق دائرة التَّرادف والتضاد بين الألفاظ، ومن جهة أخرى يسدّ قدرًا كبيرًا من الثغرات المعنوية في المعجم ويثريه ويمنحه الدقة"[١٤].

ومن الممكن أن نعزو سبب عدم وضوح التَّعريف المعجميِّ في بعض النَّماذج المختارة من المعجم الوسيط إلى أمرَين؛ أوَّلهما: اعتماد التَّعريف الاسميِّ الَّذي يقوم على ذكر كلمةٍ تحمل دلالةً مشابهةً (التَّرادف)، وهذا يجعل التَّعريف غير دقيق. وثانيهما: التَّعريف بالصَّعب؛ أي تعريف الكلمة بما هو غامض، فترى التَّعريف أصعب من المُعرَّف، وهذا يُفقِد التَّعريف وظيفته. من ذلك ما نجده في مادَّة (سَجَد)؛ فعُرِّفت بـ "خضع وتطامن". وقد تبيَّن حديثًا عدم جدوى التَّعريف بالتَّرادف؛ إذ فقدَ هذا التَّعريف "أولويته في المعاجم العصرية؛ إذ أثبتت الأبحاث اللُّغويَّة عدم وجود المرادف المطلق، ولهذا عمدت هذه المعاجم إلى ذكر المرادفات بعد أن تستنفد بقية وسائل التَّعريف الأخرى،

فالمرادفات أو الأضداد تثبت عادة في آخر نص الشرح، لتذكر بشبكة العلاقات الَّتي تربط الكلمة المشروحة بغيرها من الكلمات"[١٥].

ذكر معلوماتٍ موسوعيَّة

يُلحظ في المعاجم عمومًا استغراقها في عرض بعض المعلومات الموسوعيَّة الَّتي لا مكان لها في المعجم اللُّغويِّ العامّ، وهذا ما نجده أيضًا في المعجم الوسيط، فقد توسَّع مؤلِّفوه في عرض معاني (مِن) الجارَّة؛ إذ ذكروا أنَّ من معانيها الابتداء والتَّبعيض والبيان والتَّعليل والبدل والفصل والتَّمييز وتوكيد العموم، غير أنَّ هذا التفصيل في معاني (مِنْ) الجارَّة مكانه في المعجم النَّحويِّ المختصِّ أو الكتب الَّتي اختصَّت بحروف المعاني، لا المعجم اللُّغويّ العامّ. وكان يكفي أن يذكر أنَّ (مِن) حرف جرٍّ، فيعرض وظيفتها النَّحويَّة من غير الخوض والتوسُّع في معانيها؛ إذ ذاك يُترَك للمعجم المختصِّ. كما يُلحَظ عدم الالتزام بمنهجيَّةٍ واحدةٍ في عرض هذه المعاني؛ فتارةً يشرح المعاني، وتارةً يكتفي بذكر المعنى والشَّاهد دون تفصيل.

توسَّع المعجم كذلك في ذكر المعلومات الخاصَّة باسم الإشارة (هذا)؛ فممَّا جاء فيه: "(هذا) اسم إشارة للمفرد المذكَّر وتلحقه كاف الخطاب الحرفيَّة متصرِّفة على حسب أحوال المخاطب، فيقال: ذاك ذاك ذاكم ذاكن، وقد تتقدَّمها (ها التنبيه) وحدها أو مع كاف الخطاب؛ فيُقال: هذا وهذاك، وقد تتوسَّط لام البعد بينها وبين الكاف، فيُقال: ذلك، ولا تتقدَّمها حينئذ (ها التنبيه)"، وذيَّل الكلام بما يأتي: "وتأتي ذا بمعنى صاحب في النصب (انظر ذو)". فيما يتعلَّق بـ (ذا) الَّتي تأتي بمعنى صاحب، ولكونها تختلف عن (ذا) اسم الإشارة؛ فكان يجب ألّا تُلحق بالتَّعريف الخاصّ باسم الإشارة، وإنّما تُفرد كما أفرِدت (ذات) مؤنّث (ذو).

غياب بعض الوحدات المعجميَّة

تغيبُ بعض الوحدات المعجميَّة المعاصرة عن المعجم الوسيط، وقد بيَّن مؤلِّفو المعجم في صدر معجمهم إهمالهم الألفاظ المهجورة، وتركيزهم على الألفاظ المعاصرة، إلَّا أنَّهم أغفلوا بعض الوحدات المعجميَّة؛ من ذلك كلمة

(امرأة)، فلم يفردوا لها مدخلًا معجميًّا مستقلًّا، وإنَّما ذُكِرت تحت كلمة (المرء)؛ "(المرء) (مثلثة الميم): الرجل. فإن لم تأت بالألف واللام قلت: (امرؤ) بكسر همزة الوصل. (ج) رجال (من غير لفظه). والأنثى مَرأة ومَرَة. (ج) نساء ونِسوة".

ولعلَّ سبب غياب بعض الوحدات عن المعجم يرجع إلى التَّعويل على الذَّوق في انتقاء الوحدات المعجميَّة، وعدم إيلاء المدوَّنة اللُّغويَّة الممثِّلة لواقع اللُّغة أهمِّيَّةً، فغابَ وجود مدوَّنة يعتمد عليها صانعو المعجم، وركنوا إلى المعاجم السَّابقة، وهذا أدَّى إلى الانتقائيَّة وإهمال بعض الوحدات، والمعاجم تُبنى "عادة على تكامل نصها المعجمي وذلك بتجنب إهمال أي لفظ وقع استعماله في التَّعريف. فكل لفظ استعمل لا بد أن يستقل بمدخل في مكانه المناسب من المعجم، ولهذا يعتبر نقص التكامل عيب من عيوب المعاجم"[١٦]، وغنيٌّ عن القول أهمِّيَّة صناعة مدوَّنة لغويَّة، فهي عماد العمل المعجميِّ، وغيابها يجعل الانتقائيَّة أساسًا يتَّبعه صانعو المعجم من غير الاتِّكاء على ركائز واضحة؛ وفي هذا ما يُبعِد العمل عن الموضوعيَّة، كما يغيب عنه –من جهةٍ أخرى– عددٌ كبيرٌ ممَّا هو شائعٌ حقيقة على ألسنة النَّاس.

التَّعريف الاشتقاقيُّ

يحار صانع المعجم في تعريف الوحدة المعجميَّة، فلا يجد سبيلًا إلى ذلك إلَّا أن يذكر اشتقاقات الكلمة الَّتي يريد أن يعرِّفها، ظنًّا منه أنَّ مستخدم المعجم على درايةٍ باشتقاقات الكلمة، ومعتقدًا أنَّ في ذكر الاشتقاقات نوعًا من التَّعريف! ويسمَّى هذا النَّوع من التَّعريف بالتَّعريف الاشتقاقيّ، وهو أن "يعرف الكلمة أو المدخل بأحد مشتقاته، ويكون ذلك في شكل إحالةٍ على أساس أنَّ المشتقَّ معروف"[١٧]، ومنهم من يُطلِق على هذا النَّوع من التَّعريف اسم التَّعريف الدوريِّ، والمقصود به أن " تعرّف الكلمة بلفظ يفسر في مدخله بالكلمة الأولى،... ومن الدور أيضًا أن تعرّف الكلمة بنفسها أو بكلمات من أسرتها"[١٨]. وهذا النَّوع من التَّعريف ملحوظٌ في المعجم الوسيط، من ذلك ما نجده في تعريف مادَّة (حبّ): "(حب) الإنسان والشيء– حبًا: صار محبوبًا.. (تحابوا): أحب بعضهم بعضًا...

(الحبيب): المحبوب والمحب". ففي تعريف مادَّة (حب) أُعيدَ ذكر اشتقاقات هذه المادَّة، من غير توضيح معنى الوحدة المعجميَّة أو شرحها. وفي هذا ما يدلُّ على اعتماد المعجم الوسيط على جمع ما جاءت به المعاجم السَّابقة من غير محاولة الإضافة أو تحسين جوانب القصور في التَّعريف الوارد فيما سبق من معاجم.

ومن ذلك ما نلحظه في تعريف مادة (أزرق): "(الأزرق) ما لونه الزُّرقة"، فهاهنا أُعيدَت الكلمة في التَّعريف، وإذا عدنا إلى ما ذُكِر في معنى (الزُّرقة)، نجد أنَّ المعنى ذاته مكرَّر، فـ "الزُّرقة: ما كان أزرق"، وكأنَّنا ندور في الدَّائرة نفسها دون جدوى! وهذا من عيوب التَّعريف المعجميَّ، وكأنَّ صانع المعجم يتوقَّع من القارئ أن يعرف الصِّيغ الاشتقاقيَّة، وهذا لا يعدُّ تعريفًا، ويخلو من أيِّ تحديدٍ لمعنى (أزرق)، فمستخدم المعجم حين يرجع إلى هذه المادَّة لن يجد ضالَّته؛ لأنَّ المادَّة أساسًا غير مُعرَّفة. وبالعودة إلى القاموس المحيط نلحظ أنَّ الأمر مختلف؛ فـ "الزُّرْقَةُ بالضَّم: لَوْن"[١٩]، فهنا حدَّد الحقل الدِّلاليَّ الَّذي تنتمي إليه الكلمة، وبقي تعريفه قاصرًا؛ لأنَّه لم يحدِّد السِّمة الَّتي تميِّز الأزرق من بقيَّة الألوان.

النَّتائج والتَّوصيات

إنَّ في نقد المعجم العربيّ سبيلٌ لتجاوز الهفوات الَّتي لحقت به، فلم تخلُ الصِّناعة المعجميَّة من بعض العيوب الَّتي يعود سببها إلى غياب منهجٍ واضحٍ يرتكز عليه المعجميُّ في عمله، فكان الحشو والتَّكرار وعدم مواكبته لروح العصر، فضلًا عن احتوائه على كثيرٍ ممَّا هُجِرَ من الألفاظ الَّتي لم تعد مُستخدمة في عصرنا، إضافة إلى وجود بعض المصطلحات الَّتي مكانها المعجم المختصّ وليس المعجم اللُّغويّ العامّ.

ويتبيَّن بعد دراسة نماذج التَّعريف المعجميِّ في المعجم الوسيط أنّ التَّعريفَ يحتاج إلى المزيد من العناية والضَّبط، ويجب اتِّباع منهجيَّةٍ في التَّعريف، فعلى الرُّغم من أنَّ مؤلِّفي المعجم الوسيط وضعوا ضوابطَ لعمليَّة صناعة معجمهم، فإنَّهم وقعوا في كثيرٍ ممَّا حاولوا اجتنابه، فقد اتَّضح من خلال الوقوف على هذه النَّماذج المختارة

أنَّ التَّعريف في المعجم الوسيط لم يسر على منهجيَّةٍ واحدةٍ، ولم يلتزم بخطَّةٍ واضحةٍ، فاعتمد حينًا التَّعريف بالصُّورة، وأحيانًا أغفل ذلك من غير ذكر منهجيَّته في التَّعريف لكلِّ المداخل المعجميَّة.

فعلى صعيد التَّعريف بالصُّورة، نجد أنَّه وضع صورًا لوحدات معجميَّة دون أخرى، كما أنَّ الصُّور اتَّسمت بعدم الدِّقَّة والوضوح، ومن ثمَّ كانت قاصرةً عن أداء وظيفتها التَّوضيحيَّة، وممَّا يؤخذ على التَّعريف في المعجم الوسيط عدم كفايته وشموليَّته، فاتَّسم بالغموض والنَّقص، وعلى النَّقيض قد تُذكَر في المعجم معلوماتٌ موسوعيَّةٌ غير مرادة في التَّعريف المعجميِّ، ومن جهةٍ أخرى غابت بعض الوحدات المعجميَّة. ولا شكَّ في أنَّ من أسباب القصور الَّذي شاب التَّعريف في المعجم الوسيط هو الأخذ عن السَّابقين من غير الإفادة من النَّظريَّات الدِّلاليَّة؛ كالنَّظريَّة السِّياقيَّة والنَّظريَّة التَّحليليَّة والنَّظريَّة التَّوزيعيَّة.

وعليه، فإنّ الصِّناعةَ المعجميَّةَ تحتاجُ إلى تضافرِ الجهودِ الجماعيَّةِ للمؤسَّساتِ ومجامعِ اللُّغةِ العربيَّة، والعناية بمراعاةِ جوانب التَّطوُّر الدِّلاليِّ الَّذي تتعرَّضُ له اللَّفظةُ عبرَ الزَّمن، فللَّفظةُ المفردةُ رحلةٌ تعيشها منذ بدءِ استعمالها إلى يومِ النَّاس هذا، وللتَّاريخِ والأحداثِ السِّياسيَّة ولطبيعةِ المجتمع أثرٌ بارزٌ في تطوُّرِ الألفاظ وتغيُّرِ دِلالتِها، فكثيرٌ من الألفاظ كانت في طورها الأوَّل تدلُّ على معانٍ حسيَّة، ثمَّ ما لبثت تُستعمَل للدِّلالة على معانٍ ذهنيَّةٍ مجرَّدة. ومن ثمَّ إنَّنا بأمسِ الحاجةِ إلى تطوير الصِّناعة المعجميَّة العربيَّة لتواكب العصر، ورصد التَّطوُّر الدِّلاليّ لألفاظ اللُّغة العربيَّة، والاهتمام بالاستعمالات المعاصرة للُّغة.

ومن الضَّروري وضع خطَّةٍ منهجيَّةٍ واضحةٍ تبيِّن طريقة تناول الألفاظ شرحًا ووسمًا وترتيبًا، والاعتماد على مدوَّنةٍ لغويَّةٍ محوسبةٍ ممثِّلةٍ لواقع اللُّغة، والإفادة من حوسبة اللُّغة العربيَّة في الصِّناعة المعجميَّة؛ لما تفيده الحوسبةُ من دقَّةٍ وسرعةٍ في إنجاز المراد وتوفير الوقت والجهد على الدَّارسين. وكذلك تحديد الفئة الَّتي يتوجَّه إليها المعجم؛ لمعرفة طبيعة المدوَّنة الَّتي سيبني عليها المعجميُّ معجمه، ففي هذا معينٌ لتحقيق الغاية المنشودة منه.

١ المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص ٨٨- ٨٩.
٢ اللُّغة ومعاجمها في المكتبة العربية، ص ٢٧٦.
٣ في علم الدلالة، ص ٧١٥.
٤ مدوَّنة المعجم التاريخي للغة العربية.
٥ المعجم العربي الأساسي: قراءة أولية في الرصيد والتَّعريف، ص ١٩٠.
٦ من إشكالات التَّعريف في المعجم الحديث: تعريف أسماء المواليد في المعجم اللغوي العام، ص ١٨٣.
٧ ن. م، ص ١٨٤.
٨ A Dictionary of Linguistics and Phonetics, p. 276
٩ التَّعريف وإشكاليَّة الشَّاهد، ص ٩٥.
١٠ ن. م ، ص ٩٨- ٩٩.
١١ المعجم العربي بين الماضي والحاضر ١٩٨٦، ص ١٧٧.
١٢ ن. م، ص ١٧٧.
١٣ The Study of Language, p. 117
١٤ المعجم العربي الأساسي: قراءة أولية في الرصيد والتَّعريف، ص ١٩٢.
١٥ من قضايا التَّعريف المنهجية: المعجم العربي الحديث لاروس نموذجًا، ص ٨٥.
١٦ ن.م، ص ٧٩.
١٧ التَّعريف المعجمي: أنواعه ووسائله في المعاجم العربية "معجم المصباح المنير للفيومي" أنموذجًا، ص ١٨٦.
١٨ المعجم العربي بين يديك : قراءة في المادة والمنهج والتَّعريف، ص ٢٧١- ٢٧٢.
١٩ القاموس المحيط.

ثبت المصادر والمراجع

الكتب باللُّغة العربيَّة

في علم الدلالة، عبد الكريم جبل، مصر: دار المعرفة الجامعية (١٩٩٧).

القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي، (د. ط)، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٩٩٧).

اللُّغة ومعاجمها في المكتبة العربية، د. عبد اللطيف الصوفي، (ط. ١)، دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر (١٩٨٦).

مدوَّنة المعجم التاريخي للغة العربية، حسن حمزة، مقالة في كتاب **نحو معجم تاريخي للغة العربية**، (ط. ١)، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (٢٠١٤)، ص ١٩٧- ٢٤٣.

المعجم العربي بين الماضي والحاضر، د. عدنان الخطيب، (ط. ٢)، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون (١٩٩٤).

المعجم الوسيط، مجمع اللُّغة العربيّة، (ط. ٤)، مصر: مكتبة الشّروق الدوليّة (٢٠٠٤).

الدوريَّات

التَّعريف المعجمي: أنواعه ووسائله في المعاجم العربية "معجم المصباح المنير للفيومي" أنموذجًا، سناني سناني، مجلة مجمع اللُّغة العربية على الشبكة العالمية، العدد ٦، مجمع اللُّغة العربية على الشبكة العالمية، ص ١٧٩- ص ٢١٦، (٢٠١٤).

التَّعريف وإشكاليَّة الشَّاهد، عبد الغني أبو العزم ، مجلة المعجميَّة، العدد ٢٨- ٢٩، جمعية المعجميَّة العربيَّة، ص ٩٣- ص ١١٦، (٢٠١٣).

المعجم العربي الأساسي: قراءة أولية في الرصيد والتَّعريف، حلام الجيلالي، مجلة اللسان العربي، العدد (٣٨)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- مكتب التنسيق والتعريب، ص ١٨٦- ص ١٩٥، (١٩٩٤).

المعجم العربي بين يديك : قراءة في المادة والمنهج والتَّعريف، محمد بن نافع بن بداح المضياني العنزي، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد ١٧، العدد ١٣، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ص ٢٢٩- ص ٢٨٣، (٢٠١٥).

من إشكالات التَّعريف في المعجم الحديث: تعريف أسماء المواليد في المعجم اللغوي العام، إبراهيم بن مراد، مجلة المعجميَّة، جمعية المعجميَّة العربية، العدد ١٦- ١٧، ص ١٨٣- ص ٢٠٣، (٢٠٠١).

من قضايا التَّعريف المنهجية: المعجم العربي الحديث لاروس نموذجًا، مجلة الدراسات المعجميَّة، محمد العمدوني، الجمعية المغربية للدراسات المعجميَّة، العدد ٩- ١٠، ص ٦٣- ص ٨٦، (٢٠١٤).

الكتب باللُّغة الإنكليزيّة

Sixth . (2008). David Crystal.- **A Dictionary of Linguistics and Phonetics** .Edition, United States: Blackwell Publishing

Fourth Edition, Cambridge: . (2010). George Yule.- **The Study of Language** Cambridge University Press.

النظرية المعجمية الخليلية، مقاربة لسانية توليدية

اسم الباحثة: الهام بغداد : طالبة باحثة بسلك الدكتوراه

الجامعة: جامعة محمد الخامس بالرباط.

كلية الآداب والعلوم الإنسانية: المغرب

الملخص:

تجمع جل الأدبيات اللسانية أن مصطلح المعجم لا يقصد به القاموس الورقي الذي يلجأ إليه لتجميع معطيات اللغة قصد الرجوع إليها حين الحاجة لمعرفة ما يلتبس منها، بل يقصد به القواعد المتحكمة في توليد معطيات اللغة.

وفي ضوء هذا التصور سنعمل من خلال هذه الورقة على مقاربة النظرية الخليلية للغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي، مقاربة لسانية توليدية، تسعى إلى ضبط الأسس المعرفية التي انبت عليها، من ترتيب للمواد تبعا لمخارج الحروف، واعتماد للبنية كمعيار لعملية الترتيب، ثم العمل على تقليب الحروف الأصول للمادة أو الكلمة في عملية الترتيب قصد الوقوف عند ما يستعمل من التقاليب وما يوضع في باب المهمل المتروك. ونظرا لكون المقاربة التي اعتمدناها مقاربة لسانية فإننا سنعمل في الشق الثاني من الدراسة على بيان ما وصلت إليه اللسانيات التوليدية من قواعد ضبطت كيفية بناء الجذر/الكلمة وهو ما يعتبر تثمينا لجهود الخليل بن أحمد الفراهيدي من جهة، ومن جهة أخرى فهما لخوارزميات بناء الكلمة في اللسان العربي.

الكلمات المفاتيح: الفراهيدي – بناء الكلمة– النظرية المعجمية– التقاليب.

The Khalili Lexical Theory: A Generative Linguistic Approach.

ILHAM BOUGHDAD

Abstract:

Most of the linguistic literature agrees that the term dictionary does not merely mean the paper dictionary, which serves to collect language data in order to refer to it whenever a need arises to analyze any ambiguity, but rather it stands for the rules governing the generation of language data.

In the light of this perception, this paper casts light on the Khalili generative linguistic theory, which has been founded by the linguist Al-Khalil Bin Ahmad Al-Farahidi. The paper aims at approaching the cognitive principles of the theory. Its principles range from classifying the word according to its articulation place and structure to working on the flipping of the letters that are the root of the word. The previously mentioned principles are a prerequisite for distinguishing between the used flips and the neglected ones. Adopting the linguistic approach in this study paves the way for the second part of the paper to clarify the findings of generative linguistics, especially the rules governing how to construct the root / word. Not only havethe findings of generative linguistics anchored in the efforts of Khalil Bin Ahmed Al Farahidi, but they

have contributed to the better understanding of how to construct the word in Arabicas well.

Key words: Farahidi – word construction – lexical theory – flips.

مقدمة:

من الإشكالات المطروحة في الدراسات اللسانية العربية في دراسة الموروث المعجمي العربي إشكال الرصد الكافي لأسس وآليات النظريات المعجمية العربية، وهذا الإشكال مرتبط في أصله بإغفال المنطق الذي قامت عليه هذه النظريات، فنظام التقاليب الذي اعتمده الفراهيدي في معجمه لم يتخذه من باب الترف العلمي وإنما قام على مجموعة من الأسس هي في أصلها منطق يشتغل وفقه اللسان العربي.

فلا مراء إذن أن نظام التقاليب كان الخيار الأمثل في عملية الصناعة المعجمية لأنه يأخذ بعين الاعتبار بناء الكلمة في كل مستوياتها الصرفية والصوتية والبنائية في ارتباطها بالاشتقاق وعملية الإبدال، ولما كان هذا النظام يستحضر خوارزميات اشتغال اللسان العربي أثناء إنتاجه للكلمات سواء أكانت أفعالا أم أسماء كان لابد أن يخلص في الأخير إلى ما يستعمل في هذا اللسان وما يوضع في باب المهمل المتروك.

تبعا لكل ما ذكر سابقا سنسعى من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق غايتين؛ الأولى التعريف بإسهام اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي في مجال الصناعة المعجمية باعتباره أحد اللغويين الذين خصصوا حيزا لا يستهان به من حياتهم خدمة للسان العربي، والغاية الثانية تتجلى في إبراز أسس الصناعة المعجمية عند الفراهيدي وإقامة مقارنة بين ما اعتمده لتصنيف معجمه وتبويبه وما توصل له اللسانيون حديثا من قواعد رياضية تحكم هذا اللسان.

المبحث الأول: العمل المعجمي في الدرس اللغوي القديم.

١. جهود اللغويين في علم الأصوات.

حين الوقوف عند مجالات علم اللغة بكل فروعه وقضاياه فإننا نجد "العمل المعجمي من أصعب مجالات علم اللغة، فهو أولا يتطلب مواصفات خاصة في صانعه يندر توافرها الآن، وهو ثانيا يتطلب دقة وصبرا متناهيين ولذا يقول Gleason:"إن عمل المعاجم عمل مضجر إلى أقصى حد... إنه الدقة...إنه عبء عظيم لا يمكن تصديقه"، وإلى جانب هذا وذاك فإن العمل المعجمي يستلزم معرفة كل شيء عن اللغة المعنية، والخصائص الملائمة لوحداتها المعجمية، والنظام العام للغة، كما يستلزم تكوين صورة واضحة عن مستعمل المعجم وهدفه وتفكيره."[١]، لأن الظاهرة اللغوية ليست بتلك السهولة التي تظهر علينا حين تحقيق الفعل اللغوي، نظرا لتدخل عدة مستويات في القدرة اللغوية/الفعل الكلامي.

وما يزيد من صعوبة العمل المعجمي هو أن المعجمي يعالج ظاهرة مفتوحة لا تستقر على حال، ولذا فإن أي محاولة لحصر كلمات أي لغة حية تعد مطلبا عزيز المنال إن لم يكن مستحيلا ويظل المعجمي في حالة تساؤل دائم عن مدى تحقيق معجمه للشمول ومقدار قربه أو بعده من الجمع الكامل لمادة اللغة، كما أن المعنى هو المحل الأول لاهتمام المعجمي، وهو يمثل صعوبة في حد ذاته بل عده بعضهم واحدا من أصعب حقول الدراسة[٢].

ونظرا لكون الصوت يعتبر المادة الأساس في تكوين الكلمة في الألسن البشرية وكذلك في اللسان العربي؛ فإن علماء اللغة المحدثين أكدوا أن دراسة الأصوات هي أول خطوة في أي دراسة لغوية، لأنها تتناول أصغر وحدات اللغة التي تعتبر المادة الخام للكلام الإنساني. "أما اللغويون العرب فلم ينظروا إلى الدراسة الصوتية هذه النظرة ولم يعالجوا الأصوات علاجا مستقلا، وإنما تناولوها دائما مختلطة بغيرها من البحوث وذلك على النحو الآتي:

- بالنسبة للنحاة خصصوا بعض البواب في كتبهم النحوية لهذه الدراسة. بل إنهم لم يقصدوها لذاتها وإنما لغيرها، حيث اعتبروها تمهيدا أو مدخلا لدراسة ظاهرة الإدغام، والحديث عن قواعد الإعلال والإبدال، وقد عالج سيبويه الإدغام في نهاية مؤلفه الكتاب، وعالج الأصوات قبل معالجة الإدغام، وعالج المبرد في كتابه المقتضب الإدغام في الجزء الأول وقدم له بدراسة الأصوات ومخارجها، وكذلك أنهى الزجاجي كتابه الجمل بالحديث عن الإدغام، ومهد لحديثه ببعض الأفكار الصوتية، وأنهى الزمخشري بالوقوف عند بعض القضايا الصوتية.
- كما تناول أصحاب المعاجم بعض المشكلات الصوتية، إما في مقدمة معاجمهم، أو في ثنايا المادة اللغوية المجموعة، ويبدو الاهتمام بهذا النوع من الدراسة في المعاجم التي رتبت صوتيا واتبعت نظام التقاليب كالعين للخليل، أو اتبعت نظام التقاليب فقط كالجمهرة لابن دريد.[٣]، ولعل الأمر الذي يظهر لنا قيمة الصوت عند الخليل بن أحمد الفراهيدي هو القضايا التي تناولها في مقدمة معجمه، والتي يمكن إجمالها في ما يأتي:
- ترتيب الحروف ترتيبا صوتيا.
- الحديث عن مخارج الأصوات في علاقتها ببعضها.
- اعتبار الراء واللام والنون ذات وضع خاص وتسميتها بحروف الذلاقة لأنها تخرج من ذلق اللسان ولا ينطق طرف اللسان إلا بالراء واللام والنون فقط، وألحق الخليل بهذه الثلاثة الفاء والباء والميم لأنها شفوية، وأسماها أيضا حروف الذلاقة.
- اعتباره حروف الذلاقة الستة أسهل من غيرها في النطق، وهذا ما جعلها تكثر في أبنية الكلام، فلا نجد بناء غير ثلاثي خاليا منها.

٢. نظرية التقاليب وعلاقتها بالبنية الصوتية عند الخليل بن أحمد الفراهيدي.

بالرجوع إلى مقدمة كتاب العين نجد اهتمام الفراهيدي ينصب على أصوات العربية ومخارجها وصفاتها، في حديثه عن بنية المعجم العربي، "ومن خلال الأساس الصوتي سيتبين لنا أن الرجل لم يقدم في كتاب العين دراسة صوتية خالصة، وإنما كان يعالج إشكالية تفسير نظام المعجم العربي، ومحاولة فهم أسرار البنية المعجمية للكلمة العربية أو التعرف على خصائصها التركيبية أو نسيجها الصوتي"[٤]، ولم يكن الخليل يهدف إلى دراسة محضة للأصوات، معزولة عن البناء اللغوي، لأنه يقدم مقدمة لمعجم لغوي شامل لكل الاحتمالات الممكنة في اللسان العربي، إذ حاول بعقليته الرياضية استنباط كل الجذور الممكنة في اللسان العربي الثنائي منها والثلاثي والرباعي أيضا بناء على أسس منطقية انطلقت من الصوت باعتباره المادة الأولى التي تبنى من خلالها الكلمات فتجاوز الخط إلى الصوت لكونه أساس العملية التواصلية.

لقد كان الفراهيدي يسعى لمعرفة الخصائص التركيبية والصوتية لبنية الكلمة العربية، "وكان يريد أن يضع يده على الخصائص المميزة لكل صوت من حيث دخوله مع صوت آخر في بنية، كما كان يريد أن يستنبط القوانين العامة التي تحكم علاقة هذه الأصوات بعضها ببعض في بنية الكلمة العربية من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنه يريد أن يرتب معجمه ترتيبا صوتيا حسب مخارج الأصوات، ولعل هذا ما جعله ينفرد دون بقية علماء العربية القدماء بتقسيم الأصوات طبقا للأحياز والمدارج."[٥].

والترتيب الصوتي هنا لم يكن من باب الترف وإنما لأنه كان يرى فيه عونا في عملية التقليب وتعليل إمكانية بناء بعض الجذور وإهمال بعضها، ويظهر ذلك جليا حينما ربط بين الصوت والبنية حين حديثه عن حروف الذلاقة ودورها في بناء الجذور غير الثلاثية، وهو في ذلك يقول: "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة، ليست من كلام العرب؛ لأن لست واجدا

من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر"[٦]

لقد اهتم الخليل بالأحياز والمدارج وموضع نطق بعض الحروف على خلاف علماء الأصوات جميعا، "لأن تحديد الحيز والمدرج ضروري لفهم طبيعة التأليف في بنية الكلمة العربية، أي أن تصنيف الخليل لأصوات العربية تصنيفا علميا نظريا لم يكن هدف الخليل الأول، وإنما كان هدفه معرفة خصائص البناء الصوتي للكلمة العربية لكي يميز بين المستعمل والمهمل كما سنرى فيما بعد، وبين الأصيل والدخيل من الكلمات العربية، ومن ثم كان هذا التصنيف طبقا للمخارج والأحياز والمدارج أحكم في معرفة طبيعة العلاقة بين الأصوات في الكلمة المفردة، من حيث تقارب هذه الأصوات أو تباعدها.

ولنأخذ مثالا على ذلك أصوات الجيم والشين والياء والضاد، فسنجد أن الجيم والشين والياء من مخرج واحد عند سيبويه، في حين أن الضاد لها مخرج مستقل عنده، في حين أننا نجد الجيم والشين والضاد عند الخليل في حيز واحد، ولذلك لاحظ الخليل وكثير من علماء العربية من بعده، أن هذه الأصوات لا تأتلف من كلمة عربية؛ لأنها من حيز واحد، في حين أنه يجوز أن تتألف الكلمة في العربية من الجيم والشين والياء كما في كلمة " جيش" والفعل "يشج" "[٧]

إن الخليل لم يجد في النظام الألفبائي ما يرضيه لأنه قائم على الرسم والكتابة، على حين أن اللغة قوامها الأداء والنطق، فالصوت في رأيه هو الأساس الذي يمكن أن يبنى عليه المعجم المنشود وما كان يفكر في المعجم كنظام، ووحدته الكلمة المنطوقة، وهي تتركب من أصوات، "اتجه إلى أصوات اللغة إذ هي اللبنات التي منها تتشكل الكلمة، هذا الاختيار فرضته طبيعة الدراسة المعجمية التي هو بصددها، ولم يكن له أن يأخذ في تصنيفه المعجمي بالأساسين الآخرين اللذين كانا مطروحين أمامه لعملية التصنيف وهما الأساس الألفبائي، والأساس الأبجدي. فهو لم يتجه للترتيب الألفبائي الذي وضعه نصر بن عاصم،

الذي ظن الباحثون أنه كان أولى بالاتباع لسهولته ويسره؛ لأن هذا الترتيب قائم على أساس وصف الرموز الكتابية.

اتجه الخليل إلى الترتيب الصوتي انطلاقا من الغاية التي يسعى إليها وهي دراسة خصائص الكلمة المنطوقة في النظام المعجمي، وليس الأمر أمر سهولة وصعوبة من جانب، كما أنه ليس في حاجة إلى الإحالة إلى تبرير الخليل في الأصوات، أو اهتمامه الشخصي بها قياسا على اهتمامه وإبداعه في الموسيقى والعروض من جانب آخر؛ لأن توجهه إلى النظام الصوتي كان لأسباب موضوعية فرضتها طبيعة الدراسة المعجمية التي يتصدى لها. "[٨]فعندما يجتمع الأساس الصوتي مع الأساس التقليبي يمكنه من معرفة المهمل والمستعمل في اللسان العربي، وهو في ذلك يقول: "اعلم أن الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين نحو: قد، دق، شد، دش، والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه وتسمى مسدوسة وهي نحو: ضرب، ضبر، برض، بضر، رضب، ربض، والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجها وذلك أن حروفها وهي أربعة أحرف تضرب في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجه فتصير أربعة وعشرين وجها، يكتب مستعملها، ويلغى مهملها، وذلك نحو عبقر تقول منه...والكلمة الخماسية تتصرف على مئة وعشرين وجها، وذلك أن حروفها وهي خمسة أحرف تضرب في وجوه الرباعي، وهي أربعة وعشرون حرفا فتصير مئة وعشرين وجها يستعمل أقله ويلغى أكثره."[٩]

وما يميز معجم العين نظامه الذي لم يجمع مفرداته عن طريق استقراء ألفاظ اللغة، وتتبعها في مؤلفات السابقين، وجمعها من شفاه الرواة، "وإنما جمعها بطريقة منطقية رياضية، حيث لاحظ أن الكلمة العربية قد تكون ثنائية وقد تكون ثلاثية وقد تكون رباعية وقد تكون خماسية. وفي كل حالة أمكن تبديل حروف الكلمة إلى جميع احتمالاتها وأمكن تقليب أماكن هذه الحروف إلى جميع أوجهها الممكنة يكون الحاصل معجما يضم جميع كلمات اللغة من الناحية النظرية. ولكن لا توجد لغة تستخدم جميع إمكانياتها النظرية، ولهذا كان لابد للخليل بعد الإحصاء النظري أن يميز بين المستعمل من هذه الصور والمهمل، وقد فعل

ذلك، واستفاد في تمييز المستعمل من المهمل بثقافته اللغوية الخصبة، وبخبرته الصوتية الباهرة، ومعرفته بالتجمعات الصويتة المسموح بها وغير المسموح بها في اللغة العربية. وبذا حكم القوانين الصوتية إلى جانب تحكيمه للمادة اللغوية المسجلة"[١٠]، ولو تم تجاوز الجانب الصوتي في ترتيب المواد المعجمية لتم إغفال القواعد الصوتية المتحكمة في بنا هذه المواد، ومن بين هذه القواعد أن الحرورف إذا تقاربت مخارجها لا يمكن ائتلافها إلا ناذرا" فالعين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما إلا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل: حي على..."[١١]، وأكد الخليل أيضا أن العين لم تأتلف "والحاء مع شيء من سائر الحروف إلى آخر الهجاء فاعلمه"[١٢]

لقد رتب الفراهيدي كلمات معجمه على الحروف ترتيبا مخرجيا بدءا بالأعمق فالأقرب، وقد وجد أعمق الحروف هي حروف الحلق فبدأ بها، "ولم يكتف بذلك بل رتب حروف الحلق فيما بينهما فوجدها ذات مخارج ثلاثة هي: الهمزة والهاء، ثم العين والحاء، ثم الغين والخاء، وقد كان من المتوقع إذن أن يبدأ الخليل معجمه بحرف الهمزة وأن يسمي كتابه بالهمزة، ولكنه عدل عن ذلك وبدأ بحرف العين، والسر في ذلك أن الخليل قد وجد بحسه الصوتي أن الهمزة صوت معرض للتغيرات مثل التسهيل أو الحذف، فلم يشأ أن يبدأ بها، ووجد أن الهاء صوت مهموس خفي فلم يشأ أيضا أن يبدأ بها. وانتقل إلى الحيز الثاني من حروف الحلق فوجد فيه العين والحاء فبدأ بالعين لأنها أنصع أي أوضح لأنها مجهورة."[١٣]، ويرجع سبب إفصاح الفراهيدي عن ترتيب الحروف تبعا لمخارجها في مقدمته أنه أراد أن يبين الحروف المتقاربة من حيث المخرج ليكون رفضه لاجتماعها في كلمة واحدة وإهمال الجذر المشتق منها معللا صوتيا في حالة ما إذا اجتمع حرفان في كلمة لا يتفقان في المخرج نفسه لكنها متقاربان من موضع التلفظ.

المبحث الثاني: دور نظرية التقاليب في الكشف عن خوارزميات بناء الجذور في اللسان العربي، مقاربة صواتية

١. قضية المهمل والمستعمل في اللسان العربي وعلاقتها ببناء الجذر عند الخليل بن أحمد الفراهيدي.

يتفق الدارسون أن نظام تبويب وترتيب معجم العين بأسسه التقليبية والصوتية والبنائية كان له دور كبير في بيان ضوابط بناء الجذر والكلمة وفي تنبيه علماء اللغة إلى أسباب إهمال بعض الأبنية لاستثقالها كما أكد ذلك ابن جني بقوله:"فأعلق يدك بما ذكرناه من أن سبب إهمال ما أهمل إنما هو لضرب من ضورب الاستخفاف"[١٤].

فالحروف إذا كانت من مخرج واحد أو تقارب مخارجها لم تأتلف إلا قليلا، قال ابن دريد: "واعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت؛ لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ودون حروف الذلاقة كلفته جرسا واحدا وحركات مختلفة...واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لصعوبة ذلك عليهم، وأصعبها حروف الحلق"[١٥]. ويقول ابن جني"أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة، فأكثره متروك للاستثقال، وبقيته ملحقة به، ومقفاة على إثره. فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه :نحو سص وصس"[١٦]، ويؤكد ابن جني في سر صناعة الإعراب ذلك بقوله:" فمتى تجاور مخرجا الحرفين فالقياس ألا يأتلفا"[١٧]، لكون ذلك صعبا على الجهاز النطقي ويزداد الأمر صعوبة حينما يكون في الكلمة حرف من حروف الحلق، وفي النصوص الآتية بيان لما طرحه الخليل في معجمه من

قواعد صوتية تمنع تجاور بعض الصوامت:

النص	الصوامت المستهدفة	سبب عدم الجمع بينها
يقول الخليل ابن أحمد الفراهيدي:"إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما"[١٨]	العين– الحاء	قرب المخرج
ويضيف الخليل:"إن العين مع هذه الحروف: الغين والهاء والحاء والخاء مهملات"[١٩]	العين مع الغين والهاء والحاء والخاء	قرب المخرج
يقول الخليل:"الهاء والحاء لا تأتلفان في كلمة واحدة أصلية الحروف؛ لقرب مخرجيهما في الحلق، ولكنهما يجتمعان من كلمتين، لكل واحدة منهما معنى على حدة"[٢٠]	الهاء–الحاء	قرب المخرج
قال الخليل:" القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة إلا أن تكون الكلمة معربة من	القاف –الكاف	نفس المخرج

كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم"[٢١]		
وقوله في باب الشين والضاد"أهملت وجوههما مع ما يليهما من الحروف كلها"[٢٢]	الشبن–الضاد	قرب المخرج
وقوله:"الضاد والصاد لا يأتلفان في كلمة واحدة أصلية الحروف، ودليله: أنهم أوقعوا حروف الجمل في العواشر فقالوا: الصاد ستون والعين سبعون والفاء ثمانون والضاد تسعون، فهذا لفظ "صعفض" فلما أرادوا أن يتكلموا بها جعلوا بدل الضاد صلدا، لأنها لم يجريا على ألسنتهم في كلمة واحدة"[٢٣]	الضاد –الصاد	

إن ما طرحه الخليل في النصوص السابقة يبرهن أن تصوره لبناء الكلمة في اللسان العربي كان تصورا صوتيا رياضيا يؤمن بأن الكلمة لا تأتلف في حقيقتها من حروف وإنما أصوات وفي ذلك إلغاء للجانب الخطي في اللسان العربي واستحضار للخصائص الفيزيائية التي تحكم الجهاز النطقي، وما يزكي ذلك ما طرحه اللغويون بعده وما توصلت له النتائج المخبرية في مجال تحليل الأصوات، ويمكن أن نستحضر هنا نصا لبان جني يقول فيه:"واعلم أن أقل الحروف تألفا بلا فصل حروف الحلق، وهي ستة: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، فسبيل هذه الحروف متى اجتمع منها في كلمة اثنان أن يكون بينهما فصل...ويتلو حروف الحلق حروف أقصى اللسان، وهي القاف والكاف والجيم، وهذه لا تتجاوز البتة، لا تجد في الكلام نحو: قج ولا جق ولا كج ولا جك ولا قك وكق"[٢٤] ويضيف ابن جني في كتابه سر صناعة

الإعراب في قضية تأليف الجذور وبنائها:" وأحسن التأليف ما يبعد فيه بين الحروف فمتى تجاور مخرجا الحرفين فالقياس ألا يأتلفا"[٢٥]

يظهر من كلام ابن جني أن النسق المعجمي العربي يمنع التأليف بين الصوتيات ذات المخارج نفسها أو المخارج المتقاربة. وقد أشار أيضا إلى قيود التأليف التي تفرضها الحلقيات: ويستفاد من كلام ابن جني أنه

- لا تتجاوز الصوامت الحلقية في موقعين متتاليين.
- لا يمكن تجاور صامتين لهما المخرج نفسه
- لا تتجاوز الصوامت المتقاربة المخرج.

وقد ناقش أحمد بن فارس أيضا موضوع القيود التي تحكم بناء الجذور. ومنها ما أورده في الصاحبي في فقه اللغة"المهمل على ضربين؛ ضرب لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب البتة. وذلك كجيم تولف مع كاف، أو كاف تقدم جيم، وكعين مع غين... والضرب الآخر ما لا يجوز تأليف حروفه لكن العرب لم تقل به. وذلك كإرادة مريد أن يقول" عضخ" فهذا لا يجوز...ألا ترى أنهم قالوا في الأحرف الثلاثة خضع. لكن العرب لم تقل عضخ. فهذان ضربا المهمل."[٢٦] ومنه يمكن أن نؤكد أن"المهمل في مقابل المستعمل هو إذن شكل من أشكال التقابل اللغوي، إذ بالمهمل تظهر قيمة المستعمل وتحدد وظيفته في اللغة، وهذا التقابل على المستوى المعجمي قسيم لبقية التقابلات على مستوى الأصوات المجهور في مقابل المهموس...وقسيم للتقابلات على مستوى الصرف... وقسيم للتقابلات على مستوى النحو، كالتقابل بين المسند والمسند إليه والتقابل بين المرفوع والمنصوب والمجرور"[٢٧]

٢. مقاربة لسانية لإشكالية المهمل والمستعمل من الجذور في اللسان العربي:

إن كل لغة طبيعية تقوم على أساس صامتي يتكون من مواد لغوية غير دالة، وعدد هذه المواد محدود في اللغات البشرية فهو لا يتجاوز الخمسين مادة في بعض الألسن ولا يقل عن العشرين وحدة صوتية في بعضها، وهذه الوحدات الصوتية تعتبر أبجدية كل لغة، إلا أن هذه الأبجديات تختلف من حيث الجهاز النطقي المتحكم فيها، وما يحدد كل صوتية في لسان ما هو ما يميزها من سمات عن غيرها من الصوتيات خاصة إذا كانت تنتمي هذه الصوتيات للنسق نفسه؛ إذ نجد مثلا المجموعة الحنجرية والمجموعة الأسنانية والمجموعة الشفوية.

وما انتبه إليه الدرس اللساني اليوم في طريقة بناء الجذور العربية هو نفسه ما طرحه الخليل بن أحمد الفراهيدي في تبويبه لمعجمه، فإن كان قد اعتمد الأساس الصوتي في ترتيب مواده المعجمية بالاستناد على نظام التقاليب فإنه في الوقت نفسه نظَّر وقعد للمستوى الصوتي في اللسان العربي، خاصة وأنه طرح قضية المهمل والمستعمل من الجذور في هذا اللسان.

إن مفهوم الجذر في السامية يبنى على ثلاث مواقع صامتية فارغة من حيث الحركات، مثل (ك ت ب)، (د خ ل) في اللغة العربي؛ (ش م ع)،(ش ل م) في اللغة العبرية؛ (ص ب ت)، (ز ق ر) في الأكادية...إلخ. أما الحركات فلا تكون جزءا من الجذر، بل يلجأ إليها في حالات الإعراب وكذا حالات الاشتقاق حينما يفرغ الجذر في الصيغة التي يطلبها معنى معين" ويرى جوكوا أن مفهوم الجذر لا تظهر أهميته إلا في اللغات الاشتقاقية كاللغة العربية، أما اللغات التي لا تعرف الاشتقاق فإن الجذور تختلط فيها بالكلمات، ويذهب هذا الباحث إلى هناك إحساس لا شعوريا لدى أصحاب اللغات السامية بمفهوم الجذر، حتى عرفت اللغات السامية بـlangues à racines senties .

وقد كانت أول محاولة جادة للكشف عن القيود التأليفية لبناء الجذور في اللغات السامية هي تلك التي قام بها غريتبرغ ١٩٥٠ في مقالة له تحت عنوان "نماذج الصرفيات الجذرية في الساميات"، ثم ظهرت دراسات أخرى عالجت نفس الموضوع مثل مكارثي ١٩٨٥، ومرايتي ١٩٨٧، وقد اعتمد هذا الأخير على

حوالي ٧١٩٨ جذرا ثلاثيا من خمسة معاجم سامية، درس فيها تواردات الحلقيات في فاء الجذر وعينه، أو عينه ولامه، أو فائه ولامه.

ومن النتائج التي توصل إليها مراياتي عدم وجود أي جذر يتكون من حلقين + ساكن، حيث يكون الحلقيان متماثلين، وهذا يعني انه في اللغات السامية، وبالتالي في اللغة العربية، لا يمكن التأليف داخل نفس الجذر الثلاثي في مواقع محددة بين قطعات تنتمي إلى نفس المخرج أو إلى مخارج متقاربة.

يبدو أن هذا القيد التأليفي يستمد وجوده من مبدأ صواتي يسميه مكارثي ١٩٨٦ مبدأ المحيط الإجباري، وهذا المبدأ يمنع التأليف بين العناصر المتماثلة داخل نفس الجذر، ويشير مكارثي ١٩٨٦ إلى الاستثناءات التي يمكن أن تشكل أمثلة مضادة لهذا المبدأ ليست ذات أهمية قصوى بالمقارنة إلى الاطرادات التي يمكن أن للدارس الحصول عليها انطلاقا من هذا المبدأ الصواتي."[٢٨]، ويرى الفهري ١٩٨٦ أن من القضايا المطروحة في البحث المعجمي تحديد المفردات الممكنة أو غير الممكنة في اللغات الطبيعية بصفة عامة، والمفردات الممكنة أو غير الممكنة في لغة بعينها، وهذا يقتضي النظر إلى المحددات الممكنة للوحدات المعجمية صوتيا وصرفيا وتركيبيا ودلاليا على مستوى الكليات اللغوية، وكذا على مستوى الأنساق خاصة[٢٩]، وما يظهر من خلال النص السابق أنه يجب استنباط الجذور الممكنة في اللسان العربي والجذور غير الممكنة أو المستحيل تكوينها بناء على قواعد خاصة تحكم تكوين الجذور في اللسان العربي، ومن بين هذه القواعد مبدأ عدم التماثل ومبدأ عدم التجانس وهما قاعدتان نجدها عند الخليل حين حديثه عن المستعمل والمهمل في اللسان العربي، فكما سبق وبينا فإن الفراهيدي في مقدمته تحدث عن قاعدتين أساستين هما أساس بناء الجذور لكنه في الحقيقة لم يصرح بهما وإنما اكتفى بالتأكيد أن الجذور في اللسان العربي لا تتألف من صوامت لها نفس المخرج أو متقاربة المخارج، وهو ما توصل إليه علم الصواتة اليوم إذ تم اعتبار مبدأ عدم التماثل مبدأ أساسيا يمنع تأليف جذر من صامتين متماثلين على مستوى ج ١ و ج٢، لكنه يسمح بذلك على مستوى ج ٢ و ج ٣، وهو ما يفسر إمكانية توليد

الجذور الصماء ك"مدّ، مرّ، شدّ..."، ويفسر أيضا استحالة توليد جذور من قبيل" ت/ت/ق، ب/ب/ج، ع/ع/ف"، وفي حالة وجودها كمادة معجمية ضمن معطيات اللسان العربي فإننا يمكن أن نجزم بأنها غير عربية بل دخيلة عليه، وفي ذلك يقول الخليل:" القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة إلا أن تكون الكلمة معربة من كلام العجم، وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلف إلا بفصل لازم"[٣٠]

ومن المبادئ التي طرحها علم الصواتة مبدأ عدم التجانس وهو مبدأ يمنع تكوين جذر من صامتين من مخارج متقاربة سواء على مستوى ج ١ وج ٢ أو ج ٢ و ج ٣، ومنه يستحيل بناء جذر ك"خ/غ/س، س/غ/خ، ع/ح/س"، وهذا المبدأ يظهر من خلال قول الخليل:"إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما"[٣١]

ويمكن أن نطرح في هذا الصدد قضية التعالق في التفخيم في اللغة العربية فبناء على القانون الصواتي الذي يرفض التوليف بين صوامت تتقاسم سمة من السمات"وبناء على تعالق صوامت اللغة العربية في سمة من السمات يمكن أن ننقاش القرابة الأصواتية التي توجد بين القاف والكاف في اللغة العربية، قرابة تتمثل في عدم تواردهما في البناء الجذري للغة العربية مطلقا وفي جميع المواقع.

فغرينبرغ ١٩٥٠ يفسر عدم تواردهما في نفس الجذر في اللغة العربية بأن لهما نفس المخرج، أي أنهما حجابيان انفجاريان، ونفس التفسير نجده عند ماكرثي ١٩٨٩-١٩٩١-١٩٩٤ حيث ينسبهما إلى نفس العضو النطقي المتحرك، ولكن بعض الصواتيين فسروا القرابة الأصواتية القائمة بين القاف والكاف ليس على أساس الانتماء إلى نفس المخرج، وإنما على أساس التعالق في سمتي الجهر والتفخيم.

وبناء عليه فإننا ينبغي أن نضيف الزوج ق/ك إلى التعالق في التفخيم في اللغة العربية، وبما أن الصوامت التي تتعالق على مستوى سمة من السمات المميزة لا تأتلف فيما بينها في البناء الجذري للغة العربية، فهذا يعني أن عدم توارد صوامت ما في نفس الجذر لا ينبغي أن يفسر دائما في إطار الانتماء

لنفس المخرج كما هو وارد في النماذج الصواتية التقليدية والكلاسيكية، أو الانتماء إلى نفس العضو النطقي المتحرك، كما سنرى ذلك عند أصحاب النماذج الصواتية الهندسية، بل يمكن أن نفسر ذلك في إطار التعالق في سمة من السمات"[٣٢]

فالتاجيات المفخمة في اللسان العربي وهي " ص ظ ط" تعرف انقباض جذر اللسان، على خلال نظيرتها" س ض د" التي لا تشهد هذه الظاهرة، وبما أن التفخيم سمة فوق قطعية فإنه يمتد للصوامت غير المفخمة.

ومفهوم التعالق وبناء الجذور استنادا على خصائص صوامتها الصوتية نجده قد طرح عند العديد من اللسانيين الغربيين على اعتبار أن الجانب النطقي له تأثير مباشر على توليف الجذور، إذ اهتم نموذج هالي وستيفنس ١٩٧١ بهذا الجانب وكذلك أندرسون ١٩٨١، وكذلك في نموذج كليمنتس ١٩٨٥ ونموذج شاين وستريد ١٩٨٦ وكذلك مكارثي ١٩٨٨ ونموذج موريس هالي ١٩٩٥ الذي أكد من خلاله أن الصوتيات التي تحمل سمة [+ صامتي] هي التي تنتج في تجويف الفم بواسطة الأعضاء النطقية التي تحكمها عجرة الموضع، فهذه الصوتيات هي التي يمكن أن تتقابل على مستوى سمة من السمات الحرة، أما الصوتيات التي تنتج في تجويف الحلق بواسطة أعضاء نطقية مقل جذر الحلق أو الحنجرة، فلا يمكن أن تتقابل على مستوى أي سمة من السمات الحرة لأن من سماتها [– صامتي]"[٣٣].

يستفاد مما قدمناه سابقا أن ما انبنى عليه معجم الخليل بن أحمد الفراهيدي في نظام ترتيبه أساس علمي يستمد قوته من منطق اللسان العربي، إذ لاحظ وجود قيود صواتية في بناء الجذور في اللغة العربي وعلى الرغم من أن ما جاء به من ملاحظات وأفكار لا تخرج عن منطق الذوق لديه إلا أننا لا يمكن أن نضرب في صرامتها وقوتها ما يعلل ذلك ما طرح عند كل من جاكبسون وموريس هالي أندرسون.

الخاتمة:

يبدو أن العمل الفونولوجي وما طرحه من مبادئ ونظريات قد قدم نموذجا يُتصور به كيفية بناء الجذر في الألسن بصفة عامة وفي اللسان العربي بصفة خاصة، وهو ما علل وبرهن على صحة الفرضيات التي بنى من خلالها الخليل بن أحمد الفراهيدي معجمه، فإذا كانت تعتبر مقدمته عند البعض تتضمن ملاحظات أساسها الجانب الذوقي، فإن علم الصواتة اليوم أكد ما جاء به هذا للغوي، خاصة وأنه قدم عملا حصر كل الإمكانات الممكنة في توليف الجذور العربية وأدخلها في باب المستعمل، وعمل على البرهنة على إهمال بعض الجذور لكونها توليفات مستحيلة في اللسان العربي، فالتشابه الصوتي للقطع الصوتية لم يكن مجرد مدخل لتبويب المعجم وترتيبه بل كان عنصرا فاعلا في بيان المهمل والمستعمل من المواد اللغوية في اللسان العربي.

الهوامش:

[1]- البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، أحمد مختار عمر، ص ١٦١.[11]

[2]- البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص ١٦١.

[3]- البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص ٩٣.

[4]– نظرية الخليل، المعجمية، محمد يوسف حبلص، دار الثقافة العربية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢، ص ٣٠.

[5]– التفكير الصوتي عند الخليل، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٦١.

[6]– العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ١، ص ٥٢.

[7]– مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، دار النهضة العربية، بيروت، ص ١٣٣–١٣٤.

[8]– نظرية الخليل، المعجمية، محمد يوسف حبلص، دار الثقافة العربية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢، ص ٣١.

[9]– العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ١، ص ٥٩.

[10]– البحث اللغوي عند العرب، ص ١٧٩

[11]– العين، ج ١، ص ٦٠.

[12]– العين، ج ١، ص ٩٦.

[13]– البحث اللغوي عند العرب، ص ١٨٩.

[14]– الخصائص، ابن جني، ج ١، ص ٦٧.

[15]– الجمهرة، ابن دريد، ج ١، ص ٩.

[16]– الخصائص، ج ١، ص ٥٤.

[17]– سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ٢، ٨١٤.

[18]–العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ١، ص ٦٠.

[19]– العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ١، ص ٦١.

[20]– العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ٣، ص ٥.

[21]– العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ٥، ص ٣٢.

[22]– العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ٦، ص ٢٢٥.

[23]– العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ٧.

[24]– سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ٢، ص ٨١٢.

[25]– سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٨١٢.

[26]– الصاحبي في فقه اللغة، ص ٨٧.

[27]– نظرية الخليل المعجمية، ص ١٣٤.

[28]– بناء الجذر في المعجم العربي، محمد الوادي، ص ١٥١–١٥٢.

[29]– وقائع الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب، الفاسي الفهري ١٩٨٦، منشورات عكاظ، ١٩٨٧، ص ٣٥.

[30]– العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ٥، ص ٣٢.

[31]–العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ١، ص ٦٠.

[32]– الجذر الصواتي في اللغة العربية، محمد الوادي، ص ١٩٦.

[33]– بناء الجذر الصواتي في اللغة العربية، محمد الوادي، ص ٢٠٢.

لائحة المصادر والمراجع:

- البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ٦، ١٩٨٨م.
- بناء الجذر في المعجم العربي، محمد الوادي، رسالة دكتوراه بجامعة مولاي إسماعيل بمكناس، ٢٠٠٣م.
- التفكير الصوتي عند الخليل، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١، ١٩٨٨م.
- الجذر الصواتي في اللغة العربية، محمد الوادي، مجلة مقاربات لسانية، منشورات مختبر اللسانيات.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العالمية، بيروت–لبنان، الطبعة ٤، ٢٠٠٣م.

- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت –لبنان.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربي في كلامها، أحمد بن فارس، تحقيق مصطفى الشويهي، بيروت –لبنان.
- معجم العين العين، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق المهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس.
- معجم جمهرة، اللغة، ابن دريد، حيدر أباد الكشي، طبعة دائرة المعارف، ١٣٩٤هـ.
- معجم متن اللغة، دراسة في الشكل والمضمون في ضوء الصناعة المعجمية الحديثة، أيمن خالد مكيد شداد، جامعة اليرموك.
- مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، حلمي خليل، دار النهضة العربية، بيروت.
- نظرية الخليل، المعجمية، محمد يوسف حبلص، دار الثقافة العربية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢.
- وقائع الندوة الدولية الأولى لجمعية اللسانيات بالمغرب، الفاسي الفهري ١٩٨٦، منشورات عكاظ، ١٩٨٧.

في التذوق الجمالي لمعلقة النابغة الذُّبيانيّ

أ. م. د. أمل حسن طاهر/ جامعة واسط / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

المُلخص:

يقوم البحث على استنطاق معلقة خالدة من معلقات العرب الغنية بالمستويات الجمالية من خلال ما أشارت اليه دلالات الألفاظ ، وما أوحت به ظلال التراكيب التي سوّغت ولادتها وكينونة وجودها ، للدلالة على ارتباط مراحل النمو العميق للوحات المعلقة مع النمو العميق للجانب النفسي ، لتعطي هذا الترابط والتناسق والانسجام الذي لم يعدّ شكلا فنيا فحسب ، بل تكوينا فكريا وثقافيا قائما على درجة عالية من الإحساس ، والتكامل الهندسي للمعلقة ، وطريقة ابداعها ونفسها الشّعري المتوحِّد.

وقد استطاع النابغة بما يملكه من ذوق جمالي ، وقدرة فكرية أن يوظف المفردات لخلق صورٍ و معانٍ تحاكي التجربة الشعرية ، فضلا عما أشارت اليه دلالات الألوان في الهيئات المختلفة ، مما عكس الذوق الفني والأدبي للشاعر في اختياراته ليخلق جوا شاعريا مؤثرا، يوحي بتجربة فريدة ألقت بظلالها على النفس فكانت اللغة وسيلة لتجسيد تلك الأحاسيس والاضطرابات المتشعبة.

يستند البحث الى المنهج النفسي لبيان أهمية الملفوظات بوصفها جزءا أساسيا في تشكيل بنية المعلقة وصورها، وتصارع الافكار فيها نتيجة القلق والتوتر والمعاناة النفسية ، فضلا عن فاعلية تلك الملفوظات في الترابط الوظيفي بين ما يريد المتكلم أن يدلّ عليه ، وبين ما يفهمه المتلقي من الملفوظ ، فهي خاضعة لعمليات نفسية تعتمد الفكرة التي يحاول العقل إبرازها عندما تصبح الكلمات علامات ذات دلالات مختلفة نتيجة التداعي الفكري الذي تفرزه ثقافة الشُّاعر ، وانفعالاته تجاه اشكاليات الذات المتناقضة وصولا إلى معالم جديدة للحياة ضمن اطار متداول بين المبدع ومتلقيه .

فكانت لوحة الطلل ثم وصف الناقة والانتقال الى لوحة الصراع والعبور الى المديح كلها وسائل دلالية لحالات تشظي الذات، ومحاولة لاستحضار الارادة والكفاح بغية تشكيل معالم لحياة أفضل .و يهدف البحث الى اضاءة المظاهر الجمالية التي عبّر عنها الشاعر ،ومحاولة تأويلها ضمن سياقاتها الفنية اعتمادا على التجربة التي تحكم نسيج النص ودلالاته ، وقد أسعفت اللغة الشُّاعر كثيرا من خلال قدرتها على استيعاب

تجليات العوالم الداخلية والخارجية المختلفة ، وفتحت الافاق أمامه من أجل تنظيم اختياراته النفسية في وحدة شكلية ظاهرة، وذلك عَبر الانتقال الى فكر الغاية الذي يعدّ جوهرا لعملية الخلق والابداع .

الكلمات المفتاحية :

(التذوق الجمالي ، معلقة النابغة الذبياني ،رموز القوة ،فاعلية الموروث)

In the aesthetic taste of the suspension of Al-Nabigha Al-Dhabyani

Dr. Amal Hassan Taher

Wasit University / College of Arts / Department of Arabic Language

Summar

The research is based on interrogating an immortal hanging from the Arab pendants, rich in aesthetic levels through what the semantics of words indicated, and what the shadows of the compositions that justified their birth and the being of their existence suggested, to indicate the correlation of the deep growth stages of the hanging paintings with the deep growth of the psychological side, to give this coherence, harmony and harmony. Which is not considered an artistic form only, but an intellectual and cultural formation based on a high degree of sense, the geometric integration of the commentator, the method of its creativity, and its unified poetic self .

With his aesthetic taste and intellectual ability, the brilliant man was able to employ the vocabulary to create images and meanings that simulate the poetic experience, in addition to what the semantics of colors indicated in the various bodies, which reflected the artistic and literary taste of the poet in his choices to create an influential poetic atmosphere, suggesting a unique experience that cast a shadow on the soul Language was a means of embodying these complex feelings and disturbances .

The research relied on the structural approach to demonstrate the importance of the archives as an essential part in the formation of the poem's structure and images, and the struggles of ideas in it as a result of anxiety, tension and psychological suffering, as well as the effectiveness of these pronouncements in the functional interconnection between what the speaker wants to indicate and what the recipient understands from the uttered. Psychological processes depend on the idea that the mind is trying to project when words become signs with different connotations. This is the result of the intellectual association produced by the poet's culture, and his emotions towards the contradictory problems of the self, reaching new milestones for life within a rolling framework between the creator and his recipient .

So the painting of the hero, then the description of the camel and the transition to the panel of conflict and crossing over to praise were all indicative means of cases of self-fragmentation, and an attempt to evoke will and struggle in order to form milestones for a better life. The research aims to illuminate the aesthetic and constructive aspects expressed by the poet, and try to interpret them within their artistic contexts, depending on the experience that governs the texture of the text and its connotations. The language has helped the poet a lot through its ability to understand the manifestations of the various internal and external worlds, and it opened the horizons before him in order to organize his psychological choices in An apparent formal unity, through the transition to the idea of purpose, which is the essence of the process of creation and creativity.

key words :

(Aesthetic Tasting, Al-Nabiga Al-Dhubyani's Muallaqa, Symbols of Strength, Effectiveness of the Legacy)

المقدّمة:

الشّعر ديوان العرب، والمُثقِّف لأخبارهم وأيامهم وحكمهم وسائر فضائلهم، وأهل الشّعر أصحاب ملكة شعرية لا يُضاهيهم فيها أحد، وهم أقدر النّاس على تأليف الكلام وتوليفه، وتَعدّد صياغته، وتنويع أساليبه ووسائله.

النابغة الذُّبياني من أهم وأبرز شعراء الجاهليّة، فضلاً عن منزلته النقدية التي جعلته يتبوء منصة الحكم على النصوص، ومهارته اللغوية والفنية التي منحته القدرة على التشكيل الشّعري الذي مثَّل صدى الحياة العربية بجوانبها الاجتماعية، والأخلاقية، والدينية.

وقد وظَّف النابغة معلقته توظيفاً بارعاً من حيث الأساليب الفنيّة والجمالية، فاختصّت كلُّ لوحة من لوحاتها بحسٍّ جماليٍّ خالصٍ وفريدٍ يحاكي الأغوارَ البعيدة للذات، ليعكس حجم المعاناة التي يُكابدها، ويُشير إلى مجموعة من الرغبات والأحلام التي يأمل تحقيقها من خلال دلالات الألفاظ وما يجاورها من الصور الخاضعة للتأويل ضمن سياقاتها اللغوية.

- بعث الماضي والانهزام من الحاضر

يقول النابغة الذُّبياني في معلقته:

يا دَارَ مَيَّةَ بالعَلْيَاءِ فالسَّنَـدِ ... أَقْوَتْ وطَالَ عَلَيهَا سَالِفُ الأَبَـدِ
وقَفتُ فِيهَا أُصَيلاناً أُسائِلُها ... عَيَّتْ جَوَاباً ومَا بالرَّبعِ مِنْ أَحَـدِ
إلاَّ الأُوارِيَّ لأيـاً مَا أُبَيِّنُهَا ... والنُّؤيُ كَالحَوْضِ بالمَظلومةِ الجَلَدِ
رَدَّتْ عَلَيهِ أقَاصِيهِ ولبّـده ... ضَربُ الوَلِيدَةِ بالمِسحَاةِ فِي الثَّأَدِ
خَلَّتْ سَبِيلَ أَتِيٍّ كَانَ يَحْبِسُهُ ... ورفَّعَتْهُ إلى السَّجْفَيـنِ فالنَّضَـدِ
أمْسَتْ خَلاءً وأَمسَى أَهلُهَا احْتَمَلُوا ... أَخْنَى عَليهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ[1]

تُعدُّ اللحظة الطللية عند الشاعر الجاهلي نقطة تلتقي عندها ثلاث علائق انسانية، الأولى علاقة الانسان ببيئته، والثانية علاقته بالزمن (الماضي منه) ،والثالثة علاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه، ويتبادل معه لحظاته الجميلة. فالطلل كلُّ شيءٍ بالنسبة للجاهلي، وجوده وذاته وماضيه وحاضره.

وعليه يمكننا القول: إنَّ مناداة الشاعر لذلك الطلل لم يكن محض الاعتباط، بل إشارة إلى توترات نفسية بين الماضي والحاضر. فقد عكست الألفاظ (أقوت، طال عليها، وقفت، أُسائلها) لحظة تأمل الشاعر لممارسات فاعلية الزمن على الوجود الانساني للإشارة إلى حالة من السلبية تجول في فكره، وهذا في الألفاظ (مظلومة، أمسى، أمست)، فضلاً عما أضفته لفظة (أُصيلاناً) من دلالات السوداوية، فقد أشارت إلى " برهة تُشارف فيها الشمس على الانطفاء، مما يوحي بأفول الاشياء "[٢] ، ويطغى على الطلل صورة من التعدي والانتهاك والتغيير، مما حدا بالشاعر إلى محاولة بعث الحياة من خلال صورة الوليدة ومحاولتها حماية بيتها من ارتفاع الماء وعدم مقاومة النؤي لضعفه، فقامت بتسهيل مسلكه لينتشر ويتجاوز البيت، فكان صنيع الوليدة هو صنيع النابغة في سعيه ومحاولته حماية نفسه من ذلك السيل العارم (غضب، النعمان) فتؤول تلك المحاولات إلى الشعور بالخوف والقلق؛ لأنَّ النهاية جليّة واضحة (فعل الدهر في التدمير)، وهي رؤى في اللاشعور الجمعي والثقافي لتأكيد معنى الفناء الذي لا ينجو منه شيء.

تكمن جماليات الطلل في اشارته إلى لحظتين متناقضتين وظفتا لخدمة التجربة الشعرية، وهما الماضي المشرق، والحاضر المعتم الذي اقترن بالسلب في الألفاظ (عيّتْ جواباً، ما بالربع من أحدٍ، ما ابينّها، احتملوا) فضلاً عن التكرار في (أخنى) لتأكيد دلالات الهدم والفناء، أما الألفاظ (خلّتْ سبيل، ردَّت عليه) ففيها اشارة إلى محاولات التجاوز والعفو من خلال عودة الحياة السابقة المشرقة في ظل النعمان، واخلاء سبيل الشاعر بالصُّفح عنه.

- **محاولات التعويض (رموز القوة):**

انتهت محاولات النابغة في لوحة الطلل إلى الانهزام (انهزام الذات أمام قوة الاخر)، فلم يكن له سبيل إلّا العودة إلى صحرائه كمحاولة للتعويض ووسيلة " للضرب في مجاهل الصحراء برحلة تعيد اليه التوازن وتُهيء أمامه المنافذ التي يطل بها على واقع حياة لا سبيل لإدامتها والحرص عليها إلاّ بمواجهة الصعاب، وقهر المخاطر "[٣]، إذ يقول:

فَعَدِّ عَمَّا تَرَى إِذْ لاَ ارتِجَاعَ لَهُ وانْمِ القُتُودَ عَلَى عَيْرانَةٍ أُجُدِ

مَقذوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحضِ، بَازِلُهَا لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ القَعْوِ بالمَسَدِ(٤)

تبرز جماليات النص فيما اختاره الشاعر من ممكنات نصية متمثلاً بقوله:(فعدِّ عما ترى)، كوسيلة للعبور نحو محاكاة العالم الخارجي عبر الانطلاق من مناجاة الذات، وتُعدّ هذه الممكنات " لوناً من إيثار الصمت عن أمر، والأخذ في أمر آخر "(٥). وكأن الشاعر يأمر الذات بتجاوز ذلك التهدّم والتشتت، والالتحاق بعناصر تُضفي البهجة وتُضيء الحياة من جديد، فكانت الناقة " رمزاً للإنسان الفاني والدهر الباقي معاً، كما أنَّها في الوقت نفسه رمز على الانسان القوي الذي يتعرض لنوازل الغيب "(٦).

وهكذا تغدو الناقة جسراً لفظياً آخر يُوظفه النابغة لبلوغ أهدافه، لا سيما بعد أنْ منحها تلك الصفات التي تدل على قوتها ونشاطها وسرعتها الفائقة التي توازي سرعة الشاعر في محاولة التجاوز والعبور لما فيه تجديد واشراقة للحياة بُغية تحقيق الغرض.

صراع الذات مع الآخر:

وبعد أن منح الناقة الصفات المبتغاة جعلها معرَّضة للدخول في صراعٍ مصيري مع الثور، إذ يقول:

كَأَنَّ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا يَومَ الجليلِ عَلَى مُستأنِسٍ وحَدِ

مِنْ وَحشِ وَجْرَةَ، مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ طَاوِي المَصِيرِ كَسَيفِ الصَّيقَلِ الفَرِدِ (٧)

يتخذ الشاعر من (الثور) جسراً ثالثاً في بنية متكاملة يُكمل اللاحق منها السابق، ويضفي على الثور صفات البياض والقوة، في قوله: (كسيف الصيقل)، أما دلالات الخوف فيعكسها، قوله:(مستأنس)؛ لأنّ ذلك الثور يخاف الأنيس (الصياد)، لتفرده في المكان.

وقد وصف النابغة تفاصيل خاصة بهيئة الثور، كقوله: (موشيٍّ أُكارعه، وطاوي المصير) للدلالة على اختلاف صورة النقط التي كانت على القوائم في الأولى، وقلة شربه الماء في الثانية، وهذا فيما يتعلق بهيئته الخارجية، أما حالته النفسية فيحاول عرضها وتصويرها، بقوله: –

أسَرتْ عَلَيهِ مِنَ الجَوزَاءِ سَارِيَةٌ تُزجِي الشَّمالُ عَلَيهِ جَامِدَ البَرَدِ (٨)

فقد بدأ يتهيأ للدخول في الصراع بعد أنْ أوجد الشاعر أسبابه (المطر)، وهو في ذلك يقع تحت وطأة سبب الصراع الاوّل، وبعد أنْ نفذ منها تهيأ للدخول في ذروة الصراع الثاني الذي يضعه في مواجهة قاسية وصعبة مع الحياة (الصّياد وكلابه).

فَارتَاعَ مِنْ صَوتِ كَلاَّبٍ فَبَاتَ لَهُ ... طَوعَ الشَّوَامتِ مِنْ خَوفٍ ومِنْ صَرَدِ
فبَثَّهُنَّ عَلَيهِ واستَمَرَّ بِهِ ... صُمْعُ الكُعُوبِ بَرِينَاتٍ مِنَ الحَرَدِ
وكَانَ ضُمْرانُ مِنهُ حَيثُ يُوزِعُهُ ... طَعْنَ المُعارِكِ عِندَ المُحْجَرِ النَّجُدِ
شَكَّ الفَريصةَ بالمِدْرَى فَأنفَذَهَا ... طَعْنَ المُبَيطِرِ إِذْ يَشفِي مِنَ العَضَدِ
كَأَنَّه خَارِجًا مِنْ جَنبِ صَفْحَتِهِ ... سَفّودُ شَرْبٍ نَسُوهُ عِندَ مُفْتَأَدِ
فَظَلّ يَعْجُمُ أَعلَى الرَّوْقِ مُنقبضاً ... فِي حالِكِ اللّونِ صَدْقٍ غَيرِ ذِي أَوَدِ[٩]

تدل (ارتاع) على الرعب وشدة البأس في بلوغ النجاة بعد أن سمع صوت (كلاب الصيد)، لذلك يبرز نشاطه وسرعته وحركته للهروب بعيداً، فالسرعة والحركة هي وسيلة للنجاة من تلك المطاردة، ثمَّ يدخل الآن في صراع مع الكلاب الضارية فتتجلى قوته في الدفاع عن النفس بكلّ ما عنده من قوة وشدة. حتّى يبلغ مراده بتلك الطعنة العظيمة التي أحدثها في (ضمران)، وقد عكست تلك الطعنة رغبة الثور في التخلص من كلاب الصيد من جهة، ومن الصياد الذي غادر دون أن يكسب شيئا من جهة أخرى.

وقد استطاع النابغة أن يضعنا أمام تصوير سينمائي ومشاهد تخيلية؛ لأنَّ استعماله لتلك الأوصاف والتشبيهات لم يكن من أجل التقليد الفني لحشد صور من المحسوسات فحسب، بل " يقصد بها تمثيل تصوّر ذهني معيّن له دلالته وقيمته الشعورية " [١٠]. ومن الجماليات التي عكستها لوحة الصراع أنَّنا نستشعر بما يدل على الألم والمعاناة، وذلك في قوله: (ظل يعجم أعلى الرّوق منقبضاً)، فضلاً عما نلحظه في قوله: (طعن المعارك، طعن المبيطر، شك الفريصة، خارجاً من جنب صفحته، حالك اللون)، فقد حملت دلالات الغدر والسوداوية التي ظل الثور يكافح من أجل مواجهتها، فالثور رمز لذات النابغة، وما ينطوي عليها في سعيها ومقاومتها وتغلبها على الصّعاب، أمّا الكلاب فهي رمز

للوشاة الذين تسببوا بالقطيعة بين الشاعر وسيده النعمان بن المنذر، فكانت سلوكيات الثور تشابه سلوكيات الشاعر من خلال خلق الانسجام بين المشاهد والصور في بؤرها الشعرية.

وقد وضع النابغة نهاية ذلك الصراع بحديث النفس وهو خلاصة لوحة الصراع، وانتصار ذات الشاعر أمام الآخر(العدو والوشاة).

- **فاعلية مثالية:**

يبعث النابغة رسالته ومبتغاه للنعمان بعد المحاولات التي وضعها لعودة الحياة من جديد، وعدم الاستسلام، بل ضرورة المكافحة والتصدي ، من خلال قوله:

تِلكَ تُبْلِغُنِي النُّعمَانَ إنَّ لهُ فَضلاً عَلَى النَّاس فِي الأَدنَى وفِي البَعَدِ

ويستعمل جسراً لفظياً آخرَ لبلوغ النعمان، وهو قوله :(فتلك)، إشارة إلى الترتيب الذهني الذي كان يسيطر على أفكار الشاعر أثناء التعبير عن مدلولاتها لتظل أجزاء اللوحات متحدة من الداخل، ومتفقة ومتداخلة إلى جانب الاطار العام الذي ينظمها في شكلها الخارجي [١١].

ولاَ أَرَى فَاعِلاً، فِي النَّاسِ، يُشبِهُهُ وَلاَ أُحَاشِي مِنَ الأَقوَامِ مِنْ أَحَـــدِ

إلاَّ سُلَيـمَانَ إذْ قَالَ الإلـهُ لَـــهُ قُمْ فِي البَرِيَّة فَاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَـدِ

ينفي النابغة أن يكون لممدوحه شبهاً بين الناس، ويتجلى في قوله (فاعلاً) الذي يقوم بالفعل، وأي فعل قدمه النعمان للنابغة ؟ أنَّه الكرم والعطاء وهي صفة وقيمة طالما نالت حظاً وافرا عند الشعراء، ذلك أنّ " القيم التي يدين بها أيّ مجتمع إنَّما هي تعبير عن حياة ذلك المجتمع " [١٢]، ولا شك في أنَّ الكرم إحدى أجلّ القيم الانسانية التي رافقت ذات الإنسان العربي، وشكلت رمزاً لمجموعة من القيم الإيجابية كالعطاء، والوفاء وعدم نكران الجميل، والعطاء أكثر معاني الكرم وأشهرها في ذلك العصر، نظراً لطبيعة الظروف القاسية في تلك المدة الزمنية، ولعلّ هذا ما يوقعنا على أجمل المعاني الدلالية للكرم التي وظَّفها النابغة للعبور من تلك الحياة القاسية التي اقتسمها بصراع مع صيّادٍ وكلابه، وهو واقع بائس وحزين إلى بؤرة من الأمل والضياء تلمّسها في أفعال ممدوحه، فالشعور بالبؤس أنشأ إحساس الحاجة لعطاء الآخر وضيافته.

وقد قُورنت صورة الكرم بتحدي بواعث الموت والهلاك التي طالعناها في لوحة الصراع ولوحة الطلل الذي تهدم واضمحل، ليدلَّ على أنَّ الانتقال إلى لوحة الآخر (الممدوح) قائمة على الفعل

الانساني المأمول لدى الشاعر، الذي أحال إليه الفكر، فلم يكن اعتباطاً بل كانت غاياته أعمق وأبعد.

أَعطَى لِفَارِهَةٍ حُلوٍ تَوابِعُـــهَا ... مِنَ المَواهِـــبِ لاَ تُعْطَى عَلَى نَكَدِ

الوَاهِبُ المَائَةَ المِعْكَاءِ زَيَّنَـهَا ... سَعدَانُ تُوضِحَ فِي أَوبَـــــارِهَا اللِّبَدِ

والأُدمَ قَدْ خُيِّسَتْ فُتلاً مَرافِقُهَا ... مَشْدُودَةً بِرِحَـــــالِ الحِيرةِ الجُـــدُدِ

والرَّاكِضاتِ ذُيولَ الرّيْطِ فانَقَهَا ... بَرْدُ الهَوَاجِـــرِ كالغِـــزْلاَنِ بالجَـــرَدِ

والخَيلَ تَمزَعُ غَرباً فِي أعِنَّتِهَا ... كالطَّيرِ تَنجو مِنْ الشّؤبوبِ ذِي البَرَدِ(١٣)

يسرد النابغة تلك العطايا التي تدل على كرم النعمان وسخائه، فهو لا يمنح الّا الجواد من الخيل، والكريمة من النوق والمتنعمات من الجواري، وقد قدَّمها بصورٍ تشبيهية قائمة على " الربط بين الجوانب الحسية للتصوير والقدرة على نقل جزئيات العالم الخارجي وإعادة تمثيل مشاهده في ذهن المتلقي " (١٤).

أبدع النابغة في قوله: (كالطير تنجو من الشؤبوب ذو البرد) إذ شبَّه سرعة الخيل بهروب الطير إذا أصابها مطر شديد في يوم بارد، فحركة الطير، وإسراع الخيل لها دلالاتها في الذهن، إذ أنَّها تُشير إلى محاولة الحصول على المأوى الذي يقيها من ظروف الجو ومأساة الواقع، ولعلها تلك اللحظة التي رافقته عندما بدأت الألفاظ تجول في ذهنه وتتصارع مع الواقع.

فَمَن أَطَاعَكَ فانْفَعْهُ بِطَاعَتِهِ ... كَمَا أَطَاعَكَ وادلُلْهُ عَلَى الرَّشَـــدِ

وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقَبَةً ... تَنهَى الظَّلُومَ وَلاَ تَقعُدْ عَلَى ضَمَدِ

يزاوج النابغة بين الطاعة والمعصية ويقرنها بفعلي الخير والشّر؛ لأنَّ الطاعة تقوم على النفع، والمعصية تقوم على المعاقبة، والفاعلية في الفعلين تخص النعمان لامتلاكه القوة الفعلية المتسلطة والمتحكمة في الأمور. والصورة قائمة على لوحتين متضادتين ،الأولى: قائمة على الخير المرجو والصّفح المأمول، والثانية: قائمة على الشّر الذي يلحق الأعداء. وتدل جمالية هذا التصوير على قدرة النابغة كصانع ومؤثر في الآخرين، يستعين في صناعته بوسائل تصويرية، تعمل على تقدم المعنى تقديماً حسياً، وهذا العمل يشبه عمل الرّسام الذي يأخذ على عاتقه التفنن في طرائق تقديم الصور وما يتصل بها .

- **فاعلية الموروث:-**

يقوم الابداع على استعدادات موروثة تعمل البيئة الذاتية على تنميتها وتصاعدها في سياقات معروفة، لتمثل حالة امتزاج بين استعدادات فردية وعوامل بيئية خاصة [١٥]، وقد وظف النابغة تلك الموروثات الثقافية من أجل اسناد جمالية الصورة في الاستثناء إلى فاعلية الممدوح في منع الخطأ في القول أو الفعل، ودوره في الإصلاح والاجتهاد والإرشاد، إذ يقول:

إلاَّ سُليمَــانَ إذْ قَــالَ الإلـهُ لَـهُ قُمْ فِي البَرِيَّة فَاحْدُدْهَا عَنِ الفَنَدِ
وخيّسِ الجِنّ إنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفّــاحِ والعَمَــدِ

حشد النابغة صوره بطريقة منظمة، إذ انتهت هذه الصورة إلى قاعدة موروثه في رجاحة العقل، وحسن تدبير الأمور. فالكلمات انطباعات تجول في ذهن المتكلم والمستمع على السواء، محدثة ألواناً مختلفة، باختلاف ظروف الحياة نفسها، وهذا ما تجده في قوله:

احكُمْ كَحُكمِ فَتاةِ الحَيِّ إذْ نظرَتْ إلى حَمَــامِ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَــدِ
يَحُفّــهُ جَانِبا نِيــقٍ وتُتْبِعُــهُ مِثلَ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكحَلْ مِنَ الرَّمَدِ
قَالَتْ: أَلاَ لَيْتَمَا هَذا الحَمَامُ لَنَا إلى حَمَامَـتِنَا ونِصفُــهُ فَقَــدِ
فَحَسَّبوهُ فألْفُوهُ كَمَــا حَسَبَتْ تِسعاً وتِسعِينَ لَمْ تَنقُصْ ولَمْ تَزِدِ
فَكَمَّلَتْ مَائَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا وأَسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذَلكَ العَدَدِ[١٦]

إنّ الهدف من خلال الصورة التي ذكرها هو حث النعمان على العدالة في الحكم، وفي هذا دليل على ثقافة النابغة وتوظيفه الموروث للعبرة والموعظة، ليُشكل جانباً من جوانب الحياة الفكرية في ذلك العصر. وتكمن جماليات الصورة التي وظفها النابغة في تفحّص الأمور واختيار الصائب منها بعين صافية خالية من الرّمد، للدلالة على ازالة كلّ ما من شأنه عرقلة النظر السليم، والتمعن في رؤية صحيحة للأمور.

ويعود النابغة إلى تصوير ضيق المكان وقلة سعته، في قوله:

يَحُفّهُ جَانِبا نِيقٍ وتُتْبِعُهُ مِثلَ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكحَلْ مِنَ الرَّمَدِ

فالحمام بين حافتي جبل، مما كان سبباً في أنْ يضيق عليه الموضع. وهو إشارة إلى ذات الشاعر المأزمة والمحاصرة بواقع تعيس بعد الابتعاد عن النعمان، إذ إنَّ ذات الشاعر ذات تأملية تراقب الواقع وتلتقط منه ما يلاءم طبيعتها، ويتفق مع تجربتها الشعرية.

ولا يمكن للقيمة التعبيرية أنْ تتحقق الّا من خلال " التنافذ الكلي في المرحلة الساكنة (النص) إلى المرحلة النشطة (القراءة) فتغدو تلك القيمة رمزاً لنشاط الانصهار الكلي لما يقدمه الوعي "[١٧]. فعلى الرغم من اختلاط المفاهيم الدينية وتداخلها عند عرب الجاهلية، إلّا أنَّهم توحدوا في تقديس الكعبة ،كما أجمعوا على الحج، وما يتبعه من طواف وتلبية وإحرام، ونحر الاضاحي، والتمسح بأركان الكعبة [١٨]. لذا نجد النابغة يتخذ من أركان الكعبة ملاذاً لروحه القلقة، إذ يقول:

فَلا لَعمرُ الَّذِي مَسَّحتُ كَعْبَتَهُ ... وَمَا هُرِيقَ عَلَى الأَنصَابِ مِنْ جَسَدِ
والمؤمنِ العَائِذَاتِ الطَّيرَ تَمسَحُهَا ... رُكبَانُ مَكَّةَ بَينَ الغَيْلِ والسَّعَـدِ
مَا قُلتُ مِنْ سيّءٍ مِمّا أُتيتَ بِهِ ... إذاً فَلاَ رفَعَتْ سَوطِي إلَيَّ يَدِي
إلاَّ مَقَالَـةَ أَقوَامٍ شَقِيـتُ بِهَـا ... كَانَتْ مقَالَتُهُمْ قَرْعاً عَلَى الكَبِدِ[١٩]

أضفى قدسية المكان في محاولته بناء الانموذج الانساني المتكامل للممدوح، فمثلما الكعبة هي ملاذ للناس بطبيعتها الدينية، كذلك النعمان هو ملاذ النابغة وكسب التقرب اليه ورضاه منتهى غاياته وأهدافه. فيستعمل القسم الديني المتداول وسيلة لإضفاء التجسيد على الصورة، ومنحها الحيوية والقدسية. وعليه يكون البحث عن المكان الآمن المستقر باعثاً للتشكيل الصوريّ المتقدم، وهذا في قوله: " المؤمن العائذات"، وما أعظم غضب النعمان على النابغة، وتأثيره في نفسه فقد وصف ذلك الفعل في قوله: (قرعاً على الكبد)، للدلالة على شدة الأمر وهتكه للذات، وأثره في تشتتها وقلقها.

وتبقى الذات الشاعرة في حالة من عدم الاستقرار وعدم الاطمئنان، اذ يقول:

أُنْبِئْتُ أنَّ أبَا قَابُـوسَ أوْعَدَنِي ... وَلاَ قَرَارَ عَلَى زَأرٍ مِنَ الأسَـدِ
مَـهْلاً فِدَاءً لَكَ الأَقوَامُ كُلّهُـمُ ... وَمَا أُثَمِّرُ مِنْ مَالٍ ومِنْ وَلَـدِ
لاَ تَقْذِفَنّـي بُرُكْنٍ لاَ كِفَاءَ لَـهُ ... وإنْ تأثّفَـكَ الأَعدَاء بالرِّفَـدِ
فَمَا الفُراتُ إذَا هَبَّ الرِّيَـاحُ لَهُ ... تَرمِى غَوارِبُه العِبْرَينِ بالزَّبَـدِ

يَمُدّهُ كُـلُّ وَادٍ مُتْـــرَعٍ لجِـبٍ فِيهِ رِكَامٌ مِنَ الينبُوتِ والخَضَدِ
يَظَلُّ مِنْ خَوفِهِ المَلاَّحُ مُعتَصِماً بالخَيزُرانَة بَعْدَ الأينِ والنَّجَــدِ
يَوماً بأجوَدَ مِنهُ سَيْبَ نافِلَـــةٍ وَلاَ يَحُولُ عَطاءُ اليَومِ دُونَ غَــدِ
هَذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسمَعْ بِهِ حَسَناً فَلَمْ أُعرِّضْ أَبَيتَ اللَّعنَ بالصَّفَــدِ
هَا إنَّ ذِي عِذرَةٌ إلاَّ تَكُنْ نَفَعَتْ فَإِنَّ صَاحِبَها مُشَــارِكُ النَّكَــدِ(٢٠)

التريث والتمهل أولى السلوكيات التي يسعى النابغة للإشارة إليها في إصدار الحكم عليه من قبل النعمان؛ لأنَّ إصدار الحكم السلبي يقضي على الشاعر ويجعله غير قادر على المواجهة لضعفه اولاً، ولخوفه وقلقه ثانياً، وذلك في قوله: (ولا قرار على زأر من الأسد). يقدم النابغة إنموذجا للإنسان القادر على فعل الشيء ونقيضه، ومن هنا تبدو المقابلة أداة فنية يجسد بها التناقض الماثل في الكون بين المجتمع الإنساني من جهة ،ومخاوف النفس الإنسانية من جهة أخرى، فالمقابلة تدخل في صميم بناء الشاعر لإنموّذجه الجمالي أثناء عملية الابداع .

وتبرز المقابلة في الصورة التي جسدها بين النعمان والفرات إذا هبّت عليه الرّياح، فالزّبد ينفع ما يقع على جانبي الفرات ، وينشر الحياة والخصب من جديد، فيُزهر النبات ويَعُم الخير، وذلك في قوله: (يمدُّه، مترِع، هبّ)

ويتخذ الشاعر من إنموذج الممدوح بعدين أساسيين:الاول: ما يرتبط بالصفات والافعال المألوفة، والثاني: ما يرتبط بالأفعال الخارقة التي تُشير إلى دلالات عميقة خاصة برؤية الشاعر وموقفه في لحظة الابداع، وتلك صورة المقابلة التي نلحظها في قوله:

يَظَلُّ مِنْ خَوفِهِ المَلاَّحُ مُعتَصِماً بالخَيزُرانَة بَعْدَ الأينِ والنَّجَدِ

فالخوف حالة شعورية تنتاب الملّاح نظراً للتغير الذي يُصيب الأمواج جرّاء سرعة الرّياح حتى أنَّه يتخذ من الخيزرانة وسيلة لإمساك الطرفين والسيطرة عليهما. وتلك الحالة الشعورية التي يمكننا أنْ نعدّها باعثاً لتجربة النابغة الشعرية وسبباً أساساً لإبداع هذه المعلقة. إنَّ بث الهلع والخوف في النفس جرّاء التهديد والوعيد من قبل النعمان كان سبباً في بحث النابغة عن وسائل مختلفة (أسلوبية وفنية وجمالية) يقدم بها ابداعه، ويمنحه القدرة على التأثير والإقناع؛ لذا يختم عمله بالاعتذار جهراً في قوله (عذرة)،

وأنه بريء مما نسب اليه، وأنه يأمل العطاء في قوله: (الصفد)، والمغفرة في قوله (مشارك النكد) للدلالة على أنَّ عدم العفو عنه يوقعه في العسر والضيق.

الخاتمة :

- كان خوف النابغة من النعمان تجسيداً لخوف الذات من عدم حصولها على المكان الآمن المستقر في بيئة قاسية.
- اللغة وسيلة الشاعر في الخوض في شتى المقاصد، والأحاسيس التي تنوعت بين البوح واللابوح؛ لذا فاللغة الشّعرية ركن أساس من أركان المعلقة منحتها جمالية التنوع في اللوحات من خلال انصهار الذات .
- استعمل الألفاظ المحكمة في دلالاتها، والعميقة في مقاصدها.
- الميل إلى توظيف الممكنات النصية المتمثلة بـ (عدَّ عما ترى، فتلك) فضلاً عن العبور من لوحة إلى أخرى بما يتلائم مع طبيعة الحالة الشعورية التي ترافق لحظة الإبداع، مما أسهم في إضفاء سمات الجمالية على كل لوحة من اللوحات.
- للصورة الجمالية دور رئيس في التشكيل الشّعريّ الذي تكونت منه بيئة المعلقة.
- اعتمد النابغة كثيراً على تمثلات الموروث سواء كانت تاريخياً أو دينيا أو ثقافياً ووظفها لخدمة الأهداف الذاتية ،مما جعل المعلقة تُحفّز التفاعل بين المبدع والمتلقي، وتكشف عن الكيفيات التي يحدث بها العالم الشعري (الوعي الشعري)حدوثا جماليا عندما يغدو ذلك العالم اطارا للذات الشعرية ،وامتدادا للجمال الشعري .
- مثّلت الرموز في المعلقة قوة الذات وصلابتها في المواجهة مثل (الناقة)، واعتمد رمز الثور ليعكس حالة من الصراع بين الفناء ومحاولات التمسك بالحياة، فهو رمز مرتبط بالذات الشاعرة، أما الطلل فجاء رمزاً لتهدم المكان وتغييره وتشتته بعد مغادرة أهله وأصحابه.

- المعلقة تعالج غرضي المديح والاعتذار لشخصية عظيمة لها فاعليتها في المجتمع، من أجل نيل الرضا والعفو والصفح، وهي أهداف الشّاعر لتحقيق حياة أفضل، والتطلّع إلى الاستقرار والأمن ضد قوى الشّر والفناء التي طالما هددت الإنسان الجاهلي ونغصت عليه حياته.

الهوامش

[1] ديوان النابغة الذبياني، ق١/ ١٤ – ١٦.العلياء: ما ارتفع من الارض، السند: سند الجبل: ارتفاعه. السالف: الماضي، الأبد: الدهر، أصيلانا: وقت العشي، الأواري: محابس الخيل ومرابطها، المظلومة: الأرض التي لم تمطر، الجلد: الأرض الصلبة، الوليدة: الأمَة الشابة، الثأد: المكان الندي، الأتِي: السيل، السجفان: ستران في مقدم البيت، أخنى عليها: أفسد عليها، لبد: آخر نسور لقمان بن عاد.

[2]مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، ٢٠١.

[3] الرحلة في الشعر العربي، سحاب محمد الاسدي، ١٧.

[4] القتود: عيدان الرحل، العيرانة: الناقة النشيطة، الأُجد: الموثوقة الخلق، النّحض: اللحم، مقذوفة: عظيمة الخلق، الدّخيس: كثيرة التداخل، القعو: البكرة، الصريف: الصوت، المسد: الحبل.

[5] وقوفا بها، عبد الله بن سليم الرشيد، ١٥.

[6]قراءة ثانية لشعرنا القديم، مصطفى ناصف، ٥٦.

[7]الجليل: شجر الثمام، زال النهار: انتصف، موشي أكارعه: بقوائمه نقط سود وخطوط.

[8] السارية: سحابة تسير ليلا.

[9] ارتاع: فزع، كلّاب: صائد، صرد: برد، الصمع: الحدة واللطافة، الحرد: استرخاء، ضمران: اسم كلب، يوزعه: يغريه، المُعارك: المقاتل، المفتأد: موضع، الصّدق: الصُّلب، الأَوَد: الاعوجاج، منقبضا: تقبض من شدة الوجع.

[10] التفسير النفسي للادب، عز الدين اسماعيل، ٧٠.

[11]ينظر: وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، نوري حمودي القيسي، ١١٩.

[12] مشكلة الانسان، زكريا ابراهيم، ١٦١.

[13] الفارهة: الناقة الكريمة، النكد: الضيق، المعكاء: الغلاظ السمان، سعدان: موضع، الأدم: الابل البيض، خُيست: ذُللت بالركوب، الفتل: التي بانت مرافقها، الراكضات ذيول الرّيط: الجواري، تمزع: تُسرع، الغَرب: الحدة والنشاط، الشؤبوب: دفعة المطر وشدّته.

[14] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر أحمد عصفور، ٣٣٧ – ٣٣٨.

[15] ينظر: جماليات النص الادبي، مسلم حسب حسين، ٢٢.

[16] الثمد: الماء القليل، الشِّراع: القاصدة الى الماء، يحفه: يحيط به، النِّيق: الجبل.

[17] فلسفة المكان في الشعر العربي، حبيب مونسي، ٥٦.

[18] ينظر: ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي، صادق مكي، ١١٩.

[19] الأنصاب: الحجارة التي تذبح عليها العتائر، الغيل: الشّجر الملتفّ.

[20] المترع: المملوء، اللّجب: المصوّت، الرُّكام: ما تراكم بعضه على بعض، الينبوت والخضد: نبتان، النجد: العرق والكرب، الصّفد: العطاء.

المصادر والمراجع :

- التفسير النفسي للأدب، عز الدين اسماعيل، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٢.
- جماليات النص الادبي، مسلم حسب حسين، دار السياب للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٧.

- الرحلة في الشعر العربي في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي دلالاتها الموضوعية والفنية، سحاب محمد الاسدي، دار الشؤون الثقافية، العراق، ط ١، ٢٠١٢.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر احمد عصفور، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
- فلسفة المكان في الشعر العربي، حبيب مونسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.
- قراءة ثانية لشعرنا القديم، مصطفى ناصف، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، د. ت.
- مشكلة الانسان، زكريا ابراهيم، دار مصر للطباعة، القاهرة، د. ط، د. ت.
- مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، بيروت – لبنان، ط ع، ١٩٨٥.
- ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي، صادق مكي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٩١.
- وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، نوري حمودي القيسي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، ١٩٧٤.
- وقوفا بها عبد الله بن سليم الرشيد، الدار العربية للعلوم ناشرون، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠١١.

الدواوين:

- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، د.ت.

من شواهد الشّعر في إيضاح فرائد الذّكر

الغرض من البحث: إثراء السيرة الذاتية و المشاركة في عمليات التوظيف الجامعي.

الباحث الأول :أحمد أمين بوعلام الله/ جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر–الجزائر–

كلية الآداب واللغات /قسم اللغة العربية وآدابها.،

/ahmed.boualamallah@univ-mascara.dz

الباحث الثاني: محمّد بوعلام الله جامعة الجيلالي اليابس –سيدي بلعباس–الجزائر–،

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية مخبر دراسات الفكر الإسلامي في الجزائر.

قسم العلوم الاجتماعية، شعبة الفلسفة.

d2016med@gmail.com

ملخص:

لمّا كان الشعر هو المعيار الأرقى لفصاحة اللغة العربية قبل الإسلام، اتّخذه بعض الصحابة ملاذا يبدّد حيرتهم كلّما اشتبهت عليهم ألفاظ من غريب القرآن، وأشكلت تراكيبه، والتبست معانيه، ممّا دفعهم إلى فتح منافذ الحوار بين الآية القرآنية والبيت الشّعري وعليه ارتأى الباحثان تقديم ورقة متواضعة موسومة بـ:شواهد الشعر في إيضاح فرائد الذّكر عند المفسّر الأمين الشنقيطي لتسليط أضواء على كتابه الأضواء، تبيّن أثر اللغة العربية في الفهم الصحيح الصريح لآيات القرآن المتساوقة .

الكلمات المفتاحية:التفسير، شواهد الشعر، آي الذّكر.

Evidence of poetry to explain the vocabulary of the qur' an.

Ahmed Amine Boualamallah

Abstract :

poetry was the higest standard for eloquence of the arabic language before Islam, and the companions used it to understand the qur' an, so they opened a dialogue between the qur' an and poetry, and with this paper we will explain the role of the arabic language in understand the qur' an through poetry.

Key words :interpretation ,evidence of poetry, qur' an verses.

١-مقدمة

سبحان من جعل الفصاحة وقفا على لغة العرب، وسخّرها للمولعين فأنطق بها الألسنة من كل حدب،حتى رفع رايتها المجلّي والتالي، وتزامل في اقتعاد صهوتها الصّميم والأحلاف والموالي، سابقين بها إلى غايات، آتين في سبقهم ببدائع آيات. وهي بمراسها تكسب سائسَها السّبقَ، وتُسيغ من حلْق صادحها الشّرَقَ. فتراها يهدر بشقشقتها المهري والهجين، وينطبع باسمها الذهب واللّجين، فإذا أمراء الأمّة العربيّة وخلفاؤها يرفعون على أرائكهم من ترقرق بشعره ماء الفصاحة ورواؤها وما تلك إلاّ منقبة من مناقبها تشرّف بينهم من قصّر به جِذمُهُ، وتشهد بأنّ قيمة المرء عندهم نفسُه وعلمُه. حتّى قال قائلهم :"إنّ العباءة لا تكلّمك وإنّما يكلمك من فيها"، وحتى شهدت لهم بتقدير قدر الكمال الدنيا بما فيها[١].

فالحمد لله الذي جعل العربيّة لسان ذكره الذي لا سوء يعتريه، وبيّن للمستهدين معالم ما يعنيه، فأنزل القرآن قانونا عاما معصوما، وأعجز بعجائبه فظهرت يوما فيوما، وجعله مصدقا لما بين يديه ومهيمنا، وما فرّط فيه من شيء يَعظ مسيئا ويَعد محسنا، حتى عرفه المنصفون من مؤمن وجاحد، وشهد له الراغبُ والمحتارُ والحاسدُ، فكان الحالُ بتصديقه أنطقَ من اللسان، وبرهانُ العقل فيه أبصرَ من شاهد العِيان، وأبرز آياته في الآفاق فتبيّن للمؤمنين أنّه الحقّ، كما أنزله على أفضل رسول فبشّر بأنّ لهم قدم صدق، فبه أصبح الرسولُ الأمّي سيدَ الحكماء المربّين، وبه شُرح صدره إذ قال سبحانه: **إنّك على الحقّ المبين**

"النمل:٧٩"، فلم يزل كتابه مشعّا نيّرا، محفوظا من لدنه أن يترك فيكون مُبَدّلا أو مُغيّرا. ثم قيّض لتبينه أصحابه الأشداءَ الرُّحماءَ، وأبان أسرارَه مَن بعدهم من العلماء. فصلاة الله وسلامه على رسوله و آله الطاهرين، وعلى أصحابه نجوم الاقتداء للسائرين والماخرين[٢]. أمّا بعدُ:

فلم يحظ فن من فنون الأدب العربي بكثرة الدراسات وتنوعها، سواء القديمة منها والحديثة، مثلما حظي الشعر العربي، وخاصة منه الجاهلي، إذ يُعد المرجِع الموثوق به لأساليب العرب البلاغية والبيانيّة، والمصدر الأصيل لمفرداتهم اللغويّة، وطرقهم التعبيريّة، فضلا عمّا يحويه الشعر العربي من مآثر العرب ومفاخرها، وأحداث أيامها ووقائعها، فهو الوثيقة الرسميّة الأولى التي دوّنت تاريخ العرب الوجداني والاجتماعي، منذ بزوغ الجنس العربي ونبوغ عقليته[٣]؛ ومن ثمّ كانت معرفة اللغة وأسرارها شرطا أساسيا من شروط من يتصدر التفسير؛ فقد روي عن مالك –رضي الله عنه–(في الشُعب) أنّه قال :"لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسّر كتاب الله إلا جعلته نكالا"[٤].

فلمّا كان الشّعر هو المعيار الأرقى لفصاحة اللغة العربيّة قبل الإسلام، اتخذه بعض الصّحابة ملاذاً يبدّد حيرتهم كلّما اشتبهت عليهم ألفاظ من غريب القرآن، وأشكلت تراكيبه، والتبست معانيه؛ ممّا دفعهم إلى فتح منافذ الحوار بين الآية القرآنيّة والبيت الشّعري، وهذا ما حدث مع عمر عندما سأل وهو على المنبر عن معنى كلمة(تخوّف) في قوله تعالى: **أو يأخذهم على تخوّف فإنّ ربكم لرؤوف رحيم** "**النحل:٤٧**"، فسكت الحاضرون، فقام شيخ من هُذيل فقال: هذه لغتنا، التخوّف هو التنقّص، فقال عمر: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم؛ قال شاعرنا أبو كبير:

تخوّف الرحل منها تامكا قردا ... كما تخوف عود النّبعة السفن.

فقال عمر: "أيها النّاس عليكم بديوانكم لا تضلوا، فقالوا وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهليّة، فإن فيه تفسير كتابكم.[٥]، هذا وقد جاء عن ابن عبّاس قوله :"الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"[٦]، كما أجاب ابنُ عباس في قصّة نافع بن الأزرق عن جميع الأسئلة بشواهد شعريّة، والقصّة مشهورة لا يكاد يخلو منها مصنف من

مصنفات علوم القرآن، لكنّ بعض المفسّرين كره إيضاحهم القرآن بالشعر الجاهلي أو نحوه لتخوّفهم من صرف معنى من معاني القرآن الكريم إلى غير مقصوده استشهادا بالقليل من كلام العرب، وقد أورد السيوطي نقلا عن أبي بكر بن الأنباري قوله[٧]:"قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا، الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر. وأنكر جماعة على النحويين ذلك، وقالوا: إذا فعلتم جعلتم الشعر أصلا للقرآن،؛ قالوا: وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن، وهو مذموم في القرآن والحديث، قال: وليس الأمر كما زعموه من أنّا جعلنا الشعر أصلا للقرآن، بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشّعر؛ لأن الله تعالى قال: **إنّا جعلناه قرآنا عربيّا** "**الزخرف:٣**"،وقال: **وهذا لسان عربيّ مبين** "**النحل:١٠٣**" .

٢-التفسير والتأويل وكون التفسير علما:

٢-١-التّفسير في اللغة: مصدر على وزن "تفعيل"، وفعله الثلاثي "فَسَرَ". يقال: فَسَرَ الشَّيءَ فَسْرًا. والفعل الماضي من التّفسير، هو الرباعي "فَسَّرَ"، يقال: فسّر الشيء تفسيراً. والفَسْرَ، قال الإمام أحمد بن فارس عن الفسْر: الفَسْرُ كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه، تقول :فسرْتُ الشيء، وفسّرته[٨].والتّفسير :البيان. وهو كشف المراد عن اللفظ المشكل[٩]، قال أهل البيان:" التفسير هو أن يكون في الكلام لَبسٌ وخفاء ،فيؤتى بما يزيله ويفسّره»[١٠]. وللعلماء المفسّرين عدّة أقوال في تعريف(تفسير القرآن)أوردها الإمام السّيوطي في (الإتقان) نختار منها ما يلي:

٢-٢-التفسير في الاصطلاح:

قال أبوحيان: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبيّة، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات ذلك" .

وقال الزّركشي: "التفسير علمٌ يُفهم به كتابُ الله، المنَزّلُ على نبيّه محمد عليه الصلاة والسلام، وبيانُ معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه. واستمداد ذلك من علم اللغةِ والنّحوِ والتصريفِ، وعلمِ البيان، وأصولِ الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفةِ أسباب النّزول والنّاسخ والمنسوخ"[١١].

وأخصر تعريف مفيد للتّفسير ما اختاره الإمام محمد الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره: (التّحرير والتنوير): قال:" التفسير اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها، باختصار أو توسّع"[١٢]،ثم أردف الشيخ الطاهر بن عاشور الكلام عن التفسير بقوله: "وموضوع التفسير: ألفاظ القرآن من حيث البحثُ عن معانيه وما يستنبط منه"[١٣].

٣-نماذج التطبيقية في الجمع عند الأمين الشنقيطي[١٤].

أنزل الله القرآن العظيم ختاما لكتبه على خاتم رسله النبي الكريم، فيه من الآيات والذكر الحكيم ،ما يؤمن على مثله البشر، فتمّت كلماته صدقا عدلا، وعللّ إنزاله القرآن على نبيّه ليتدبروا آياته ويتذكروا بها ويتفكروا فيها، ليعلموا أنّ بعضها يصدّق بعضا من غير تعارض ولا اضطراب، قال تعالى: **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** "**النساء:٨٢**". ومن هنا فإذا توهّمنا التعارض بين الآيات، لزمنا الفزع إلى أهل الذّكر الذين يستنبطونه منهم ويبينون الوفاق بين آياته ويثبتون بالدليل والتعليل الجمع بينها؛ ومن الوسائل التي تُسهم في إزالة الإشكال المتوهَّم بين آي الذكر؛ كلامُ العرب المتمثّل في الشّعر الجاهلي؛ نجده في هذا الكتاب[١٥] من أمثلة تبين الأهميّة البالغة للشعر الجاهلي في التّفسير خاصّة وهذا ما يجعل أثر اللغة العربية في فهم القرآن للمستبصر باديا غير خافٍ.

٣-١-إطلاق الخلق على التقدير:

ذكر الأمين الشنقيطي في سورة البقرة [١٦]عند قول الله عز وجلّ: **هو الذّي خلق لكم ما في الأرض جميعا** "**البقرة:٢٩**"؛ بأنّ ظاهر الآية يدلّ على خلق الأرض قبل خلق السماء، بل تصريح بأنّ جميع ما في الأرض مخلوق قبل خلق السماء، بدليل لفظة(ثمّ)التّي هي للترتيب والانفصال مع أنّ آية النازعات تدلّ على أنّ دحو الأرض بعد خلق السماء لأنّه قال فيها: **أأنتم أشدّ خلقا أم السماء بناها**"النازعات:٢٧"، ثم قال: **والأرض بعد ذلك دحاها**"**النازعات:٣٠**"، فرفع محمد الأمين الشنقيطي صاحب الأضواء هذا الإشكال من وجهين، مستشهدا بقول زهير[١٧]:

فلأنت تفري ما خلقت... وبعض القوم يخلق ثم لا يفري[١٨]

بأنّ المراد بالخلق هاهنا الخلق اللغوي الذي هو التقدير لا الخلق بالفعل الذّي هو الإبراز من العدم إلى الوجود، والعرب تسمّي التقدير خلقا كما أورده زهير، والدليل على ذلك قوله تعالى: **وقدّر فيها أقواتها** "فصلت:١٠".[١٩]

٣-٢-إطلاق المفرد وإرادة الجمع:

قال الله تعالى: **هو الذّي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثمّ استوى إلى السّماء فسواهنّ سبع سماوات**"البقرة:٢٩"، أفرد هنا تعالى لفظ السماء وردّ عليه الضمير بصيغة الجمع، في قوله: **فسواهنّ**، ودفع الشيخ الإشكال بهذا بالبيت الذّي أنشده سيبويه لإطلاق المفرد وإرادة الجمع[٢٠] قول علقمة بن عبدة التميمي[٢١]:

بها جيف الحسرى فأمّا عظامها... فبيض وأمّا جلدها فصليب[٢٢]

قال :يعني وأمّا جلودها فصليبة، فإنّه لا خلاف بين أهل اللّسان العربي في وقوع إطلاق المفرد وإرادة الجمع مع تعريف المفرد وتنكيره وإضافته، وهو كثير في القرآن العظيم وكلام العرب، ومعنى كلام الشيخ المراد بالسّماء جنسها الصادق بسبع سماوات وعليه فأل جنسيّة، وهذا في النعت بالمصدر مطرد كقول زهير:

متى يشتجرْ قوم تقُل سرواتهم ...همُ بيننا فهمُ رضا وهمُ عدل[٢٣].

وعليه فلا إشكال في هذا التعارض المتوهم.[٢٤]

٣-٣-إتيان الظنّ بمعنى اليقين(العلم) في كلام العرب.

قال الباري تعالى: **الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون**"البقرة:٤٦"،هذه الآية تدلّ بظاهرها على أنّ الظن يكفي **في** أمور المعاد، وقد جاءت آيات أخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى:**وإنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئا** "النجم:٢٨"، وكقوله:**إن هم إلا يظنون** "البقرة:٧٨"؛ ووجه الجمع

أنّ العرب تطلق الظن بمعنى اليقين ومعنى الشكّ وهو كثير في كلام العرب، ونظيره من كلامهم قول دريد بن الصِّمة[٢٥]:

فقلت لهم: ظنوا بألفي مدجج... سراتهم في الفارسي المسرد[٢٦]

بيّن الشنقيطي قولهم :ظنّوا بمعنى أيقنوا؛ ونظيره أيضا من كلام العرب قول عميرة بن طارق:

بأن تغتروا قومي وأقعد فيكم... وأجعل مني الظن غيبا مرجما

أي أجعل مني اليقين غيبا[٢٧].

٣-٤-حذف المنعوت وبقاء النعت:

قال تعالى: **فأردت أن أعيبها** "**الكهف:**٤٦"،هذه الآية تدلّ على أنّ عيبها يكون سببا لترك الملك الغاصب لها، ولذلك خرقها الخضر، وعموم قوله: **وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصبا**"الكهف: ٤٦ "؛ يقتضي أخذ الملك للمعيبة والصحيحة معا، والجواب: أنّ في الكلام حذفَ الصفة. وتقديره: كلّ سفينة صالحة صحيحة وحذْفُ النعت إذا دلّ المقام عليه جائز، **كما أشار إليه ابن مالك في الخلاصة بقوله:**

وما من المنعوت والنعت عُقل ...يجوز حذفه وفي النعت يقل[٢٨].

ومن شواهد حذف الصفة قول عَبيد بن الأبرص الأسدي[٢٩]:

مَن قوله قول، وَمن فعله ...فعل، ومَن نائله نائل[٣٠].

يعني: من قوله قول فصل وفعله فعل جميل ونائله نائل جزل[٣١].

٣-٥-الإضافة بين التغاير والترادف:

قال تعالى: **ومكر السيء** "**فاطر: ٤٣** ، يدلّ على أنّ المكر هنا شيء غير سيء أضيف إلى سيء للزوم المغايرة بين المضاف والمضاف إليه، وقوله تعالى : **ولا يحيق المكرُ السيّء إلا بأهله**"فاطر: ٤٣ "، يدلّ على أنّ المراد بالمكر هنا هو السيء بعينه، لا شيء آخر، فالتنافي بين التركيب الإضافي والتركيب التقييدي ظاهر.

رفع الشيخ الإشكال بأنّ إضافة المتحدات معنى وارد في كلام العرب بالرغم من انتفائه عند النحويين إلا بتأويل. **كما قال ابن مالك في الخلاصة:**

ولا يضاف اسم لما به اتحد ...معنى وأول موهما إذا ورد[٣٢]

فاستشهد على هذا الأسلوب العربي بقول عنترة [٣٣]في معلقته:

ومشك سابغة هتكت فروجها...بالسيف عن حامي الحقيقة معلم[٣٤]

فأصل الشك السير الذي تشد به الدرع ولكنه استعمل بمعنى الدرع نفسه على التحقيق.

قول امرئ القيس[٣٥]:

كبكر المُقاناة البياض بصفرة...غَذاها نَمْير الماء غير المُحلَل[٣٦]

فالبكر هي المقاناة على التحقيق، وأمّا على ما ذهب إليه ابن مالك فالجواب تأويل المضاف بأنّ المراد به مُسمّى المضاف إليه. كما ورد في غير آية من كتاب الله كقوله سبحانه:

والدار الآخرة"الأحزاب:٢٩"، والدّار هي الآخرة، وكقوله: **من حبل الوريد "ق:١٦"**، والحبل هو الوريد على التحقيق؛ وعليه فلا إشكال[٣٧].

٣-٦-ما يماثل تأكيد المدح بما يشبه الذم.

قال الله تعالى: **قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله"سبأ:٤٧"**،هذه الآية الكريمة تدلّ على أنّه لا يسأل أمته أجرا على تبليغ ما جاءهم به من خيري الدنيا والآخرة، وقد جاء في آية أخرى ما يوهم خلاف ذلك وهي قوله تعالى: **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى"الشورى:٣٣"**،وقد رفع الأمين الشنقيطي اللّبس بأنّ المعنى إلا أن تودّوني في قرابتي التي بيني وبينكم وهذا ليس بأجر على التبليغ؛ لأنّه مبذول لكلّ أحد ذلك أنّ كل أحد يودّه أهل قرابته وينتصرون له من أذى النّاس، وإذا كان لا يسأل أجرا إلا هذا الذي ليس بأجر؛ تحقق أنّه لا يسأل أجرا **كقول النّابغة**[٣٨]:

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفَهم...بهنّ فلولٌ من قِراع الكتائب[٣٩]

ومثل هذا يسمّيه البلاغيون تأكيد المدح بما يشبه الذمّ وهذا القول هو الصحيح في الآية واختاره ابن جرير ؛وعليه فلا إشكال[٤٠].

٣-٧-مُنكِر الأخبار يحتمّ بحسب الإنكار:

قوله تعالى: **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** "**التين:٤**"،هذه الآية الكريمة توهم أنّ الإنسان ينكر أنّ ربّه خلقه، لما تقرر في فن المعاني من أنّ خاليَ الذهن من التردّد والإنكار لا يؤكد له الكلام؛ ويسمى ذلك ابتدائيا، والمتردِّد يحسن له التأكيد بمؤكّد واحد؛ ويسمى طلبيا، والمنكِر يجب التوكيد له بحسب إنكاره؛ ويسمّى إنكاريا، والله تعالى في هذه الآية أكّد إخباره بأنّه خلق الإنسان في أحسن تقويم، بأربعة أقسام ، وباللام، وبقد فهي ستة تأكيدات، وهذا التوكيد يوهم أنّ الإنسان منكر أنّ ربّه خلقه، وقد جاءت آيات أخرى بخلاف ذلك قال تعالى: **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله** "**الزخرف:٨٧**". درء محمد الأمين الشنقيطي الإشكال بكون المُقِر إذا ظهرت عليه أمارة الإنكار جعل كالمنكِر فأكد له الخبر ومن ذلك قول حجل بن نضلة[٤١]:

جاء شقيق عارضا رمحه...إن بني عمك فيهم رماح[٤٢]

والمعنى أنّ شقيقا لا ينكر أنّ في بني عمه رماحا، ولكن مجيئه عارضا رمحه أمارة أنّه لا رمح فيهم فأكدّ له الخبر، والحاصل أنّ الكفار لمّا أنكروا البعث ظهرت عليه أمارة إنكار الإيجاد الأول ،فأكّد لهم الإيجاد بعد علمهم أنّ الله أوجدهم[٤٣] .

٣-٨-لا بين النفي والصّلة:

قوله الحق عز سلطانه : **لا أقسم بهذا البلد**"**البلد:١**" ،يتبادر من ظاهرها أنّه تعالى أخبر بأنّه لا يقسم بهذا البلد الذّي هو مكة المكرمة مع أنّه تعالى أقسم به في قوله : **وهذا البلد الأمين** "**التين:٣**"، وعليه الجمهور أنّ لا هنا صلة على عادة العرب، بل لفظت لمجرد تقوية الكلام وتوكيده واستدلّ **بقول امرئ القيس** :

فلا وأبيكَ ابنةَ العامريِّ ...لا يدّعي القومُ أني أفِر[٤٤]

يعني: وأبيك. وبناء على ذلك: فتقدير الآية الأولى :أقسم بهذا البلد من باب توكيد القسَم. وعليه فلا إشكال[٤٥]. وقد درج الأمين الشنقيطي في كتابه "**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**"؛ مستعينا على شواهد كثيرة معتمدا عليها في إظهار وجوه أخرى لدلالات الألفاظ وتوجيه القراءات والقواعد النحوية وحتى في دراسة بعض الظواهر الصوتيّة وغير ذلك مما يُرجع فيه لكلام العرب السليقيين بل وحتى المولّدين.

٤-خاتمة

إنّ القرآن الكريم لم يخرج من مألوف العرب ولغتهم، من حيث المفردات، فمن حروفهم تألفت كلماته، ومن كلماته ركّبت جُمله، ومن قواعدهم صيغت مفرداته، وتكونت جمله، وجاء تأليفه، وأُحكم نظمه، فكان عربيا جاريا على أساليب العرب وبلاغتهم، ولكنّه أعجزهم بأسلوبه وبيانه ونظمه الفذّ، إلى جانب نفوذه الرّوحي، وأخباره بالغيوب، ومعانيه الصّادقة، وأحكامه الدّقيقة العادلة، والصّالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، وهو الكتاب الوحيد الذي تحدّى مُنزّله-سبحانه وتعالى- البشرَ كافّة أن يأتوا مثلَه، ومن هنا بدأنا بالتعرُّض إلى التفسير والتأويل و بيان أنّ التفسير ليس علما إلاّ على وجه التّسامح ومناقشة ذلك بمقدمات منطقيّة ترسم أبعادا لمنهجه العقلاني الذي يتضح من خلال مطالعة تفسيره شيئا فشيئا، وثنّينا أنّ الشّاهد الشعري هو ما يستدلّ به في إثبات صحّة القاعدة، أو استعمال كلمة، أو تركيب، لكونه من شعر العرب الموثوق بعربيتهم، بخلاف التمثيل الذي يكون من باب الاستئناس وتوضيح القاعدة، ومن هنا تجدر الإشارة إلى مؤلَّف طه حسين "في الشعر الجاهلي" الذي أخلط الحابل بالنابل على رأي جماعة من أهل التحقيق في المجال ،لا من ناحية التراث العربي العظيم ،ولا من ناحية المنهجيّة النقديّة التي لا يستهان بها في إمكانيّة الصدّ عن قبول الشّعر الجاهلي فضلا عن الاستشهاد به في مثل كلام الله جلّ وعلا، ولذلك تصدّى لمفهوم كلامه النقاد قديما وحديثا من أجل رفع مقدماته المنطقيّة وبيان فسادها عناية منهم بحفظ التراث الجاهلي الذي هو طريق الوصول إلى فهم مراد الله عز وجلّ بعد القرآن والسنة وأقوال

الصّحابة والتابعين؛ من أجل ذلك، ختمنا البحث بإجلاء دور شواهد التفسير في الجمع بين الآيات التي يتوهم تعارضها ظاهراً ولكن بعد إيراد كلام العرب يتبين أنه لا إشكال، استنادا على كتاب العلامة محمد الأمين الشنقيطي في كتابه "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" الجزء الملحق بكتابه الكبير قدرا وشرفا" أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"؛ وهذا النزوع للشّاهد مطلب قديم في عصور صفاء اللغة، وللشاهد الشعري بوجه خاص فقد كان الصّحابة يطلبون الشاهد من الشعر مع سلامة سليقتهم، غير أنّه لم يكن يقنعهم إلاّ الرواية عمّن سبق أو كما قال بن سلاّم، ومن ذلك الطبري الذي أسرف في الاستشهاد بالشعر الجاهلي؛ لأنّه مادّة القرآن التي نُسج على منوالها –غالبا– ولذلك كان التفسير باللغة طريقا من طرق التّفسير، كما فضّلنا إطلاق شواهد التفسير بدل شواهد القرآن والعلم عند الله تعالى.

5-الهوامش

[1]:ديوان بشار بن بُرد، جمعه وشرحه وعلّق عليه فضيلة العلامة سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثّقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربيّة ٢٠٠٧، الجزء الأول، ص:٠٥.

[2]:ينظر، التحرير والتنوير، تأليف: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الجزء الأول، الكتاب الأول، الدار التونسيّة للنّشر،(مقدمة الكتاب)،وقد أشار –رحمه الله –إلى الاستنباط الذي حصل في قوله: "السّائرين الماخرين" بقوله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:" أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم فبنيت على هذا التشبيه تشبه المهتدين بهم فريقين: فريق سائرون في البرّ، وفي ذلك تشبيه عملهم في الإهداء، وهو اتباع طريق السنّة، ؛بالسيرّ في طرق البرّ. وفريق ماخرون أي سائرون في الفلك المواخر في البحر، وتضمن ذلك تشبيه عملهم في الإهداء وهو الخوض في العلوم بالمخر في البحر. ومن ذلك الإشارة إلى أن العلم كالبحر كما هو شائع ،وأن السنة كالسبيل للمقصود.

[3]: القرآن الكريم والشّعر، دراسة موضوعيّة، إعداد الدكتور رياض محمود جابر قاسم، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكليّة أصول الدين، الجامعة الإسلاميّة، غزّة، ب ط، ب س، ص:٢٤.

[4]:أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، كما نقل تفسير القاسمي المسمّى محاسن التأويل، تأليف الإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي المتوفَّى سنة (١٣٣٢هـ،١٩١٤م)،ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه محمد باسل عيون السود ،المحتوى من أول سورة الفاتحة–إلى آخر الآية ١٨٨ من سورة البقرة، الجزء الأول،ص:٠٨.

[5]:حاشيّة القونوي عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي المتوفى سنة ١١٩٥هـ على تفسير الإمام البيضاوي، ومعه حاشية ابن التمجيد، الجزء الحادي عشر، ضبطه وصححه وخرج آياته عبد الله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،ص:٢٤٨.

[٦]:إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تأليف أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،(٢٧١-٣٢٨هـ)، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان ،دمشق،(١٣٩١هـ-١٩٧١م)،ص:١٠٠-١٠١.

[٧]:الإتقان في علوم القرآن، تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة١١هـ،المجلد الثاني، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ،المملكة العربيّة السُّعودية،ص:٥٥.

[٨]:معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، الجزء الرابع، ص:٥٠٤.

[٩]:لسان العرب لابن منظور الإفريقي، طبعة دار صادر، الجزء الخامس، ص:٥٥.

[١٠]:الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب ابن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. مؤسسة الرسالة ،ص:٦٢٠.

[١١]:الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: بتحقيق الدكتور مصطفى البغا: الجزء الثاني،ص:١١٩١.

[١٢]:التحرير والتنوير، مرجع سابق،ص:١١.

[١٣]:التحرير والتنوير ، مرجع سابق،ص:١٢.

[١٤]:هو محمد بن محمد المختار الجكني الشنقيطي الموريتاني، الفقيه الأصولي المفسّر،((صاحب أضواء البيان))،كان -رحمه الله- في مواقفه مع الحقّ قويا صلبا في بيانه، لّينا سهلا في الرجوع إلى ما ظهر إليه منه. له مؤلفات منها: "منع جواز المجاز في المنزّل للتعبّد والإعجاز"،"ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب"،(ومذكرة الأصول على روضة الناظر)،(وأدب البحث والمناظرة).وله العديد من المحاضرات ذات المواضيع المستقلة، ولد سنة(١٣٢٥هـ)،وتوفي بمكة مرجعه من الحج سنة (١٣٩٣هـ).(ينظر: ترجمته مفصّلة في :محاضرة ألقيت في موسم ثقافات الجامعة الإسلامية بالمدينة، وأعدها وألقاها تلميذه الشيخ محمد عطية سالم، وهي مثبتة في آخر الجزء (١٠) من (أضواء البيان)،وكذا ترجمة الشيخ عبد الرحمن السديس له.

[١٥]:الكتاب هو (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) وهو المقصود باستخراج شواهد الجمع بين الآيات يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب الأضواء في هذا الكتاب الثمين ما نصّه:" أما بعد، فإنّ مقيّد هذه الحروف -عفا الله عنه- أراد أن يبيّن في هذه الرسالة ما تيسّر من أوجه الجمع بين الآيات التي يظن بها التعارض في القرآن العظيم، مرتبا لها بحسب ترتيب السور، يذكر الجمع بين الآيتين غالبا، في محل الأولى منهما، وربما يذكر الجمع عند محل الأخيرة، وربما يكتفي بذكر الجمع عند الأولى، وربما يحيل عليه عند محلّ الأخيرة، ولا سيما إذا كانت السورة ليس فيها مما يظن تعارضه إلا تلك الآية فإنه لا يترك ذكرها والإحالة على الجمع المتقدّم وسمّيته (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" (ينظر: ملحق أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي،(المتوفى سنة ١٣٩٣هـ)،دار الكتب العلميّ بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م،الجزء العاشر، مقدمة الكتاب.

[١٦]:ينظر، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مرجع سابق،ص:١١.

[١٧]:هو زهير بن أبي سلمى واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح ابن قرط بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن مزينة(ينظر: كتاب طبقات فحول الشعراء، مصدر سابق، الجزء الأول،ص:٥١.

[١٨]:ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤٠٨هـ ،١٩٨٨م،ص:٥٦.

[١٩]: ينظر، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مرجع سابق، ص:١٢.

[٢٠]: ينظر، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مرجع سابق، ص:١٣-١٤.

[٢١]: هو علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم من شعراء الطبقة الرابعة، طبقات فحول الشعراء، مصدر سابق، الجزء الأول،ص:١٣٧.

[٢٢]:شرح ديوان علقمة الفحل، بقلم السيد أحمد صقر مصدر بمقدمة للدكتور زكي مبارك في تعريف الديوان، المطبعة المحمودية بالقاهرة، الطبعة الأولى،(سنة ١٣٥٣هـ-١٩٣٥م)،ص:١٤.

[٢٣]:ديوان زهير، مرجع سابق،ص:٨٥.

[٢٤]: ينظر، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مرجع سابق،ص:١٤.

[٢٥]:دريد بن الصِّمة ،اسمه معاوية، بن الحارث بن بكر بن علقمة بن خزاعة، بن غزيّة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، ودريد بن الصّمة(فارس) شجاع شاعر فحل.(خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف بن عمر البغدادي(١٠٣٠-١٠٩٣هـ) قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د. محمد نبيل طريفي، إشراف الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، الجزء الحادي عشر،ص:١٢٣-١٢٤.

[٢٦]:ديوان دريد بن الصِّمة ،تحقيق الدكتور عمر عبد الرسول، دار المعارف ص:٦٠(لكن في الديوان بدل قول الشاعر: فقلت لهم: ظنوا ؛جاءت، علانية ظنّوا).

[٢٧]: ينظر، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مرجع سابق،ص:١٥.

[٢٨]:متن ألفية ابن مالك، ضبطها وعلق عليها الدكتور عبد اللطيف بن محمد الخطيب ، توزيع مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع في الكويت ،الطبعة الأولى،(١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م)، (باب النعت).ص:٣٤.

[٢٩]:وعبيد بن الأبرص بن جشم بن عامر أحد بني دودان بن أسد بن خزيمة من شعراء الطبقة الرابعة ،طبقات فحول الشعراء ،مصدر سابق، الجزء الأول،ص:٣٧.

[٣٠]:ديوان عبيد بن الأبرص، شرح أشرف أحمد عدرة، الناشر دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى،(١٤١٤هـ،١٩٩٤م)،ص:٩٤.

[٣١]: ينظر، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مرجع سابق،ص:١٣٠.

[٣٢]:متن ألفية بن مالك، مصدر سابق،(باب الإضافة).ص:٢٦.

[٣٣]:عنترة بن شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن مالك ابن غالب بن قطيعة بن عبس م شعراء الطبقة السادسة ،وله قصيدة (يا دار عبلة)،(ينظر، طبقات فحول الشعراء، الجزء الأول،ص:١٥٢.

[٣٤]:ديوان عنترة العبسي، مطبعة الآداب ،الطبعة الرابعة،بيروت،١٨٩٣م،ص:٨٢.

[٣٥]:امرؤ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية ابن كبده من شعراء الطبقة الأولى(ينظر، طبقات فحول الشعراء ،مصدر سابق، الجزء الأول،ص:٥١

[٣٦]:ديوان امرئ القيس ،ضبطه وصححه ،الأستاذ مصطفى عبد الشّافي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة،(١٤٢٥هـ،٢٠٠٤م)ص:١١٦.

[٣٧]: ينظر، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مرجع سابق، ص: ١٦٩-١٦٨.

[٣٨]:نابغة بني ذبيان واسمه زِياد بن معاوية بن ضباب بن جابر ابن يربوع بن غيظ بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان ويكنى أبا أمامة من شعراء الطبقة الأولى(ينظر، طبقات فحول الشعراء، الجزء الأول،ص:٥١).

[٣٩]:ديوان النّابغة الذّبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، دار الكتب العلميّة ،بيروت ،لبنان، الطبعة الثالثة،١٤١٦(هـ-١٩٩٦م)ص:٣٢

[٤٠]: ينظر، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مرجع سابق،ص:١٦٥-١٦٦.

[41]:حجل بن نضلة الباهلي: شاعر، له أبيات، ذكر فيها خبر أسره للنوار، بنت عمرو بن كلثوم يوم(طلح)،(ترتيب الأعلام على العوام، لخير الدين الزركلي، رتبه وعلق عليه زهيْر ظاظا، المجلّد الأول،ص:٨٣).

[42]:البيان والتّبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني ،القاهرة ،الطبعة السادسة،(١٤١٨هـ-١٩٩٨م)الجزء الثالث،ص:٣٤٠.

[43]: ينظر، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مرجع سابق، ص: ٢٢٥.

[44]: ديوان امرئ القيس، مصدر سابق،ص:٦٨.

[45]: ينظر، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، مرجع سابق، ص: ٢١٥-٢١٦.

المَصَادِرُ اللّغَوِيَّةُ للشّيْخِ مُحَمَّد هَادي مَعْرِفَة فِي رَدّ شُبُهَاتِ هَاشِم العَرَبِيّ حَوْلَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ

د. مخلد جبار سلطان/ كلية التربية للعلوم الإنسانيّة/ جامعة البصرة

ملخص بحث

مذ أن أنزلَ اللهُ كتابَهُ الكريمَ على نبيِّهِ محمّد عليه الصّلاةُ والسّلامُ والناسُ على قسمين: قسمٍ آمن بالقرآنِ الكريم وأذعنَ له، وقسمٍ صدّه وصدّ عنه رفضاً وطعناً، فأخذوا يثيرونَ الشبهاتِ والتشكيكَ حولَ (وحيانيّة القرآن الكريم) بشبهات تتعلّق بجوانبَ متعدّدةٍ، من أهمّها اللغةُ التي استعملها القرآن، ومن الذين أثاروا هذه الشبهاتِ هاشمُ العربي في ملحقٍ أثبته في كتاب (مقالة في الإسلام) لجرجس سال، وقد انبرى الشيخ محمّد هادي معرفة لردّ هذه الشبهاتِ في كتاب (شبهات وردود حول القرآن الكريم)، وهذا البحث يسلط الضوءَ على أهمّ المصادر اللغويّة التي استعان بها الشيخ معرفة لردّ هذه الشبهات، وتقويمها وتقييمها، فقد تنوعت مصادرُه بين المصادر النحويّة والبلاغيّة والمعجميّة والتفسيريّة، وقد خلص البحثُ إلى نتائجَ مهمّةٍ في بيان نوعيّة المصادر التي أفاد منها الشيخ، وتطرّق البحث –عرضاً– إلى المصادر التي اعتمدها المستشكل هاشم العربي، فأوضح إفادته من بعض الإشكالات التي عرضها المتقدّمون في كتبهم اللغوية التي تعنى بالقرآن الكريم، ولا سيما كتب (مشكل القرآن الكريم) إذ اعتمد عليها هاشم العربي اعتماداً واضحاً مع تعمّده إغفال التوجيهات التي ذكرها المتقدّمون لحلّ هذا الإشكالات وردّها، وقدّ بيّنا أن السبب الأهم الذي كان وراء هذه الإشكالات الجهل الواضح للمستشكل بقواعد اللغة العربية التي نزل القرآن الكريم بها.

الكلمات المفتاحية: محمد هادي معرفة هاشم العربي شبهات حول القرآن

Linguistic sources for Muhammed Hadi Moaarfh in replay suspicions Hashem AL Arabi about Holly Quran

Dr. Mukhalled Jabbar Sultan

College of Education for Human Sciences university of Basrah

key words: Muhammed Hadi Moaarfh Hashem AL Arabi suspicions about Holly Quran

Abstract

The linguistic sources of Sheikh Muhammad Hadi Moaarfh in responding to the suspicions of Hashem al-Arabi about the Holy Quran within a field (The impact of the Arabic language on the correct understanding of the Holy Quran). Since God revealed the Honorable book to His Prophet Muhammad, PBUH&HF, and the people in two parts: one that believed in the Holy Quran and obeyed it, and the others refused and Doubted it. Then they began to raise suspicions and doubts about the inspiration of the Holy Quran, with many aspects of doubts, one of most important is the language that used by the Holy Quran. Hashem Al-Arabi was one of those who raised suspicion in the appendix that he proved in the book (Article in Islam) by Gerges Sall, thus Sheikh Muhammad Hadi stood up to respond to these suspicions in the book (Suspicions and Responses about the Holy Quran). This study highlights the most important sources used by Hadi to respond to those

suspicions, then to straighten, and evaluate them. His sources varied between grammatical, rhetorical, lexical and interpretive sources. This research concluded to important results in explaining the type of sources from which the Sheikh benefited, accidentally, the study refers, to the sources which depended on Hashem Al-Arabi, thus Hadi explained his testimony on some of the problems presented by the applicants in their language books those deal with the Holy Quran, especially the .books (The Problem of the Holy Quran)

Al-Arabi was depending on those books clearly while he deliberates neglect guidances (notes) that mentioned by the applicants to solve and respond to those problems. We showed the most important reason behind these problems was the obvious ignorance of the questioner "'Hashem al-Arabi" in the grammar of the .Arabic language which the Holy Quran was revealed

توطئة: في جهد الشّيخ محمّد هادي معرفة

كتب الشّيخ محمّد هادي معرفة كتابَهُ (شُبُهاتٌ وردودٌ حولَ القرآنِ الكريمِ)؛ ليردّ على الإشكالات التي أثارها خصومُ القرآنِ الكريم، وقد جعل الكاتبُ كتابَهُ في أبواب متعدّدة، جعل البابَ الرابعَ من هذه الأبواب خاصاً للشّبهات التي يمكن أن تردَ تحتَ عنوان (مخالفات القرآن)، فذكر مجموعة من الشبهات تحت هذا الباب، منها شبهاتٌ تتعلّق بتصوّر مخالفات وقعت في القرآن الكريم تخصّ الجانب اللغوي، فذكر تحت هذا العنوان جملةً من إشكالات هاشم العربي التي بثّها في ملحق تعريبه لكتاب (جرجس سال) مقالة في الإسلام[١]، والتي زعم أنّه – هاشم العربي – قد أبطل فيها وحيانية القرآن، فقال في هذا الجانب: ((ودحضتُ ما يدّعيه علماؤهم من أنّ القرآن كلام الله، ونفيتُ عنه صفة الإعجاز ببراهين معقولة ومنقولة))[٢]، ويبدو للنظر أنّ السّبب الذي جعل

الشيخ يركّز في ردوده على مقالات العربي أكثر من مقالات جرجس سال نفسه هو أنّ العربيّ صرّح تصريحاً واضحاً بقصده من التذييل الذي وضعه للكتاب، في حين أنّ مؤلف الكتاب نفسه قدّم قراءته الخاصةَ التي اعتمدت بالدرجة الأساس على تقديم وصف للقرآن الكريم مع مقارنته بكتابي العهدين من حيث الشكل والمضمون، من دون أن يجعل كلامه منصبّاً بالدرجة الأساس على التشكيك في مصدر القرآن الكريم.

اعتمد الشيخ محمد هادي معرفة على مصادر متنوعة في ردّ هذه الشبهات، وسنتكلّم حول سبب هذا التنويع والغرض الذي توخّاه الشيخ منه على الرغم من إمكانية الاستناد إلى مصدر أو اثنين للإحاطة بإجابة كل هذه الإشكالات.

منهجه في الإفادة من المصادر

استعمل الشيخ محمد هادي معرفة مصادره استعمالاً علميّاً في الرجوع إلى المصادر الأم في المسألة المبحوثة، فنجده يحيل القارئ إلى المصادر المعجميّة حين تكون منشأ الشبهة معجميّاً، ويحيل إلى المصادر النحوية حين يكون منشأ الشبهة نحويّاً، وهكذا في أكثر المسائل التي بحثها، وهذا ما سنعرضه مفصّلاً في عرض المسائل المبحوثة.

ويبدو للقارئ واضحاً تأثّر الشيخ معرفة ببعض المصادر الخاصة من مثل كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، ويبدو أنّ السبب من كثرة الإحالات عليه أو الإفادة منه من دون إحالة هو أنّ أكثر الإشكالات التي أثارها العربي هي ممّا ذكرها المتقدّمون ومنهم ابن قتيبة، فكان في التركيز على كتاب (تأويل مشكل القرآن) تنبيهاً ذكيّاً من الشيخ معرفة إلى بيان مصادر المستشكل بطريقة تلميحيّة يجدها من يتابع الإشكالاتِ وردَّها، ولهذا نجده يعقد فقرة خاصّة حول هذا الكتاب، فيقول: ((لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن عرض عريض لأسئلة طرحها أهل الشُّبَه وأجاد في أكثر أجوبته عليها بصورة فنيّة دقيقة))[٣] ثم يذكر شيئاً من هذه الشبه وردودها.

ونلحظ أيضاً في منهجه أنّه أغفل في مواطن متعدّدة ذكر صاحب الشبهة – هاشم العربي – ويبدو أنّ السبب في ذلك أنّه أراد الردّ على الشبهة من دون أن يكون شديد الاعتناء بمن أوردها، أو أنّه اعتمد على ذكره في المسائل المتقدّمة في بحثه، فأغناه ذكره في أول البحث عن تكريرها في آخره.

كما نلحظه يذكر مصادره في كثير من الأحيان ويغفل عن ذكر بعضها في بعض الأحيان وسنشير إلى هذا في موضعه من البحث

مصادره اللغويّة

تنوعت مصادر الشيخ محمد هادي معرفة في الردّ على هاشم العربي، وشملت مستويات اللغة جميعها، فكانت مصادره مستمدّة من كتب المعجم والصرف والنحو والدلالة والتفسير والبلاغة، وسنبيّن نماذج من هذه المصادر؛ لأنّ عرض جميع المصادر يطيلُ الكلامَ ويُخرجُه عن الاختصار المبتغى في هذا البحث.

أولاً: المعاجم

عرض الشيخ الشبهة التي أثارها هاشم العربي حول قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠] فقال –العربي– وهو يعدّد الآيات ووجوه الطعن فيها ((وقد خالف القياس أيضاً في تعدية قدّس بالحرف وهو فعل يتعدّى بنفسه، اللهم إلّا أن يكون المراد أنّ الملائكة يقدّسون له شيئاً ما، فيكون الخطأ حينئذٍ في حذف المفعول الذي لا بدّ من ذكره في هذا الموطن)) [٤] فقد اعتمد الشيخ في جوابه على ما نقله أهل المعاجم، فقال: ((قال أرباب اللغة: يقال قدّس الرجلُ اللهَ أي نزّهه ..... وقدّس للهِ أي طهر نفسه له))[٥] ولم يشر الشيخ إلى مصدر معيّن لهذا التوجيه، ويبدو أنّ السبب في ذلك أنّه كان يرى إجماعاً أو شبهَه في تقرير هذا المعنى، وهذا ما وجدناه بعد مراجعة كلامهم، فنقلوا لنا عن الزجاج في توجيه هذه الآية قوله: ((أي نطهّر أنفسنا لك، وكذلك نفعل بمن أطاعك، نقدّسه أي نطهره))[٦]، وهذا ما استقرّ عليه رأي العلامة المصطفوي أيضاً[٧] فالشبهة تنتقض في توجيه الآية على أنّ الملائكة يقدّسون أنفسهم لله

تعالى لتكون محلّاً لتلقّي فيوضاته، أو يقدّسون من يرونه في طاعة الله تعالى، ويبدو لنا أن هذا التأرجح بين تقديس الملائكةِ أنفسهَا وغيرها هو السبب في حذف المفعول به، ليبقى النصُّ مفتوحاً على احتمالات دلالية شتّى، وهذه من أهم الغايات الدلالية للحذف، وليس الأمر كما زعمه العربي من وجوب ذكر المفعول؛ لأنّ ذكر المفعول في هذه الآية نقضٌ للغرض الذي يريد النصُّ إيصاله.

ولم يكتفِ الشيخ بهذا التوجيه من المعاجم العربية بل ذكر توجيهاً آخر للآية استقاه من مصدر معجمي قرآني هو كتاب (المفردات) للراغب الاصفهاني فنقل عنه توجيهاً آخر قائلاً: ((قال الراغب وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ أي نطهر الأشياء ارتساماً لك، أي بدلاً من بني آدم حيث يفسدون في الأرض .... نقوم نحن بتطهير الأشياء وتصقيلها إلى حيث الصفاء والجلاء التام، الأمر الذي يتحقّق منه الامتثال التام لما أراده الله من الطهارة والنزاهة في خليقته جمعاء))[٨]، وعلى الرغم أن هذا التوجيه لا يتعلّق كثيراً بالمسألة المعجميّة نجد الشيخ معرفة قد اعتمد في بيانه على كتاب المفردات؛ ليكون منهجه موحّداً في توجيه المسألة، فبعد أن وجهها أول الأمر من كتب المعجم أتمّ التوجيه الثاني من مصدر يناسب مصادر التوجيه الأول.

وقد نجد الشيخ في بعض الأحيان يختار المعنى اللازم للمعنى المعجمي ويستند إليه في توجيه النص القرآني، وشاهد هذا نجده في جوابه على شبهة العربي حين قال: ((وكثيراً ما يستعمل القرآنُ الألفاظَ العربيةَ في غير ما وُضِعَت له..... من ذلك تعبيره عن دين إبراهيم بالحنيف يعني به القويم، لكنّ العرب تعني بالحنف الاعوجاج))[٩] فبعد أن ذكر الشيخ جهل المستشكل بلغة العرب أخذ يوضّح معنى الحنفية، فاختار معنى هو لازم المعنى المعجمي، وليس هو المعنى المعجمي نفسه، فقال: ((والحنفيّة من الحَنَف وهي النزاهة والقداسة إن فكريّاً أو عمليّاً، وفق الفطرة الأولى الضاحية))[١٠] فهو بعد هذه النصّ أرجعنا إلى نصوص المعاجم من دون أن يذكر مصدراً واحداً يختار هذا المعنى، والسبب في ذلك أنّه أراد تبيين المعنى اللازم للمعنى المعجمي، وهو المعنى الذي أراده النصّ القرآنيّ، إذ المعنى اللغوي الموجود في كتب المعجم يدور حول الميل، قال أبو عمرو: ((الحنيف المائل من خير إلى شرٍّ، أو من شرٍّ إلى خير))[١١] والحنيف المسلم ((الذي يتحنّف عن الأديان

أي يميل إلى الحقّ)) [١٢] وهذا المعنى تلازمه النزاهة والطهارة، لأنّ الميل إلى الخير وإلى الحقّ هو خروج من دناسة ودخول في طهارة، وهو المعنى الذي اختاره الشيخ.

ولم يكتفِ الشيخ بهذا التوجيه بل راح يذكر لنا توجيهات أخرى تجعل معنى الحنف إنما هو الاستقامة، واستند في ذلك على ما ذكره الراغب في مفرداته إذ قال: ((الحنف هو ميل عن الضلال إلى الاستقامة، والجنف ميل عن الاستقامة إلى الضلال))[١٣] وعلى هذا المعنى تنتفي الشبهة من أصلها، فهو بهذا العرض للمعنيين يقدَم ردّا علميّا على شبهة لم تكن علميّة، فتغيير معنى (الميل) المذكور في كتب المعاجم إلى معنى (الاعوجاج) الذي استعمله هاشم العربي إنما هو جهل إن لم يكن تدليساً متعمّداً.

المصادر النحويّة

قبل الدخول في ذكر المصادر النحوية التي اعتمد عليها الشيخ معرفة في ردّ شبهات هاشم العربي لا بدّ من ذكر المقدّمة التأصيليّة التي ذكرها الشيخ التي ينبغي أن تُعتمدَ منهجاً في دراسة النصوص النحوية ومدى تطابقها مع قواعد النحويّين، ففي مقدمة البحث الذي عقده لردّ الشبهات النحويّة عن القرآن الكريم نجده يقول حول اعتماد القرآن مصدراً ومعياراً رئيساً في قبول القاعدة النحويّة من عدمها: ((لا شكّ [في] أنّ القرآن من أقدم أسناد اللغة ذوات الاعتبار، ولا مجال للتردّد في حجّيّته واعتباره بعد حضوره في عصرٍ كان العرب في أوج حضارتها..... على أنّ الصحيح من كل لغة هو ما حفظته أسنادهم العتيدة لتكون هي المعيار في تمييز السليم عن السقيم))[١٤] وهو بهذا يستند على ما تقرّر في أصول النحو من أنّ القرآن الكريم حجة في تحديد صحة الاستعمال النحوي من عدمه، فإذا جئنا إلى سيبويه نجده يقرّر هذا المسألة، بل هو لا يجيز مخالفة القراءة القرآنية زيادة على مخالفة القرآن الكريم نفسه – على فرض تصحيح قول من قال إنّ القرآن الكريم والقراءات حقيقتان متغايرتان – فيقول في الكتاب ((إنّ القراءة لا تُخالف؛ لأنّ القراءة سنّة))[١٥] ولم يقتصر الأمر على سيبويه وحده، بل نجد القول بحجّيّة القرآن الكريم في التقعيد النحوي أمراً مجمعاً عليه عند النحويين جميعاً، وفي هذا يقول أبو البركات الأنباري: ((اعلم أنّ النقل ينقسم على قسمين: تواتر وآحاد، فأمّا التواتر فلغةُ القرآن وما

تواتر من السنّة وكلا العرب، وهذا القسم دليلٌ قطعيٌّ من أدلّة النحو يفيد العلم))[١٦] فينبغي لدارس النحو أن يجعل القرآن ميزاناً ومعياراً لقبول القاعدة النحويّة، فيصحّح ما صحّحه القرآن، وينظر فيما لم يذكره القرآن، أمّا تحكيم القواعد النحويّة على لغة القرآن فهو قلبٌ للمقاييس العلميّة والمنهج السليم، يقول سعيد الأفغاني: ((فالمنهجُ السَّليمُ في ذلكَ أن يمعنَ النُّحاةُ في القراءاتِ الصَّحيحةِ السَّندِ فما خالفَ منها القواعدَ صحَّحوا له تلكَ القواعدَ وأرجعوا النَّظرَ فيها، أمَّا تحكيمُ قواعدِهم الموضوعةِ في القراءاتِ الصَّحيحةِ التي نقلَها الفصحاءُ العلماءُ فقلبٌ للأوضاعِ وعكسٌ للمنطق))(١٧) ولكنّ الشيخ – مع هذا التأصيل – نجده يساير هاشم العربيّ في الاستناد إلى كتب النحو في ردّ شبهاته، فاعتمد على أمّات كتب النحو ككتاب سيبويه، إذ استند إليه في توجيه نصب (المقيمين، الصابرين) في قول الله تعالى ﴿ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ *وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ.....*﴾ [النساء:١٦٢] ﴿*وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ* فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] فاختار وجه القطع لأجل المدح والاختصاص[١٨] مستشهداً بما ذكره سيبويه في باب ما ينتصب على التعظيم والمدح ((وسمعنا بعض العرب يقول: الحمد للهِ ربَّ العالمين، فسألت عنها يونس فزعم أنّها عربيّة. ومثل ذلك قول الله عزّ وجلّ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ .....))[١٩] فنجد الشيخ قد اعتمد على كتاب سيبويه بالخصوص مع أنّ هذه الآية لا تكاد كتب التفسير وغيرها من كتب إعراب القرآن تغفل عنها، ويبدو أنّ السبب في ذلك تعمّد الاعتماد على كتاب النحو الأول؛ ليبيّن أن هذا الإشكال لم يكن من ابتداع هاشم العربي أو من ابتكاراته، بل هو معنى تفطّن إليه المتقدّمون الأوائل قبل غيرهم، وفي هذا تلميح بعدم جدّيّة العربي في توجيه الشبهات، فما هو إلّا مردّدٌ لما قاله من تقدّمه، وما عملُه إلّا رجعُ صدى المتقدّمين من المستشكلين ومثيري الشبهات حول كتاب الله تعالى.

واعتمد الشيخ على كتاب مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري في توجيه عطف المجزوم على المنصوب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ *لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ*

فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [المنافقون: ١٠] فذكر في جملة توجيهات هذه الآية إفادة (لولا) الاستفهام على رأي بعض العلماء، وقد وقع الفعلان في جوابه[٢٠] مستنداً إلى ما جاء في المغني من قول ابن هشام في استعمالات (لولا): ((الرابع: الاستفهام، نحو لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ ..... قاله الهروي، وأكثرهم لا يذكره، والظاهر أن الأولى [الآية المذكورة] للعرض))(٢١). ومن يتأمّل هذا الاستشهاد بكلام ابن هشام يكتشف حسنَ الاختيارات التي اعتمدها الشيخ معرفة في توظيف المصادر اللغوية في بحثه، فلم يكن الاعتماد على ابن هشام في هذا الموضع بالخصوص محضَ صدفة واتفاق، بل جاء عن قصديّة واضحة مرادة، والسّبب في ذلك أن ابن هشام من أكثر النحويّين – إن لم يكن أكثرهم – دقّة وتفصيلاً وتدقيقاً في بحث الأدوات ومعانيها، والذي يؤيّد هذا الفهم وهذا التوجيه أن الشيخ لم يعتمد على أيّ كتاب آخر لابن هشام، بل اعتمد على كتاب مغني اللبيب، وهو الكتاب الذي خُصّص شطره الأول لدراسة الأدوات ومعانيها، وهذا المعنى غيرُ خافٍ على من له اطلاعٌ على المصنّفات النحويّة في هذه المسألة، وهذهِ الدقّةُ ضروريّةٌ في مجال ردّ الشبهات واثبات القضايا بالحجج العلميّة، ولها أثرها في المتلقّي، فمن يطّلع على هذه الدقّة التي ينهجها الشيخ معرفة ويقارنها بمدى التدقيق الذي ينهجه خصمُه العربي يقرّ بالإذعان لمنهج الشيخ، وهذا ما يريده الشيخُ نفسُهُ من كتابة ردوده.

كتب معاني القرآن وإعرابه

لمّا كانت للعربي شبهاتٌ كثيرة حول إعراب بعض الكلمات القرآنيّة استند الشيخ إلى مصادرَ لغويّةٍ تناسبُ الشبهة؛ ليكونَ الاستشهادُ بالردّ بها تأكيداً على المنهج العلمي الذي يسعى الشيخ معرفة إلى بيان تجرُّدِ هاشم العربي منه في مواطنَ كثيرةٍ، كونه يخوض في غير ما يحسن، وعلى الرغم من دخول كتب إعراب القرآن تحت المصادر النحويّة آثرنا ذكرها منفصلةً لاهتمام الشيخ بها، فقد استعان الشيخ بأهمّ مصادر إعراب القرآن ومعانيه، منها نقله عن الفرّاء تفصيلَهُ حول توجيه جزم الفعل (أكن) في الآية المذكورة آنفاً فقال: ((وللفرّاء هنا كلام مسهب أتى فيه بفوائد جمّة، نذكره على طوله))[٢٢] فينقل كلام الفرّاء الذي فصّل القول في توجيه الآية بما لا يدع زيادة لمُزيد[٢٣]، وما يلفت النظر في هذا الاستشهاد الطويلِ البالغِ صفحتين كاملتين من كلام الفرّاء أنّ

الفرّاء لم يذكر هذا الكلام في سياق الحديث عن الآية موضع البحث، وإنّما كان الكلامُ عن هذه الآية كلاماً عرضياً، فالفرّاء في نصّه هذا كان يوجّه الجزمَ بعد (أين) في قولِهِ تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٤٨]، فاستدعاءُ الشيخِ كلامَ الفرّاء يمكن أن يكشفَ لنا عن سعةِ اطّلاعه على المصادر العربيّة المعنيّة بالقرآن الكريم وحُسْنِ الانتفاع بها في ردّ ما ينبغي ردُّهُ.

ولم يكن هذا الموضعُ الموضعَ الوحيد الذي أفاده الشيخ من كتاب الفرّاء، بل ذكره في غير موضع، ومنها ما اختاره من توجيهٍ لتذكير الضمير (هم) في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١] فردّ به شبهة (المخالفات في عود الضمير)، فبيّن الوجه الذي من أجله عدل النصُّ القرآنيُّ إلى قول (عرضهم) بدلاً من (عرضها)[٢٤]، يقول الفرّاء ((فكان ﴿عَرَضَهُم﴾ على مذهب شخوص العالمين وسائر العالم))[٢٥] فالآية استعملت ضمير التذكير اعتماداً على الإشارة إلى مسمّيات هذه الأسماء، وليست ناضرةً إلى الأسماء نفسها.

إنّ الاستناد إلى ما ذكرته كتبُ إعراب القرآن لا يعني التسليمَ لكلّ ما ذكرته من دون أن يكون للشيخ ترجيح واختيار في المسألة، ونجد مصداقَ ذلك واضحاً في تضعيف رأي أبي البقاء العكبري في توجيه (إلياسين) من قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]، إذ ذكر العربي إشكالاً حول جمع إلياس مدّعياً أنّ الصوابَ أن يقول القرآن: (سلام على إلياس) كما ذكر من قبله نوحاً وإبراهيم فقال: ((وممّا أخطأ فيه مراعاةً للرّوي قوله سلامٌ على إلياسين، والوجه إلياس))[٢٦]، نجد الشيخ في جواب هذه الشبهة يختار وجه جواز التصرّف في الأسماء الأعجميّة، ثم يذكر قول العكبري ويصفه بالقول المتعسّف، فقال: ((ولعلّه من التعسّف ما زعمه البعض من كونه جمعاً لإلياسيّ – بياء النسب المشدّدة – ثم خُفّفَ بحذف ياء النسبة وجمع بالياء والنون، كما قال الأشعرون، يراد الأشعريّون))[٢٧]، فعلى الرغم من عدم اختيار هذا الوجه ووَصْفِهِ بالتعسُّف يذكره بوصفه رأياً ثانياً في توجيه الآية، لينبّه على تعدّد جوابات هذا الإشكال، فلم تكن إشكالات العربيّ عقبة أمام

اجتهادات العلماء، ولم تكن عسيرة التفسير والتوجيه، إذ لها – بدل الوجه الواحد – وجوهٌ متعدّدة، وهو جواب نجده أقرب إلى الصواب من الرأي الذي اعتمده الشيخ محمد هادي معرفة، ولله العلم كلُّه.

كتب التفسير

استند الشيخ محمد هادي معرفة إلى المصادر التفسيريّة بشكل كبير، وقد تنوعت التفاسير التي اعتمد عليها، فلم تكن هذه التفاسير لعلماء من مذهب واحد، فمن هذه التفاسير اعتماده في ترجيح العطف على محل الاسم قبل دخول (إنّ) في قوله تعالى: ﴿*إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى* مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩] على تفسير مجمع البيان، فقال: ((ورُجِّحَ ذلك لوجهين: أحدهما مناسبة الواو في هادوا في حين عدم ظهور إعراب الاسم بسبب البناء))[٢٨] فهو يعلل رفع (الصابئون) عطفاً على محلّ (الذين آمنوا والذين هادوا) لعدم ظهور حركة النصب، أمّا في آية سورة البقرة ﴿*إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا* وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٢] فجاءت الكلمة منصوبة على أصلها مراعاةً لصورة الياء في (النصارى)[٢٩].

وكان تفسير الكشّاف للزمخشري من أكثر المصادر التي اعتمد عليها الشيخ، ويبدو لنا أنّ السبب في ذلك راجع إلى طبيعة تفسير الكشاف المعتمد على المنهج اللغوي في أغلب مواضعه، فلأنّ المسائل التي كانت مدار البحث تتسم بالصبغة اللغويّة كان الاعتماد في توجيهها على تفسير لغويّ وهو ما وجده الشيخ في كشّاف الزمخشريّ، ومن هذه الموارد ما ذكره في توجيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] فردّ اشكال العربي الذي زعم أنّ القرآن الكريم قد أغفل المعنى وآثر عليه استقامة الروي في رؤوس الآيات وكان الأولى أن يقول: (كن فكان)[٣٠]، فذكر لها توجيهاتٍ متعدّدة ومختلفة منها ما أخذه عن الزمخشريّ فذكر أنّ لفظة (كن) تمثّل إرادة الله تعالى، و(فيكون) تمثل التكوين في الحال، وهذا المعنى لا يمكن للماضي أن يعبّر عنه، فاختار الفعل المضارع للتعبير عنه وإن كان المعنى يشير إلى الماضي[٣١]، وهذا ما عبّر عنه الزمخشري إذ قال: ((فيكون: حكاية حالٍ ماضية))[٣٢].

واستند إلى الزمخشري أيضاً في بيان سبب استعمال (قروء) بدلاً من (أقراء) في قول الله سبحانه: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فذكر السّببين اللذين يذكرهما الزمخشري حين يقول في سبب ذلك: ((يتّسعون في ذلك فيستعملون كلّ واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعيّة، ألا ترى إلى قوله ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ وما هي إلّا نفوس كثيرة، ولعلّ القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قرء من (الأقراء) فأوثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل))[٣٣]، وهناك مواضع كثيرة يستند فيها الشيخ إلى تفسير الزمخشري أعرضنا عنها طاباً للاختصار.

واعتمد الشيخ على تفسير الفخر الرازي في الإجابة عن الشبهات التي أوردها العربي منها في توجيه تكرار (أهلها) في قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، فذكر لها وجوهاً متعدّدة أخذها من المفسّرين، فأخذ من الفخر الرازي وجه التوكيد[٣٤]، يقول الرازي: ((والسؤال الثاني: لمَ قال [وذكر الآية] وكان من الواجب أن يُقال: استطعما منهم؟ والجواب: أنّ التكرير قد يكون للتأكيد))[٣٥] ، كما ذكر لها وجهاً أخر استفاده من تفسير البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي الذي يذكر وجه التأكيد ويضيف للتكرير فائدة أخرى وهي ((أنّهما حين أتيا أهل القرية لم يأتيا جميع أهل القرية، إنّما أتيا بعضهم، فلمّا قال: ﴿اسْتَطْعَمَا﴾ احتمل أنّهما لم يستطعما إلّا ذلك البعض الذي أتياه، فجيء بلفظ أهلها؛ ليعمَّ الجميع وأنّهم يتبعونهم واحداً واحداً بالاستطعام))[٣٦]، ونلحظ هنا أنّ أبا حيّان قد ذكر رأي الفخر الرازي قبل هذا الرأي إلّا أنّ الشيخ معرفة ذكر كلّ رأي من مصدر مستقلّ عن الآخر مع أنه كان بإمكانه الغعتماد على البحر المحيط فهو حسبه في هذه المسألة، ويبدو أنّ السبب في ذلك يعود إلى بيان أن هذه الشبه والاشكالات لم تكن بموضع غفلة عن المفسّرين المتقدّمين، بل كانوا ملتفتين إليها وإلى إجاباتها.

ويبيّن لنا الشيخ أن هذه الإشكالات تناولها المحدثون من المفسّرين أيضاً، ولذا نجده يعتمد على بعض تفاسير المتأخّرين، كتفسير المنار وتفسير المراغي.[٣٧]

إنّ التنوّع في ذكر المصادر يوصل إلى المتلقّي رسالة تتلخص في بيان اجترار هاشم العربي لما قاله السّابقون من المسلمين قبل غيرهم وإلباسه ثوباً يخدع به من ينخدع به على أنّه من الإشكالات التي أشكلت على علماء المسلمين، وما هي إلّا صدى لأقوال العلماء الذين تصدّوا للإجابة على هذه التساؤلات، ولله العلم كلُّه.

تأويل مشكل القرآن

أفردنا هذا الكتاب – وهو من أهم مصادر الشيخ معرفة– عن المصادر السابقة لسببين اثنين، أولهما: أنّ أغلب الإشكالات التي أوردها العربي كانت مذكورة في كتاب ابن قتيبة (تأويل مشكل القرآن)، بل لا نبتعد عن الصواب لو قلنا: إنّ هاشم العربي يكاد يكون قد أخذ جميع الإشكالات أو أغلبها من كتاب ابن قتيبة، وإنما خصصنا كتاب ابن قتيبة دون غير من كتب تأويل المشكل؛ لأنّه من أقدم الكتب التي تناولت هذه التساؤلات وتكفّلت بالإجابة عنها، وثانيهما: أن الشيخ معرفة قد اعتمد عليه اعتماداً كبيراً جداً، فهو أكثر مصدر أحالنا إليه الشيخ في أجوبته، ويظهر لنا أنّ هذا الاختيار كان مقصوداً ومراداً، وكان هذا القصد في موضعه وقد حقّق غايته المنشودة، فمن يرجع إلى إحالة واحدة من الإحالات إلى كتاب ابن قتيبة لا يلبث كثيراً حتّى يدرك أنّ ما ذكره هاشم العربي إنّما هو اقتطاع لما ذكره ابن قتيبة، ولشدّة اعجاب الشيخ معرفة بكتاب ابن قتيبة نجده يعقد عنواناً خاصّاً للكلام حول الكتاب ومنهجه وأبوابه، وهو ما لم يفعله مع أي كتاب آخر[٣٨]، وتجدر الإشارة إلى أنّ إعجاب الشيخ بما أورده ابن قتيبة فسار عليه في ردّ شبهات العربي لا يعدم اختلاف الشيخ معه ولا يعني التسليم بكلّ ما جاء في كتابه (تأويل مشكل القرآن)، بل نجده في بعض المسائل لا يقبل بما أورده ابن قتيبة نحو قوله في توجيه (هذان) في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ [طه: ٦٣] ((أمّا الحمل على لغة بلحرث بن كعب حيث كانوا يلهجون في المثنّى بالألف مطلقاً –كما فعله ابن قتيبة– فغير سديد؛ لأنّ القرآن نزل وفق الفصحى ولا يحمل على الشواذّ المنبوذة))[٣٩]، ويبدو لنا أنّ تثبيت هذا الردّ ضروريٌّ جدّاً؛ كي لا يستنتج القارئ بغير صواب أن هذه الإفادة من كتاب ابن قتيبة

تعني الموافقة التامة من قبل الشيخ لكلّ ما أورده ابن قتيبة، لأنّ ابن قتيبة نفسه يذكر بعض الأخبار عن بعض نساء النبي بوجود بعض الأخطاء في القرآن الكريم(٤٠)، فكان الاعتماد عليه من جهة والردُّ عليه من جهة أخرى لهما دلالتهما يريد الشيخ إيصالها للمتلقي تتمركز في أنّ كثير من الشبهات إنما هي ممّا ذكره ابن قتيبة وأجاب عنها، وهذا لا يعني الموافقة التامة على كلّ ما ذكر في تأويل مشكل القرآن، والله تعالى أعلى وأعلم وأجلّ.

نتائج البحث

بعد التتبّع لمسائل البحث توصلت الدراسة إلى نتائج متعدّدة، نوجز أهمّها

- تنوعت المصادر التي اعتمد عليها الشيخ محمد هادي معرفة بتنوع الإشكالات التي جعلها مداراً لبحثه، ونجده في بعض الأحيان يتعمّد تنويع المصادر مع إمكانية الاكتفاء ببعض منها؛ ليفهم القارئ أنّ هذا الإشكالات ليست بالجديدة والمبتكرة والدليل على ذلك كثرة المصادر التي تطرقت إليها.
- هاشم العربي لم يأتِ بإشكالات جديدة أو من طريق تدبّره ونظره في النّص القرآني، بل نجد أكثر الإشكالات التي اثارها قد سبقه إليها العلماء المسلمين بقرون كثيرة.
- جهل هاشم العربي بكثير من قواعد العربية وأساليبها كان السبب وراء إثارة الإشكالات التي ذكرها، فهو لم يفهم أساليب العربية في التعبير، ولم يتعرّف –في الغالب– على خصائص تراكيبها، وهذا ما تلمسناه واضحة من ضعف الإثارات الي أثارها، أو يكون عالماً بأجوبتها إلّا أنّه تعمّد اقتطاع النصوص من مصادرها، وهذا ما لا نستطيع الجزم به.
- يبدو تأثر الشيخ واضحاً ببعض المصادر التي استعان بها من كثرة الاستناد إليها، وفي مقدّمة هذه المصادر (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة.
- احتلّ تفسير (الكشّاف) للزمخشري محلّاً مقدّماً في اعتماد الشيخ معرفة عليه، والسبب في ذلك طبيعة الكتاب التي اعتمدت على المنهج اللغوي في أكثر مسائله، وهو الأمر الذي يتلائم مع الشبهات المثارة من قبل هاشم العربي.

- تعمّد الشيخ (معرفة) في بعض المسائل عدم التصريح بترجمة كتاب (مقالة في الإسلام) بوصفها مصدراً لإشكالات العربي مكتفياً بعرضها والإجابة عنها، فالمهم توجيه الإشكال وردّه في الدرجة الأساس.
- اتّبع الشيخ المنهج العلمي في استعمال المصادر، فيعتمد على المعاجم في ردّ الشبهات التي تتعلّق بقضية معجميّة، أمّا حين تكون الشبهة نحويّة فنجده يعتمد على كتب النحويّين، وهكذا في كل المواضع يرجع المسألة إلى مصدرها الأساس.

---

(١) مقالة في الإسلام: جرجس سال . تعريب هاشم العربي. المطبعة الانكليزية الامريكانية. ١٩١٣. وقد ذيّل المعرّب الكتاب بثلاث فصول بث فيها إشكالاته وشبهاته حول القرآن الكريم.
(٢) مقدمة كتاب مقالة في الإسلام:٦
(٣) شبهات وردود حول القرآن الكريم: الشيخ محمد هادي معرفة: ٢٨٦
(٤) ملحق ترجمة كتاب مقالة في الإسلام : ٣٦٨
(٥) شبهات وردود حول القرآن الكريم : ٣٧٦
(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ١٠٣/١ وينظر: لسان العرب مادة (قدس): ٣٥٥٠ تاج العروس : ١٦/ ٣٥٨
(٧) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢٣٣/٩
(٨) شبهات وردود ٣٧٦ ونص الراغب في المفردات: ٥٤٦
(٩) ملحق ترجمة مقالة في الإسلام: ٤٥٧
(١٠) شبهات وردود: ٣٨٩
(١١) لسان العرب مادة (حنف) ١٠٢٥
(١٢) المصدر نفسه
(١٣) المفردات : مادة (حنف) : ١٨٨
(١٤) شبهات وردود: ٣٦٩
(١٥) الكتاب: ١٤٥/١
(١٦) لمع الأدلّة: ٨٣
(١٧) أصول النحو : ٣٢-٣٣
(١٨) ينظر: شبهات وردود: ٣٧١
(١٩) الكتاب: ٢/ ٤٤
(٢٠) ينظر: شبهات وردود ٣٧٣
(٢١) مغني اللبيب: ٣/ ٤٥٧
(٢٢) شبهات وردود : ٣٧٢
(٢٣) ينظر: معاني القرآن للفرّاء ١/ ٨٦ - ٨٨
(٢٤) شبهات وردود: ٣٩٧
(٢٥) معاني القرآن : ١/ ٢٦
(٢٦) ملحق ترجمة مقالة حول الإسلام : ٤٥١
(٢٧) شبهات وردود : ٣٨٢ ونصّ أبي البقاء في التبيان ٢/ ٦٧٦
(٢٨) شبهات وردود: ٣٧٠ ، وينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: ٣/ ٤٤٨
(٢٩) ينظر: شبهات وردود: ٣٧١
(٣٠) ملحق ترجمة مقالة في الإسلام: ٤٥٠-٤٥١
(٣١) شبهات وردود: ٣٧٧
(٣٢) الكشاف ٣٩٥/١
(٣٣) الكشاف ١/ ٣٠٠ وينظر شبهات وردود ٣٨٣
(٣٤) ينظر: شبهات وردود: ٣٩١
(٣٥) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٢١/ ١٣٣

(٣٦) البحر المحيط: ٢٠٩/٧ ويُنظر: شبهات وردود: ٣٩١
(٣٧) ينظر: شبهات وردود: ٣٧٧ ، ٣٨١
(٣٨) ينظر شبهات وردود: ٢٨٦ وما بعدها
(٣٩) شبهات وردود: ٣٧٠ وينظر: تأويل مشكل القرآن: ٥٠
(٤٠) المصدر نفسه

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم

- أصول النّحْو، سعيد الأفغاني، مديريّة الكتب والمطبوعات الجامعيّة، ١٩٩٤
- البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، تحقيق الشيخ أحمد عادل عبد الموجود والشيخ علي مُحمّد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٣
- تاج العروس من جواهر القاموس، مُحمّد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، شرح السيّد أحمد صقر.
- التبيان في إعراب القُرآن، أبو البقاء العُكْبُريّ، تحقيق سعد كريم الفقي، دار اليقين، المنصورة، ط١، ٢٠٠١
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلامة المصطفوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩.
- شبهات وردود حول القرآن الكريم، الشيخ محمد هادي معرفة، مؤسّسة التمهيد، الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، ط٣، ٢٠٠٦
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه)، تحقيق عبد السلام مُحمّد هارون، دار التاريخ العربي، بيروت
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزّمخشريّ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- لسان العرب ، ، ابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير، مُحمّد أحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة
- لمع الأدلّة في أصول النّحْو، أبو البركات بن الأنباريّ، تحقيق سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط٢، ١٩٧١
- مجمع البيان في علوم القُرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة، ١٩٧٧
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجّاج، تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤

- معاني القُرآن، أبو زكريّا الفرّاء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومُحمّد علي النجّار، دار الكتب والوثائق القوميّة، القاهرة، ط٣، ٢٠٠١
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. عبد اللطيف مُحمّد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ط١، ٢٠٠٠
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي الشافعي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤
- مفردات ألفاظ القُرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠
- مقالة في الإسلام: جرجس سال . تعريب هاشم العربي. المطبعة الانكليزية الامريكانية. ١٩١٣. وقد ذيّل المعرّب الكتاب بثلاث فصول بث فيها إشكالاته وشبهاته حول القرآن الكريم.

اللغة العربية والفهم التعسفي للنص القرآني

الغرض من البحث: الترقية

أ.م. د. فلاح عبد الحسن هاشم

جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم علوم القرآن

ملخص البحث

مشكلة البحث تتمثل في معرفة مستوى تأثير اللغة العربية وأسرارها وعناصرها ومقوماتها في فهم القرآن الكريم والنص الديني عموماً. وهدف البحث يتمثل في كشف أهمية اللغة العربية بمقوماتها نظاماً وفهماً ودلالة وفلسفة وتعمقاً وإعجازاً، وأثر ذلك في الفهم الحقيقي للدين الإسلامي الذي أسسه النص القرآني، هذا الدين الذي يقع تحت مظلته قيم الأخلاق والعقيدة والفقه العملي.

والخطاب الديني المعاصر للجماعات المتطرفة في تفسيرها للقرآن منساقاً مع الجمود الفكري الذي يحمل أيديولوجيات سياسية ذات أهداف مشبوهة، قد ارتكز في جملة منه على عناصر لغوية زعم صحتها، مع أنه وفقاً للمعايير اللغوية العربية يعد ذلك التفسير شاذاً أو غريباً أو نادراً، ووفق هذا الخطاب المتحيز البعيد عن تلك المعايير تم غرس مفاهيم بعيدة عن واقع الدين، بل وتسيء له، وتم الإفتاء بنحو تعسفي بالقتل والتكفير، في حين أن النصوص الدينية لا سيما النص القرآني كانت لغته الخطابية الهادفة الهادية أفصح اللغات، وكانت واضحة المعنى بلحاظ جميع العناصر الدخيلة في كشف المدلول الواقعي للنص، هذه العناصر التي رفضها الخطاب المتطرف والمتعسف، كالعنصر السياقي، والعنصر المقاصدي العام الذي تسير اللغة في إطاره، قد أسهم ذلك إلى حد كبير في تشويه النص الديني عموماً والقرآني خصوصاً.

إن اللغة العربية تمتلك رصيداً كبيراً من الخصائص النوعية التي لا تمتلكها لغة أخرى، كما أنها لغة لها قدرة فائقة على أداء المعنى بأقل الألفاظ من دون أن تفقد سحرها وجاذبيتها بل قد تزداد جمالاً وروعة في الاختصار –على حد تعبير بعض العلماء– كالمرأة التي تتألق جمالاً كلما أخفت أجزاء جسدها.

كلمات دلالية: اللغة العربية، الفهم التعسفي، فهم القرآن، النص القرآني

The Arabic language

and the radical understanding of the Qur'anic text

By Assistant Professor Dr. Falah abdulhasan hashim

Basra University/ college of Education for Human Sciences /Department of Quranic Sciences

Abstract

The research problem is to know the level of influence of the Arabic language, its secrets, elements and components in understanding the Holy Qur'an and the religious text in general. The aim of the research is to reveal the importance of the Arabic language with its components, system, understanding, semantics, philosophy and in-depth, and the impact of this on the real understanding of the Qur'anic text and its morals, belief and practical jurisprudence.

The extremist religious discourse in its interpretation of the Qur'an with intellectual stagnation that carries political ideologies with suspicious goals, was based in many of it on linguistic issues that it claimed were correct, although according to Arabic linguistic standards this interpretation is considered abnormal, strange or rare, and according to this biased discourse far from those standards. He instilled concepts far from the reality of religion, and even abused it, and issued a fatwa - in an arbitrary manner - to kill people, while the religious texts, especially the Qur'anic text, were its rhetorical, purposeful, guiding language, the most eloquent of languages, and the meaning was clear by noting all the extraneous elements in revealing the real meaning of the text.

These elements, which were rejected by extremist and arbitrary discourse, such as the contextual element and the general intentional element within which the

language runs, have contributed to a large extent in distorting the religious text in general and the Qur'an in particular.

The Arabic language possesses a large balance of qualitative characteristics that no other language possesses, and it is a language that has a superior ability to perform the meaning in the fewest words without losing its charm and attractiveness, but may increase in beauty and splendor in short, like a woman who shines beautiful whenever she hides her body parts.

مقدمة

لا شك في أن القرآن يحظى بأهمية كبيرة في حياة المسلم، وغيره أيضاً؛ لما له من تأثير بالغ في تكوين البنية العقدية الإيمانية وما يتفرع على ذلك من قيم أخلاقية وعقدية ومساحة واسعة من القوانين والأحكام، بل لو آمنا بشمولية الدين لمجالات الحياة المتنوعة يكون القرآن عندئذ أشد تأثيراً وأعمق ارتباطاً وأكثر التصاقاً بحياة المسلم، وخطاب هذا القرآن جاء بلغة واضحة وبليغة وفصيحة ومنظمة في أعلى مراتب الروعة والجمال والعذوبة والإعجاز، وهدف هذا البحث يتمثل في كشف أهمية هذه اللغة العربية بمقوماتها نظاماً وفهماً ودلالة وفلسفة وتعمقاً، وأثر ذلك في الفهم الحقيقي للدين الإسلامي الذي أسسه النص القرآني.

ولا شك في أن اللغة العربية بما تحمل من مقومات وخصائص فريدة، وبحظها الأوفر في أنها كانت لغة القرآن الكريم ولغة نبي الإسلام، كل ذلك جعل من هذه اللغة الركيزة الأولى والأساس لفهم النص الديني الإسلامي، سواء أ كان هذا النص قرآنياً أم نصاً نبوياً، ولا شك في أن فهم تلك الخصائص والمقومات التي امتازت بها هذه اللغة تزداد أهميته في زمن اكتنف النص الديني كثير من الغموض والملابسات حتى أضحت اللغة الدينية ثقيلة الفهم، ولا تحظى – القرآنية منها – بمتعة ولذة كانت يوماً لا تنفك عنها، بل تصل تلك الأهمية إلى أنها تمثل الحياة والموت عندما يصادر الخطاب الديني المعاصر للجماعات المتطرفة المعايير اللغوية العربية ويسير باتجاه متحيز وغرس مفاهيم بعيدة عن واقع الدين بل وتسيء له، وتم الإفتاء بنحو تعسفي بالقتل والتكفير، في حين أن النصوص الدينية لا سيما النص القرآني كانت لغته الخطابية الهادفة الهادية أفصح اللغات، وكانت واضحة المعنى بلحاظ جميع العناصر الدخيلة في كشف المدلول الواقعي للنص، هذه العناصر التي رفضها الخطاب المتطرف والمتعسف، كالعنصر السياقي، والعنصر المقاصدي العام الذي تسير اللغة في إطاره، قد أسهم ذلك إلى حد كبير في تشويه النص الديني عموماً والقرآني خصوصاً.

المبحث الأول: اللغة العربية وخصائصها وأهميتها

أولا: مفهوم اللغة

اللغة في استعمال العرب على وزن فعلة وأَصلها لُغْوة من لَغا إذا تكلم. وقيل أصلها لغي أو لغو [1]. ولهذا قال في مقاييس اللغة: "لغو": اللام والغين والحرف المعتل أصلان صحيحان أحدهما يدل على الشيء لا يعتد به والآخر على اللهج بالشيء. الأول اللغو ما لا يعتد به من أولاد الإبل في الدية. والثاني قولهم لغى بالأمر إذا لهج به[2].

أما اصطلاحاً فلم يكن اتفاق على تعريف واحد للغة، بل هناك عدة تعريفات، وربما أقدم تعريف اصطلاحي عند علماء العرب هو تعريف ابن جني (٣٢٢ هـ)، قال: "**أما حدّها فإنها أصوات يعبِّر بها كلّ قوم عن أغراضهم**"[3] فهي أصوات ووظيفتها الأساس هي التواصل الاجتماعي القائم على أساس التفاهم في كل قوم من الأقوام ومن ثم فهي ظاهرة اجتماعية.

وعرفها ابن الحاجب (٥٧٠هـ) في مختصره بأنه: "**كل لفظ وضع لمعنى**"[4] وهو تعريف مختصر جداً ولا يكون شاملاً، فاللفظ –كما سيأتي– أحد الوسائل التي توصل المعنى.

وعرفها ابن خلدون (٨٠٨هـ)، قال: "**اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلِّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعلٌ لسانيٌّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملَكة متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كلِّ أمة بحسب اصطلاحاتهم**"[5].

ويظهر من تعريفه أن وظيفة اللغة إيصال المعاني المقصودة في كل أمة بخصوصها، وبحسب تواضعهم واتفاقهم على الدال والمعنى الخاص به، وبهذا يتفق مع ابن جني في أن اللغة ظاهرة اجتماعية. وقد تشير كلمة "اصطلاحاتهم" للخلاف في أن دلالة الألفاظ على المعاني تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف من الله تعالى[6].

ويتجه "دي سوسير" اتجاهاً مغايراً لما مر من تعريفات للّغة، فهو ينكر أن تكون اللغة مجرد أصوات، وهي نظام اجتماعي كما أنها نظام من العلامات أو الإشارات التي تعبّر عن الأفكار، وعلم اللغة هو جزء من علم الإشارات العام [7]. كما أن دراسة الطقوس والعادات والتقاليد وغيرها بوصفها إشارات أيضاً تساعدنا على إلقاء ضوء جديد على حقيقة اللغة، وإبراز الحاجة إلى ضم هذه الأمور إلى معجم الإشارات[8]. وأن الإشارة اللغوية تربط بين الفكرة والصورة الصوتية، وليس بين الشيء والتسمية. ولا يقصد بالصورة الصوتية الناحية الفيزيائية للصوت، بل الصورة النفسية له، أي الانطباع أو الأثر الذي تتركه في الحواس، إذن فالصورة الصوتية هي

حسية لها علاقة بالحواس، وأما الفكرة فهي أكثر تجريداً من الصورة الصوتية، وهذه الصورة الصوتية تصبح واضحة عند ملاحظتنا لألسنتنا (لغتنا الخاصة)، فنحن نستطيع أن نتكلم إلى أنفسنا أو نتلو في ذهننا قصيدة من غير أن نحرك شفاهنا. فالإشارة اللغوية إذن هي كيان نفسي، له جانبان: الفكرة والصورة الصوتية[9]. وهكذا يتضح أن اللغة ليست مجرد اتفاق وتواضع أو عقد، بل إن أي حالة من حالات اللغة هي دائما نتاج للقوى التاريخية[10].

وفي سياق فصله اللغة –كنظام– عن الكلام، يعتقد سوسير أن الكلام ضرورة لتثبيت أركان اللغة يأتي أولاً من الناحية التاريخية؛ إذ كيف يمكن للمتكلم أن يربط فكرة ما بصورة للكلمة إذا لم يكن قد وجد مثل هذا الربط في أحد أفعال الكلام؟ فاللغة نظام متميز كما يراه سوسير، لا تستقر في الدماغ إلا بعد عدد لا يحصى من الخبرات، وأخيراً يكون الكلام هو السبب في تطور اللغة. فالانطباعات التي نحصل عليها نتيجة الإصغاء إلى الآخرين تتجمع فتؤدي إلى تطوير السلوك اللغوي عندنا. فاللغة والكلام يعتمد أحدهما على الآخر، مع أن اللغة هي أداة الكلام وحصيلته؛ لكن اعتماد أحدهما على الأخر لا يمنع من كونهما شيئين متمايزين تماماً. اللغة موجودة على هيئة ذخيرة من الانطباعات مخزونة في دماغ كل فرد من أفراد مجتمع معين، وفي الوقت ذاته هي موجودة عند المجموع، وهي لا تتأثر برغبة الأفراد الذين تُخزن عندهم. فالنظر إلى اللغة والكلام من وجهة نظر واحدة أمر بعيد عن الحقيقة[11].

كما أنه يرفض أن تعرف اللغة بأنها أصوات، فالصوت في الكلام وحدة مركبة من نطق وسمع، يرتبط بفكرة؛ ليكوّن وحدة فسيولوجية سيكولوجية مركبة. بينما **اللغة نتاج اجتماعي لملكة اللسان، ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبناها مجتمع؛ ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة**[12]. وخزن اللغة في عقول أفراد مجتمع معين، يكون عن طريق الاستعمال الفعال للكلام، وهو نظام نحوي، له وجود خامد في دماغ كل فرد، أو بأسلوب أدق: في أدمغة مجموعة من الأفراد، فاللغة لا توجد كاملة في الفرد، بل يكتمل وجودها في المجموعة. إن الفصل بين اللغة والكلام يعني أيضاً الفصل بين ما هو اجتماعي وما هو فردي، الفصل بين ما هو جوهري وما هو ثانوي وعرضي إلى درجة ما. فاللغة ليس وظيفة الفرد، بل هي نتاج يهضمه الفرد بصورة سلبية ولا تحتاج إلى تأمل سابق. أما الكلام فعلى العكس من ذلك، فهو فعل فردي عقلي مقصود[13].

ومن مجموع ما تقدم يستنتج بعض المفكرين المعاصرين: أن العالم اللغوي "دي سوسير" قد أحدث ثورة في النظام اللغوي، بأن أضاف إلى مفهوم العلامات بعداً آخر، فهو وإن كان يرى أن بين اللفظ الدال والمعنى المدلول علاقة اصطلاح ومواضعة إلا أنه قد عمّق من مفهوم الدال ومفهوم المدلول، فذهب إلى أن اللفظ الدال ليس هو الصوت الملفوظ أو الرمز المكتوب، بل هو الصورة السمعية، ويقصد بها الأثر النفسي الذي يتركه فينا

الصوت المسموع أو الرمز المكتوب، وهذا الدال لا يحيل إلى واقع الشيء المرتبط به، بل يحيل إلى مفهوم ذهني متحقق ضمن مجموعة من المفاهيم قارة ومرتكزة في الذهن. وعندما نتفحص كلامنا بدقة تبدو الخاصية النفسية لصورنا السمعية واضحة، وبإمكاننا دون أن نحرك شفتينا ولساننا أن نتكلم مع أنفسنا كأن نستعيد مثلاً قطعة شعرية أو مناقشة مع صديق.

والنتيجة التي توصل لها دي سوسير أن العلاقة اللغوية عبارة عن وحدة نفسية مزدوجة يترابط فيها العنصران المفهوم والصورة السمعية ارتباطا وثيقا بحيث يتطلب وجود أحدهما وجود الثاني.

هذا التصور الذي صاغه دي سوسير أنهى فيه التصور التقليدي عن علاقة اللغة بالعالم بوصفها تعبيرا مباشراً عن هذا العالم. وهكذا أصبحت العلاقة بين اللغة والعالم محكومة بأفق المفاهيم والتصورات الذهنية الثقافية؛ لإنها لا تعبّر عن العالم الخارجي الموضوعي القائم؛ إذ أن هذا العالم وإن كان له وجود، لكنه يعاد إنتاجه في مجال التصورات والمفاهيم[14].

وخلاصة القول: إن اللغة لا تقتصر على دلالات صوتية ومدلولات ذهنية، بل أفق اللغة أبعد من ذلك، فهناك عناصر دخيلة في اللغة تساهم في تحديد المعاني والمفهومات التي يراد تحديدها وهي لا تنفك عن النظام السياسي والاقتصادي أيضاً، فضلاً عن الجانب الثقافي والعرفي. ومن هنا يمكن القول إن اللغة هي ما تظهر وتتحقق في صور مختلفة من الكلام الإنساني، أو هي نظام اجتماعي معين، تتكلمه جماعة معينة بعد أن تتلقاه عن المجتمع وتحقق به وظائف معينة، ينتقل من جيل إلى جيل؛ فيمر بأطوار من التطور؛ متأثراً في ذلك بسائر النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية، وغير ذلك"[15].

من هنا لا بد أن تدخل في اللغة بحوث اجتماعية وغيرها؛ بهدف بيان العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وأثر المجتمع وحضارته ونظمه وتاريخه وتركيبه وبيئته الجغرافية في مختلف الظواهر اللغوية، وهذه البحوث، وجميع فروع علم اللغة بحاجة لها[16]. ولهذا علماء الاجتماع قد أخذوا على القدامى من علماء اللغة بهذا الصدد مآخذ كثيرة ترجع إلى تقصيرهم في بيان العلاقة بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية، وانحرافهم أحياناً عن جادة الصواب في هذا السبيل، وتفسيرهم لبعض الظواهر اللغوية تفسيراً خاطئاً، يبعد بها عن المجتمع وشؤونه، ولذلك أنشأوا فرعاً خاصاً في علمهم سموه علم الاجتماع اللغوي، وعالجوا فيه الظواهر اللغوية بطريقةٍ تكشف عن العلاقات التي تربطها بمختلف الظواهر الاجتماعية[17].

ثانياً: خصائص اللغة العربية وأسرارها

اللغة العربية طالما هي لغة إنسانية، ومن دون شك في أنها تحظى بصفات وطابع خاص بها يميزها عن غيرها، ومن أهم ما تمتاز به اللغة العربية أنها أوسع اللغات السامية تأثيراً في أصول الكلمات والمفردات، فقد اشتملت على جميع الأصول التي اشتملت عليها أخواتها من اللغات السامية أو على معظمها، مضافاً إلى هذه الميزة، قد جمعت من المفردات والمترادفات ما لم تجتمع للغة سامية أخرى في مختلف أنواع الكلمات، اسمها وفعلها وحرفها[18]. ويؤكد هذه الحقيقة ابن فارس بقوله: إن "لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها، قال تعالى: **(بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)**[19] فوصفه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان، وقال تعالى: **(خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)**[20] فقدم ذكر البيان على جميع ما توحد الله بخلقه، فلما خص تعالى اللسان العربي بالبيان علم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه"[21] وهكذا هو قول السيوطي في المزهر[22] وغيره.

ولو أردنا أن نتكلم بإيجاز عن أهم خصائص هذه اللغة، لعل أول ما يلفت الانتباه أنها تزخر بوفرة المترادفات كالبحر لا يسبر غوره ولا تحصى درره، حتى ألف بعضهم كتباً في المترادفات، مثل كتاب الروض المسلوف في لغة العرب لمجد الدين الفيروزآبادي.

هذه المترادفات لا تتفق تماماً في المعنى كما قد يتوهم، بل هناك فارق دقيق فيما بين مدلولاتها، وهذا هو أحد الآراء الذي اختاره ابن فارس في كتابه فقه اللغة. وعدم الوقوف على الفوارق الدقيقة في كثير من المترادفات؛ لعدم الاعتناء بالجاهلية في تحديد معانيها وتدوينها، فإن لغة العرب لم تنته إلينا بكليّتها، وأن الذي جاء من العرب قليلٌ من كثير، وأن كثيراً من الكلام ذهب بذهاب أهله[23]. فكل كلمة من المترادفات تدل على حالة خاصة تختلف بعض الاختلاف عن الحالة التي يدل عليها غيرها، فكلمات مثل رمق ولحظ وحدج وشفن ورنا وغيرها مما يدل على النظر، فإن كلّاً منها يعبر عن حالة خاصة للنظر، فـ"رمق" تدل على النظر بمجامع العين، و"لحظ" على النظر من جانب الأذن، و"حدج" معناه رماه ببصره مع حدة، و"شفن" يدل على نظر المتعجب الكاره، و"رنا" تفيد إدامة النظر في سكون، وهلم جراً[24].

ومن مزايا هذه المترادفات إنها تُعين على إفراغ المعنى في قوالب متعددة، ونَظْمها في سلك من البلاغة، ولا تنكر مزاياها في النظم والسجع، فبتعددها يسهل تخير ما طابق المعنى، فيأتي الكلام جزيلاً بليغاً، ولولا المترادف في اللغة العربية لم تبلغ ذلك المستوى من الجلال والعظمة والروعة، ولولا المترادفات لم يكن بالمقدور بناء المئات من الأبيات في قافية شعرية واحدة. وقد تفيد التأكيد والمبالغة مثل: هند أتى من دونها النأي والبعد[25].

وهنا لا بد أن نسجل نقطة مهمة تنفعنا في فهم القرآن على النحو الصحيح، وهي أن الترادف في اللغة العربية قد وقع خلاف فيه، بين مثبت له في اللغة العربية وبين منكر له، وكل طرف له أدلته، لكن ثمة شبه إجماع على

أن الترادف غير ثابت في الاستعمال القرآني، وهذا يفرضه طبيعة الكلام القرآني ودقة اختيار الألفاظ، وهو مقتضى الفصاحة والنظم اللذين يمثلان وجه الإعجاز البياني في القرآن. وفي هذا السياق يقول الزركشي: "على المفسر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن؛ فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب، وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد"[26]

والخاصية الأخرى المهمة: أن اللغة العربية قد تميزت بكونها أوسع أخواتها وأدقها في قواعد النحو والصرف، فجميع القواعد التي تشتمل عليها اللغات السامية الأخرى توجد لها نظائر في العربية، بينما تشتمل العربية على قواعد كثيرة لا نظير لها في واحدة منها، أو توجد في بعضها في صورة بدائية ناقصة[27].

والخاصية الثالثة: أنها أوسع أخواتها ثروة في أصول الكلمات والمفردات، فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية أو على معظمها، وتزيد عليها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول، ولا يوجد لها نظير في أخت من أخواتها، فضلاً عما تجمّع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها، ومن المترادفات في الأسماء والصفات والأفعال ما لم يجتمع مثله للغة سامية أخرى[28]. فقد جمع للأسد مثلا خمسمائة اسم، وللثعبان مائتا اسم، وللعسل أكثر من ثمانين اسماً، وللسيف ألف اسم، وللداهية أكثر من أربعمائة اسم، ويوجد لكل من المطر والريح والنور والظلام والناقة والحجر والماء والبئر أسماء تبلغ عشرين في بعضها، وتصل إلى ثلاثمائة في بعضها الآخر. وكذلك الشأن في الأوصاف، فلكل من الطويل والقصير والكريم والبخيل والشجاع والجبان ونحو ذلك عشرات الألفاظ[29].

ومن ميزات العربية الأخرى: وجود المشترك اللفظي والمعنوي، والأول ما يقابل الترادف، فكل كلمة تكون لها عدة معان حقيقية، تكون من المشترك اللفظي، ومن أمثلته لفظ "الحوب" الذي يدل على أكثر من ثلاثين معنى، منها: الإثم والأخت والبنت والحاجة والمسكنة والحزن والضرب ورقة الفؤاد، الخ [30]. وهذه الخاصية تدعمها شواهد كثيرة، فهي ظاهرة لغوية موجودة لها أسباب عديدة لسنا في مجال ذكرها. هذا ما يخص المشترك اللفظي، أما المعنوي: هو أن يدل اللفظ على معنى جامع ينطبق على كثير، كما في كلمة "**حيوان**" التي تدل على الجامع المشترك بين الإنسان والبقر والغنم والإبل. فهو يدل على كل ما به الحياة.

ومما يرجع إلى الاشتراك اللفظي ميزة التضاد، وهو أن يطلق اللفظ على المعنى وضده، ومن أمثلته "الأزر" الدالة على القوة أو الضعف. والبسل: الحلال أو الحرام، والمولى: العبد أو السيد، والرس: الإصلاح أو الفساد الخ. وقد أحصى ابن الأنباري في كتابه "الأضداد" أكثر من أربعمائة شاهد عليه[31].

ومن الميزات المهمة أيضاً: ميزة الاشتقاق، وهو اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه حروف ذلك، وأخذ كلمة من أخرى بتغيير ما، ومع التناسب في المعنى، ومرد كلمة إلى أخرى لتناسبهما في اللفظ والمعنى[32]. والاشتقاق تارة يكون عاماً، هو نزع لفظ من آخر أصل منه، بشرط اشتراكهما في المعنى والأحرف الأصول وترتيبها، كاشتقاقك اسم الفاعل "ضارب" واسم المفعول "مضروب" والفعل "تضارب" وغيرها من المصدر "الضرب" على رأي البصريين، أو من الفعل "ضرب" على رأي الكوفيين، وهذا النوع من الاشتقاق هو أكثر الأنواع وروداً في اللغة العربية، وأكثرها أهمية[33] وتعد ميزة الاشتقاق من خصائص اللغة العربية المهمة، فالأوزان العربية كثيرة جداً، قد بلغت عند بعضهم ألفاً ومائتين وعشرة[34]. وتارة أخرى يكون الاشتقاق كبيراً كما سماه ابن جني أو قلباً لغوياً، وهو أن يكون بين كلمتين تناسب في اللفظ والمعنى دون ترتيب الحروف، نحو "جذب وجبذ" و "حمد ومدح" و "اضمحل وامضحل"[35].

وهكذا أزاح علماء العربية الستار عن أنواع الاشتقاق، وحددوا معالمه، وبينوا طرقه، وحاولوا إثبات قيمته في إثراء اللغة العربية، وفتح مجالات كثيرة، وفي ضوء ذلك تتضح سمات هذه اللغة وأصالتها وكيف ترتبط فيها الأصوات بالمعاني في شكل روابط أسرية متلاقية، وفي المناسبة بين اللفظ ومعناه، ويترتب على ذلك: البحث عن أصول الألفاظ العربية، وبهذا عد الاشتقاق طريقاً لفهم أسرار العربية، وأمكن على هديه إثبات حقائق لغوية مهمة، أهمها دوران المادة حول معنى واحد، والصلات بين الألفاظ ومعانيها. فالألفاظ في اللغة العربية لها أصل واحد ترجع إليه، يمثل المادة الأصلية التي ترد على المعنى المصدري، ثم يشتق من هذا الأصل ألفاظ أخرى. وأن هناك ثمة مناسبة بين الألفاظ والمعاني– كما يرى ابن جني كما سوف يأتي– فالصوت في الكلمة مشابه للمعنى، وأن المعنى العام للفظين أو أكثر واحد، ولهذا تشابهت أصوات الكلمات، لتشابه معانيها وتقارب الألفاظ لتقارب معانيها. فهذه الألفاظ متفقة في بعض الحروف ومختلفة في بعضه الآخر، إلا أن المختلف بها متحد مخرجاً وصفة على هذا، ومرجع ذلك إلى الاشتقاق الكبير الذي يجمع بين الكلمات التي تقاربت حروفها لتقارب معانيها. فللحرف قيمة تعبيرية تتناسب مع ما وضع له من حدث، مثل كلمة (خضم وقضم) فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء، والقضم لأكل الصلب اليابس، فاختاروا الخاء لرقتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث. وكذلك النضح والنضخ للماء، والنضخ أقوى قال تعالى: **(فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ)**[36]، فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف والخاء لغلظها لما هو اقوى منه[37].

والميزة التالية المهمة: هي تنوع اللغة العربية بين الحقيقة والمجاز، والثاني يعني نقل الألفاظ إلى معان غير الموضوعة لها، والمجاز تزخر به اللغة العربية حتى أن مثل ابن جني قال: "إن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة"[38] وهو مرهون بوجود عوامل مسوغة ومنوط بأغراض لغوية كثيرة، والعربي قد تعود هذا النقل في تاريخه

الطويل، فلم يقف بالكلمات عند استعمالها الأول، بل استعمل كثيراً منها في معان جديدة، متمشياً بذلك مع حاجات نفسه وحاجات عصره وما يجد في حياته[39].

وبما مر من خصائص فريدة أضحت اللغة العربية أفضل اللغات، وأوسعها إبانة عن المقصد –وكما يقول ابن خلدون: "كانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد؛ لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني، مثل المجرور: أعني المضاف، ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى، ولا يوجد ذلك إلا في لغة العرب، وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة، ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم أطول مما تقدره بكلام العرب، وهذا هو معنى قوله (ص): أوتيت جوامع الكلم"[40]. وربما يصلح شاهداً على ذلك أن مفردة العربية –كما سوف يأتي ذكره في المبحث الثالث– مشتقة من عرب يعرب عَرَبا أي فصح، ويقال عَرُب لسانه: أي أصبح لسانه فصيحاً[41]. فالعربيّة قادرةٌ على الإفصاح وإبانة المعنى الذي يقصده الله تعالى في كتابه أكثر من غيرها من اللغات، فإن المقتضي لذلك موجود والمانع مفقود، فهي تمتلك الوفرة في المفردات التي تعبر عن المعنى الواحد كيفما كانت الأوضاع والحالات والصور والأشكال، وكذلك بما تمتلكه من دلالات أوضاعُها التركيبيّة، التي يعبر عنها في علم الأصول بالهيئات، فضلاً عن دلالتها الصوتية وجرْسُ ألفاظها التي تلقي في القلب والعقل والروح بهجة وسروراً، وتعمل على إيقاظ الإدراك، ليستوعب أعظم مستوى من الفيض الدلالي.

وبكلمة موجزة ومختصرة: خواص اللغة العربية ومميزاتها تتمثل في دقة قواعدها النحوية وغزارة مفرداتها وخصب مناهجها وقياسية أوزانها، واختصاص كثير من هذه الأوزان بالدلالة على معاني معينة، وسعة صدرها حيال التعريب والمجاز والكناية والنقل، وشدة حرصها على جمال الأسلوب وبلاغة العبارة، وتوخيها الوصول إلى الغرض من أقرب الطرق وأكثرها ملاءمة لمقتضيات الأحوال، وفي ذلك كله لأوضح دليل على أنها أعظم اللغات كفاية، وأكثرها مرونة وأقدرها على التعبير عن مختلف فنون القول [42] والذي لا شك فيه أن قوة اللغة في الأداء والبلاغة لا تأتيها من مفرداتها أسماءً كانت أم أفعالاً، وإنما تأتيها من تركيب جملها وطريقة هذا التركيب.

وقيل في أفضلية اللغة العربية: "إنها السابقة بالوصلة والآخرة بالنبوة" ويقصدون بالوصلة: المحافظة على خصائص اللغة السامية الأصلية التي تفرعت عنها اللغات السامية المختلفة، وأما إنها الأخيرة بالنبوة؛ فالمقصود بالنبوة هنا: هو الثقافة بالمعنى العام، وذلك ما يمكن استنتاجه من ثروة المعاني الكامنة في كل أصل ثلاثي من أصولها ومن قدرتها في القبض على الامتدادات المعنوية المشتركة أسسها، وأخيراً من صقلها للمعاني والصعود بها في مدارج التقدم[43].

ونختم بكلام **بروكلمان في كتابه فقه اللغات السامية**، قال: وتمتاز اللغة الشعرية [العربية] بالوفرة الهائلة في الصيغ، كما تدل بوحدة طريقتها في تكوين الجملة على درجة من التطور أعلى منها في اللغات السامية الأخرى، فضلاً عن أن مفرداتها تفوق الحصر؛ لأنها التهمت كل اللهجات المختلفة المحيطة بها. وهذه اللغة نفسها تملك الوسيلة للتعبير عن الإحساس الرقيق في الحب والشعور بالعزة، ولها تأثيرها الشعري الرائع في واقعية الملاحظة، وقد انتشرت اللغة العربية عن طريق القران الكريم انتشاراً واسعا كما لم تنتشر أي لغة أخرى من لغات العالم؛ فهي لكل المسلمين اللغة الوحيدة الجائزة في العبادة؛ ولهذا السبب تفوّقت العربية تفوقاً كبيراً على كل اللغات التي كان يتكلمها المسلمون، وقد أصبحت اللغة الأدبية المشتركة التي لها المكانة وحدها في معظم الأحوال، حتى بعد ظهور الآداب المحلية في النواحي العلمية حتى اليوم[44].

ثالثاً: أهمية اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم

أول إشارة لأهمية اللغة العربية في الدين ولفهم القرآن وتعاليمه، وردت في قوله تعالى: **(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)**[45] وقال تعالى: **(فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ)**[46] ومفاد ذلك – حسب فهم جمهور المفسرين– أن القرآن عربي اللغة، وعلى الناس أن يتأملوا بعقولهم وبفكرهم لفهم آياته، وهذا يعني امتناع فهم القرآن من دون معرفة اللغة العربية على نحو الإتقان. فلا يكتفى في مجال فهم القرآن من يجيد كلام العرب فحسب، بل لا بد أن يكون عالماً بدقائق اللغة وبتفصيلاتها وأسرارها.

وفي هذا السياق يقول الشاطبي: "وإن كان بعث للناس كافة؛ فإن الله جعل جميع الأمم وعامة الألسنة في هذا الأمر تبعا للسان العرب، وإذا كان كذلك فلا يفهم كتاب الله تعالى إلا من الطريق الذي نزل عليه، وهو اعتبار ألفاظها ومعانيها وأساليبها"[47] فكل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي؛ ليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد منه، ولا مما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك؛ فهو في دعواه مبطل[48]. بل يذهب الفقيه مالك ابن أنس إلى ضرورة التنكيل بمن يفسر القرآن من دون العلم بلغة العرب[49]، وروي عن مجاهد قوله: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"[50].

رابعاً: منهج فهم القرآن باللغة العربية وقواعدها

الاتجاه السائد بين علماء المسلمين أن القرآن لا يمكن استغناؤه بحالٍ عن تبيينه بكلام من نزل على قلبه وهو النبي (ص). وحجة ذلك عندهم قرآنياً؛ قوله تعالى: **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**[51] وهنا لم يقل لتقرأ للناس، بل قال لتبين، فهو يشير إلى أن القران يحتاج وراء قراءة النبي إلى تبيين منه، فلو لم نقل إن جميع الآيات بحاجة إليه، فلا أقل أن هناك قسماً منها يحتاج تفسيره لكلامه.

ويؤيد الاستدلال بالآية مجموعة من الأمور، **منها**: أن القرآن في نزول آياته كانت له أسباب، وبالتأكيد لن يتم فهم الآيات المرتبطة بالنزول ما لم يتعرف الشخص عليها، بل بدونها يبقى الفهم في حيّز المجمل والمبهم[52]. **ومنها**: أن القرآن فيه ما هو مجمل وغير مفصل الكيفية؛ كالصلاة والصوم والحج، وتفصيله بحاجة إلى روايات السنة النبوية التي فصلت في ذلك، **ومنها**: أن القرآن فيه المتشابه الذي يصعب فهمه من دون الرجوع للمحكم منه، وهذا يستلزم معرفة القرآن وآياته المحكمة في جميع سوره، **ومنها**: أن القرآن نزل نجوماً، وهذا النزول يصعب معه معرفة الآيات ذات الموضوع الواحد، فهي متناثرة في جميع السور، ولهذا قيل القرآن يفسر بعضه بعضاً، وكل ذلك لا يتم إلا ببيان من نزل عليه القرآن، وهو النبي (ص).

وفي مقابل ذلك هناك اتجاه يرى أن القرآن ميسرٌ في فهمه، ولا يحتاج إلى تفسير وتبيين، كيف ذلك والقرآن يصرح أنه جاء بلسان عربي مبين؟ كما أن روايات التفسير عن النبي (ص) قليلة لا تستوعب جميع القرآن، وأقوال الصحابة والأئمة أيضاً قليلة لا يمكنها استيعاب إيضاح جميع معاني القرآن، وبمراجعة التاريخ يتضح أنه لم يكن الصحابة يقفون عند تفسير القرآن وفهمه، وكما يقول صاحب المجاز: "فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي (ص) أن يسألوا عن معانيه؛ لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه"[53].

ونحن نرجح الثاني، لكن لا على إطلاقه في الاستغناء، بل نميل إلى أن القرآن فيه من الآيات – وهو الغالب فيه– ما لا يحتاج فيها سوى إتقان اللغة العربية وقواعدها وبعض الدلالات المرتبطة بذلك، كما سوف نوضحها لاحقاً، نعم في بعض منه نحتاج في فهمه إلى تحقق شروط أخرى غير صرف قواعد اللغة وبلاغتها وأساليبها، ولهذا لا بأس بالشروط الثقيلة للتفسير التي فرضها بعض العلماء على هذه القلة من الآيات فقط، كقول الراغب الأصفهاني: "فجملة العلوم التي هي كالآلة للمفسر، ولا يتم صناعة إلا بهذه العشرة: علم اللغة، والاشتقاق والنحو، والقراءات والسير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة، فمن تكاملت فيه هذه العشرة واستعملها خرج عن كونه مفسراً للقرآن برأيه"[54]. فلا نعتقد أن مثل هذه الشروط تعم كل الآيات القرآنية. وسوف نتكلم في مناسبة أخرى– في المبحث الثالث– عن فهم القرآن استناداً إلى قواعد اللغة وبلاغة القرآن ونظمه، وتوجيه ذلك.

المبحث الثاني: الدلالة اللغوية والنص القرآني

الدلالة عموماً في الاصطلاح: كون الشي بحالة يلزم من العلم به العلمُ بشيء أخر، والشي الأول الدال، والثاني المدلول. أما الدلالة اللفظية فهي كون اللفظ بحيث متى ما أطلق أو تُخيل فُهِم منه معناه؛ للعلم بوضعه من

الواضع لمعنى محدد. وهذه الدلالة تنقسم إلى دلالة مطابقية وتضمنية والتزامية، كلفظ "الإنسان" فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن، وعلى قابلية العلم بالالتزام[55]. ودلالة اللفظ على معناه بجميع أنحاء الدلالة ترتبط بخمسة عناصر مهمة، **أولها الدلالة المعجمية، وثانيها: الدلالة النحوية، وثالثها: الدلالة الصرفية، ورابعها: الدلالة الصوتية**، وخامسها: الدلالة السياقية، فهذه خمس دلالات، سنتكلم عنها مرتباً.

أولا: الدلالات المعجمية

وهي دلالة ذات اللفظ على المعنى، وفيها تدخل الدلالة التركيبية للفظ. فمفردة رحيم مثلاً له دلالة معينة مضافاً لها ما دلت عليه صيغة فعيل. تسمى بالمعجمية، لأنها تؤخذ عادة من المعاجم اللغوية، لكن قيد يستقل اللفظ في معناه من دون الحاجة للرجوع للمعجم اللغوي، وتسمى هذه الدلالة أيضاً بالدلالة اللغوية. وتعد الدلالة المعجمية أهم أنواع الدلالات في استكشاف المعنى القرآني المقصود، وبها يمكن التمييز بين المعنى الحقيقي والمجازي، والتمييز بينهما ضروري في فهم الكلام والمقصود الحقيقي للمتكلم، وطالما أدى عدم التمييز بينهما إلى فهم مغلوط مع الغفلة عن التغير والتطور الدلالي للمفردة الذي سنتكلم عنه لاحقاً.

ثانياً: الدلالات النحوية

هي الدلالة التي يتخذ فيها اللفظ حركة إعرابية تساهم في تحديد معناه. كما هو الحال في الحكم الفقهي لو قرئ بقراءة الجرّ في (أرجلكم) في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا قُمْتُمْ إلى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إلى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إلى الْكَعْبَيْنِ)**[56]. أو في قوله تعالى: **(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)**[57] فلو نظرنا إلى دلالات كلمة: **(الْيَتِيمَ)** نجد أن لها دلالة معجمية من مادة (يتم) تستخرج من المعجم، ولها دلالة صرفية باعتبارها (صفة مشبهة) تدلّ على ثبوت معنى اليُتْم ولزومه له، ولها دلالة نحوية بلحاظ كونها (مفعولًا به) مقدَّمًا؛ أي: وقع عليه فعل القهر، مع ملاحظة دلالة التقديم وما تفيده من العناية والاختصاص، ويرتبط بالدلالات النحوية معاني النحو أيضاً التي ذكرها الجرجاني، كما في قوله تعالى: **(وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ)**[58] فليس بخافٍ أنّ لتقديمِ (الشركاء) حسْنًا وروعةً ومأخذاً من القلوب، أنت لا تجدُ شيئاً منه إن أنت أخّرت، فقلتَ: **(وجعَلوا الجنَّ شركاءَ لله)**، وأنك ترى حالك حال من نُقِل عن الصورة المُبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر، إلى الشيء الغُفْل الذي لا تَحْلَى منهُ بكثيرِ طائلٍ، ولا تصيرُ النفسُ به إلى حاصلٍ. والسببُ في أَنْ كان ذلك كذلك، هو أن للتقديم فائدةً شريفةً ومعنًى جليلًا لا سبيلَ إليه مع التأخير[59].

ثالثاً: الدلالات الصرفية

ثمة علاقة وطيدة بين أبنية الكلمات الصرفية ومعانيها، فكل اختلاف في الصيغ الصرفية هو اختلاف في المعنى، فإن في قوله تعالى: **(فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا)**[60] يدل اسم الفاعل على الاستمرارية المصاحبة للحركة، بينما استعملت صيغة "فَعَل" في كلمة "جعل" لتدل على التغير، بملاحظة أن حركة الليل قليلة عادة[61]. أو دلالة المصدر ودلالة غيره، كالعادل والعدل.

وبمناسبة التعرض لدلالة اسم الفاعل لا بأس بالإشارة إلى مطلب له تعلق بمفاد هذه الصيغة التي وردت في القرآن مثل السارق والزاني وما ترتب عليها من أحكام فقهية، فقد يقال إن مادة السرقة ما دامت متلبسة باسم الفاعل فلا بد من استمرارها وتكررها مرات عديدة حتى يتوجب الحد، وكذلك الزنا وغيره.

وعلى أي حال، إن دراسة التركيب الصرفي للكلمة وبيان المعنى المرتبط بالصيغة ضروري في فهم الدلالة والمعنى، فكلمة "**استغفر**" لن ينفع تحديد معناها المعجمي فقط المرتبط بمادتها اللغوية الثلاثية (غ ف ر) بل معنى الصيغة التي وزنها وإيقاعها "استفعل" له تأثير كبير في تحديد المعنى، أو الألف والسين والتاء التي تدل على الطلب[62]. أو صيغة "فاعَل" التي تدل على المشاركة بين طرفين والتعدية والتكثير، والموالاة. كما أنها تدل على المشاركة الحقيقية للفاعل والمجازية للمفعول، نحو: خاصم، وجاذب، والتكثير نحو: ضاعف، والموالاة نحو: تابع[63]. وسوف يأتي الحديث عن هذه الصيغة وكيفية دلالاتها في القرآن الكريم. ومن الأمثلة الأخرى – لو أدخلنا الاشتقاق ضمن الصرف[64]– قوله تعالى: **(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)**[65] فهناك من زعم أن كلمة (قرن) مشتقة من قرن، مع أن الصحيح هو الاشتقاق من قرّ واستقر، فثمة فارق كبير بينهما[66].

رابعاً: الدلالات الصوتية

وهي موجات صوتية تقرع إذن السامع وتثير في ذهنه صورة سمعية للكلمة، فيستدعي ذلك حصول صورة مفهومة في الذهن. ومن الممكن أن يتغير المعنى باختلاف نبرة الصوت الخاصة بالكلمة. وهذه الدلالة تتشارك مع الدلالة المعجمية ومع بقية الدلالات في الكشف عن المعنى وتحديده. فالدلالة الصوتية ربما تكون غامضة وتحتاج إلى دقة عالية لكشفها، كدلالة المد مثلاً على طول مدة الجدال في قوله تعالى **(وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان)**[67]. أو الدلالة الصوتية في كلمة (ضيزى) في قوله تعالى **(تلك إذا قسمة ضيزى)**[68] الدالة على النفور من تلك القسمة، فكلمة "ضِيزَى" تحمل دلالة لها من انسيابية النطق وجمال الوقع على الأُذن ما لا يكون لكلمة مرادفة لها مثل كلمة "**جائرة**" فضيزى أبلغ في دلالتها على فساد القسمة وظلمها، بشكل يولّد في النفس إحساساً بثقلها وبُغضها والنفور منها، وهي دلالة لا تتفجر من الكلمة السابقة[69].

أو دلالة الصوت في كلمة "**اثاقلتم**" في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ)**[70] الدالة على التباطؤ والتكاسل. فلا يمكن الإهمال لما توحي به أصوات الكلام ومخارج الكلمات وصفاتها الصوتية من إيحاءات تشارك في التعبير عن المعنى في سياق من السياقات. والتأكيد على السياق، لأنه لا يمكن أن تأتي الدلالة الصوتية بمعزل عن السياق. وهي دلالة عريقة وقف عليها القدامى من اللغويين الأوائل.

فنجد أن الخليل الفراهيدي أشار لذلك في قوله: «كأنهم توهّموا في صوت الجندب استطالةً ومدًّا، فقالوا: (صرّ)، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعًا، فقالوا: (صرصر)، وكذلك سيبويه ذكر في المصادر التي جاءت على وزن فعلان إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو الغليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال[71].

وهكذا التفت ابن جني إلى العلاقة بين الأصوات والمعاني التي تدلّ عليها في مثل تلك المصادر بإشارات من الخليل وسيبويه، وكشف عن وجه المناسبة بين أصوات تلك المصادر ومعانيها، فأولى هذا الباب عناية فائقة فنجد في (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، يقول: "فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهجٌ مُتْلَئِبٌّ (أي: ثابت) عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره، ومن ذلك قولهم: النضح للماء نحوه، والنضخ أقوى من النضح، قال الله سبحانه : (فيهما عينان نضاختان) فجعلوا الحاء، لرقتها، للماء الضعيف، والخاء؛ لغلظها، لما هو أقوى منه[72]. وكذلك لفظة "**يصطرخون**" فيخيل للسامع جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، كما تلقي إليك في ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يليه، وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون. أو قوله: **(فكبكبوا فيها هم والغاوون)**" يحدث جرسها صوت الحركة التي هم فيها، وكذلك كلمة "**اثاقلتم**" في قوله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض)**" فيتصور الخيال ذلك الجسم المثّاقل يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل، إن في هذه الكلمة طنا من الأثقال، ولو قيل "تثاقلتم" لخفّ الجرس ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا الفظ واستقل برسمها"[73].

إن دلالة الصوت على المعنى، تعد علاقة الصوت بالمعنى مؤثراً سمعياً وانطباعياً ذا وقع على الوجدان؛ لأن الصوت في اللغة العربية له إيحاء خاص، فهو إن لم يدل دلالة محدودة يدل دلالة اتجاه وإيحاء، فيثير في النفس نازعاً يُحرِّضها على قبوله أو النفور منه.

وتلك الدلالة المستمدة من طبيعة الأصوات، إذا حدث إبدال أو إحلال صوت منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى – أدَّى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى[74].

ومن هنا لا يمكن إنكار علاقة الأصوات بالدلالات القرآنية، ما دام الارتباط مؤكداً بينهما، فدلالة الجمل الإثباتية والجملة الاستفهامية من خلال التنغيم أو التلوين الموسيقي يعد جزءًا لا يتجزأ من النطق نفسه، وتستطيع الأذن الخبيرة إدراكه وتذوقه، وهناك العديد من الأمثلة تحتوي على أداة الاستفهام، وهي في الوقت نفسه ليست باستفهام من ذلك مثلًا قوله تعالى: **(هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)**[75] فقد قرر المفسرون أن "هل" هنا معناه "قد" وفسرها بعضهم بأن هل للاستفهام التقريري وليست استفهامية، وفيصل الأمر في ذلك إنما هو التنغيم والموسيقى، وهناك على العكس من ذلك أمثلة أخرى تخلو تمامًا من أدوات الاستفهام، وهي في حقيقة الأمر جمل استفهامية، يستفاد هذا المعنى من الموسيقى التي صاحبت نطقها، من ذلك ما رآه بعض المفسرين في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبتَغِّي مَرضَاةَ أَزوَاجِّكَ)** حيث قرر هؤلاء بأن جملة : "يبتَغِّي" جملة استفهامية، وتقدير الكلام "أتبتغي" بحذف الهمزة، والحكم بأنها استفهامية إنما يرجع في حقيقة الأمر إلى تنغيم النطق بصورة توائم الأنماط التنغيمية للجمل الاستفهامية.

وللتنغيم في اللغة العربية وظيفة نحوية ودلالة مهمة فالجملة الواحدة قد تكون خبرية أو استفهامية، والتنغيم هو الفيصل في الحكم، والتمييز بين الحالتين وبذلك نستطيع عن طريق التنغيم أن نقرر نوع الأسلوب الذي ينتمي إليه الحدث الكلامي كالخبر أو الاستفهام أو التقرير أو التعجب [76]. ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى؛ إذ تختلف فيها معاني الكلمات تبعاً لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها[77].

خامساً: الدلالة السياقية والبعد التاريخي

الكلمة كما يؤثر في معناها ويوجهه بنيتها الصرفية أو موقعها النحوي وتشكيلها الإعرابي كذلك يوجه دلالتها السياق واتصالها ضمن الكلمات الأخرى، فمعرفة المقصود الواقعي للنص وكشف دلالته لا يمكن بمعزل عن قرائن النص المقالية والمقامية السياقية. وتشمل الدلالة السياقية البعد التاريخي للكلمة أيضاً.

فالمعنى المعجمي ليس كل شيء في معرفة معنى الكلام كما قلنا سابقاً، بل يدخل في الحساب عناصر غير لغوية ذات تأثير كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء من معنى الكلام، وذلك كشخصية المتكلم وشخصية المخاطب وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة، فالاعتقاد بأن المعنى محصور في الكلام مفهوم خاطئ؛ لأنّ الكلام والسياق عنصران متلازمان يكمل بعضهما بعضاً ولا انفصام بينهما[78]. ويمكننا أن نقول إن جميع القرائن التي تؤثر في المعنى هي الدلالة السياقية، فقوله تعالى: **(وَاعْلَمُوا**

أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ)[79] طالما كانت الآية في سياق الحرب، لا يمكن إلا أن تكون دلالة كلمة الغنيمة محدودة بغنيمة الحرب لا مطلق ما يغنمه الإنسان.

وعلى أي حال، فإن كلّ كلمةٍ حين ينظر لها بمعزل عن أي سياق وارتباط في أجزاء الكلام فإن معناها يحدده الوضع، أي أن الذي ينتقل إلى الذهن من هذه الكلمة هو معناها الذي يكون ناشئاً من الوضع الأول لها، فحينما ينطق بكلمة كتاب لوحدها مثلاً ينسبق إلى الذهن المعنى المتعارف للكتاب، وهذا يمكن التعبير عنه بالمعنى الوضعي للكلمة أو المعنى المعجمي لها. أمّا لو وجدت نفس كلمة الكتاب في سياق قرآني مثلاً فسوف تحظى بأهمية بالغة لكونها ذات مغزى دينيٍّ خاصّ جداً. ومرد ذلك أن السّياق يكشف عن ارتباط الكلمة بمفهوم ذات صلة مباشرة بالوَحْي. كما أن البعد التاريخي للغة الذي تكلمنا عنه في مفهوم اللغة، هنا أيضاً يتدخل ليحدد معنى الكتاب، وقد يختلف معناه عن المعنى الوضعي الأولي له، فالتطور الدلالي لكلمة "الكتاب" لا يجعل المفهوم المرتبط بها هو ذاته المتعارف حاليا للكتاب، وهذا أمر بالغ الأهمية في فهم النص عموماً والنص القرآني خاصة.

والبعد التاريخي يتأكد في حالات قراءة النصوص المكتوبة أو النقل الذي يغيّب فيه المشهد الشفاهي الحضوري، أو يغيب فيه وجود مناخ مشترك بين المتكلّم والقارئ، فهنا ينفتح بقوّة مجال التردّد لغياب الشواهد والقرائن، سيما عندما تزداد المسافة الزمنية أو المناخية بين النصّ الصادر من المرسل وبين المتلقي، فالبنية اللغوية فيها حالات وتنوّعات، ويجب أن نحدّد موقفنا من تنوّعاتها قبل إسقاط أحد الأنواع أو أكثر على النص القرآني[80].

ويدخل في ضمن البعد التاريخي مراعاة حال المتكلم عندما يتكلم مع المخاطب، خصوصاً في النص القرآني، فإن شخصية المتكلم تمثل الشخصية الإلهية التي تختلف تماماً عن الشخصيات الإنسانية، سواء قلنا أن القرآن بلفظه ومعناه من إنتاج إلهي أم قلنا أن اللفظ من إنتاج بشري نبوي لكنه مسدد بالعصمة، فالنبي ينقل لنا المعنى الذي أنزله الله تعالى على قلبه بقوالب لفظية تفوق قدرة البشر آنذاك من ناحية البلاغة والنظم، وهما عنصرا الإعجاز البلاغي – لو استبعدنا إعجاز الصرفة – ونفترض أن الله تعالى قد أقدر نبيه على ذلك التفوق البلاغي والنظمي، عندئذ يبقى الكلام كلاماً يتسم فيه المخاطب (بالكسر) بخصوصيات غير متوفرة في الجانب الإنساني، وهذا لا شك في أنه يحدد لنا إمكانية التأويل الذي يكون متسقاً مع شخصية المتكلم لو كان في الكلام ما يظهر أنه يخالف غيرها، وهذا تابع أيضاً للقرينة العقلية التي هي من توابع القرائن السياقية كما سوف يتضح في مسائل التجسيم وغيرها، في بحث اللغة العربية وتأثيرها في تشكيل العقيدة.

نعم في خصوص القصص القرآني مثلاً أو غيرها كصفات الجنة التي تتناسب مع ثقافة العرب آنذاك وبيئتهم الاجتماعية وإرثهم الثقافي المحدود، لا بد من المصير إلى أن الخطاب القرآني غير محدود، بل يمكن الانطلاق منه إلى فضاءات دلالية أخرى تتناسب مع كل زمان، كما ألمحنا إلى ذلك في مفهوم اللغة وما ذهب إليه بعض المفكرين مثل نصر حامد، بحل الإشكالية في أن كلام النبي قد صهر فيه المعاني القرآنية التي نزلت على قلبه بلغة العرب التي لا تحتمل غير ذلك البيان ودلالاته المحدودة، أو أن اللفظ الإلهي راعى حالة العرب آنذاك وثقافتهم ومن غير الممكن أن يتكلم ببيان ووصف لا يمت لثقافتهم بصلة.

وعوداً للسياق نقول: إن تتبع القرائن ومقارنة بعضها ببعض لا يتدخل في كسب أصل الدلالة فحسب التي في أغلبها تكون ظنية، لكن قد تفيد استقرار هذه الدلالة على مستوى الاطمئنان أو اليقين، وتوضيح ذلك: أن الدلالات الكلامية في كثير منها لا تفيد اليقين، بل تفيد الظن كما هو متعارف في علم الأصول، فكلمة "أسد" عندما تستعمل بوصفها مفردة – من دون جملة – ينسبق إلى الذهن منها كما ذكرنا معناها الوضعي وهو المعنى الذي نعرفه عن الحيوان المفترس، ولكن حينما تدخل في جملة ما، فلا يمكن القطع واليقين بدلالتها في أن المتكلم يريد معناها الوضعي، وذلك لأنه قد دخل في الحساب متكلم واع قاصد للاستعمال اللفظي، ففي الكلام الذي نحتمل فيه المجاز أو الذي فيه مقتضى المجاز، عادة ما تكون الدلالات ظنية فيه، وغير يقينية، فعندما يقول المتكلم رأيت أسداً، ينسبق إلى الذهن أولاً المعنى المتعارف، لكن هذا الظهور للمفردة لا يكون على مستوى اليقين لدى السامع، لإمكان أن يريد المتكلم معنى آخر لمفردة الأسد، وهو معنى الرجل الشجاع كاستعمال مجازي للمتكلم، لكن السياق هنا قد يغيّر المعادلة ويتغير الظن بالدلالة إلى يقين بها بعد متابعة القرائن الحالية والمقامية والشواهد في سياق الكلام، وهكذا في الدلالات القرآنية، كما نبه لذلك بعض العلماء من أن الظهورات القرآنية وإن بدت للوهلة الأولى ظنّية، إلا أن الظهور الاستقراري الحاصل بعد التأمل في النصوص القرآنية، ومقارنة بعضها مع بعض، ومقاربة النصوص، يفضي إلى تحصيل العلم بدلالات الكتاب. ومعنى ذلك إمكان الحصول على دلالات يقينية كثيرة جداً من القرآن الكريم وليس فقط ظهورات دلالية ظنّية[81]. وليس ذلك لأن القرآن يمتاز بقدسية خاصة وأنه نور وهداية لتكون دلالته مفيدة للعلم واليقين، بل لأن طبيعة القرائن السياقية تجعل الكلام دالاً بنحو اليقين أو الاطمئنان. نعم ربما هذا يؤسس إلى أن الحاجة للسنة النبوية في توجيه الدلالة منتفية، ضرورة أن اليقين أو الاطمئنان انكشاف لا حاجة معه لأمر آخر.

أربعة أنواع من السياق الدلالي

ولا بأس في أن نتعرض هنا للمنهج السياقي عند فيرث الذي أكد على الوظيفة الاجتماعية للغة، ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو استعمالها في اللغة، أو الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤديه، وكان

جون روبرت فيرث شديد الحرص على وصف اللغة بكونها نشاطاً معنوياً في سياق اجتماعي، وكان متحمساً لدراستها بوصفها ظاهرة اجتماعية ينبغي أن تدرس بوصفها جزءاً من المسار الاجتماعي كنمط من أنماط الحياة الإنسانية لا كمجموعة من العلامات الاعتباطية أو الإشارات، فركز على العلاقات التي تربط اللغة بالمجتمع، وتبنى نظرية سياق الموقف، وأنه من الضروري أن توضع كل ألفاظ الكلام في سياق الموقف لفهم مغزاها الحقيقي، وأن ننظر إلى المعنى على أنه مركب من العلاقات السياقية حيث تعالج كل من القواعد والدلالة والصوتيات وصناعة المعاجم مكوناتها في السياق الملائم لهذا المركب[82].

ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أو وضعها في سياقات مختلفة، معللاً ذلك بأن معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى وان معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها.

وهكذا فإن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي، ومعنى الكلمة قد يتعدد تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها. أو تبعاً لتوزعها اللغوي. كما في كلمة (يد) التي ترد في سياقات متعددة، فتقول: أعطيته مال عن ظهر يد يعني تفضلاً لا بيعا ونحوه، أو: هم يد على من سواهم: يعني أمرهم واحد، أو: يد الدهر: أي مد زمانه، أو: يد الريح، وتعني سلطانها، وخلع يده من الطاعة، تعني نزع يده، أو بايعته يدا بيد، أي نقداً، أو: ثوب قصير اليد أي: يقصر أن يُلتحف به، أو فلان طويل اليد، أي كان سمحاً، أو: مالي يد، أي قوة، وسقط في يده أي ندم، هذه يدي لك، أي استسلمت لك، حتى يعطوا الجزية عن يد، أي عن ذل واعتراف للمسلمين بحسب التفسير المتعارف. ويد الرجل، أي جماعته وهكذا. هذا في السياق اللغوي. أما السياق العاطفي، فهو يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيداً أو اعتدالاً، فكلمة يكره ويبغض، رغم اشتراكهما في أصل المعنى إلا نهما يختلفان في قوة وضعف الانفعال.

وما ذكر هنا كمثال، يوجد نظيره في القرآن الكريم، كما في كلمة "الهدى" التي ذكرها ابن مقاتل في الوجوه والنظائر، وقد وردت في سبعة عشر تجمعا سياقياً له في كل منها معنى يختلف عن المعنى الآخر[83].

وأما سياق الموقف فيعني الموقف الخارجي، الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة مثل استعمال كلمة يرحم في مقام تسميت العاطس "يرحمك الله" البدء بالفعل، وفي مقام الترحم بعد الموت: الله يرحمه، البدء بالاسم، فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا والثانية طلب الرحمة في الآخرة. وقد دل على هذا سياق الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير. وهناك أيضا السياق الثقافي الذي يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو

الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، فكلمة جذر لها معنى عند المزارع ومعنى ثان عند اللغوي ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات[84].

كل هذه الأنماط أو الأنواع من السياقات يمكن توظيفها في قراءة القرآن الكريم وفهم الكلام وتعيين مدلوله، فإن غاية ما يفيده فيرث من نظرية السياق هو أن الكلمات لم يعد ينظر إليها كوحدات معجمية تشغل مواقع نحوية محددة فحسب، وإنما النظر إلى شروط استخدامها في تلاؤم وانسجام مع الكلمات الأخرى الواردة في النص[85].

وهذا المعنى من النظرية لم يكن بعيداً عن علماء اللغة العربية، فإن ما ذهبوا إليه لا يختلف عن النظرية السياقية الحديثة، فكما أن الكلمة فيها لا معنى لها خارج السياق والاستعمال، كذلك نظرية الجرجاني في النظم القرآني، فاللفظة أو المفردة القرآنية لا تكتسب فصاحتها وبعدها الإعجازي إلا من خلال إيرادها في السياق، وأن الألفاظ عنده لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفرد، بل مزية الألفاظ وفضيلتها إثباتاً وعدماً إنما يكون من خلال ملاءمة اللفظة لمعنى المفردة التي تليها، ونحو ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، بدليل أنه رب كلمة ما قد تروق وتؤنس للنفس في موضع ما ثم نراها بعينها ثقيلة وموحشة في موضع آخر[86].

لكن ما يمكن أن تنتقد به نظرية فيرث أن الكلمة لا يمكن أن تفقد معناها تماماً من دون السياق، بل كما قلنا إن المعنى التصوري الأولي يمكن فهمه حتى من دون السياق، بل حتى لو لم يكن هناك متكلم واع كما هو مبحوث في علم الأصول[87]. كما أنه يمكن أن يسجل عليها نقطة كون الكلمات في بعض الأحيان لا تعلم معناها حتى مع السياقات وتبقى مجملة.

ونرى أن الدراسات اللسانية تعد منعطفا هاماً في تاريخ البحث اللغوي، وهي تهدف لفهم النص الديني عموماً من خلال تجاوز ثقل الثقافة التاريخية ومفهُومها التي تفصل بيننا وبين النص الديني وتمنع أو تعوق الفهم الصحيح للقرآن. ومن هنا نشجع محاولة تطبيق المناهج اللسانية وتطويعها في قراءة النص القرآني، وإن لاقت عملياً إشكالات ورفض- بسبب قداسة القرآن وخصائصه عند المسلمين- لكيفية التوظيف وضرورة الالتزام بمنهج يقوم على التماسك في بنية النص القرآني، ومن ثم البحث عن كل العناصر المساهمة في البنية اللفظية والمضمون الدلالي والمقاصد العامة له، وأعماق أسرار نصوصه؛ حتى لا يصار إلى إخراج النص من سياقه ومقاصده. ولهذا فإن أهمية السياق تعد أهمية كبرى لا مناص عنها.

وعطفاً على الدراسات السياقية ندعو أيضاً إلى عدم إغفال العلم الذي يعنى بدراسة قضايا اللغة من حيث أصواتها ومفرداتها وتراكيبها وفي خصائصها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وما يطرأ عليها من تغييرات وما ينشأ منها من لهجات، وما يثار حول العربية من قضايا وما تواجهه من مشكلات إلى غير ذلك مما يجري

ويدور في فلكه، والمعبر عن ذلك كله بفقه اللغة فإشراك نتائجه في تشخيص الدلالة عمل تكميلي[88]. وفقه اللغة من المباحث المهمة في اللغة العربية أيضا، فهو يُعرَف به موطن اللغة الأول وفصيلتها وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة، الشقيقة أو الأجنبية، وخصائص أصواتها، وأبنية مفرداتها وتراكيبها، وعناصر لهجاتها، وتطور دلالتها، ومدى نمائها قراءة وكتابة". والبحوث الأساسية في هذا الفقه تتعلق بعلوم ثلاثة: **أولاً**: التاريخ: لمعرفة موطن اللغة الأول، وروابط القربى بينها وبين اللغات الإنسانية الأخرى، وتنوع لهجاتها، وتطور خطها وكتابتها. **ثانياً**: علم الصوت: لبحث لهجات اللغة وأصواتها، ومعرفة أنواع التطور الصوتي فيها. ثالثاً: علم الدلالة؛ لبحث تطور ألفاظها وما تفيده من المعاني[89]. والثاني والثالث يسهم في تشكيل المفاهيم التي تستقى من الدلالات سواء في القرآن أم في غيره، فالتطور الدلالي عنصر هام في الدلالة كما أن الأصوات أيضاً أحد العناصر المهمة التي تكلمنا عنها سابقاً.

التغير الدلالي في اللغة العربية

ومن الضروري ملاحظة التغييرات التي تحدث للغة عادة؛ بسبب كونها نظاماً للتواصل بين الناس وأحوالهم وظروف اتصالهم التي لا يمكن أن تسير على وتيرة واحدة، واللغة مرتبطة بأحوال أهلها وظروفهم الاجتماعية والثقافية والعقلية، وأهم أسباب التغير الدلالي هي الأسباب التاريخية وأسباب ناتجة عن تغير المجتمع أو تغير طبيعة الأشياء أو تغير النظرة تجاه الأشياء، مثلا: قد يتغير الشيء شكله أو وظيفته ولكن اسمه يبقى فيظهر اختلاف بين الشيء الأول الذي وضع له الاسم، والشيء في الوقت الحاضر، ومثال ذلك كلمة الخاتم: فهو لفظ مأخوذ من الجذر "ختم" الذي يعني طبع، ومنه الختام وهو الطين الذي يختم به على الكتاب، وسميت الحلقة التي تلبس في الإصبع ختماً، لأنه يطبع بها على الكتاب، ثم اتخذت حلية وزينة ولم يعد لها علاقة بالختم[90]، وهكذا كلمة كتاب وكلمة تلاوة.

كما أن أحد الأسباب المهمة في التغير الدلالي التطور الاجتماعي والثقافي، وقد تعرضت مفردات اللغة العربية إلى تغيرات كثيرة بسبب مجيء الإسلام غيرت ثقافة المجتمع يقول ابن فارس: فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق. ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا. وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر. فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع. ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: " فسقت الرطبة " إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الأفحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه. ومما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم: الدعاء. وكذلك الحج، لم يكن عندهم فيه غير القصد،

وسبر الجراح، ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره. وكذلك الزكاة، لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء، وزاد الشرع ما زاده فيها مما لا وجه لإطالة الباب بذكره[91]. ولا شك في أن التغير الدلالي ينعكس بشكل وبآخر على قراءة القرآن ونصوصه، ويؤثر في الدلالة حتماً، فثمة مفردات كثيرة حققت تصوراً قرآنياً خاطئاً؛ اعتماداً على التطور الأخير لدلالة تلك المفردات وتلك الألفاظ.

القرآن والقراءة المعاصرة

مصطلح "القراءات المعاصرة للقرآن" يطلق على طائفة من الدراسات العلمية للقرآن بمنهجية تتعارض مع منهجية العلماء القدماء في فهم القرآن، تبني هذه المنهجية مرتكزاتها على افتراض مفاده أن القرآن حين خاطب المعاصرين لنزوله كان يخاطب جيلًا في سياق ثقافي معين، ومن غير الممكن مخاطبة جيل آخر بنفس السياق، والإطار النظري لهذه الدراسات يشدد على أن القرآن في خطابه يعتمد على تصورات الناس ويخاطبهم على قدر عقولهم، ولذا يجب عدم الوقوف بالدلالة المستفادة من النص القرآني عند حدود العصر الذي نزل فيه الوحي، وما دام القرآن يتسم بصلاحيته واستمراره لكل زمان ومكان فهذا يفرض منطقيا أن يكون النص القرآني مختلف البنية عن أي نص آخر. ومن ثم يوجد فرق بين النص الإلهي وبين فهم المجتمع له وتفاعله معه، لأنه تفاعل المجتمع مع النص وصياغة مفهوم له، يخضع لعدة عوامل من بينها العامل التاريخي والثقافي، فكل مجتمع يتعامل مع النص الإلهي من منطلقات أدواته المعرفية السائدة، والتراث الثقافي له دور في تحديد هذه الأدوات، وعندما تتجدد تلك الأدوات لن يخبو النص الإلهي بل يبقى متوهجاً ومستمراً في وجوده وعطائه لكل مجتمع، وفي كل زمان يبقى التفاعل معه بشكل مباشر حسب هذه الأدوات المعرفية الجديدة.

ويمكن القول إن الفهم أو التفسير المعاصر بدأ مع الشيخ محمد عبده حيث كان هناك بالفعل فهم يعتمد على العلوم الحديثة والتطور المعرفي، ومن الشواهد على ذلك تأوله بعض آيات القران وفقاً لنظرية دارون: الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح وللأفضل، فجعلها من المقولات القرآنية[92]. ثم تبعه الدمنهوري في كتابه الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن، حيث تم استنطاق القران بما يتلاءم مع أفكار العالم المعاصر، ثم كتاب القرآن محاولة لفهم عصري للدكتور مصطفى محمود، لكن في الحقيقة رغم محاولة مسايرة العلوم الحديثة في التفسير والخروج بتأويلات قد تتقاطع مع التراث التفسيري، إلا أن الاتجاه السائد هو ذات المنهج التقليدي في تفسيرهم، ثم الخطوة الثانية تمثلت بقطيعة جذرية مع التراث القديم للتفسير حيث تم توظيف مناهج النقد الأدبي وعلوم اللسانيات الحديثة في تفسير القرآن بتوسل أدوات معرفية جديدة في دراسة القران تمثلت هذه الخطوة بمحاولة اركون في قراءة التراث الإسلامي بهذه الأدوات، ثم حسن حنفي، ثم محمد شحرور، في الكتاب والقران قراءة معاصرة، ثم نصر حامد أبو زيد في مفهوم النص.

وفي الحقيقة القراءة المعاصرة في الخطوة الثانية باتت تشكل استفزازاً حقيقياً، وقلقاً، لأتباع المنهج التقليدي في التفسير، لأن هذه النقلة الكبيرة سمحت بتأويل مختلف وكامل للنص القرآني.

وكما ذكرنا في المقدمة فإن أصحاب القراءة المعاصرة يعتقدون أن القرآن طالما كان نصاً، فهو وإن لم يتجاوز الحدود اللغوية، إلاّ أن مصدره الإلهي يجعل تلك اللغة تتجاوز الحدود الثقافية، فهو أي النص القرآني له مستويان من الدلالة، الأول: يعبر عن مرتبة تكون دلالته خاضعة لقوانين التركيب اللغوي، النحوي، المعجمي، الصرفي، ونحوه، وهناك مستوى ثان هو مستوى الدلالة الذي لا ينظر إلى النّص القرآني على أنه تركيب للجمل فحسب، بل يُنظر إليه على أنه فضاء متعدد الأبعاد، ولهذا لا يكون المعنى الكلي للجملة مساوياً مجموع ألفاظها، وكذلك المعنى الكلي للنص لا يساوي مجموع معاني جمله، والتركيز على المستوى الأول يقيد فهمنا للقرآن ولا ينطلق بنا في فضاءاته المتعددة.

وهكذا يرفض أصحاب هذا الاتجاه سلطة السلف التأويلية المعتمدة على المستوى الأول من الدلالة، ويعدونها سلطة تعسفية ورؤية سطحية وساذجة للنص، ويذهبون إلى أن التأويل هي عملية فوق اللغة، وإن كانت مستندة إلى اللغة، والمفردات في دلالتها المعجمية لا تمثل سوى القاعدة التي تتحدد بها فضاءَات الدلالة النصّية البعيدة، هذا فضلاً عن أن الجهود التي بُذلت في اللغة وتحليلها والكشف عن أنظمتها باتت في متناول الجميع، فسلطة السلف لم تعد تمتلك تلك المرجعية التأويلية، بل هذه السلطة توقف النص عن إنتاج دلالته في كل عصر.

لكن في الحقيقة ثمة ملاحظات نقدية حاسمة على هذا المنهج المعاصر، منها: أن هناك افتقاراً وقفزات على المنهج المتبع لغوياً المتناسب مع طبيعة النّص القرآني؛ فهناك تأويلات تعسفية أيضاً يأباها الذوق العربي والنص القرآني والثقافة القرآنية العامة، وتتصادم مع أصول القرآن العامة.

فإنه وإن كان ينبغي أن يحدث تغيير في قواعد استنطاق النص القرآني وضرورة استعمال قواعد جديدة للاستظهار الدلالي من تلك النصوص[93]، بحيث تنفذ هذه القواعد إلى الخلفيات والظروف التي يعيشها المتكلم، أو إلى علاقة النص بالواقع بلحاظ أن هذا الواقع يتبدل في فهم الإنسان الذي يتلقى النص، وعلينا أن ندرس الذهنيات التي كانت تحكم عملية التفاهم في تلك المرحلة، لأن النص الذي انطلق في مرحلة من المراحل خاضع في فهمه لأسلوب التفهيم والتفاهم العرفي. حتى لو رفضنا أن يكون ثمة ثابت في القرآن بما فيه المحكمات، لكن هذا كله يسير وفق قواعد متزنة تعتمد على الظاهر والنص في القرآن الكريم، وأن الظاهر ما دام ظاهراً فهو يحتمل من التأويل ما ينسجم مع كل المراحل الزمانية.

أسطورية القصص القرآني

القصص القرآني أثارت سجالاً بعد طرح محمد أحمد خلف الله مسألة أسطورية بعض هذا القصص القرآني بشكل صريح، وذلك في مقام دفاعه عن القرآن الكريم أمام شبهات المستشرقين في رسالته لنيل درجة الدكتوراه تحت عنوان الفن القصصي في القرآن، لكن أصل هذه المسألة في عدم واقعية بعض آيات القصص لها جذور في كثير من كتب المفسِّرين، أمثال الفخر الرازي في تفسيره، وأبي مسلم بحر الأصفهاني(٣٢٢ هـ) في بعض أقواله، وكلٌّ من الحسن النيشابوري (٨٥٠هـ) في غرائب القرآن، والشيخ محمد عبده (١٣٢٣هـ) في تفسير المنار.

وخلاصة رأي خلف الله أن استعمال القرآن واستعانته بالأسطورة أو القصة الأسطورة بنسج أحداث وصنع شخصيات لا واقعية لها غير مردود عليه، ولا يمس بصدق القرآن؛ لأن غرض القصص القرآني في كليته هو الهداية والتربية والإرشاد إلى الطريق والمعتقد الصحيح، وما دام القصص الأسطوري أسلوباً في التربية ورد العقول إلى رشدها فهو مبرر ومعتبر. ويرى أن السبب في إعراض المشركين عن القرآن هو نظرهم إلى القصص القرآني على أنه تاريخ، ولذا اتهموا الرسول بأنه يورد أساطير الأولين وعارضوه بقصص ملوك فارس ورستم وغيرهم، ولو فهم المشركون أن الغاية من إيراد القصة – كما يقول الباحث – هي غاية أدبية بلاغية للتأثير في النفوس وأخذ العظة والعبرة، وليست غاية معرفية لبيان حقائق التاريخ "لعلموا حتما أنه وحي وأنه تنزيل من حكيم حميد".

ويقسّم خلف الله القصة إلى: تاريخية مادتها الوقائع التاريخية؛ وتمثيلية مادتها من نسج الخيال؛ وأسطورية مادتها ما في ذهن المجتمع من تصورات وأساطير، ويعرف الأسطورة بقوله: إنها القصة التي تقوم على الأسطورة من أجل شرح هدف علمي أو تفسير ظاهرة وجودية أو تقريب مسألة صعبة إلى الأذهان، لا يمكن أن يستوعبها العقل إلا عن طريق العرض الأسطوري، بمعنى أن الأسطورة ليست هدفاً في القصة في حد ذاته، بل مجرد وسيلة وآلية من الآليات. والقصة الأسطورية هي قصة لا واقع لها في كل أطوارها وفي كل مادتها الأدبية. وقصة أهل الكهف ربما هي المصداق لكلامه.

وفي ضوء ما يقوله خلف الله يمكن فهم القصص في القرآن الكريم بطريقة مختلفة عما هو سائد ومتعارف. لكننا نعتقد أن الأسطورة بهذا المعنى الذي يزعمه خلف الله لا شاهد عليه يحقق يقيناً في النفس، بل نعتقد أن الأسطورة المستعملة في القرآن لا بمعنى الخرافة، بل بمعنى آخر قريب من الاشتقاق اللغوي لكلمة أسطورة، فأصل سطر: اصطفاف الشيء كالكتاب والشجر[94]، فتدل على أحداث كانت مكتوبة ومدونة عند السابقين الأولين، ففي قوله تعالى: **(وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)**[95] قد نفى الله تعالى كون ما يخبرهم به نبيهم مما كان

مكتوباً سابقاً، بل الله تعالى هو من أنزله. إذن القرآن قد أنكر كونه أسطورة لا أنه أمضاها كما يزعم. بل أسطورية القصة تتقاطع مع قوله تعالى: **(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ)**[96] الدال على واقعية ما يخبر به الله تعالى نبيه من قصص، وهذا تكرر منه في عدة قصص.

كما نعتقد أن هناك تعسفاً واضحاً في تحميل المفردات معاني جديدة لم تكن في زمن النزول؛ انسياقاً مع التحليل الأدبي المعاصر للنص، فالدلالة المعجمية بوصفها واحدة من دلالات اللغة العربية – كما قلنا – لها دور جوهري مع بقية الدلالات الأخرى في تحديد الأرضية التي ينطلق منها المعنى القرآني الصحيح[97]. وكما يرى –السيد فضل الله– إننا من الممكن جداً أن نستنطق مفاهيم حديثة إذا اعتمدنا على الاستيحاء، فإن كلمات القران تحمل في تاريخ استعمالاتها كثيراً من الإيحاءات التي يعيش فيها المستعمل في مدى التاريخ، لأنها تحيط بالمعنى الذي وضعت له الكلمة؛ فتعطيه أفقا أوسع مما هو في القاموس[98].

وسواء آمنا بما بنظرية الدكتور خلف الله أو لم نؤمن بها، ثمة أهداف مهمة تقف وراء القصص القرآنية، هذه الأهداف هي العلة من ذكر القصة، والمهم فهمها والتوقف عندها، فكل قصة كرّست مفهوماً معرفياً وهدفاً أساسياً كالمعاد والتوحيد ونحو ذلك، والتوجه لهذه المفاهيم يكفي عن تفاصيل القصة.

فهم لغة القرآن بروايات السنّة

لا شك في أن فهم القرآن في بعض أحكامه وبعض آياته ليس ميسراً لكل أحد، وأن هناك حاجة كما أشرنا سابقاً إلى السنة النبوية لفهم تفاصيل كثير من الأحكام، بل لفهم كثير من القضايا التي يصعب فهمها في القرآن الكريم مستقلاً، فالسُّنَّة شارحةٌ للقرآن، ومبيِّنة وموضِّحة له، كتفصيل الصلاة والصوم والحجّ. لكن أن يكون القرآن جميعه بحاجة إلى السنة النبوية، هذا لا يمكن القبول به، فالقرآن يصف نفسه بأنّه تبيانٌ لكلِّ شيءٍ، وبطريق أولى يكون تبياناً لنفسه، وهو يصف نفسه بأن آياته بينات، كما قوله تعالى: **(وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ)**[99] وقوله تعالى: **(ولَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ)**[100] فالنص القرآني في أغلبه يتسم بسهولة فهم آياته، نعم الإحاطة الكاملة بالقرآن غير متيسرة.

ولهذا يتجه بعض العلماء إلى عزل السنة النبوية عن تفسير القرآن ما أمكن، إلا إذا كانت روايات هذه السنة قطعية وتفيد العلم، ونحن نعتقد أنه منهج صائب، فالروايات التي توجّه فهم القرآن لا بد أن تكون قطعية الصدور وواضحة الدلالة في التفسير، وهذا الوضوح ليس بالضرورة أن يكون ناتجاً من اليقين بل حتى من الاطمئنان العادي الناتج من تراكم القرائن، وإلا سوف نقع في التفسير التعسفي الذي يجعل من القرآن حاملاً لأفكار ورؤى تتقاطع مع المقاصد العامة للقرآن، ونخرج بنتائج تكون ضررها على الفرد والمجتمع واضحة وبينة.

فكم من تفسير للقرآن اعتمد على أخبار آحاد وحمل القرآن وجوهاً باطنية تخلو من شاهد على صدقها! وكم من تفسير وجهته أخبار ضعيفة خلق فتنة طائفية تتعارض مع روح القرآن ومبادئه العامة! ومقولة أن الظن لا يغني عن الحق شيئاً لم تأت من فراغ، بل العقل يقرها قبل الشريعة.

وممن يرفضون حجية الروايات التفسيرية الظنية السيد العلامة الطباطبائي، فقد صرح في موارد ومناسبات كثيرة بعدم حجيتها مع حرصه وإيمانه العميق بعترة أهل البيت ودورهم الريادي في المنظومة الدينية الإسلامية، فهو يفرق بين الروايات التي تنقل حكما فقهياً وبين غيرها، والحجية للأولى دون الثانية، معتمداً في التفسير على منهجية أن القرآن يفسر بعضه بعضاً.

ومنهجه في التفريق بين الروايات ثابت في الفكر الشيعي عموماً، لكن على مستوى النظرية فقط، وقد حاول تطبيق هذا الفارق في الجانب التفسيري بشكل عملي، فيلتزم في أمور العقيدة بضرورة العلم، ولزوم القطع، ولا يصح العمل بخبر الواحد فيها، أما في غير مجال العقيدة كما في مجال استنباط الأحكام الشرعية؛ ونظراً للأدلة القائمة في موضوعه، فبالإضافة إلى الخبر المتواتر ومقطوع الصحّة يكون العمل كذلك بخبر الواحد الذي تقوم شواهد على وثوقه.

يقول: "هذا كله فالرواية من الآحاد، وليست من المتواترات ولا مما قامت على صحتها قرينة قطعية، وقد عرفت من أبحاثنا المتقدمة أنا لا نعول على الآحاد في غير الأحكام الفرعية على طبق الميزان العام العقلائي الذي عليه بناء الإنسان في حياته"[101] وفي مورد آخر يقول: "والذي استقر عليه النظر اليوم في المسألة إن الخبر إن كان متواتراً أو محفوفا بقرينة قطعية فلا ريب في حجيته، وأما غير ذلك فلا حجية فيه إلا الأخبار الواردة في الأحكام الشرعية الفرعية"[102]، ويعتقد العلامة أن القرآن لا تمتنع آياته جميعها عن الفهم، وأنه مستقل في فهمه عن أي أمر آخر، "والطريق إلى فهم القرآن الكريم غير مسدود وإن البيان الإلهي والذكر الحكيم بنفسه هو الطريق الهادي إلى نفسه أي انه لا يحتاج في تبيين مقاصده إلى طريق فكيف يتصور أن يكون الكتاب الذي عرفه الله تعالى بأنه هدى وأنه نور وأنه تبيان لكل شيء مفتقراً إلى هاد غيره ومستنيرا بنور غيره ومبينا بأمر غيره"[103]. هذا هو ما نرجحه في فهم القرآن، ولو قدر لهذا المنهج أن يكون هو السائد في التفسير لما حصل هناك كثير من الأخطاء ولما حصل الاستدلال بآياته التي تهدد السلم المجتمعي وتجعل القرآن بعيداً عن روحه العامة ومبادئه السامية.

المبحث الثالث: الدلالة القرآنية والفهم التعسفي للقرآن

بعد أن بينا الضوابط العامة التي تؤسس لفهم صحيح للقرآن ولدلالاته اللغوية، نتعرض في هذا المبحث إلى التفسير القرآني الذي يكون خارج تلك الضوابط، وقلنا إن ذلك يمثل تعسفاً وتطرفاً في فهم القرآن، ويمكننا القول إن هذا التعسف في فهم القران، له ثلاثة أسباب مهمة:

الأول: خلل في فهم الدلالات القرآنية، وهذا له عدة مناشئ أبرزها الدلالة المعجمية والسياقية.

الثاني: تأثير المسبقات القبلية والتصورات العقدية –التي يحملها المفسر أو من يريد أن يفهم النص القرآني – في فهم دلالات القرآن اللغوية.

الثالث: إقصاء النظام اللغوي ومعطياته الدلالية، من خلال إلغاء التدبر القرآني والاعتماد على قرائن خارجة عن النص، قد تتمثل في آراء مفسرين سابقين أو روايات من السنة النبوية أو غير ذلك.

إذن هناك ثلاثة أسباب تفضي إلى أن يتصف الفهم للقرآن بالفهم التعسفي. وهذه الأسباب ثابتة بناء على التسليم بافتراض بحثي، مفاده أن القرآن واضح، يسير الفهم، لكل إنسان –عربي وغيره– متمكن من اللغة العربية وأساليبها البلاغية. وهذا الافتراض جاء اعتماداً على معطيات قرآنية واضحة، أبرزها: أن الله تعالى وصف القرآن بأنه تبيان لكل شيء وهذا يلزم منه بداهة أن القرآن مبيناً لنفسه بنفسه، إذا لا يعقل أن يكون بياناً لكل شيء ولا يكون بياناً لنفسه. بل نعتقد أن كلمة (عربياً وعربي) المستعملة في القرآن مثل قوله: **(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)** –استناداً إلى المعنى اللغوي لكلمة عربي وشواهد سياقية– **لا** يقصد بها المعنى الشائع للغة العربية، بل يقصد بها الفصاحة وقدرة القرآن على نقل الأفكار وإيجاد المعاني بصورة واضحة، ويقابله (الأعجمي) وهو القرآن الذي لا يتسم بتلك الصفات من الوضوح.

وهنا ننوه إلى أننا لا ندعي أن فهمنا للقرآن اعتماداً على اللغة العربية وعلى فهم إعجازها البلاغي والنظم فيها، أن فهمنا يتساوى مع فهم المعصوم، بل نعتقد أن النبي (ص) وأهل البيت(ع) والصحابة وإن كانوا قد اعتمدوا في فهم القرآن على لغته فحسب، هذه اللغة التي كانت قادرة على الإيفاء بمراد الله تعالى، لكن يبقى النبي وأهل بيته ومن خصهم الله بلطفه وعلمه متفوقين في قدرتهم على فهم أفاق النص القرآني بشكل أوسع وأعمق مما يفهمه غيرهم فهم يعرفون عمق المضمون فإن مفردة مثل العدل واضحة في دلالتها المعجمية على الاستقامة، لكن المعصوم – بسبب إحاطته التامة باللغة القرآنية وبقواعدها وبعمق المعاني، فضلاً عن عنصر الإلهام الإلهي– تترشح عنده إحاطة بمصاديق هذا العدل أكثر من سائر الناس[104].

أولا: التعسف بسبب خلل في فهم دلالات اللغة العربية

في الغالب يكون الفهم غير الصحيح للقرآن ناتجاً عن عدم مراعاة قواعد اللغة والدلالات المرتبطة به، خصوصاً الدلالات السياقية التي تحدثنا عنها سابقاً، وكذلك عدم مراعاة القضايا البلاغية فيه، ولا شك في أن أهم عناصر فهم النص القرآني هو دلالة مفرداته المعجمية، فقد اعتمدت معظم الدراسات على المفردة كأداة لتحليل الخطاب القرآني، ومن ثم الدلالة السياقية التي تكلمنا عنها سابقاً.

وفي سياق معرفة المفردة القرآنية يؤكد المودودي أن فهم القرآن يتوقف على كلمات أربع فيه وهو الإله والرب والدين والعبادة فإذا كان الإنسان لا يعرف ما الإله، وما معنى الرب، وما العبادة، وما تطلق عليه كلمة الدين فلا جرم، أن القرآن كله سيعود في نظره كلاماً مهملاً لا يفهم من معانيه شيء. فلا يقدر أن يعرف حقيقة التوحيد، أو يتفطن إلى ماهية الشرك، ولا يستطيع أن يخص عبادته بالله سبحانه أو يخلص دينه له[105].

ونلاحظ أن المودودي برغم أنه حاول أن يقدم فهما صحيحاً للقرآن بحسب ما يدعيه إلا انه وقع في تفسير تعسفي وأسس لمرحلة تكفير جميع الناس، يقول في تفسيره لمعنى عبادة الطاغوت: "كل دولة وسلطة وكل إمامة أو قيادة تفتري على الله وتتمرد، ثم تنفذ حكمها في أرضه، وتحمل عباده على طاعتها بالإكراه أو بالإغراء أو بالتعليم الفاسد". فاستسلام المرء لمثل تلك السلطة وتلك الإمامة والزعامة وتعبّده لها ثم طاعته إياها، كل ذلك منه عبادة للطاغوت.

وربما يتضح الخلل في فهم المفردة القرآنية، وما يترشح على ذلك من آثار ليست محمودة، في لفظ (الكفر) ومشتقاته مثل الكافر والكافرين في القرآن الكريم، هذه اللفظة وقعت تحت تأثير التطرف وبأنماط مختلفة، فهناك من أفرط في تعسفه حتى أطلقها على كل من خالف فهمه للدين من أبناء مذهبه أو أبناء دينه، بل أطلقها حتى على من يختلف معه سياسياً. بل رتب عليها حكما شرعياً كالقصاص بالقتل وغيره.

وهذه اللفظة في الفهم الفقهي العام وعند جمهور الفقهاء تعني كل من لا يتشهد الشهادتين، وفي مقابل هذا الفهم، هناك فهم يستند إلى معطيات اللغة القرآنية، ويخصص الكافر لا بمن لا يتشهد الشهادتين فحسب بل هو الشخص الذي يرفض الإسلام عن عناد وجحود وتقصير، أما غيره فلا يكون كافراً. فلو أن شخصاً ولد في بيئة غير مسلمة ولم يرفض الإسلام عن عناد ولم يعلم يقيناً بأن الإسلام هو دين الحق فأنكره، فهذا ليس بكافر ولا ينطبق عليه الوصف القرآني، وإن كان لا ينطبق عليه عنوان المسلم.

ودليل ذلك أن الكافر في دلالته المعجمية في اللغة وفي الجذر اللغوي هو الستر والتغطية، فالليل في لغة العرب يسمى كافراً لأنه يستر الأشياء بالظلمة، ويسمى الزارع كافراً لأنه يستر البذور بالتربة[106]، فالكافر هو الساتر للحق، وهذا يستلزم أن يكون الحق معلوماً له في رتبة سابقة، ليقوم بستره وتغطيته وكتمه وجحده. وهذا الكفر

بهذا المعنى يندر وجوده في زمان غير زمان النبوات، لأن هؤلاء من خلال المعجزات يتضح لهم الحق ويكون بدهياً فيقومون بستره وتغطيته لمصالح دعتهم لذلك. أما في مثل زماننا هذا قلما تجد شخصاً يتضح له الإسلام بنحو اليقين ويقوم برفضه وجحده وإنكاره. فاطلاق وصف الكفر لا بعلة عدم الإسلام، بل لمعرفة الإسلام معرفة حقاً ومع ذلك غطوا عليه ورفضوه عناداً منهم.

وبهذا الفهم صرح الإمام الغزالي في كتابه الفيصل في التفرقة بين الإسلام والزندقة، قال: "وأنا أقول إن الرحمة تشمل كثيراً من الأمم السالفة ... بل أقول: إن أكثر النصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى أعني الذين هم في أقاصي الروم والترك ولم تبلغهم الدعوة فإنهم ثلاثة أصناف: صنف لم يبلغهم اسم محمد (ص) أصلاً فهم معذورون، وصنف بلغهم اسمه ونعته وما ظهر عليه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الإسلام والمخالطون لهم وهم الكفار الملحدون، وصنف ثالث بين الدرجتين بلغهم اسم محمد ولم يبلغهم نعته وصفته بل سمعوا أيضا منذ الصبا أن كذاباً ملبساً اسمه محمد ادعى النبوة كما سمع صبياننا أن كذا يقال له المقفع تحدى بالنبوة كاذباً فهؤلاء عندي في معنى الصنف الأول فإنهم لم مع أنهم لم يسمعوا اسمه سمعوا ضد أوصافه وهذا لا يحرك داعية النظر في الطلب"[107].

وقريب من كلام الغزالي ما يراه السيد الخميني، يقول: إن أكثر الكفار إلا ما قل وندر جهال قاصرون لا مقصرون. أما عوامهم فظاهر، لعدم انقداح خلاف ما هم عليه من المذاهب في أذهانهم بل هم قاطعون بصحة مذهبهم وبطلان سائر المذاهب نظير عوام المسلمين، فكما أن عوامنا عالمون بصحة مذهبهم وبطلان سائر المذاهب من غير انقداح خلاف في أذهانهم لأجل التلقين والنشؤ في محيط الإسلام، كذلك عوامهم من غير فرق بينهما من هذه الجهة، والقاطع معذور في متابعة قطعه، ولا يكون عاصيا وآثما ولا تصح عقوبته في متابعته. وأما غير عوامهم فالغالب فيهم أنه بواسطة التلقينات من أول الطفولة والنشؤ في محيط الكفر صاروا جازمين ومعتقدين بمذاهبهم الباطلة بحيث كل ما ورد على خلافها ردوها بعقولهم المجبولة على خلاف الحق من بدو نشؤهم، فالعالم اليهودي والنصراني كالعالم المسلم لا يرى حجة الغير صحيحة وصار بطلانها كالضروري له، لكون صحة مذهبه ضرورية لديه لا يحتمل خلافه. بالجملة أن الكفار كجهال المسلمين منهم قاصر، وهم الغالب ومنهم مقصر، والتكاليف أصولا وفروعاً مشتركة بين جميع المكلفين عالمهم وجاهلهم قاصرهم ومقصرهم، والكفار معاقبون على الأصول والفروع لكن مع قيام الحجة عليهم لا مطلقا[108].

ومثال ثان؛ قوله تعالى: **(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)**[109]. وعادة ما يستدل بهذه الآية على شرعية الإرهاب في ضل غياب أبسط مقومات التفسير الصحيح، ومفردة الرهبة من حيث الدلالة المعجمية لو تتبعنا استعمالها في القران لم تكن مستعملة بمعنى الإرهاب بالمعنى المعاصر، ولا

تعني إطلاقا الحرب والقتال، ومعانيها ليس في هذا المجال، بل استعمل القرآن لفظة الرعب في حال القتال، ومعناها الصحيح خلاف الحرب تماماً، فهي تدل على منع الحرب من خلال القوة الرادعة، فكلما كنت قوياً وتملك قوة ردع زرعت الرهبة في قلوب أعدائك. فهنا الرهبة ليس للمغامرة بالحروب[110]. ثم إن هناك تناقضاً ينبغي رفعه بنحو ما بين قوله **(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)**، وكذا قوله: **(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)**، وبين الآيات التي فهم منها الدعوة لقتال غير المسلمين.

ولو نأخذ مثالاً من الآيات على الدلالة الصرفية وتأثير الخلل في تشخيصها في فهم الدلالة القرآنية: كما في قوله تعالى: **(قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)**[111].

هذه الآية أيضاً تم الاستدلال بها على شرعية قتل غير المسلمين، من خلال الأمر (قاتلوا) وتم استقطاعها من سياقها العام. والدلالة الصرفية لكلمة قاتل التي هي على وزن فاعل من المفاعلة، كما ذكرنا ذلك في بحث الدلالة الصرفية، هذه الصيغة تتميز باستطالة الحرف الصائت الذي يتوسط بين فاء الفعل وعينه أي بين الصامت الأول والثاني في المادة الأصلية الثلاثية الجذور. وهذا الزائد الصرفي الصائت (ا) يُكسب المادة الأصلية التي يدخل عليها معاني متعددة، فهو يفيد: "التعدية القاصرة" أي أن "الفاعل" يجد مُقاومة من الذي يريد أن يوقع عليه "الفعل". فيكون هدف الفعل وموضوعه هو نفسه شريكاً في تحقيق الحدث أو على الأقل عائقا له ومقاوما لوقوعه عليه فهذه الصيغة تفيد إذن مشاركة "المفعول" في الحدث ومدافعته "للفاعل" الذي يحاول أن يوقع عليه الفعل. فيمكن إذن أن نوجز الدلالة الأولية لصيغة "فاعل" في "المدافعة" و"المغالبة"[112].

فهي إذن لا تدل على وجوب القتل ابتداءً بل تدل على القتل دفاعاً، وهذا هو الذي يراه بعض المفسرين، كالعلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان: قاتلوا من القتال: محاولة الرجل قتل من يحاول قتله، وكونه في سبيل الله إنما هو لكون الغرض منه إقامة الدين وإعلاء كلمة التوحيد، فهو عبادة يقصد بها وجه الله تعالى دون الاستيلاء على أموال الناس وأعراضهم فإنما هو في الإسلام دفاع يحفظ به حق الإنسانية المشروعة عند الفطرة السليمة[113].

وللقارئ أن يراجع الاستدلال الخاطئ بقول الله تعالى: **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)**[114] الواردة في اليهود والنصارى الذين خالفوا شريعة موسى وعيسى (ع)، وقوله تعالى **(وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)**[115] وملاحظة عملية إخراج النص القرآني عن سياقه وإسقاطه على واقع مغاير.

ومثل قوله تعالى: **(فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ)**[116] كيف يفسرها السلفية الجهادية تفسيراً متطرفاً، وكيف تم اقتطاعها من سياقها؟ وكذلك قوله تعالى: **(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا**

تَكُونَ فِتْنَةٌ)[117] بزعمهم أن قتال غير المسلمين اليوم لإزالة الفتنة، وتحطيم الطغمة التي تعبد الناس لأنفسهم من دون الله، فإن استسلمت هذه الطغمة وألقت السلم فلا حاجة لإشهار السلاح ولا ضرورة لقتل الناس.

وما دام الكلام جاء في سياق هذه الآيات التي تحض على قتل الكفار والتي تنادي بالجهاد لا بأس أن نتعرض لبحث له أهمية فائقة في هذا المجال، وهو إطلاق أحكام القرآن من حيث الزمان، فهناك أحكام نجزم أنها مستمرة وتتجاوز زمن النص، ولنسمها بالأحكام الثابتة، كما أن هناك أحكاماً مرحلية مرتبطة بتنظيم المجتمع آنذاك وببداية الإسلام، لكن عندما نشك في حكم من حيث الإطلاق، هل يمكن تأسيس أصالة استمرار الأحكام في عمود الزمان، أم لا؟ طبعا نحن لا نريد التفصيل في هذه المسألة لكننا نعتقد أننا لا يمكن لنا تأسيس أصل بهذا المستوى يكون مرجعية قرآنية، ولهذا في آيات القتال والجهاد، نحن نرى أن ذلك مرتبط مع وجود النبي (ص)، ولا يمكن للمسلمين أن يعمموا التجربة النبوية لغير زمنه، إلا في حالات الجهاد الدفاعي.

ثانياً: التعسف بسبب عقيدة المفسر وتعصبه

الهدف الأول من القرآن الذي يتفرع على الهداية – فضلاً عن الأخلاق والفقه وبقية المعارف الأخرى– هو ترسيخ رؤية كونية صحيحة وتحرير العقل الإنساني من الخرافات السائدة عن طريق الاستدلال والمناظرة والوعد والوعيد والتعجيز والتهديد وغير ذلك، وكذلك القصص القرآني وما يعطي من عبر وتعاليم مترتبة عليه. وحينما تغيب الضوابط والقواعد المنهجية في الفهم القرآني، وحينما تفتقد لغة القرآن العربية بعض العناصر التي تؤسس لفهم الدلالة بلا شك سوف يكون ذلك متمثلاً في فوضى من المفاهيم، والاعتقادات.

ولا يمكن أن يتسم المفسر برؤية حيادية وموضوعية عادة، ولهذا قد تتشكل التصورات والرؤى عنده اعتماداً على أدلة وبراهين عقلية، وهذه التصورات قد تشكل مانعاً من الفهم القرآني الصحيح، فنجد أن بعض المفسرين يعكسون رؤيتهم العقدية على الدلالة القرآنية، مع أن ذلك خلاف النظام اللغوي العام في القرآن،

ويقول في هذا السياق صاحب التحرير والتنوير: أن النزعة أو المذهب لها تأثير على تأويل القرآن على وفق رأي المفسر، وتصرفه عن المراد وترغمه على تحمل ما لا يساعد عليه المعنى المتعارف، فيسخر القرآن بوصفه شاهداً لتقرير رأيه، ويمنعه عن فهم القرآن حق فهمه، بما قيد عقله من التعصب، فلا يستطيع تجاوز ذلك حتى وإن خطر بباله وبدا له معنى يباين مذهبه[118].

والحق إنه لا يمكن أن يكون البحث الكلامي والفلسفي قرينة على مراد المتكلم بل لا بد أن يكون منبهاً على وجود قرينة داخلية في نفس السورة أو من سور أخرى. حتى يصدق على أن القرآن يفسر نفسه بنفسه ويفصح

عن معناه وأنه موجد للمعاني بصورة واضحة وجليه. فالقرائن العقلية لا يمكن أن تكون هي بنفسها صارفة للمعنى الحقيقي للنص القرآني عن المعنى الحقيقي، فاكتشاف مراد القرآن إنما يكون من خلال التركيب اللغوي للقران، بقرائن متصلة، منفصلة، شواهد من داخل الآية ومن خارجها، قرائن حالية ومقالية ومقامية.

مثلا لو دلت آية أن الله تعالى له جسم مثلاً يد الله فوق أيديهم، لا يمكن لنا أن نصرف الآية عن ذلك بقرينة برهان فلسفي خارج عن النص مفاده امتناع أن يكون لله جسم، مع أن هذا البرهان جاء متأخراً عن زمن القرآن ونتيجة لتطور علم الكلام. فهذا لا يدخل في نظام اللغة العام، فلا يمكن أن تشكل هذه البراهين الفلسفية والكلامية المتأخرة قرينة على مقصود النص القرآني، بل تشكل منبهاً على وجود قرينة تتوافق مع هذه القرينة العقلية فلا بد من التفتيش عن تلك القرينة. وهي مثلا: **(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)**[119]، وقوله: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)**[120] قرينة لغوية.

فلا بد من إبعاد التحليل العقلي عما يحكي عنه النص، ولا ينبغي أن يتم الخلط بين الحدس والاستنتاج العقلي مع المعطى اللغوي لآيات القران. هناك فرق بين استنطاق للنص وبين استنتاج لم يحك عنه النص.

ثالثاً: التعسف بسبب الاعتماد على الروايات

من الأسباب المهمة في التطرف في الفهم القرآني هو الاعتماد في استنطاق النص القرآني اعتماداً على الروايات، ونحن نتفق مع جملة من العلماء في أن الروايات والأحاديث ما لم تفد العلم واليقين ليست بحجة ولا اعتبار لها ولا تأثير لها في تشكيل وعينا وفهمنا للقران. وهذا الرأي مضافاً إلى أننا سنتخلص من تأثير بعض العوامل الخارجية الدخيلة على فهم النص اللغوي، كروايات أسباب النزول، التي توجه المفسر بحسب مضمونها وتبعده عن الدلالة اللغوية للألفاظ، والتي كثير منها ضعيف السند ولا يحقق اليقين بمفادها، كذلك نتخلص من التفسيرات الباطنية ومن حالة الاستغراق في المصاديق الخاصة دون المفهوم اللغوي العام، وكأن منهج الروايات هو منهج التفسير بالمصداق دون المفهوم.

فياتي المفسر فيفسر الآية بمصداق خاص، مع أن الآية لها مفهوم عام يتحمل عدة مصاديق وأفراد لأن هذا المصداق هو الذي يتبادر إلى ذهن المفسر، فيضيق الآية في خصوص المصداق، مثلاً: **(الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)**[121] قد ورد فيه عدة معان منها الإسلام والنبي وعلي والقرآن، وهذا كله من باب ذكر المصداق دون المعنى العام. وفي هذا الخصوص وردت روايات: "ولو أن الآية نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ولكن يجري القرآن أوله على أخره مادامت السماوات والأرض" [122].

خاتمة البحث

١-هدف البحث هو إلقاء الضوء على أهمية إتقان اللغة العربية وتأثير ذلك في فهم القرآن بما لا يخرج عن حد الاعتدال والتعسف، الذي قد يترتب عليه كثير من المخاطر والتحديات المجتمعية.

٢-القرآن ميسر الفهم لكل إنسان له القدرة على فهم اللغة العربية وقواعدها وأساليبها البلاغية، مع ملاحظة ما في القرآن من شواهد وقرائن، فالقران يفسر بعضه بعضاً. وهو وحدة مترابطة الدلالة، وهو تبيان لكل شيء فكيف لا يكون تبياناً لنفسه؟

٣- التعسف في فهم القرآن له ثلاثة أسباب رئيسة: أولها: الخلل في فهم الدلالات القرآنية، وثانيها: الانحياز المعرفي يؤثر في الفهم الصحيح للقرآن، فالأوليات الذهنية التي حصلت نتيجة أدلة كلامية أو غيرها لها تأثير مباشر في توجيه التفسير القرآني بنحو يخالف القواعد اللغوية والدلالية. وثالث الأسباب: الاعتماد على القرائن الخارجية والأحاديث الضعيفة في أسباب النزول وغيره، وإقصاء التدبر القرآني.

هوامش البحث

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥ ص٢٥٠- ٢٥٢.
(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج ٥ ص٢٥٥-٢٥٦.
(٣) الخصائص، عثمان بن جني، ج ١ ص ٣٤.
(٤) بيان المختصر، أبو الثناء الأصفهاني، ج١، ١٥٠.
(٥) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ١ ص ٥٤٦.
(٦) انظر: الخصائص، ابن جني، ج١، ص٤١.
(٧) علم اللغة العام، سوسير، ص٣٤.
(٨) المصدر نفسه، ص٣٥-٣٦.
(٩) المصدر نفسه، ص ٨٥.
(١٠) المصدر نفسه، ص٩٠.
(١١) المصدر نفسه ص ٣٨.
(١٢) المصدر نفسه، ص٢٧.
(١٣) المصدر نفسه، ص 32.
(١٤) المصدر نفسه: ص٢١٨.
(١٥) المدخل الى علم اللغة، د. رمضان بعد النواب، ص٧.
(١٦) علم اللغة، على عبد الواحد وافي، ص١٢.
(١٧) نفس المصدر ص١٣.
(١٨) فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص١٣١.
(١٩) الشعراء: ١٩٥.
(٢٠) الرحمن: ٣-٤.
(٢١) الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، ص١٩.
(٢٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ج، ص٢١٥.
(٢٣) انظر: خصائص اللغة العربية، حبيب غزاله بك، ص٦-٧.

([٢٤]) المصدر نفسه: ١٣٥
([٢٥]) المصدر نفسه، ص٧
([٢٦]) البرهان، الزركشي، ج ٤ ص ٧٨.
([٢٧]) فقه اللغة، علي عبد الواحد، ص١٢٨.
([٢٨]) المصدر نفسه: ص١٢٩.
([٢٩]) المصدر نفسه، ص١٣١.
([٣٠]) فقه العربية وخصائصها إيميل يعقوب بديع، ص١٧٨
([٣١]) فقه العربية، إيميل بديع، ص١٨١-١٨٢
([٣٢]) فقه العربية، إيميل بديع، ص١٨٦-١٨٧.
([٣٣]) المصدر نفسه، ص١٨٨
([٣٤]) السيوطي المزهر ج٢، ص٤. فقه العربية، أيميل بديع، ص١٩٠.
([٣٥]) الخصائص، بن جني، ج ٢ ص ١٣٥.
([٣٦]) الرحمن: ٦٦.
([٣٧]) العربية خصائصا وسماتها، د. عبد الغفار حامد هلال، ص٢٢٣-٢٢٤.
([٣٨]) الخصائص، ابن جني، ح٢، ص٤٤٩.
([٣٩]) المصدر نفسه: ص ٣٣٣.
([٤٠]) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج ١ ص ٥٤٦.
([٤١]) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج ١ ص ٥٨٩.
([٤٢]) فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص١٨٥.
([٤٣]) المصدر نفسه، ص١٨٧.
([٤٤]) فقه اللغات، بروكلمان، ص٢٩-٣٠.
([٤٥]) الزخرف: ٣.
([٤٦]) مريم: ٩٧.
([٤٧]) الاعتصام، الشاطبي، ج٢، ص٨٠٥.
([٤٨]) الموافقات، الشاطبي، ج٤، ٢٢٤.
([٤٩]) شعب الإيمان، البيهقي، ج ٢ ص ٤٢٦.
([٥٠]) البرهان، الزركشي، ج ١ ص ٢٩٢.
([٥١]) النحل: ٤٤.
([٥٢]) انظر: المناهج التفسيرية، السبحاني، ص١٤.
([٥٣]) مجاز القرآن، معمر بن المثنى التيمي، ج ١ ص ٨.
([٥٤]) تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، ص٣٩.
([٥٥]) انظر: التعريفات، الجرجاني، ص١٠٤-١٠٥.
([٥٦]) المائدة: ٦.
([٥٧]) الضحى: ٩.
([٥٨]) الأَنعام: ١٠٠.
([٥٩]) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٢٨٦.
([٦٠]) الأنعام: ٩٦.
([٦١]) انظر: البحر المحيط، ج٤، ص١٨٩.
([٦٢]) انظر: علم الدلالة، احمد مختار، ص١٣.
([٦٣]) كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان، ج ٤ ص ٦٦. دراسات في فقه اللغة، أحمد صبحي، ص٣٣٧.
([٦٤]) يقول: د. الهنداوي: "إذا أمعنا النظر في نصوص الصرفيين رأيناهم لا يفرقون بين التصريف والاشتقاق، فيسمون الاشتقاق تصريفاً". انظر: مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع للهجرة، د. حسن هنداوي، ص٤٨.
([٦٥]) الأحزاب: ٣٣.
([٦٦]) المناهج التفسيرية، جعفر السبحاني، ص٢٧.
([٦٧]) الأنعام: ٨٠.
([٦٨]) النجم: ٢٢.
([٦٩]) انظر: مقدمة كتاب الخصائص، ابن جني، للدكتور عبد الحميد الهنداوي، ص٤٣-٤٤.
([٧٠]) التوبة: ٣٨.
([٧١]) انظر: الخصائص، ابن جني، ج ٢ ص ١٥٤.

([٧٢]) الخصائص، ابن جني، ج ٢ ص ١٥٩-١٦٠.
([٧٣]) انظر: التصوير الفني في القران، سيد قطب، ص٩١-٩٣
([٧٤]) دلالة الألفاظ؛ د. إبراهيم أنيس، ص.
([٧٥]) الإنسان: ١.
([٧٦]) المدخل الى علم الأصوات العربية، ص٢٤٤.
([٧٧]) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص١٧٥.
([٧٨]) انظر: المعجم وعلم الدلالة، د. سالم الخماش،
([٧٩]) الأنفال: ٤١.
([٨٠]) انظر: مجلة الاجتهاد والتجديد، دلالات القرآن، وقفة مع نظرية العلامة السبحاني، حيدر حب الله، العدد ٦، ص٥.
([٨١]) المناهج التفسيرية، جعفر السبحاني، ص٥٣.
([٨٢]) انظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مؤمن، ص١٧٣_١٧٨.
([٨٣]) انظر: الوجوه والنظائر، مقاتل بن سليمان، ص١٩-٢٥.
([٨٤]) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص٦٩-٧١.
([٨٥]) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. عبد الفتاح البركاوي، ص٥٣.
([٨٦]) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ج ١ ص ٤٦.
([٨٧]) انظر: دروس في علم الأصول، محمد باقر الصدر، ج ١ ص ١٨٣.
([٨٨]) فقه اللغة، د. محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٩.
([٨٩]) دراسات في فقه اللغة، د. صبحي صالح، ص٢٢.
([٩٠]) المعجم وعلم الدلالة، د. سالم خماش، ص٧٥.
([٩١]) الصاحبي في فقه اللغة العربية، أحمد بن فارس، ج ١ ص ٤٤.
([٩٢]) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج٢، ص٣٩٤، تفسير قوله دفع الله الناس بعضهم ببعض.
([٩٣]) قراءات معاصرة في النص القرآني، مجموعة من المؤلفين، حوار مع السيد فضل الله، ص٩.
([٩٤]) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج ٣ ص ٧٢.
([٩٥]) الفرقان: ٥.
([٩٦]) آل عمران: ٤٤.
([٩٧]) انظر: القصص القرآني، دراسة نقدية لآراء خلف الله حول القصة الأسطورة، محمود طيّب الحسيني، بحث منشور على موقع نصوص معاصرة/ http://nosos.net/
([٩٨]) قراءات معاصرة في النص الديني، مجموعة مؤلفين حوار مع سيد فضل الله، ص١١.
([٩٩]) الحج: ١٦.
([١٠٠]) البقرة: ٩٩.
([١٠١]) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٦ ص ٥٧.
([١٠٢]) المصدر نفسه، ج ١٠ ص ٣٥١.
([١٠٣]) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٣ ص ٨٦.
([١٠٤]) انظر: قراءة معاصرة في النص القرآني، حوار مع السيد فضل الله، ص٢٩.
([١٠٥]) المصطلحات الأربعة في القرآن، المودودي، ص٤.
([١٠٦]) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج ٥ ص ١٩١.
(١٠٧) الفصل في التفرقة بين الإسلام والزندقة، أبو حامد الغزالي، ص٨٤.
(١٠٨) المكاسب المحرمة، السيد الخميني، ج ١ ص١٣٣-١٣٤.
(١٠٩) الأنفال ٦٠.
([١١٠]) تجفيف منبع الإرهاب، شحرور، ص٢٣.
([١١١]) التوبة: ٢٩.
([١١٢]) انظر: مجلة اللسان العربي، العدد ٤٤، بحث بعنوان: تطور الأبنية الصرفية ودورها في إغناء اللغة العربية، محمد اوكمضان، ص١٠٤.
([١١٣]) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٢ ص ٦١.
([١١٤]) المائدة: ٤٤.
([١١٥]) الأنفال: ٣٩.
([١١٦]) التوبة: ٥.
([١١٧]) البقرة: ١٩٣.
(١١٨) التحرير والتنوير، ج١، ص٣١.

([119]) الأنعام: ١٠٣.
([120]) الشورى: ١١.
([121]) الفاتحة: ٦.
(١٢٢) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ج ١ ص ١٠.

مصادر البحث

١. ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٤.

٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، تاريخ ابن خلدون، نشر؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤.

٣. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، طى١٩٨٤م.

٤. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة، ومسائلها وسنن العرب في كلامها، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٥. ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.

٦. ابن مقاتل، سليمان، الوجوه والنظائر في القرآن العظيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٧. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١.

٨. أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١.

٩. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٠. أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

١١. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٥م.

١٢. أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٧٦م.

١٣. بديع يعقوب، إميل، فقه اللغة وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

١٤. البركاوي، د. عبد الفتاح عبد العليم، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع- القاهرة، ١٩٩١م.

١٥. بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ط ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

١٦. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، د١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٧. الجرجاني، أبو بكر عبد الرحمن بن عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة المدني، القاهرة ودار المدني، جدة، ط٣، ١٤٢٣هـ-١٩٩٢م.

١٨. الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٩. الحمد، محمد بن إبراهيم، فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه، دار بن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٢٠. الخماش، سالم سليمان، المعجم وعلم الدلالة، ١٤٢٨هـ، نسخة موجودة على النت على موقع لسان العرب.
٢١. الخميني، روح الله، المكاسب المحرمة، مؤسسة إسماعيليان، قم، ط٣، ١٤١٠هـ.
٢٢. دي سوسور، فردينان، علم اللغة العام، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥.
٢٣. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تفسير الراغب الأصفهاني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢٤. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
٢٥. سبحاني، جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، مؤسسة الإمام الصادق، ط٤ منقحة ومصححة، ١٤٢٣هـ.
٢٦. سيد قطب، إبراهيم حسين، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط٦، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٢٨. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام في أهل البدع والضلالات، دار ابن عفان، السعودية، ط١. ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
٢٩. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٣٠. شحرور، د. محمد تجفيف منبع الإرهاب، مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٣١. شمس الدين الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، دار المدني، السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ.
٣٢. الصالح، صبحي إبراهيم، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م.
٣٣. الصدر، محمد باقر، دروس في علم الأصول، جار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٣٤. الطباطبائي، محمد بن حسين، تفسير الميزان، منشورات جماعة المدرسين، قم.
٣٥. عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٣٦. غزاله بك، حبيب، خصائص اللغة العربية، المطبعة العصرية، القاهرة، ط ١٥٣٥م.
٣٧. الغزالي، أبو حامد، الفيصل في التفرقة بين الإسلام والزندقة، تعليق محمود بيجو، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٣٨. قدوري الحمد، غانم، المدخل إلى علم الأصوات، دار عمار للنشر، عمان، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٣٩. مجلة الاجتهاد والتجديد، مركز الدراسات الفقهية المعاصرة، بيروت ربيع عام ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ.

٤٠. مجلة اللسان العربي، جامعة الدول العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة، مطبعة النجاح، الدار البيضاء العدد ٤٤.
٤١. مجموعة مؤلفين، قراءات معاصرة في النص القرآني، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٤٢. محمد رضا، رشيد بن علي، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط عام ١٩٩٠م.
٤٣. مختار عمر، أحمد، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م.
٤٤. المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة، دار القلم، تعريب محمد كاظم إسحاق، ط٥، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
٤٥. موقع نصوص معاصرة/ http://nosos.net/
٤٦. مؤمن، أحمد، اللسانيات النشأة والتطوير، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٥م.
٤٧. هلال، عبد الغفار حامد، العربية خصائصها وسماتها، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٤٨. هنداوي، حسن، مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٣٠٩هـ- ١٩٨٩م.
٤٩. هنداوي، عبد الحميد، مقدمة كتاب الخصائص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣.
٥٠. وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٩، ٢٠٠٤م.
٥١. وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٤م.

بنية الخبر في كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة

للسان الدين ابن الخطيب (٧٧٦هـ)

أ. د . علي كاظم محمد علي المصلاوي الباحثة : فاطمة محسن هبر

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية

المقدمة

الحمد لله الذي جعل ألسنة الناس لغات تلهج بذكره ، وصلى الله على حبيبه ونبيه المصطفى محمد الصادق الأمين ، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه المنتجبين ..أما بعد :

موضوع الخبر له أهمية كبيرة في المشغل السردي والنقدي الحديث، والخبر في انواعه المختلفة هو الاصل الذي ينطلق منه الادب والتأريخ ، لذا جاء اختيارنا لكتاب يعدّ من المصادر التاريخية والأدبية في الأندلس المهمة ؛ وهو كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) ، الذي يشتمل على كمّ كبير من الأخبار التاريخية والأدبية التي دونها لسان الدين ابن الخطيب عن مدينة غرناطة والأندلس عامةً ،وقد عكست ثقافته الموسوعية ، وتأثير تلك البيئة في طريقة بناء الأخبار التي يرويها ، أو التي ينقلها من المصادر الأدبية الأخرى من جانب آخر ، على ان البحث لم يتوسع في تفاصيل الخبر واكتفى بدراسة بنيته ،فوسمناه بـ(بنية الخبر في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة) ، و تكونت خطته من ثلاثة مباحث سبقها تمهيد وتلتها خاتمة ضمَّت أهم النتائج التي توصل اليها البحث ،ولحقها ثبت المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

تشكل التمهيد الذي كانت مهمته التعريف بركائز البحث من ثلاث نقاط .النقطة الأولى تناولت سيرة لسان الدين بن الخطيب ،اما النقطة الثانية فاعتنت بكتاب الاحاطة ،وجاءت النقطة الاخيرة لتعرف بمفهوم الخبر ؛ اما المبحث الأول ففصَّل الحديث عن أنساق بناء الخبر في كتاب

الاحاطة ، فيما تناول المبحث الثاني دراسة أنواع الخبر ، وجاء المبحث الثالث والاخير ليدرس وظائف الخبر في الكتاب المذكور، واعتنت الخاتمة ببيان النتائج التي توصل لها البحث. والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية : لسان الدين بن الخطيب، كتاب الاحاطة ، الخبر

مدخل تعريفي

أولا : لسان الدين ابن الخطيب :

هو لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي التلمساني[١] ، أطلق عليه أهل المشرق لقب ب(لسان الدين) ، ولد بمدينة (لوشه))[٢] في الخمس والعشرين من رجب من سنةِ (٧١٣هـ) ونشأ في بيت علم وفضل ، ومجد ورياسة ، وكان بيتهم يسمى بيت الوزير ، ويرجع هذا اللقب إلى جده سعيد[٣] ، تتلمذ على يد عدد من شيوخ هذه المدينة ، فدرس اللغة ، والشريعة والأدب على يد جماعة من أقطاب عصرهِ ، انتقل إلى مدينة غرناطة مع اسرته ، وفي عام (٧٤١هـ) التحق لسان الدين بديوان الكتاب أو ديوان الإنشاء خلفاً لأبيه الذي توفي في العام نفسه ، وقد كان قد تثقف في صناعتي النظم والنثر مسترشداً بإستاذهِ ابن حيّاد الذي خلفهُ برئاسةِ الديوان بعد وفاته في عهد أبي الحجاج بن يوسف ، الذي منحه رتبة الوزارة وألقابها ، وقد أستأثر بعد ذلك ثقة الغني بالله حتى أسبغ عليه لقب(ذي الوزارتين) لجمعهِ بين الكتابة والوزارة([٤]) .

توفى ابن الخطيب خنقاً بالسجن بسعاية به ، بمؤامرة على يد سلطان المغرب المستنصر بمساعدة صاحب غرناطة بعد اعتقالهِ ومحاكمتهِ بتوجيه تهمة الزندقة وسلوكهِ مذهب الفلاسفة ، وذلك في ربيع الأول من سنة (٧٧٦هـ) ودفن في مقبرة باب المحروق بفاس[٥] .

عرف ابن الخطيب بأنه عالم موسوعي ، ونقطة مشعه في سماء الأندلس الزاخرة ، فقد اتسعت ثقافته وتنوعت ما بين التاريخ والجغرافية ، والأدب والشريعة ، والتصوف والسياسة والطب والموسيقى ، وظم ذلك كله باسلوب رشيق في أكثر من ستين مؤلفاً ، قال عنه محمد عنان : كان

ابن الخطيب من أعظم كتاب عصره وشعرائه ، بل هو من أعظم كتاب الأندلس وشعرائها على الإطلاق[٦] ؛ إذ إنّ أهم ما يُستنتج من ذلك ؛ أنه يستحق أن يلقب بأعظم شخصية ظهرت في تاريخ الأندلس في القرن الثامن ، وكانت عبقريتهُ متعددة النواحي ، فهو الفيلسوف والطبيب ، والشاعر والكاتب ، وهو مؤرخ بارع ، ويزيد عن ذلك وزيراً وسياسي ثاقب النظر ، قويّ الإدراك[٧] ، وذلك مما يدل على غناء موهبهِ الأدبية ، وهو أمر أسعف معارف ابن الخطيب المتنوعة من جهة وظروفه الذاتية من جهة أخرى على إغنائه وتعميقه[٨] .

ثانيا : كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة :

يُعَدُ كتاب الإحاطة من أهم المصادر التي ألفها ابن الخطيب من بين المصادر التي ألفها خاصة ، ومن بين الكتب التي ألفت في الحقبة التي ألفه فيها ؛ لما يشتمل عليه من أخبار تفرد بإيرادها ابن الخطيب حول الأندلس ومدينة غرناطة خصوصاً ، وبلاد المغرب عموماً ، وقد أوضح المؤلف ذلك في مقدمة كتابه ، وقد عدّهُ المقري من الكتب التي ذاعَ صيتها في المشرق والمغرب ، وقال فيهِ "الطائر الصيت في المشرق والمغرب والمشارقة أشد إعجاباً به من المغاربة ، وأكثر لهجاً بذكرهِ مع قلتهِ بهذه البلاد المشرقية"[٩] ، وقال فيه محمد عبد الله عنّان : هو أضخم وأهم مؤلفات ابن الخطيب ، وهو مقعد مجهوده التاريخي[١٠] ، وقد تنوعت الأخبار التي أوردها في كتابة ما بين أخبار خاصة في مدينة غرناطة ، وبين تراجم لمختلف الادباء وما ورد عنهم من أخبار ممن عاصروه ومن سبقوه .

ثالثا : مفهوم الخبر :

استقر مفهوم الخبر لغوياً على أنه : النبأ ، ويجمع على أخبار ، وهو ما اشتق من الفعل (خَبَرَ) ، وهو مخبرة الإنسان إذا خبُرَ ، أي حدثَ فبدت أخباره ، أي أخلاقة[١١] ، وفي لسان العرب : تخَرتُ الخَبَرُ واستخبرته ، وتخبرتُ الجواب واستخبرتهُ ، والاستخبار والتخبر السؤال عن الخبَر[١٢] ، وفي قوله تعالى : فأسأل به خبيراً "[١٣].

أما في الاصطلاح فإن الأخبار في التراث السردي هي " المادة الرئيسة والركيزة الأساس للرواية

العربية "[١٤] ، وقد تطورت الأخبار لتصبح الحامل المركزي للثقافة العربية ، فشكلت الأخبار التاريخية بوظيفتها التوثيقية " فهي ليست جزءاً من الأدب بل تحوم حوله وتتدرج فيه"[١٥] ومن هنا تظهر أهميته الكبرى في الأدب والثقافة ، إذ استطاع أن يتخلل أغلب ضروب المعارف في القديم ، ويكون أساساً لها ، فهو شكل أساس القصّ عند العرب فداخل مختلف ضروب التأليف ، وظهرت فيه إرهاصات اجناسية ، على نحو ما تجلى في أيام العرب وفي قصص العشاق[١٦] ، يزيد على ذلك فإن الخبر يعد واحداً من مصطلحات عديدة تدل على السرد وهي : القصّ ، والسردّ والحكي والإخبار وكلها مصطلحات تشترك "في الدلالة على الأحاديث والقصص والأخبار ، ولا تتفاوت فيما بينها إلاّ من حيث اختصاص كل منهما بجانب معيّن في النقل ، بمعنى أنها تتفق في النقل ، ولكنها تختلف في شكلهِ ودرجتهِ" [١٧] .

المبحث الأول : أنساق بناء الخبر

أولاً: نسق الإسناد :

الإسناد هو السلسلة التي تنتظم الرواة ، ما سبق المتن أو مضمون الخبر من الأعلام الذين تناقلوا الرواة ، وهم يمثلون سلسلة[١٨] ، وقد اختلفت الآراء حول نشأته فمنهم من يرى أنهُ نشأ مع الحديث النبوي الشريف ، ومنهم يرجع نشأته مع نشأة الأدب وعند علماء الأنساب ، لكن محمد القاضي توسط الرأيين في موقفهِ ، ورأى في ذلك " إنّ الإسناد وأن وجد في القرن الثاني فقد كان بدائياً لا قانون له ، ولا قواعد ثابتة يخضع لها ، فمتن الخبر مقدم على اسناده ، ولكن القرن الثالث وما صاحبه من تبلور لمصطلحات الإسناد في الحديث النبوي شهد حركة نشطة في إسناد الأخبار الأدبية "[١٩] ، لذلك نجد الإسناد أخذ مكانة مهمة سواء عند أصحاب الرواية الأدبية ، أم عند أصحاب الحديث حتى عُدَّ نسقٌ من التراسل الشفوي للرواية ، وهو السبيل الوحيد للتثبت من صحة إنساب الأخبار القديمة[٢٠] ، وفي دراسة الخبر في كتاب الإحاطة في أخبار نجد أنّ الغالب على أخبار ابن الخطيب أنّ رواية أخباره كانت من روايته الشخصية لها ، سواء أكان ذلك في روايته للحوادث أم عن الشخصيات الأدبية والسياسية ، أم وصفة لمدينة غرناطة ، وما حولها من

بلاد الأندلس ، ولربما كان السبب في ذلك قربة من الحدث ، واتصاله بالشخصيات المروي عنها ، وعلى أقل تقدير الأخذ ممن يقربهم أو يروي عنهم ، وهذا ما أعطى لأخباره أهمية كبيرة بين قارئهِ ونقاده قديماً وحديثاً ، ومهما كان من أمر فإن ذلك لا يقلل من مصداقية الخبر ، ولا يضعه موضع شكٍ ، بل على العكس فلربما يكون دليلاً على رغبته في دفع قرائهِ وسامعيه إلى تصديقهِ[٢١] ، وهما يمكن أنّ نميّز بين طريقتان أعتمدهما في ايراد أخباره : الاولى : وهي الغالبة على رواية أسانيده والتي عرفت بالسماعِ ، وفيها صيغ متعددة تدل عليها ، ومنها مصطلح (قال) وهي من أكثر الصيغ وروداً في أسانيده السماعية ، ومن النماذج التي وردت في أحد أخباره : " قال ابن الصيرفي : كان الفقيه ابو جعفر القُليعي من أهل غرناطة ،..." [٢٢] ، وفي سند آخر يرد " قال ابن عبد الملك وابن الزبير وغيرهما ، عني تلميذه ، الأخذ به الناقد ،..." [٢٣] ، ففي خبر هذا الخبر كون قد أخذ اسناده عن أكثر من راوي ، ومن الصيغ الأخرى التي اعتمدها في أسانيده هي (حدثني) بصيغة المفرد ، و(حدثنا) بصيغة الجماعة ، ومنها ما جاء في أحد أسانيد أخبارهِ " حدثني الوزير أبو بكر، قال زرتهُ في منزلهِ بعد عزلهِ ، ونسبهُ الأمور التي لا تليق ،.. "[٢٤] ، أنّ غلبة هذه الصيغ في الأخبار يدل على واقعية الأخبار، كما تعد مفتاحاً للخبر التقليدي[٢٥] ، ولا ريب في أنّ في الخبر الأول (حدثني) أراد به أنه انفرد بسماع الخبر وحده ليدل على أهمية خبره ، أما الخبر الثاني فإنه سمعه مع جماعة غيره .

كما يرد صيغ أخرى في إسناد أخباره وهي (أخبرني) ، و (أخبرنا) ، ومنها ما جاء في خبره " أخبرني أنه وجد في مدينة زيّان رجل من أهل المالية ، ... "[٢٦] ، وفي قوله : " قلت : أخبرنا شخنا أبو الحسن الجياب (رحمه الله تعالى) ، قال ، كان شكس الأخلاق ، ... "[٢٧] ، وهناك من الصيغ أيضا من احتلت مساحة واسعة بين صيغ أسانيده وهي (روى) وغالباً ما تكثر أسانيده عن الأشخاص الت يروى عنهم باستعمال هذه الصيغة ، ومن ذلك ما في خبره : " روى عن أبي علي الصدفي ، وأبي محمد بن السيد ، وأبي الحسن بن الأخضر، وأبي عبد الله بن سليمان بن محمد التجيني ، وأبي القاسم بن صواية وابي مروان بن أبي تليد وغيرهم "[٢٨] ، أن كثرة الأسانيد عند صاحب الكتاب تدل على قوّة الخبر وصدقهِ ، كما نجده يطيل ف مواضع أخرى في أسانده ،

قال : " روى عن ابي بكر بن ميمون الكندي ، وابي عبد الله الكندي ، وابي الحكم بن هردوس ، عن ابي عبد الله بن غالب الرضابي ، ... "[٢٩] .

أما الطريق الثانية التي اعتمدها المؤرخ في كتابهِ في نقل أخبارهِ ، والتي كانت أقل نسبة من بين أسانده ، هي اعتماده على المصادر ، وهذه المصادر على نوعين الأول : تكون لغيره من معاصريهِ ، أو ممن سبقوه وهو ما عرف بالإجازة عند علماء الحديث[٣٠] ، ومن الامثلة على ذلك قوله : "نقلت من خط شخنا أبي البركات بن الحاج ، أمتع الله به كنى نفسه أبا عبد الرحمن ،..."[٣١] ؛ و النوع الثاني أخذه من مصادره الخاصة على نحو ما قال في خبرهِ :"وجرى ذكره في الإكليل الزاهر، بما نصه : علم تشر إليه الأكف ، ويعمل إلى لقائهِ احافر الأخف ، ... "[٣٢] ، فضلاً عن ذلك فقد تنوعت أسانيد ابن الخطيب من حيث الطول والقصر ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلاّ أنه وضع الخبر في اطار زمني لأن كل راوي في السلسلة يمثل حقبة زمنية معينة ، حتى يتبيّن من ذلك المسلك التاريخي ، ويتضح منهجه ، حتى كأنك تبصره رأي العين ، ويقين الخبر[٣٣] .

ثانياً : نسق الاستهلال :

الاستهلال هو " الجزء الأول من الكلام الذي تقدم فيه المتكلم ، جملة من الألفاظ والعبارات ، يشير إشارة لطيفة إلى موضوع الكلام وكفية التدرج فيه "[٣٤] ، وهو بهذا يمثل مفتاح القراءة بعد عتبة العنوان ؛ لأنها تمثل أول دخول ميداني إلى أرض النص[٣٥] ، وقد تنبه الباحثون إلى أهميته في النص ، حتى وضعهُ بعضهم موضع البسملة[٣٦] ، ويقوم الاستهلال على وظيفتين أساسيتين هما : الأولى جذب انتباه القارئ أو السامع وشدهُ إلى الموضوع ، والثانية : التلميح بأيسر القول عما يحتويه النص "[٣٧] ، ونتيجة لتنوع النصوص التاريخية والأدبية فأن بداياتها تتنوع تبعاً لذلك ، فكل أدب له فلسفة خاصة يحاول أن تميّز بها عن غيره في استهلال نصوصه .

ومن الأنماط التي اتبعها ابن الخطيب في كتابهِ أنه يؤكد على حادثة معينة من خلال استهلالهِ للخبر عن تلك الحادثة ، من ذلك ما رواه بنفسهِ عن حادثة فتح الأندلس على يد طارق

بن زياد ، قال : " إنَّ يُلْيان الرومي الذي ندب العرب لغزو الأندلس طلباً لو تره من ملكها ، لُذْريق كما هو معلوم ، قال لطارق بن زياد ، مُفتتحها عندما كُسر جيش الروم ، على وادِ لكَّه : قد فضضت جيش القوم ، ..."[٣٨] ، نرى المؤلف في هذا الخبر قد زامن الاستهلال مع بداية فتح الأندلس ، أي بداية الحادثة ، وهذا الحدث الأساس الذي وقع عليه الفتح ، وهذا النوع من الاستهلال يعرب بالاستهلال الحدثي الذي يصور فيه الشخصية منذ بداية صراعها داخل الحدث ، فابن الخطيب حين بدأ أو استهل خبره بسرد الحادثة فأنه يعلم إنّ ذلك يوهم متلقي الخبر أو قارئه بواقعية الخبر أو ويشدّ انتباهه للحادثة ، ومن ثم حمله لتصويّرها في خياله ومن ثَّمَ تصديقها، ومن انماط الاستهلال التي وردت في الكتاب ما يسمى بالاستهلال الفضائي ، وهذا يرتبط بمكونات البنية السردية خاصة عنصري الزمان والمكان[٣٩] ، وقد ورد هذا النوع من الاستهلال في الكتاب في عدّة مواضع منها زماني ومنها مكاني ، ومن الأخبار الواردة من هذا النوع في كتاب الاحاطة ، يقول : " من كرم أرضنا أنها لا تُعدم زريعة بعد زريعة ، ورعياً بعد رعى ، طول العام ، وفي عمالتها المعادن الجوهرية من ذهب ، والفضة ،..."[٤٠] ، إن الخبر السابق تصدر استهلالاً مكانياً ذكر فيها أرضه أرض غرناطة وهي المكان الذ ترعرع فيهِ ، وفتنتهُ طبيعتها بكل ما فيها من خيرات ، لذلك نراه قد أعطاها أهمية كبيرة عبر وصفه لخيراتها المتنوعة ، أما النوع الثاني الاستهلال الزماني فقد ورد بكثره عبر تراجمهِ التي قدمها في كتابهِ ، فضلاً عن تأريخه للحوادث ، من ذلك ما أورده من خبر في ترجمتهِ أحمد من محمد بن قعنب الأزدي ، إذ قال في رواية خبر وفاتهِ "عام سبعين وستمائة توفى قاضياً ببُرجة بعد عله سَدِكتْ به في السادس عشر من شعبان من عام أثنين وثلاثين وسبعمائة ، وانتقل منها في وعاء خشب ، ودفن بمقبرة إلبيرة ، تجاوز الله عنه"[٤١] ، يستهل ابن الخطب خبره السابق باستهلال زمان مستغنياً فيه عن الإسناد ، والذي عدت اللبنة الأساس للخبر . أي خبر وفاة هذا الأديب .

أما النوع الثالث من أنواع الاستهلال التي اتبعها ابن الخطيب في إيراد أخباره هو الاستهلال الوصفي الذي يعمل على تقديم إضاءة لأجواء النص[٤٢] عبر تقديم وصف باسلوب خاص للشخصيات أو الأماكن أو الحوادث الذي التي يرد أخبارها ، من ذلك ما ورده في خبر(محمد بن

علي بن فرج القربلياني) ، إذ قال "كان رجلاً ساذجاً ، مشتغلاً بصناعة الطب ، عاكفاً عليها عمره ، محققاً للكثير من أعيان النبات ، كلفاً به ، متعيشاً من عشبه أول أمره ،... "[٤٣] ، ففي هذا الاستهلال أعطى المؤرخ صورة واضحة عن شخصية الخبر عندما حدد صفات الأفعال التي قام المخبر عنه ، فضلاً عن ذلك أعطى لهذه الشخصية دوراً كبيراً في تشكيل الحدث ، وهذا بدورهِ يخلق افقاً واسعاً في مخيلة المتلقي لما يحصل في نهاية الأحداث وهذا ما دفع ابن الخطيب صورة لمعظم الشخصيات التي ترجم لها .

ثالثاً : نسق الخاتمة :

إذا كان الاستهلال له دلالة الإيحاء إلى ما بعده من كلام ، فأن الخاتمة دلالة لا تقل عن ما تقدمه من قوّة للخبر أو النص الذي وردت فيه ' فهي من الأركان المهمة في النص الأدبي ، فهي النقطة التي يسعى إليها القارئ أو المتلقي والكاتب معاً ، وهي الانتهاء أو حسن الختام [٤٤] ، وقد أطلق عليها النقاد عدّة تسميات ، منها الخاتمة ، والانتهاء وحسن الختام ، وبراعة التخلص ، وبراعة المقطع[٤٥] ، وهي وحدة سردية ، أو احدى مكونات السرد ، لها وجودها المادي والمعنوي الذي لا يمكن فصله عن النص الخبري ، إذ تكوّن سطوره النهائية الملتحمة به ، مكونه نهاية طبيعية لهُ ، فهي "تتسم بالسرعة والتكيف"[٤٦] ، وقد تنوعت خواتيم أخبار ابن الخطيب فهو لا يعتمد على نوع واحد ، وأكثر الأنواع وروداً هي الدعاء ، ولربما كان سبب ذلك لأن الغالب على أخباره كانت عبارة عن تراجم ، مما يدعوه أن يختم ترجمته بالدعاء لهذه الشخصية وتلك ، ، من ذلك : " والله عزّ وجل يصل إليكم عوايد الإسعاد والإسعاد ، ويحفظ لكم ما للمجدِ من جوانبٍ ، وأكناف ، إنْ شاء الله تعالى "[٤٧] ، فالراوي وظف اسلوب الدعاء في خاتمةِ خبرهِ ، وهذا النوع من أفضل ما يختم به الادباء والمؤرخين ، والنوع الثاني الذي استعمله هو أن يختم خبره بنهاية طبيعية للحادثة أو الترجمة ، ومن ذلك ، قوله : " دخل غرناطة راوياً ، وفي غير ذلك في شئونه ، وهو الآن ببلدة مالقة ، يخطب ببعض المساجد الجامعة بها على الحال الموصوفة "[٤٨] ، فكان ختام ابن الخطيب بهذا النوع ليدل على استمرارية الخبر ، ومن أخباره ما يختتمها بالشعر ، ولربما جد في ذلك لما في الشعر من قوة تأثير في أذن المتلقي ، ومدى استمرارية بقاءه في ذهنه ، ومن ذلك

ما جاء في خبر الحكم بن هشام ، قال : " توفي لأربع بقين من ذي الحجة ، سنة ستة ومائتين ، وكان عمره اثنين وخمسين سنة ، وجرى ذكره في الرجز ؛ من نظمي في تاريخ دول الإسلام ، بما نصه :

حتى إذا الدهر عليه احتكما قام بها ابنه المسمى حكما

واستشعر الثورة فيها وانقبض مستوحشاً كالليث أقعى ورضا

حتى إذا فرضته لاحت تفض فأفحش الوقعة في أهل الربضا

كان جباراً بعيد الهمة لم يرعُ من آلٍ بها أو دمة"[٤٩]

اختتم ابن الخطيب خبره بشعرٍ راجز على العزم والتمسك بما تركه أباؤه وأجداده ، من الهمة وفرض السيادة ، وقد يختتم أخباره بآية من القرآن الكريم ، ولربما أراد في ذلك اعطاءه أخباره قوة ومصداقية ، من ذلك ما جاء في خاتمة أحد أخباره : " أن كون الطالع ببرج القمر لاستيلائهِ على مواضع الاستقبال المتقدم للولادة ، وكون التخمين على ربع ساعة ، وعشر ساعة ، وثلث عشر الساعة السادسة من ليلة الاثنين المذكورة ، والطالع من برج السنبلة ، خمسة عشر درجة ، وثمانون وأربعين دقيقة من درجة ، كان الله له في الدنيا والآخرة ؛ " وحسبنا الله ونعم الوكيل "[٥٠] "[٥١] .

نستنتج من خلال خواتيم لسان الدين الخطيب أنّ ذلك راجع إلى ثقافتهِ المتنوعة ، ومقدرتهِ اللغوية على ايراد أساليب متنوعة في بناء أخباره فضلاً عن أن ذلك يبعد القارئ عن السأم والملل الذي يمكن أن يشعر به أثناء قراءة أخباره .

المبحث الثاني: أنواع الخبر

أولاً : الخبر الواقعي :

يقصد بالواقعية الأدبية ملاحظة الواقع بأدق تفاصيله ، وتصويره تصويراً حرفياً ، وإبعاد عناصر الخال الجامح ، إذ تتبع الحيادية أو الموضوعة الصارمة التي تمنع تسرب أفكار الكاتب وعواطفهُ الذاتية إلى أعماله الأدبية[٥٢] ، ويعرف الخبر الواقعي بأنه " كل خبر يضطلع بتقديم حدث يوازي التجربة اليومية الواقعية ، إذ يخلق الخبر ألفه لدى المتلقي فلا يشعر بالغرابة ولا بالعجب ؛ لأن كل شيء يبدو طبيعياً ومألوفاً"[٥٣] ، فالإعلان عن شخصية الراوي بواسطة الإسناد ووضع شروط لازمة للرواية تجعل منه خبراً صادقاً ، ومبدأ الصدق هو ما يجعله يتسم بالواقعية ، ومن الاخبار الواقعية ما يتسم بالتاريخية ، والخبر التاريخي هو الخبر الذي لا هدف له إلاّ نقل الوقائع ، وهذا النوع من الأخبار غلب على أخبار ابن الخطيب في كتاب الإحاطة ، فضلاً عن ذلك فأن أهم ما يمّيز أخباره أنه واقعية في شخصياتها وأحداثها ، وفضائها الزماني والمكاني ، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء من خبر : " قال ابن الفياض : كتب إليه من الثغر الجنوبي أنّ عظيم الفرنجة من النصارى حشدوا إليهِ ـ وسألوه المرة ـ بطول المحاصرة ، فأحتسب شخوصه بنفسهِ إلى إلمرية في رجب سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة في جحفلِ لجبِ من نجدة الأولياء وأهل المراتب ، ولما حلَّ إلبيرة ورد عليه كتاب أحمد بن طرطوشة بنصر الله العزيز وصنعه الكريم على الروم ، ووافى إلمرية وأشرف على أمورها ، ونظر إلى اسطولها وجدده ، وعدته يومئذ ثلاثمائة قطعة ، وانصرف إلى قرطبة "[٥٤] ، برزت واقعية الخبر عبر تأريخه للفترة الزمنية الت ذكرها الراوي ، والمكان الواقعي ، فضلاً عن شخصيات الخبر الحقيقية ، إذ لا نلاحظ في الخبر خرقاً للواقع حتى في تسلسل الأحداث ، أي أنّ مظاهر الواقعية الجادة جاءت من تراكم الأحداث المتتابعة التي استهلها الراوي إلى خاتمة الخبر ، ومن ذلك أيضاً ما أورده ابن الخطيب " قال ابن حمديس حدثني خالي أبو عبد الله بن عسكر ؛ أنّ الكاتب أبو عبد الله بن عيّاش كتب يوماً كتاباً ليهودي ؛ فكتب فيه ؛ ويحمل على البرّ والكرامة ، فقال له المنصور : من أين لك أن تقول في كافر ، ويحمل على البرّ والكرامة ، فقال : ففكرت ساعة ، وقد علمت أنّ الاعتراض يلزمني ، فقلت : قال رسول الله (صلى الله عليه وعلى اله وسلم) : إذا أتاكم كريم قومٌ فأكرموه وهذا عام في الكافر وغيره "[٥٥] ، أثبت الراوي واقعية الخبر أولاً عبر السند ممن رواه قبله ، ومن ثَّمّ أثبت

واقعية الخبر عبر واقعية الشخصية التي روى عنها ، والتي أثبتتها مصادر التاريخ والأدب ، ومما الأمثلة التي أوردها ليثبت واقعية أخباره ما جاء في قوله : " ولما جنّ الليل أمر أميرهم من رفع خباءهِ ومن وهدة كان فيها إلى نجدة ، فساءت الظنون ، وأختل الأمر ، ففرّ الناس وأسلموا ، وتهيّب العدو المحلّة ، فلم يدخلها بعد هدأة من الليل وأستولى عليها "[٥٦] ، لقد بنى الأديب في هذا الخبر على واقعية الحدث المتتابعة ، فجعلها عبارة عن سلسلة متواصلة تعكس تاريخ تلك الفترة زمانياً ومكانياً ، وهذا ما يدفع القارئ إلى تصديق الخبر والتأكد من مصداقيتهِ .

ثانياً : الخبر غير الواقعي العجائبي :

الخبر العجائبي : "هو التردد الذي يحسهُ كائن لا يعرف غير القوالب الطبيعية ، فيما يواجه حدثاً فوق طبيعي ، حسب الظاهر ، فهو يتحدد حسب الظاهر والمتخيل " [٥٧] ، ويتوقف هذا النوع النوع حسب الإخبار على فهمهما للتخييل ، ، وهي لا تهدف إلى نقل الواقع كما هو، وإنما إلى تخييله، أي: إلى نقل صورة متحركة عن الواقع توحي به([٥٨])، خلق صورة ومعنى لهما مختلفة عما هي على أرض الواقع ، وهذه الأخبار كثيرة في كتب التاريخ والأدب ، وقد وردت بعض من هذا النوع من الأخبار في كتاب الإحاطة ، من ذلك ما أورد من خبر ، قال : " ذكروا أنّ امرأة احتمل السبع ولدها ، وشكت إلى بعض الصالحين ، فأشار عليها بالصدقة فتصدقت برغيف ؛ فأطلق السبع ولدها ؛ وسمعت النداء : يا هذهِ ؛ لقمة بلقمة . وإنّا استودعناه لحافظون ، اهجروا الشهوات ، واستدركوا الباقيات من قبل الفوات ، وأفضلوا لمساكينكم من الأقوات ، وأخشعوا لما أنزل الله تعالى من الآيات ،... "[٥٩] ، إنّ العجائبية في هذا الخبر برزت عبر حدوث حدث غير طبيعي لا يتناسب مع ما هو موجود على أرض الواقع ، إذ أنّ امرأه تسمع نداء بعد تصدقها برغيف ؛ ذلك أنّ الراوي يريد أن يقول لنا أنّ هناك اتصال حدث بين المرأة والسماء ، وهذا غير مسلم به لأنه خارج حدود المعقول ، وهذا النوع من الأخبار غالباً ما تستمد فكرتها من خبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في حادثة الاسراء والمعراج والاتصال الذي حصل بين السماء والأرض ؛ ومن ذلك ما رواه أيضاً : " في خبر ابن الحداد الراوي ، يقول : حدّثَ بعض المؤرخين أنه كان قد فقد سكناً

عزيزاً عليه ، وأحوجت الحال إلى تكلف سلوه ، فلما حضر الندماء وكان قد رصدَ الخسوف بالقمر ، فلما حقق أنه ابتدأ أخذ العود وغنى :

شقيقكَ قد غُيّبَ في لحدهِ وتشرق يا بدر من بعدهِ

فهلّا خسفت وكان الخسوف حداداً لبستَ على فقدهِ

وجهل يرددها ويخاطب البدر ، فلم يتم ذلك ، إلا واعترضهُ الخسوف ، وعظم من الحاضرين التعجب "[٦٠] ، استعمل الراوي عملية الوصف ، أي وصف ما حدث عبر نقلهِ الخبر ، إ كان أحد معاني التعجب ، أنّه يصف تخيّل القمر الذي اعترضه الخسوف بعد أنّ عزف له ابن الحداد ، بطريقة تثير إعجاب القارى أو المتلقي ، وأنّ هذا الفعل في نقل الخبر لا يهدف إلى نقل الواقع إنما يهدف إلى تخييلهِ ، أي نقل صورة متحركة عن الواقع توحي به عبر تصوير الحدث ، وحال الحاضرين[٦١] .

ثالثاً : الخبر الفكاهي :

الأدب الفكاهي هو نوع أدبي يتجسد في القول أو الفعل أو الموقف ، أو الكتابة يثير الضحك والبهجة لدى القرّاء لتسليتهم وأقناعهم [٦٢] ، إذ أنّ الفكاهة تشير إلى الإتجاه الباسم أو الضاحك تجاه الحياة ونقائها ومظاهر عدم اكتمالها ، أي ذلك " الاتجاه الذي يتضمن فهماً خاصاً لمظاهر التناقض في الوجود والحياة ، أو يتضمن شعوراً خاصاً بالتفوق مصحوباً بالبهجة "[٦٣] ، وتقوم الدعاية اساساً على الرصانة والوقار وللتعبير عن الأفكار باسلوب هزلي يختلف عن اسلوب السخرية ، وقد ورد هذا النوع من الأدب في بعض أخبار ابن الخطيب من كتابهِ هذا ، من ذلك ما رواه من خبر اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل السلطان الذي احتال على أخيه المتوثب على ملكهِ ، قال في خبر يرده في طرفه وفكاهة : " ولما ملك سرقسطة اختص الوزير ابا بكر بن الصائغ ولطُفَ منه محله ، ذكر أنه غاب عنه يوماً وعن حضور مجلسه بسرقسطة ، ثم بكر من الغد ، فلما دخل قال له أين غبْت يا حكيم عنا ، فقال له يا مولاي أصابتني سوداء فأغتممت ، فأشار إلى الفتى الذي يقف على رأسه وخاطبه بلسان عجمية أ فأحضر طبقاً مملوءاً مثاقيل

محشمة وعليها نوادير ياسمين فدفعه كله إليه ، فقال ابن ماجّة : يامولاي لم يعرف ابن جالينوس من هذا الطب فضحك ، ..."[٦٤] ، مما نلحظ في هذا الخبر أنّ السلطان اسماعيل استعمل اسلوب الظرافة والفكاهة في معالجة الموقف الذي وقع فيه وزيرهُ من خلال تقديم طبق مثاقيل من المال ، ولربما حاول الاشارة إلى أمر أخر عبر هذا الاسلوب ولربما كان تهاون البعض في عملهم فأراد تنبيهه على ذلك لكن باسلوب فكاهي مبطن ، ومما رواه أيضاً في خبر عن محمد بن اسماعيل الرئيس الموثب على المُلك وهي كرسي الإمارة ، قال : " حدّث من كان منوطاً به من خاصتهِ مدّة أيام اقامتهِ بقصر نجد قبل خلعهِ ، قال : أرسل الله الأغربة على سقف القصر ، وكان شديد التطيّر والقلق ، ... ، قال : غرابٌ شديد الإلحاح حاد النعيب والصيّاح فأغرى به الرماة من مالكيه بأنواع القسي فأبادوا من الغربان أمة وتخطأ بالحتف ذلك الغراب الخبيث ، فلما أنتقل إلى سكنى الحمراء ظهر ذلك الغراب على سقفهِ ، ثم لمّا أُهبط مخلوعاً إلى قصر شنيل تبعهُ وقام بعض السقف أمامة ، فقال يخاطبه رحمه الله : يا مشؤوم يا محروم بين الغربان ، قد خلصت أمرنا ولم يبقَ لك علينا طلب ،ولا بيننا وبينك كلام ، ارجع إلى هؤلاء المحارم فاشتغل بهم ، قال : فأضحكنا على حال الكآبة بعذوبة منمقة ، وخفة روح "[٦٥] ، بدأ الاديب باستعمال الطرفة من استعماله الطائر (الغراب) ، وما اعتقد به من خرافة أنه طائر شؤم ، ثم قال عنه أنه شديد الإلحاح ، ومن ثم تتبعه له حتى نهاية سلطته ، ومن ثم انهاء خبره باسلوب الحوار مع ذلك الطائر الذي زاد من طرفة الخبر ، واثارة الضحك والفكاهة بين خاصتهِ ، فقد جسد الأديب بهذا الخبر صورة مثيرة للضحك ، ويبدوا إن سمة الفكاهة في شخصية صاحب الخبر سمة من سماتهِ الخاصة به ، وهذا ما دفع المتلقي إلى الاعجاب بالخبر وإثارة الفكاهة لديهِ

المبحث الثالث :وظائف الخبر

أولاً : الوظيفة السردية :

تعمل الوظيفة السردية على اظهار موقع الراوي ، وتمييزه عن موقع الشخصيات والأحداث ؛ وذلك أن الراوي عندما يخبر عن حدث معين أو منظر معين من المناظر فإنه لا ينقله بجميع

تفاصيله الدقيقة ، وإنما يقوم بإجراء بعض التعديلات التي يجدها ملائمة على الحدث الذي يصوره ، فيكون اختياره على وفق دوافع منها : الرغبة في التأثير في المخاطب ، وفي أتقان الحبكة حتى تكون أكثر أتقاناً من أحدات التي ، فضلاً عن ذلك رغبة في النقد ، واظهار بعض الأحداث يرغب في نقدها[٦٦] ، وقد حاول ابن الخطيب في كتابه هذا أن يقدم أخباره في اسلوبين سرديين هما :

الأول : السرد الموضوعي : الذي يتخذ فيه المؤلف والراوي الموضع المحايد ويتخذ واسطة الضمير الغائب في رواية الأحداث ، ويترك للقارئ أو المتلقي حرية التفسير ؛ إذ يعتمد فيهِ على الرؤية الخارجية ، يصف من خلالها ما يراه ، ويقدم الأحداث والشخصيات بحيادية وصفية دون أنّ تتبين حدود علاقة هذه الرؤية ، وهذا الراوي بمادة الرواية ، وتسمى هذه الرؤية للخبر بالرؤية الخارجية ، ويسمى الراوي هنا بالراوي العليم الذي يوصف بأنه يمتلك قدرة غير محدودة لكشف الأبعاد الداخلية والخارجية للشخصيات بضمير الغائب عند عرضهِ لعالمهِ الحكائي[٦٧] ، ومما ورد من هذا النوع في كتاب الإحاطة من أخبار ، قوله : " قال صاحب الكتاب الجلّية ([٦٨]): فبدأ بحث المعاهدة بغرناطة في استدعائهِ فأفتضح تدبيرهم باجتلابه ، وهمّ أميرها بتثقيفهم ، فأعياهم ذلك ، وجعلوا يتسللون إليها عبر كل طريق ، وقد أحدقت جيوش المسلمين من أهل العدوة والأندلس بغرناطة ، حتى صارت كالدائرة ، وهي في وسطها كالنقطة ، لمّا أنذروا بغرضه ، وتحرك من وادي آش فنزل بقرية دجمة ، وصلى بغرناطة صلاة الخوف ، يوم عيد النحر من هذه السنة في الأسلحة والأبهة ، وبعيد الظهر من غدهِ ، زهرت أخبية الروم بالقيل شرق المدينة ، وتوالت الحرب على فرسخين منها ، وقد أجلى السّواد وتزاحم الناس بالمدينة ، وتوالى الجليد وأظلّت الأمطار..."[٦٩] ، نجد الراوي في هذا الخبر يتخذ من الضمير راوياً للحدث ، وهو يتخذ صفة الموضوعية ، فلا تظهر له أي نوع من المشاعر والانفعالات الذاتية التي غالباً ما نجدها في النصوص ، فهو يقوم برصد الأحداث المتوالية في حادثة المعاهدة ، وتتبعها في زمن واحد ، ومكان واحد ، فالراوي العليم في هذا الخبر استطاع أن يروي عبر اسلوب السرد الموضوعي ووضع حد مركزي للأحداث منذ بداية الحادثة وهو بدأ بحث المعاهدة في استدعاء أمير الجيش

في غرناطة وحتى نهاية الحدث اقلاع أمير الجيش ، وكف مطامعهِ وتسليم أمرها إلى غيرهِ ، وكان ذلك كلهُ باسلوب متدفق واضح يدل على واقعية الأحداث بعيد عن العواطف الخيال .

أما النوع الثاني الذي وظفه ابن الخطيب في سرد أحداثهِ ، فهو السرد الذاتي ، وفي هذا النوع من السرد يتدخل فيهِ الراوي حتى يكون واحداً من شخصيات الخبر ، ويتخذ لنفسه مستوى زمانياً ومكانياً ، أو ايدلوجياً خاصاً بهِ [٧٠] ، فهو يلتمس عبر رؤية الراوي الداخلية التي تضفي انطباعاته ووجهة نظره من الأحداث والشخصيات ، إذ يشكل أحد شخوص الخبر ، حيث يقوم بتقديم الأحداث وشاهداً عليها ، ويسمى هنا الراوي بالراوي المشارك ، ويستعين بضمير المتكلم (أنا)[٧١] عند عرضهِ للخبر، ومن هذا النوع ما ورد من خبر قال فيهِ : " قال ابو الحسن بن سعيد حدّثني الحسين بن دويرة ، قال كنتُ بمالقة لمّا قبض على ابي جعفر وتوصّلت بالاجتماع به ، ريثما أستؤذن السيد في أمرهِ حين حبس ، فدمعت عيني حينما رأيتهُ مكبولاً ، قال : أعليّ تبكي بعدما بلغت من الدنيا أطايب لذّاتها ، فأكلت صدور الدجاج ، وشربتُ في الزجاج ، وركبتُ كلّ هملاج ، ونمتُ في الديباج ، وتمتعتُ في السراري والأزواج ، واستعملتُ من الشمع السّرّاج الوهاج ، وها أنا في يد الحجّاج ، منتظراً محنة الحلاج ، ... "[٧٢] ، في هذا الخبر استعمل ابن الخطيب ضمير المتكلم ليقوم بمهمة تقديم الأحداث إلى المتلقي ، ويردها بصورة متتابعة ، فجاء بالأفعال المسندة لضمير الفاعل المتكلم (كنتُ ، توكلتُ ، بلغتُ ، أكلتُ ، شربتُ ، نمتُ ، تمتعتُ ،...) إذ أنّ تتابع هذه الأفعال المسندة بيّنت سردية الحدث ، وجعل ضمير المتكلم المسند في هذهِ الأفعال إلى الراوي على لسان ابي الحسن بن سعيد في ذات المؤلف ، مما جعل الزمن غائباً بين زمن السرد والزمن الذي روى فيه المؤلف حكاية .

ثانياً : الوظيفة التوثيقية الاستشهادية :

تظهر هذه الوظيفة في الخبر عند تظمين الأديب خبره بعض النصوص الأدبية أو من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، أو أبيات شعرية ليجعل القارئ أكثر ثقة ومصداقية [٧٣]عند قرائته لخبرهِ ، وقد تجلت هذه الوظيفة عند ابن الخطيب بطرائق مختلفة ؛ وذلك باعتماده على

القرآن الكريم ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في خبر له يسندهُ إلى محمد بن عبد الرحمن اللخمي في رسالة كتبها عن سلطانة في فتح مدينة قيجاطة[٧٤] : "من الأمير فلان أيدهُ الله ونصرهُ ، ووفقهُ لما يحب ،...، أما بعد حمد الجهاد الذي جعل الجهاد في سبيلهِ أفضل الأعمال ، الذي يقربه إلى الله وندب إليه بما وعده من الثواب ، فقال : " يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال [٧٥]" ، تنبيهاً على محل الثقة ، بأن الفئة القليلة من أوليائهِ تغلب الفئة الكبيرة من أعدائهِ ، وتدارك دين الإسلام بانجاز وعده في قولهِ "ولينصرّنَّ الله من ينصره "[٧٦]على رغم من أنف من ظن أنه خاذله تعالى الله خاذل جنده ،...، قال تعالى فيما أنزل "قاتلوا الذين يلونكم منالكفار"[٧٧]،..."[٧٨] ، فقد حاول ابن الخطيب في هذا الخبر أن يوثق الأحداث التي سردها في خبره توثيقها بمجموعة من الآيات القرآنية التي تتناسب موضوع رسالتهِ التي كتبها في الحث على الجهاد في سبيل الله ، ومما ورد من أمثلة عن الاستشهاد بالأحاديث النبوية والشعر ، ما نقلهُ ابن الخطيب ما جاء في خبر عن مالك ابن عبد الرحمن بن الفرج ، في رسالة كتبها إلى الشيخين الفقيهين الأديبين ابي بكر بن يوسف الفخار ، وأبي القاسم خلف ابن عبد العزيز القبتوري " تالله لفقد ظلمتماني على علم واستندتما إلى غير حلم الامر، أما رهبتما شبابي ، اما رغبتما في حسابي ، أما رفعتما بين نفح صبابي ، ولفح صبابي ، لعمري لقد ركبتما خطراً ، وهجتما الأسد بطراً ، وأبحتما حتى محتظراً ، ولم تمنعا هذا الأمر نظراً : (البحر الطويل)

أعد نظراً يا عبد قيس لعلّما أضاءت لنا النار الحمار المقيّدا

ونفسي عين الحمار في هذا المضمار ، لا أعرف قبيلاً من دبير ولا أفرق بحسي بين كبير وصغير ،...، وإذا خولتماني في نعمةٍ ، أو نفلتماني نفلاً ف" اليد العليا خيرٌ من اليد السفلى " ، " ومتنقص مالٍ من صدقة "[٧٩] ولا جمال من لمح حدقة"[٨٠] ، حاول الراوي أن يظهر في النص ما أستدل به صاحب الخبر من استشهادهِ من الحديث النبوي ومن الموروث الأدبي الشعري ليجعل متلقي الخبر أكثر ثقة فيما يقول أو ينقل تأكيداً منه على أهمية الخبر .

ثالثاً : الوظيفة التعليقية أو الإيديولوجية :

تختص هذه الوظيفة بعدم الاكتفاء بنقل الأحداث وتصويرها بل التعليق عليها ، وإيضاحها وبيان عللها ، أي أنّ راوي الحدث يتجاوز تقديم الحكاية إلى البحث عن حكاية الحكاية ، عن أصل الحكاية ، ومن ثمَّ التحليل والشرح والتفسير ، بحيث يبرز الخصائص الذاتية لهذا الراوي ، ويرسم صورته ، فالأحداث نفسها عندما تقع في الحياة لا تكون معللة أو مفسرة[٨١] ، ومما جاء في أخبار ابن الخطيب من الأخبار التي تبرز فيها تدخلاتهِ ، قال : " حدث خادم باديس ، قال : رأيت جسد ابن عباس ثاني يوم قتله ، ثم قال لي باديس ، خذْ برأسه واصطفهُ إلى جسده بجنب أبي الفتوح قتيل باديس أيضا : وقال لي باديس : ضعْ عدواً إلى جنب عدو إلى يوم القصاص ؛ فكان قتل أبي جعفر عشية الحادي والعشرين من ذي الحجة ، وسنة سبعة وعشرين وأربع مائة "[٨٢] ، فالتعليق الذي أضافه الراوي أرّخَ عنه تاريخياً للحادثة مؤكداً وقوع تلك الحادثة ، ومصداقية روايتها في ذلك الوقت ، ففي أثناء تعليقه هذا كأنما أكد وقوعه ، ومما أورده ابن الخطيب في كتابه أيضاً : " قال الاستاذ أبو جعفر بن الزبير ، : كان منقبظاً على الناس أديباً شاعراً خمّس عشرينيات الفازراي ، رحمه الله ، وذكرهُ صاحب الذيل ، وقال لي شيخنا أبو البركات ، وهو جدهُ أبي أبيه ، ما معناه كان شريف الهمة ، عظيم الوقار ، ألوفاً صموتاً ، نحيف الجسم ، آدم اللون ،...، فأذلهم بالمقابلة في عقر الدار ،...، فلم يرجعوا من الغنية إلا بالفرار ، فقلت : وجلب في هذا المعنى شعراً كثيراً ناسب الغرض ، ونال من المتغلب على المرية على عهدهِ حظوة فاستظهر به تارة على معقل مرشانة ، وتارة على الرسالة إلى الحضرة الحفصية بتونس"[٨٣] ، ففي هذا الخبر قام ابن الخطيب عبر تفسير أقوال النقاد والكتاب من أنّ الأحداث التي جرت في الحادثة المخبر عنها .

رابعاً : الوظيفة التعبيرية الانطباعية :

تتضح هذه الوظيفة في مشاركة السارد بما هو كذلك ، في القصة التي يرويها ، أي تناول العلاقة التي يقيمها معها ، إنها علاقة عاطفية حقاً ، لكنها أيضاً أخلاقية وفكرية[٨٤] ، وتظهر هذه

الوظيفة في عدّة أخبار من كتاب الإحاطة ، ومن أمثلة ذلك : " قال : القاضي عبد الله بن عسكر ، حدثني الفقيه عبد الله أبو علي ، قال : كنت في أشبيلية ، وقد قصدتها لبعض الملوك ، فبينما أنا أسير في بعض طرقها ، لقيت الشيخ أبا العباس فسلمت عليه ، ووقفت معه ، وكنت قد ذُكر لي أنّ بها رجلٌ من الصالحين زاهداً فاضلاً ،...، فسألني أبو العباس عن حصري فأعلمته بقصدي ، فرغب أن يصحبني إليهِ حتى أتيناه ، فرأينا رجلا عاقلاً قاعداً في موضع قذر فسلمنا عليه ،...، ثم أتفق أن اجتمعنا في مجلس الأمير الذي كنت قد قصدته ، فقال ابو العباس أن ابا علي قد حفظ لبعض الوقت شعراً في الزهد من أعذب الكلام وأحسنه ،..."[٨٥] ، ففي هذا الخبر استطاع ابن الخطيب وعبر روايتهِ للخبر أنّ يضع نفسه موضع شخصية الحدث عبر اسلوب السرد الذاتي ، مما يجعل حضوره يهيمن على مجرى الأحداث المتوالية ، وكأنه يحكى للمروي تجاربه الذاتية الخاصة به ، الواقعة في حياتهِ ليستدعي انتباه القارئ ، مما يحمل المتلقي على التواصل ومتابعة الأحداث التي يقوم بسردها .

الخاتمة

بعد دراسة بنية الخبر في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للأديب لسان الدين ابن الخطيب توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها :

ـ إنّ الغالب على أخبارهِ روايتها بنفسهِ ، لأنه نقلها عن العصر والبيئة اللذان عاش فيهما وعاصر الأحداث التي جرت فيهما .

ـ اعتمد ابن الخطيب في أخبارهِ على أسانيد متنوعة بين القصيرة والطويلة والمتوسطة ، كما يورد أخبار يرويها باعتماده على صيغ النقل المختلفة (قال ، حدث ، أخبر ، روى) .

ـ جاءت بنية الاستهلال في أخبار ابن الخطيب متنوعة ، وكان فيهِ اسلوبه متميّز وذلك يساعد على شد انتباه المتلقي للخبر لأنه أول ما يبدأ به الخبر .

ـ تنوعت تبعاً لذلك خواتيم ابن الخطيب في أخباره ، وهي بذلك تتناسب مع موضوع الخبر ولا تنفصل عنه فهي بمثابة قفل للخبر .

ـ تنوعت أخبار ابن الخطيب في أخبارهِ ما بين الواقعي التاريخي وهو الغالب على غيرهِ من الأخبار والغير واقعي التخيلي ، والخبر الفكاهي ؛ وهذا التنوع في الاخبار يبعد القارئ عن الملل والسؤوم ، وهذا يدل على ثقافة الأديب الواسعة .

ـ تنوعت الوظائف التي جاءت في أخبار ابن الخطيب بين السردية والتوثيقية والاستشهادية ، والتعليقية ، وقد تحددت مضامينها في الخبر .

ـ غلبت الواقعية على أخبار ابن الخطيب في شخصياتها وأحداثها ، وفضائها الزماني والمكاني ، فهي عبارة عن نقل للواقع الذي عاصرة من أحداث وشخصيات .

هوامش البحث:

---

(١) يرجع نسبه إلى تلمسان ، وهو حي من مراد من عرب اليمن القحطانية ، ينظر : الإحاطة : ١/ ١٨ . ١٩ ، جذوة الاقتباس : ١ / ٣٠٨ ، وروضة التعريف بالحب الشريف : ١٨ ، وبلاغة العرب في الاندلس :٢٤١ .

(٢) ورد في كتاب الإعلام للزركلي : ٦ /٢٣٥ ، وفي كتاب بلاغة العرب في الأندلس : ٢٤١ ، انه ولد ونشأ بمدينة غرناطة ، لكن الصحيح ما أثبتناه حسب ما أثبته ابن عنان في تحقيقهِ لكتاب الإحاطة : ١/ ١٨ . ١٩ ، روضة التعريف بالحب الشريف : ١٨ .

(٣) ينظر : الاحاطة : ١ / ١٨ . ١٩ ، وجذوة الاقتباس : ١ / ٣٠٨ .

(٤) روضة التعريف بالحب الشريف : ٢٣ .

(٥) ينظر الاعلام : ٦/٢٣٥ .

(٦) ينظر : الإحاطة : ١٧ . ١٨ ، ولسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكري : ٢٠٠ .

(٧) ينظر : الاحاطة : ١٧ . ١٨ .

(٨) ينظر : لسان الدين الخطيب في أثار الدارسين : ٥ .

(٩) ينظر : نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب : ٧ / ١٠٢ .

(١٠) الإحاطة : ١ / ٥١ .

(١١) ينظر : كتاب العين : ١ / ٣٨٣ .

(١٢) لسان العرب : ٤ / ٢٢٦ .

(١٣) سورة الفرقان : آية (٥٩) .

(١٤) السرد العربي القديم : الأنواع والوظائف والبنيات : ٥٢ . ٥٣ .

(١٥) الخبر في الأدب العربي : ١٠٩ .

(١٦) ينظر : معجم السرديات : ١٧٢. ١٧٣ ، و سردية الخبر في كتاب زهر الآداب وثمر لألباب وذيله جمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري القيرواني (ت٤٥٣ هـ) : ١٩ .

(١٧) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان : ٢١٤ .

(١٨) ينظر : نسيج النص بحث فيما يكون البحث به نصاً : ٣٠ .

(١٩) الخبر في الأدب العربي : ٣٠٠ .

(٢٠) ينظر : موسوعة السرد العربي : ٣٥ .

(٢١) ينظر : سردية الخبر في كتاب زهر الآداب : ٣٥ .

(٢٢) الإحاطة : ١ / ١٧٤ ، ١ /٤٢٨ ، ١ /٤٤٥ ، ٢ / ٣٠ ، ٢ / ٥٩ .

(٢٣) م . ن ١ / ٢١٢ ، ٤ / ١٩٩، ٢٢٦/٤ ، ٤٧٩/٤ ، ٤/ ٦٤٠ .

(٢٤) م . ن : ١ /٢٠١ ، وينظر : ١ / ٤٧٠ ، / ٥٣٣ ، ٤ / ٤٣٩ ، ٤/ ٧٠٣ ، ٤/ ٧٥٠ .

(٢٥) ينظر : الفن القصصي في النثر العربي : ١٨٦ .

(٢٦) الإحاطة : ٢ / ٦٣٣ ، ونظر : ٢/ ٢٩٣ ، و ٢ / ٢١٢ .

(٢٧) م . ن : ٣ / ٩٧ ، وينظر : ٧٦٦/٤، ٤/ ٧٨٠ .

(٢٨) الإحاطة : ٣٣٢/٣، ينظر : ١٤٧/١ ، ٤٦٤/١، ٥١٧/٢ ، ٢٣٠/٣ ، ٣ /٥٢١ .

(٢٩) م . ن : ٣ / ٧٧٩ ، وينظر : ٣ / ١٣ ، ٥٦٦/٤ ، ٨٦٨/٤.

(٣٠) ينظر : الوسيط في علوم ومصطلح الحديث : ١٠١ . ١٠٢ .

(٣١) الاحاطة : ٣ / ٥٧ ، وينظر : ٣ /٨٣ ، ٢ /١١٢، ٣/ ١١٣ ، ٤/ ٦٣٤

(٣٢) الإحاطة : ١/ ٤٢٩ ، وينظر : ١ ، ١٣٧ ، ١ / ٣٢٩ ، ١ / ٣٧١ ، ١ / ٤٩٤ ، ١ / ٥٥٧ ، ٢ / ٦٦٣ ، ١٢ ، ٣ / ٩٦ ، ٣ ، ١٣٧ .

(٣٣) ينظر : تاريخ آداب العرب : ١ / ٢٨١ـ٢٨٨ .

(٣٤) معجم المصطلحات الأدبية ف اللغة والأدب : ٣٢ .

(٣٥) ينظر : عتبات الكتابة القصصية ، دراسة في بلاغة التشكيل والتدليل : ٥٧ ، وسردية الخبر في كتاب زهر الآداب وثمر الألباب : ٤٢ .

(٣٦) ينظر : الاستهلال فن البدايات :٦٢ .

(٣٧) م . ن : ٢١ .

(٣٨) الإحاطة : ١ / ١٠١ ، ٦٩٢/٤ ، ٤/ ٧٨٤.

(٣٩) ينظر : العنوان وسيموطيقا الاتصال : ١٤١ .

(٤٠) الإحاطة : ١ / ٩٨ ، ١/ ٩٣ ، ١/ ١١٦ ،١٢٦/١.

(٤١) م . ن : ١ / ١٦٨ ، ١٨٣/١ ، ٣ / ٣٥٨.

(٤٢) ينظر : البداية في النص الروائي : ٦١ .

(٤٣) الإحاطة : ٣ / ٦٨٠ ، ١٠/٢، ٣٠/٢ ،٤ /٧٤٨ .

(٤٤) ينظر : معجم مصطلحات النقد العربي القديم : ٢٠٨ .

(٤٥) ينظر : م . ن : ١١١ .

(٤٦) ينظر: مرايا نرسيس : ٦٧ .

(٤٧) الإحاطة : ١ / ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

(٤٨) الإحاطة : ٣ / ٨٨٢ ، وينظر : ٢ / ١٤٠ .

(٤٩) الإحاطة : ٢ / ٤٠ ـ ٤١ ، وينظر : ٢ / ١٠٥ .

(٥٠) سورة آل عمران ، آية : ١٧٣ .

(٥١) الإحاطة : ٢ / ٣٦٠ . ٣٦١ .

(٥٢) ينظر : الأدب ومذاهبه :٩٠ ، وسردية الخبر في كتاب زهر الآداب وثمر الالباب : ٩٢ .

(٥٣) الأشكال النثرية القصيرة في عيون الأخبار لأبن قتيبة دراسة تصنيفية ، رسالة ماجستير : ١٠٥ .

(٥٤) الإحاطة : ٢ / ٣١ ، ٤/ ٧٧١.

(٥٥) الإحاطة : ٣ / ٢٣٣ . ٢٣٤ ، ١ / ١٠١ ، ٤/ ٦١١ .

(٥٦) م . ن : ٢ / ١١١ ، وينظر : ٤/ ٥٩٨ ، ٤/ ٧٨٤ .

(٥٧) مدخل إلى الأدب العجائبي : ٤٤ .

(٥٨) ينظر : الثابت والمتحول بحث في الابداع والإتباع عند العرب : ٢١١ .

(٥٩) الإحاطة : ٢ / ٣١١ .

(٦٠) م . ن : ٢ / ٣٨٨ .

(٦١) ينظر : الثابت والمتحول عند العرب : ١ / ٢١١ .

(٦٢) ينظر : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : ١٦٩ .

(٦٣) الفكاهة والضحك رؤية جديدة : ١٦ .

(٦٤) الإحاطة : ١ / ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

(٦٥) الإحاطة : ١ / ٥٥٣ ، ٤٤/٢ .

(٦٦) ينظر : الراوي والنص القصصي : ٦٠. ٦١ ، وسردية الخبر في كتاب زهر الآداب : ١٠٢ .

(٦٧) ينظر : المتخيل السردي ، مقاربات نقدية في التناص والرؤى الدلالية : ١١٩ .

(٦٨) هو ابو بكر الصيرفي هو من أكابر علماء غرناطة ، في النصف الأول من القرن السادس الهجري ، عمل كاتباً ووزيراً لأمير المرابطين محمد بن تاشفين الذي حكم الأندلس من (٥٢٠ هـ . ٥٣١ هـ) ، وألف كتابة في

تاريخ الدولة المرابطية وهو (الأخبار الجلية في الدولة المرابطية) الذي كثيراً ما يقتبس من أخباره ابن الخطيب في كتابه هذا ، الإحاطة :١ هامش: ١٠٨ .

(٦٩) الإحاطة : ١ / ١١٠ .

(٧٠) ينظر سردية الخطاب الشعري : ٨٨ ، سردية الخبر في كتاب زهر االآداب : ١٠٤ .

(٧١) ينظر المتخيّل السردي ، ١١٩ .

(٧٢) الإحاطة : ١ / ٢١٨ . ٢٩١ ، وينظر : ٢ / ١٢ .

(٧٣) ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق : ١ / ١٨٣ .

(٧٤) هي مدينة اسبانية ، تدخل في أعمال مدينة جيان : وهي على مقربة من نهر الوادي الكبير ؛ في شمال مدينة جيّان ، ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة : هامش / ٣ / ١٩١ .

(٧٥) سورة الأنفال : آية : ٦٥ .

(٧٦) سورة البقرة : آية : ٢٤٩ .

(٧٧) سورة التوبة : آية : ١٢٣ .

(٧٨) الإحاطة : ١٩١ ، ١٩٣ ، وينظر : ٣ / ١٩٦. ١٩٧ ، ٣ / ٢٣٤ ، ٣ / ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٤/ ٥٠٠.٥٠١ .

(٧٩) روى الحديثان مسلم البخاري ، والترميذي ، وينظر: الإحاطة : ٤ / ١٤٧ .

(٨٠) الإحاطة : ٤ / ١٤٤ . ١٤٧، وينظر : ٣ / ٢٣٤ ، ٤ / ١٥٩ ،٤/ ١٩٤ .

(٨١) ينظر : الراوي والنص القصصي : ٦٢ .

(٨٢) الإحاطة : ١ / ٢٦٢ ،

(٨٣) م . ن : ٣ / ٧٧ . ٧٨ .

(٨٤) ينظر : خطاب الحكاية : ٢٦٥ .

(٨٥) الإحاطة : ٢ / ١٣ ، وينظر : ١ / ٢٠١ .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، القسم الأول ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٣م .
٢. الإحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدين ابن الخطيب ، تقديم ومراجعة : بورزاني الدراجي ، القسم الثاني ، والثالث ، والرابع ، دار الأمل ، الجزائر ، ٢٠٠٩م .
٣. الأدب الفكاهي : د . عبد العزيز شرف ، ط١ ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان . مصر ١٩٩٢م .

٤. الأدب ومذاهبه : د . أحمد مندور ، دار نهضة مصر لطباعة والنشر والتوزيع .
٥. الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي : ياسين النصير ، ط١ ، دار الشؤون العامة ، بغداد ، ١٩٩٣م .
٦. الاعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من اعرب والمستعربين والمستشرقين : خير الدين الزركلي : ط٥ ، دار العلم للملاين ، بيروت ، ٢٠٠٢م .
٧. الأنساب : أبو سعد عبد الكريم السمعاني (ت ٥٦٢هـ) ، ط١ ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ١٩٧٧م .
٨. أنوار البديع في أنواع البديع : السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) ، تحقيق : شاكر هادي شكر ، ط١ ، مطبعة النعملن ، النجف الأشرف ، ١١٦٨م .
٩. البداية في النص الروائي : صدوق نور الدين ، ط١ ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ١٩٩٤م .
١٠. بلاغة العرب في الأندلس : د . أحمد ضيف ، ط٢ ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة . تونس ، ١٩٩٨م .
١١. البناء الفني في الرواية العربية في العراق : د . شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد . العراق ، ١٩٩٤م .
١٢. البيان والتبين : ابو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) : محمد عبد السلام هارون ، ط٧ ، مكتبة الخانقي ، القاهرة : ١٩٩٨م .
١٣. تاريخ أداب العرب : مصطفى صادق الرافعي ، راجعه وضبطه يعبد الله المنشاوي ، مهدي اليحقيري ، مكتبة الايمان ، المنغورة ، د . ت .
١٤. الثابت والمتحول بحث في الأبداع والاتباع عند العرب : أدونيس ، ط٧ ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٤م .
١٥. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس : أحمد ابن القاضي المكناسي (ت١٠٢٥هـ) ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٣م .
١٦. الخبر في الأدب العربي ، دراسة في السردية العربية ، د محمد القاضي ، منشورات كلية الآداب ، ط١، تونس ، ١٩٩٨م .
١٧. خطاب الحكاية بحث في المنهج : جرار جنيت ، شرح : محمد معتصم وآخرون ، ط٢ ، الهيأة العامة للمطابع الأميرية ، ١٩٩٧ م .
١٨. الراوي والنص القصصي : عبد الكريم الكردي ، ط١ ، مكتبة الأدب ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .
١٩. روضة التعريف بالحب الشريف : الوزير لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا عبد الستار ،دار الفكر العربي .

٢٠. سردية الخبر في كتاب زهر الآداب وثمر الآداب ، وذيله ، جمع الجواهر في الملح والنوادر للقيرواني الحصري (ت٤٥٣هـ) ، تغريد خليل حامي ، أ . د. رائد حميد البطاط ، ط١ ، دار الأمل ، ٢٠١٨م .
٢١. العقد الفريد : ابن عبد ربه الأندلسي (٩٤٠هـ): تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين و إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٦م .
٢٢. العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي : محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م .
٢٣. الفكاهة والضحك رؤية جديدة : د. شاكر عبد الحميد ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٣م .
٢٤. الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري : ركان الصفدي ، ط١ ، الهية العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ٢٠١١م .
٢٥. القاموس الموسوعي لعلوم اللسان : أوزوالد ديكرو ، ترجمة : منذر عياشي ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت .
٢٦. القطوف اليافعة من ثمار الأندلس الاسلامي الدانية : عبد الله أنيس الطباع ، دار ابن زيدون ، بيروت .
٢٧. كتاب العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ،ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م .
٢٨. لسان الدين ابن الخطيب في أثار الدارسين . دراسة وبيبليوجغرافية : د . حسن الوراكلي ، منشورات عكاظ ، ١٤٠٨هـ .
٢٩. لسان الدين بن الخطيب ، حياته وتراثه الفكري ، محمد عبد الله عنان ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٨م .
٣٠. لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ) ،دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٧م.
٣١. المتخيل السردي : د.عبد الله ابراهيم ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٠م .
٣٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) ، قدمة وعلق عليه : أحمد الحوقي ، بدوي طبانه ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة ، د . ت .
٣٣. مدخل إلى الأدب العجائبي : دراسة : تزفيتان تودروف : ترجمة : الصدق بوعلام ، دار الشرقيات ، ١٩٩٤م .
٣٤. مرايا نرسيس . الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة : حاتم الصكر ، ط١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ، ١٩٩٩م .

٣٥. معجم السرديات : مجموعة مؤلفين ، إشراف محمد القاضي ، ط١ ،الرابطة الدولية للناشرين المستقلين ، ٢٠١٠م .
٣٦. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط١ ، ١٩٨٥ م .
٣٧. معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه وكامل المهندس ، ط٢ ، مكتبة لبنان ، لبنان ،١٩٨٤م .
٣٨. معجم مصطلحات النقد العربي القديم : أحمد مطلوب ، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان ، ٢٠٠١م .
٣٩. موسوعة السرد العربي : د. عبد الله ابراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٨م .
٤٠. نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً : الأزهر الزنّاد ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٣ م .
٤١. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : الشيخ أحمد بن المقّري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨م .
٤٢. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث : محمد بن محمد بن ابو شهبة ، دار المعرفة .

الرسائل والأطاريح :

١. الأشكال النثرية في عيون الأخبار لأبن قتيبة (دراسة تطبيقية) ، رشيد عبادة ، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الجزائر، رسالة ماجستير ، ٢٠١٠م .
٢. سردية الخبر العجائبي في كتاب أخبار الزمان للمسعودي ، أحمد قاسم حميد ، جامعة البصرة ، رسالة ماجستير ، ٢٠١١م .

البحوث والدوريات

١. الخبر في كتب التراجم للصفدي . أنواعه وآلياته وبناءه : أحمد علي جفات ، جامعة القادسية ، بحث .

الازدواجية اللغوية والخسائر الاقتصادية الأسباب، والعلاجات

دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي

الغَرضُ مِن البحث للترقية

اسمُ الباحث: م.م عَذاب مطير عُذافه الخزعلي

الجامِعة: جامعة كَربلاء/ كلية التربية للعلومِ الإنسانية/قسمُ اللغةَ العربية.

الملخص:

مما يروى أنَّ الحكيم الصيني الشهير (كونفوشيوس) استشاره الامبراطور في شان السبل التي يسلكها لإصلاح الإمبراطورية فأجابه: **ابدأ بإصلاح اللُّغة.**

تَتسمُ عَمليةُ التَعليمِ بأعلى مَراتبَ التفاعلية بين ثلاثية التعليم الرئيسة (المُعلمِ، والمَنهجِ، والمتعلمِ) والخيط الرابطِ بين هذهِ الأطرافِ الثلاثة أي لغة التعليمِ أو المصطلحاتُ العلمية.

ومن الواضح إن هذهِ المصطلحاتِ العلميةِ تخضعُ لسلطةِ اللغة، ومما لا شكَّ فيهِ إن هذه اللغةَ أو اللغاتِ تتباينُ قوةً وضعفاً، وانتشاراً واندثاراً، وعزةً وانحداراً، وكذلك تأثيراً وتأثُراً؛ مما ينعكسُ على الأداءِ الوظيفي المؤثرِ أيضاً على الجانب الاقتصادي لحاملِ هذه اللغةِ أو الساعي الى تقمصِّها!!

ومن هنا لا بُدّ على المعنيينَ بكافةِ تنوعاتِهم التخصصيةِ، ولا سيَّما السياسيةُ والتخطيطيةُ منها؛ التفريقُ بينَ **(تعلم اللغةِ والتعليم بها)** أو فلنقل تعلّمُ اللغةِ الثانيةِ كمفردةٍ من مفردات المنهجِ وكحاجةٍ ضروريةٍ عصرية واجبة بما تحملهُ هذه المفردةُ من معنىً. ولكن التدريسَ بها (جريمةٌ) لا تقُلُّ جرماً عن مستوى الجرائمِ الجنائيةِ والجزائية التي يجبُ أَن يُحاسب عليها القانونُ!!، كما تفعلُ اليومَ الكثيرُ من الدولِ المتحضرة. ومن هنا مثلاً تصنفُ الأممُ

المتحدةُ الدولَ الى دولٍ ذواتَ تنميةٍ بشريةٍ عالية وأخرى ذوات تنميةٍ بشريةٍ منخفضة استناداً الى اعتمادِها على اللغةِ الأم في كافة مراحل التعليم.

وبذلكَ يعدُّ التعليمُ باللغةِ الإنجليزيةِ أحدَ الآثارِ السلبيةِ للعولمةِ بسبب انعدامِ السياسة اللغوية الناجحة والتي تخفقُ في الفهمِ الصحيحِ لاستعمالِ وتعليم اللغة الثانية لتوسيع المدارك والعلوم المفيدة. ونجد الفرصة هنا بضرورة التطرقِ الى حقيقة إنّ اللغة ليستْ مجردَ مفرداتٍ وتراكيبَ نحويةٍ بل هي الوعاءُ الحاضنُ للعاداتِ والقيمِ وثقافات الناطقينَ بها، ومن هنا فالتعليمُ باللغةِ الثانيةِ يؤدي الى انهيارِ اللغة الأم بما تحتضنهُ من ثقافة وهوية وطنية ومن ثم تؤدي إلى انهيارِ النظامِ التعليمي والواقع الاقتصادي، واستبعاد اللغة الأم عن مكانتِها الساميةِ. كما إنّ هذهِ السياسات المتبعةَ لتبني اللغةِ الثانيةِ في التعليم ستؤثرُ تأثيراً سلبياً في فرصِ التعليم للأشخاص الذينَ ينعدمُ فيهمُ الحافز على تعلمِ وفهمِ اللغة الثانية أو الفهم بها؛ ولذا يمكنُ معالجةُ هذهِ المشكلةَ بصورةٍ جذريةٍ باتباعِ سياسةٍ لغويةٍ وتخطيط لغوي مُحكم هادف للمحافظةِ على اللغةِ الأم وإرجاعُ عمليةِ التعليمِ لمسارها الصحيحِ باستعمالِ اللغة الوطنيةِ لعملية تعليم العلوم والمعارف.

يتناولُ هذا البحث أسبابَ وجودِ التعليمِ باللغة الثانية، والفرق بين تعلم اللغة والتعليم بها وماهي الآثارُ الاقتصاديةُ السلبية المترتبةُ على ذلكَ وتهديد الأمن العام ، ويوضحُ مدى ارتباط اللغة بصورة عامة في الاقتصادِ والتطرقَ الى التجربة الماليزية كأنموذج حي لاعتمادِ اللغات الوطنيةِ في القطاعاتِ التربوية والتعليمية، وتوصلَ البحثُ الى أنّ التعليمَ باللغةِ الثانية خصمٌ عنيدٌ للغةِ العربية يعملُ على هدمِها إن لم يُعالج بصورة علمية صحيحة ومشفوعة بإرادةٍ وطنيةٍ وسياسية مخلصة. وفي النهاية يتطرقُ البحثُ الى مقترحاتٍ لمعالجةِ المشكلاتِ الناجمة عن استعمال اللغة الثانيةِ في التربية والتعليم والمعارف.

الكلمات المفتاحية: الازدواجية اللغوية، علم اللغة الاجتماعي، التنمية اللغوية، السياسات اللغوية، التعلم باللغة الثانية.

Bilingualism and economic losses

Causes, and treatments

Study in the light of sociolinguistics

The name of the researcher: athab Mutair, Athafa Al-Khazali

Keywords: bilingualism, sociolinguistics, language development, language policies, second language learning.

Summary:

From what the famous Chinese sage (Confucius) recounts, the Emperor consulted him on his ways of reforming the empire, and he replied: Start by reforming the language. The education process is characterized by the highest interactive levels between the main education trilogy (teacher, curriculum, learner) and the thread linking these three parties, i.e. the language of education or scientific terminology. It is clear that these scientific terms are subject to the authority of the language, and there is no doubt that this language or language varies in strength and weakness, spread and extinction, pride and decline, as well as influence and influence, which reflects on the functional performance that also affects the economic aspect of the holder of this language or seeking to reincarnation!! Therefore, those concerned with all their specialized diversity, particularly political and planning, must differentiate between (language education and education) or let us say learning the second language as a unique vocabulary of the curriculum and as a necessary modern need due to the meaning of this vocabulary. But teaching it (a crime) is no less an offence than the level of criminal and criminal offences for which the law must be held accountable!! , as many countries with human development do today. And from here like...

المقدمة:

يمكن معرفة الثمن الباهظ للغة عند الرجوع الى الوقائع التاريخية، فمثلاً برج بابل الذي أنشأه نبوخذ نصر والذي لم يُنجز يرجع سبب ذلك الى الفوضى اللغوية التي حدثت حينها كما أشارت بعض المصادر التاريخية، فقد أحتاج هذا المشروع الأسطوري الى المزيد من الأيدي العاملة بسبب عدم كفاية العمالة المحلية مما أضطرهم الى الاستعانة بالعمالة الأجنبية، وبسبب عدم وجود لغة مشتركة بين الطرفين وصعوبة التواصل أدى الى انهيار .وفشل هذا المبنى الأثري، وهذا يعني أن اللغة قد تكلف غاليا (كولماس ،٢٠٠٠)

وتعد الظروف التاريخية وفي مقدمتها الاستعمار من أبرز الأسباب التي فرضت التعليم باللغة الثانية على أرض الواقع، فبعد استعمار أي بلد تتحول لغة المستعمر بسبب قوتها ونفوذها الى لغة الفرص والغنائم من وجهة نظر بعض الافراد مما يؤدي الى هيمنتها على لغة الهوية وأقصائها، وبذلك تتخذ اللغة الأصلية دوراً ثانوياً (الفهري،٢٠١٣). فضلاً عن العولمة وآثارها السلبية من خلق مجتمع متجرد من هوية اللغة الأم والثقافة، ولابد من ذكر ان العولمة ترفض التعدد اللغوي وتميز اللغة الإنجليزية على بقية اللغات، وتعد اللغة العربية العدو الأول لها وهذا يدل على هيمنة اللغة الإنجليزية على جميع نواحي الحياة وبالأخص على الواقع اللغوي التعليمي مما يشكل متاهة الصراع اللغوي وخلق اشكالية في التواصل داخل المجتمعات (مزياني،٢٠١٧). وبما ان اللغة أداة ،ليس لها قيمة ولكنها تنطوي على قيمة و بإمكان اللغة توسيع المعارف والموارد وبالتالي تنطوي على أمكانية غناء المجتمع بوساطة وظيفتها المهمة التي لا يمكن أنكارها بوصفها وسيلة عامة لتبادل السلع ومحور تطور النظام الاقتصادي، أذ ان اللغة والنقود من أكثر الأنظمة الاجتماعية أهمية، وتأثر اللغة وضعفها عن طريق استعمار اللغات الأخرى يؤدي الى ضعف وخلل في الجانب الاقتصادي للبلد، وبهذا فأن الثنائية اللغوية بين اللغات الأجنبية واللغة الأم تؤدي الى مشكلات مستفحلة واقتحام فعالية اكتساب المعرفة والتعلم والابداع وخلق نظرة دونية مشككة للغة الأم واعتبارها عاجزة وقاصرة عن مواكبة مستجدات العصر (بنات ،عبد ولا يمكن انكار علاقة اللغة بالتنمية البشرية والتي بدورها تفضي الى .المطلب،٢٠١٥) ، (كولماس ،٢٠٠٠) التنمية الاقتصادية إذ صنفت الأمم المتحدة الدول الى صنفين: دول ذات تنمية عالية ودول ذات تنمية

منخفضة، وتعتمد في تصنيفها الى اعتماد تدريس العلوم والمعارف باللغات الوطنية والذي يعتبر أحد أهم أسباب نجاح العملية التنموية. ومن الدول ذات التنمية العالية: اليابان، المانيا، روسيا، الدنمارك وغيرها (الخزعلي،٢٠١٧). ويمكن ملاحظة هذا المبدأ واضحاً بشدة في القرآن الكريم في قوله تعالى " وما أرسلنا من رسولٍ الا بلسان قومه ليبين لهم " أي إن الأساس المتين للتنمية البشرية، والتربية والتعليم هي اللغة الوطنية، ولا يمكن للتنمية البشرية ان تكتمل بصورة صحيحة الا بلسان القوم أنفسهم. لأن التنمية البشرية والتعليم هي عملية تفاعل بين المُرسل(المعلم) والمتلقي (التلميذ أو الطالب) والمادة الرئيسة لهذه العملية هي اللغة القومية. ويمكن استثمار العملية التعليمية في تنمية الإنتاج الفكري بواسطة نقل وتحويل الجهد العلمي والأكاديمي الى جهد اقتصادي بحيث تصبح المدرسة والجامعة مستثمراً تجارياً مساهماً في العملية التنموية. ويعزى نجاح الولايات المتحدة في مجال التنمية الاقتصادية والتسويق التجاري الى الإنتاج الفكري الخاص بالجامعات الاستثمارية.

أولاً: التعريف بالبحث

يلقي البحث الضوء على علاقة اللغة بالاقتصاد بصورة رئيسة وكيف أن التعليم باللغة الثانية من الممكن أن يسبب مشاكل اقتصادية كبيرة بسبب عدم وجود الاستثمار اللغوي (للغة الام) وتأثير أو تسلط اللغات الأجنبية عليها، كما يتطرق الى تجارب بعض البلدان التي اعتمدت على اللغة الوطنية الأم في القطاعات التربوية والتعليمية، فضلاً عن ابداء المقترحات لمعالجة المشكلات الناجمة عن استعمال اللغة الثانية لتدريس العلوم والمعارف.

ثانياً: مشكلة البحث

أثرت العولمة على الكثير من جوانب الحياة، وقد لاقى التعليم نصيبا من هذا التأثير وقد برز تفشي اللغات الأجنبية (الازدواجية) في الجانب التعليمي وأدى الى تدريس العلوم كالرياضيات والفيزياء والكيماء باللغة الثانية وبطبيعة الحال تتأثر الجوانب الاجتماعية والأمنية والثقافية حيث بعد .مما أثر ذلك بشكل مباشر على الاقتصاد كل أزمة سياسية أزمة اقتصادية وبعد كل أزمة اقتصادية أزمة ثقافية ولغوية.

ثالثاً: أهمية البحث

يعد التعليم الركيزة الأولى للمجتمع، وحجر الأساس لنهوض الأمة والرقي ولا يُخفى على أحد أن الدول المتعلمة تكون في مقدمة الدول المتطورة حضارياً واقتصادياً بسبب اعتمادها على التعلم وركيزته الأولى والتي هي اللغة فمن دون لغة وطنية صحيحة لا يمكن لعملية التعليم أن تكتمل.

رابعاً: أهداف البحث

تسليط الضوء على مشكلة التعليم باللغة الثانية والتي ستهدم النظام التعليمي والحضاري والاقتصادي للبلد، وإيجاد الحلول والاقتراحات لمعالجة هذه المشكلة وتعريب لغات العلوم لردم تلك الفجوة بين التعلم والأبداع لأن تعلم العلوم باللغة الثانية لن يساعد المتعلم على فهم أو أضافة فالفهم والاستيعاب لتلك العلوم، ثم التعبير عنها وأخيراً الأبداع كلها تبقى غير مكتملة في حالة وجود تلك الفجوة والتي هي التعليم باللغة الثانية وبهذا لن يتم التقدم.

مفهوم الازدواجية اللغوية

يختلف مصطلح الازدواجية اللغوية في عالم اللسانيات حسب جهود الباحثين، إذ يشير عالم اللسانيات الاجتماعية (تشارلز فيرغسون) على لفظ الازدواجية بأنه استعمال نظامين تعبيرين متنوعين لنفس اللسان. بينما يرى (فيشمان) أن الازدواجية اللغوية هي استعمال عدد من اللغات في نفس المجتمع ولا يقتصر على لهجتين كما في الفصحى والعامية بل يتعدى ذلك على استعمال اللغات المتنوعة، هذا في رأي الباحثين الغرب (الفهري،٢٠١٣).

أما عند العرب المحدثين فقد تم تحديد ثلاثة أقسام للازدواجية اللغوية: الأول هو استعمال لغتين مختلفتين في آن واحد، والقسم الثاني هو وجود عدة لهجات مختلفة أي عدة مستويات داخل أطار لغوي واحد. بينما القسم

الأخير فقد أتفق أكثر اللغويين العرب بأن الازدواجية تعني اجتماع مستوى لغوي عالٍ فصيح وآخر واطئ عامي في نفس لغة المتكلم (المياحي، ٢٠١٧).

وبهذا فأن مصطلح الازدواجية إما يعني وجود أكثر من مستويين للغة، وكل مستوى يستعمل في أغراض معينة كأن يكون المستوى الأول أعلى مركزاً ويستعمل في المكاتبات والمخاطبات الرسمية وفي عملية التعليم، والمستوى الثاني الذي هو الذي أقل رتبة ويستعمل في مواقف الحوار في الحياة اليومية وفي البيع والشراء.

أو يكون الازدواج بين لغتين مختلفتين جذرياً كما في الفرنسية والألمانية حيث تستعمل اللغتان جنباً الى جنب في سويسرا، أو الفرنسية والإنجليزية في كندا (حنا، حسام الدين، جريس،١٩٩٧).

ويرجح الباحث أن مصطلح الازدواجية اللغوية في التعليم هو استعمال لغتين مختلفتين حيث يتلقى التلاميذ والطلبة تعليمهم بلغة مغايرة للغتهم الأم. وبهذا يجب الإشارة الى الفرق بين مصطلح الازدواجية والثنائية اللغوية حيث تشير الثنائية اللغوية الى وجود مستويين لغويين مختلفين لا ينتميان الى نفس النظام اللغوي في لغة المجتمع مثال على ذلك اللغة العربية والفرنسية المستعملة في لغة سكان المغرب العربي الكبير.

" إنَّنا بِوَصْفِنا مُتكلمينَ لا نَتَعلمُ فَحسبُ بنية اللغةِ المُعينة التي نَتكلمُها، وإنَّما نَتَعلمُ أيضاً المَعاييرَ الثَّقافِيةَ والاجْتِماعِيَّةَ لِكيفْيةِ استِعْمال اللغَةِ، وَلِكيْفيةِ إيصالِ مَضْمونِ ما نُريدهُ"

"كريستين ما لينسون"

توجه العلم اللساني الحديث وبالخصوص علم اللغة التطبيقي (أو اللغويات التطبيقية) الى الاهتمام بدراسة علاقة تأثير اللغة على جميع جوانب المجتمع، أي إنه يبحث علاقة التفاعل بين اللغة والجانب التنظيمي الاجتماعي للسلوك، حيث يهتم بدراسة التباين الاجتماعي الظاهر في المجتمع اللغوي، ودراسة ظاهرة الاقتراض اللغوي للمجتمع (دمياطي ،٢٠٠١٦)، فضلاً عن الاهتمام المهني مع مشكلات اللغة وعلم اللغة (كوك، ٢٠١٣).

للغة وظيفة اجتماعية فهي لا تقتصر على إيصال الأفكار أو التعبير عنها بل تتعدى ذلك بوظيفتها الاجتماعية، فطريقة عمل اللغة تعيننا على فهم واستيعاب طبيعة اللغة وجوهرها بوساطة الدور الذي تؤديه في حياة الفرد أو الجماعة المتكلمين بتلك اللغة. أي ان هناك علاقة وطيدة بين البنية اللغوية والبنية الاجتماعية، فأي تغير يطرأ على البنية الاجتماعية يقابله تغيير ملحوظ في البنية اللغوية (عبد العزيز،٢٠٠٩) .ويرى الباحث إن العكس هو الصحيح ، فاذا ما تطورت اللغة وأصبحت قادرة على مجاراة التقدم في العلوم وتقنياتها بوساطة استيعابها للمصطلحات العلمية واتخاذ موقف متطرف من المصطلحات الإنجليزية الدخيلة – والتي تؤدي الى التدريس والتعليم بلغة تلك المصطلحات – فأنها بذلك تؤثر على البنية المجتمعية لأصحاب تلك اللغة وهو ما سينعكس على تطورهم العلمي والمعرفي ، فمادة الحياة المجتمعية هي اللغة وبتفاوت أو بتطور طبقات المتكلمين المعرفية والعلمية سيتطور الوضع الحضاري لمتكلمين تلك اللغة والذي يبرز في كل جانب من جوانب النشاط الاقتصادي .

ونظراً لتلك العلاقة الوثيقة بين اللغة والمجتمع يتحتم علينا إمعان النظر الى مفهوم المنهج الحديث والذي يرتكز على المدرسة التي تعتبر الحياة الحقيقية المتكاملة (البيئة الخاصة) والتي تعتمد على اللغة لتنمية مكونات السلوك الحقيقة لدى المتلقي (التلميذ أو الطالب) وبالتالي تمكنه من المساهمة في تطوير مجتمعه (اللغة العربية والتعليم رؤية مستقبلية للتطوير ،٢٠٠٨). وهذا المنهج يجب أن يعمم في جميع الجامعات والمدارس وأن يستند على فلسفة عامة معتمدة على أسس علمية وتخطيط علمي سليم يسهم فيه المشاركون في العملية التربوية والتعليمية على اختلاف مستوياتهم بغية الوصول الى الأهداف المرجوة وأولها هو الحفاظ على اللغة الأم جوهر الأمة ومحتواها الثقافي.

مكانة التخطيط اللغوي وأهميته

يرى المختصون ان التخطيط اللغوي هو الجهود المتكاملة التي يبذلها الافراد والجماعات فضلاً عن المؤسسات للتأثير في الاستعمال اللغوي، أي انه يهدف الى حل المشكلات اللغوية في المجتمع وبذلك فأنه

يشير الى العمل المنتظم على الصعيدين الرسمي والخاص (الخزعلي،٢٠١٧). وإبراز الدور العظيم للغة في عملية بناء الدول التي استعمرت وطمست هويتها اللغوية والقومية بإحلال اللغات الأجنبية محل لغتها الأم.

وبهذا وجهت المهمة للتخطيط اللغوي لإيجاد الحلول المدروسة والموجهة في رسم وتخطيط السياسة اللغوية لتنمية اللغة الأم والحفاظ عليها وتطويرها فضلاً عن الاختيار للغات الأكثر انتشاراً لغرض استعمالها في التجارة والعلاقات الدولية. وعلم التخطيط اللغوي له مجالات وتطبيقات لا حصر لها والتي تشمل جوانب اللغة كافة، وسنتناول في هذا البحث أهم تطبيقين له هما نشر اللغة القومية ودعم تعليمها في أرجاء العالم وإحلال اللغات القومية محل اللغات الأجنبية في التعليم ومدى تأثير ذلك التخطيط اللغوي على واقع الاقتصاد (بسندي،٢٠٢٠).

فلا بد من وجود تخطيط للغة العربية نظراً لوجود المشكلة التعليمية الاجتماعية المتصلة باللغة وهي التعليم باللغة الثانية، والتوجه التربوي والتعليمي قد اتجه الى استعمال اللغات الأجنبية بدلاً من العربية في المجالات العلمية النظرية والتطبيقية. فالتخطيط للغة العربية لابد أن يشمل تحديثاً للغة يعمل على اتجاهين رئيسين: الاتجاه الأول يشمل التنمية للمفردات والمصطلحات بوصفها أو تعريبها وبذلك يقتل الأسباب والاعذار الواهنة لاستعمال اللغة الإنجليزي بدلاً من العربية بحجة افتقارها للمصطلحات التي تتناسب التطور التربوي والعلمي. والاتجاه الثاني يركز على المعنيين من أعضاء الهيئة التدريسية من المعلمين والأساتذة والطلبة بإكسابهم المهارة في استعمال الموارد اللغوية الموجودة بالفعل في اللغة العربية ، لان اللغة العربية هي أكثر لغة في العالم تحتوي على المصطلحات ولها القدرة على استيعاب المصطلحات العلمية ويوجد العديد من البحوث التي تؤكد ذلك.

وفي أي حالٍ من الأحوال لا يمكن لأحد اللغويين أو اللسانيين أن يدعي القول بأن اللغة العربية مختلفة عن سائر اللغات وإنها بحاجة الى تحديث أو تطوير في أنظمتها، لأن التحديث الوحيد الذي من الممكن ان تكون اللغة العربية في حاجه اليه هو المصطلحات العلمية المعاصرة والتي يمكن بوساطتها التعبير عن الفكرة العلمية وإيصالها بصورة صحيحة الى الطلبة (بني ذياب،٢٠١٢). والمشكلة الأخيرة ضرورة إيجاد القاموس أو المعجم اللغوي العربي الموحد على غرار قاموس أكسفورد.

ينظر الى اللغة على أنها صناعة وسلعة في القطاع الاقتصادي إذ انها القاعدة الرئيسة الفعالة في الصناعات) ،لكثير من الأحيان ما تم النظر الى أوجه التشابه الثقافية في الاقتصاد العالمي (حمدوش،الدباغي ،٢٠٢١ بين النقود وعملاتها وبين اللغة وتعبيراتها، وأعتبر الكلام الصادر من فم المتكلم كالعملات الصادرة من الخزانة منه ما هو ذا قيمة عظمى ومنه ما هو ذا قيمة دنيا، وهذا التشبيه يعود الى مدة زمنية بعيدة، فعلى سبيل المثال ذكر (جون لوك) في نهاية القرن التاسع عشر يصف الكلمات في مقال التفاهم الإنساني (أنها القاسم المشترك للتجارة والاتصال). وكما عبر عنها (أنطوان دي رفارول) قبل قيام الثورة الفرنسية بقوله " الكلمات مثل النقود: كانت لها قيمة محدودة قبل أن تعبر عن كل أنواع القيمة "، فانه من وجهة نظر رجل الاقتصاد العادي ان التشابه المفهوم شعورياً بين النقود واللغة يمكن تفسيره بوساطة الرؤية الاساسية للنظرية الوظيفية للقيمة، فكلا النقود واللغة تنقصهما القيمة ويتم اكتسابها في التبادل وهو ما يسمى في ب (القيمة الشرائية) لدى الاقتصاديين .وب(المعنى) لدى اللغويين (كولماس ،٢٠٠٠)

وفيما يأتي سيتم توضيح بعض الأبعاد الاقتصادية للغة (حمدوش ،٢٠٢١)

١. المجال الاتصالي للغة بواسطة المجتمع الذي يستعملها كلغة أساسية أولى أو لغة ثانوية

٢. تطور القدرة الوظيفية للغة (باعتبارها أداة انتاج) ومعرفة الفرص التي يمكن استثمارها باستعمال تلك اللغة

.رصيد اللغة من الحساب الجاري بالمقارنة مع جماعاتها اللغوية.٣

.مقدار الطلب على اللغة بوصفها سلعة في السوق الدولية، ومقدار حجم الصناعة التي تمده هذه اللغة.٤

في المحصلة بإمكاننا القول إن اللغة عبارة عن رصيد وترتبط ارتباطاً سببياً بالاقتصاد ودخل الفرد، وقد أوجز ذلك بول بقوله " إن البلاد المجزأة لغوياً بشكل كبير بلاد فقيرة دائماً" (كولماس ،٢٠٠٠) ومما لا شك فيه إن

أبناء الشعب الذين يشتركون بلغة أم واحدة ثرية وموحدة، تكثر الفرص لتبادل العلوم والمعلومات العلمية والتقنية بينهم وبهذا ترتفع وتيرة النمو الاقتصادي (الخزعلي ،٢٠١٧)

ومن الواجب توعية المواطنين للحفاظ على هويتهم اللغوية العربية لأن الأزدواجية أو الثلاثية لا تدعم اللغة العربية الا أذا وضعت التدابير والأسس القانونية للتوازن بين اللغات وذلك لأن وجود الازدواجية مشروط للحفاظ ولدعم اللغة العربية ولجعلها مواكبة للتطور، فعلى الرغم من ان اللغة العربية ليست لغة العلوم والتطور اليوم الا انها تمتلك جميع المؤهلات والمعطيات التي تدعمها لجعلها اللغة الأولى ومن ضمنها لغة الاعلام والتواصل فضلاً عن التجارة (الفهري،٢٠١٣) ، وبما إن للغة علاقة وطيدة بالاقتصاد فأن لحرب اللغات والمصطلحات تأثير كبير على اقتصاد الدولة وفيما يأتي سيتم توضيح أبرز الدول المتأثرة بالخسائر الاقتصادية بسبب حرب المصطلحات والازدواجية.

الآثار الاقتصادية والاجتماعية للتعليم باللغة الثانية

مما لا شك فيه فأن للغة قوة اقتصادية كبيرة مؤثرة تأثيراً مباشراً في التجارة والاقتصاد لا يمكن نكرانها. وعند الرجوع الى الحضارات القديمة في بلاد الصين، مصر، اليونان، وروما يمكن ملاحظة النجاح المبهر في مجال الاقتصاد التجاري عبر البلدان وثقافاتها المتنوعة، ويرجع ذلك كله الى محاولات التجار المستمرة لسد الفجوات اللغوية عن طريق المامهم باللغات الثانية لفهم عملائهم. ويمكن رؤية إثر ذلك في العديد من المواقف التجارية، فمثلاً تم تكليف فريق مبيعات أسباني في مهمة عبر أوربا لتقديم وتعريف خط جديد من منتجاتهم الخاصة بالعناية الشخصية، ولأن هذا العضو الاسباني كان غير راضٍ وغير مستريح للحديث باللغة الإنجليزية والتي كانت لغة الحديث حينها، ولم يتدارك مدير الحوار هذا الموقف ولم يحثه للتحدث اثناء الاجتماعات أو بعد انعقادها، وبهذا فقد كان العضو الأقل حديثاً وتعريفاً عن منتجاتهم ذات السمات الأكثر نمواً في السوق. ونتيجة هذا أثرت قوة اللغة الاقتصادية عند إطلاق خط الإنتاج إذ تجاهلته خطط المجموعة هذه (هيل، لاينباك،٢٠١٩).

ويمكن لاقتصاديات اللغة أن تسهم في خفض كلفة الازدواجية اللغوية المرتفعة بوساطة تقييم الفوائد والتكلفة، فمثلاً في الحكومة الكندية التي تعد إحدى اللغات الفيدرالية ازدواجية اللغة، يصل الانفاق الكلي على اللغتين الرسميتين الى ٢،٤ بليون، ويتم تجميع هذا المبلغ من الضرائب المفروضة على المواطنين بتكلفة ٨٥ دولاراً لكل مواطن. وهناك عدة سيناريوهات اقتصادية لجعل التعليم بتكلفة أقل بواسطة تطبيق سياسات لغوية محددة وتوفير التعليم بلغة الأغلبية (اللغة الام) وليس بالنظام الثنائي (الفهري،٢٠١٣). في حين نرى العكس في الدول العربية بسبب السياسة اللغوية المتذبذبة بسبب رؤيتها وتخطيطها اللغوي غير الواضح، فعلى سبيل المثال تعمد وزارة التربية والتعليم الى سياسة لغوية تهدف الى اعتماد اللغة الوطنية في التعليم، ثم تضطر الى مُضاعفة الأنفاق على تكرار العملية نفسها لأجل تلقين المواد باللغة الثانية لرؤيتها الخاطئة وغير المفهومة بين تعليم العلوم والتقنيات وبين اتقان الطلبة للغة الأجنبية، وبهذا نرى الانفاق على العملية التعليمية يتضاعف ثلاث مرات على مستويات التعليم. وفي النهاية بسبب انعدام هذه الرؤية الواضحة نرى عرقلة واضحة في عجلة نمو هذه البلدان وتطورها، في حين لو انها اتجهت لتطبيق سياسة لغوية تهدف الى ان يكون النظام التعليمي باللغة الأحادية (اللغة الأم) يمكنها ان تحقق نمواً هائلاً في المجالات العلمية والتكنلوجية بسبب نمو العقول والمعرفة وبالتالي تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية (الخزعلي،٢٠١٧).

عقوبات الدول والحكومات حول عدم تطبيق اللغة الأم في التربية والتعليم

في واقع فرضت عليه حركة العولمة والتطورات العلمية والتكنلوجية والتقنية والتي أدت الى استعمال عدد لا محدود من اللغات الأخرى وفي مقدمتها اللغة الإنجليزية والذي آل الى تنحي اللغة العربية، وعليه لا بد من أخذ موقف جاد والالتزام بإعادة هذه اللغة الأم للكامن فينا من تشكل هذا العالم والوعي به، ولإعادة دور العربي في أثراء الحراك التربوي والعلمي بوساطة سن الأنظمة والقوانين اللغوية.

في هذا الموضوع من البحث سنتطرق الى أهم سياسات الدول العربية والغربية ودساتيرها لما يمثله مكانة النص الدستوري في البنى التشريعية لما يحتويه من أنظمة وقوانين وقرارات تدير الواقع اللغوي.

نصت دساتير معظم البلدان العربية ومنها: العراق، مصر، سوريا، السعودية، الأمارات، فلسطين وغيرها الكثير من البلدان ومن الملاحظ جميع الصيغ التركيبية في هذه الدساتير مطابقة وتنص بأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد، وعلى الرغم من ذلك فأنه لم يشرع في تلك الدساتير أي جزاءات تفرض في حال المخالفة أو التجاوز على هذه اللغة الرسمية أي ان هذا القانون بدون عقوبات وضوابط يعد غير مفعل بصورة صحيحة وهذا ما سارعت اليه بعض الدول العربية لتعديل دساتيرها لحماية اللغة العربية وسن الأنظمة والقوانين والعقوبات لحمايتها ومن هذه الدول: الأمارات والأردن ومصر(تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها :١٢) ، في حين نجد ان أغلب الدول الأجنبية قد وضعت قوانين وتشريعات وعقوبات عند عدم استعمال لغتهم الأم في التربية والتعليم .

نجد دول أوربا الغربية لديها تخطيط عام وإجراءات للمحافظة على اللغة منها وضع نسبة محددة لأعداد المهاجرين اليها بحيث لا تزيد عن (١٠-١٥%) من تعداد السكان، ورغم هذا فأنها لا تمنح تأشيرة الدخول الا بعد تعلمهم للغة الوطنية للبلاد واجتيازهم الاختبار بها، نرى من ذلك أنها تنفق أموالاً طائلة للمحافظة على لغتهم وادماج المهاجرين اليها. في حين أن فرنسا حمت اللغة بقوة القانون ونص أحد قوانينها "يعاقب كل من يوقع وثيقة بغير الفرنسية بالفصل من وظيفته وبالسجن ستة أشهر " (القاسمي ،٢٠١٢) ولم يقتصر ذلك على بلدها فحسب بل تعدت سياستها اللغوية البلد المستعمر فتم إصدار عدة قوانين لفرض لغتها واحلال الثقافة الفرنسية ومن تلك القوانين المرسوم بإلزامية استعمال اللغة الفرنسية في التعليم وإصدار عقوبات بحق من لم يستعمل اللغة الحاكمة(الفرنسية) ووجبت استعمالها في كافة العقود والوثائق الرسمية ، كما انها أصدرت قرار يحرم على الجزائريين فتح المدارس العربية أو تعليم القرآن في الكتّاب دون أخذ الأذن من المستعمر .و في مقاطعة كوبيك في كندا، أيضاً اتخذت الحكومة سلسلة من العقوبات والإجراءات لتنفيذ سياستها اللغوية ولتمكين اللغة الفرنسية وفرضها في الحياة العامة، وتم أقصاء اللغة الإنجليزية التي تنافسها. وبما ان اللغة في النظام التعليمي والموجودة UCA)تهدف الى زرع الثقافة التي تحتويها تلك اللغة، تعمد السياسة اللغوية في جامعة وسط آسيا (

في الجمهورية القيرغيزية والتي تدعمها الولايات المتحدة على استعمال اللغة الإنجليزية فهي بهذا تستهدف زرع الثقافة الإنجليزية ودعمها لأجل تعزيزها (المحمود ،٢٠١٨). ونجد القانون في دستور تركيا يحمي اللغة الوطنية في المادة ٤٢ "لا يجوز تعليم المواطنين الاتراك أي لغة عدا التركية كلغتهم الأم في أي مؤسسة تعليمية، وينظّم القانون اللغات الأجنبية التي تُدرس في المؤسسات التعليمية، والقواعد التي على المدارس التي تقدم التعليم بلغة أجنبية أن تتبعها، دون الإخلال بأحكام المعاهدات الدولية"

أما في البلاد العربية فقد اتجهت السياسات على وضع عقوبات تحد من استعمال اللغات الإنجليزية، ففي البلاد العربية السعودية اهتمت باللغة العربية واعتمدتها في التعليم لجميع المواد وجميع المراحل الدراسية، أذ انها تعمد على تنمية القدرة اللغوية بوساطة احتواء الجانب العلمي التطبيقي على حيز كبير للغة العربية وافتتحت كليات وأقسام ومعاهد متنوعة للغة العربية وعمدت على تأهيل أصحاب الاختصاصات فيها فضلاً عن تعليم غير الناطقين بها. أي إن السياسة اللغوية التعليمية شاملة وفاعلة وفي ذات الوقت داعمة للغة العربية. وتبرز ايدلوجية السياسة اللغوية السعودية في وضع قوانين تلزم باستعمال اللغة العربية في التعليم، وتحد من استعمال اللغات الأجنبية فمثلاً فرضت عقوبات بحق الشركات الأجنبية التي لا تستعمل اللغة العربية في معاملاتها الرسمية (المحمود،٢٠٢٠).

ولا بد من ذكر تجربة مجمع اللغة الأردني عام ١٩٨٢م، في حينها تقدم ثمانون من أصل مائة وعشرين من أعضاء الهيئة التدريسية بمذكرة وخطط لتعريب الكتب والمراجع في مختلف العلوم المعتمدة للتدريس في جامعتي اليرموك والجامعة الأردنية، وعزمهم على التدريس باللغة الأم أيماناً منهم بأهمية التعريب. ورغم هذه الخطوة التي تعد النواة الصالحة لأجل تعزيز اللغة العربية من جديد فقد تقاعس وتراجع المسؤولون في الجامعتين عن الاستمرار بهذه الخطوة، وهذا يؤكد على وجوب استصدار قرار سياسي لغوي يلزم على وضع وتنفيذ خطة للتعريب (بني ذياب،٢٠١٢).

نموذج التجربة الماليزية لاعتماد اللغة الوطنية في القطاع التعليمي:

اهتمت النهضة الماليزية بالتعليم والبحث العلمي وأعطتهما الأولوية لتركيزها على بناء الانسان والاستثمار فيه كونه الثروة الحقيقة والمحرك الرئيس في النهضة الاقتصادية والعلمية، ولهذا تم تشييد المدارس والجامعات ومراكز البحث والتدريب باللغة الوطنية المشتركة (عباس، الدسوقي،٢٠١٩). و تحقيق ماليزيا لهذه التنمية العامة ما هو الا انعكاس واضح لاستثمارها البشر حيث نجحت نجاحاً واضحاً في تأسيس نظام تعليمي قوي لبى احتياجاتها من قوة العمل الماهرة ، فقد أولت الحكومة عناية خاصة بالتعليم وبالأخص التعليم الأساسي والفني ، وخصصت اعتمادات مالية كبيرة في مجال العلوم والتقنية فضلا عن المجالات الإنسانية التي اهتمت بها ودعمتها بواسطة القطاع الخاص ، وبذلك نقل الاهتمام بالتعليم اقتصاد ماليزيا من قطاع تقليدي الى قطاع صناعي حديث ، وحقق تراكما كبيرا من رأس المال البشري والذي هو العمود الفقري للتنمية وجوهرها .(اسماعيل،٢٠١٤) التخطيط لجعل قطاع التعليم ولاسيما الجامعي منه قطاعاً خلاقاً بالاعتماد على اللغة الوطنية ليخدم الاقتصاد الماليزي بالدرجة الأولى، ويكون هدفه الأول والأخير هو النهوض بعجلة التنمية الاقتصادية وتدعيمها.

وحرصها على نظام التعليم يبدو ان تأسيس ماليزيا لنظام التشغيل المتميز المرتبط بالنظام التعليمي والتربوي، وعده مشروعا تنمويا ناجحاً، وتخصيص المبالغ اللازمة للعملية التربوية شرط ان كل دولار ينفق على عملية التعليم والتدريب يعود بالنفع على المجتمع ككل، قضى على مشكلة البطالة ودفع بالبلاد الى النهضة الاقتصادية دولار في عام ٢٠١٩ (أسماعيل،٢٠١٤).28,830وأرتفع نصيب الفرد الماليزي من أجمالي الدخل القومي الى

أسباب التدريس باللغة الثانية

هناك أسباب شبه مفروضة على اللغة العربية كالقوة السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية وهناك القوة العلمية حيث استغلت بعض الدول هذه القوة لتصدير ونشر لغتها الأم الى معظم الدول الأخرى وبذلك فقد تأثرت اللغة العربية تأثيراً مباشراً بسبب عدم الاعتماد فقط على المعلومات العلمية التي تحويها اللغات الأجنبية الداخلة

بل تأثرت باللغة ومصطلحاتها العلمية دون تعريبها ومن المثير للاستغراب إن المصطلحات العلمية الأجنبية أصبحت أيسر وأسهل ومفهومة أكثر من المصطلحات العلمية العربية، ويُضطر في أغلب الأحيان أن يُكتب المصطلح الأجنبي بين قوسين ومجاوراً للمصطلح العلمي العربي لعدم فهم الأخير، ويظهر تأثير اللغة العلمية وبالأخص الجانب العلمي التأليفي على الاقتصاد والتقدم الصناعي والتقني (شريف،٢٠١٣) . يمكن اعتبار تلك الالفاظ الداخلة بأنها مقترضة وبهذا فأنها تبقى رهن لأحكام كثيرة فضلاً عن سوء الفهم بسبب إن تلك المصطلحات العلمية المقترضة تؤثر على اللغة العربية وتفسد نقاءها وتؤثر على فائدتها اللغوية وإن بقيت اللغة العربية في اقتراض واعتماد مستمر لتلك المصطلحات دون توليد وتعريب لتلك المصطلحات فإنها بذلك تتعرض للخطر لأن الاقتراض والاعتماد بصورة مستمرة على غير لغة دون رد يعرض اللغة العربية للإفلاس وتشويه نقائها (كولماس،٢٠٠٠). وهناك أسباب أخرى لوجود التعليم باللغة الثانية منها الاحتكاك اللغوي بين اللغات وما يسببه من توليد لغات أو لهجات جديدة مدمجة من اللغات الأصلية أي إن اللغة الأم فقدت وخسرت خصائصها وصفاتها وتم الاعتماد على تلك اللغات الجديدة في عملية التعليم (محمود ،٢٠٠٢). ويمكن تجنب جميع هذه الأسباب بفرض سياسية لغوية محكمة تهدف الى إرجاع اللغة العربية الأم الى مكانتها السامية وقوة نموها كما لقد كان العرب أعظم معلمين في العالم وقد زادوا على العلوم "قال(جورج سارطون) في كتابه تاريخ العلوم: التي أخذوها ولم يكتفوا بذلك بل أوصلوها إلى درجة جديرة بالاعتبار من حيث النمو والارتقاء" (سالمي، ٢٠١٣)، هذا يعني إن اللغة العربية هي أم اللغات وأم العلوم وهي غير قاصرة كما يدعون عن مواكبة العلوم والمصطلحات العلمية إذ إنها أول لغة أستعملها العرب والعلماء القدماء وتم التعريف عن اللغة العربية بوساطتهم ، وتم التعريف عن العرب بوساطة اللغة العربية ،أي إنها كانت ولا زالت الوطن الروحي والرابط القوي والحافظ على تاريخ هذه الأمة وحقائق حياتها (محمود ،٢٠٠٢) .

ولا بد من التطرق في هذا الموضوع على تأثيرات التعليم باللغة الثانية لأجل التوضيح بلزوم وجود التخطيط اللغوي لاعتماد التعليم باللغة الأم.

تأثيرات التعليم باللغة الثانية

هناك عدة تأثيرات سلبية للتعليم باللغة الثانية ولا سيما تعليم العلوم نذكر منها:

١- التعليم باللغة الثانية يخلق عند المتعلم آثاراً سلبية ويسبب الحيرة وعدم الفهم للتعبيرات والمصطلحات المطروقة، مما يجعله مشوش وغير آمن وواثق من تعابير لغته وذلك يؤدي الى تدني مستوى اللغة الأم (محمود،٢٠٠٢).

٢- ينظر البعض ان استعمال اللغة الثانية للتعليم يهدد ذكاء التلميذ أو الطالب لجعله مشغولاً بلغتين ويسبب له عبئاً في الحفظ والذاكرة، وليفهم المنهج التعليمي فأنه مضطر لحفظ كلمتين لكل مفردة أو مصطلح يتعلمه. وبهذا فان الازدواجية اللغوية تهدد تفكير الطالب وشخصيته لتعامله مع نظامين للتعبير والتفكير وثقافتين متعارضتين (الخولي،٢٠٠٢).

٣- تعد الازدواجية اللغوية العدو الأول للتطور الفكري والحضاري وسبب رئيس ومباشر في تصدع النبتة الثقافية للبلد، والذي يهدد كل الجهود والنشاطات التربوية (عبد الساعدي، ٢٠٠٨).

٤- التعليم باللغة الثانية يؤثر على تعلم المتلقي للغته الأم والتي هي لغة المجتمع وبهذا فأن ذلك يؤثر سلباً على التكيف الاجتماعي (الخزعلي،٢٠١٧).

٥- الازدواجية اللغوية قابلة على تدمير الوحدة المجتمعية والثقافية والفكرية للبلد والتي تؤدي الى زعزعة في الاستقرار الاجتماعي والسياسي وتفكك وحدة البلد (المصري، أبو حسن،٢٠١٤).

٦- التعليم باللغة الثانية مكلف اقتصادياً فهو يزيد من نفقات التعليم لأنه يتطلب تجهيز المعلمين وإعدادهم فضلاً عن تجهيز البرامج وإعداد البحوث والخطط والاختبارات الخاصة لأجل تمكين المعلمين في إيصال المادة العلمية (المنهج) الى الطلبة، ومما لا شك فيه ان جميع ذلك يتطلب وقتاً ومالاً وجهداً(الخولي،٢٠٠٢).

الحلول والمقترحات:

لأجل مواجهة التحدي الكبير الذي تواجهه اللغة العربية، وتعويض غيابها عن المراكز التعليمية والمدارس والجامعات، لا بد من توجه الجهود الى تخطيط لغوي يضمن ان تصبح اللغة العربية ذات أولوية علمية وتعليمية في المدارس والجامعات.

بذلك انتهت الدراسة الى ضرورة اتخاذ سلسة من الإجراءات والخطوات وهي:

١. تعريب شامل للمصطلحات العلمية والتقنية الحديثة لأجل مواكبة اللغة العربية لتطور العلوم والمعارف الحديثة.
٢. تغيير شامل للمناهج التعليمية والعلمية واعتماد اللغة العربية فيها.
٣. استحداث امتحان كفاءة اللغة العربية قبل الالتحاق بالوظائف وخصوصاً المرتبطة بالقطاع التعليمي.
٤. استحداث قوانين وعقوبات في الدستور تفرض وجوب استعمال اللغة العربية في جميع المعاملات الرسمية واعتماد اللغة الأم في العملية التعليمية.
٥. انشاء معجم عربي موحد للمصطلحات العلمية الحديثة وتعميمها واعتمادها في الجامعات والمؤسسات التعليمية، ونشرها في وسائل التواصل الاجتماعي.
٦. الغاء عملية تعليم اللغة الثانية في المراحل الأولى من التعليم واعتماد ترسيخ اللغة الأم في الطفل الناشئ.
٧. اتخاذ قرار بشأن العمالة الأجنبية ويتضمن دخولهم بأعداد محددة، وعدم منحهم تأشيرة الدخول الا بعد اجتيازهم امتحان كفاءة اللغة العربية.
٨. ترسيخ مقولة "تعلم اللغة الثانية واجب ولكن التدريس بها جريمة "
٩. تحديث المناهج في تدريس القواعد أو النحو العربي واقتراح اعتماد طريقة اختبار الكفاءة للدراسات العليا فهي تلائم عقول وطريقة الأجيال الحالية. وإلغاء الطريقة الكلاسيكية الحالية المتداولة في وزارتي التربية والتعليم.
١٠. تنقية اللغة العربية وكتب المناهج الدراسية من الالفاظ والمصطلحات الدخيلة.

المراجع:

- الازدواجية اللغوية في اللغة العربية: عباس المصري وعماد أبو حسن، ع ٨،٢٠١٤.
- الازدواجية اللغوية معالجة لسانية: د. أسعد عباس كاظم المياحي، الشركة العصرية المتحدة للتسويق والتوريدات، ط١، ٢٠١٧.
- الأسس الانثروبولوجية والثقافية للغة: كرمة شريف، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان، ٢٠١٢-٢٠١٣.
- إشكالية اللغة في تدريس العلوم: د. عبد المجيد سالمي، مجلة الأثر، الجزائر، ع ١٧، ٢٠١٣.
- بصفتك رئيساً ٣ قواعد لكي تصبح قائداً عظيماً: ليندا إيه. هيل و كينت لاينباك ،مكتبة جرير،ط١ ، ٢٠١٩.

- التجربة الماليزية مهاتير محمود الصحوة الاقتصادية: محمد صادق أسماعيل، العربي للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٤.
- التخطيط اللغوي والتعريب: د. مصطفى عوض بني ذياب، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، ع ٤٢، حزيران ،٢٠١٢.
- التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية: تأصيل نظري: د. محمود بن عبد الله المحمود، مجلة التخطيط اللغوي والسياسة، ع ٦، إبريل ،٢٠١٨.
- الثقافة والتنمية البشرية (دراسة نظرية لبعض المتغيرات الثقافية) ، أشواق عبد الحسن عبد الساعدي ، مؤسسة المعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨.
- الثنائية اللغوية بين أكتساب اللغة الأم (العربية) وتعلم اللغة الأجنبية (الإنجليزية): فؤاد عبد المطلب، مجلة كلية المأمون الجامعة، العراق، ع ٢٦، كانون الثاني، ٢٠١٥.
- الحياة مع لغتين: د محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٢.
- السياسات اللغوية وأثرها في التنمية البشرية: عذاب مطير عذافة الخزعلي، كربلاء المقدسة-العراق، ط ١، ٢٠١٧.
- السياسة الثقافية في العالم العربي: د. علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٢.
- السياسة اللغوية في البلاد العربية: د. عبد القادر الفاسي الفهري دار اكتاب الجديد المتحدة، ط١، أيلول،٢٠١٣.
- العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية: أبراهيم كايد محمود، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، ع ١، مارس،٢٠٠٢.
- علم اللغة الاجتماعي: د. محمد حسن عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر ،٢٠٠٩.
- علم اللغة التطبيقي: أ.د قاي كوك، دار الملك سعود للنشر، الرياض – السعودية ،٢٠١٤.
- علم اللغة التطبيقي، أ.د.قاي كوك ، دار جامعة الملك سعود للنشر ، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٣ م.
- في العالقة بين اللغة /(ت)الاقتصاد- مقارنة سوسيو اقتصادية: د. نوال حمدوش، مجلة الانترنيت للدراسات الثقافية، جامعة سطيف، آب ،٢٠٢١.
- اللغة العربية والتعليم رؤية مستقبلية للتطوير، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط ١، ٢٠٠٨.
- اللغة والاقتصاد: فلوريان كولماس، عالم المعرفة، الكويت ،٢٠٠٠